كتاب الأغاني

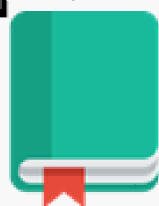
تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

(٣٥٦ هـ)

اعداد

مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي



الجزء التاسع

طبعة كاملة وجديدة، مصححة، ملونة

محققة على تسع مخطوطات ومزيدة بفهارس شاملة

دار احياء التراث العربي

بيروت - لبنان



دار إحياء التراث العربي

طبعة جديدة مصححة

الطبعة الأولى

١٩٩٤ ميلادية ١٤١٥/١٤ هجرية

بيروت – لبنان – بناية كليوباترا – شارع دكاش – ص.ب: ١١/٧٩٥٧
تلفون المستودع ٢٧٤٦٩٦ - ٢٧٢٠٣٢ - ٢٧٨٧٦٦ المنزل ٨٣٠٧١١ - ٨٣٠٧١٧
برقياً: التراث – تلكس ٢٣٦٤٤ / LE تراث

Beyrouth - Liban - Imm. Kleopatra - Rue Dakkache - B. P. 11/7957
Tél. Dépôt 274696, 272032, 278766 – Domicile 830711, 830717
Télégr. ALTOURAS – Telex 23644 / LE

[٣/٩] ٢٧/٨

/ بسم الله الرحمن الرحيم
الجزء التاسع
من كتاب الأغاني

ذكر أخبار كثير ونسبه

نسبه:

هو، فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيديّ عن محمد بن حبيبَ عن ابن الأعرابيّ، أبو صخر كُثَيِّر بن عبدالرحمن بن الأسود بن عامر بن عُوَيْمر بن مَخْلَد[١] بن سعيد بن سُبَيْع[٢] بن جِعْثِمَة بن سعد بن مُلَيْح بن عمرو وهو[٣] خُزاعة بن ربيعة وهو يحيى بن حارثة بن عمرو وهو مُزَيْقيا بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغِطْريف بن امرىء القيس البِطْريق بن ثَعْلبة البُهْلول [ابن مازن[٤]] بن الأزْد وهو دِرْء[٥] - وقيل دِرَاء ممدوداً - بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان.

وأخبرنا أبو عبدالرحمن أحمد بن محمد بن إسحاق الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو صخر بن أبي الزَّعْراء الخُزَاعيّ عن أمّه ليلى بنت كُثَيِّر قالت: / هو كثيّر بن عبدالرحمن بن الأسود بن عامر بن مَخْلَد بن [٤/٩] سُبَيْع بن سعد بن مُلَيْح بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر. وأمه جُمْعة بنت الأشْيَم بن خالد بن عُبيد بن مُبَشِّر بن رِيَاح بن سيالة بن عامر بن جِعْثِمةَ بن كعب بن عمرو بن رَبيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر. وكانت كنية الأشْيَم جدّه أبي أمّه أبا جُمْعة، ولذلك قيل له ابن أبي جُمْعة.

وكان له ابن يقال له ثَوَاب من أشعر أهل زمانه، مات سنة إحدى وأربعين ومائة ولا ولد له.

ومات كثيّر سنة خمس ومائة في ولاية يزيد بن عبدالملك. وليس له اليوم ولد إلاّ من بنته ليلى. ولليلى بنته ابنٌ يكنى أبا سَلَمة شاعر، وهو الذي يقول:

صوت

وكان عزيزاً أن تَبِيتي وبيننا ... حجابٌ فقد أمسيتِ منّي على شهرِ

ففي القرب تعذيبٌ وفي النأي حَسْرةٌ ... فيا وَيْحَ نفسي كيف أصنع بالدهر

---

(١) كذا في «وفيات الأعيان» لابن خلكان و«تجريد الأغاني»، وسيأتي في النسب الذي يذكره عن ليلى بنت كثير: «... بن عامر بن مخلد بن سبيع ...». وفي الأصول هنا: «عويمر بن مخارق بن سعيد...».

(٢) كذا ورد هذا الاسم في الأصول وفي «وفيات الأعيان» و«تجريد الأغاني» و«السيرة» لابن هشام في نسب أمية بنت خلف. وقال أبو ذر بن مسعود الخشني في كتابه على السيرة (جـ ١ ص ٨٠ طبع مطبعة هدية) صوابه: «يثيع» بالياء المثناة والثاء المثلثة.

(٣) في الأصول: «مليح بن عمرو بن خزاعة...» وهو تحريف. (راجع في «القاموس» و«شرحه» مادة ملح والنسب الآتي الذي روي عن ليلى ابنته).

(٤) زيادة من «وفيات الأعيان وتجريد الأغاني».

(٥) في الأصول: «درى». والتصويب عن «القاموس».

في هذين البيتين غناء لمقاسة. ولحنه من الثقيل الأول بالخنصر عن حَبَس.

كنيته وطبقته في الشعراء ونحلته:

ويكنى كثيّر أبا صخر. وهو من فحول شعراء الإسلام، وجعله ابن سَلّام في الطبقة الأولى منهم وقرن به جريراً والفرزدقَ والأخطلَ والرّاعيَ. وكان غالياً في التشيّع يذهب مذهب الكَيْسانيّة[1]، ويقول بالرَّجْعة والتّناسخ، وكان مُحَمَّقاً مشهوراً بذلك. وكان آل مروان يعلمون بمذهبه فلا يغيّرهم ذلك لجلالته في أعينهم ولطف محلّه في أنفسهم وعندهم. وكان من أتْيِهِ الناس وأذهبِهم بنفسه على كل أحد.

[٩/٥] / **الحديث عنه وعلى شعره:**

أخبرني به[2] أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني هارون بن عبدالله الزُّهريّ قال حدّثني سليمان بن فُلَيْح قال: سمعت محمد بن عبدالعزيز (يعني ابن عمر بن عبدالرحمن بن عوف) يقول ما قصّد القصيدَ ولا نعت الملوكَ مثلُ كثيّر.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثني الزُّبَير بن بَكّار قال كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم الموصليّ حدّثني إبراهيم بن سعد قال: إني لأروي لكُثَيِّر ثلاثين قصيدة لو رُقِي بها / مجنون لأفاق. ٢٨/٨

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزبير قال حدّثني بعض أصحاب الحديث قال:

كنّا نأتي إبراهيم بن سعد وهو خبيث[3] النفس، فنسأله عن شعر كثيّر فتطيب نفسه ويحدّثنا.

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدّثنا عمر بن أبي بكر المؤمّليّ[4] عن عبد الله بن أبي عُبيدة قال:

من لم يجمع من شعر كُثيّر ثلاثين لاميّةً فلم يجمع شعرَه. قال الزبير قال المؤمّليّ: وكان ابن أبي عُبَيدة يُملي شعر كُثَيِّر بثلاثين ديناراً. قال وسئل عمّي مصعب: مَنْ أشعرُ الناس؟ فقال: كُثَيِّر بن أبي جمعة، وقال: هو أشعر من جرير والفرزدق والراعي وعامّتهم (يعني الشعراء)، ولم يدرك أحد في مديح الملوك ما أدرك كثيِّر.

أخبرني أبو خَليفة الفضل بن الحُبَاب إجازةً قال حدّثنا محمد بن سَلّام الجُمَحِيّ قال:

[٩/٦] / كان كثيّر شاعر أهل الحجاز، وهو شاعر فحل، ولكنه منقوصٌ حظُّه بالعراق.

أخبرني أبو خَليفة قال أخبرنا ابن سَلّام قال سمعت يونس النحويّ يقول:

كُثيّر أشعرُ أهلِ الإسلام. قال ابن سَلّام: وسمعت ابن أبي حَفْصة يُعْجِبه مذهبه في المديح جدّاً، ويقول: كان يستقصي المديح، وكان فيه مع جودة شعره خَطَلٌ وعُجْب.

(١) الكيسانية: فرقة من الشيعة الإمامية، وهم أصحاب كيسان مولى علي بن أبي طالب. (انظر الحاشية رقم ٣ في ج ٧ ص ٢٣١ من هذه الطبعة).

(٢) وردت هذه الكلمة «به» في جميع الأصول.

(٣) المراد بخبيث النفس: غثيانها.

(٤) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «الموصلي». (انظر الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من الجزء الرابع من هذه الطبعة، و«المشتبه» ص ٣٠٠ طبع أوربا).

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن إسماعيل الجَعْفَريّ قال أخبرني إبراهيم بن إبراهيم بن حسين بن زيد قال:

سمعت المِسْوَر بن عبدالملك يقول: ما ضرَّ مَنْ يروي شعرَ كثيِّر وجميلٍ الاّ تكون عنده مغنِّيتان مُطْرِبتان.

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلَّبي وأحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائنيّ عن الوَقَّاصِيّ قال:

رأيت كثيِّراً يطوف بالبيت، فمَنْ حدّثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكَذِّبْه؛ وكان إذا دخل على عبدالعزيز بن مروان يقول: طأطِىء رأسَك لا يُصِبْه السقف.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائنيّ، وعن ابن حبيب عن أبيه عن جدّه عن جدّ أبيه عبدالعزيز وأمُّه جمعة بنت كثيِّر قال:

قال [جرير[1]] لكثيِّر: أيُّ رجلٍ أنت لولا دَمامتك! فقال كثيِّر:

إن أكُ قَصْداً[2] في الرجال فإنّني ... إذا حلّ أمرٌ ساحتي لطويلُ

[7/9] / ما كان بينه وبين الحزين الديلي:

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائنيّ عن الوَقّاصيّ قال، وأخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن يحيى عن بعض أصحابهم الدِّيليّين قال:

اِلتقى كُثَيِّر والحَزِين[3] الدِّيليّ بالمدينة في دار ابن أزْهَر في سوق الغنم، فضمّهما المجلس. فقال كثيِّر للحزين: ما أنت شاعرٌ يا حزين، إنما تُوصل الشيء إلى الشيء. فقال له الحزين: أتأذَن لي أن أهجوَك؟ قال نعم. وكان كثيِّر قال قبل ذلك وهو ينتسب إلى بني الصَّلْت[4] بن النَّضر بن كنانة:

أليس أبي بالنَّضْرِ أو ليس إخوتي ... بكلِّ هِجَانٍ من بني الصَّلْت أزْهَرَا

فإن لم تكونوا من بني الصَّلْت فاتركوا ... أراكاً بأذيال الخمائل[5] أخضرا

قال: فلما أذِن كثيِّر للحَزِين أن يهجوه قال الحَزِين:

/ لقد عَلِقَتْ زُبُّ الذُّبابِ كُثَيِّراً ... أساوِدُ[6] لا يُطْنِينه وأراقمُ

29/8

(1) التكملة من «تجريد الأغاني».
(2) في الأصول: «قصيراً» والتصويب عن «تجريد الأغاني». والقصد: الربعة من الرجال.
(3) اسمه عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك، والحزين لقبه، من شعراء الدولة الأموية، حجازي مطبوع ليس من فحول طبقته. وكان هجاء خبيث اللسان ساقطاً يرضيه اليسير ويتكسب بالشعر وهجاء الناس. (انظر ترجمته في ج 14 ص 76 من «الأغاني» طبع بولاق).
(4) الصلت بن النضر: أبو خزاعة.
(5) كذا في نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. والخميلة: المنهبط الغامض من الرمل، وهي مكرمة للنبات. وفي الأصول: «الحمائل» بالحاء المهملة.
(6) الأساود: الحيات. ولا يطنينه: لا يبقين عليه؛ يقال: رماه الله بأفعى لا تطنى أي لا يفلت لديغها. والأرقم: أخبث الحيات وأطلبها للناس.

قصيرُ القميصِ فاحشٌ عند بيتهِ ... يَعَضّ القُراد باستِه وهو قائم

وما أنتُمُ منّا ولكنكم لنا ... عبيدُ العصا ما أبتلّ في البحر عائم

وقد عَلِم الأقوامُ أن بني أسْتِها ... خُزاعةَ أذنابٌ وأنّا القَوادِمُ

[٩/٨] / ووالله لولا اللهُ ثم ضِرابُنا ... بأسيافنا دارت عليها المقَاسمُ

ولولا بنو بكرٍ لَذَلّتْ وأهلكتْ ... بطعنٍ وأفنتْها السيوف الصوارمُ

تهدده أبو الطفيل واستوهبه خندف الأسديّ:

قال: فقام كثيّر فحمل عليه فَلَكَزه. وكان الحزين طويلاً أيّداً. فقال له الحزين. أنت عن هذا أعجز، واحتمله فكان في يده مثلَ الكُرةَ، فضرب به الأرض، فخلّصه منه الأزهريّون. فبلغ ذلك [أبا][1] الطُّفيل عامر بن واثِلة وهو بالكوفة، فأقسم لئن ملأ عينيه من كثيّر ليضربنّه بالسيف أو ليَطعُنَنّه بالرمح. وكان خِنْدِفٌ الأسديّ صديقاً لأبي الطُّفيل، فطلب إلى أبي الطفيل في كثيّر واستوهبه إيّاه فوهبه له. والتقيا بمكة وجلسا جميعاً مع عمر بن عليّ بن أبي طالب، فقال: أمّا والله لولا ما أعطيتُ خِندِفاً من العهد لَوَفيت لك. فذلك قول كُثيِّر في قصيدته التي يرثي فيها خِندِفاً:

ينال رجالاً نفعُه وهو منهمُ ... بعيدٌ كَعَيُّوقِ[2] الثُّريّا المُحَلِّقِ

أنكر على الأحوص ضراعته في الاستجداء:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال: قال كُثيِّر: في أيّ شعرٍ أعطى هؤلاء الأحوصَ عشرةَ آلافِ دينار؟ قالوا: في قوله فيهم:

وما كان مالي طارفاً من تجارةٍ ... وما كان مِيراثاً من المال مُتْلَدَا

ولكن عطايا من إمامٍ مُبارَكٍ ... مَلاَ الأرضَ معروفاً وجُوداً وسُودَدَا

[٩/٩] / فقال كثيّر: إنه لَضِرعٌ قَبّحه الله! ألا قال كما قلتُ:

صوت

دَعْ عنكَ سَلْمَى إذ فاتَ مَطْلَبُها ... وأذْكُرْ خليلَيكَ[3] من بني الحَكَمِ

ما أعطياني ولا سألتُهما ... إلاّ وإنّي لحاجِزِي كَرَمِي

إنّي متى لا يكن نوالُهما ... عندي مما قد فعلتُ أحتشِمِ

مُبْدِي الرِّضا عنهما ومُنصرِفٌ ... عن بعض ما لو فعلتُ لم أُلَمِ

---

(١) التكملة من ترجمته في «الأغاني» (جـ ١٣ ص ١٦٦ طبع بولاق) و «شرح القاموس» (مادة طفل)». وهو عامر بن واثلة بن عبدالله بن عمرو بن جابر بن خميس، له صحبة برسول الله ﷺ، وعمر بعده طويلاً، كان مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وروي عنه وكان من وجوه شيعته.

(٢) العيوق: كوكب أحمر مضيء بحيال الثريا في ناحية الشمال، ويطلع قبل الجوزاء.

(٣) في الأصول: «خليلك» ويعني بهما عبدالملك وعبدالعزيز ابني مروان بن الحكم.

لا أنْزُرُ النائِلَ الخليلَ إذا ... ما اعتلّ نَزْرَ الظُّؤورِ لم تَرَمِ[(١)]

عروضه من المُنْسَرِح. غنّى في هذا الشعر يونس ثانيَ ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وغنّى فيه الغَرِيض ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة. وفيه لحن من الثقيل الأوّل يُنسب إلى مَعْبَد، وليس بصحيح له. قال الزُّبير بن بكّار في تفسير قوله: «لا أنزر النائل الخليل» يقول: لا ألحّ عليه بالمسألة، يقال: نَزَرته أنزُره إذا ألححتَ عليه. والظُّؤور: المتعطِّفة على [غير[(٢)]] أولادها.

حديثه مع عبدالملك في استقطاعه أرضاً له:

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزُّبير قال حدّثنا المؤمّليّ عن أبي عُبيدة، وأخبرنا أحمد بن عبدالعزيز وحبيب بن نصر قالا حدّثنا عبدالله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال:

/ دخل كثيّر على عبدالملك بن مَرْوان فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ أرضاً لك يقال لها غُرَّب[(٣)] ربما أتيتُها ٣٠/٨ وخرجت إليها بولدي وعيالي فأصبنا من رُطَبها وتَمْرها بشراءٍ / مرّة وطُعْمة مرّة. فإن رأى أمير المؤمنين أن [١٠/٩] يُعَمِّرَنيها[(٤)] فعل. فقال له عبدالملك: ذلك لك. فندّمه الناس وقالوا له: أنت شاعرُ الخليفة ولك عنده منزلة، فهلاّ سألتَ الأرض قَطيعةً!. فأتى الوليدَ فقال: إنّ لي إلى أمير المؤمنين حاجةً فأجْلِسْني قريباً من البِرْذَوْن. فلما آستوى عليه عبدالملك قال له: إيهِ! وعِلم أنّ له إليه حاجةً. فقال كثيّر:

جزَتْكَ الجوازِي عن صديقكَ نَضْرةً ... وأدناكَ ربِّيٌ في الرَّفيق المُقرَّبِ

فإنّك لا يُعْطَى عليك ظُلامةً ... عدوٌّ ولا تنأى عن المتقرِّبِ

وإنّك ما تَمنَعْ فإنك مانعٌ ... بحقٍّ، وما أعطيتَ لم تَتَعقّبِ

فقال له: أترغب غُرَّباً؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: أكتبوها له، ففعلوا.

هجاء الحزين له في مجلس ابن أبي عتيق:

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزُّبير قال حدّثنا عمر بن أبي بكر المؤمّلي قال حدّثني عبدالله بن أبي عُبيدة قال:

كان الحزين الكِنَانيّ قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين في كل شهر، منهم آبنُ أبي عتيق. فجاءه لأخذ درهميه على حمارٍ له أعْجف ـ قال: وكثيّر مع ابن أبي عتيق ـ فدعا ابنُ أبي عتيق للحزين بدرهمين. فقال الحزين لابن أبي عَتيق: مَنْ هذا معك؟ قال: هذا أبو صخر كثيّر بن أبي جمعة ـ قال: وكان قصيراً دميماً ـ فقال له الحزين: أتأذَن لي أن أهجوه ببيت من شعر؟ قال: لا! لعمري لا آذَن لك أن تهجو جليسي، ولكني أشتري عِرْضه منك بدرهمين آخرين ودعا له بهما. فأخذهما ثم قال: لا بدّ من هجائه ببيت. قال: أوْ أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين، ودعا له بهما. فأخذهما ثم قال: ما أنا بتاركه حتى أهجوه. قال: أوْ أشتري / ذلك منك بدرهمين. فقال له [١١/٩]

(١) ترم: تحن وتعطف. وأصله «ترأم» سهلت الهمزة ثم حذفت لالتقاء الساكنين؛ فإن آخر الفعل ساكن بالجازم وحرك بالكسر للقافية.
(٢) التكملة عن «معاجم اللغة».
(٣) غرب: ماء بنجد ثم بالشريف من مياه بني نمير. وغرب أيضاً: جبل دون الشام في ديار بني كلب وعنده عين ماء تسمى غربة. هذا ما ورد في «معجم البلدان» لياقوت. لعله يعني هنا موضعاً آخر.
(٤) يقال: عمر فلان فلاناً كذا إذا جعله له طول عمره.

كُثيِّر: إيذَن له، ما عسى أن يقول في بيت! فأذِن له ابن أبي عتيق. فقال:

قصيــرُ القمِيــص فــاحــشٌ عنــد بيتــه ... يَعَــضّ القُــرَادُ بِــأسْتِــه وهــو قــائــمُ

قال: فوثب كثيِّر إليه فلكزَه، فسقط هو والحمار، وخلّص ابنُ أبي عتيق بينهما، وقال لكثيِّر قبحك الله! أتأذَن له وتَسْفَهُ عليه! فقال كثيِّر: أو أنا ظننتُه أن يبلُغ بي هذا كلَّه في بيت واحد!.

ادّعى أنه قرشي فرده الشعراء وسبه الكوفيون:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة ولم يتجاوزه، وأخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا عبدالرحمن بن الخضر الخُزَاعيّ عن ولد جُمعة بنت كثيِّر أنه وجد في كتب أبيه التي فيها شعر كُثيِّر: أنّ عبدالملك بـن مروان قال له: ويحك! إلْحَقْ بقومك من خُزاعة، فأخبرَ أنه من كِنَانة قريش، وأنشد كثيِّر قولَه:

أليـس أبـي بـالصَّلْـتِ أم ليـس إخـوتـي ... بكـل هِجـانٍ مـن بنـي النَّضْـر أزهَـرا

فإن لـم تكونـوا من بني النَّضْرِ فاتركوا ... أراكـاً بـأذنـاب القَـوابِـل[1] أخضـرا

أبَيْـتُ التـي قـد سُمْتَنـي ونكِـرْتُهـا ... ولـو سُمْتَهـا قبلـي قَبيصـةَ[2] أنكـرا

لَبِسنا ثيابَ العَصْبِ[3] فاختلط السَّدَى ... بِنـا وبهـم والحَضْـرَمِـيّ المُخَصَّـرا

[١٢/٩] ٣١/٨ / فقال له عبدالملك: لا بُدَّ أن تُنشد هذا الشعر على مِنْبَرِي الكوفة والبَصْرة، وحَمله وكتب / به إلى[4] العراق في أمره. قال عمر بن شبّة في خبره خاصّة: فأجابته خُزاعة الحجازِ إلى ذلك. وقال فيه الأحوص ـ ويقال: بل قاله سُراقة البارقيّ ـ:

لَعَمْـري لقـد جـاء العـراقَ كُثَيِّـرٌ ... بـأحـدوثـةٍ مـن وَحْيِـه المُتَكَـذِّبِ

أيـزعـمُ أنّـي مـن كِنـانـةَ أوّلـي ... ومـا لِـيَ مـن أمٍّ هنـاك ولا أبِ

فـإنْ كنـتَ حُـرّاً أو تخـاف مَعَـرّةً ... فخُـذْ مـا أخـذتَ مـن أميـرك واذهـبِ

فقال كثيِّر يجيبه ـ وفي خبر الزُّبير: قال هذا لأبي عَلْقَمة الخُزاعي ـ:

أيـا خُبَـثٌ أكـرِمْ كِنـانَـةَ إنّهـم ... مَـواليـك إنْ أمـرٌ سمـا بـك معلـق

ـ وفي رواية الزُّبير: «أبا عَلْقَمِ».

---

(١) تقدمت فيه رواية أخرى: «بأذيال الخمائل». (راجع الحاشية رقم ٣ ص ٧ من هذه الترجمة).

(٢) هو قبيصة بن ذؤيب الخزاعي الكعبي أبو سعيد وأبو إسحاق، ولد في حياة النبي ﷺ. وتوفي سنة ٨٦ (عن «شرح القاموس» مادة قبص).

(٣) كذا في كتاب «السيرة» لابن هشام (ج ١ ص ٦١ طبع أوربا) و«الروض الأنف» للسهيلي. والعصب: برود يمنية يعصب غزلها (أي يجمع ويشد) ثم يصبغ وينسج فيأتي موشياً لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ. قال السهيلي في كتابه «الروض الأنف» في معنى هذا البيت: «يريد أن قدودنا من قدودهم، فسدي أثوابنا مختلط بسدي أثوابهم. والحضرمي: النعال المخصرة التي تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الخصرين».

(٤) وردت هذه العبارة في جـ: «وكتب في أمره». وفي سائر الأصول: «وكتب به إلى العراق في أمره».

بنو النَّضْرِ تَرْمِي من ورائك بالحصى أولُو حَسَبٍ فيهم وفاءٌ ومَصْدَقُ
يُفِيدونكَ المالَ الكثيرَ ولم تَجِدْ لمُلكهمُ شِبهاً لَوَ آنَّك تصدُقُ
إذا ركِبوا ثارت عليك عَجَاجةٌ وفي الأرض من وقع الأسِنَّة أوْلَقُ[١]

فأجابه الأحْوَص بقوله:

دَعِ القومَ ما حَلُّوا ببطن قُراضِمِ[٢] وحيث تَفَشَّى[٣] بيضُه المتفلِّقُ
فإنَّك لو قاربتَ أو قلتَ شُبْهَةً لذي الحقِّ فيها والمخاصِم مَعْلَقُ
عذَرناك أو قلنا صدقتَ وإنما يُصدَّق بالأقوال من كان يصدُقُ
ستأبَى بنو عمرٍو عليك وينتمي لهم حسبٌ في جِذْمِ[٤] غَسّانَ مُعْرِقُ
فإنَّك لا عمراً أباك حَفِظتَه ولا النَّضْرَ إن ضَيَّعتَ شيخكَ تَلْحَقُ
/ ولم تُدرِك القومَ الذين طلبتَهم فكنتَ كما كان السِّقاءُ المعلَّقُ [١٣/٩]
بجِذْمةِ[٥] ساقٍ ليس منه لِحاؤها[٦] ولم يَكُ عنها قلبُه يتعلَّقُ
فأصبحتَ كالمُهْرِيقِ فضلةَ مائه لبادِي سَرَابٍ بالمَلاَ[٧] يترقرقُ

قال: فخرج كثيِّر فأتى الكوفةَ، فرُمِي به إلى مسجد بارِق. فقالوا له: أنت من أهل الحجاز؟ قال نعم. قالوا: فأخبِرْنا عن رجل شاعر ولِدِ زِناً يُدعى كُثيِّراً. قال سبحان الله! أمَا تسمعون أيها المشايخ ما يقول الفتيان! قالوا: هو ما قاله لنفسه. فانسلَّ منهم وجاء إلى والي الكوفة حسّان بن كَيْسان، فطيَّره على البريد. وقال عمر بن شَبَّة في خبره: إنّ سُرَاقة البارقيّ هو المُخَاطِب له بهذه الشتيمة وإنه عرّفه وقال له: إن قلتَ هذا على المنبر قتلتُك قَحْطان وأنا أوّلُهم، فانصرف إلى منزله ولم يَعُدْ إلى عبدالملك.

نبذة عن سراقة البارقي وقصته مع المختار حين أسر:

وكان سُرَاقةُ هذا شاعراً ظريفاً. فأخبرني عمّي قال حدّثني الكُرَانيّ عن النَّضْر بن عمر[٨] عن الهَيْثَم بن عَدِيّ عن الأعمش عن إبراهيم قال:

كان سُرَاقة البارقيّ مِن ظُرَفاء أهل العراق، فأسَره المختار يومَ جَبَّانة[٩] السَّبِيع، وكانت للمختار فيها وقعةٌ

(١) الأولق: الجنون.
(٢) قراضم: موضع بالمدينة.
(٣) كذا في «معجم ياقوت» في الكلام على قراضم. وفي الأصول: «تغشى» بالغين المعجمة.
(٤) الجذم: الأصل.
(٥) كذا في جـ: والجذمة: القطعة. وفي سائر الأصول: «بخدمة ساق». ويتعلق: لعل صوابه «يتفلق». أي ولم يكن قلبه منشقاً عنها.
(٦) اللحاء: قشر الشجرة.
(٧) الملا: الصحراء.
(٨) في حـ هنا: «عمرو».
(٩) جبانة السبيع: محلة بالكوفة مضافة إلى السبيع وهي قبيلة؛ وكانت وقعة المختار بن أبي عبيد الثقفي بها حين خرج للثأر من قتلة الحسن بن علي بن أبي طالب. الطبري (ق ٢ ج ٢).

مُنْكرة، فجاء به الذي أسرَه إلى المختار فقال له: إنّي أسرتُ هذا. فقال له سُرَاقة: كذَب! ما هو الذي أسرني، إنما أسرَني غلامٌ أسود على بِرْذَوْن أبْلَقَ عليه ثيابٌ خضرٌ، ما أراه في عسكرك الآن، وسلّمني إليه. فقال المختار: أمّا إنّ الرجل قد عاين / الملائكةَ! خَلُّوا سبيلَه فَخلَّوْه، فهرَب فأنشأ يقول:

[٩/١٤]

/ ألاَ أبلــغ أبــا إسحــاق أنّــي ... رأيــتُ البُلْــقَ دُهْمــاً مُصْمَتــاتِ[1]

أرِي عَيْنَــيَّ مــا لــم تُبْصِراه ... كِــلاَنــا عــالــمٌ بــالتُّــرَّهَــاتِ

كفــرتُ بــدينكــم وجعلــتُ نــذراً ... علــيَّ قتــالَكــم حتــى الممــاتِ

كان يرى أن ابن الحنفية لم يمت وكان ذلك رأي السيد:

أخبرنا الحرميّ قال أخبرنا الزُّبير قال أخبرنا عمرو[2] ومحمد بن الضّحاك قالا: كان كثيِّر يتشيّع تشيُّعاً قبيحاً، يزعم أنّ محمد بن الحنفيَّة لم يمت. قال: وكان ذلك رأي السيِّد، وقد قال فيه (يعني السيّد) شعراً كثيراً، منه:

ألاَ قُــلْ لــلوَصِيّ فــدتْــك نفســي ... أطلــتَ بــذلــك الجبــلِ المُقــامَــا

أضَــرّ بِمَعْشَــرٍ وَالَــوْك منّــا ... وسَمَّــوْك الخليفــةَ والإمــامــا

وعــادَوْا فيــك أهــلَ الأرضِ طُــرًّا ... مُقــامُــك عنهــمُ ستّيــن عــامــاً

ومــا ذاق ابــنُ خَــوْلَــةَ[3] طعــمَ مَــوْتٍ ... ولا وارتْ لــه أرضٌ عِظــامــا

لقــد أوْفَــى بمُــورِقِ شِعْــبِ رَضْــوَى ... تُــراجِعــه المــلائكــة الكــلامــا

وإنّ لــه بــه لَمَقِيــلَ صِــدْقٍ ... وأنــديــةً تحــدِّثــه كِــرَامــا

هــدانــا الله إذ جُــرْتُــمْ لأمــرٍ ... بــه ولــديــه نَلْتمِــس التَّمَــامــا

تَمَــامَ مَــوَدّةِ المهــديّ حتّــى ... تَــرَوْا رايــاتِنــا تَتْــرَى نِظَــامــا

وقال كُثَيِّر في ذلك:

ألاَ إنّ الأئمّــةَ مِــن قُــرَيْــشٍ ... وُلاَةَ الحــقِّ أربعــةٌ ســواءُ

علــيٌّ والثــلاثــةُ مــن بَنِيــه ... هــمُ الأسبــاطُ ليــس بهــم خَفَــاءُ

فسِبْــطٌ سِبْــطُ إيمــانٍ وبــرٍّ ... وسِبْــطٌ غَيَّبَتْــه كَــرْبَــلاءُ

[٩/١٥]

/ وسِبْــطٌ لا تــراه العيــنُ حتّــى ... يقــودَ الخيــلَ يقــدُمهــا[4] اللِّــواء

تغيَّــب لا يُــرَى عنهــم زمــانــاً ... بــرَضْــوَى عنــده عســلٌ ومــاء

(١) كذا في الطبري (ق ٢ ص ٦٦٥) وبه يستقيم الرويّ. وفي الأصول «... عني أن البلق دهم مصمتات». ومصمت: لا يخالط لونه لون اخر. أي أن دهمتها خالصة لا يشوبها لون اخر.

(٢) في حـ: «عمر».

(٣) خولة: اسم أم محمد بن الحنفية.

(٤) كذا فيما تقدم (ج ٧ ص ٢٧٦ من هذه الطبعة). وفي الأصول هنا: «يتبعها».

شعره في ابن الحنفية حين سجنه ابن الزبير في سجن عارم:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الحارث بن محمد عن المَدَائنيّ عن أبي بكر الهُذَليّ قال:

كان عبدالله بن الزُّبير قد أُغرِي ببني هاشم يتبعهم بكل مكروه ويُغْري بهم ويخطُب بهم على المنابر ويصرِّح ويعرِّض بذكرهم. فربما عارضه ابن عبّاس وغيره منهم. ثم بدا له فيهم فحبس ابنَ الحنفيّة في سجن عارِمٍ[١]، ثم جمعه وسائرَ من كان بحضرته من بني هاشم، فجعلهم في مَحْبِس وملأه حطباً وأضرم فيه النار. وقد كان بلغه أنّ أبا[٢] عبدالله الجَدَليّ وسائر شيعة ابن الحنفيّة قد وافَوْا لنُصرته ومحاربة ابن الزبير، فكان ذلك سبب إيقاعه به. وبلغ أبا عبدالله الخبرُ فوافَى ساعةَ أُضْرِمت النار عليهم فأطفأها وأستنقذهم، وأخرج ابن الحنفيّةِ عن جِوار ابن الزُّبير منذ يومئذٍ. فأنشدنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال أنشدنا محمد بن حبيب لكثيِّر يذكر ابن الحنفيّة وقد حبسه[٣] ابن الزُّبير في سجن يقال له سجن عارِم:

مَنْ يَرَ هذا الشيخَ بالخَيْفِ من مِنًى ... من الناسِ يعلَمْ أنّه غيرُ ظالمِ

/ سَمِيُّ النبيِّ المصطفى وأبنُ عمِّه ... وفَكّاكُ أغلالٍ ونفّاعُ غارِمِ

أبِي فهو لا يَشْرِي هدىً بضلالةٍ ... ولا يتّقي في الله لومةَ لائمِ

ونحن بحمد الله نتلو كتابَه ... حُلُولاً بهذا الخَيْفِ خَيْفِ المحارمِ

بحيث الحمامُ آمِنُ الرَّوْعِ ساكنٌ ... وحيث العدوّ كالصديق المُسالِمِ

/ فما فَرَحُ الدُّنيا بباقٍ لأهلِه ... ولا شِدّةُ البَلْوَى بضربةِ لازمِ

تُخَبِّرُ[٤] مَنْ لاقيتَ أنك عائذٌ ... بل العائذُ المظلوم في سجن عارِمِ

٣٣/٨ [١٦/٩]

أنشد عليّ بن عبدالله شعراً له في ابن الحنفية وحديثه معه:

حدّثني أحمد بن محمد بن سعيد الهَمْدانيّ قال حدّثنا يحيى بن الحسن العَلَوي قال حدّثنا الزُّبير بنُ بكّار، وأخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن سعيد عن عُقْبَة الجُهَنيّ عن أبيه قال:

سمعت كثيِّراً يُنشد عليَّ بن عبدالله بن جعفر قوله في محمد بن الحنفيّة:

أقَرَّ الله عيني إذ دعاني ... أمينُ الله يلطُفُ في السؤالِ

وأثنى في هواي عليَّ خيراً ... وساءلَ عن بَنِيَّ وكيف حالي

وكيف ذكرت حالَ أبي خُبَيْبٍ ... وزَلّةَ فعلِه عند السُّؤالِ

هو المَهْدِيّ خَبَّرَناهُ كَعْبٌ[٥] ... أخو الأحبارِ في الحِقَبِ الخوالي

---

(١) سجن بمكة.

(٢) هو أبو عبدالله الجدلي عبدة بن عبد، أرسله المختار بن أبي عبيد نجدة لبني هاشم لما حبسهم ابن الزبير، كما هو ظاهر في القعمة. (انظر الطبري ق ٢ ص ٦٩٣ ـ ٦٩٥).

(٣) في الأصول: «وقد حبسهم».

(٤) يريد عبدالله بن الزبير، وكان يدّعي أنه عائذ بالبيت فلا يحل قتاله.

(٥) هو كعب الأحبار بن ماتع ويكنى أبا إسحاق، وهو من حمير من آل ذي رعين، وكان على دين يهود فأسلم وقدم المدينة ثم خرج إلى =

فقال له عليّ بن عبدالله: يا أبا صخر، ما يُثني عليك في هواك خيراً إلاّ من كان على مثل مذهبك. قال: أجَلْ بأبي أنت وأمي!. قال: وكان كثيّر كَيْسانِيّاً[1] يرى الرَّجعة. قال الزُّبَيْر: أبو خبيب عبدالله بن الزُّبير، كناه بابنه خُبَيْب وهو أكبر ولدِه، وكان كثيّر سيِّىء الرأي فيه. قال الزُّبير: فأخبرني عمّي قال: لمّا قال كثيّر:

هـو المهـديّ خَبَّـرَنَـاه كعـبٌ أخـو الأحبـار فـي الحِقَـبِ الخـوالـي

[١٧/٩] / فقيل له: ألقِيتَ كعباً؟ قال: لا. قيل: فلِمَ قلتَ «خَبَّرَنَاه كعب»؟ قال: بالتوهُّم.

غلوه في التشيع والقول بالرجعة وأخبار له في ذلك:

قال: وكان كثيّر شِيعِياً غالياً يزعم أن الأرواح تتناسخ، ويحتجّ بقول الله تعالى: ﴿في أيِّ صورةٍ ما شاء رَكَّبَكَ﴾ ويقول: ألاَ ترى أنه حوّله من صورة[2] في صورة!.

قال: فحدّثني عمر بن أبي بكر المؤمَّليّ عن عبدالله بن أبي عُبَيْدة قال: خِنْدِفٌ الأسديّ الذي أدخل كثيِّراً في الخَشَبِيَّة.

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني إبراهيم بن المُنْذِر الحِزاميّ عن محمد ابن مَعْن الغِفَاريّ قال:

كنّا بالسَّيَالة[3] في مَشْيَخَةٍ نتحدّث، إذا بكثيّر قد طلَع علينا مُتَّكئاً على عصا.

فقال: كنّا بِبَيْداء[4] بأشرافِ السَّيَالة وبهذه الناحية، فما بقي موضع[5] ببيداء إلاّ وقد جئته، فإذا هو على حاله ما تغيَّر وما تغيَّرت الجبال ولا الموضع الذي كنا نطوف فيه، وهذا يكون حتى نَرجِع إليه. وكان يُؤمِن بالرَّجْعة.

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني يحيى بن محمد قال:

دخل عبدالله بن حسن على كثيّر يعوده في مرضه الذي مات فيه. فقال له كثيّر: أَبْشِرْ! فكأنك بي بعد أربعين ليلة قد طلعتُ عليك على فرس عتيق. فقال له عبدالله بن حسن: مالك عليك لعنة الله! فوالله لئن متّ لا أشهدُك ولا أعودك ولا أُكلِّمك أبداً.

كان أبو هاشم يتجسس أخباره:

٣٤/٨ / أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني يحيى بن محمد بن عبدالملك بن عبدالعزيز أحسبَه عن ابن الماجِشون قال:

[١٨/٩] / وكان أبو هاشم عبدالله بن محمد بن عليّ قد وضع الأرصاد على كثيّر فلا يزال يؤتَى بالخبر من خبره، فيقول له إذا لَقِيه: كنتَ في كذا وكنت في كذا، إلى أن جرى بين كثيّر وبين رجل كلامٌ فأُتي به أبو هاشم. فأقبل به على

= الشام فسكن حمص حتى توفي بها سنة أثنتين وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان. (انظر «طبقات ابن سعد» جـ ٧ ق ٢ ص ١٥٦ طبع أوروبا).

(١) في جـ: «خشبيا». والخشبية: قوم من الجهمية يقولون إن الله تعالى لا يتكلم وإن القرآن مخلوق. وقال ابن الأثير: هم أصحاب المختار بن أبي عبيد، ويقال: هم ضرب من الشيعة. وفي سبب تسميتهم بالخشبية خلاف ذكره شارح «القاموس» في مادة خشب.

(٢) لعله: «إلى صورة».

(٣) السيالة: بجوار المدينة، قيل: هي أوّل مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة.

(٤) بيداء: يريد بها موضعاً بعينه.

(٥) في الأصول: «فما بقي موضع ببيداء فيه إلاّ وقد جئته... إلخ». وظاهر أن كلمة «فيه» مقحمة من الناسخ.

أدراجه[١]، فقال له أبو هاشم: كنتَ الساعةَ مع فلان فقلتَ له كذا وكذا وقال لك كذا وكذا. فقال له كثيّر: أشهد أنّك رسول الله.

كان يقول عن الأطفال من آل البيت إنهم الأنبياء الصغار:

أخبرنا محمد بن جعفر النحويّ قال حدّثنا محمد، وأخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا محمد بن إسماعيل عن موسى بن عبدالله فيما أحسَب قال:

نظر كثيّر إلى بني حسن بن حسن وهم صغار فقال: بأبي أنتم! هؤلاء الأنبياء الصغار. وكان يرى الرَّجْعة. وروى عليّ[٢] بن بشر بن سعيد الرازيّ عن محمد بن حُمَيْد عن أبي زُهير عبدالرحمن بن مَغْراء الدَّوْسيّ عن محمد بن عُمَارة قال:

مرّ كثيّر بمعاوية بن عبدالله بن جعفر وهو في المكتب، فأكبّ عليه يقبّله وقال: أنت من الأنبياء الصغار وربّ الكعبة!.

أخبرنا أحمد بن عُبيدالله بن عَمّار قال حدّثنا محمد بن إسماعيل قال حدّثنا قَعْنَب بن المُحْرِز قال حدّثني إبراهيم بن داجَة قال:

كان كثيّر شيعياً، وكان يأتي ولدَ حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه، فيهب لهم الدراهم ويقول: وابأبي الأنبياء الصغار!. وكان يؤمن بالرَّجعة. فيقول له محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان، وهو أخوهم لأمّهم،: يا عمّ هَبْ لي، فيقول: لا! لستَ من الشجرة.

[١٩/٩] / **كان عمرو بن عبدالعزيز يعرف بحبه صلاح بني هاشم وفسادهم:**

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلَب قال حدّثني الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عثمان بن عبدالرحمن عن إبراهيم بن يعقوب بن أبي عُبيدالله قال:

قال عمر بن عبدالعزيز: إني لأعرف صُلّاح بني هاشم من فُسّادهم بحبّ كثيّر: من أحبّه منهم فهو فاسد، ومن أبغضه فهو صالح، لأنه كان خَشَبياً يقول بالرجعة.

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبدالعزيز بن محمد الدَّرَاوَرْديّ[٣] عن أبي لَهِيعة عن رَجَاء بن حَيْوَة قال: سمعتُ عمر بن عبدالعزيز يقول: إن مما أعتبر به صُلّاح بني هاشم وفُسّادهم حُبَّ كثيّر، ثم ذكر مثلَه.

قال لعمته إنه يونس بن متى:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا عليّ بن صالح عن ابن دَأب قال:

كان كثيّر يدخل على عَمّة له بَرْزةٍ[٤] فتكرِمه وتطرَح له وسادةً يجلس عليها. فقال لها يوماً: لا والله ما تعرفينني

(١) لعله «فأقبل على أدراجه» يريد أنه حضر لوقته لم يلو على شيء؛ فتكون كلمة «به» من زيادة النساخ.
(٢) في جـ: «علي بن سعيد بن بشر الرازي».
(٣) الدراوردي: نسبة شاذة إلى دارابجرد (يقال: درابجرد): بلد بفارس ومحلّة بنيسابور أيضاً. (راجع «لب اللباب في تحرير الأنساب» للسيوطي).
(٤) البرزة: المرأة الكهلة التي لا تحتجب احتجاب الشواب وهي مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس إلى الناس وتحدثهم.

ولا تُكرمينني حقَّ كرامتي! قالت: بَلَى والله إني لأعرفك. قال: فَمَنَ أنا؟ قالت: ابن فلان وابن فلانة، وجعلت تمدح أباه وأمّه. فقال: قد عرفتُ أنكِ لا تعرفينني. قالت: فَمَن أنت؟ قال: أنا يونس بن مَتَّى.

كان عاقاً لأبيه:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني أبي قال:

كان كثيِّر عاقاً لأبيه[1]، وكان أبوه قد أصابته قُرْحَةٌ في إصبع من أصابع يده. فقال له كثيِّر: أتدري لم أصابتك هذه القرحة في إصبعك؟ قال: لا أدري قال: مما ترفعها إلى الله في يمين كاذبة.

[٩/٢٠] / ضافه مزني وذمه بأنه لم يقم لصلاة الصبح:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدثنا إبراهيم بن المنذر عن محمد بن معن الغِفَاريّ عن أبيه وغيره قال حدّثني رجل من مُزَيْنة قال:

٣٥/٨ ضِفْتُ كثيِّراً ليلةً وبتُّ عنده ثم تحدّثنا ونمنا. فلما طلع الفجر تضوَّر[2]، ثم قمت/ فتوضّأت وصلّيت وكثيِّر راقد في لِحافه. فلما طلع قَرْن الشمس تضوّر ثم قال: يا جارية أسْجُري لي ماء. قال قلتُ: تَبّاً لك سائرَ اليوم! أو هذه الساعةَ هذا! وركبتُ راحلتي وتركته. قال الزبير: أسخِني لي ماء.

كان يهزأ به ويصدق ما يسمع عن نفسه:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن عبدالعزيز بن عِمْران عن محمد بن عبدالعزيز عن ابن شِهاب عن طَلْحة بن عُبَيدالله قال:

ما رأيتُ قطُّ أحمقَ من كثيِّر. دخلت عليه يوماً في نفر من قريش وكنّا كثيراً ما نتهزّأ به، وكان يتشيّع تشيُّعاً قبيحاً. فقلت له: كيف تَجِدُك يا أبا صخر؟ وهو مريض، فقال: أجدني ذاهباً. فقلت: كلَّا! فقال: هل سمعتم الناس يقولون شيئاً؟ فقلت: نعم! يتحدّثون أنك الدجّال. قال: أمَا لئن قلتَ ذاك إنّي لأجد في عيني ضعفاً منذ أيّام.

كان تياهاً ويستحمقه فتيان المدينة لذلك:

أخبرني الحَرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن عبدالعزيز بن عِمْران:

أن ناساً من أهل المدينة كانوا يلعبون بكثيِّر فيقولون وهو يسمع: إن كثيِّراً لا يلتفت من تِيهه. فكان الرجل يأتيه من ورائه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكبر ويمضي في قميص.

[٩/٢١] / سأله عبدالملك عن شيء وحلفه بأبي تراب:

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيّوب قال حدّثنا عبدالله بن مُسْلم بن قُتَيْبة قال:

بلغني أن كثيِّراً دخل على عبدالملك بن مروان، فسأله عن شيء فأخبره به. فقال وحقِّ عليّ بن أبي طالب إنه

---

(١) في الأصول: «بأبيه».
(٢) التضوّر: التلوّي.

كما ذكرتَ؟ قال كثيِّر: يا أمير المؤمنين، لو سألتني بحقِّك لصدَقتُك. قال: لا أسألك إلاّ بحقِّ أبي تُرَاب[١]. فحلف له به فرضي.

تمثل عبدالملك بشعر له حين منعته عاتكة من الخروج لحرب مصعب وحديثه معه عن هذه الحرب:

أخبرنا الفضل بن الحُبَاب أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلاّم قال أخبرني عثمان بن عبدالرحمن، وأخبرنا محمد بن جعفر النحويّ قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال، وأخبرنا أحمد بن عبدالعزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة، وأخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا المُؤَمَّلي عن ابن أبي عُبَيْدة، قالوا جميعاً.

لما أراد عبدالملك الخروجَ إلى مُصْعَب لاذتْ به عاتكة بنت يزيد بن مُعاوية وهي أُمّ ابنه يزيد، وقالت: يا أمير المؤمنين، لا تخرج السنةَ لحرب مُصْعَب، فإنّ آل الزُّبير ذكَروا خروجك، وابعث إليه الجيوش، وبكتْ وبكى جواريها معها. وجلس وقال: قاتل الله ابنَ أبي جُمعة! فأين قوله:

صـوت

إذا مـا أراد الغَـزْوَ لـم تَثْـنِ هَمَّـه ... حَصَانٌ عليها عِقْـدُ دُرٍّ يَـزِينُهـا

نهتْـه فلمـا لـم تَـرَ النَّهْـيَ عـاقَـه ... بكتْ فبكـى ممـا شجـاهـا قَطِينهـا[٢]

ـ غنّاه ابنُ سُرَيْج ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ـ والله لكأنه / يراني ويراكِ يا عاتكة، ثم خرج. [٩/٢٢] قال محمد بن جعفر النحويّ في خبره ـ ووافقه عليه عمر بن شبّة ـ: فلما خرج عبدالملك نظر إلى كثيِّر في ناحية عسكره يسير مُطْرِقاً، فدعا به وقال: لأعْلَمُ ما أسكتك وألقى عليك بَثَّك، فإن أخبرتُك عنه أتصدُقني؟ قال نعم! قال: قل وحقِّ أبي تُرَاب لتَصْدُقَنِّي، قال: والله لأصدُقَنَّكَ. قال: لا أوْ تحلفَ به، فحلَف به. فقال تقول: رجلان من قريش يلقي أحدُهما صاحبَه فيحاربُه، القاتل والمقتول في النار، فما معنى سيرى مع أحدهما إلى الآخر ولا آمَن سهماً عائراً لعلّه أن يصيبَني فيقتلَني فأكونَ معهما! قال: والله يا أمير المؤمنين / ما أخطأتَ. قال: فارجِع من قريب، وأمر له بجائزة. ٣٦/٨

بكي لقتل آل المهلب فزجره يزيد وضحك منه:

أخبرنا وَكيع قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثنا أبو تَمّام الطائيّ حَبيب بن أَوْس قال حدّثني العَطّاف بن هارون عن يحيى بن حمزة قاضي دِمَشْق قال حدّثني حَفْص الأَمَويّ قال:

كنت أختلف إلى كثيِّر أتروَّى شعرِه. قال: فوالله إني لعنده يوماً إذ وقف عليه واقف فقال: قُتِل آلُ المُهَلَّب

(١) أبو تراب: لقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لقبه بذلك النبي ﷺ، وذلك أن عليا دخل على فاطمة رضي الله عنهما ثم خرج فاضطجع في المسجد. فقال النبي ﷺ: أين ابن عمك؟ قالت: في المسجد. فخرج إليه ﷺ فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره؛ فجعل عليه الصلاة والسلام يمسح التراب عن ظهره ويقول له: أجلس يا أبا تراب (مرتين). (عن «شرح القسطلاني على صحيح البخاري» ج ٦ ص ١٣٨).

(٢) القطين: الخدم والأتباع والحشم.

بالعَقْر[1]. فقال: ما أجَلَّ الخطبَ! ضحَّى آلُ أبي سُفْيان بالدِّين[2] يوم الطَّفِّ، وضحَّى بنو مَرْوان بالكَرَم يوم العَقْر! ثم انتضحتْ عيناه باكياً. فبلغ ذلك يزيدَ بن عبدالملك فدعا به. فلما دخل عليه قال: عليك لعنةُ الله! أتُرابيَّةً[3] وَعَصبيَّةً! وجعل يضحك منه.

/ سأله عبدالملك عن أشعر الناس فأجابه:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد عن أبيه قال:

قال عبدالملك بن مروان لكثيِّر: مَنْ أشعرُ الناس اليومَ يا أبـا صخر؟ قال: مَنْ يروي أمير المؤمنين شعرَه. فقال عبدالملك: أمَا إنّك لمنهم.

جواب عبدالملك له وقد سأله عن شعره:

أخبرنا وكِيع قال حدّثنا عمر بن محمد بن عبدالملك الزيّات قال حدّثنا حَمّاد بـن إسحاق عن ابن أبي[4] عَوْف عن عَوَانة قال:

قال كثيِّر لعبدالملك: كيف ترى شعري يا أميـر المؤمنين؟ قال أراه يسبِق السحرَ، ويغلِب الشعر.

كان عبدالملك يروي أولاده شعره:

أخبرنا عمِّي عن الكُرَانيّ عن النَّضْر بن عمر قال:

كان عبدالملك بن مروان يُخْرِج شعرَ كثيِّر إلى مؤدِّب ولده مختوماً يروِّيهم إياه ويردّه.

نزل مرعي لإبله فضيق عليه أهله فذم جوارهم:

أخبرنا الحرميّ قال أخبرنا الزُّبير قال حدّثنا عبدالله بن خالد الجُهَنيّ:

أن كثيِّراً شبّ في حِجر عمٍّ له صالح، فلما بلغ الحُلُم أشفق عليه أن يَسْفَه، وكان غير جيِّدِ الرأي ولا حسنِ النظر في عواقب الأمور. فاشترى له عمّه قطيعاً من الإبل وأنزله فَرْش[5] مَلَل فكان به، ثم ارتفع فنزل فَرْعَ المِسْوَر بن إبراهيم بن عبدالرحمن بـن عَوْف من جبل جُهَيْنة الأصغر، وكان قبل المسور لبني مالك بن أفْصَى، فضيّقوا على كثيِّر وأساءوا جُواره، فانتقل عنهم وقال:

---

(١) هو عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة قتل عنده يزيد بن المهلب بن أبي صفرة سنة ١٠٢، وكان خلع طاعة بني مروان ودعا إلى نفسه وأطاعه أهل البصرة والأهواز وواسط وخرج في مائة وعشرين ألفاً. فندب له يزيد بن عبدالملك أخاه مسلمة فوافقه بالعقر من أرض بابل فأجلت الحرب عن قتله. (عن «معجم البلدان» لياقوت).

(٢) كذا في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (ج ١ ص ٦١٨). وفي الأصول: «بالدمن» وهو تحريف. والطف: أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية، فيها كان مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه.

(٣) يعني أنه من شيعة أبي تراب، وهو لقب علي بن أبي طالب كما أسلفنا.

(٤) في جـ: «عن أبي عوف عن عوانة».

(٥) في الأصول: «فرش مالك». والتصويب عن «القاموس» و«شرحه». وفرش ملل: واد بين عميس الحمائم وصخيرات الثمامة بالقرب من ملل قرب المدينة، يقال له الفرش وفرش ملل، أضيف إلى ملل لقربه منه. وهذه كلها مواضع نزلها رسول الله ﷺ حين مسيره إلى بدر. راجع «القاموس وشرحه» مادة فرش و«معجم البلدان» لياقوت في الكلام عن فرش).

/ أبَتْ إبِلي ماءَ الرِّداة[١] وشفَّها بنو العَمِّ يحمون النَّضِيحَ[٢] المُبَرَّدا [٩/٢٤]

وما يمنعون الماء إلّا ضَنانةً بأصلاب عُشَرَى[٣] شوكها قد تخدّدا

فعادت فلم تَجْهَدْ على فضل مائه رِياحاً ولا سُقْيا ابن طَلْقِ بنِ أسعدا

قال: ويُرْوَى أنه أوّل شعر قاله.

روايته عن بدء قوله الشعر:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمّي قال:

قال كثيِّر: ما قلتُ الشعر حتى قُوِّلتُه. قيل له: وكيف ذاك؟ قال: بينا أنا يوماً نصفَ النهار أسير على بعيرٍ لي بالغَميم[٤] أو بقاع حَمْدان[٥]، إذا راكبٌ قد دنا منّي حتى صار إلى جنبي، فتأمّلته فإذا هو من صُفْر[٦] وهو يجرّ نفسه في الأرض جراً. فقال لي: قل الشعر وألقاه عليّ. قلت: مَنْ أنت؟ قال: أنا قَرِينك من الجنّ. فقلتُ الشعر.

عزة عشيقته وأول عشقه لها:

ونُسِب كثيِّر لكثرة تشبيبه بعَزّة الضَّمْريّة إليها، وعُرِف بها فقيل[٧] كثيِّر عَزّة. وهي عزة بنت حُمَيْل[٨] بن وَقّاص. أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن الحسن قال:

أبو بَصْرة[٨] الغِفَاريّ المحدّث وآسمه حُمَيْل بن وَقّاص هو أبو عَزّة التي كان يُنسب بها كثيِّر. وكان ابتداء عشقه إيّاها ـ على أنه قد قيل: إنه كان في ذلك / كاذباً ولم يكن بعاشق، وذلك يُذكر بعد خبره معها ـ فيما أخبرني به [٩/٢٥] الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عبدالله بن إبراهيم / السعديّ قال حدّثني إبراهيم بن يعقوب بن جَمِيع ٣٧/٨ الخُزَاعيّ:

أنه كان أوّل عشق كثيِّر عَزّةَ أن كثيِّراً مرّ بنسوة من بني ضَمْرة ومعه جَلَبُ غنم، فأرسلن إليه عزّة وهي صغيرة، فقالت: يقلن[٩] لك النسوة: بِعْنا كَبْشاً من هذه الغنم وأنسِئنا بثمنه إلى أن ترجع، فأعطاها كبشاً وأعجبته. فلما رجع جاءته آمرأة منهنّ بدراهمه، فقال: وأين الصبيّة التي أخذت منّي الكبش؟ قالت: وما تصنع بها! هذه دراهمك. قال: لا آخذ دراهمي إلّا ممن دفعتُ الكبش إليها. وخرج وهو يقول:

قضى كلُّ ذي دَيْنٍ فوفّى غَرِيمَه وعَزّةُ ممطولٌ مُعَنًّى غريمُها

قال: فكان أوّلَ لقائه إياها.

(١) الرداة: الصخرة.
(٢) النضيح: الحوض. وفي الأصول: «النصيح» بالصاد المهملة وهو تصحيف.
(٣) العسرى (بفتح العين وضمها): البقلة إذا يبست. ورواية «لسان العرب» (مادة عسر): «بأطراف عسرى».
(٤) الغميم: موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة.
(٥) ظاهر أنه موضع بعينه.
(٦) الصفر: النحاس.
(٧) عبارة أ، م: «ونسب كثير إلى عزة لكثرة تشبيبه بعزة الضمرية وغزله فيها فقيل... إلخ».
(٨) اختلف في اسم أبي بصرة هذا فقيل: هو حميل (بالحاء المهملة مصغراً) وقيل جميل (بالجيم) وكل ذلك مضبوط محفوظ. وهو أبو بصرة حميل (أو جميل) بن بصرة بن وقاص بن حبيب بن غفار؛ له صحبة برسول الله ﷺ وروي عنه أبو هريرة. في الأصول: «حميد بن وقاص» وهو تحريف. (راجع «الاستيعاب في معرفة الأنساب»).
(٩) إثبات نون النسوة هنا لغة ضعيفة.

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبدالرحمن بن الخضر[١] بن أبي بكر بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن أبي جَنْدَل[٢] عن أبيه عبدالعزيز الخزاعيّ ـ وأمّه جمعة بنت كثيِّر ـ عن أمه جمعة عن أبيها كثيِّر:

أنّ أوّل علاقته بعزّة أنه خرج من منزله يسوقُ خَلَفَ[٣] غنم إلى الجار[٤]، فلما كان بالخَبْت وقف على نسوة من بني ضَمْرة فسألهنّ عن الماء، فقلن لعزّة وهي جارية / حين كَعَب ثدياها: أرشديه إلى الماء، فأرشدتْه وأعجبتْه. فبينا هو يسقي غنَمه إذ جاءته عزّة بدراهم، فقالت: يقلن لك النسوةُ: بِعْنا بهذه الدراهم كبشاً من ضَأْنك: فأمر الغلامَ فدفع إليها كبشاً، وقال: رُدِّي الدراهم وقولي لهنّ: إذا رحتُ بكنّ اقتضيتُ حقِّيْ. فلما راح مرّ بهنّ، فقلن له: هذا حقُّك فخذه. فقال: عَزّةُ غَريمي[٥]، ولست أقتضي حقِّي إلاّ منها. فمزَحن معه وقلن: ويحك! عَزّة جارية صغيرة وليس فيها وفاء لِحَقِّك فأحِلْه على إحدانا فإنها أملأ به منها وأسرع له أداء. فقال: ما أنا بمُحيلٍ حقّي عنها. ومضى لوجهه، ثم رجع إليهنّ حين فرغ من بيع جَلَبِه فأنشدهنّ فيها:

نظرتُ إليها نظرةً وهي عاتقٌ	على حين أن شَبّتْ وبان نُهودها
وقد دَرَّعُوها وهي ذات مُؤَصَّدٍ	مَجُوبٍ ولمّا يَلْبَس الدِّرْعَ رِيدُها[٦]
من الخَفِراتِ البِيضِ وَدّ جليسُها	إذا ما انقضتْ أُحدوثةٌ لو تُعيدها

في هذا البيت وأبياتٍ أُخَر معه غناءٌ يذكر بعد تمام هذا الخبر وما يضاف إليه من جنسه. وأنشدهنّ أيضاً:

قضى كلُّ ذي دَيْنٍ فوفَّى غريمَه	وعَزّةُ ممطولٌ مُعَنًّى غريمُها

فقلن له: أبيتَ إلاّ عزّةَ! وأبرزنها إليه وهي كارهة. ثم أحبّته عزّة بعد ذلك أشدّ من حبّه إيّاها. قال الزُّبير: فسألت محمد بن أبي بكر بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الخُزاعيّ المعروف بأبي جَنْدَل عن هذا الحديث، فعرفه وحدّثنيه عن أبيه عن جدّه عبدالعزيز بن أبي جندل عن أُمه جمعة بنت كثيِّر عن أبيها.

[٢٦/٩]

/ سؤال عبدالملك لعزة عن كثير وسبب إعجابه بها:

[٢٧/٩]

وأخبرني عَمي الحسن بن محمد الأصفهاني رحمه الله قال حدّثني محمد بن سعد الكُرَانيّ قال حدّثنا النَّضر بن عمرو قال حدّثني عمر بن عبدالله بن خالد المُعَيطيّ، وأخبرني أحمد بن عُبيدالله بن عَمّار قال حدّثني يعقوب بن نُعَيم قال حدّثني إبراهيم بن إسحاق الطَّلْحيّ، وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا / الزُّبير قال حدّثني يعقوب بن عبدالله الأَسَديّ وغيره، قال الزبير وحدّثني محمد بن صالح الأسلميّ قال:

٣٨/٨

(١) لعله: «عن أبي بكر بن عبدالعزيز» إلخ.
(٢) في الأصول: «عبدالرحمن بن جندل». وقد أصلحناه مما يأتي في الصفحة التالية.
(٣) يحتمل أن يكون: «يسوق جلب غنم».
(٤) الجار: موضع على ثلاث مراحل من المدينة بساحل البحر. والخبت في الأصل: المطمئن من الأرض فيه رمل، أو هو الوادي العميق الوطيء ينبت ضروب العضاه، واسم لعدة مواضع.
(٥) في الأصول: «غريمتي». وفعيل بمعنى مفعول إذا ذكر موصوفه يستوي فيه المذكر والمؤنث.
(٦) المؤصد: صدار تلبسه الجارية (الفتاة الصغيرة) فإذا أدركت درّعت. والمجوب: الذي جعل له جيب. وريدها: تربها وندها. والأصل في «الرئد» بالهمز.

دخلتْ عزّة على عبدالملك بن مَرْوان وقد عَجُزَتْ، فقال لها أنت عزّة كثير! فقالت: أنا عزّة بنت حُمَيْل. قال: أنت التي يقول لك كُثيِّر:

لِعــزّة نــارٌ مــا تَبُــوخُ[1] كــأنها إذا مــا رَمَقْنَــاهـا مــن البعـدِ كـوكـبُ

فما الذي أعجبه مِنك؟ قالت: كلَّا يا أمير المؤمنين! فوالله لقد كنتُ في عهده أحسن من النار في الليلة القَرّة. وفي حديث محمد بن صالح الأسلميّ: فقالت له: أعجبه منّي ما أعجب المسلمين منك حين صيّروك خليفة. قال: وكانت له سِنٌّ سوداء يخفيها، فضحك حتى بدتْ. فقالت له: هذا الذي أردتُ أن أُبديه. فقال لها: هل تروين قول كثيِّر فيك:

وقــد زعمــتْ أنّــي تغيّــرتُ بعــدَهــا ومَــنْ ذا الّــذي يــا عــزَّ لا يَتَغيَّــرُ

تغيَّــر جسمــي والخليفــةُ كــالّتــي عَهِــدْتِ ولــم يُخْبَــرْ بســرّك مُخْبَــرُ

قالت [لا[2]!] ولكني أروي قوله:

كــأنّــي أنــادي صخــرةً حيــن أعـرضـتْ مـن الصُّـمِّ لـو تمشـي بهـا العُصْـمُ زَلّـتِ

صَفُــوحــاً[3] فمــا تلقــاكَ إلّا بخيلــةً فَمَــنْ مَــلّ منها ذلـك الـوصـلَ مَلّـتِ

فأمر بها فأُدخلت على عاتكة بنت يزيد ـ وفي غير هذه الرواية: أنها أدخلتْ على أمّ البنين بنت عبدالعزيز بن مروان ـ فقالت لها: أرأيت قول كثيِّر:

/ قضــى كــلُّ ذي دَيــنٍ فــوفّــى غــريمَــه وعــزّة ممطــولٌ معنّــى غــريمُهــا [٢٨/٩]

ما هذا الذي ذكره؟ قالت: قبلةٌ وعدتُه إياها. قالت: أنجزيها وعليّ إثمها.

قصة غلام له مع عزة وإعتاقه بسبب ذلك:

أخبرنا الحسن بن الطيِّب البَجَليّ الشُّجاعيّ وأحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالوا حدّثنا عمر بن شَبّة قال روى أبن جُعْدُبة عن أشياخه، وأخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو بكر بن يزيد بن عِيَاض بن جُعْدُبة عن أبيه.

أنّ كثيِّراً كان له غلام تاجر، فباع من عَزّة بعضِ سلَعه ومَطَلَتْه مُدّةً وهو لا يعرفها. فقال لها يوماً: أنت والله كما قال مولاي:

قضــى كــلُّ ذي دَيــنٍ فــوفّــى غــريمَــه وعــزّة ممطــولٌ معنّــى غــريمُهــا

فانصرف عنه خَجِلة. فقالت له أمرأة: أتعرف عزّة؟ قال: لا والله! قالت: فهذه والله عزّة. فقال: لا جَرَمَ والله لا آخذ منها شيئاً أبداً ولا أتقضيها. ورجع إلى كثيِّر فأخبره بذلك، فأعتقه ووهَب له المال الذي كان في يده.

(١) تبوخ: تسكن.
(٢) هذه الكلمة ساقطة من ب، س.
(٣) صفوحاً: معرضة صادّة.

لقيت قسيمة بنت عياض عزة ووصفتها:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني يعقوب بن حَكيم السُّلَميّ عن قسيمة بنت عِيَاض بن سعيد الأسلميّة، وكنيتها أمّ البنين، قالت:

سارت علينا عزّة في جماعة من قومها بين يدي يَرْبُوع وجُهَيْنة، فسمعنا بها، فاجتمعت جماعة من نساء الحاضر أنا فيهن، فجئناها فرأينا امرأة حُلوةً حُمَيْراء[1] نظيفة، فتضاءلنا لها، ومعها نسوةٌ كلهن لها عليهن فضلٌ من الجمال والخَلْق، إلى أن تحدّثتْ ساعةً فإذا هي أبرع الناس وأحلاهم حديثاً، فما فارقناها إلاّ ولها علينا الفضلُ / في أعيننا، وما نرى في الدّنيا امرأةً تروقها[2] جمالاً وحسناً وحلاوة.

٣٩ / ٨

[٩/٢٩] / سأل عبدالملك كثيّراً عن أعجب خبر له مع عزة فذكر له ملاقاتها له مع زوجها إذ أمرها بشتمه:

أخبرني عمّي قال حدّثني فضل اليَزيديّ عن إسحاق الموصليّ عن أبي نصر (شيخ له) عن الهَيْثم بن عَدِي:

أنّ عبدالملك سأل كثيّراً عن أعجب خبر له مع عزّة، فقال:

حَجَجتُ سنةً من السنين وحج زوج عزة بها، ولم يعلم أحد منّا بصاحبه. فلمّا كنا ببعض الطريق أمرَها زوجُها بابتياع سمن تُصلح به طعاماً لأهل رُفقته، فجعلت تَدُور الخيامَ[3] خيمةً خيمةً حتى دخلَت إليّ وهي لا تعلم أنها خيمتي، وكنت أَبري أسهُماً لي. فلما رأيتها جعلت أبري وأنا أنظر إليها ولا أعلم حتى بَريتُ عظامي مرّات ولا أشعر به والدم يجري. فلما تبيّنتْ ذلك دخلتْ إليّ فأمسكتْ يدي وجعلتْ تمسح الدم عنها بثوبها، وكان عندي نِحْيٌ[4] من سمن، فحلفتُ لتأخذنّه، فأخذتْه وجاءت إلى زوجها بالسمن. فلما رأى الدم سألها عن خبره فكاتمتْه، حتى حلف لتَصْدُقَنّه فصدَقتْه، فضربها وحلف لتَشتمنّي في وجهي. فوقفتْ عليّ وهو معها فقالت لي: يابنَ الزانيّة وهي تبكي، ثم انصرفا. فذلك حين أقول:

يُكَلِّفُها الخنزيرُ شَتْمِي وما بها ... هَوَانِي ولكن للمليك استذلّتِ

نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء:

صوت

خَلِيْلَيَّ هذا رَسْمُ[5] عَزّةَ فاعقِلا ... قَلُوصَيْكما ثم ابكيا حيث حَلّتِ

وما كنتُ أدري قبل عَزّةَ ما البكا ... ولا مُوجِعاتِ القلبِ[6] حتّى تَوَلّتِ

[٩/٣٠] / فليتَ قَلُوصي عند عزّة قُيّدتْ ... بحبلٍ ضعيفٍ بانَ منها فضَلّتِ

وأصبح في القوم المقيمين رحلُها ... وكان لها باغٍ سِوَايَ فَبَلّتِ[7]

(١) أي بيضاء. والعرب يقولون الأحمر والحمراء في نعت الآدميين ويريدون الأبيض والبيضاء.
(٢) لعله: «تفوقها».
(٣) نصب «الخيام» إما على حذف حرف الجر، وإما على تضمين «تدور» معنى تجوز المتعدّي.
(٤) النحي: زق للسمن.
(٥) في «كتاب الشعر والشعراء»: «ربع عزة».
(٦) في جـ و«كتاب الشعر والشعراء»: «موجعات الحزن».
(٧) يقال: بلت مطيته على وجهها إذا ذهبت في الأرض ضالة.

فقلتُ لها يا عزّ كلُّ مُصيبةٍ إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفسُ ذلّتِ
أَسِيئي بنا أو أَحْسِني، لا ملومةٌ لدينا ولا مَقْلِيّةٌ إنْ تَقَلَّتِ[1]
هَنيئاً مَريئاً غيرَ داءٍ مُخامِرٍ لِعَزّةَ من أعراضنا ما اسْتَحَلَّتِ
تَمَنَّيْتُها حتّى إذا ما رأيتُها رأيتُ المنايا شُرَّعاً قد أظلَّتِ
كأنّي أنادي صخرةً حين أعرضتْ من الصُّمِّ لو تمشي بها العُصْمُ زَلَّتِ
صَفُوحاً فما تلقاكَ إلّا بخيلةً فمَنْ مَلَّ منها ذلك الوصلَ مَلَّتِ
أصاب الرَّدَى أنْ كان يهوى لكِ الرَّدَى وجُنَّ اللواتي قلن عَزَّةُ جُنَّتِ

عروضه من الطويل. غنّى معبد في الخمسة الأُوَل ثقيلاً أوّل بالوسطى. وغنّى إبراهيم في الثالث والرابع ثقيلاً أوّل بالبنصر عن عمرو، وغنّى في «هنيئاً مريئاً» والذي بعده خفيفَ رملٍ بالوسطى. وغنّى إبراهيم في الخامس وما بعده ثانيَ ثقيل. وذكر الهشاميّ أنّ لابن سُرَيج في «هنيئاً مريئاً» وما بعده ثاني ثقيل بالبنصر. وذكر أحمد بن المكيّ أن لإبراهيم في «كأني أنادي» والذي بعده وفي «أسيئي بنا أو أحسني» هزجاً بالسبّابة في مجرى البنصر، ولإسحاق فيه هزج آخر به[2]. ولِعَريبَ في «كأني أنادي» أيضاً رمل. ولإسحاق في «وما كنت / أدري» ثقيل أوّل. وله في «أصاب الردى» ثقيل أوّل آخر، وقيل: إن لإبراهيم في «فقلت لها يا عزّ» خفيفَ ثقيل ينسب إلى دَحْمان وإلى سِيَاط. ٤٤/٨

/ اجتمعا ذات ليلة ووصف ذلك صديق له: [٣١/٩]

أخبرني الحرميّ وحبيب بن نَصْر قالا حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا يعقوب بن حكيم عن إبراهيم بن أبي عمرو الجُهَنيّ عن أبيه قال:

سارت علينا عزّة في جماعة من قومها، فنزلتْ حِيالنَا. فجاءني كثيِّر ذات يوم فقال لي: أُريد أن أكون عندك اليوم فأذهبَ إلى عزّة، فصرتُ به إلى منزلي. فأقام عندي حتى كان العِشاء، ثم أرسلني إليها وأعطاني خاتَمه وقال: إذا سلّمتَ فستَخْرُج إليك جارية، فادفع إليها خاتمي وأعلمْها مكاني. فجئت بيتها فسلّمتُ فخرجتْ إليّ الجارية فأعطيتها الخاتَم. فقالت: أين الموعد؟ قلت: صَخَرات أبي عُبَيْد الليلةَ، فواعدتها هناك، فرجعتُ إليه فأعلمتُه. فلما أمسى قال لي: انْهَضْ بنا، فنهضْنا[3] فجلسنا هناك نتحدّث حتى جاءت من الليل فجلستْ فتحدّثا فأطالا، فذهبت لأقوم. فقال لي: إلى أين تذهب؟ فقلت: أُخَلِّيكما ساعةً لعلكما تتحدّثان ببعض ما تكتُمان. قال لي: اجلس! فوالله ما كان بيننا شيء قطّ. فجلستُ وهما يتحدّثان وإنّ بينهما لَثُمامةً[4] عظيمة هي من ورائها جالسة حتى أسحَرْنا، ثم قامت فانصرفت، وقمت أنا وهو، فظلّ عندي حتى أمسى ثم انطلق.

سامته سكينة بجمله فلما رأى عزة معها تركه لهم:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم عن عبدالله بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاصي قال:

(١) تقلّى: تبغض. أي لا هي ملومة لدينا ولا مقلية إن تقلت أي تبغضت. خاطبها أوّلاً ثم غايب أي ذكرها بضمير الغيبة.
(٢) لعله: «بها» أي بالسبابة في مجرى البنصر.
(٣) في جـ: «فمضينا».
(٤) كذا في «تجريد الأغاني» والثمام: نبت ضعيف شبيه بالخوص. وفي الأصول: «لهامة» وهو تحريف.

خرج كثيِّر في الحاجّ بجمل له يبيعه، فمرّ بسُكَيْنة بنت الحسين ومعها عَزّة وهو لا يعرفها. فقالت سُكَينة: هذا كثيِّر فسُومُوه بالجمل، فساموه فاستام مائتي درهم فقالت: ضَعْ عنّا فأبى. فدعتْ له بتمر وزُبْد فأكل، ثم قالت له: ضع عنا كذا وكذا (لشيء يسير) فأبى. فقالوا: قد أكلتَ يا كثيِّر بأكثر مما نسألك! فقال:

[٣٢/٩] / ما أنا بواضعٍ شيئاً. فقالت سُكينة: اكشِفوا، فكشفوا عنها وعن عزّة. فلما رآهما أستحيا وأنصرف وهو يقول: هو لكم هو لكم!.

قال بعض الرواة إنه لم يكن صادقاً في عشقه:

مَنْ ذكر أن كثيِّراً كان يكذِب في عشقه:

أخبرنا أبو خَليفة قال حدّثنا ابن سَلاّم قال:

كان كثيِّر مدَّعياً ولم يكن عاشقاً، وكان جميلٌ صادقَ الصبَّابة والعشق.

أخبرنا أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال[١] زعم إسحاق بن إبراهيم أنه سمع أبا عُبَيْدة يقول: كان جميلٌ يصدُق في حبه، وكان كثيِّر يَكذِب.

ومما وجدناه في أخباره ولم نسمعه من أحد أنه نظر إلى عزّة ذات يوم وهي منتقبة تميس في مِشْيتها، فلم يعرِفها كثيِّر، فاتّبعها وقال: يا سيّدتي! قِفِي حتّى أكلِّمك فإني لم أر مثلك قطُّ، فَمَن أنتِ ويحكِ؟ قالت: ويحكَ! وهل تركت عزّة فيك بقيّة لأحد؟ قال: بأبي أنت! والله لو أنّ عزّة أمَةٌ لي لوهبتها لك.

قالت: فهل لك في المُخَالّة؟ قال: وكيف لي بذلك؟ قالت: أنَّى وكيف بما قلتَ في عزّة؟! قال: أقلبه فأُحوِّله إليك. فسفَرت عن وجهها ثم قالت: أغدراً يا فاسق وإنك لهكذا! فأبْلَس[٢] ولم ينطق وبُهِت. فلما مضت أنشأ يقول:

ألاَ ليتني قبل الذي قلتُ شِيبَ لي ... من السمّ جَدْحاتٌ[٣] بماء الذَّرَارِحِ
فمتُّ ولم تعلم عليَّ خيانةً ... وكم طالبٍ للربح ليس برابحِ
/ أبوءُ بذنبي إنني قد ظلمتُها ... وإني بباقي سِرِّها غيرُ بائحِ

[٤١/٨]

[٣٣/٩] / لقي عزة في طريقه إلى مصر وتعاتبا:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قال حدّثني عمر بن شبّة قال زعم ابن الكلبيّ عن أبي المقوِّم قال أخبرني سائب راوية كثيِّر قال:

خرجتُ معه نريد مصر، فمررنا بالماء الذي فيه عزّة فإذا هي في خِباء، فسلّمنا جميعاً، فقالت عزَة: وعليكَ السلام يا سائب. ثم أقبلتْ على كثيِّر فقالت: ويحك! ألاَ تتقي الله! أرأيتَ قولك:

بآيةِ ما أتيتُكِ أمَّ عمروٍ ... فقمتِ لحاجتي والبيتُ خالي

(١) في جـ: «زعم لي إسحاق بن إبراهيم... إلخ».
(٢) أبلس: سكت وتحير.
(٣) في ب، س: «بخضخاض». وفي سائر الأصول: «بخدخاد». والتصويب عن «تجريد الأغاني». والجدحة اللتة؛ يقال: جدح السويق: إذا لته. والذرارح: دويبات أعظم من الذباب شيئاً مجزعة مبرقشة بحمرة وسواد وصفرة لها أجنحة تطير بها وهي سم قاتل.

أخلوتُ معك في بيت أو غير بيت قطُّ؟! قال. لم أقُله، ولكنني قلتُ:

فـأُقسـم لـو أتيـتُ البحـرَ يـوماً ... لأشـربَ مـا سقتنـي مـن بِـلالِ

وأقسـم إنّ حُبّـكِ أمَّ عمـرٍو ... لَـداءٌ عنـد[1] منقطَـع السُّعـال

قالت: أمّا هذا فنَعَم. فأتينا عبدَالعزيز[2] ثم عُدْنا، فقال كثيِّر: عليكِ السلامُ يا عزّة قالت: عليك السلام يا جملُ. فقال كثيِّر.

صوت

حَيَّتْكَ عَزَّةُ بعد الهجر فانصرفتْ ... فَحيِّ ويحكَ مَنْ حيّاك يا جملُ

لو كنتَ حيّيتَها ما زلتَ ذامِقةٍ[3] ... عندي وما مَسَّك الإدلاج والعملُ

ليتَ التحيّةَ كانت لي فأشْكُرَها ... مكانَ يا جملٌ حُيِّيتَ يا رجلُ

ذكر يونس أنّ في هذه الأبيات غناءً لِمَعْبَد. وذكر الهشاميّ أن فيها لِبُنَيْنة خفيفَ رملٍ بالبنصر. وذكر حَبَشٌ أنّ فيها للغَرِيض خفيفَ ثقيل أوّل بالوسطى، ولإبراهيم ثانيَ ثقيل بالوسطى.

/ قصته مع أم الحويرث الخزاعية وحديث عشقه لها: [٩/ ٣٤]

أخبرني عمّي قال حدّثني الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدّثني عليّ بن محمد البرمكيّ قال حدثني إبراهيم بن المهديّ قال:

قدِم عليَّ هشامُ بن محمد الكلبيّ فسألته عن العشّاق يوماً فحدّثني قال: تعشّق كثيِّر امرأةً من خُزَاعة يقال لها أمّ الحُوَيْرِث فنَسب بها، وكَرِهتْ أن يُسَمَّع بها ويفضَحها كما سمّع بعزّة، فقالت له: إنك رجلٌ فقير لا مالَ لك، فأبتغِ مالاً يُعَفّي[4] عليك ثم تعالَ فاخطُبْني كما يخطُب الكِرَام. قال: فاحلفي لي ووَثّقي أنّك لا تتزوّجين حتى أَقْدَمَ عليك، فحلفتْ ووثّقت له. فمدح عبدَالرحمن بن إبريق[5] الأزديّ، فخرج إليه، فلقيته ظِباءٌ سوانح ولقي غراباً يفحَص التراب بوجهه، فتطيّر من ذلك حتى قدِم على حيٍّ من لِهْب[6] فقال: أيّكم يَزْجُر؟ فقالوا: كلُّنا، فمَنْ تريد؟ قال: أعْلَمكم بذاك. قالوا: ذاك الشيخ المنحني الصُّلْب. فأتاه فقصّ عليه القصة، فكره ذلك له وقال له: قد تُوُفِّيتْ أو تزوجتْ رجلاً من بني عمّها. فأنشأ يقول:

صوت

تَيَمّمتُ لِهْباً أبتغي العلمَ عندهم ... وقد رُدَّ علمُ العائفين إلى لهبِ

---

(١) كذا في «تجريد الأغاني». ويعني بمنقطع السعال: الصدر. وقد ورد هذا الشعر في كتاب «الشعر والشعراء» هكذا: «لدى جنبي ومنقطع السعال». وفي الأصول: «لداء عند منقطع السؤال» وهو تحريف.

(٢) يريد عبدالعزيز بن مروان والي مصر من قبل أخيه عبدالملك بن مروان.

(٣) المقة: المحبة.

(٤) أي يصلحك ويحل الغنى منك محل الفقر.

(٥) في «تجريد الأغاني»: «عبدالرحمن بن الأبرش الأزدي».

(٦) لهب: قبيلة من اليمن معروفة بالعيافة وزجر الطير.

تيمّمتُ شيخاً منهمُ ذا بَجالةٍ[١] بصيراً بزجرِ الطيرِ مَنحنَى الصُّلْبِ
فقلتُ له ماذا ترى في سَوَانحٍ وصوتِ غُرابٍ يَفحَص الوجهَ بالتُّرْبِ
/ فقال جرى الطيرُ السَّنيحُ بِبَيْنِها وقال غرابٌ جَدُّ مُنْهَمِرُ السَّكْبِ
فإلّا تكنْ ماتتْ فقد حالَ دونَها سِواكَ خليلٌ باطنٌ من بني كَعْبِ

٤٢/٨

ـ غنّاه مالك من رواية يونس ولم يجنّسه ـ قال: فمدح الرجلَ الأزديّ ثم أتاه فأصاب منه خيراً كثيراً، ثم قدِم عليها فوجدها قد تزوجت رجلاً من بني كعب، / فأخذه الهُلَاس[٢]، فكُشِح[٣] جَنْباه بالنار. فلما أندمل[٤] من عِلّته وضع يده على ظهره فإذا هو برَقْمتين، فقال: ما هذا؟ قالوا: إنه أخذك الهُلَاس وزعم الأطِبّاء أنه لا عِلاج لك إلّا الكَشْح بالنار فكُشِحْتَ بالنار. فأنشأ يقول:

[٣٥/٩]

صوت

عفا الله عن أمّ الحُوَيْرِثِ ذنبَها علامَ تُعَنّيني وتُكْمي[٥] دَوَائيا
فلو آذنوني[٦] قبل أن يرقُموا بها لقلتُ لهم أُمّ الحُوَيْرث دائيا

ـ في هذين البيتين لمالك ثقيلٌ أوّل بالوسطى. ولابن سُرَيج رملٌ بالبنصر كلاهما عن عمرو والهشاميّ. وقيل: إن فيهما لمعبد لحنا ـ وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبدالعزيز وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة ولم يتجاوزاه بالرواية فذكر نحو هذا وقال فيه: إنه قصد ابن الأزرق بن حَفْص بن المُغيرة المخزوميّ الذي كان باليمن، وإنه فعل ذلك بعد موت عزّة. وسائر الخبر متقارب.

سأله ابن جعفر عن سبب هزاله فأجابه:

وأخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثني محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن محمد بن سليمان بن فُلَيْح أو فليح بن سليمان ـ أنا شككتُ ـ عن أبيه عن جدّه قال:

جاء كثيّر إلى عبدالله بن جعفر وقد نَحِلَ وتغيّر. فقال له عبدالله: مالي أراك متغيراً يا أبا صخر؟ قال: هذا ما عملتْ بي أُمّ الحُوَيْرِث، ثم ألقى قميصه فإذا به قد صار مثل القَشّ وإذا به آثار من كَيّ، ثم أنشده:

عفا الله عن أُمّ الحويرث ذنبَها

الأبيات.

(١) ذا بجالة: يبجله الناس ويعظمونه.
(٢) الهلاس: داء يهزل الجسم أو هو السل.
(٣) الكشح: الكيّ بالنار.
(٤) أي تماثل وتراجع للبرء.
(٥) تكمي: تستر.
(٦) كذا في «تجريد الأغاني»: وفي الأصول: «ولولا ذنوبي» وهو تحريف.

/ أغرت عزة به بثينة لتتبين حاله: [٩/ ٣٦]

أخبرني عمّي قال حدّثني ابن أُبَيٍّ قال حدّثني الحِزَاميّ عمن حدّثه من أهل قُدَيْد[١]:

أنّ عزّة قالت لبُثَيْنة: تَصَدَّيْ لكثيّر وأطمعيه في نفسك حتى أسمع ما يجيبك به. فأقبلت إليه وعزّة تمشي وراءها مختفية، فعرَضت عليه الوصلَ، فقاربَها ثم قال:

رَمَتْنـي علـى عَمْـدٍ بُثَيْنَـةُ بعـدمـا ... تـولّـى شَبَـابـي وٱرْجَحَـنَّ[٢] شبـابُهـا

وذكر أبياتاً[٣] أُخَرَ سقط من الكتاب ذكرُها. فكشفتْ عزّةُ عن وجهها، فبادرها الكلامَ ثم قال:

ولكنّمـا تَـرْمِيـنَ نفسـاً مـريضـةً ... لِعَـزّةَ منهـا صَفْـوُهـا ولُبَـابُهـا

فضحِكتْ ثم قالت: أَوْلَى لك بها قد نجوتَ، وٱنصرفتا تتضاحكان.

قال لأهله إذ بكوا في مرضه سأرجع بعد أيام:

أخبرنا الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني عبدالرحمن بن عبدالله الزُّهري قال:

بكى بعضُ أهل كثيّر عليه حين نزل به الموت. فقال له كُثَيِّر: لا تبكِه، فكأنّك بي بعد أربعين ليلةً تسمع خَشْفةَ[٤] نَعلي من تلك الشُّعْبةِ راجعاً إليكم.

مات هو وعكرمة في يوم واحد سنة ١٠٥:

أخبرني الفضل بن الحُبَاب أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال حدّثني ابن جُعْدُبة وأبو اليَقْظان عن جُوَيْرية بن أسماء قال:

مات كثيّر وعِكْرِمةُ مولى ٱبن عبّاس في يوم واحد، فٱجتمعت قُرَيش في جنازة كثيّر، ولم يوجد لِعكْرمة مَنْ يحمله.

/ أخبرنا الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني عمر بن مُصْعَب قال / حدّثني الواقديّ قال حدّثني خالد بن القاسم البَيَاضيّ قال: [٩/ ٣٧] [٤٣/ ٨]

مات عِكْرِمةُ مولى ابن عبّاس وكثيّر بن عبدالرحمن الخُزَاعيّ صاحبُ عزّة في يوم واحد في سنة خمس ومائة، فرأيتُهما جميعاً صُلِّي عليهما في يومٍ واحد بعد الظهر في موضع الجنائز، فقال الناس: مات اليومَ أفقهُ الناس وأشعرُ الناس.

ما جرى في جنازته بين أبي جعفر الباقر وزينب بنت معيقب:

وقال ابن أبي سعد الورّاق حدّثني رَجَاء بن سَهْل أبو نصر الصاغانيّ قال حدّثنا يحيى بن غَيْلان قال حدّثني المُفَضَّل بنُ فَضَالَة عن يزيد بن عُرْوة قال:

(١) قديد: اسم موضع قرب مكة.
(٢) ارجحن شبابها: يريد اهتز نضارة وحسناً.
(٣) في جـ: «وذكر بيتا آخر سقط من الكتاب».
(٤) خشفة النعل: صوتها.

مات عكرمة وكثيِّر عَزّة في يوم واحد، فأُخرجتْ جنازتاهما، فما علمتُ تخلَّفتِ امرأةٌ بالمدينة ولا رجلٌ عن جنازتيهما. قال: وقيل مات اليوم أشعرُ الناس وأعلمُ الناس. قال: وغلَب النساء على جنازة كثيِّر يَبْكِينَه ويذكُرْنَ عزّةَ في نُدْبتهنّ له. قال: فقال أبو جعفر محمد[1] بن عليّ: أفرِجُوا لي عن جِنازة كثيِّر لأرفعها. قال: فجعلنا ندفع عنها النساء وجعل يضربهنّ محمد بن عليّ بكُمِّه ويقول: تَنَحَّيْنَ يا صَوَاحِباتِ يوسف. فانتدَبتْ له امرأةٌ منهنّ فقالت: يابنَ رسولِ الله لقد صَدَقتَ، إنّا لصواحباتُ يوسف وقد كنّا له خيراً منكم له. قال: فقال أبو جعفر لبعض مَواليه: احْتفِظْ بها حتى تجيئني بها إذا انصرفْنا. قال: فلما انصرف أُتِيَ بتلك المرأة كأنها شَرَارةُ النار. فقال لها محمد بن عليّ: أنت القائلةُ إنّكن لِيوسفَ خيرٌ منّا؟ قال: نعم! تُؤْمِنني غضبَك يابنَ رسول الله؟ قال: أنت آمنةٌ من غضبي فأبيني. قالت: نحن يا بنَ رسول الله دعوناه إلى اللذّات من المَطعَم / والمَشْرَب والتمتُّع والتنعُّم، وأنتم معاشرَ [٣٨/٩] الرجال ألقيتموه في الجُبّ وبِعتُموه بأبخس الأثمان وحبستموه في السِّجن. فأيُّنا كان عليه أَحْنَى وبه[2] أرأف؟! فقال محمد: لله دَرُّكِ! ولن تُغَالَبَ امرأةٌ إلّا غَلبتْ. ثم قال لها: أَلَكِ بعلٌ؟ قالت: لي من الرجال مَنْ أنا بعلُه. قال: فقال أبو جعفر: صَدَقتِ، مثلُك من تَمْلِك بعلَها ولا يملكها. قال: فلما انصرفتُ قال رجلٌ من القوم: هذه زينب بنت مُعَيْقِب[3].

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء:

صوت

نظـرتُ إليهـا نَظْـرةَ وهـي عـاتـقٌ ... علـى حيـنِ أنْ شَبَّـتْ وبـانَ نُهـودُهـا

نظـرتُ إليهـا نظـرة مـا يُسُـرّنـي ... بهـا حُمْـرُ أنعـامِ البـلادِ وسُـودُهـا

وكنـتُ إذا مـا جئـتُ سُعْـدَى بـأرضِهـا ... أرى الأرضَ تُطْـوَى لـي ويـدنـو بعيـدُهـا

مـن الخَفِـراتِ البِيـضِ وَدَّ جَليسُهـا ... إذا مـا انقضـتْ أُحـدوثـةٌ لـو تُعيـدهـا

عَرُوضه من الطويل. البيت الأول لكثيِّر، والثاني والثالث لنُصَيْب من قصيدته التي أوّلها:

لقد هجرت سَعْدَى وطال صدودُها

غنّى في البيت الثاني والثالث جَحْدَرٌ الراعي خفيفَ رَمَلٍ بالبنصر. وغنّى فيهما الهُذَلِيّ رملاً بالوسطى. وغنّى في الثالث والرابع دِعامة ثقيلاً أوّل بالبنصر.

عمر الوادي يأخذ صوتاً عن راعي غنم في شعر له:

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال: قال عمر الواديّ، وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني مَكِينٌ العُذْريّ قال:

٤٤/٨ / سمعت عمر الواديّ يقول: بينا أنا أسيرُ بين الرَّوْحاء والعَرْج إذ سمعتُ إنساناً يغنّي غناءً لم أسمع / قطُّ مثلَه [٣٩/٩] في بيتَيْ كثيِّر:

(١) هو محمد بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو جعفر المدني المعروف بالباقر توفي سنة ١١٤ هـ.

(٢) في الأصول: «فأينا كان به أحنى وعليه أرأف». والتصويب عن «تجريد الأغاني».

(٣) في جـ: «معيقيب».

وكنت إذا ما جئتُ سُعْدَى بأرضها　　أرى الأرض تُطْوَى لي ويدنو بعيدُها

من الخَفِرات البِيضِ وَدّ جليسُها　　إذا ما أنقضتْ أحدوثةٌ لو تُعيدها

قال: فكِدت أسقط عن راحلتي طرباً، وقلت: والله لألتمسنّ الوصولَ إلى هذا الصوت ولو بذهاب عضو من أعضائي، فتيمّمتُ سَمْتَه[1] فإذا راعٍ في غنم، فسألته إعادته عليّ. قال: نعم! ولو حضرني قِرًى أَقْرِيكَه ما أعدتُه، ولكنّي أجعله قِرَاك، فربما تَرَنّمتُ به وأنا غَرْثانٌ فأشبَع، وعطشانٌ فأَرْوَى، ومستوحِشٌ فآنَسُ، وكَسْلانٌ فأنشط. قال: فأعادهما عليّ حتى أخذتُهما، فما كان زادي حتى ولَجتُ المدينة غيرَهما.



(١) سمته: ناحيته وجهته.

[٩/٤٠] # / أخبار عبيدالله بن عبدالله بن طاهر

كان عالماً ومغنياً ونسب غناءه لجاريته شاجي ترفعاً:

هو عُبَيْدالله بن عبدالله بن طاهر بن الحُسين، ويكنى أبا أحمد. وله محلٌّ من الأدب والتصرُّف في فنونه وروايةِ الشعر وقولهِ والعلمِ باللغة وأيّام الناس وعلومِ الأوائل من الفلاسفة في المَوسِيقى والهندسة وغير ذلك مما يَجِلُّ عن الوصف ويكثُر ذكره. وله صنعةٌ في الغناء حسنةٌ مُتْقَنة عجيبة تدلّ على ما ذكرناه هاهنا من توصُّله إلى ما عجَز عنه الأوائل من جَمْع النَّغَم كلِّها في صوت واحد تتبَّعه هو وأتى به على فضله فيها وطلبه لها. وكان المعتضِد بالله، رحمة الله عليه، ربما كان أراد أن يصنع في بعض الأشعار غناءً وبحضرته أكابرُ المغنِّين مثل القاسم بن زُرْزُور وأحمد بن المَكيّ ومَنْ دونهما مثل أحمد بن أبي العَلاء وطبقتِهم، فيعدِل عنهم إليه فيصنَع فيها أحسنَ صَنْعة، ويترفَّع عن إظهار نفسه بذلك، ويُومىء إلى أنه من صَنْعة جاريته شَاجِي[1]، وكانت إحدى المُحْسنات المبرِّزات المُقَدَّمات؛ وذلك بتخريجه وتأديبه، وكان بها مُعْجَباً ولها مُقدِّماً.

كان المعتضد يتفقده لما رقت حاله وطلب منه جاريته ليسمع غناءها فأرسلها له:

فأخبرني أحمد بن جَعْفر جَحْظة قال: لمّا اختلت حالُ عُبَيْدالله بن عبدالله بن طاهر كان المعتضد يتفقَّده بالصِّلات الفَيْنَةَ بعد الفَيْنة. واتّفق يوماً كان فيه مصطبِحاً أن غُنِّي بصوتِ الصنعة فيه لشاجي جاريةِ عُبَيدالله؛ فكتب إليه كتاباً يُقْسم أن يأمرها بزيارته ففعل. قال: فحدّثني مَنْ حضر من المغنِّيات ذلك المجلسَ بعد موت المعتضد قالت: دخلتْ إلينا وما منّا إلاّ من يَرْفُل في الحُليِّ والحُلَل وهي في أثواب ليست كثيابنا، فاحتقرناها؛ فلمّا غنّت احتقرنا أنفسَنا. ولم تزل تلك حالَنا حتى صارت في أعيننا كالجبل وصرنا كلا شيء. قال: ولمّا انصرفتْ أَمَر لها [٩/٤١] / المعتضد بمال وكُسوة. ودخلتْ إلى مولاها فجعل يسألها عن أمرها وما رأت مما استظرفت وسمعتْ مما استغربتْ. فقالت: ما استحسنتُ هناك شيئاً ولا استغربته من غناءٍ ولا غيره إلا عوداً من عود محفور[2] فإنّي استظرفتُه. قال جحظةُ: فما قولُكَ فيمن يدخل دارَ الخلافة فلا يمدّ عينَه لشيء يستحسنه فيها إلا عوداً!.

كانت شاجي جاريته تلحن للمعتضد بعض الشعر:

قال محمد بن الحسن الكاتب وحدّثني النُّوشَجانِيّ قال:

كان المُعْتَضِد إذا استحسن شعراً بعث به إلى شَاجِي جاريةِ عُبيدالله بن طاهر فتغنّى فيه. قال: وكانت صنعتها تسمَّى في عصره غناء الدار.

(١) في «نهاية الأرب» (جـ ٥ ص ٦٦): «ساجي» بالسين المهملة.
(٢) كذا في أ، م و«نهاية الأرب». وفي سائر الأصول: «مفحور» وهو تحريف.

ماتت شاجي فرثاها:

قال محمد بن الحسن: وماتت شاجي في حياة / عُبيدالله بن عبدالله بن طاهر وكان عليلاً، فقال يرثيها ـ وله فيه صنعةٌ من خَفيف الثَّقيل الأوّل بالوسطى ـ: ٤٥/٨

يَميناً يقيناً لو بُليتُ بفقدها ... وبي نَبْضُ عِرْقٍ للحياة أو النُّكْسِ
لأوْشكْتُ قتلَ النفسِ قبلَ فِراقها ... ولكنها ماتت وقد ذهبتْ نفسي

له كتاب الآداب الرفيعة في الغناء:

ومن نادر صنعة عُبيدالله وجيِّد شعره قوله ـ وله فيه لحنان ثقيلٌ أوّل وهَزَجٌ، والثقيل الأوّل أجودُهما ـ:

أَنفِقْ إذا أيسرتَ غيرَ مقتِّرٍ ... وأنفِقْ على ما خَيلت حين تُعْسِرُ
غيرَ الجُودُ يُفنِي المالَ والمالُ مقبلٌ[1] ... ولا البخلُ يُبقِي المالَ والجَدُّ مُدْبِرُ

وأشعاره كثيرةٌ جيّدة كثيرةُ النادرِ والمُختارِ. وكتابه في النَّغَم وعِلَل الأغاني المسمَّى «كتابَ الآداب الرفيعة» كتاب مشهور جليل الفائدة دالٌّ على فضل مؤلِّفه.

قص عليه الزبير بن بكار قصة فاستحسنها وأمر له بمال:

أخبرني جَحْظة قال حدّثني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثني موسى بن هارون، فيما أُرَى، قال:

/ كنتُ عند عُبيدالله بن عبدالله بن طاهر وقد جاءه الزُّبير بن بكّار فأعلمه أن المتوكِّل أو المعتزَّ ـ وأراه المعتزَّ ـ [٩/٤٢] بعث إلى أخيه محمد بن عبدالله بن طاهر يأمر بإحضاره وتقليده القضاء. فقال له الزُّبير بن بكّار: قد بلغتُ هذه السِّنَّ وأتولى القضاء! أو بعد ما رويتُ أنّ من ولي القضاءَ فقد ذُبح بغير سِكِّين! فقال له: فتلحَق بأمير المؤمنين بسُرّ مَنْ رَأى، فقال له: أفعل. فأمر له بمال ينفقه، وبظَهْرٍ يحمله ويحمل ثَقَلَه. ثم قال له: إن رأيت يا أبا عبدالله أن تُفيدنا شيئاً قبل أن نفترق! قال: نعم! اِنصرفتُ من عُمْرة المحرَّم؛ فبينا أنا بأُثَايةِ[2] العَرْج، إذا أنا بجماعة مجتمعة، فأقبلتُ إليهم وإذا رجل كان يقنِص الظباء وقد وقع ظبي في حِبَالته فذبحه، فانتفض في يده فضرب بقرنه صدرَه فنَشِب القرن فيه فمات. وأقبلت فتاة كأنها المَهاةُ، فلما رأتْ زوجها ميِّتاً شَهِقتْ ثم قالت:

يا حُسْنُ لو بَطَلٌ لكنّه أجلُ ... على الأُثايةِ ما أَوْدَى به البطلُ
يا حُسن جمَّع أحشائي وأقلقها ... وذاك يا حسن لولا غيرُه جَلَلُ
أضحتْ فتاةُ نَهْدِ عَلاَئِيَةً ... وبعلُها بين أيدي القوم محتمَلُ

قال: ثم شهقت فماتت. فما رأيتُ أعجبَ من الثلاثة: الظبي مذبوح، والرجل جريح ميت، والفتاة ميتة [حَرَّى[3]].

---

(١) الرواية المشهورة: «والجد مقبل».

(٢) الأثاية: موضع في طريق الجحفة بينه وبين المدينة خمسة وعشرون فرسخاً وهو بين الرويثة والعرج، مر به النبي ﷺ في خرجة له إلى مكة وهو محرم. ورواه بعضهم «أثاثة» بثاء مثلثة أخرى كما ورد في الأصول، ورواه آخرون «أثانة» بالنون. وكلاهما خطأ. راجع «معجم البلدان» لياقوت و «معجم ما استعجم» للبكري.

(٣) زيادة عن جـ.

فأمر له عُبيدالله بمال آخر. ثم أقبل إلى أخيه محمد بن عبدالله بعد خروج الزبير فقال: أمَا إنّ الذي أخذناه من الفائدة في خبر حُسْن وفي قولها[1]:

أضحت فتاةُ بني نَهْد علانية

[٤٣/٩] / ـ تريد ظاهرة ـ أكثرُ عندي مما أعطيناه من الحِباء والصِّلة. وقد أخبرني الحسين بن عليّ عن الدمشقيّ عن الزبير بخبر حُسنَ فقط، ولم يذكر فيه من خبر عُبيدالله شيئاً.

ومن الأصوات التي تجمع النَّغَم العشرَ:

صوت

لحنه في شعر ابن هرمة يجمع النغم العشر:

٤٦/٨ / وهو يجمع النَّغَم العشر كلَّها على غير تَوَالٍ:

وإنّـك إذ أطمعتنـي منـكِ بـالرِّضـا ... وأيـأستِني مـن بعـد ذلـك بـالغضـبْ

كَمُمْكِنَـةٍ مـن ضَـرْعِهـا كـفَّ حـالـبٍ ... ودافقـةٍ مـن بعـد ذلـكِ مـا حَلَـبْ

عروضه من الطويل. الشعر لإبراهيم بن عليّ بن هَرْمة. والغناء في هذا اللحن الجامع للنَّغَم لعُبيدالله بن عبدالله بن طاهر، خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى في مجراها وعليها أبتدأ الصوت.

أثبت في كتابه نقد أبي نواس لشعر لابن هرمة وشعر لجرير:

وقال عمر بن محمد بن عبدالملك الزيّات حدّثني بعض أصحابنا عن أبي نُوَاس أنه قال: شاعران قالا بيتين وضعا التشبيه فيهما في غير موضعه. فلو أخِذ البيت الثاني من شعر أحدهما فجُعِل مع بيت الآخر، وأُخِذ بيتُ ذاك فجُعل مع هذا لصار متّفقاً معنًى وتشبيهاً. فقلت له: أنّى ذلك؟ فقال: قول جَرير للفرزدق:

فـإنـكَ إذ تهجـو تَميمـاً وتـرتشـي ... تَبـابِيـنَ[2] قيـس أو سُحـوق العمـائـم

كمُهْـريـقِ مـاءٍ بـالفَـلاةِ وغـرّه ... سـرابٌ أذاعتْـه ريـاح السَّمـائـم

وقول ابن هَرْمة:

وإنّـي وتَـرْكِـي نَـدَى الأكـرميـنَ ... وقَـدْحِـي بكَفّـيَّ زَنْـدا[3] شَحَـاحـا

[٤٤/٩] / كتـاركـةٍ بيضَهـا بـالعَـراء ... ومُلْبِسـةٍ بيـضَ أخـرى جَنـاحـا

فلو قال جرير:

فـإنـك إذ تَهْجـو تَميمـاً وتَـرْتشِـي ... تَبـابِيـنَ قَيْـسٍ أو سُحُـوق العمـائـمِ

(١) في الأصول: «وفي قوله». والتصويب عن «تجريد الأغاني».

(٢) التبابين: جمع تبان وهو سراويل صغير مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقط يكون للملاحين. والسحوق: جمع سحق، وهو الثوب الخلق البالي.

(٣) كذا في «أكثر الأصول واللسان» مادة شح. وزند شحاح: لا يورى. وفي ب، س، هنا وفيما سيأتي في جميع الأصول: «زناداً شحاحا».

كتاركـةٍ بيضهـا بـالعـراء ... ومُلبِسـةٍ بيـضَ أُخـرى جَنـاحـا

لكان أشبه منه ببيته. ولو قال أبنُ هَرْمة مع بيته:

وإنـي وتـركـي نـدى الأكـرميـن ... وقـدحـي بكَفّـيَّ زَنْـدا شَحـاحـا

كمُهْـريـق مـاءٍ بـالفـلاة وغَـرَّه ... سـرابٌ أذاعتـه ريـاح السمـائـم

كان أشبهَ به. ثم قال: ولكن أبن هَرْمة قد تلافى ذلك بعدُ فقال:

وإنـكِ إذ أطمعتنـي منـكِ بـالـرضـا ... وأيـأستِنـي مـن بعـد ذلـك بـالغضـبْ

كممكنـةٍ مـن ضـرعهـا كـفَّ حـالـب ... ودافقـةٍ مـن بعـد ذلـك مـا حلـبْ

وقد أتى عُبيدالله بن عبدالله بهذا الكلام بعينه في «الآداب الرفيعة»[1]. وإنما أخذه من أبي نُوَاس على ما رُوِي عنه.

ومما يجمع النغم العشر صوت ابن أبي مطر في شعر نصيب:

ووجدتُ في كتابٍ مؤلَّفٍ في النغم غيرِ مسمَّى الصانع: أنّ من الأصوات التي تجمع النَّغَمَ العشرَ صوتَ أبنِ أبي مَطَر المكيِّ في شعر نُصَيْب وهو:

صـوت

ألاَ أيُّهـا الـرَّبْـعُ المُقِيـمُ بعُنْبُـبُ[2] ... سَقَتْـكَ السَّـوَافِـي مـن مُـرَاحٍ ومَعْـزَبِ

بـذي هَيْـدَبٍ أمّـا الـرُّبَـى تحـت وَدْقِـه ... فَتَـرْوَى وأمّـا كـلُّ وادٍ فَيَـزْعَـبُ[3]

/ عروضُه من الطويل. ويروى «الربع الخَلاء بعُنْبُبٍ» أي الخالي. وعُنْبُب: موضع، ويروى «سقتك الغوادي من [٩/٤٥] مَرَادٍ». والمَرَاد. الموضع الذي يُرتاد فيُرْعَى فيه الكلأ. والمُرَاحُ: الموضعُ / الذي تَرُوح إليه المواشي وتَبيت فيه[4]. ٤٧/٨ وفي الحديث أنه رخَّص في الصلاة في مُرَاحِ الغنم ونَهى عنها في أعْطانِ الإبل. والمَعْزَب: الموضعَ الذي يعزُب فيه الرجل عن البيوت والمنازل. وأصل العُزوب: البُعْد يقال عزَب عنه رأيُه وحلمُه أي بعد، والعَزَب مأخوذٌ من ذلك. وهَيْدَبُ السماءِ أطرافٌ[5] تراه في أذنابه كأنه معلَّق به. قال أوْسُ[6] بن حَجَر:

دانٍ مُسِـفٌّ فُـوَيْـقَ الأرضِ هَيْـدَبُـه ... يكـاد يـدفَعـه مَـنْ قـام بـالـراح

ويزعَب: يطفَح، يقال: زعَبه السيلُ إذا مَلأه[7]. الشعر لنُصَيْب يقوله في عبدالعزيز بن مروان.

(١) في الأصول هنا: «الآداب التسعة» وهو تحريف، وقد تقدّم اسم هذا الكتاب.
(٢) عنبب (بضم العين وسكون النون وضم الباء الأولى كما رواه السكري، وفي أمثلة سيبويه أنه بفتح الباء): موضع.
(٣) أورد صاحب «اللسان» هذا البيت في مادة «رعب» بالراء المهملة. ورعب وزعب بمعنى، يستعملان لازمين فيقال رعب الوادي أو زعب إذا تملأ، ومتعديين فيقال رعب السيل الوادي أو زعبه إذا ملأه. وروي في البيت أيضاً «فيروي» بضم الياء وكسر الواو، وبنصب «كل» على أن تكون «الربي» «وكل واد» مفعولين مقدمين. (راجع «اللسان» في مادة رعب).
(٤) هذا المعنى للمراح بضم الميم. وأما بفتحها فهو الموضع الذي يروح إليه القوم أو يروحون منه كالمغدي للموضع الذي يغدى منه أو إليه.
(٥) كذا في الأصول. ولعل صوابه: «أطراف تراها في أذنابه كأنها معلقة به». والمراد بالسماء السحاب.
(٦) لقد ورد في «اللسان» في مادتي «هدب وسف» أن هذا البيت يروى أيضاً لعبيد بن الأبرص.
(٧) في الأصول: «إذا علاه» والتصويب عن «معاجم اللغة». وقول المؤلف «يطفح» تفسير لمعنى الفعل لازماً. وقوله بعد ذلك: «يقال زعبه السيل إذا ملأه» تفسير لمعناه متعدياً. فكان ينبغي أن يكون «ويقال... إلخ» بالواو للدلالة على أنه لازم ومتعد.

وفد نصيب على عبدالعزيز بن مروان ومدحه فأجازه:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني جميع بن عليّ النّميريّ عن عبدالله بن عبدالعزيز بن مِحْجَن بن النُّصَيْب، قال الزبير وكتب إليّ بذلك عبدالله بن عبدالعزيز يذكره عن عوضة بنت النُّصَيْب قالت:

وفَد أبي على عبدالعزيز بن مَرْوان بمصر، فوقف على الباب فأستأذن فلم يُؤْذَن له. فأرسل إليه حاجبَه فقال: أستنشِدْه، فإن كان شعره رديئاً فأرْدُدْه، وإن كان جيّداً / فأَدْخِلْه. فقال نُصَيْب: قد جلَبنا شيئاً للأمير، فإن قبله نشرناه عليه وإلاّ طويناه ورجعنا به. فقال عبدالعزيز: إنّ هذا الكلامُ رجلٍ ذَهِنٍ، فأدخَلَه. فلمّا واجهه أنشده قصيدتَه التي يقول فيها: [٩/٤٦]

ألاَ هـل أتـى الصقـرَ بـنَ مَـرْوان أنّنـي ... أُرَدُّ لَـدي الأبـوابِ عنـه وأُحْجَـبُ

وإنّـي ثَـوَيـتُ اليـومَ والأمـسِ قبلـهَ ... على الباب حتى كادت الشمسُ تغرُب

وإنّـي إذا رمـتُ الـدخـولَ تَـرُدُّنـي ... مهـابـةُ قَيْـسٍ والـرِّتـاجُ المُضَبَّـبُ[1]

قال: وكان حاجب عبدالعزيز يُسمى قَيْساً. قال: وتشبيب هذه القصيدة:

ألاَ أيهـا الـرَّبْـعُ المقيـمُ بعُنْبُـب ... سقتْك السَّـوافـي مـن مُـرَاحٍ ومَعْـزَبِ

قال: فلمّا دخل على عبدالعزيز أعجب بشعره وأوْجَهَه[2]، وقال للفرزدق: كيف تسمع هذا الشعر؟ قال: حسنٌ إلاّ من لغته. قال: هذا والله أشعرُ منك!. قال: وقال نُصَيْب فيها أيضاً:

وأهلـي بـأرضٍ نـازحـون ومـا لَهـمْ ... كـاسـبٌ غيـري ولا مُتَقَلَّـبُ

فهـل تُلْحِقَنّيهِـمْ بعَبْـلٍ[3] مُـوَاشِـكٍ ... على الأين من نُجب آبن مَرْوانَ أصْهَبِ

أبـو بَكَـراتٍ إن أردتُ أفتحـالَـه ... وذو ثَبَّـاتٍ بـالـرِّدِيفَيْـن مُتْعَـبُ

فقال له عبدالعزيز: أُدخُلْ على المَهَارِيّ[4] فخُذْ منها ما شئت، فلو كنتَ سألت غيره لأُعْطِيتَه. فدخل فردّه الجمّال. فقال عبدالعزيز: دَعْه فإنما يأخذ الذي نَعت، فأخذه.

[٩/٤٧] / قال الزُّبير وحدّثني بعض أصحابنا عن محمد بن عبدالعزيز قال:

نزل عبدالعزيز بن عبد الوهّاب على المَهْدِي بعُنْبُبٍ من وادِي السَّراة الذي عنَى نُصَيْب بقوله:

ألاَ أيها الرَّبْعُ الخَلاءُ بُعْنُبِب

والمَهْدِي[5] هو الذي يقول فيه الشاعر:

إسلمـي يـا دارُ مـن هِنْـدِ ... بـالسُّـوَيْقـاتِ إلـى المَهْـدِي

(١) رتاج مضبب: مجعولة له ضبة.

(٢) أوجهه: جعله وجيهاً وشرفه.

(٣) العبل: الضخم. والمواشك: السريع. والأين: الإعياء والتعب. وفي هذا البيت إقواء.

(٤) المهرية: إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان وهو أبو قبيلة.

(٥) الظاهر أنه اسم موضع ولم نقف عليه. (وسويقة): اسم لمواضع كثيرة. ولعل «السويقات» موضع بعينه.

صوت له يجمع ثماني نغم وقد مدحه إسحاق

صوت

وهو يجمع من النَّغَم ثمانيا:

يــا مَــنْ لِقَلْــبٍ مُقَصِّــرِ ... تــرك المُنَــى لِفَــواتِهــا

/ وتظلّــف النفــس التــي ... قــد كــان مــن حــاجــاتهــا

٤٨ / ٨

وطِــلابُــكَ الحــاجــاتِ مِــنْ ... سَلْمَــى ومِــنْ جــاراتهــا

كَتَطَــرُّدِ العَنْــسِ الــذُّمُــو ... لِ[1] الفَضْــلَ مــن مَثْنَــاتِهــا

قوله: «يا من لقلب مقصر» تأسُّفٌ على شبابه، ويدلّ على ذلك قوله:

وتظلّــف النفــس التــي ... قــد كــان مــن حــاجــاتهــا

يقال: اظلِف نفسَك عن كذا أي أمنعها منه لئلا يكون لها أثر فيه. وهو مأخوذ من ظَلَف الأرض وهو المكان[2] الذي لا أثر فيه. قال عوف بن الأحوص:

ألــم أَظْلِــفْ[3] عــن الشعــراء عِــرْضِــي ... كمــا ظُلِــفَ الــوسِيقــةُ بــالكُــرَاعِ

/ الوَسيقة: الجماعةُ من الإبل. يعني أنها تُساق فلا يوجد لها أثر في الكُرَاع، وهو مُنقطَع الجبل. قال الشاعر: [٤٨/٩]

أمســتْ كُــرَاعُ الغَميــمِ[4] مُــوحِشَــةً ... بعــد الــذي قــد خــلا، مــن العَجَــبِ

وقوله:

كَتَطَــرُّدِ العَنْــسِ الــذُّمُــو ... لِ الفضــلَ مــن مَثْنَــاتهــا

يقول: طِلابُك هذه الحاجاتِ ضلالٌ وتتابعٌ كتطردُ العَنْس (وهي الناقة المذكَّرة الخَلْق) الفضلَ من مَثْنَاتها. والتطرُّد: التتبُّع، ومثله قول الشاعر:

خَبَطْــتُ الصِّبَــا خَبْــطَ البعيــرِ خِطَــامَــهُ ... فلــم أَنْتَبِــهْ للشَّيْــبِ حتــى عَــلاَنِيَــا

الشعر لمُسافر بن أبي عَمْرو بن أُمَيّة بن عبد شمس. والغناء لابن مُحْرِز ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وهذا الصوت يجمع من النَّغَم ثمانيا، وكذلك ذكر إسحاق ووصَف أنه لم يجمع شيءٌ من الغناء قديمِه وحديثِه إلى عصره من النغم ما جمعه هذا الصوت، ووصف أنه لو تلطَّف متلطِّف لأن يجمع النَّغَم العشر في صوت واحد لأمكنه ذلك، بعد أن يكون فَهِماً بالصناعة طويلَ المُعاناة لها وبعد أن يُتعب نفسَه في ذلك حتى يصحّ له. فلم يقدر على ذلك سوى عُبيدالله بن عبدالله إلى وقتنا هذا.

(١) ناقة ذمول: تسير سيرا سريعاً ليناً. والمثناة الحبل.

(٢) أي المكان الصلب الذي لا يبقى فيه أثر للمشي.

(٣) أي عميت عليهم أثري. وقوله: «كما ظلف الوسيقة بالكراع» قال ابن الأعرابي: هذا رجل سل إبلاً فأخذ في كراع من الأرض لئلا تستبين آثارها فتتبع. (عن «لسان العرب» مادة ظلف).

(٤) كراع الغميم: موضع بين مكة والمدينة.

[٩/٤٩]

/ ذكر مُسَافِر ونسبه

نسبه وهو أحد السادات المعروفين بأزواد الركب:

مسافر بن أبي عمرو بن أمَيّة، ويكنى أبا أميّة. وقد تقدّم نسبه وأنساب أهله. وأُمّه آمنة بنت أَبَان بن كُلَيْب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة، وهي أمّ أبي مُعَيْط أَبَان بن عمرو بن أُمَيّة. وأبو مُعَيْطٍ ومُسَافِرٌ أخوان لأب وأُمّ، وهما أخوا عُمومتهما أبي العاصي وأخويه من بني أُمَيّة الذين أُمُّهم آمنة، لأنّ أبا عمرو تزوجها بعد أبيه. وكان سيِّداً جَوَاداً، وهو أحد أزْوَاد[١] الركب، وإنما سُمُّوا بذلك لأنهم كانوا لا يَدَعون غريباً ولا مارَّ طريقٍ ولا محتاجاً يجتاز بهم إلّا أنزلوه وتكفّلوا به حتى يظعَن.

مناقضاته عمارة بن الوليد:

وهو أحد شعراء قُرَيْش، وكان يُناقض عُمَارة[٢] بن الوليد الذي أمر النَّجَاشيُّ السواحر فسحرتْه. فمن ذلك قول عُمَارة:

خُلِقَ البِيضُ الحِسَانُ لنا ... وجِيَادُ الرَّيْطِ والأُزُرُ

كابِراً كنّا أحقَّ بِهِ ... حينَ صِيغَ الشمسُ والقمرُ

٤٩/٨ / وقال مسافر يردّ عليه:

أعُمَارَ بنَ الوليد وقد ... يذكرُ الشّاعِرُ مَنْ ذَكَرَهْ

هل أخو كأسٍ مُحَقِّقُها ... ومُوَقٌّ صحبَهُ سُكُرَهْ

ومُحَيِّيهم إذا شَرِبُوا ... ومُقِلٌّ فيهمُ هَذَرَهْ

[٩/٥٠] / خُلِقَ البِيضُ الحِسانُ لنا ... وجِيادُ الرَّيْطِ والحِبَرَهْ

كَابِراً كنّا أحقَّ به ... كلُّ حَيٍّ تابعٌ أثَرَهْ

خطب هندا بنت عتبة ولما تزوجت أبا سفيان مرض واعتل حتى مات:

وله شعر ليس بالكثير. والأبيات التي فيها الغناء يقولها في هند بنت عُتْبة بن ربيعة بن عبد شَمْس، وكان يهواها. فخطَبها إلى أبيها بعد فِراقها الفاكِهَ بن المُغيرة، فلم ترضَ ثروتَه ومالَه. فوفد على النُّعْمان يستعينه على أمره

(١) أزواد الركب: ثلاثة نفر من قريش: مسافر بن أبي عمرو بن أمية، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزى بن قصيّ، وأبو أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم. سموا بذلك لأنه لم يكن يتزوّد معهم أحد في سفره وكانوا يطعمون كل من يصحبهم ويكفونه الزاد. وكان ذلك خلقاً من أخلاق قريش؛ ولكن لم يسم بهذا الاسم إلّا هؤلاء الثلاثة. (راجع «ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه»).

(٢) سيأتي الكلام عنه في هذه الترجمة.

ثم عاد، فكان أوّلَ مَنْ لقيه أبو سُفْيان، فأعلمه بتزويجه من هند. فأخبرني أحمد بن عُبيدالله بن عَمّار قال حدّثني عمر بن محمد بن عبدالملك الزيّات قال حدّثني أبن أبي سَلَمة عن هشام، قال أبن عَمّار وقد حدّثناه ابنُ أبي سَعْد عن عليّ بن الصبّاح عن هشام، قال أبن عَمّار وحدّثنيه عليّ بن محمد بن سليمان النَّوْفَليّ عن أبيه ـ دخل حديث بعضهم في بعض ـ:

أنّ مسافر بنَ أبي عمرو بن أميّة كان من فِتْيان قريش جمالاً وشعراً وسخاء. قالوا: فعشِق هنداً بنت عُتْبة بن ربيعة وعَشِقته، فأُتُّهِم بها وحملتْ منه. قال بعض الرواة: فقال معروف بن خَرَّبُوذ: فلما بانَ حَمْلُها أو كاد قالت له: اخْرُجْ، فخرج حتى أتى الحِيرةَ، فأتى عَمرو بن هند فكان يُنادمه. وأقبل أبو سُفْيان بن حَرْب إلى الحِيرة في بعض ما كان يأتيها، فلقي مُسَافراً، فسأله عن حال قريش والناس، فأخبره وقال له فيما يقول: وتزوّجتُ هنداً بنت عُتْبة. فدخله من ذلك ما أعتلّ معه حتى أستَسْقَى[1] بطنُه. قال أبن خَرَّبُوذ: قال مُسَافِرٌ في ذلك:

ألا إنّ هنداً أصبحتْ منك مَحْرَماً ... وأصبحتَ من أدنى حُمُوَّتِها حَمَا

وأصبحتَ كالمقمورِ جَفْنَ سلاحه ... يقلِّب بالكَفَّيْنِ قوساً وأَسْهُمَا

فدعا له عمروُ بن هند الأطبّاءَ، فقالوا: لا دواء له إلاّ الكَيّ. فقال له: ما ترى؟ قال: افعَلْ. فدعا له الذي يُعالجه فأحمَى مَكَاوِيَه، فلما صارت كالنار قال: أدْعُ / أقواماً يُمسكونه. فقال لهمْ مسافر: لستُ أحتاج إلى ذلك. فجعل [٥١/٩] يضع المكاويَ عليه. فلما رأى صبْرَه ضَرَطَ الطبيبُ، فقال مسافر:

قد يَضْرِطُ العَيْرُ والمِكْواةُ في النارِ

لما مات رثاه أبو طالب:

ـ فجرتْ مثلاً ـ فلم يَزِدْه إلاّ ثِقَلاً. فخرج يُريد مكة. فلما انتهى إلى موضع يقال له هُبَالة[2] مات فدُفِن بها، ونُعي إلى قُرَيش. فقال أبو طالب بن عبد المطّلب يرثيه:

ليتَ شِعْري مُسَافِرَ بنَ أبي عمـ ... ـرٍو ولَيْتٌ يقولها المحزونُ

رجَع الركبُ سالمين جميعاً ... وخليلي في مَرْمَسٍ[3] مدفونُ

بُورِكَ الميّتُ الغريبُ كما بو ... رِك نَضْرُ[4] الرَّيْحان والزيتونُ

بيتُ صِدْقٍ على هُبَالةَ قد حا ... لَتْ فيافٍ من دونه وحُزونُ

/ مِدْرَهٌ يدفعَ الخصومَ بأيْدٍ ... وبوجهٍ يَزِينُه العِرْنِينُ

٥٠
٨

(١) استسقى بطنه: اجتمع فيه ماء أصفر. وهو المعروف بمرض الاستسقاء.

(٢) قال البكري في «معجم ما استعجم»: إن هبالة: موضع لبني عقيل. وقال ياقوت في كتابه «معجم البلدان» بعد كلام: وقال أبو زياد: هبالة وهبيل من مياه بني نمير. ثم ذكر موت مسافر بن أبي عمرو بها ورثاه أبي طالب بن عبدالمطلب له.

(٣) المرمس: القبر.

(٤) كذا في «معجم ياقوت»: وفي الأصول: «نضح الرمان». والنضح: «البلل. ولعله يعني به العصير.

صـوت

كَـمْ خليـلٍ رُزِئتُـه وٱبـنِ عَـمٍّ ... وحَميـمٍ قضـتْ عليـه المَنُـونُ

فتعـزَّيـتُ بـالتَّـأسِّـي وبـالصبـ ... ـرِ وإنّـي بصـاحبـي لضنيـنُ

غنّى في هذين البيتين يحيى المكّيُّ ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى من رواية ٱبنه والهشاميّ.

وأنشدنا الحرميّ قال أنشدنا الزبير لأبي طالب بن عبدالمطلّب في مسافر بن أبي عمرو:

أَلَا إنّ خيـرَ النـاسِ غيـرَ مُـدَافَـعٍ ... بِسَـرْوِ سُحَيْـمٍ(١) غيَّبَتْـه المقـابـرُ

[٩/٥٢] / تُبَكّـي أبـاهـا أمُّ وَهْـبٍ وقـد نـأى ... وريسـانُ(٢) أمسـى دونـه ويُحَـابِـرُ

علـى خيـرِ حـافٍ مـن مَعَـدٍّ ونـاعـلٍ ... إذا الخيـرُ يُـرْجَـى أو إذا الشـرُّ حـاضـرُ

تَنَـادَوْا ولا أبـو أُمَيَّـة فيهـمُ ... لقـد بُلِغـتْ كَـظَّ النفـوسِ الحنـاجـرُ(٣)

قال وقال النَّوْفليّ: إنّ البيتين:

أَلَا إنّ هنداً أصبحتْ منك مَحْرَماً

والذي بعده لهشام بن المُغيرة، وكانت عنده أسماء بنت مَخْرَمَةَ النَّهْشَلِيّة، فولدت له أبا جهل وأخاه الحارث، ثم غضِب عليها فجعلها مثلَ ظهر أمّه ـ وكان أوّلَ ظِهَار كان ـ فجعلته قريشٌ طلاقاً. فأرادت أسماء الانصراف إلى أهلها، فقال لها هشام: وأين الموعد؟ قالت: الموسم. فقال لها ٱبناها: أَقِيمِي معنا فأقامت معهما. فقال المغيرة بن عبدالله وهو أبو زوجها: أمَا والله لأزوجنّكِ غلاماً ليس بدون هشام، فزوّجها أبا ربيعة ولدَه الآخر، فولدت له عَيَّاشاً وعبدَالله. فذلك قول هشام:

تُحَـدِّثُنـا أسمـاءُ أن سـوف نَلْتَقِـي ... أحـاديـث طَسْـمٍ(٤)، إنمـا أنـت حـالـمُ

وقوله:

أَلَا أصبحـتْ أسمـاءُ حِجْـراً مُحَـرَّمـاً ... وأصبحـتَ مـن أدنـى حُمُـوَّتِهـا حَمَـا

قال النَّوْفليّ في خبره وحدّثني أبي: أنه إنما كان مسافر خرج إلى النُّعمان بن المنذر يتعرّض لإصابة مال ينكِح به هنداً، فأكرمه النعمانُ وٱستظرفه ونادمه وضرب عليه قُبّةً من أَدَمٍ حمراءَ. وكان الملك إذا فعل ذلك برجل عُرِف قدرهُ منه ومكانُه عنده. وقدِم أبو سُفْيان بنُ حَرْب في بعض تِجاراته، فسأله مسافر عن حال الناس بمكة، / فذكر له أنه تزوّج هنداً؛ فاضطرب مسافر حتى مات. وقال بعض الناس: إنه ٱستسقَى بطنُه فكُوِيَ فمات بهذا السبب. قال النَّوْفليّ: فهو أحد مَنْ قتله العشق. [٩/٥٣]

(١) كذا في جـ: ونسخه الشنقيطي مصححة بقلمه. وسرو سحيم: موضع. وفي سائر الأصول: «بسرولنجم» وهو تحريف.
(٢) في م: «ديسان». ويحابر: اسم قبيلة.
(٣) يريد لقد بلغت القلوب الحناجر لكظ النفوس أي لكربها وامتلائها بالهم والحزن.
(٤) طسم: إحدى القبائل العربية القديمة البائدة.

خبر طلاق هند بنت عتبة من الفاكه بن المغيرة:

فأمّا خبر هند وطلاقُ الفاكهِ بنِ المُغيرة إيّاها، فأخبرني به أحمد بن عُبيدالله بن عَمّار قال حدّثني ابن أبي سعد قال حدّثني أبو الشُكَيْن زكريّا بن يحيى بن عمرو بن حِصْن بن حُمَيْد بن حارثة الطائيّ قال حدّثني عمّي زَحْر[1] بن حِصْن عن جَدّه حُمَيْد بن حارثة قال:

كانت هند بنت عُتْبة عند الفاكِه بن المغيرة، وكان الفاكه من فِتْيان قُرَيش، وكان له بيتٌ للضيافة بارزٌ من البيوت يغشاه الناس من غير إذن. فخلا البيتُ ذات يوم، فاضطجع هو وهند فيه ثم نهض لبعض حاجته. وأقبل رجلٌ ممّن كان يغشى البيت فولَجه، فلما رآها رجع هارباً، وأبصره الفاكه فأقبل إليها فضربها برجله / وقال: مَنْ هذا الذي خرج من عندك!؟ قالت: ما رأيت أحداً ولا انتبهت حتى أنبهتني. فقال لها: ارجعي إلى أُمّك. وتكلّم الناس فيها، وقال لها أبوها: يا بُنَيّة! إنّ الناس قد أكثروا فيكِ، فأنبئيني نَبَأَكِ، فإن يكن الرجل عليك صادقاً دَسَسْتُ عليه من يقتله فتنقطع عنك المقالة، وإن يك كاذباً حاكمتُه إلى بعض كُهّانِ اليمن. فقالت: لا والله ما هو عليّ بصادق. فقال له: يا فاكه، إنك قد رميتَ بنتي بأمرٍ عظيم، فحاكِمْني إلى بعض كُهّان اليمن. فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج عُتْبة في جماعة من عبد مَنَاف ومعهم هند ونِسْوة. فلمّا شارفوا البلادَ وقالوا غداً نَرِد على الرجل تنكّرتْ حال هند. فقال لها عُتْبة: إنّي أرى ما حلّ بك من تنكُّر الحال، وما ذاك إلّا لمكروهٍ عندكِ. قالت: لا والله يا أبتاه ما ذاك لمكروه، ولكنّي أعرف أنكم تأتون بَشَراً يخطىء ويصيب، ولا آمنه أن يَسِمَني مِيسَماً يكون عليّ سُبَّةً. فقال / لها: إني سوف أختبره لك، فصَفَر بفرسه حتى أدْلَى[2]، ثم أدخل في إحليله حبّةَ بُرّ وأوكأ عليها بَسِير. فلما أصبحوا قدِموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم. فلما قعدوا قال له عُتْبة: جئناكَ في أمرٍ وقد خبأْتُ لك خَبْئاً أختبرك به فانظر ما هو؟ قال: ثَمرةٌ في كَمَرة[3]. قال: إنّي أريد أبْيَنَ من هذا. قال: حَبّة بُرّ في إحليل مُهْر. قال: صَدَقتَ، انظُرْ في أمر هؤلاء النسوة. فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول: انْهَضِي، حتى دنا من هند فقال لها: انهضي غير رَسْحَاء[4] ولا زانية، وَلَتَلِدِنَّ مَلِكاً يقال له مُعَاوية. فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها، فنثرتْ يدَها من يده وقالت: إليكَ عنّي! فوالله لأحرِصُ أن يكون ذلك من غيرك، فتزوجها أبو سُفْيان.

وقد قيل: إنّ بيتيْ مسافر بن أبي عمرو أعني:

ألَا إنّ هنداً أصبحت منك محرما

لابن عَجْلان[5].

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني عبدالله بن عليّ بن الحسن عن أبي نَصْر عن الأصمعيّ عن عبدالله بن أبي سَلَمة عن أيّوبَ عن ابن سِيرين قال:

(١) في الأصول: «أبو زحر» وهو خطأ. (راجع شرح «القاموس» مادة زحر).

(٢) أدلى الفرس وغيره: أخرج جرذانه ليبول أو يضرب.

(٣) الكمرة: رأس الذكر.

(٤) الرسح: خفة العجيزة ولصوقها.

(٥) هو عبدالله بن العجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب، شاعر جاهلي وهو أحد المتيمين من الشعراء ومن قتله الحب منهم. وكان له زوجة يقال لها هند فطلقها ثم ندم على ذلك، فتزوجت زوجاً غيره فمات أسفاً عليها. (انظر ترجمته في «الأغاني» ج ١٩ ص ١٠٢ طبعة بولاق).

خرج عبدالله بن العَجْلان في الجاهليّة فقال:

ألاَ إنّ هنداً أصبحت منك مَحْرَما ... وأصبحتَ من أدنى حُمُوَّتها حَمَا
فأصبحتَ كالمقمورِ جَفْنَ سلاحِه ... يُقَلِّب بالكَفَّين قوساً وأَسْهُما

[٩/٥٥] / شعر لمسافر في الفخر:

ثم مَدّ بهما صوته فمات. قال ابن سيرين: فما سمعتُ أن أحداً مات عشقاً غير هذا. ومما يغنّي فيه من شعر مسافر بن أبي عمرو وهو من جيِّد شعره قوله يفتخر:

صــوت

ألم نَسْقِ الحَجِيجَ ونَنْـ ... ـحَرِ المِذْلاقَةَ[١] الرُّفُدا
وزمزمُ من أرومتنا ... ونفقأ عينَ مَنْ حَسَدا
وإنّ مناقبَ الخيرا ... تِ لم نُسْبَق بها عَدَدَا
فإنْ نَهْلِكْ فلم نملك ... وهل من خالدٍ خَلَدا

غنّاه ابنُ سُرَيج رَمَلاً بالخِنْصر في مجرى البِنْصر عن إسحاق. وفيه لسائب خاثر لحن من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى من رواية حَمّاد. وفيه للزّفّ ثقيل بالوسطى.

٨/٥٢ / فأما خبر عمارة بن الوليد والسبب الذي من أجله أمر النّجاشيُّ السواحرَ فسحرته

ما كان بين عمرو وعمارة لدى النجاشي:

فإن الواقديّ ذكره عن عبدالله بن جعفر بن أبي عَوْن قال:

كان عُمارة بن الولَيد المخزوميّ بعدما مشتْ[٢] قُرَيش بعُمَارة إلى أبي طالب خرج هو وعمرو بن العاص بن [٩/٥٦] وائل السَّهْميّ، وكانا كلاهما تاجرين، إلى النجاشيّ، وكانت / أرض الحبشة لقريش مَتْجَراً ووَجْهاً، وكلاهما مُشرِكٌ شاعرٌ فاتكٌ وهما في جاهليّتهما، وكان عُمارة مُعْجَباً بالنساء صاحبَ محادثة[٣]؛ فركبا في السفينة لياليَ فأصابا من خمر معهما. فلما انتشى عُمَارةُ قال لامرأة عمرو بن العاص: قَبّليني. فقال لها عمرو: قَبِّلي ابنَ عمّكِ فقبّلته. وحذِر عمرو على زوجته فرصَدها ورصدتْه، فجعل إذا شرب معه أقلّ عمروٌ من الشراب وأَرَقَّ لنفسه بالماء مخافةَ أن يسكَر فيغلبَه عُمارةُ على أهله. وجعل عُمارة يُراودها على نفسها فامتنعتْ منه. ثم إنّ عمراً جلس إلى ناحية السفينة يبول،

(١) كذا في «اللسان» (بمادتي ذلق ورفد). والمذلاقة: يريد بها النوق السريعة السير وفي الأصول: «الدلافة» وهو تحريف. والرفد: جمع رفود وهي التي تملأ الرفد (وهو بالفتح والكسر القدح الضخم) من النوق في حلبة واحدة.

(٢) قال ابن إسحاق: ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبي خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له فيما بلغني: «يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله. فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولداً فهو لك وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله فإنما هو رجل كرجل. فقال: والله لبئس ما تسومونني! أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبداً». («سيرة ابن هشام» ج ١ ص ١٦٩).

(٣) يحتمل أن تكون: «صاحب مخادنة». والرجل يوصف بأنه حدث نساء كما يوصف بأنه خدنهن.

فدفعه عُمارة في البحر. فلمّا وقع فيه سبَح حتى أخذ بالقَلْس[١] فارتفع فظهر على السفينة. فقال له عمارة: أمَا والله لو علمتُ يا عمرو أنك تُحسن السِّباحة ما فعلتُ. فأضطغنها عمرو وعلم أنه أراد قتله. فمضينا على وجههما ذلك حتى قدِما أرضَ الحبشة ونزلاها. وكتب عمرو بن العاص إلى أبيه العاص أنِ أخلَعْني وتبرّأ من جَريرتي إلى بني المُغيرة وجميع بني مخزوم. وذلك أنه خشِي على أبيه أن يُتبَع بجريرته وهو يَرْصُد لعُمارة ما يَرْصُد. فلما ورد الكتابُ على العاص بن وائل مشى في رجال من قومه منهم نُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحَجّاج[٢] إلى بني المغيرة وغيرِهم من بني مخزوم فقال: إنّ هذين الرجلين قد خرجا حيث علِمتم، وكلاهما فاتكٌ صاحبُ شرّ، وهما غير مأمونين على أنفسهما ولا ندري ما يكون. وإنّي أبرأ إليكما من عمرو ومن جريرته وقد خلعتُه. فقالت بنو المغيرة وبنو مخزوم: أنت تخاف عمراً على عمارة! وقد خلعنا نحن عُمارةَ وتبرأنا إليك من جريرته، فخلِّ بين الرجلين. فقال السَّهْميّون[٣]: قد قبِلنا، / فابعثوا منادياً بمكة أنّا قد خلعناهما. وتبرأ كلُّ قوم من صاحبهم ومما جرّ عليهم، فبعثوا [٩/٥٧] منادياً ينادي بمكة بذلك. فقال الأسود بن المطَّلب: بَطَل والله دمُ عُمَارة بن الوليد آخرَ الدهر!. فلما اطمأنّا بأرض الحبشة لم يلبَث عُمَارة أن دبّ لامرأة النجاشيّ فأدخلته فأختلف إليها. فجعل إذا رجع من مَدْخَله يخبر عمرو بن العاص بما كان من أمره. فجعل عمرو يقول: ما أُصَدِّقك أنك قدَرتَ على هذا الشأن، إنّ المرأة أرفع من ذلك. فلما أكثر على عمرو مما كـان يُخبره، وقد كان صدّقه ولكن أحبّ التثبُّت، وكان عُمَارة يغيب عنه حتى يأتيَه في السَّحَر، وكان في منزلٍ واحد معه، وجعل عمارة يدعوه إلى أن يشرب معه فيأبى عمرو ويقول: إنّ هذا يشغلُك عن مَدْخَلك، وكان عمرو يريد أن يأتيه بشيء لا يستطيع دَفْعَه إنْ هو رفَعه إلى النجاشيّ. فقال له في بعض ما يذكُر له من أمرها: إنْ كنتَ صادقاً فقل لها تَدْهُنك من دُهْن النجاشيّ الذي لا يَدَّهِنُ به غيرهُ فإنّي أعرفه، لو أتيتَني به لصدَّقتك. ففعل عُمَارة [فجاء[٤]] بقارورة من دُهْنه، فلمّا شمَّه عرَفه. فقال له عمرو عند ذلك: أنت صادقٌ! لقد أصبتَ شيئاً ما أصاب / أحدٌ مثلَه قطُّ من العرب ونلتَ من امرأة الملك شيئاً ما سمعنا بمثل هذا ـ وكانوا أهلَ ٥٣/٨ جاهليّة ـ ثم سكت عنه، حتى إذا اطمأنّ دخل على النجاشيّ فقال: أيها الملك! إنّ ابن عمّي سفيهٌ، وقد خشِيتُ أن يَعُرّني[٥] عندكَ أمرُهُ، وقد أردتُ أن أُعلِمَك شأنَه. [ولم أفعل[٦]] حتى استثبتُّ أنّه[٧] قد دخل على بعض نسائك فأكثر. وهذا من دُهْنك قد أُعطِيَه ودهنَني منه. فلما شمّ النجاشيُّ الدُّهن قال: صدَقتَ، هذا دُهْني الذي لا يكون إلّا عند نسائي. ثم دعا بعُمَارَة / ودعا بالسواحر، فجرّدوه من ثيابه فنفَخْن في إحليله، ثم خلَى سبيلَه فخرج هارباً[٨]. [٩/٥٨] فلم يزل بأرض الحبشة حتى كانت خلافةُ عمرَ بنِ الخَطّاب. فخَرج إليه عبدالله بن أبي ربيعة ـ وكان اسمه قبل أن

(١) القلس: حبل غليظ من حبال السفن.

(٢) هما نبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن بقة بن سعد بن سهم، كانا من أشراف قريش، ماتا على الشرك في غزوة بدر؛ قتل الأوّل حمزة بن المطلب، والثاني أبو اليسر أخو بني سلمة. («السيرة» ج ١ ص ٣٢٤، ٤٣٦، ٤٧٥، ٥١٠).

(٣) السهميون: قوم عمرو بن العاص، وبنو سهم من هصيص بن كعب بن لؤي.

(٤) زيادة عن «تجريد الأغاني».

(٥) عره: لطخه بعيب.

(٦) التكملة عن «تجريد الأغاني».

(٧) في الأصول: «حتى استثبت وأنه...» بزيادة الواو.

(٨) في «تجريد الأغاني» «فخرج هارباً هائماً على وجهه مع الوحش. ومتى رأى الإنس هرب منهم وطلع له شعر غطى جميع بدنه. ولم يزل كذلك مدّة أيام النبيّ ﷺ وأيام أبي بكر رضي الله عنه وصدرا من خلافة عمر رضي الله عنه، فخرج إليه... إلخ».

يسلم بَحِيراً فسمّاه رسول الله ﷺ عبدالله ـ فرصده على ماء بأرض الحبشة، وكان يَرِدُه مع الوحش، فورد، فلما وجد رِيحَ الإنس هرَب، حتّى إذا أجهده العطشُ ورَد فشرِب حتى تملأ[1]، وخرجوا في طلبه. فقال عبدالله بن أبي ربيعة: فسعيت إليه فالتزمته، فجعل يقول لي: يا بَحِيرُ أرْسِلْني! يا بَحِير أرسلني! إني أموت إن أمسكتموني. قال عبدالله: وضغطتُه[2] فمات في يدي مكانَه. فواراه ثم انصرف. وكان شَعره قد غطّى على كل شيء منه.

قال الواقديّ عن ابن أبي الزِّناد: وقال عمرو لعُمَارة: يا فائد، إن كنتَ تحبّ أن أصَدِّقك بهذا أو أقبَلَه منك فأتني بثوبين أصفرين. فلمّا رأى النجاشيّ الثوبين قال له عمرو: أتعرِف الثوبين؟ قال نعم.

وقال الواقِديّ عن ابن أبي الزِّنَاد عن أبيه، قال النجاشيّ لعُمَارة: إنّي أكره أن أقتل قُرَشيّاً، ولو قتلتُ قرشيّاً لقتلتك، فدعا بالسواحر.

شعر عمرو بن العاص في عمارة:

فقال عمرو بن العاص يذكر عُمَارة وما صنع به ـ قال الواقديّ أخبرني ابن أبي الزِّناد أنه سمع ذلك من ابن ابنه عمرو بن شُعَيب بن عبدالله بن عمرو يذكره لجَدِّه ـ:

[٩/٥٩] / تَعلَّمْ عُمَارُ أنّ مِن شرِّ شِيمةٍ ... لمثلِك أن يُدْعَى ابنُ عَمٍّ له ابْنَمَا

وإنْ كنتَ ذا بُرْدَيْنِ أحْوَى مُرَجَّلاً ... فلستَ براعٍ[3] لآبنِ عمِّك مَحْرَمَا

إذا المرءُ لم يترك طعاماً يُحِبُّه ... ولم يَنْهَ قلباً غاوياً حيث يَمَّمَا

قضَى وَطَراً منه يسيراً وأصبحتْ ... إذا ذُكِرتْ أمثالُها تملأ الفما

فليس الفتى ولو أَتَمَّتْ[4] عروقُه ... بذي كرمٍ إلاّ بأن يتكرَّمَا

صَحِبتُ من الأمر الرفيق طريقه ... ووَلَّيتُ غَيَّ الأمرِ مَنْ قد تَلَوَّما

مِن الآن فانْزِعْ عن مَطاعِمَ جَمَّةٍ ... وعالِجْ أمورَ المجد لا تَتَنَدَّما

شعر خولة بنت ثابت في عمارة:

قال إسحاق وحدّثني الأصمعيّ: أنّ خَوْلَةَ بنتَ ثابت أختَ حسّان قالت في عُمارة لمّا سُحِر:

يا ليلتي[5] لم أنَمْ ولم أكَدِ ... أقطَعُها بالبكاء والسَّهَدِ

أبكي على فِتْيَةٍ رُزِئتُهمُ ... كانوا جِبالي فأوهنوا عَضُدِي

كانوا جمالي ونُصْرتي وبهم ... أمْنَع ضَيْمِي وكلُّ مُضْطَهِدِ

فبعدَهم أرقُب النجومَ وأُذْ ... رِي الدمعَ والحزنُ والجٌ كَبِدِي

(١) كذا في «تجريد الأغاني». وتملأ الرجل من الطعام والشراب: امتلأ. وفي الأصول: «ملأ».

(٢) كذا في أ، م وفي سائر الأصول: «وضبطته».

(٣) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «براء».

(٤) أتمت عروقه: بلغت تمامها في الكرم.

(٥) في الأصول: «يا ليتني» وهو تحريف.

قال الأصمعيّ واجتاز ابنُ سريج بطُوَيس ومعه فِتيةٌ من قريش وهو يغنّيهم في هذا / الصوت، فوقف حتى سمعه، ثم [٥٤/٨] أقبل عليهم فقال: هذا والله سيِّد مَنْ غنّاه.

هذه الأصوات التي ذكرتُها الجامعةُ للنَّغَم العَشْرِ والثماني النَّغَمِ[١] منها هي المشهورة المعروفة عند الرُّواة وفي روايات الرُّواة وعند المغنِّين.

كان عبيدالله يراسل المعتضد على لسان جواريه:

وكان عُبَيدالله بن عبدالله بن طاهر يُراسل المعتضد بالله إذا استزار جواريَه على ألسنتهم ومع ذوي الأُنس عنده من رُسله: مع أحمد بن الطَّيِّب وثابت بن قُرَّة / الطائي، يذكر النَّغَم وتفصيلَ مَجاريها ومعانيها حتى فَهِم ذلك. [٦٠/٩]
فصنع لحناً فجمَع النَّغَم العشر في قول دُرَيْد بن الصِّمّة:

يـــا ليتنـــي فيهـــا جَـــذَعْ ... أَخُـــبُّ فيهـــا وأَضَـــعْ

كان المكتفي يراسله في الغناء:

وصنع صنعةً مُتقنة جيّدة، منها ما سمعناه من المُخَسِّنين والمُخَسِّنات ومنها ما لم نسمعه، يكون مبلغُها نحوَ خمسين صوتاً. وقد ذكرتُ من ذلك ما صلحَ في أغاني الخلفاء. ثم صنع مثل ذلك للمكتفِي[٢] بالله لرغبته في هذه الصناعة.
فوجدتُ رقعةً بخطه كتب بها إلى المكتفي نسختُها: «قال إسحاقُ بن إبراهيم حين صاغ عند أبي العبّاس عبدالله بن طاهر بأمره لحنَه في:

يـــومَ تُبْـــدِي لنـــا قُتَيْلـــةُ عـــن جِيـــ ... ـــدٍ تَلِيـــعٍ[٣] تَـــزِينـــه الأطـــواقُ
وشَتِيـــتٍ كـــالأُقْحُـــوانَ جَـــلاه الـــطَّـــلُ ... فيـــه عُـــذوبـــةٌ واتِّســـاقُ

إني نظرتُ مع إبراهيم وتصفّحتُ غناءَ العرب كلَّه، فلم نجد في جميع غناء العرب صوتاً أطول إيقاعاً من:

عـــادَكَ الهـــمُّ ليلـــةَ الإيجـــافِ[٤] ... مـــن غـــزالٍ مُخَضَّـــبِ الأطـــرافِ

ولحنه خفيفُ ثقيلٍ لابن مُحْرِزٍ؛ فإن إيقاعه ستة وخمسون دَوْراً. ثم لحنِ مَعْبَد:

هُـــرَيْـــرَةَ وَدِّعْهـــا وإن لامَ لائـــمُ ... غـــداةَ غـــدٍ أمْ أنـــتَ للبَيْـــنِ واجـــمُ

وهو أحد سَبْعتِه[٥]. ولحنُه خفيفُ ثقيلٍ، ودَوْر إيقاعِه ستّةٌ وخمسون دَوْراً، إلا أن صوت ابن مُحْرز سُدَاسيٌّ في العَرُوضِ من الخفيف، وصوتَ مَعْبَد ثُمَانيٌّ من الطويل؛ فصوتُ ابن محرز أعجبُ لأنه أقصر. وما زلنا حتى تهيَّأ لنا شعرٌ رُبَاعيٌّ في سيِّدنا أميرِ المؤمنين أطال الله بقاءه، دَوْرُ إيقاعِه ستَّة وخمسون دَوْراً، وهو يجمع من النَّغَم / العَشْرِ [٦١/٩] ثمانياً؛ وهذا ظريف جِدّاً بديع لم يكن مثلُه. وأمّا الصوت الذي في تهنئة النَّوْرُوز فلأنفسِنا عمِلناه؛ إذ لم يكن لنا مَنْ

(١) في الأصول: «الثماني نغم» بدون أداة التعريف في المضاف إليه.
(٢) في الأصول: «بالمكتفي» وهو تحريف.
(٣) تليع: طويل.
(٤) الإيجاف: سرعة السير.
(٥) أي أحد أصواته السبعة وهي مدنه المعروفة. وفي الأصول: «أحد سبعاته».

يدبِّر مثلُ هذا معه غيرُه. وقد كتبنا شعره وشعرَ الآخر، وإيقاعُ كلّ واحد منهما خفيفُ ثقيل، والصنعةُ فيهما تُستَظْرَف:

جُمِع الخلائفُ[1] كلّهم لجميع[2] ما ... بلَغوا وأُعْطُوا في الإمام المكتفِي

وله الهدايا ألفُ نَوْرُوزٍ وهـ ... ـذا الشعرُ منها لحنُه لم يُعْرَفِ

والآخر:

دولـةُ المكتفِـي الخليـ ... ـفةِ تُفْنـى مَـدَى الـدُّوَلْ

يـومُ عِيـدٍ ويـومُ عُـرْ ... سٍ فمـا بعـدَهـا أمَـلْ

الصنعةُ في البيت الأوّل خاصّةً تدور على ستة وخمسين إيقاعاً».

هكذا وجدت في الرقعة بخط عُبَيدالله. وما سمعتُ أحداً يغنّي هذين الصوتين. وقد عرضتهما على غير واحد من المتقدّمين / ومن مغنّيات القصور فما عرَفهما أحدٌ منهن. وذكرتهما في الكتاب لأنّ شَريطته تُوجب ذكرهما. ٥٥/٨

الأرمال الثلاثة المختارة

الأرمال المختارة والكلام عنها:

أخبرني يحيى بن عليّ ومحمد بن خَلَف وَكيع والحُسَين بن يحيى قالوا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي، قال أبو أحمد رحمه الله وأخبرني أبي أيضاً عن إسحاق، وأخبرنا عليّ بن عبدالعزيز قال حدّثنا عُبَيدالله بن خُرْدَاذْبه قال قال إسحاق: أجمع العلماء بالغناء أن أحسن رَمَلٍ غُنّي رَمَلُ:

فلم أرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ ناظِرٍ

[٩/٦٢] / ثم رملُ:

أفاطمُ مَهْلاً بعضَ هذا التدلُّلِ

ولو عاش ابنُ سُرَيج حتى يسمع لحنِي الرملَ:

لعلّكَ إن طالت حياتُك أن تَرَى

لاستحيا أن يصنع بعده شيئاً. وفي روايتَيْ وَكيع وعليّ بن يحيى «ولعلم[3] أني نعم الشاهد له».

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «الخلائق» بالقاف.
(٢) كذا في الأصول: ولعله: «بجميع».
(٣) لعل الواو من زيادات النساخ.

نسبة الأصوات وأخبارها:

صوت

الصوت الأوّل من هذه الأرمال في شعر ابن أبي ربيعة:

فلـم أرَ كـالتّجميـر منظـرَ نـاظـرٍ ولا كليـالـي الحـجّ أَفْلَتْـنَ ذا هـوَى
فكـم مـن قَتيـلٍ مـا يُبـاءُ[1] بـه دمٌ ومـن غَلِـقٍ رهنـاً إذا لفَّـه مِنَـى
ومـن مـالـىءٍ عينيـه مـن شَـيْءِ غيـره إذا راح نحـوَ الجمـرةِ البِيـضُ كـالـدُّمَـى
يُسحِّبْـنَ أذيـالَ المُـرُوطِ بـأسْـوُقٍ[2] خِـدَالٍ وأعجـازٍ مـآكِمُهـا[3] روَا

عروضه من الطويل. الشعر لعمرَ بنِ أبي رَبيعة. والغناء لابن سُرَيج رملٌ بالبنصر. وقد كان عَلّويه فيما بلغنا صنَع فيه رملاً، وفي «أفاطم مهلاً» خفيفَ رملٍ، وفي «لعلّك إن طالت حياتُك» رملاً آخر، ولم يصنع شيئاً وسقطت ألحانُه فيها فما تكاد تُعرف. وهذه الأبيات يقولها عمرُ بن أبي رَبيعة في بنت مَرْوانَ بـنِ الحَكَم.

/ ابن أبي ربيعة وأم عمرو بنت مروان: [٩/ ٦٣]

أخبرني الحرميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا ابن كُناسة عن أبي بكر بن عَيّاش قال:

حجَّت أمُّ عمرو بنتُ مروان، فلما قضتْ نُسُكها أتت عمرَ بن أبي ربيعة وقد أخفتْ نفسَها في نساءٍ معها، فحادثته ثم انصرفت، وعادت إليه مُنْصَرَفَها من عرفات وقد أثبتها. فقالت له: لا تذكُرْني في شعرك، وبعثت إليه بألف دينار. فقبِلها واشترى بها ثياباً من ثياب اليمن وطِيباً فأهداه إليها فردّته. فقال: إذاً واللهِ أنْهبه الناسَ فيكونُ مشهوراً؛ فقبلتْه. وقال فيها:

أيُّهـا الـرائـحُ المُجِـدُّ ابتكـارَا قـد قضَـى مـن تِهـامـةَ الأوطـارَا
مَـنْ يكـنْ قلبُـه الغـداةَ خليّـاً ففـؤادي بـالخَيْـفِ أَمْسَـى مُعَـارَا
ليـت ذا الـدهـرَ كـان حتمـاً علينـا كـلَّ يـومـيـن حِجَّـةً واعتمـارَا

قال ابنُ كُناسة قال ابن عَيّاش: فلما وُجِّهتْ منصرفةً قال فيها:

فكـم مـن قَتيـلٍ مـا يُبـاء بـه دمٌ ومـن غَلِـقٍ رهنـاً إذا لفَّـه مِنَـى

/ قال: ويُروى «ومن غَلِقٍ رهنٍ» كأنه قال ومن رهنٍ غَلِقٍ؛ لا يُجعل من نعت الرهن. كأنه جعل الإنسان غَلِقاً وجعله رَهْناً؛ كما يقال: كم من عاشقٍ مُذْنَفٍ، ومن كَلِفٍ صَبٍّ. [٥٦/ ٨]

قال الزُّبَير وحدّثني مُسْلِم بن عبدالله بن مُسْلِم بن جُنْدَب عن أبيه قال: أنشدِه ابنُ أبي عَتيق فقال: إن في نفس الجمل ما ليس في نفس الجمّال.

---

(١) أباء فلان القتيل بالقاتل: قتله به. يريد: كم من قتيل يطل دمه ولا يؤخذ له بثأر. وغلق الرهن في يد المرتهن يغلق غلقاً. لم يقدر الراهن على افتكاكه في الوقت المشروط. يريد: كم من قلوب أسيرة لا يقدر أصحابها على افتكاكها.
(٢) الأسوق: جمع ساق. والخدال: الممتلئة.
(٣) المآكمة: العجيزة.

قال: وقال عبدالله بن عمر، وقد أنشده عمر بن أبي ربيعة شعرَه هذا: يأبن أخي! أمَا اتَّقيتَ اللهَ حيث تقول:

ليت ذا الدهرَ كان حتماً علينا كلَّ يومين حِجَّةً واعتمارًا

فقال له عمر بن أبي ربيعة: بأبي أنت وأمي! إني وضعت لَيْناً حيث لا تُغنى.

[٩/٦٤] / أمر عمر بن عبدالعزيز بنفيه ثم خلاه لما تاب:

أخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه، وأخبرني عليّ بن عبدالعزيز عن عبيدالله بن عبدالله عن إسحاق، وأخبرني ببعض هذا الخبر الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكار قال حدّثنا مُصعَب بن عثمان:

أنّ عمر بن عبدالعزيز لمّا وليَ الخلافةَ لم تكن له همةٌ إلا عمرَ بنَ أبي ربيعة والأحوصَ. فكتب إلى عامله على المدينة: «قد عرفت عمر والأحوص بالخبث والشرّ. فإذا أتاك كتابي هذا فأشدُدْهما واحمِلْهما إليّ». فلما أتاه الكتاب حملهما إليه. فأقبل على عمر فقال له هِيه!

فلـم أر كـالتَّجْمِيرِ منظـرَ نـاظـرٍ ولا كليالي الحـجّ أَفْلَتْـنَ ذا هـوَى

وكـم مـالـيءٍ عينيـه مـن شـيءِ غيـرِه إذا راح نحـوَ الجمـرةِ البِيـضُ كـالـدُّمَـى

فإذا لم يُفْلت الناس منك في هذه الأيام فمتى يُفلتون! أمَا والله لو اهتممتَ بأمر حَجّك لم تنظر إلى شيءٍ غيرك! ثم أمر بنفيه. فقال: يا أمير المؤمنين، أوَ خيرٌ من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: أعاهد الله ألّا أعود إلى مثل هذا الشعر ولا أذكُرَ النساء في شعرٍ أبداً وأُجدّدَ توبةً على يديك. قال: أوَ تفعل؟ قال نعم. فعاهد الله على توبةٍ وخلّاه. ثم دعا بالأحوص فقال هيه!

نفى الأحوص ولم يطلقه إلا يزيد بن عبدالملك:

اللهُ بيني وبين قَيِّمها يهرُب منّي بها وأتَّبعُ

يا اللهُ بين قيِّمها وبينك! ثم أمر بنفيه إلى بِيش[١]، وقيل إلى دَهْلَك وهو الصحيح، فنُفي إليها، فلم يزل بها. فرحل إلى عمرَ عدّةٌ من الأنصار فكلّموه في أمره وسألوه أن يقدِمه وقالوا له: قد عرفتَ نسبه وقِدَمَه وموضعه وقد أُخرج [٩/٦٥] إلى بلاد / الشرك، فنطلب إليك أن تردّه إلى حرم رسول الله ﷺ ودار قومه. فقال لهم عمر: مَنِ الذي يقول:

فما هو إلّا أن أراها فُجَاءةً فأُبْهَتَ حتى ما أكاد أُحير

ـ وفي رواية الزبير «أُجيب» مكان «أُحير» ـ قالوا: الأحوص[٢]. قال: فمن الذي يقول:

أدُورُ ولولا أنْ أرَى أُمَّ جَعْفَرٍ بأبياتكم ما دُرْتُ حيث أدورُ

وما كنتُ زَوّاراً ولكنّ ذا الهوى إذا لم يَزُرْ لا بدّ أن سيزورُ

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

(١) بيش: من بلاد اليمن قرب دهلك. ودهلك جزيرة في بحر اليمن، مرسى بين بلاد اليمن والحبشة، بلدة ضيقة حرجة حارة وهي تجاه مصوع. وكان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها. (عن «معجم البلدان» لياقوت).

(٢) نسب هذا البيت لعروة بن حزام. (انظره في ترجمته ج ٢٠ ص ١٥٦ من «الأغاني» طبع بلاق).

كأنّ لُبْنَى صَبِيرُ[1] غاديةٍ   أو دُمْيةٌ زُيِّنت بها البِيَعُ
اللهُ بيني وبين قَيِّمِها   يَهرب منّي بها وأتَّبِعُ

/ قالوا: الأحوص. قال: إن الفاسق عنها يومئذٍ لمشغول، والله لا أردّه ما كان لي سلطان. فمكث هناك بعد ولاية عمر صادراً من ولاية يزيد بن عبدالملك ثم خلّاه. ٥٧/٨

قال: وكتب إلى عمر بن عبدالعزيز من موضعه ـ قال الزُّبير: أنشدنيها عبدالملك بن عبدالعزيز ابن بنت الماجِشُون قال أنشدنيها يوسف بن الماجشون يعني هذه الأبيات ـ:

أيا راكباً إمّا عَرَضتَ فبلِّغن   هُدِيتَ أميرَ المؤمنين رسائلي
وقُلْ لأبي حفصٍ إذا ما لَقِيتَه   لقد كنتَ نفّاعاً قليلَ الغوائلِ
أفي اللهِ أن تُدْنُوا ابنَ حزمٍ[2] وتقطَعوا   قُوَى حُرُماتٍ بيننا وَوَصائلِ[3]
/ فكيف ترى للعيش طِيباً وَلَذّةً   وخالُك أمسى مُوثَقاً في الحبائلِ [٦٦/٩]
وما طمِع الحَزْمِيُّ في الجاه قبلها   إلى أحدٍ من آل مَرْوان عادِلِ
وشَى وأطاعوه بنا وأعانَه   على أمرنا مَنْ ليس عنّا بغافلِ
وكنتُ أرَى أنّ القرابة لم تَدَعْ   ولا الحُرُماتِ في العصور الأوائلِ
إلى أحدٍ من آل مَرْوان ذي حِجًى[4]   بأمرٍ كرهناه مقالاً لقائلِ
يُسَرّ بما أَنْهَى العدوُّ وإنّه   كنافلةٍ لي من خيار النوافلِ
فهل يَنْقُصَنّي القوم أن كنتُ مُسْلِماً   بريئاً بلائي في لَيالٍ قلائلِ
ألا ربّ مسرورٍ بنا سيغيظه   لدي غِبّ أمرٍ عضُّه بالأناملِ
رَجَا الصُّلحَ منّي آلُ حَزْمِ بن فَرْتَنَى   على دِينهم جهلاً ولستُ بفاعلِ
ألا قد يُرَجُّون الهوانَ فإنهم   بنو حَبَقٍ[5] ناءٍ عن الخير فائلِ
على حينَ حَلّ القولُ بي وتنظَّرت   عقوبتَهم منّي رؤوسُ القبائلِ
فمَن يكُ أمسَى سائلاً بشماتةٍ   بما حلّ بي أو شامتاً غيرَ سائلِ
فقد عَجِمتْ منّي العواجمُ ما جداً   صبوراً على عضّات تلك التلاتلِ[6]
إذا نال لم يَفْرَحْ وليس لنكبةٍ   إذا حدثتْ بالخاضع المتضائلِ

قال الزبير: وقال الأحوص أيضاً:

(١) الصبير: السحابة البيضاء.
(٢) يريد به أبا بكر بن محمد عمرو بن حزم والي المدينة لعمر بن عبدالعزيز.
(٣) في حـ: «ووسائلي» والوصائل: جمع وصيلة، وهي ما يوصل به الشيء.
(٤) كذا في حـ: وفي سائر الأصول: «ذي حمى».
(٥) الحبق، الضراط.
(٦) التلاتل: الشدائد.

هَلَ أنتَ أميرَ المؤمنينَ فإنّني بودِّك من ودّ العبادِ لقانعُ
متمَّمُ أجرٍ قد مضَى وصنيعةٍ لكم عندنا أو ما تُعَدّ الصنائعُ
فكم من عدوٍّ سائلٍ ذي كَشَاحَةٍ ومنتظرٍ بالغيب ما أنت صانعُ

فلم يُغن عنه ذلك ولم يُخلِ سبيل عمرُ، حتى ولِي يزيدُ بن عبدالملك فأقدمه وقد غنّته حَبَابةُ بصوت في شعره.

[٩/٦٧] / أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال قال هشام بن حَسّان:

كان السبب في ردّ يزيد بن عبدالملك الأحوصَ أن جميلة غنّته يوماً:

كريمُ قريشٍ حين يُنْسَبُ والّذي أقرّتْ له بالملك كَهْلاً وأمرَدا

فطرِب يزيد وقال: وَيْحِك! مَنْ كريمُ قريشٍ هذا؟ قالت: أنت يا أمير المؤمنين، ومَنْ عَسَى أن يكون ذلك غيرَك! قال: ومَنْ قائلُ هذا الشعرَ فيّ؟ قالت: الأحوص وهو منفيّ. فكتب بردّه / وحَمْلِه إليه وأنفذ إليه صِلاتٍ سنيّة. فلمّا قدِم إليه أدناه وقرّبه وأكرمه. وقال له يوماً في مجلس حافل: والله لو لم تَمُتَّ إلينا بحقٍّ ولا صِهرٍ ولا رَحِمٍ إلاّ بقولك: [٥٨/٨]

وإنّي لأستحييكُم أن يقودَني إلى غيركم من سائر الناس مَطْمَعُ

لكفاك ذلك عندنا. قال: ولم يزل ينادمه وينافس به حتى مات. وأخبار الأحوص في هذا السبب وغيره قد مضت مشروحةً في أوّل ما مضى من ذكره وأخباره؛ لأن الغرض ها هنا ذكر بقية خبره مع عمر بن أبي ربيعة في الشعرين اللّذين أنكرهما عليهما عمرُ بن عبدالعزيز وأشخصا من أجلهما.

سليمان بن عبدالملك ونفيه ابن أبي ربيعة إلى الطائف:

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال: مصعب بن عبدالله قال:

حَجّ سليمان بن عبدالملك وهو خليفة، فأرسل إلى عمرَ بن أبي ربيعة فقال له: ألستَ القائل:

فكم من قتيلٍ ما يُباء به دمٌ ومن غَلِقٍ رهناً إذا لَفّه مِنَى
ومن مالىءٍ عينيه من شيء غيره إذا راح نحوَ الجمرة البِيضُ كالدُّمَى
يسحَبْن أذيالَ المُروط بأسْوُقٍ خِدالٍ وأعجازٍ مآكمُها رِوَا
[٩/٦٨] / أوانسُ يسلُبن الحليمَ فؤادَه فيا طُول ما شوقٍ ويا طول مُجْتلَى[1]

قال نعم. قال لا جرم والله لا تحضَر الحجَّ العامَ مع الناس! فأخرَجه إلى الطائف.

ابن أبي عتيق وغناء ابن سريج:

أخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حَمّاد قرأت على أبي حدّثني ابنُ الكَلْبيّ عن أبي مسكين وعن صالح بن حسّان قال:

قدِم ابنُ أبي عَتيق إلى مكة فسمع غناء ابن سُرَيج:

(١) كذا في أ و «ديوانه» طبع مطبعة السعادة ص ١٦. وفي سائر الأصول: «ويا طول ما اجتلى».

فلــم أر كــالتجميــر مَنْظَــرَ نــاظــرٍ ولا كليــالــي الحــجّ أفلتــنَ ذا هــوى

فقال: ما سمعت كاليوم قطُّ، وما كنت أحسَب أن مثل هذا بمكة، وأمر له بمال وحدّره معه إلى المدينة، وقال: لأصغِّرَنَّ[1] إلى مَعْبَد نفسه ولأهدينّ إلى المدينة شيئاً لم ير أهلها مثلَه حسناً وظَرفاً وطيب مجلس ودماثة خُلق ورقّة منظر ومِقَةً[2] عند كل أحد. فقدِم به المدينةَ وجمع بينه وبين معبد. فقال لابن سُريج: ما تقول فيه؟ قال: إن عاش كان مغنّي بلاده.

أبو السائب وابن سريج:

وقال إسحاق وحدّثني المدائني عن جرير قال: قال لي أبو السائب يوماً: ما معك من مُرْقِصات ابن سريج؟ فغنّيته:

فلم أر كالتجمير منظرَ ناظر

فقال: كما أنت حتى أتَحَرّم لهذا بركعتين.

الوليد بن عبدالملك يأمر والي المدينة أن يشخص إليه ابن سريج:

حدّثني الحسين قال قال حمّاد قرأت على أبي وحدّثني أبو عبدالله الزبيري قال:

كتب الوليد بن عبدالملك إلى عامل مكة أن أشخِصْ إليّ ابن سُريج. فورد الرسول إلى الوالي، فمرّ في بعض طريقه على ابن سُرَيج وهو جالس بين قَرْنَيْ بئرٍ وهو يغنّي:

فلم أر كالتجمير منظر ناظر

/ فقال له الرسول: تالله ما رأيتُ كاليوم قطُّ ولا رأيت أحمقَ ممّن يتركك ويبعث إلى غيرك. فقال له ابن سُريج: أمّا [٦٩/٩] والله ما هو بقَدَمٍ ولا ساق، ولكنه بقِسَمٍ وأرزاق. ثم مضى الرسول فأوصل الكتاب، وبعث الولي إلى ابن سريج فأحضره. فلما رآه الرسول قال: قد عجبت أن يكون المطلوبُ غيرَك.

عبدالله بن الزُّبير يعجب لسماع غناء ابن سريج:

أخبرني الحرميّ بن أبي العَلاَء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال رَقِيَ عبدالله بن الزُّبَيْر أبا قُبَيس[3] ليلاً، فسمع / غناءً فنزل هو وأصحابه يتعجّبون وقال: لقد سمعت صوتاً إن كان من الإنس إنه لعجب، وإن كان من ٥٩/٨ الجن لقد أعطوا شيئاً كثيراً. فاتّبعوا الصوت فإذا ابن سُرَيج يتغنّى في شعر عمر:

فلم أر كالتجمير منظر ناظر

ومن هذه الأرمال الثلاثة:

(١) في جميع الأصول: «لأقصدن» وقد صححها الأستاذ الشنقيطي في نسخته كما صححناها.
(٢) المقة: المحبة.
(٣) أبو قبيس: جبل بمكة.

ثاني الأرمال الثلاثة في شعر امرىء القيس:

صوت

أفاطمُ مهلاً بعضَ هذا التدلُّلِ وإن كنتِ قد أزمعتِ صُرمي فأجملي
أغرَّكِ منّي أنّ حبَّكِ قاتلي وأنك مهما تأمري القلبَ يفعلِ

الشعر لامرىء القيس. والغناء في هذين البيتين من الرمل المختار لإسحاق بالبنصر. وفي هذين البيتين مع أبيات أُخر من هذه القصيدة ألحانٌ شتّى لجماعة نذكرها ها هنا ومن غنّى فيها، ثم نُتْبِع ما يُحتاج إلى ذكره منها، وقد يُجمع سائرَ ما يغنّى فيه من القصيدة معه:

شيء من معلقته وشرحه:

قِفَا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُول فَحَوْمَلِ
فتُوضِحَ فالمِقْراةِ لمن يعف رسمُها لِمَا نَسَجَتْها من جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ
أفاطمُ مَهْلاً بعضَ هذا التدلُّلِ وإن كنتِ قد أزمعتِ صُرمِي فأجمِلي
[٩/٧٠] / وإن كنتِ قد ساءتك منّي خَليقةٌ فسُلّي ثيابي من ثيابك تَنْسُلِ
أغَرَّكِ منّي أنّ حُبَّك قاتلي وأنّكِ مهما تأمُري القلبَ يفعلِ
وما ذَرَفَتْ عيناكِ إلاّ لتضربي بسَهمَيْكِ في أعشار قلبٍ مُقَتَّلِ
تسلَّتْ عَمَاياتُ الرجالِ عن الصِّبا وليس فؤادي عن هواك بمُنْسَلي
ألاَ أيها اللَّيلُ الطويلُ ألاَ انجلِ بصبحٍ وما الإصباحُ فيك بأمْثَلِ
وَبيضةِ خِدْرٍ لا يُرامُ خِباؤها تمتَّعتُ من لهوٍ بها غيرَ مُعْجَلِ
تجاوزتُ أحراساً إليها ومَعْشَراً عليَّ حِراصاً لو يُسِرُّون مَقْتَلي
ألاَ ربَّ يومٍ صالحٍ لك منهما[١] ولا سِيما يومٌ بدارةِ جُلْجُلِ
ويومَ عقَرتُ للعذارَى مطيَّتي فَواعَجَبي من رَحْلِها المتحمَّلِ[٢]
وقد أغتدي والطيرُ في وُكُناتها بمنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيْكَلِ
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً كجُلمود صخرٍ حطَّه السيلُ من عَلِ
فقلتُ لها سِيري وأرخي زِمامَه ولا تُبعِدينا من جَناكِ المُعَلَّلِ

عروضه من الطويل. وسِقْط اللوى مُنْقَطَعه. واللِّوى: المستدقّ من الرمل حيث يستدق فيخرج منه إلى اللِّوى.

---

(١) الضمير في «منهما» مرجعه في قوله:

كدأبِك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسلِ

ويروى: «صالح لك منهم» يعني النساء وأهلهن. قال التبريزي: وأجود الروايات: «ألا رب يوم لك منهن صالح» على ما فيه من الكف، وهو حذف النون من مفاعيلن. (راجع «شرح التبريزي للمعلقات» طبع أوروبا).

(٢) لما نحر ناقته للعذارى اقتسمن متاع راحلته: تحمل هذه حشيته وتلك طنفسته فكان ذلك مثار عجبه.

والدَّخول وحَوْمَلٌ وتُوضِحُ والمِقْراة: مواضع ما بين إمَّرَة إلى أسود[1] العين. وقال أبو عبيدة في سقط اللوى وسقط الولد وسقط النار / سَقط وسُقْط وسِقط ثلاث لغات. وقال أبو زيد: اللوى: أرض تكون بين الحَزْن والرمل فصلاً [٩/ ٧١] بينهما. وقال الأصمعيّ: قوله «بين الدَّخول فحومل» خطأ ولا يجوز إلا بواو «وحومل»؛ لأنه لا يجوز أن يقال: رأيت فلاناً بين زيد فعمرو، إنما يقال وعمرو؛ ويقال: رأيتُ زيداً فعمراً إذا رأى كلّ / واحد منهما بعد صاحبه. ٦٠/٨ وقال غيره: يجوز «فحومل» كما يقال: مُطِرْنا بين الكوفة فالبصرة، كأنه قال: من الكوفة إلى البصرة، يريد أن المطر لم يتجاوز ما بين هاتين الناحيتين؛ وليس هذا مثل بين زيد فعمرو. ويَعْفُ رسمُها: يدرُسُ. ونسجتْها: ضربتْها مقبلة ومدبرة فعفتها. يعني أن الجنوب تعفي هذا الرسم إذا هبَّت وتجيء الشمأل فتكشفه. وقال غير أبي عُبَيدة: المِقْرَاة ليس اسم موضع إنما هو الحوض الذي يُجمع فيه الماء. والرسم: الأثر الذي لا شخص له. ويروي «لما نسجته» يعني الرسم. ويقال عَفَا يعفو عُفُوّاً وعَفَاءً؛ قال الشاعر:

على آثار مَنْ ذهب العَفَاءُ

يعني محو الأثر. وفاطمة التي خاطبها فقال «أفاطم مهلاً» بنت العُبَيْد بن ثَعْلَبَة بن عامر بن عوف بن كِنانة بن عَوْف بن عُذْرة، وهي التي يقول فيها:

لَا وأبيك ابنة العامريّ[2]

«وأزمعتِ صُرمي»، يقال أزمعت وأجمعت وعزمت وكله سواء. يقول: إنْ كنتِ عزمتِ على الهجر فأجملي. ويقول الأسير: أجمِلوا في قتلي، قتلةً أحسنَ من هذه، أي على رفق وجميل. والصُّرْم: القطيعة، والصَّرم المصدر؛ يقال: / صرمته أصرِمه صرماً مفتوحٌ إذا قطعته، ومنه سيف صارم أي قاطع، ومنه الصِّرَام[3]، ومنه الصرائم وهي القطع [٩/ ٧٢] من الرمل تنقطع من معظمه. قوله: «سُلّي ثيابي من ثيابك» كنايةٌ، أي اقطعي أمري من أمرك. وقوله تَنْسُلِ: تَبِنْ عنها. ويقال للسنّ إذا بانت فسقطتْ والنَّصْل إذا سقَط: نَسَل ينسُل، وهو النسيل والنُّسَال.

وقال قوم: الثياب: القلب. وقوله: «وما ذرفَت عيناك» أي ما بكيتِ إلّا لتضربي بسهميكِ في أعشار قلب مُقَتَّل. قال الأصمعيّ: يعني أنك ما بكيت إلّا لتخرقي قلباً مُعَشَّراً، أي مُكَسَّرا، شبهه بالبُرْمَة إذا كانت قِطَعا، ويقال: برمةٌ أعشار. قال: ولم أسمع للأعشار واحداً. يقول: لتضربي بسهميك أي بعينيك فتجعلي قلبي مخرَّقاً فاسداً كما يُخرِّق الجابر أعشار البرمة؛ فالبرمة تنجبر إذا أخرقت وأصلحت، والقلب لا ينجبر. قال: ومثله قوله:

رمتْك ابنةُ البكريّ عن فرع ضالةٍ

أي نظرتْ إليك فأفرحتْ قلبك. وقال غير الأصمعيّ وهو قول الكوفيين: إنما هذا مثل أعشار الجَزُور، وهي تنقسم

---

(١) إمرة: منزل في طريق من البصرة بعد القريتين إلى جهة مكة، وبعد رامة وهي منهل. وأسود العين: جبل بنجد يشرف على طريق البصرة إلى مكة.

(٢) يريد قوله:

فــلا وأبيــك ابنــة العــامــري ... لا يــدعــي القــوم أنــي أفــرّ

في قصيدته التي مطلعها:

أحــار بــن عمــرو كــأنــي خمــر ... ويعــدو علــى المــرء مــا يــأتمــر

(٣) الصرام (بفتح الصاد وكسرها): جذاذ النخل أي أوان إدراكه.

على عشرة أنْصِباء، فضربتِ فيها بسهميكِ المُعَلَّى[١] وله سبعة أنْصِباء والرقيب وله ثلاثة أنْصِباء، فأراد أنها ذهبت بقلبه كلِّه. مقتَّل أي مذلَّل، يقال بعير مقتَّل أي مذلَّل. تسلّت: ذهبت. يقال: سلوت عنه وسَلِيتُ إذا طابت نفسُك بتركه. قال رؤبة:

لو أشرب السُّلْوانَ ما سَلِيتُ

[٩/٧٣] / والعَمايات: الجَهالات. عدّ الجهل عمى. والصِّبا: اللعب. قال ابن السِّكِّيت: صَبَا يصبو صَبْواً وصُبُوّاً[٢] وصَباءً وصِباً. انجلِ: انكشِفْ. والأمر الجليّ: المنكشف. وقوله: أنا ابنُ جَلاَ أي أنا ابن المكشوف الأمر المشهور غير المستور، ومنه جِلاء العروس وجِلاء السيف. وقوله «فيك بأمثل» يقول: إذا جاءني الصباح وأنا فيك فليس ذلك بأمثل، لأن الصبح قد يجيء والليل مظلم بعدُ. يقول: ليس الصبح بأمثل وهو فيك، أي يريد أن يجيء منكشفاً منجلياً لا سواد فيه. ولو أراد أن الصباح فيك أمثل من الليل لقال: منك بأمثلِ ومثله قول حُمَيْد بن ثَوْر في ذكر مجيء / الصبح والليل باق: ٦١/٨

فلما تجلّى الصبح عنها وأبصرت وفي غَبَش الليل الشخوصُ الأباعدُ

غبش الليل: بقيّته. هذا قول يعقوب بن السِّكِّيت. «وبيضةِ خِدْر» شبّهَ المرأة بالبيضة لصفائها ورقّتها. «غير مُعْجَل» أي لم يَعجلني أحدٌ عما أريده منها. والخِباء: ما كان على عمودين أو ثلاثة. والبيت: ما كان على ستة أعمدة إلى تسعة. والخيمة: من الشَّعَر. وقوله: «يُسِرُّون مقتلي»، قال الأصمعيُّ: يُسِرُّونه، وروى غيره: يُشِرُّون بالشين المعجمة أي يظهرونه. وقال الشاعر:

فما برِحوا حتى أتى اللهُ نصرُه وحتى أُشِرَّت بالأكُفِّ الأصابعُ[٣]

أي أُظْهِرت. وقال غيرهما: لو يُسِرّونه: من الإسرار أي لو يستطيعون قتلي لأسرّوه من الناس وقتلوني. قال أبو عُبَيدة: «دارة جُلْجُل» في الحِمَى، وقال ابن الكلبيّ:

[٩/٧٤] / هي عند عين كِنْدة. ويروى سِيماً مخفّفةً وسِيَّما مُشدَّدةً. ويقال: رُبَّ رجل ورُبَّ رجل وربَّت[٤] رجل. ومن القرّاء من يقرأ ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الذين كَفَرُوا﴾ مخفّفة. وقرأ عليه رجل «رُبَمَا» فقال له: أظنُّك يُعجبك الرُّبّ[٥].

ويروى:

فيا عجبا من رحلها المُتحَمَّل

(١) سهام الميسر عشرة وهي: الفذ والتوءم والضريب ويقال له الرقيب والحلس (بالكسر) والنافس والمسبل (بضم الميم وكسر الباء) والمعلى، وثلاثة ليس لها شيء وهي الوغد والسفيح والمنيح. قال ابن الأنباري: فأما الفذ فله سهم واحد إن فاز وعلى صاحبه غرم سهم أن خاب. والتوءم له سهمان أن فاز وعليه سهمان إن خاب... وهكذا على الترتيب.

(٢) في الأصول: «صبيا»، والتصويب عن كتب اللغة.

(٣) ورد هذا البيت في «اللسان» (مادة شرر) هكذا:

فما برحوا حتى رأى الله صبرهم وحتى أشرت بالأكف المصاحف

وذكر أنه لكعب بن جعيل أو للحصين بن الحمام المري يذكره يوم صفين. يريد: وحتى نشرت المصاحف ورفعها أصحاب معاوية بالأكف على أطراف الرماح.

(٤) وفيها لغات أخرى غير ذلك.

(٥) الرب: ما يطبخ من التمر.

أي يا عجبا لسفهي وسبابي يومئذٍ. ويروي:

وقد أغتدي والطير في وَكَرَاتها

بالراء. قال أبو عبيدة: والأُكُنات في الجبال كالتَّمارِيد[1] في السهل، والواحدة أُكْنَة وهي الوُقُنات، والواحدة أُقْنَة، وقد وَقَن يقِن. وقال الأصمعيّ: إذا أوى الطيرُ إلى وَكْره قيل وَكَرَ يكِر ووَكَنَ يكِنُ، ويقال: إنه جاءنا والطير وُكَّنٌ ما خرجن. والمنجرد: القصير الشَّعَرة، وذلك من العِتق. والأوابد: الوحش، وتأبّدت: توحّشت، وتأبّد الموضع إذا توحّش وقيد الأوابد: يعني الفرس. يقول: هو قيـدٌ لها لأنها لا تفوته كأنها مقيّدة. والهيكل: العظيم من الخيل ومن الشجر؛ ومنه سمِّي بيت النصارى الهيكلَ. وقال أبو عُبَيْدة: يقال: قيد الأوابد وقيد الرِّهان، وهو الذي كأن طريدته في قيدٍ له إذا طلبها، وكأن مُسابِقَه في الرِّهان مُقَيَّد. قال أبو عبيدة: وأوّل من قيّدها امرؤ القيس. والمُنْجَرِد: القصير الشَّعَرة الصافي الأديم. والهيكل الذكر، والأنثى هيكلة، والجمع هياكل، وهو العظيم العَبْل الكثيف اللَّيِّن. وقوله «مِكَرٍّ مِفَرٍّ» يقول: إذا شئتُ أن أكُرّ عليه وجدته، وكذلك إذا أردتُ أن أفِرّ عليه أو أَقبِلَ أو أُدبِر. والجُلْمود: الصخرة. ووصفها بأن السيل / حطَّها من عَلٍ لأنها إذا كانت في أعلى الجبل كان أصلب لها. «من عَلٍ»: من فوقٍ. [٩/٧٥] ويقال من عَلٍ علٍ ومن عَلاَ ومن عَلْوُ ومن عالٍ ومن عَلْوِ ومن مُعَالٍ. وقوله «سِيرِي وأرخي زمامه» أي هَوِّني عليك الأمرَ ولا تُبالي أعُقِر أم سَلِم. «وجناك» كلُّ شيء اجتنيته من قُبْلَة وما أشبه: ذلك هو الجَنَى، وهو من الإنسان مثل الجَنَى من الشجر أي ما اجتُني من ثمره. والمُعَلِّل: المُلَهِّي.

غَنّى في «قفا نبك»، و«أفاطم مهلا»، و«أغرّك» و«وما ذرفت عيناكِ» معبد لحناً من الثقيل الأوّل بالسَّبَّابة في مجرى الوسطى. وغنّى معبد أيضاً في الأوّل والرابع من هذه الأبيات خفيفُ رمل بالوسطى. وغنّى سعيد بن جابر في الأربعة الأبيات رملاً. وغنَّت عَرِيبُ في:

أغرّك مني أن حبَّك قاتلي

وبعده شعر ليس منه وهو:

/ فلا تَخرَجِي من سفك مهجة عاشقٍ	بَلَى فاقتلي ثم اقتلي ثم فاقتلي[2]
فلا تَدَعي أن تفعلي ما أردتِه	بنا، ما أراكِ اللهُ من ذاك فافْعَلِي

٦٢/٨

ولحنُها فيها خفيفُ رمل. وغنّى ابن محرز في «تسلّت عَمايات الرجال» وبعده «ألاَ أيها الليل الطويل» ثانيَ ثقيل بالوسطى. وغنّى فيهما عبدالله بن العباس الرَّبيعيّ ثاني ثقيل آخر بالسبَّابة في مجرى البنصر. وغنَّت جميلة في «تسلت عمايات الرجال» وبعده «ألاَ رب يوم لك» لحناً من الثقيل الأوّل عن الهشامي. وغنَّت عَزَّة الميلاءُ في «تسلَّت عمايات الرجال» وبعده «ويوم عقرت للعذارى مطيتي» ثقيلاً أوّل آخر عن الهشاميّ. وغنّت حُميدة جارية ابن تُفَّاحة في «وبيضةِ خِدْرٍ» و«تجاوزت أحراساً» لحناً من الثقيل الأوّل بالوسطى. ولطُوَيس في «قفا نبك» / وبعده [٩/٧٦] «فتوضح فالمقراة» ثقيل أوّل آخر. وفي «أفاطم مهلاً» و«أغَرّك مني أن حبّك قاتلي» ليزيد بن الرَّحال هزج. ولأبي عيسى بن الرشيد في «وقد أغتدي» و«مِكَرٍّ مِفَرٍّ» ثقيل أوّل. ولفُلَيْح في «قفا نبك» وبعده «أغرّك منّي» رمل.

(١) التماريد: جمع تمراد (بالكسر) وهو برج صغير للحمام.

(٢) لعل صوابه: «ثمت اقتلي» لقبح اجتماع حر في عطف متواليين.

وقيل: إن لمعبد في «وبيضة خدر» لحناً من الثقيل الأوّل، وقيل: هو لحن حُميدة. ولعريبَ في هذين البيتين خفيف ثقيلٍ من رواية أبي العُبَيْس. وغنّى سَلاَم بن الغَسَّال ـ وقيل بل عُبَيْدةُ أخوه ـ في «وإن كنت قد ساءتك مني» و«أغرّك مني» رملاً بالوسطى. وغنّى في «فقلت لها سيرى وأرخي زمامه» سَعْدويه بن نصر ثانيَ ثقيل. وغنّى في «قفا نبك» وبعده «فتوضح فالمقراة» إبراهيم الموصليّ ثقيلا أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن ابن المكّيّ. وزعم حبش أن لإسحاق فيهما ثقيلاً. وغنّى في «أغرّك مني» و«وما ذرفت» ابن سُرَيْج خفيفَ رمل بالوسطى من رواية ابن المكّيّ، وقيل: بل هو من منحوله. وغنّى بُدَيْح مولى ابن جعفر في «وما ذرفت عيناك» بيتاً واحداً ثقيلاً أوّل مطلقاً في مجرى الوسطى عن ابن المكّيّ. فجميع ما جمع في هذه المواضع مما وجد في شعر «قفا نبك» من الأغاني صحيحها والمشكوك فيه منها اثنان وعشرون لحنا: منها في الثقيل الأوّل تسعة أصوات، وفي الثقيل الثاني ثلاثة أصوات، وفي الرمل أربعة أصوات، وفي خفيف الرمل صوتان، وفي الهزج صوت، وفي خفيف الثقيل ثلاثة أصوات.



/ ذكر أمرىء القيس ونسبه وأخباره

[٩/٧٧]

نسبه من قبل أبويه:

قال الأصمعيّ: هو أمرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو بن حُجْر آكِلِ المُرَار بن معاوية بن ثَوْر وهو كِنْدة. وقال ابن الأعرابيّ: هو أمرؤ القيس بن حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن ثور وهو كندة. وقال محمد بن حبيبَ: هو أمرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث الملك ابن عمرو بن حُجْر آكِلِ المُرَار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يَعْرُب بن ثور بن مُرْتِع[1] بن مُعَاوية بن كِندة. وقال بعض الرُّواة: هو أمرؤ القيس بن السِّمْط بن أمرىء القيس بن عمرو بن معاوية بن ثَوْر وهو كِندة. وقالوا جميعاً: كندة هو كندة بن عُفَير بن عديّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَدَ بن زيد بن يَشْجُب بن عَريب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحطان بن عابِر بن شالَخَ بن أرْفَخْشَذ بن سامِ بن نوح. وقال / ابن الأعرابيّ: ثور هو كِندة بن مُرْتِع بن عُفَير بن الحارث بن مُرّة بن عَدِيّ بن أُدَدَ ابن زيد بن عمرو بن مِسمعَ بن عَرِيب بن عمرو بن زيد بن كهلال. [٦٣/٨]

وأمُّ امرىء القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زُهَيْر أخت كُلَيْب ومُهَلْهِل ابني ربيعة التغلَبيَّيْن. وقال من زعم أنه أمرؤ القيس بن السِّمط: أُمّه تَمْلِك بنت عمرو بن زُبَيْد بن مَذْحِج رهط عمرو بن معد يكرب. قال من ذكر هذا وأنّ أُمّه تملك: قد ذكر ذلك أمرؤ القيس في شعره فقال:

ألاَ هــل أتــاهـا والحــوادثُ جَمَّــةٌ بــأن امــرأ القيــس بــن تَمْلِــكَ بَيْقَــرا

بَيْقَر أي جاء العراقَ والحضَرَ. ويقال: بيقر الرجلُ إذا هاجر. وقال يعقوب بن السِّكِّيت: أمّ حُجْر أبي أمرىء القيس أُمّ قَطَامَ بنت سَلَمة امرأةٌ من عَنَزة[2].

[٩/٧٨]

/ كنيته ولقبه:

ويُكْنَى أمرؤ القيس، على ما ذكره أبو عُبيدة، أبا الحارث. وقال غيره: يكنى أبا وَهْب. وكان يقال له الملك الضِّلِّيل، وقيل له أيضاً ذو القُروح وإياه عنَى الفرزدقُ بقوله:

وهَـب القصـائدَ لـي النـوابغُ إذ مَضَـوْا وأبـو يزيـد وذو القـروح وجَـرْوَلُ

يعني بأبي يزيد المُخَبَّلَ السَّعْديّ، وجَرْول الحُطيئة.

(١) ضبطه الحافظ في «التبصير» كمحسن وضبطه الصاغاني في «العباب» كمحدِّث.
(٢) صححها الشنقيطي في نسخته: «من كندة».

مولده ومنزله:

قال: وُلد ببلاد بني أسد. وقال ابن حَبيبَ: كان ينزل المُشَقَّر من اليمامة. ويقال: بل كان ينزل في حصن بالبحرين.

سبب تسمية آبائه بأسمائهم:

وقال جميع من ذكرنا من الرُّواة: إنما سمِّي كِندةَ لأنه كَنَد أباه أي عقَّه. وسمِّي مُرْتِعٌ بذلك لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مَرْتَعاً له ولماشيته. وسمِّي حُجْرٌ آكلُ المُرَار بذلك لأنه لما أتاه الخبر بأن الحارث بن جَبَلة كان نائماً في حِجْر امرأته هند وهي تَفْلِيه جعل يأكل المُرَار (وهو نبت شديد المرارة) من الغيظ وهو لا يدري. ويقال: بل قالت هند للحارث وقد سألها: ما تَرَيْنَ حُجْراً فاعلاً؟ قالت: كأنَّكَ به قد أدركك في الخيل وهو كأنه بعيرٌ قد أكل المرَار.

قال: وسمِّي عمرو المقصورَ لأنه قد قُصِرَ[1] على مُلْك أبيه أي أقعد فيه كَرْهاً.

قصة جده الحارث بن عمرو مع قباذ وابنه أنو شروان:

أخبرني بخبره، على ما قد سُقْته ونظَمْتُه، أحمدُ بن عبدالعزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبة ولم يتجاوزه، ورَوى بعضَه عن عليِّ بن الصَّبَّاح عن هشام بن الكلبيّ، وأخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه، قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد عن عليّ بن الصَّبَّاح عن هشام بن الكلبيّ، قال ابن أبي سعد وأخبرني دارِم بن عِقال بن حَبيب الغَسَّانيّ أحدُ ولد السَّمَوءل بن عادِياء عن أشياخه، وأخبرنا أبراهيم بن أيُّوب عن ابن قُتَيبة، [٧٩/٩] وأخبرني محمد بن العباس اليَزيديّ / قال حدّثني عمِّي يوسف عن عمه إسماعيل، وأضفت إلى ذلك روايةَ ابن الكلبيّ مما لم أسمعه من أحد وروايةَ الهَيْثم بن عَدِيّ ويعقوبَ بن السِّكِّيت والأَثْرَم وغيرهم، لما في ذلك من الاختلاف، ونسبتُ رواية كلّ راوٍ إذا خالف روايةَ غيره إليه، قالوا:

كان عمرو بن حُجْر وهو المقصور ملكاً بعد أبيه، وكان أخوه معاوية وهو الجَوْن[2] على اليمامة، وأُمُّهما شُعْبة بنت أبي مُعاهِر بن حَسّان بن عمرو بن تُبَّع. ولما مات مَلَك بعده ابنُه الحارث، وكان شديدَ الملك بعيد الصِّيت. ولما ملك قُبَاذُ بن فَيْروز خرج في أيام ملكه رجل يقال له مَزْدَك فدعا الناسَ إلى الزندقة وإباحة الحُرَم وألّا يمنع أحد منهم أخاه / ما يريده من ذلك. وكان المُنْذِر بن ماء السماء يومئذٍ عاملاً على الحِيرة ونواحيها. فدعاه قُبَاذُ [٦٤/٨] إلى الدخول معه في ذلك فأبى. فدعا الحارثَ بن عمرو فأجابه؛ فشدَّد له مُلْكَه وأَطْرد[3] المُنْذِرَ عن مملكته وغلَب على ملكه. وكانت أُمّ أَنُو شِرْوانَ بين يدي قُبَاذَ يوماً، فدخل عليه مَزْدَك. فلما رأى أُمَّ أنو شروان قال للقباذ: ادفعها لي لأقضيَ حاجتي منها؛ فقال: دونكها. فوثب إليه أنو شروان فلم يزل يسأله ويَضْرَع إليه أن يهَب له أُمَّه حتى قبَّل رجلَه فتركها له؛ فكانت تلك في نفسه. فهلَك قُبَاذُ على تلك الحال، وملك أَنُو شِرْوانُ فجلس في مجلس المُلْك. وبلغ المنذرَ هلاكُ قباذَ فأقبل إلى أنو شروان وقد علم خلافَه على أبيه فيما كانوا دخلوا فيه. فأذِن أنو شروانُ للناس، فدخل عليه مَزْدَك ثم دخل عليه المنذر. فقال أنو شروان: إني كنت تمنَّيت أمنيَّتين أرجو أن يكون الله قد جمعهما

---

(١) في الأصول: «اقتصر».

(٢) كذا في «شرح القاموس» ونسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. وفي الأصول: «الجوف» بالفاء وهو تحريف.

(٣) أي أمر بطرده.

لي. فقال مَزْدَك: وما هما أيها الملك؟ قال: تمنّيت أن أملك فأستعملَ هذا الرجل الشريفَ (يعني المنذر) وأن أقتل هؤلاء الزنادقة. فقال له مزدك: أوَ تستطيع أن تقتل / الناس كلَّهم؟! قال: إنك لها هنا يأبنَ الزانية! والله ما ذهب نَتْنُ [٩/ ٨٠] ريح جَوْرَبك من أنفي منذ قبّلتُ رجلكَ إلى يومي هذا! وأمر به فقُتل وصُلب، وأمر بقتل الزنادقة فقَتل منهم ما بين جَازِر[١] إلى النَّهْرَوان إلى المدائن في ضَحْوة واحدة مائة ألف زنديق وصلّبهم؛ وسُمِّي يومئذ أنو شروان. وطلب أنو شروان الحارثَ بن عمرو؛ فبلغه ذلك وهو بالأنبار، وكان بها منزلُه ـ وإنما سمّيت الأنبارَ لأنه كان يكون بها أَهْراءُ[٢] الطعام وهي الأنابير ـ فخرج هارباً في هجائنه وماله وولدِه فمرّ بالثَّوِيَّة[٣]؛ وتبعه المنذرُ بالخيل من تَغْلِب وبَهْراءَ[٤] وإيَاد، فلَحِق بأرض كَلْب[٥] فنجا، وانتهبوا ماله وهجائنه. وأخذت بنو تغلب ثمانيةً وأربعين نفساً من بني آكل المُرَار؛ فقدِم بهم على المنذر فضرب رقابَهم بحَفَر الأملاك في ديار بني مَرِينا[٦] العِبادِيّين بين دَيْر هند والكوفة. فذلك قول عمرو بن كُلْثوم:

فــآبُــوا بــالنِّهــاب والسَّبَــايَــا ... وأُبْنَــا بــالملــوك مُصَفَّــدينــا

وفيهم يقول أمرؤ القيس:

ملـوكٌ مـن بنـي حُجْـرِ بـن عمـرو ... يُســاقــون العَشِيّــةَ يُقْتَلــونــا

فلـو فـي يـوم معـركـةٍ أُصيبـوا ... ولكـن فـي ديـار بنـي مَـرِينَـا

ولـم تُغْسَـلْ جمـاجُمهـم بِغَسْـلٍ[٧] ... ولكـن فـي الـدمـاء مُـرَمَّلينـا[٨]

تَظَـلُّ الطيـرُ عـاكفـةً عليهـم ... وتنتـزع الحـواجـبَ والعيـونـا

/ قالوا: ومضى الحارث فأقام بأرض كَلْب. فكلبٌ يزعمون أنهم قتلوه. وعلماء كِندة تزعم أنه خرج إلى الصيد [٩/ ٨١] فألَظَّ[٩] بتَيْس من الظِّباء فأعجزه، فآلَى ألِيَّةً ألاّ يأكل أوّلاً إلا من كبده. فطلبتْه الخيل ثلاثاً فأُتي بعد ثالثة وقد هلك جوعاً، فشُوِيَ له بطنه، فتناول فِلْذةً من كبده فأكلها حارّة فمات. وفي ذلك يقول الوليد بن عَدِيّ الكِنْدِيّ في أحد بني بَجِيلة:

فشَــوَوْا فكــان شِــواؤهــم خَبْطـاً لــه ... إن المنيَّــــة لا تُجــلّ جَلِيــلا

/ وزعم ابن قُتَيبة أن أهل اليمن يزعمون أن قُباذ بن فيروز لم يُملِّك الحارث بن عمرو وأن تُبَّعاً الأخير هو الذي ٦٥/ ٨

(١) كذا في «معجم البلدان» لياقوت. وجازر: قرية من نواحي النهروان. وفي أ، م: «جاذر» بالذال المعجمة. وفي سائر الأصول: «حاذر» بالحاء المهملة وهو تحريف. والنهروان: ثلاث، أعلى وأوسط وأسفل، وهي كورة واسعة بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي.

(٢) كذا في «نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. والأهراء: الأكوام. وفي الأصول: «أهداء الطعام» بالدال وهو تحريف.

(٣) الثوية: موضع قريب من الكوفة، وقيل بالكوفة.

(٤) بهراء: قبيلة باليمن.

(٥) كذا في أ، م، وهو موضع بين قومس والري. وفي سائر الأصول: «أرض كليب» وهو تحريف.

(٦) بنو مرينا: قوم من أهل الحيرة.

(٧) الغسل: ما يغسل به الرأس من خطمي وطين وأشنان ونحوه.

(٨) مرملين: ملطخين.

(٩) ألظ به: لزمه وألح عليه ليصطاده.

ملْكه. قال: ولما أقبل المنذر[١] إلى الحِيرة هرب الحارث وتبعته خيلٌ فقتلت ابنَه عمراً وقتلوا ابنه مالكاً بهِيتَ[٢]. وصار الحارثُ إلى مُسْحُلان[٣] فقتلته كلب. وزعم غير ابن قتيبة أنه مكث فيهم حتى مات حَتْفَ أنفه.

الحارث بن عمرو وتمليكه أولاده على قبائل العرب:

وقال الهيثم بن عَدِيّ حدّثني حمّاد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد عن سَعْيَة[٤] بن عَرِيض من يهود تَيْماء قال: لمّا قتل الحارثُ بن أبي شَمِر الغَسّانيّ عمرَو بن حُجْر ملَّك بعده ابنَه الحارث بن عمرو، وأُمُّه بنت عَوْف بن مُحَلِّم بن ذُهْل بن شَيْبان ونزل الحِيرة. فلما تفاسدت القبائلُ من نِزار أتاه أشرافهم فقالوا: إنّا في دينك ونحن نخاف أن نتفانى فيما يحدُث بيننا، فوجِّهْ معنا بنيك ينزلون فينا فيَكُفُّون بعضَنا عن بعض. ففرّق ولدَه في قبائل العرب، فملَّك ابنه حُجْراً على بني أَسَدٍ وغَطَفَان/ [٩/ ٨٢] وملّك ابنه شُرَحْبِيل قتيل يوم الكُلاب[٥] على بَكْر بن وائل بأَسْرِها وبني حَنْظَلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تميم[٦] والرِّباب. وملّك ابنَه مَعْدِ يكَرِبَ وهو غَلْفاء[٧] (سُمِّي بذلك لأنه كان يُغَلِّف رأسَه) على بني تَغْلِب والنَّمِر بن قاسِط وسعد بن زيد مَنَاة وطوائف من بني دارم [بن مالك] بن حَنْظلة والصنائع وهم بنو رُقَيَّة قومٌ كانوا يكونون مع الملوك من شُذّاذ العرب. وملَّك ابنَه عبدَالله على عبد القيس، وملّك ابنه سَلَمة على قيس.

مقتل حجر أبي امرىء القيس:

وقال ابن الكلبيّ حدّثني أبي: أنّ حُجْراً كان في بني أسد، وكانت له عليهم إتاوةٌ في كل سنة مؤقّتة؛ فغَبَر[٨]

(١) كذا في حـ وهو المناسب لما سبق في هذه القصة. وفي سائر الأصول: «من الحيرة» وهو تحريف.
(٢) هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار.
(٣) مسحلان: موضع.
(٤) هو أخو السموءل.
(٥) الكلاب (بضم أوله): اسم ماء بين الكوفة والبصرة، وقيل ماء بين جبلة وشمام. وكان للعرب يومان مشهوران بيوم الكلاب. فأمّا الأول فإن الحارث بن عمرو فرق أولاده على القبائل ملوكاً كما ذكر المؤلف؛ فلما مات تداعت القبائل وتحزبت فوقعت حرب بين ولديه شرحبيل وأصحابه، وسلمة وأصحابه، فقتل شرحبيل يومئذ. وقد أشار إليه امرؤ القيس في قصيدته التي مطلعها:

أرانا موضعين لحتم غيب ... ونسحر بالطعام وبالشراب

فقال:

وأعلم أنني عما قليل ... سأنشب في شبا ظفر وناب

كما لاقى أبي حجر وجدي ... ولا أنسى قتيلاً في الكلاب

وأما الكلاب الثاني فكان بين بني سعد والرباب، وبين بني الحارث بن كعب وقبائل اليمن، قتل فيه عبد يغوث بن صلاة الحارثي بعد أن أسر، وقال وهو مأسور قصيدته المشهورة التي مطلعها:

أيا راكباً إما عرضت فبلغن ... نداماي من نجران أن لا تلاقيا

(راجع «معجم البلدان» لياقوت).
(٦) في ب، س، حـ: «... وبني حنظلة بن مالك بن زيد مناة وطوائف من بني دارم بن تميم» بزيادة «وطوائف من بني دارم» واعلم عليها في حـ بالمداد الأحمر كأنه ترميج لها.
(٧) كذا في نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه و«اللسان» (مادة غلف) و«معجم البلدان» (في الكلام على الكلاب). وفي الأصول: «غلفي». وغلف رأسه: لطخه بالمسك.
(٨) غبر: لبث وبقي وفي الأصول: «فغمر».

ذلك دهراً. ثم بعث إليهم جابيَه الذي كان يَجْبِيهم، فمنعوه ذلك ـ وحُجْرٌ يومئذ بِتِهَامة ـ وضربوا رسله وضَرَجوهم[١] ضَرْجاً شديداً قبيحاً. فبلغ ذلك حجراً، فسار إليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من قيس وكنانة، فأتاهم / وأخذ سَرَاتَهم، فجعل يقتلهم بالعصا ـ فسُمُّوا عبيدَ العصا ـ وأباح الأموال، وصيّرهم إلى تِهَامة، [٩/ ٨٣] وآلى بالله ألاّ يُساكنوهم في بلد أبداً، وحَبس منهم عمرو بن مسعود بن كِلْدة[٢] بن فَزارة الأسَديّ وكان سيّداً، وعَبِيدَ بن الأبْرَص الشاعر. فسارت بنو أسد ثلاثاً. ثم إنّ عَبِيدَ بن الأبرص قام فقال: أيّها الملك أسمع مقالتي:

يــا عَيْــنُ[٣] فــابكــي مــا بنــي	أســدٍ فهــم أهــلُ النَّــدَامــهْ
أهــلَ القِبَــابِ الحمــرِ والنَّـ	ـعَــمِ المــؤبَّــلِ[٤] والمُــدَامــه
وذوي الجيــاد الجُــرْدِ والأَسَــلِ	المُثَقَّفــةِ المُقــامــه
حِــلاًّ[٥] أبيــتَ اللَّعْــنَ حِــلاًّ	إنّ فيمــا قلــتَ آمــه
فــي كــلّ وادٍ بيــن يَثْـ	ـرِبَ فــالقصــورِ إلــى اليمــامه
تطــريــبُ عــانٍ أو صيــا	حُ مُحَــرَّقٍ أو صــوتُ هــامــه
ومنعتَهــم نجــداً فقــد	حَلُّــوا علــى وَجَــلٍ تِهَــامــه
بَــرِمــتْ بنــو أســدٍ كمــا	بَــرِمــتْ بيضتهــا الحمــامــه
جعلــتْ لهَــا عُــوديــن مــن	نَشَــمٍ[٦] وآخــر مــن ثُمَــامــه
إمّــا تــركــتَ تــركــتَ عَفْـ	ـواً أو قتلــتَ فــلا مَــلاَمــة
/ أنــتَ المليــكُ عليهــمُ	وهــمُ العبيــدُ إلــى القيــامــه
ذَلُّــوا لسَــوْطِــك مثــلَ مــا	ذلّ الأُشَيْقِــرُ[٧] ذو الخِــزَامــه

٦٦/٨

/ قال: فرَقَّ لهم حُجْر حين سمع قولَه، فبعث في أثرهم فأقبلوا. حتى إذا كانوا على مَسيرة يوم من تهامة تكهن [٩/ ٨٤] كاهنُهم، وهو عَوْف بن ربيعة بن سَوَادة[٨] بن سعد بن مالك بن ثَعْلَبة بن دُودَان بن أَسَد بن خُزَيْمة، فقال لبني أسد: يا عِبادي! قالوا: لَبَّيْكَ رَبَّنا. قال: مَنِ الملكُ الأَصْهَب، الغَلاَّب غير المُغَلَّب، في الإبل كأنها الرَّبْرَبُ، لا يعلقَ رأسهُ الصَّخَب، هذا دَمُه يَنْثَعِب[٩]، وهذا غداً أوّل من يُسْلَب. قالوا: مَنْ هو يا رَبَّنا؟ قال: لولا أن تجيش نفسٌ جَاشِية،

---

(١) ضرجه: أدماه أي جعل دمه يسيل من الضرب.
(٢) في حـ و«تجريد الأغاني»: «ابن كلدة».
(٣) في «كتاب الشعر والشعراء»: «يا عين ما خابكي بني... إلخ».
(٤) المؤبل: المقتنى.
(٥) حلا أي تحلل من يمينك. والآمة: العيب.
(٦) النشم: شجر جبلي تتخذ منه القسيّ. والثمامة: نبت بالبادية.
(٧) الأشيقر: تصغير الأشقر وهو الأحمر من الدواب. والخزامة: حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير يشد بها الزمام فإن كانت من صفر فهي برة. وفي الأصول: «الحزامة» بالحاء المهملة وهو تصحيف.
(٨) في جـ: سواءة».
(٩) كذا في «تجريد الأغاني» وانثعب الدم: جرى. وفي ب، س: «يتشعب». وفي سائر الأصول: «ينشعب» وهما تحريف.

لأخبرتكم أنه حُجْرٌ ضاحية. فركبوا كلَّ صعبٍ وذَلُول، فما أشرق لهم النهارُ حتى أتَوْا على عسكر حُجْر فهجَموا على قبّته. وكان حُجّابه من بني الحارث بن سَعْد يقال لهم بنو خَدّان بن خَنْثَر منهم معاوية بن الحارث وشَبِيب ورُقَيّة ومالك وحبيب، وكان حجر قد أعتق أباهم من القتل. فلمّا نظروا إلى القوم يريدون قتلَه خيّموا عليه ليمنعوه ويُجيروه. فأقبل عليهم عِلْباءُ بن الحارث الكاهليّ، وكان حُجْر قد قتل أباه، فطعَنه من خَلَلهم فأصاب نَسَاه فقتله. فلما قتلوه قالت بنو أسد: يا معشَرَ كنانة وقيس، أنتم إخوانُنا وبنو عَمِّنا، والرجلُ بعيدُ النسب منّا ومنكم، وقد رأيتم ما كان يصنع بكم هو وقومه. فانتهبوهم فشَدُّوا على هجائنه فمزَّقوها ولفُّوه في رَيْطة بيضاء وطرَحوه على ظهر الطريق. فلمّا رأته قَيْسٌ وكِنانة انتهبوا أسلابَه. ووثَب عمرو بن مسعود فضمّ عِيالَه وقال: أنا لهم جارٌ

قال ابن الكلبيّ: وعدّة قبائل من بني أسد يدّعون قتلَ حُجْر ويقولون: إنّ عِلْباءَ كان الساعيَ في قتله وصاحبَ المشورة ولم يقتله هو.

قال ابن حبيب: خَدّان في بني أسد وخَدّان في بني تميم وفي بني جَدِيلة بالخاء مفتوحةً، وخُدَّان مضمومة في الأزد، وليس في العرب غير هؤلاء.

[٩/٨٥] / قال أبو عمرو الشَّيْبانيّ: بل كان حُجْرٌ لمّا خاف من بني أسد استجار عُوَيْر بن شَجْنة أحد بني عُطَارِد بن كعب بن سعد بن زَيْد مَنَاة بن تَميم لبنته هند بنت حُجْر وعِياله. وقال لبني أسد لمّا كَثَرُوه: أمّا إذا كان هذا شأنكم فإني مرتحلٌ عنكم ومُخَلِّيكم وشأنكم؛ فواعدوه على ذلك. ومال على خالد بن خَدّان أحد بني سَعْد بن ثَعْلَبة. فأدركه عِلْباءُ بن الحارث أحد بني كاهِل فقال: يا خالد أقْتُلْ صاحبَك لا يُفلتْ فَيَعُرَّكَ[١] وإيّانا بشرٍّ، فامتنع خالد. ومرّ عِلْباءُ بِقِصْدة[٢] رُمحٍ مكسورة فيها سِنانها، فطعَن بها في خاصرة حُجْر وهو غافل فقتَله. ففي ذلك يقول الأسَديّ:

وقِصْدةُ عِلْباءِ بنِ قَيْسِ بنِ كاهلٍ   مَنِيّةُ حُجْرٍ في جوار ابنِ خَدّانِ

وذكر الهَيْثَم بن عَدِيّ أنّ حُجْراً لمّا استجار عُوَيْرَ بن شَجْنة لبنيه وقَطِينه[٣] تحوّل عنهم فأقام في قومه مدّةً، وجمع لبني أسد جمعاً عظيماً من قومه وأقبل مُدِلاً بمن معه من الجنود. فتآمرت بنو أسد بينها وقالوا: والله لئن قهرَكم هذا لَيَحْكُمَنّ عليكم حكمَ الصبيّ! فما خيرُ عيشٍ يكون بعد قهرٍ وأنتم بحمدالله أشدُّ العرب! فموتوا كراماً. [٦٧/٨] فساروا إلى حُجْر وقد / ارتحل نحوَهم فلَقُوه فاقتتلوا قتالاً شديداً. وكان صاحب أمرهم عِلْباء بن الحارث، فحمل على حُجْر فطعنه فقتله، وانهزمت كِنْدةُ وفيهم يومئذٍ أمرؤ القيس فهربَ على فرسٍ له شَقْراء وأعجزهم، وأسروا من أهل بيته رجالاً وقتلوا وملئوا أيديهم من الغنائم، وأخذوا جواريَ حُجْر ونساءه وما كان معه من شيء فاقتسموه بينهم.

وقال يعقوب بن السِّكِّيت حدّثني خالد الكِربيّ قال: كان سببُ قتلِ حُجْر أنه كان وفَد إلى أبيه الحارث بن عمرو في مرضه الذي مات فيه وأقام عنده حتى هلَك، ثم أقبل راجعاً إلى بني أسد وقد كان أغار عليهم في النِّساء [٩/٨٦] وأساء ولايتَهم، وكان يُقَدِّم / بعضُ ثَقَله أمامَه ويُهيّأ نُزُلُه ثم يجيء وقد هُيِّىء له من ذلك ما يُعجبه فينزل، ويُقَدِّم مثل ذلك إلى ما بين يديه من المنازل فيُضْرَب له في المنزلة الأخرى. فلما دنا من بلاد بني أسدَ وقد بلَغهم موت أبيه

(١) عرّ فلان فلاناً بشر: أصابه به.
(٢) القصدة: القطعة.
(٣) القطين هنا: الخدم والحاشية.

طمِعوا فيه. فلما أظلّهم وضُرِبت قِبابُه اجتمعت بنو أسَد إلى نَوْفَل بن رَبيعة بن خذّان، فقال: يا بني أسد! مَنْ يتلقّى هذا الرجلَ منكم فيقتطعَه؟ فإني قد أجمعتُ على الفتك به. فقال له القوم: ما لذلك أحدٌ غيرك. فخرج نَوْفَل في خيله حتى أغار على الثَّقَل فقتل مَنْ وجد فيه، وساق الثَّقَل وأصاب جاريتين قَيْنَتين لحُجر، ثم أقبل حتى أتى قومَه. فلما رأوا ما قد حدَث وأتاهم به عرفوا أن حجراً يُقاتلهم وأنه لا بدّ من القتال، فحشَد الناسُ لذلك، وبلغ حُجراً أمرُهم، فأقبل نحوَهم. فلما غَشِيهم ناهضوه القتالَ وهم بين أبْرَقَيْن من الرمل في بلادهم يُدْعَيان اليوم أبرقَيْ حُجْر، فلم يَلْبثُوا حُجْراً أن هزَموا أصحابَه وأسَروه فحبسوه. وتشاور[1] القوم في قتله، فقال لهم كاهن من كَهَنَتِهم بعد أن حبَسوه ليَرَوْا فيه رأيَهم: أيْ قوم! لا تعجَلوا بقتل الرجل حتّى أزجُرَ لكم. فانصرف عن القوم لينظر لهم في قتله. فلمّا رأى ذلك عِلْبَاءُ خشِي أن يتواكلوا في قتله؛ فدعا غلاماً من بني كاهل، وكان ابنَ أخته وكان حُجْرٌ قتل أباه زوجَ أخت علباء، فقال: يا بُنَيّ، أعندك خيرٌ فتثأرَ بأبيك وتنالَ شرفَ الدهر وإنّ قومك لن يقتلوك؟!. فلم يزل بالغلام حتى حرّبه[2]، ودفع إليه حديدةً وقد شَحذها وقال: أدخل عليه مع قومك ثم اطعُنه في مقتله: فعمَد الغلام إلى الحديدة فخبأها ثم دخل على حُجْر في قُبَّته التي حُبس فيها. فلمّا رأى الغلامُ غفلةً وثَب عليه فقتله، فوثب القوم على الغلام. فقالت بنو كاهل: ثأرُنا وفي أيدينا. فقال الغلام: إنما ثأرتُ بأبي، فخَلّوْا عنه. وأقبل كاهنُهم المُزْدجِر فقال: أيْ قوم! قتلتموه! مُلْكُ شهر، وذُلُّ دهر. أمَا والله لا تَحْظَوْن عند الملوك بعده أبداً.

/ وصيته لبنيه عند موته: [٨٧/٩]

قال ابن السِّكِّيت: ولما طَعن الأسديُّ حُجْراً ولم يُجْهِز عليه، أوصى ودفع كتابَه إلى رجل وقال له: انطلق إلى أبني نافع - وكان أكبرَ ولده - فإن بكى وجزِع فالْهُ عنه، واستَقْرِهم واحداً واحداً حتى تأتي امرأ القيس - وكان أصغرَهم - فأيُّهم لم يجزَع فادفع إليه سِلاحي وخيلي وقُدوري ووصيّتي. وقد كان بيَّن في وصيته مَنْ قتله وكيف كان خبره. فانطلق الرجل بوصيّته إلى نافع ابنه: فأخذ التراب فوضعه على رأسه. ثم استقراهم واحداً واحداً فكلُّهم فعل ذلك، حتى أتى امرأَ القيس فوجده مع نديم له يشرَب الخمر ويُلاعبه بالنَّرْد؛ فقال له: قُتِل حُجْر. فلم يلتفت إلى قوله، وأمسك نديمُه. فقال له امرؤ القيس: / إضرِبْ فضرب. حتى إذا فرَغ قال: ما كنتُ لأُفسد عليك دَسْتَك. ثم سأل الرسولَ عن أمر أبيه كلّه فأخبره. فقال: الخمرُ عليّ والنساء حرامٌ حتى أقتُل من بني أسد مائة وأجُزَّ نواصيَ[3] مائة. وفي ذلك يقول: ٦٨/٨

أرِقتُ ولم يأرَقْ لِمَا بيَ نافعُ وهاج لِيَ الشوقَ الهمومُ الروادعُ

وقال ابن الكلبيّ: حدّثني أبي عن ابن الكاهن الأسديّ: أنّ حُجْراً كان طرَد امرأ القيس وآلَى ألاّ يقيم معه أنَفَةً من قوله الشعر، وكانت الملوك تأنَف من ذلك، فكان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاطٌ من شُذَّاذ العرب من طيّء وكَلْب وبكْر بن وائل، فإذا صادف غَديراً أو روضةً أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم، وخرج إلى الصيد فتصيّد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنّته قِيانُه. ولا يزال كذلك حتى يَنْفَدَ ماءُ ذلك الغدير ثم

(١) في الأصول: «وشاور القوم».
(٢) حربه: حرشه.
(٣) يريد: حتى أقتل منهم مائة وآسر مائة. وكان من عادات العرب أنه إذا أسر الرجل منهم آخر وأراد أن يمن عليه جز ناصيته (وهي الشعر في مقدّم الرأس) وأطلقه، فتكون الناصية عنده فخراً.

ينتقل عنه إلى غيره. فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدَمُّون من أرض اليمن، أتاه به رجلٌ من بني عِجْل يقال له عامر الأعور أخو الوَصَّاف. فلما أتاه بذلك قال:

[٩/٨٨] / تَطَاولَ الليلُ على دَمُّونْ دَمُّونُ إنّا معشرٌ يمانونْ
وإنّنا[١] لأهلها مُحِبُّونْ

ثم قال: ضيَّعني صغيراً وحمَّلني دمَه كبيراً. لا صَحْوَ اليوم ولا سُكْرَ غداً. «اليومَ خمرٌ، وغداً أمرٌ» فذهبتْ مثلاً. ثم قال:

خليليَّ لا في اليومِ مَصْحًى لشاربٍ ولا في غدٍ إذ ذاك ما كان يُشْرَبُ

ثم شرِب سبعاً. فلمّا صحا آلى ألاّ يأكلَ لحماً، ولا يشربَ خمراً، ولا يَدَّهِنَ بدُهْن، ولا يصيبَ امرأةً، ولا يغسلَ رأسه من جنابة، حتى يُدرِك بثأره. فلما جَنَّه الليل رأى برقاً فقال:

أرِقْتُ لبرقٍ بليلٍ أهَلْ يُضيءُ سَنَاه بأعلَى الجبلْ
أتاني حديثٌ فكذَّبْتُه بأمرٍ تَزَعْزَعُ منه القُلَلْ
بقتلِ بني أسَدٍ ربَّهم ألا كلُّ شيءٍ سواه جَلَلْ[٢]
فأينَ رَبيعةُ عن ربِّها وأينَ تميمٌ وأينَ الخَوَلْ
ألاَ يحضُرون لدي بابه كما يحضُرون إذا ما أكلْ

وروى الهَيْثم عن أصحابه أنّ امرأ القيس لمّا قُتِل أبوه كان غلاماً قد ترعرع، وكان في بني حَنْظَلة مقيماً لأنّ ظِئْرَة كانت امرأةً منهم. فلما بلَغه ذلك قال:

يا لَهْفَ هندٍ إذ خَطِئنَ[٣] كاهلاً القاتلينَ المَلِكَ الحُلاَحِلاَ[٤]
[٩/٨٩] / تاللهِ لا يذهبُ شيخي باطلاً يا خيرَ شيخٍ حَسَباً ونائلاً
وخيرَهم - قد علموا - فواضلا[٥] يَحْمِلْنَنا والأَسَلَ النَّواهلا
وحيَّ صَعْبٍ والوَشِيجَ الذَّابلا مُسْتَثْفِراتٍ بالحصى جَوافِلاَ[٦]

---

(١) كذا في شرح «القاموس» (مادة دمن) و «معجم البلدان» لياقوت: وفي الأصول: «وإنما لأهلها محبون».
(٢) جلل: ها هنا بمعنى هين.
(٣) كذا في «ديوانه» ونسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. وخطىء ها هنا بمعنى أخطأ. وكاهل أبو فخذ من بني أسد، وهو كاهل بن دودان بن أسد بن خزيمة. (راجع «ديوان امرىء القيس» ص ٧٨ نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥ أدب ش. وفي الأصول: «حظين» بالحاء المهملة والظاء المعجمة.
(٤) الحلاحل: السيد الكريم. وقد ورد هذا الرجز في نسخ «ديوانه» مختلفاً في ترتيب شطراته. ويريد بالضمير في خطئن الخيل وبالقاتلين بني أسد.
(٥) ورد بدل هذا الشطر في إحدى نسخ «الديوان» قوله:
نحن جلبنا القرح القوافلا
والقرح: (بضم القاف وتشديد الراء مفتوحة) جمع قارح، وهو من الخيل ما كان في الخامسة من سنه.
والقوافل: الضوامر.
(٦) جوافل: مسرعات، يقال: جفل وأجفل إذا أسرع.

يعني صَعْبَ بنَ عليّ بن بكر بن وائل. معنى قوله «مستثفرات بالحصى»: يريد أنها أثارت الحصى بحوافرها لشدّة جريها حتى ارتفع إلى أثفارها[1] فكأنها استَثْفَرَتْ به.

هند بنت حجر يجيرها عوير بن شجنة:

وقال / الهَيْثم بن عَدِيّ: لمّا قُتل حُجْر انحازت بنتُه وقَطِينُه إلى عُوَيْر بن شَجْنة. فقال له قومه: كُلْ أموالَهم فإنهم مأكولون، فأبى. فلما كان الليلُ حمل هنداً وقَطِينَها وأخذ بخِطام جملها وأشْأم بهم في ليلة طَخْياء مُدْلَهِمَّة. فلما أضاء البرقُ أبدى عن ساقيه وكانت حَمْشَتَيْن[2]. فقالت هند: ما رأيت كالليلةِ ساقَيْ وافٍ. فسمعها فقال يا هند: هما ساقا غادِرٍ شرٍّ. فرمى بها النِّجَادَ حتى أطلعها نَجْرانَ، وقال لها: إني لست أغْنِي عنكِ شيئاً وراء هذا الموضع، وهؤلاء قومك، وقد برئتْ خفارتي. فمدحه امرؤ القيس بعدّة قصائد، منها قوله في قصيدة له:

٦٩/٨

ألاَ إنّ قوماً كنتم أمسِ دونَهم ... هم منعوا جاراتِكم آلَ غُدْرانِ[3]

عُوَيْرٌ ومَنْ مثلُ العُوَيْرِ ورَهْطِه ... أَبَرُّ بميثاقٍ وأَوْفَى بجيرانِ

هم أبلغوا الحَيَّ المُضَيَّعَ أهلَه ... وساروا بهم بين الفُراتِ ونَجْرانِ

/ وقوله: [٩٠/٩]

ألاَ قَبَّحَ اللهُ البَراجِمَ كلَّها ... وجَدَّعَ يَرْبُوعاً وعفَّرَ دارِما

فما فعلوا فعلَ العُوَيْرِ ورهطِه ... لدى بابِ حُجْرٍ إذ تجرَّدَ قائما

وقال ابن قُتَيْبة في خبره: إنّ القصة المذكورة عن عُوَيْر كانت مع أبي حَنْبَل وجارية ابن مُرّ. قال ويقال: بل كانت مع عامر بن جُوَيْن الطائيّ وإن ابنته أشارت عليه بأخذ مال حُجْر وعياله، فقام ودخل الواديَ ثم صاح: ألاَ إنّ عامر بن جوين غدر، فأجابه الصّدي مثلَ قوله، فقال ما أقبح هذا من قول! ثم صاح: ألاَ إنّ عامر بن جُوَيْن وَفَى، فأجابه الصَّدَى بمثل قوله، فقال: ما «أحسن هذا! ثم دعا ابنتَه بجَذَعةٍ[4] من غنم فاحتلبها وشرب واستلقَى على قفاه وقال: والله لا أغدِر ما أجزأتْني جَذَعةٌ. ثم نَهض وكانت ساقاه حَمْشَتين، فقالت ابنته: والله ما رأيتُ كاليوم ساقَيْ وافٍ. فقال: وكيف بهما إذا كانتا ساقَيْ غادرٍ! هما والله حينئذٍ أقبح.

أمرؤ القيس يستعدي بكراً وتغلب على بني أسد:

وقال ابن الكلبيّ عن أبيه ويعقوبُ بن السِّكِّيت عن خالد الكلابيّ:

إن امرأ القيس ارتحل حتى نزل بَكْراً وتَغْلِبَ، فسألهم النصرَ على بني أسد. فبعث العيونَ على بني أسد فنَذِروا[5] بالعيون ولجئوا إلى بني كِنانة. وكان الذي أنذرهم بهم عِلْباء بن الحارث. فلما كان الليلُ قال لهم عِلْباءُ:

---

(١) الأثفار: جمع ثفر (بالتحريك) وهو السير الذي في مؤخرة السرج تحت ذنب الدابة. وأما الثفر (بفتح فسكون وبضم فسكون) فهو لجميع ضروبٌ السباع ولكل ذات مخلب كالحياء للناقة.

(٢) حمشتين: دقيقتين.

(٣) آل غدران (بالضم): بطن من العرب.

(٤) الجذعة: الفتية.

(٥) نذروا: علموا فحذروا.

يا معشَر بني أسد تعلمون! والله إنّ عيون أمرىء القيس قد أتتكم ورجعتْ إليه بخبركم، فارحَلوا بليل ولا تُعْلِموا بني كنانة، ففعلوا. وأقبل أمرؤ القيس بمن معه من بكر وتَغْلِب حتى انتهى إلى بني كِنانة وهو يحسَبهم بني أسد فوضع السِّلاح فيهم وقال: يا لِثارات المِلك! يا لِثارات الهُمام! فخرجت إليه عجوزٌ من بني كِنانة فقالت: أَبَيْتَ اللَّعنَ! لسنا [٩/٩١] لك بثأر، / نحن من كنانة، فدونكَ ثأرَك فاطلبهم فإن القوم قد ساروا بالأمس. فتبع بني أسد ففاتوه ليلتَهم تلك ـ فقال في ذلك:

ألا يـــا لَهْـــفَ هنـــدٍ إثْـــرَ قـــومٍ ... هـــمُ كـــانـــوا الشفـــاءَ فلـــم يُصـــابـــوا

وقـــاهـــم جَـــدُّهـــم[١] ببنـــي أبيهـــم ... وبـــالأَشْقَيْـــنَ مـــا كـــان العقـــابُ

وأَفْلتهـــنّ عِلْبـــاءٌ جَـــريضـــاً[٢] ... ولـــو أدركْنَـــه صَفِـــرَ الـــوِطـــابُ

يعني ببني أبيهم[٣] بني كنانة، لأن أسداً وكِنانة ابنيْ خُزيمة أخوان.

٧٠/٨ أخبرني أبو خَليفة عن محمد / بن سَلاّم قال:

سمعت رجلاً سأل يونس عن قوله «صفِر الوِطابُ»، فقال: سألنا رُؤْبةَ عنه فقال: لو أدركوه قتلوه وساقوا إبله فصَفِرتْ وِطابُه من اللَّبن. وقال غيره: صَفِرَ الوطابُ أي إنه كان يُقْتَل فيكون جسمه صِفراً من دمه كما يكون الوطاب صفراً من اللَّبن.

[وأدركهم[٤]] ظُهْراً وقد تقطَّعتْ خيلُه وقطع أعناقَهم العطش، وبنو أسد جامُّون[٥] على الماء، فنَهَد إليهم فقاتلهم حتى كثُرت الجرحى والقتلى فيهم، وحَجز اللَّيلُ بينهم، وهَرَبت بنو أسد. فلما أصبحتْ بَكْر وتَغْلِبُ أَبَوْا أن [٩/٩٢] يَتْبعوهم وقالوا له: قد أصبتَ ثأرَك. قال: والله ما فعلتُ ولا أصبتُ من بني كاهل ولا من غيرهم / من بني أسد أحداً. قالوا: بلى، ولكنك رجل مشئوم. وكرهوا قتالَهم بني كنانة[٦] وانصرفوا عنه. ومضى هارباً لوجهه حتى لَحِق بحِمْيَر.

يلجأ إلى عمرو بن المنذر:

وقال ابن السِّكِّيت حدّثني خالد الكلابيّ: أن امرأ القيس لمّا أقبل من الحرب على فرسه الشَّقْراء لجأ إلى ابن عمّته عمرو بن المُنْذر ـ وأمّه هند بنت عمرو بن حُجْر بن آكل المُرَار، وذلك بعد قتل أبيه وأعمامه وتَفَرُّقِ مُلْكِ أهل بيته، وكان عمرو يومئذٍ خليفةً لأبيه المنذر ببَقَّة وهي بين الأنبار وهِيتَ ـ فمدحه وذكر صِهْرَه ورَحِمَه وأنه قد تعلَّق بحباله ولجأ إليه. فأجاره، ومكث عنده زماناً. ثم بلغ المنذرَ مكانُه عنده فطلبه، وأنذره عمرو فهرَب حتى أتى حِمْيَرَ.

---

(١) الجد: الحظ. والأشقين: جمع أشقى، أي وقى بني أسد حظهم إذ وقع العقاب بالأشقين بني أبيهم وهم كنانة.
(٢) أفلتهنّ جريضاً أي أفلتهنّ بعد جهد ومشقة. والأصل في الجرض: الغصص بالريق. وظاهر أن مرجع الضمير في «أفلتهن» و«أدركنه» الخيل التي كروا بها عليهم.
(٣) في الأصول: يعني بأبيهم بني كنانة» وهو غير مستقيم.
(٤) التكملة عن «تجريد الأغاني».
(٥) كذا في أ، م: وجامون: مجتمعون مستريحون. وفي «تجريد الأغاني»: «جاثمون». وفي سائر الأصول: «حامون» بالحاء المهملة، وهو تصحيف.
(٦) أظن أن صوابه: «بني أسد».

يستنصر أزدشنوءة:

وقال ابن الكلبيّ والهَيْثم بن عَدِيّ وعمر بن شَبَّة وابن قُتَيْبة:

فلمّا امتنعتْ بكرُ بن وائل وتَغْلِب من اتّباع بني أسد خرج من فَوْره ذلك إلى اليمن فأستنصر أَزْدَشَنُوءة، فأبَوْا أن ينصروه وقالوا: إخواننا وجيراننا.

ومرثد الخير الحميري:

فنزل بقَيْلٍ يُدْعَى مَرْثَد الخير بنَ ذي جَدَن الحِمْيَريّ، وكانت بينهما قَرابة، فأستنصره واستمدّه على بني أسد، فأمدّه بخمسمائة رجل من حِمْيَر؛ ومات مرثد قبل رحيل امرىء القيس بهم.

وقرمل بن الحميم:

وقام بالمملكة بعده رجلٌ من حمير يقال له قَرْمَل بن الحميم وكانت أمّه سوداء، فردّد امرأ القيس وطوّل عليه حتى همّ بالانصِراف وقال:

وإذ نحنُ ندعو مَرْثَد الخيرِ ربَّنا ... وإذ نحن لا نُدْعَى عَبيداً لقَرْمَلِ

فأنفذ له ذلك الجيشَ؛ وتبعه شُذّاذٌ من العرب، واستأجر من قبائل العرب رجالاً، فسار بهم إلى بني أسد. ومرّ بتَبالَة[1] وبها صنم للعرب تعظّمه يقال له / ذو الخَلَصة[2]؛ فاسْتَقْسم[3] عنده بقداحة وهي ثلاثة الآمر والناهي والمتربّص، فأجالها فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي، فجمعها وكسرها وضرب بها وجهَ الصنم وقال: مَصِصْتَ بَظْرَ أمّك! لو أبوك قُتِل ما عُقْتَني. ثم خرج فظفِر ببني أسد. ويقال: إنه ما استُقْسِم عند ذي الخَلَصة بعد ذلك بقِدْح حتى جاء أمر الله بالإسلام وهدَمه جَرير بن عبدالله البَجَليّ. [٩٣/٩]

طلبه المنذر فهرب ونزل بالحارث بن شهاب:

قالوا: وألَحّ المنذر في طلب امرىء القيس ووجّه الجيوشَ في طلبه من إياد وبَهْراء وتَنُوخ ولم تكن لهم طاقة، وأمدّه أنُو شِرْوانُ بجيش من الأساورة فسرّحهم في طلبه. وتفرّقت حِمْيَرُ ومن كان معه عنه. فنجا في عُصْبة من بني آكل المُرَار حتى نزل بالحارث بن شِهاب من بني يَرْبُوع بن حَنْظَلة، ومع امرىء القيس أدراع خمسة: الفَضْفاضة والضافية والمحصّنة والخِريق[4] وأمّ الذيول كُنّ لبني آكل المرار يتوارثونها مَلِكاً عن / ملك. فقلّما لبِثوا عند الحارث بن شهاب حتى بعث إليه المنذر مائةً من أصحابه يُوعِده بالحرب إن لم يُسلم إليه بني آكل المُرار فأسلمهم؛ ونجا امرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث وبنته هند (بنت امرىء القيس) والأَدْرُع والسلاح ومال كان بقي معه، فخرج على وجهه حتى وقع في أرض طيّىء. $\frac{٧١}{٨}$

ثم نزل على سعد بن الضباب الإيادي:

وقيل: بل نزل قبلَهم[5] على سعد بن الضُّباب الإيَاديّ سيّدِ قومه فأجاره.

(١) تبالة: موضع بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة.

(٢) ذو الخلصة: مروة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج، وكان سدنتها بني أمامة من باهلة بن أعصر وكانت تعظمها وتهدي لها خثعم وبجيلة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن. («الأصنام» لابن الكلبي ص ٤٣).

(٣) الاستقسام بالأزلام: طلب معرفة ما قسم للمرء مما لم يقسم.

(٤) في أ، م: «الخريق». وفي «تجريد الأغاني»: «الحريق».

(٥) كذا في «تجريد الأغاني»: وفي الأصول: «قبله».

[٩/٩٤] / قال ابن الكلبيّ: وكانت أمّ سعد بن الضِّباب تحت حُجْرٍ أبي أمرىء القيس فطلّقها وكانت حاملاً وهو لا يعرف، فتزوجها الضِّباب فولَدت سعداً على فراشه، فلحِق نسبُه به. فقال أمرؤ القيس يذكر ذلك:

يُفاكهنا سعدٌ ويُنْعِمُ بالنَّنا ... ويغدو[١] علينا بالجِفَانِ وبالجُزُرْ
ونعرف فيه من أبيه شمائلاً ... ومن خاله ومن يزيدَ ومن حُجُرْ
سماحةَ ذا وبِرَّ ذا ووفاء ذا ... ونائلَ ذا إذا صحا وإذا سَكِرْ

والمعلَّى بن تيم:

ثم تحوّل عنه فوقع في أرض طيِّء[٢] فنزل برجل من بني جَدِيلةَ يقال له المعلَّى بن تَيْم. ففي ذلك يقول:

كأنّي إذ نزلتُ على المُعَلَّى ... نزلتُ على البواذخ من شَمَامِ[٣]
فما مَلِكُ العراقِ على المُعَلَّى ... بمقتدرٍ ولا مَلِكُ الشآمِ
أقرَّ حَشَى أمرىء القيس بن حُجْرٍ ... بنو تَيْمٍ مصابيحُ الظلامِ

ثم ببني نبهان:

قالوا: فلبث عنده واتّخذ إبلاً هناك. فغدا قومٌ من بني جَدِيلَة يقال لهم بنو زيد فطردوا الإبل. وكانت لامرىء القيس رواحل مُقيَّدة عند البيوت خوفاً من أن يَدْهَمه أمرٌ ليسبق عليهن. فخرج حينئذٍ فنزل ببني نَبْهان من طيِّء، فخرج نفر منهم فركبوا الرواحل ليطلبوا له الإبل فأخذتهن جَدِيلة، فرجعوا إليه بلا شيء. فقال في ذلك:

وأعجبني مَشْيُ الحُزُقَّةِ خالدٍ ... كمشي أتانٍ حُلِّئَتْ بالمناهلِ[٤]
[٩/٩٥] / فدع عنك نَهْباً صِيحَ في حَجَراتِه[٥] ... ولكن حديثاً ما حديثُ الرَّواحلِ

ففرّقت عليه بنو نَبْهان فِرَقاً[٦] من مِعْزًى يحلُبها. فأنشأ يقول:

إذا ما لم تَجِدْ إبلاً فمِعْزًى ... كأن قُرون جِلَّتها[٧] العِصِيّ

---

(١) ورد هذا الشطر في «ديوانه» هكذا:

بمثنى الزقاق المترعات وبالجزر

(٢) في الأصول: «من أرض طيِّء» وهو تحريف. وعبارة «تجريد الأغاني»: «ثم تحول عنه فنزل بأرض طي عند رجل...».

(٣) شمام: اسم جبل لباهلة.

(٤) هذه رواية «الديوان». والحزقة: القصير الذي يقارب الخطو. وحلئت: منعت عن الماء وطردت مرة بعد مرة. وفي الأصول:

عجبت له مشي الحزقة خالد

(٥) الحجرات: النواحي. يقول: دع النهب الذي صاح المنتهب في نواحيه وأخذه، وحدّثني حديث الرواحل وهي الإبل التي ذهبت بها ما فعلت. (راجع «اللسان» في مادة حجر و «شرح ديوانه»).

(٦) الفرق: القطيع من الغنم والبقر والظباء، وقيل: هو ما دون المائة من الغنم. ومن جعل الألف في «معزى» للتأنيث منعه من الصرف، ومن جعلها للإلحاق صرف، وهو الأرجح.

(٧) الجلة: المسان (بفتح الميم وتشديد النون كبيرات السن). ويروى هذا الشطر في «ديوانه»:

ألا إلا تكن إبل فمعزى

إذا مــا قــام حــالبُهــا أرَنَّــتْ[1] كــأن القــوم صبَّحهــم نَعِــيُّ
فتمــلأُ بيتَنــا أَقِطــاً[2] وَسَمْنــاً وَحسْبُــك مــن غِنًــى شِبَــعٌ ورِيُّ

ثم نزل بعامر بن جوين:

فكان عندهم ما شاء الله. ثم خرج فنزل بعامر بن جُوَيْن واتخذ عنده إبلاً، وعامرٌ يومئذٍ أحد الخُلَعاء الفُتَّاك قد تبرأ قومُه من جرائره، فكان عنده ما شاء الله، ثم همَّ أن يغلبه على أهله وماله، ففطَن امرؤ القيس بشعر كان عامر ينطق به وهو قوله:

فكــم بالصعيد[3] مــن هِجَــانٍ مــؤبَّلَــةٍ تَسِيــر صِحــاحــاً ذاتَ قيــد ومُــرْسَلَــةْ
أردتُ بهــا فَتْكــاً فلــم أرْتَمِــضْ[4] لــه وَنَهْنهــتُ نفســي بعدمــا كــدتُ أفعلَــه[5]

[٩٦/٩]
/ وكان عامر أيضاً يقول يعرِّض بهند بنت أمرىء القيس:

٧٢/٨
/ ألاَ حَــيِّ هنــداً وأطــلالَهــا وتَظْعــانَ هنــدٍ وتَحْــلالَهــا
هَمَمْــتُ بنفســيَ كــلَّ الهُمــوم فــأَوْلَــى لنفســيَ أوْلَــى لهــا[6]
ســأحمِــلُ نفســي علــى آلــةٍ[7] فــإمّــا عليهــا وإمّــا لهــا

هكذا رَوى ابنُ أبي سعد عن دارِم بن عِقال. ومن الناس من يَروي هذه الأبياتَ للخَنْساء في قصيدتها:

ألاَ مــا لِعَيْنِــي ألاَ مــا لَهــا لقــد أخضَــلَ الــدمــعُ سِــرْبــالَهــا

ثم بحارثة بن مر:

قالوا: فلما عرف امرؤ القيس ذلك منه وخافه على أهله وماله، تغفَّله وانتقل إلى رجل من بني ثُعَل يقال له حارثة بن مُرّ فاستجار به. فوقعت الحربُ بين عامر وبين الثُّعَلِيّ، فكانت في ذلك أمورٌ كثيرة. قال دارِم بن عِقال في خبره: فلمّا وقعت الحربُ بين طيِّىء من أجله، خرج من عندهم فنزل برجل من بني فَزارة يقال له عمرو بن جابر بن مازِن، فطلب منه الجوارَ حتى يرَى ذاتَ عَيْنِه[8]. فقال له الفَزاريّ: يابنَ حُجْر، إني أراكَ في خَلَلٍ من قومك وأنا أَنْفَسُ[9]

---

(١) رواية «الديوان» في هذا البيت:

إذا مشــت حــوالبهــا أرنــت كــأن الحــي صبحهــم نعــي

ببناء الفعل (مشت) للمجهول. ومشت حوالبها: مسحت بالكف ليدر اللبن. والحوالب: العروق التي تدر اللبن في الضرع واحدها حالب. وأرنت: صوتت. ويحتمل أن تكون المعزى هي المرنة، وأن يكون الإرنان صوت الشخب الذي يقع في الإناء من كثرة اللبن.

(٢) الأقط: شيء يتخذ من اللبن المخيض مثل الجبن.

(٣) كذا في «تجريد الأغاني»: وفي جـ: «فكم من سعيد». وفي سائر النسخ: «فكم بالصحيح» وهما تحريف.

(٤) ارتمض: حزن، أي فلم أحزن ولم آسف له. ونهنه: كف.

(٥) نصب الفعل على تقدير «أن» أي بعد ما كدت أن أفعله، وهو شاذ.

(٦) أولى لك: كلمة توعد وتهديد، وقد تكون كلمة تلهف، يقولها الرجل إذا حاول شيئاً فأفلته من بعد ما كاد يصيبه.

(٧) الآلة هنا: الحالة.

(٨) يريد: ينظر في أمره ويصلح من شأنه.

(٩) أنفس به: أضن به.

بمثلك من أهل الشرف، وقد كدتَ بالأمس تؤكل في دار طيِّىء، وأهلُ البادية أهلُ بَرٍّ لا أهل حصون تمنعهم، وبينك وبين أهل اليمن ذُؤبانٌ من قَيْس، أفلا أدلُّك على بلد! فقد جئتُ قَيْصَرَ وجئت النُّعْمَانَ فلم أرَ لضيفٍ نازل ولا لمُجْتَدٍ مِثْلَه ولا مثلَ صاحبه. قال: من هو وأين منزلُه؟ قال: السَّمَوءلُ بتَيْمَاءَ، وسوف أضرب لك مَثَله، هو يمنع ضعفك حتى ترى ذاتَ عَيْنِك، وهو في حِصْن حَصين وحَسَبٍ كبير. فقال له أمرؤ القيس / وكيف لي به؟ قال: أوصلك إلى من يُوصلك إليه؛ فصحِبه إلى رجلٍ من بني فَزَارة يقال له الرَّبِيع[1] بن ضَبعُ الفَزَاري ممن يأتي السموءل فيَحْمِلُه ويُعْطيه. فلمّا صار إليه قال له الفَزَاريّ: إنّ السموءلَ يعجبه الشعر. فتعالَ نتناشدْ له أشعاراً. فقال أمرؤ القيس: قل حتى أقول. فقال الربيع:

[٩٧/٩]

قُـلْ للمنيَّـة أيَّ حِيـنٍ نلتقـي ... بِفِنـاء بيتِـك فـي الحَضِيـض المَـزْلَـقِ

وهي طويلة يقول فيها:

ولقـد أتيـتُ بَنـي المُصـاصِ مُفَـاخِـراً ... وإلـى السمـوءل زُرْتُـه بـالأبْلَـقِ

فـأتيـتُ أفضـلَ مَـنْ تحمَّـل حـاجـةً ... إن جئتـه فـي غـارِمٍ أو مُـرْهَـقِ

عـرفـتْ لـه الأقـوامُ كـلَّ فضيلـةٍ ... وحَـوَى المكـارمَ سـابقـاً لـم يُسْبَـقِ

قال: فقال أمرؤ القيس:

طـرَقَتْـك هنـدٌ بعـد طـول تجنُّـبِ ... وَهْنـاً ولـم تَـكُ قبـل ذلـك تَطْـرُقُ

وهي قصيدة طويلة، وأظنّها منحولة لأنها لا تشاكل كلام أمرىء القيس، والتوليدُ فيها بيِّن، وما دوّنها في «ديوانه» احد من الثِّقات؛ وأحسَبها مما صنعه دارِمٌ لأنه من ولد السموءل ومما صنعه من روى عنه من ذلك فلم تكتب هنا[2].

قال فوفَد الفزاريُّ بأمرىء القيس إليه. فلما كانوا ببعض الطريق إذا هم ببقرةٍ وحشية مرميَّة. فلما نظر إليها أصحابُه قاموا فذكُّوها. فبينما هم كذلك إذا هم بقوم قَنّاصين من بني ثُعَلَ[3]. فقالوا لهم: من أنتم؟ / فانتسبوا لهم، وإذا هم من جيران السموءل فانصرفوا جميعاً. وقال أمرؤ القيس:

٧٣/٨

[٩٨/٩]

/ رُبَّ رامٍ مِـن بنـي ثُعَـلِ ... مُخْـرِجٍ كَفَّيْـهِ مِـن قُتَـرِه[4]

عـارِضٍ زَوْراءَ مِـن نَشَـمٍ ... مـع بـانـاةٍ علـى وَتَـرِه[5]

ـ هكذا في رواية ابن دارِم. ويُرْوى «غير باناةٍ» و«تحت باناةٍ» ـ

(١) في «المشتبه» أنه اختلف فيه هل هو بفتح الراء أو ضمها.

(٢) وردت هذه الجملة هكذا في الأصول. ولعل صوابها «أو مما صنعه من روى عنه فلم تكتب هنا».

(٣) ثعل: قبيلة من طيّىء.

(٤) القتر: جمع قترة وهي بيت الصائد الذي يكمن فيه للوحش لئلا تراه فتنفر منه.

(٥) يقال: عرض الرامي القوس عرضاً إذا أضجعها ثم رمى عنها. وزوراء: معوجة. والنشم: شجر تتخذ منه القسي. والرواية التي كتب عنها الشراح هي رواية «غير باناة» والباناة لغة طيّىء في البانية كما يقولون في ناصية ناصاة وفي قارية قاراة. والبانية من القسي: التي لصق وترها بكبدها حتى كاد ينقطع وترها في بطنها من لصوقه بها، وهو عيب. و«على» بمعنى «عن» أي غير بانية عن الوتر. وعلى هذا الوجه يكون «غير» بنصب الراء صفة لزوراء. ويجوز أن يكون بكسر الراء على أنه من صفة الرامي، يقال رجل باناة وهو الذي ينحني صلبه إذا رمى فيذهب سهمه على وجه الأرض، وعلى هذا تكون «على» هنا في موضعها.

إذ أتتــــه الــــوحـــــشُ واردةً ... فتنحّـــى النـــزعَ فـــي يَسَـــرِهْ[١]
فـــرمـــاهـــا فـــي فـــرائِصِهـــا ... بـــإزاء الحـــوضِ أو عُقُـــرِهْ[٢]
بِـــرهيـــشٍ[٣] مـــن كِنـــانَتِـــه ... كتلظّـــي الجمـــرِ فـــي شَـــرَرِهْ
/ راشَـه مـــن رِيـــشِ نـــاهضـــةٍ ... ثـــم أَمْهـــاه علـــى حَجَـــرِهْ[٤]
فهـــو لا تَنْمِـــي رَمِيَّتُـــه[٥] ... مـــا لَـــهُ لا عُـــدَّ مـــن نَفَـــرِهْ

[٩٩/٩]

طلب إلى السموءل أن يكتب له إلى الحارث ليوصله إلى قيصر:

قال: ثم مضى القومُ حتى قدِموا على السَّمَوءل، فأنشده الشعرَ، وعرف لهم حقَّهم، فأنزل المرأةَ في قبّة أَدَم وأنزل القومَ في مجلس له بَرَاحٍ؛ فكان عنده ما شاء الله. ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شَمِر الغَسّانيِّ بالشأم ليوصله إلى قيصر؛ فاستنجد له رجلاً، واستودع[٦] عنده المرأةَ والأدراعَ والمال، وأقام معها يزيد بن معاوية بن الحارث ابن عمّه. فمضى حتى انتهى إلى قيصر؛ فقبِله وأكرمه وكانت له عنده منزلة.

لما وصل إلى قيصر دس له عنده الطماح حتى سمه بحلة خلعها عليه:

فاندسّ رجل من بني أسد يقال له الطمّاح، وكان امرؤ القيس قد قتل أخاً له من بني أسد، حتى أتى إلى بلاد الروم فأقام مستخفياً. ثم إن قيصر ضمّ إليه جيشاً كثيفاً وفيهم جماعة من أبناء الملوك. فلما فصَل قال لقيصر قوم من أصحابه: إن العرب قومُ غدرٍ ولا تأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوَك بمن بعثتَ معه. وقال ابن الكلبيّ: بل قال له الطمّاح: إنّ امرأ القيس غَوِيٌّ عاهرٌ وإنه لمّا انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسل ابنتك ويواصلها، وهو قائل

---

(١) واردة: عطاشا. وتنحّى: انعطف. ويروى: «فتنحى» و«فتمتى» أي تمطى ومعناه: مدّ ونزع. والنزع الرمي عن القوس. وفي يسره - كما في «شرح ديوانه»، رواية أبي سهل (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣ أدب ش) - أي في يسر السهم للرمي. قال أبو سهل: يقول القوس في يساره فإذا اشتدّ يساره تابع مدّه فنفذ السهم أجود وإلا لم ينفذ جيداً. وفي «اللسان» (مادة يسر) عن الجوهري أن اليسرة بالتحريك أسرار الكف (خطوطها) إذا كانت غير ملتزقة وهي تستحب. قال شمر: ويقال في فلان يسر؛ وأنشد:

فتمتى النزع في يسره

قال: هكذا روى عن الأصمعي وفسره حيال وجهه. ويروى: «في يسره» بضم الياء وفتح السين جمعاً ليسرى، ويروى «في يسره» بضمتين جمعاً ليسار.

(٢) الفرائص: جمع فريصة وهي التي ترعد من الدابة عند مرجع الكتف تتصل بالفؤاد. وإزاء الحوض: مصب الماء فيه. وعقره: موضع الشاربة، يريد أن هذا الرامي حاذق خبير بالرمي لا يرميها إلا في مقتل. وخص إزاء الحوض أو عقره لأنه مكان تأمن فيه وتطمئن إليه، فهو أمكن له فيما يريد منها.

(٣) الرهيش: السهم الضامر الخفيف.

(٤) الناهض الذي وفر جناحه ونهض للطيران. وأدخل الهاء في ناهضة للمبالغة أو لأنه أراد الأنثى، كما يقال صقر وصقرة. قال أبو بكر: وخص ريش النواهض لأن ريشها ألين وأطول وريش المسان لا خير فيه. أمهاه: أرقه. وقال أبو عبيدة: أمهاه: سقاه الماء.

(٥) أي لا ترتفع من مكانها الذي أصابها فيه السهم لحذق الرامي؛ يقال: أنميت الصيد فنمى ينمي وذلك أن ترميه فتصيبه ويذهب عنك فيموت بعد ما يغيب. ومعنى لا عد من نفره: أماته الله فلا يعد من قومه، والمراد التعجب منه، كما يقال: قاتله الله في موضع المدح والتعجب.

(٦) في جـ: «واستودعه».

في ذلك أشعاراً يُشَهِّرها بها في العرب فيفضَحُها ويفضحُك. فبعث إليه حينئذ بحُلّة وَشْيٍ مسمومةٍ منسوجةٍ بالذهب وقال له: إني أرسلت إليك بحُلّتي التي كنت أَلْبَسُها تكرِمَةً لك، فإذا وصلتْ إليك فالْبَسْها باليُمْن والبركة، واكتب [٩/١٠٠] إليَّ بخبرك من منزلٍ منزلٍ. فلما / وصلتْ إليه لبِسها واشتدّ سرورُه بها؛ فأسرع فيه السمّ وسقط جلده؛ فلذلك سمِّي ذا القُروح، وقال في ذلك:

لقد طمَح الطمّاح من بُعد أرضه ... ليُلْبِسَني ممّا يلبَس أبؤسا[1]

فلو أنها نفسٌ تموت سَوِيَّةً ... ولكنّها نفسٌ تَساقَطُ أنفُسا

قال: فلما صار إلى بلدة من بلاد الروم تُدْعى أَنْقِرَةَ احتُضِر بها؛ فقال:

رُبَّ خُطبةٍ مُسْحَنْفِرَه ... وطَعْنةٍ مُثْعَنْجِرَه[2]

وجَفْنةٍ مُتَحَيِّره ... حَلَّت بأرض أنقِره

ورأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدُفنتْ في سَفْح جبل يقال له عَسيب؛ فسأل عنها فأخبر بقصتها، فقال:

[٩/١٠١] / أجارتَنا إنّ المزارَ قريبُ ... وإنّي مقيمٌ ما أقام عَسيبُ

٧٤/٨ / أجارتَنا إنّا غريبانِ ها هنا ... وكلُّ غريبٍ للغريب نسيبُ

ثم مات فدُفن إلى جنب المرأة، فقبرُه هناك.

عبدالملك بن عمير يحدث عمر بن هبيرة بحديث عنه فيسرّ به ويجيزه:

أخبرني محمد بن القاسم عن مُجالد بن سعيد عن عبدالملك بن عُمَيْر قال:

قَدِم علينا عمر بن هُبَيْرة الكوفةَ، فأرسل إلى عشرةٍ أنا أحدهم من وجوه الكوفة فسمَروا عنده، ثم قال: ليحدِّثْني كلُّ رجل منكم أحدوثةً وابدأ أنت يا أبا عمر[3]. فقلت أصلح الله الأمير! أحديثَ الحقِّ أم حديثَ الباطل؟ قال: بل حديثَ الحق. قلت: إنّ امرأ القيس آلى بأَلِيّةٍ الاّ يتزوّج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة وثنتين؛ فجعل

---

(١) في «ديوانه»:

وبدلت قرحا داميا بعد صحة ... لعل منايانا تحولن أبؤسا

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ... ليلبسني من دائه ما تلبسا

(٢) يقال: اسحنفر في خطبته إذا مضى واتسع في كلامه. والمثعنجرة: السائلة، يقال: ثعجر الدم فاثعنجر إذا صبه فانصب. والجفنة المتحيرة: الممتلئة طعاماً ودسماً. وهذه الشطرة الثالثة غير متزنة. وقد ورد هذا الشعر في مقدمة «ديوانه» المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ١٣ أدب ش:

وطعنة مثعنجره ... وخطبة مسحنفره

وجفنة مدعثره ... تبقى غدا بأنقره

والجفنة المدعثرة: المثلمة. وورد في «اللسان» (مادة ثعجر) وكتاب «الشعر والشعراء» وليس فيهما هذا الشطر؛ ففي «اللسان»:

رب جفنة مثعنجره ... وطعنة مسحنفره

تبقى غدا بأنقره

وفي «الشعر والشعراء»:

وطعنة مسحنفره ... وجفنة مثعنجره

تبقى غدا بأنقره

(٣) يكنى عبدالملك بن عمير أبا عمر وأبا عمرو.

يخطب النساء، فإذا سألهنّ عن هذا قلن أربعةَ عشرَ. فبينما هو يسير في جَوْف الليل إذا هو برجل يحمل ابنةً له صغيرةً كأنها البدر ليلةَ تمامه، فأعجبته، فقال لها: يا جارية! ما ثمانيةٌ وأربعةٌ واثنتان؟. فقالت: أمّا ثمانيةٌ فأطْباءُ الكلبة. وأمّا أربعةٌ فأخلاف الناقة. وأمّا اثنتان فثَدْيا المرأة. فخطبها إلى أبيها فزوَّجه إيّاها. وشرَطت هي عليه أن تسأله ليلةَ بِنائها عن ثلاثِ خِصَال، فجعل لها ذلك، وأن يسوق إليها مائةً من الإبل وعشرةَ أعبُدٍ وعشرَ وصائف وثلاثةَ أفراسٍ ففعل ذلك. ثم إنه بعث عبداً له إلى المرأة وأهدى إليها نِحْياً[1] من سمن ونحْياً من عسل وحُلّةً من عَصْب. فنزلَ العبد ببعض المياه فنشَر الحُلّة ولبِسها فتعلَّقت بعُشَرَةٍ فانشقَّت، وفتح النِّحْيين فطعم أهلُ الماء منهما فنقصا. ثم قَدِم على حيّ المرأة وهم خُلُوف[2]. فسألها عن أبيها وأمِّها وأخيها ودفع إليها هديَّتَها. فقالت له: أعْلِمْ مولاك أن أبي ذهب يُقرِّب بعيداً ويُبَعِّد قريباً، وأن أمّي ذهبت تَشُقّ النَّفْسَ / نَفْسَين، وأنّ أخي يراعي الشمس، وأن سماءكم انشقّت، وأنّ وعاءيكم نَضَبا. فقدِم الغلامُ على مولاه فأخبره. فقال: أمّا قولُها إنّ أبي ذهب يقرِّب بعيداً ويبعِّد قريباً، فإنّ أباها ذهب يُحالف قوماً على قومه. وأمّا قولُها ذهبتْ أمّي تشقُّ النفس نفسين، فإنّ أمَّها ذهبت تَقْبَل[3] امرأةً نُفَساء. وأمّا قولُها: إنّ أخي يُراعي الشمس، فإنّ أخاها في سَرْحٍ له يرعاه فهو ينتظرُ وُجوبَ الشمس لِيَرُوحَ به. وأمّا قولُها: إن سماءكم انشقَّت، فإن البُرْد الذي بعثتُ به انشقّ. وأمّا قولُها إن وِعاءيكم نَضَبا، فإنّ النِّحيين اللّذين بعثتُ بهما نقصا، فاصْدُقْني. فقال: يا مولاي، إني نزلت بماء من مياه العرب، فسألوني عن نسبي فأخبرتُهم أنّي ابن عمِّك، ونشرتُ الحُلّة فانشقّتْ، وفتحتُ النِّحيين فأطعمتُ منهما أهلَ الماء. فقال: أوْلَى لك!. [١٠٢/٩]

ثم ساق مائةً من الإبل وخرج نحوَها ومعه الغلامُ، فنزلا منزلاً. فخرج الغلام يسقي الإبل فعجَز؛ فأعانه امرؤ القيس؛ فرمى به الغلام في البئر، وخرج حتى أتى المرأةَ بالإبل، وأخبرهم أنه زوجُها. فقيل لها: قد جاء زوجك. فقالت: واللهِ ما أدري أزوجي هو أم لا! ولكن انحَروا له جَزُوراً وأطعِموه من كَرِشِها وذَنَبِها ففعلوا. فقالت: اسقوه لبناً حازِراً (وهو الحامض) فسقَوْه فشرب. فقالت: افْرُشوا له عن، الفَرْث[4] والدم، ففرَشوا له فنام. فلما أصبحتْ أرسلتْ إليه: إني أريد أن أسألك. فقال: سَلِي عمّا شئتِ. فقالت: مِمَّ تختلج شَفَتاك؟ قال: لتقبيلي إيّاك. قالت: فمِمّ يختلج كَشْحاك؟ قال: لالتزامي إيّاك. قالت: فمِمّ يختلج فَخِذاك؟ قال: لتورُّكي إيّاك. قالت: عليكم العبدَ فشُدُّوا أيديكم / به، ففعلوا. قال: ومرَّ قومٌ فاستخرجوا امرأ القيس من البئر، فرجع إلى حَيِّه، فاستاق مائةً من الإبل وأقبل إلى امرأته. فقيل لها: قد جاء / زوجُك. فقالت: والله ما أدري أهو زوجي أم لا، ولكن انحَروا له جَزُوراً فأطعِموه من كَرِشِها وذَنَبِها ففعلوا. فلما أتَوْه بذلك قال: وأين الكَبِد والسَّنَام والمَلْحاء[5]! فأبَى أن يأكل. فقالت: اسقُوه لبناً حازِراً. فأبى أن يشربه وقال: فأين الصَّرِيف[6] والرَّثيئة!. فقالت: افرُشوا له عند الفَرْث والدم. فأبى أن ينام وقال: افرشوا لي فوقَ التَّلْعة الحمراء، واضربوا عليها خِبَاء. ثم أر... ت إليه: هَلُمَّ شريطتي عليك في المسائل الثلاث. فأرسل إليها أن سَلِي عمّا شئتِ. فقالت: ممّ تختلج شَفَتاك قال: لشربي المُشَعْشَعات. قالت: فممّ [٧٥/٨] [١٠٣/٩]

---

(١) النحي: الزق.

(٢) خلوف: غيب.

(٣) يقال: قبلت القابلة المرأة إذا تلقت ولدها عند ولادته.

(٤) الفرث: السرجين ما دام في الكرش.

(٥) الملحاء: لحم في الصلب من الكاهل إلى العجز من البعير.

(٦) الصريف: الحليب الحار ساعة يصرف عن الضرع. والرثيئة: اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض فيروب من ساعته.

يختلج كَشْحَاك، قال: لِلُبْسي الحِبَرات. قالت: فممّ تختلج فَخِذاك؟ قال: لَرِكْضي المُطَهَّمات. فقالت: هذا زوجي لَعَمْرِي! فعليكم به، واقتلوا العبد، فقتلوه. ودخل امرؤ القيس بالجارية. فقال ابن هُبَيْرة: حَسْبُكم! فلا خيرَ في الحديث في سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو؛ ولن تأتينا بأعجب منه فقمنا وانصرفنا. وأمر لي بجائزة.

مفاوضات امرىء القيس وقبائل أسد بعد موت حجر:

نسخت من كتاب جَدِّي يحيى بن محمد بن ثَوابة بخطّه رحمه الله حدّثني الحسن بن سعيد عن أبي عُبَيْدة قال أخبرني سِيبَوَيْه النحويّ أنّ الخليل بن أحمد أخبره قال:

قدِم على امرىء القيس بن حُجْر بعد مقتل أبيه رجالٌ من قبائل بني أسد كهولٌ وشُبّان، فيهم المُهَاجر بن خِدَاش ابن عمّ عَبِيد بن الأبرص، وقَبِيصة بن نُعَيْم، وكان في بني أسد مقيماً وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور وِرْداً وإصداراً[1] يعرف ذلك له من كان محيطاً بأكناف بلده من العرب. فلما علم بمكانهم أمرَ بإنزالهم وتقدّم بإكرامهم والإفضال عليهم، واحتجب عنهم ثلاثاً. فسألوا من حضرهم من رجال كِندة، / فقال: هو في شُغْل بإخراج ما في [٩/١٠٤] خزائن حُجْر من السّلاح والعُدّة. فقالوا: اللّهم غَفْراً، إنما قَدِمنا في أمر نتناسى به ذكر ما سلَف ونستدرك به ما فَرط، فلْيُبَلَّغْ ذلك عنّا. فخرج عليهم في قَباء وخُفٍّ وعمامةٍ سوداء، وكانت العرب لا تَعْتَمُّ بالسّواد إلاّ في التِّرات. فلمّا نظروا إليه قاموا له، وبدَر إليه قَبِيصةُ: إنك في المَحَلّ والقَدْر والمعرفة بتصرُّف الدهر وما تُحْدِثه أيّامه وتتنقّل به أحواله بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظٍ ولا تذكِرة مجرِّب. ولك من سؤدُد مَنْصِبك وشَرَف أعراقك وكرمِ أصلك في العرب مُحْتَمَلٌ يحتمِل ما حُمل عليه من إقالة العَثْرة، ورجوعٍ عن هفوة. ولا تتجاوز الهِمَمُ إلى غاية إلاّ رجعتْ إليك فوجدتْ عندك من فضيلة الرأي وبصيرة الفهم وكرم الصفح في الذي كان من الخَطْب الجليل الذي عمَّت رَزِيَّتُه نِزَاراً واليمن، ولم تَخْصُصْ كِنْدةَ بذلك دوننا للشَّرَف البارع. كان لحُجْرٍ التاجُ والعِمّة فوق الجبين الكريم وإخاءُ الحمد وطِيبُ الشِّيَم. ولو كان يُفْدَى هالكٌ بالأنفس الباقية بعده لما بَخِلتْ كرائِمُنا على مثله ببذل ذلك ولفديناه منه، ولكن مضى به سبيل لا يَرْجِع أولاَه على أُخراه ولا يَلْحَق أقصاه أدناه. فأحمدُ الحالات في ذلك أن تعرف الواجبَ عليك في إحدى خلال: إمّا أن اخترتَ من بني أسد أشرفَها بيتاً، وأعلاها في بناء المَكْرُمات صَوْتاً، فقُدْناه إليك بِنِسْعِه[2] [٧٦/٨] تذهبُ مع شَفَراتِ حُسَامك / قَصَدَتُه[3] فيقول رجلٌ: اُمتُحِن بهُلْك عَزيز فلم تُسْتَلّ سَخِيمتُه إلاّ بتمكينه من الانتقام، أو فداءً بما يَرُوح من بني أسد من نَعَمِها فهي أُلوفٌ تجاوز الحِسْبة فكان ذلك فداءً رجعتْ به القُضُب إلى أجفانها لم [٩/١٠٥] يَرْدُدْه تسليط الإحَن على البُرءاء؛ وإما أن / تُوادِعَنا حتى تضع الحواملُ فَتُسدِلَ الأُزُرَ ونعقِد الخُمُرَ فوق الرايات.
قال: فبكى ساعةً ثم رفع رأسه فقال: لقد علمت العربُ أنْ لاَ كُفْءَ لحُجْرٍ في دم، وإني لن أعتاض به جملاً أو ناقةً فأكتسبَ بذلك سُبّةَ الأبد وفَتَّ العَضُد. وأمّا النَّظِرة[4] فقد أوجبتْها الأجِنّةُ في بطون أُمّهاتها، ولن أكون لعَطَبها سبباً، وستعرفون طلائع كِنْدةَ من بعد ذلك، تحمل القلوب حَنَقًا وفوق الأسنّةِ عَلَقًا[5]:

---

(١) كان ينبغي أن يكون «. . . بمواقع الأمور إيراداً وإصداراً» أو «. . . ورداً وصدراً».
(٢) النسع: سير مضفور يجعل زماماً للبعير وغيره. وفي الحديث: «يجر نسعة في عنقه».
(٣) كذا في جـ. والقصدة: العنق. وفي سائر الأصول: «قصيدته» وهو تصغير «قصدة» وقد ورد في الأصول: هكذا: «تذهب مع شفرات حسامك ثنائي قصيدته». ولم نفهم لكلمة «ثنائي» ها هنا معنى.
(٤) النظرة: الإمهال.
(٥) العلق: الدم.

إذا جـالـت الخيـل فـي مـأزِقٍ تُـصافِـحُ[1] فيـه المنـايـا النفـوسـا

أتُقيمون أم تنصرفون؟ قالوا: بل نتصرف بأسوأ الاختيار، وأبلى الاجترار لمكروه وأذيّة، وحرب وبَليّة. ثم نَهضوا عنه، وقَبيصةُ يقول متمثّلاً:

لعلـك أن تستـوخـم[2] المـوتَ إن غـدتْ كتـائبُنـا فـي مـأزِق المـوت تَمْطُـرُ[3]

فقال أمرؤ القيس: لا والله لا أستوخمه، فرويداً ينكشفْ لك دُجَاها عن فُرسان كِندة وكتائب حِمْيَر. ولقد كان ذكر غير هذا أولى بي إذ كنتَ نازلاً بَربْعي؛ ولكنك قلتَ فأجبتُ. فقال قَبيصة: ما نتوقّع فوق قدر المعاتبة والإعتاب. قال أمرؤ القيس: فهو ذاك.

أصوات معبد المعروفة بألقابها وهي خمسة

أصوات معبد الخمسة وألقابها:

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني عليّ بن عبدالعزيز عن ابن خُرْدَاذْبَة عن إسحاق:

[١٠٦/٩] / أن مَعْبداً كان يسمّي صوتَه:

هُرَيْرَةَ ودِّعها وإن لام لائم

الدَّوّامةَ لكثرة ما فيه من الترجيع. ويسمّي صوتَه:

عاود القلبَ من تذكُّرِ جُمْلِ

المُنَمْنَم. ويسمّي صوتَه:

أمِنْ آل ليلى بالمَلاَ مُتَرَبَّعُ

معقِّصات القُرون أي يحرك خُصَلَ الشعر. ويسمّي صوتَه:

[جعل[4] الله جعفراً لكِ بَعْلاً

المتبختر. ويسمي صوته]:

ضـوءُ بَرْقٍ بـدا لـعـيـنـيـك أم شَـبَّـت بـذي الأَثْـلِ مـن سَـلاَمـةَ[4] نـارُ

[مقطّع الأثفار[4]].

(١) كذا في جـ: وفي سائر الأصول: «تدافع».
(٢) استوخم الشيء: لم يستمرئه.
(٣) لعلها «تخطر».
(٤) التكملة أثبتناها من بيان نسبة الأصوات فيما يأتي ص ١٣٢.

نسبة هذه الأصوات وأخبارها

هُــرَيْــرَةَ وَدِّعْهــا وإن لام لائــمُ ... غــداة غــدٍ أم أنــت للبَيْــن واجــمُ

لقــد كــان فــي حــولٍ ثَــوَاءٍ ثَــوَيْتُــه ... تقضّــى لُبــانــات ويســأم ســائــمُ

مُبَتَّلَــةٌ هَيْفــاءُ رُودٌ شبــابُهــا ... لهــا مقلتــا ريــمٍ وأســودُ فــاحــمُ

ووجــهٌ نقــيُّ اللّــون صــافٍ يَــزينــه ... مــع الحَلْــي لَــبَّاتٌ لهــا وَمَعَــاصِــمُ

الواجم: الساكت المُطرِق من الحزن، يقال: وَجَم يَجِم وُجُوما. وقوله: «لقد كان في حول ثواء ثويته»: قال الكوفيون: أراد لقد كان في ثواء حول ثويته، فجعل ثواء بدلاً من حول. وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سَلاّم عن ٧٧/٨ يونس قال: كان أبو عمرو بن العلاء يعيب / قول الأعشى:

لقد كان في حول ثواء ثويته

[١٠٧/٩] / جدّاً ويقول: ما أعرِف له معنى ولا وجهاً يصحُّ. قال أبو خليفة: وأمّا أبو عبيدة فإنه قال: معناه لقد كان في ثواء حول ثويته. واللُّبانات والمآرب والحوائج والأوطار واحد. والمبتَّلة: الحسنة الخَلْق. والهَيْفاء: اللطيفة الخَصْر. والرِّئم: الظبي. والفاحم: الشديد السواد. وقال: لِبَّاتٌ لها وإنما لها لَبَّة واحدة ولكنّ العرب تقول ذلك كثيراً؛ يقال: لها لَبَّاتٌ حِسَانٌ، يراد اللَّبَّةُ وما حولها. والمعاصم: موضع الأسْوِرَة، وواحدها مِعْصَم.

الشعر للأعشى. والغناء لمَعْبد، وله فيه لحنان، أحدهما وهو الملقَّبُ بالدوّامة خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر ثقيل عن الهشاميّ وابن خُرْدَاذْبَة.

/ أخبار الأعشى ونسبه [١٠٨/٩]

نسبه وكنيته:

الأعشى هو ميمون بن قَيْس بن جندل بن شراحِيل بن عَوْف بن سعد بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثَعْلبة الحِصْن بن عُكَابة بن صَعْب بن علِيّ بن بكر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن جَديلة بن أَسَد بن رَبيعة بن نزار. ويُكنى أبا بَصير.

لقب أبيه قتيل الجوع:

وكان يقال لأبيه قيس بن جَنْدل قَتيلُ الجوع، سمي بذلك لأنه دخل غارا يستظل فيه من الحرّ، فوقعتْ صخرة عظيمة من الجبل فَسدّت فَمَ الغار فمات فيه جوعاً. فقال فيه جُهُنّام وآسمه عمرو وهو من قومه من بني قيس بن ثعلبة يهجوه وكانا يتهاجيان:

أبوك قَتيلُ الجوعِ قَيْسُ بن جَنْدلٍ وخالُك عبدٌ من خُمَاعةَ[1] راضعُ

شاعر جاهلي:

وهو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولِهم وتقدّم على سائرهم، وليس ذلك بمجمع عليه لا فيه ولا في غيره.

أشعر الناس إذا طرب:

أخبرني أبو خَليفة عن محمد بن سَلاّم قال سألت يونس النحوي: من أشعرُ الناس؟ قال: لا أومِيءُ إلى رجل بعينه ولكني أقول: أمرؤ القيس إذا غَضِب، والنابغة إذا رهِب، وزهير إذا رغِب، والأعشى إذا طرِب.

قبيلته أشعر القبائل عند حسان:

أخبرني ابن عَمّار عن ابن مَهْرويه عن حُذَيفة بن محمد عن ابن سَلاّم بمثله.

أخبرني عمّي قال حدّثنا ابن أبي سَعْد قال حدّثنا عليّ بن الصبّاح عن ابن الكلبيّ عن أبيه وأبي مسكين.

/ أن حَسّانا سُئل: من أشعرُ الناس؟ فقال: أشاعر بعينه أم قبيلة؟ قالوا: بل قَبيلة. قال: الزُّرْق من بني [١٠٩/٩] قَيْس بن ثَعْلَبَة، وهذا حديث يُروى أيضاً عن غير حسان.

فاخر ابن شفيع بقبيلته بني ثعلبة عبدالعزيز بن زرارة:

أخبرني أحمد بن عُبيدالله بن عَمّار عن ابن مَهْرويه قال حدّثنا عبدة بن عِصْمة عن فِراس بن خِنْدِف عن عليّ بن شفيع قال:

(١) خماعة: بطن من العرب سموا باسم خماعة بنت جشم بن ربيعة بن زيد مناة. والراضع: اللئم.

إني لواقفٌ بسُوق حَجْر[1] إذ أنا برجلٍ من هيئته وحاله عليه مُقَطَّعاتُ خَزٍّ وهو على نَجيب مَهْرِيّ عليه رَحْل لم أَرَ قَطُّ أحسنَ منه وهو يقول: من يُفَاخِرني من يُنَافِرني ببني عامر بنِ صَعْصَعةَ فُرساناً وشعراءَ وعَدداً وفَعالاً؟! قلت: أنا. قال: بمن؟ قلت: ببني ثَعْلبة بن عُكَابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل. فقال: أمَا بلغك أنّ رسول الله ﷺ نهى عن المنافرة؟ ثم ولّى هارباً. قلت: مَنْ هذا؟ قيل: عبدالعزيز بن زُرَارة بن جَزْء بن سُفيان الكِلابيّ.

هو صناجة العرب:

٧٨/٨ أخبرني حَبيب بن نصر المهلّبيُّ وأحمد بن عبدالعزيز الجَوْهريُّ قالا حدّثنا / عمر بن شَبّة قال:

قال أبو عُبَيدة: مَنْ قدّم الأعشى يَحتجُّ بكثرة طِواله الجِياد وتصرفِه في المديح والهجاء وسائر فنون الشعر، وليس ذلك لغيره. ويقال: هو أوّل من سأل بشعره، وانتجع به أقاصي البلاد. وكان يُغَنّى في شعره، فكانت العرب تُسَمِّيه صَنّاجةَ العرب.

أخبرني المُهَلَّبيّ والجَوْهَرِيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال: سمعت خَلّاداً الأَرْقَطَ يقول سمعت خَلَفاً الأحمرَ يقول:

لا يُعرف مَنْ أشعرُ الناس كما لا يُعرف مَنْ أشجعُ الناس ولا مَنْ كذا ولا من كذا، لأشياء ذكرها خَلَفٌ ونسيتُها أنا. أبو زيد عمر بن شَبّة يقول هذا.

[٩/١١٠] / كان أبو عمرو بن العلاء يقدمه:

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني عمّي يوسف قال حدّثني عمّي إسماعيل بن أبي محمد قال أخبرني أبي قال: سمعت أبا عمرو بن العَلاء يقدِّم الأعشى.

سئل مروان بن أبي حفصة عن أشعر الناس فقدمه بشعره:

وقا هشام بن الكلبيّ أخبرني أبو قَبِيصة المُجاشِعيُّ أن مَرْوانَ بن أبي حَفْصة سئل: مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: الذي يقول:

كِلاَ أَبَوَيكم كان فَرعَ دِعَامةٍ ولكنّهم زادوا وأصبحتَ ناقصاً

يعني الأعشى.

قدمه حماد على جميع الشعراء حين سأله المنصور عن ذلك:

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديُّ قال حدّثني عمّي قال قال سَلَمة بن نَجَاح أخبرني يحيى بن سُليم الكاتب قال:

بعثني أبو جعفر أمير المؤمنين بالكوفة[2] إلى حَمّاد الراوية أسأله عن أشعر الشعراء. قال: فأتيت بابَ حمّاد فاستأذنت وقلت: يا غلام! فأجابني إنسانٌ من أقصى بيتٍ في الدار فقال: مَنْ أنت؟ فقلت: يحيى بن سليم رسول

---

(١) حجر: مدينة باليمامة.

(٢) لعل الأصل: «بعثني أبو جعفر أمير المؤمنين إلى حماد الراوية بالكوفة... إلخ».

أمير المؤمنين. قال: أدخل رَحِمَك الله! فدخلتُ أتسمَّتُ[١] الصوتَ حتى وقفتُ على باب البيت، فإذا حَمّادٌ عُرْيانٌ على فَرْجِه دَسْتَجةُ[٢] شاهِسْفِرَم. فقلت: إن أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس. فقال: نعم! ذلك الأعشى صَنّاجُها.

أوصى أبو عمرو بن العلاء الناس بشعره:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال سمعت أبا عُبَيدة يقول سمعت أبا عمرو بن العَلاَء يقول: عليكم بشعر الأعشى، فإني شبَّهتُه بالبازِي يَصِيد ما بين العَنْدَلِيب إلى الكُرْكِيّ.

/ **وضعه جني في المرتبة الثالثة بعد امرىء القيس وطرفة:** [١١١/٩]

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال سمعت أبا عُبيدة يقول:

بلغني أن رجلاً من أهل البَصْرة حجَّ ـ وروى هذا الحديثَ ابنُ الكلبيّ عن شُعيب بن عبدالرحمن أبي معاوية النحويّ عن رجل من أهل البَصْرة أنه حجّ ـ قال فإني لأسيرُ في ليلةٍ إضْحِيانةٍ[٣] إذ نظرتُ إلى رجلٍ شابٍّ راكبٍ على ظَلِيم قد زَمّه بِخطامه وهو يذهب عليه ويجيء، وهو يرتجز ويقول:

هـــل يُبْلِغَنِّيهـــم إلـــى الصَّبَـــاحْ ... هِقْـلٌ[٤] كـــأن رأســـه جُمَّـــاحْ

الجُمّاح: أطراف النبت الذي يسمى الحَلِيّ وهو سُنْبُله، إلاّ أنه ليس بخَشِن[٥] يُشْبِه أذنابَ الثعالب[٦]. قال: والجُمّاح أيضاً سُهَيم يلعب به الصِّبيان يجعلون مكان زُجِّه طيناً ـ قال: فعلمتُ أنه ليس بإنسيّ، فٱستوحشتُ منه. فتردّد عليّ ذاهباً وراجعاً حتى أنِستُ به؛ فقلت: مَنْ أشعرُ الناس يا هذا؟ قال: الذي يقول:

ومـــا ذَرَفَـــتْ عينـــاكِ إلاّ لتضـــربـــي ... بسَهْمَيْـــكِ فـــي أعشـــار قلـــبٍ مُقَتَّـلِ

قلت: ومَنْ هو؟ قال: ٱمرؤ القيس. قلت: فمن الثاني؟ قال: الذي يقول:

تَطْـــرُدُ القُـــرَّ بِحَـــرٍّ ســـاخـــنٍ ... وعَكِيـــكَ[٧] القَيْـــظِ إن جـــاء بقُـــرّ

/ قلت: ومن يقوله؟ قال: طَرَفَةُ. قلت: ومَنِ الثالث؟ قال: الذي يقول: ٧٩/٨

وتَبْـــرُدُ بـــرْدَ رِداء العَـــرُو ... سِ بـالصَّيْـف رَقْـرقْـتَ[٨] فيـه العَبِيـرَا

قلت: ومَنْ يقوله؟ قال: الأعشى، ثم ذهب به.

---

(١) تسمت الشيء: قصد نحوه.

(٢) كذا في أ و «شفاء الغليل». والدستجة: الحزمة والشاهسفرم: نوع من الريحان يقال له الريحان السلطاني. ، فارسي معرب. وفي سائر الأصول: «دستجة شاهسفره» وهو تحريف.

(٣) ليلة إضحيانة: مضيئة.

(٤) الهقل: الفتى من النعام.

(٥) في الأصول: «بحسن» وهو تصحيف.

(٦) ذنب الثعلب: نبات على هيئة أذناب الثعالب.

(٧) العكيك: صفة من العك أو العكك وهو شدة الحر في سكون الريح. وورد البيت في «اللسان» وفيه لفظة «صادق» بدل «ساخن». يصف جارية بأنها تطرد عن ملتزمها شدة برد الشتاء بحرارتها، وتطرد عنه شدة قيظ الصيف بطراوتها.

(٨) رقرق الطيب في الثوب: أجراه فيه.

[٩/١١٢] / هو أستاذ الشعراء في الجاهلية وجرير أستاذهم في الإسلام:

أخبرني أحمد بن عُبَيدالله بن عَمّار قال حدّثني أبو عَدْنان قال وقال لي يحيى بن الجَوْن العَبْديّ راوية بشّار: نحن حاكةُ الشِّعر في الجاهليّة والإسلام ونحن أعلم الناسِ به، أعشى بني قيس بن ثَعْلَبة أُستاذ الشعراء في الجاهليّة. وجرير بن الخطفى أُستاذهم في الإسلام.

حديث الشعبي عنه:

أخبرني محمد بن العَبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال:

قال الشَّعْبيّ: الأعشى أغزلُ الناس في بيت، وأخنث الناس في بيت، وأشجع الناس في بيت. فأمّا أغزلُ بيتٍ فقوله:

غَـرَّاءُ فَـرْعَـاءُ مصقـولٌ عـوارضُهـا تَمْشِي الهُوَيْنَى كما يمشي الوَجِي الوَحِل[1]

وأمّا أخنثُ بيت فقوله:

قـالـت هُـرَيْـرةُ لمّـا جئـتُ زائـرَهـا وَيْلـي عليـك ووَيْلـي منـك يـا رجـل

وأمّا أشجعُ بيت فقوله:

قـالـوا الطِّـرادَ فقلنـا تلـك عـادتُنـا أوْ تنـزلـون فـإنـا مَعْشَـرٌ نُـزُلُ

حماد الراوية يسأل عن أشعر العرب فيجيب من شعره:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه عن ابن أبي سعد قال ذكر الهَيْثم بن عديّ أن حمّاداً الراويةُ سئل عن أشعر العرب، قال الذي يقول:

نـازعتُهـم قُضُـبَ الـرَّيْحـانِ مُتّكئـاً وقَهْـوةً مُـزَّةً[2] راوُوقُهـا خَضِـلُ

كان قدرياً وكان لبيد مثبتاً:

أخبرني أحمد بن عُبيدالله بن عَمّار قال حدّثنا أبو عليّ العَنَزيّ قال حدّثني محمد بن معاوية الأَسَديّ قال حدّثني رجلٌ عن أَبَانَ بن تَغْلِب عن سِمَاك بن حَرْب قال قال لي يحيى بن مَتَّى راويةُ الأعشى وكان نَصْرانياً عِبادياً وكان مُعَمَّراً قال:

[٩/١١٣] / كان الأعشى قَدَرِيّاً[3] وكان لَبِيدٌ مُثْبِتاً. قال لبيد:

مَـنْ هَـدَاه سُبُـلَ الخيـرِ آهتـدَى نـاعـمَ البـالِ ومَـنْ شـاء أضَـلّ

وقال الأعشى.

إسـتـأثـر اللهُ بـالـوفـاء وبـالـ ـعَـدْلِ ووَلَّـى المَـلامـةَ الـرَّجُـلا

(١) الوجي: وصف من الوجي، وهو أن يجد ألماً في رجليه عند المشي. والوحل: الماشي في الوحل.
(٢) المزة والمزاء: التي فيها مزازة. والراووق: الباطية، أي إناء الخمر. واستعمال الراووق في الباطية قليل، والمعروف أن الراووق المصفاة التي تروّق وتصفى فيها الخمر. والخضل: الدائم الندى.
(٣) القدرية: جاحد والقدر أي ينكرون أن الله قدّر على عباده الشر، وهو ما ذهبت إليه فرقة من المسلمين يقال لهم المعتزلة.

قلت: فمن أين أخذ الأعشى مذهبَه؟ قال: من قِبَل العِبَاديّين نصارَى الحِيرة، كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فلقَّنوه ذلك.

هريرة عشيقته:

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا أبو شُرَاعة في مجلس الرِّياشيّ قال حدّثنا مشايخ بني قَيْس بن ثَعْلَبة قالوا:

كانت هُرَيْرة التي يشبِّبُ بها الأعشى أَمَةً سَوْدَاءَ لحَسَّان بن عمرو بن مَرْثَد.

وأخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عُبيدة عن فِراس بن الخِنْدِف قال:

كانت هُرَيْرةُ وخُلَيْدةُ أختين قَيْنَتَيْن كانتا لِبشر بن عمرو بن مَرْثَد، وكانتا تغنّيانه النَّصْبَ[1]، وقَدِم بهما اليمامةَ لمّا هرَب من النُّعمان. قال ابن دُرَيْد فأخبرني عمّي عن ابن الكَلْبيّ بمثل ذلك.

مدح المحلق الكلابي وذكر بناته فتزوّجن:

وأخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ عن الرِّياشيّ مما أجازه له عن العُتْبيّ عن رجل من قيس عَيْلان قال:

كان / الأعشى يُوافِي سُوقَ عُكَاظ في كلّ سنة، وكان المُحَلَّق الكِلابيُّ مِئْناثاً[2] مُمْلِقاً. فقالت له امرأته: يا أبا ٨٠/٨ كِلاب، ما يمنعك من التعرّض لهذا الشاعر! / فما رأيتُ أحداً اقتطعه إلى نفسه إلا وأكسبه خيراً. قال: وَيْحَكِ! ما [٩/١١٤] عندي إلا ناقتي وعليها الحِمْل! قالت: الله يُخْلِفُها عليك. قال: فهل له بُدٌّ من الشَّراب والمُسُوح[3]؟ قالت: إنّ عندي ذخيرةً لي ولعلّي أن أجمعَها. قال: فتلقّاه قبل أن يسبق إليه أحدٌ وابنُه يقوده فأخذ الخِطام؛ فقال الأعشى: مَنْ هذا الذي غلَبنا على خِطَامنا؟ قال: المحلّق. قال: شريفٌ كريم، ثم سلّمه إليه فأناخه؛ فنحَر له ناقته وكشَط له عن سَنامِها وكَبِدها، ثم سقاه، وأحاطت بناته به يَغْمِزنه ويَمْسَحْنه. فقال: ما هذه الجواري حَوْلي؟ قال: بناتُ أخيك وهنّ ثمانٍ شَرِيدتُهن قليلة. قال: وخرج من عنده ولم يقل فيه شيئاً. فلما وافى سوقَ عُكَاظ إذا هو بسَرْحةٍ قد اجتمع الناس عليها وإذا الأعشى يُنْشِدهم.

لعمري لقد لاحتْ عيونٌ كثيرةٌ ... إلى ضوءِ نارٍ باليَفَاعِ تَحَرَّقُ
تُشَبُّ لمقرورَيْن يصطليانها ... وباتَ على النار النَّدَى والمُحَلَّقُ
رَضِيعَيْ لِبانِ ثَدْيِ أُمٍّ تحالفا ... بأَسْحَمَ[4] داجٍ عَوْضُ لا نَتَفَرَّقُ

فسلَّم عليه المحلّق؛ فقال له: مَرْحَباً يا سيِّدي بسيِّد قومه. ونادى: يا معاشر العرب، هل فيكم مِذْكارٌ[5] يزوِّج ابنه إلى الشريف الكريم!. قال: فما قام من مقعده وفيهنّ مخطوبةٌ إلا وقد زوَّجها. وفي أول القصيدة غناء وهو:

---

(١) النصب: ضرب من أغاني العرب شبيه بالحداء.
(٢) المئناث: الذي اعتاد أن يلد الإناث.
(٣) المسوح: جمع مسح وهو كساء من شعر كثوب الرهبان.
(٤) بأسحم داج: قيل المراد به الليل، وقيل سواد حلمة الثدي، وقيل الرحم. وعوض: أبداً. يقول: هو والندى رضعا من ثدي واحد وتحالفا ألّا يتفرّقا أبداً. (راجع «لسان العرب» مادة عوض).
(٥) المذكار: الذي اعتاد أن يلد الذكور.

صوت

أَرِقْتُ وما هذا السُّهادُ المؤرِّقُ ... وما بيَ من سُقْمٍ وما بِيَ مَعْشَقُ
ولكنْ أُراني لا أزال بحادثٍ ... أُغادَى بما لم يُمسِ عندي وأُطْرَقُ

[١١٥/٩] / غنّاه ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لحنٌ ليونس من كتابه غير مُجنَّس. وفيه لابن سُرَيْج ثقيلٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو.

اسم المحلق الكلابي وسبب كنيته وسبب اتصاله بالأعشى:

أخبرني أبو العباس اليَزيديّ قال حدّثني عمّي عُبيدالله عن ابن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضّل قال:

اِسم المحلّق عبدُ العُزّى[١] بن حَنْتَم بن شَدّاد بن رَبيعة بن عبدالله بن عُبيد وهو أبو بكر بنِ كلاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصعة. وإنما سُمّي مُحَلِّقاً لأن حِصاناً له عضّه في وجنته فحلّق فيه حَلْقة.

قال: وأنشد الأعشىَ قصيدته هذه [كِسْرَى[٢]] ففُسِّرت له؛ فلما سمعها قال: إنْ كان هذا سهر لغير سُقْم ولا عِشْق فما هو إلا لصّ.

وذكر عليّ بن محمد النَّوْفَليّ في خبر المحلّق مع الأعشَى غيرَ هذه الحكايات، وزعم أن أباه حدَّثه عن بعض الكلاَبيّين من أهل البادية قال:

كان لأبي المحلّق شَرَفٌ فمات وقد أتلف مالَه، وبقي المحلّق وثلاثُ أخواتٍ له ولم يترك لهم إلا ناقةً واحدة وحُلّتَيْ بُرودٍ حِبَرَة كان يشهد فيهما الحقوق[٣]. فأقبل الأعشى من بعض أسفاره يريد منزلَه باليمامة، فنزل الماءَ الذي به المحلّق، فقراه أهلُ الماء فأحسنوا قِرَاه. فأقبلت عمّة المحلّق فقالت: يابنَ أخي! هذا الأعشى قد / نزل بمائنا [٨١/٨] وقد قراه أهلِ الماء، والعرب تزعم أنه لم يمدَح قوماً إلّا رفعهم، / ولم يهجُ قوماً إلا وضعهم؛ فانظر ما أقول لك [١١٦/٩] واحتَلْ في زِقٍّ من خمر من عند بعض التُّجّارِ فأرسِلْ إليه بهذه الناقة والزِّقّ وبُرْدَيْ أبيك؛ فوالله لئن اعتلج الكَبِدُ والسَّنام والخمرُ في جوفه ونظر إلى عِطْفيه في البردين، ليقولنّ فيك شعراً يرفَعك به. قال: ما أملِك غير هذه الناقة، وأنا أتوقّع رِسْلها[٤]. فأقبل يدخل ويخرُج ويَهُمّ ولا يفعل؛ فكلّما دخل على عمّته حضَّته؛ حتى دخل عليها فقال: قد ارتحل الرجلُ ومضَى. قالت: الآنَ واللهِ أحسنُ ما كان القِرَى! تُتْبِعه ذلك مع غلام أبيك - مولًى له أسودَ شيخٍ - فحيثما لحِقه أخبره عنك أنك كنت غائباً عن الماء عند نزوله إيّاه، وأنّك لمّا وردتَ الماءَ فعلمتَ أنه كان به كرِهتَ أن يفوتك قِرَاه؛ فإنّ هذا أحسن لموقعه عنده. فلم تزل تحضُّه حتى أتى بعضَ التّجار فكلّمه أن يُقرِضه ثمن زقّ خمرٍ وأتاه بمن يضمن ذلك عنه فأعطاه؛ فوجّه بالناقة والخمر والبردين مع مولى أبيه فخرج يتبعه؛ فكلما مرَّ بماء قيل: ارتحل أمس عنه، حتى صار إلى منزل الأعشى بمنفوحةِ اليمامة فوجد عنده عدّة من الفِتيان قد غدّاهم بغير لحم

(١) في الأصول: «عبدالعزيز بن خيثم». والتصويب عن شرح «القاموس» (مادة حلق وحنتم).
(٢) تكملة عن «كتاب الشعر والشعراء».
(٣) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «إلا ناقة واحدة وحلتي برود جيدة كان يسدّ بها الحقوق» وهو تحريف.
(٤) الرسل: اللبن.

وصَبَّ لهم فَضِيخاً[1] فهم يشرَبون منه، إذ قُرِع الباب فقال: أنظروا مَنْ هذا؟ فخرجوا فإذا رسول المحلّق يقول كذا وكذا. فدخلوا عليه وقالوا: هذا رسول المحلّق الكلابيّ أتاك بكيت وكيت. فقال: وَيْحَكم! أعرابيٌّ والذي أرسل إليّ لا قَدْرَ له! والله لئن اعتلج الكبدُ والسَّنام والخمر في جوفي لأقولنّ فيه شعراً لم أقلْ قطُّ مثلَه. فواثبه الفتيان وقالوا: غبتَ عنّا فأطلتَ الغَيْبة ثم أتيناك فلم تُطعمنا لحماً وسقيتَنا الفَضيخَ واللَّحمُ والخمرُ ببابك، لا نرضى بدا منك. فقال: ائذنوا له؛ فدخل فأدّى الرسالة وقد أناخ الجَزُورَ بالباب ووضع الزِّقَّ والبردين بين يديه. قال: أقْرِه السلامَ وقل له: وصَلَتْك رَحِمٌ، سيأتيك ثناؤنا. / وقام الفتيانُ إلى الجزور فنحروها وشقُّوا خاصرتَها عن كبدها وجلَدها عن سَنامها [٩/١١٧] ثم جاءوا بهما، فأقبلوا يَشْوُون، وصَبُّوا الخمر فشربوا، وأكل معهم وشرب ولبس البُرْدين ونظر إلى عِطْفيه فيهما فأنشأ يقول:

أرِقتُ وما هذا السهادُ المؤرِّق

حتى انتهى إلى قوله:

أيَـا مِسْمَـعٍ سـار الـذي قـد فعلتُـم	فـأنجـد أقـوامٌ بـه ثـم أغـرَقـوا[2]
هـب تُعْقَـدُ الأحمـالُ فـي كـلِّ منـزلٍ	وتُعْقَـد أطـرافُ الحبـالِ وتُطْلَـق[3]

قال: فسار الشِّعر وشاع في العرب. فما أتتْ على المحلّق سنةٌ حتى زَوّج أخواتِه الثلاثَ كلَّ واحدة على مائة ناقة، فأيْسر وشَرُف.

وذكر الهَيْثم بن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية عن مَعْقِل عن أبي بكر الهِلاَليّ قال:

خرج الأعشى إلى اليمن يريد قيسَ بن معد يكرِب، فمرَّ ببني كِلاب، فأصابه مطرٌ في ليلة ظَلْماء، فأوَى إلى فتًى من بني بكر بن كِلاب، فبصُر به المحلّق وهو [عبد العُزَّى بن] حَنْتَم بن شَدّاد بن رَبيعة بن عبدالله بن عُبَيد بنِ كلاب وهو يومئذ غلامٌ له ذُؤابة، فأتى أمَّه فقال: يا أمَّه! رأيت رجلاً أخلِقْ به أن يَكْسِبَنا مجداً. قالت: وما تريد يا بُنَيّ؟ قال: نَضيفه اللَّيلةَ. فأعطتْه جِلْبابَها فاشترَى به عَشِيراً[4] من جَزُور وخمراً؛ فأتى الأعشَى، فأخذه / إليه، فطعِم [٨/٨٢] وشرِب وآصطلى، ثم اصطبح فقال فيه:

/ أَرِقتُ وما هذا السُّهَادُ المؤرِّق [٩/١١٨]

والرواية الأولى أصحّ.

سألته امرأة أن يشبب ببناتها فشبب بهنّ فزوّجهنّ:

أخبرني أحمد بن عَمّار قال حدّثنا يعقوب بن نُعَيْم قال حدّثنا قَعْنَب بن المُحْرِز عن الأصمعيّ قال حدّثني رجلٌ قال:

---

(١) الفضيخ: شراب يتخذ من بسر مفضوخ وهو أن يجعل التمر في إناء ثم يصب الماء الحار عليه حتى تستخرج حلاوته.

(٢) أعرقوا: أتوا العراق.

(٣) الرواية في «تجريد الأغاني»:

بـه تـوضـع الأحـلاس فـي كـل منـزل	وتعقـد أطـراف النسـوع وتطلـق

والأحلاس: جمع حلس وهو كل شيء ولي ظهر الدابة والبعير تحت الرحل والسرج والقتب.

(٤) العشير: جزء من عشرة أجزاء كالعشر.

جاءت امرأة إلى الأعشى فقالت: إنّ لي بناتٍ قد كسَدن عليّ، فشبّبْ بواحدة منهنّ لعلها أن تَنفُق. فشبَّبَ بواحدة منهنّ، فما شعَر الأعشى إلا بجزور[1] قد بُعِثَ به إليه. فقال: ما هذا؟ فقالوا: زُوّجتْ فلانةُ. فشبّبَ بالأخرى فأتاه مثلُ ذلك، فسأل عنها فقيل: زُوّجتْ. فما زال يُشبّب بواحدة فواحدة منهنّ حتى زُوِّجنَ جميعاً.

أسره رجل من كلب كان قد هجاه فأستوهبه منه شريح بن السموءل:

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال حدّثنا يحيى بن أبي سَعيد الأمويّ عن محمد بن السائب الكلبيّ قال:

هجا الأعشى رجلاً من كَلْب فقال:

بنو الشهرِ الحرامِ فلستَ منهم ... ولستَ من الكِرام بني عُبَيْدِ

ولا من رَهْط جبّارِ بن قُرْطٍ ... ولا من رَهْط حارثةَ بن زيدِ

ـ قال: وهؤلاء كلُّهم من كلب ـ فقال الكلبيّ: لا أبا لك! أنا أشرف من هؤلاء. قال: فسبَّه الناس بعدُ بهجاء الأعشى إيّاه، وكان متغيّظاً عليه. فأغار على قوم قد بات فيهم الأعشى فأسَر منهم نَفَراً وأسر الأعشى وهو لا يعرِفه، ثم جاء حتى نزل بشُرَيْح بن السموءل بن عَادِياء الغَسّانيّ صاحبِ تَيْمَاءَ بحِصْنه الذي يقال له الأبْلَق. فمرّ شُرَيْحٌ بالأعشى؛ فناداه الأعشى:

[١١٩/٩] / شُرَيْحُ لا تَتْرُكَنّي بعد ما عَلِقَتْ ... حبالَكَ اليومَ بعد القِدّ أظفاري

قد جُلْتُ ما بين بانِقيا[2] إلى عَدَنٍ ... وطال في العُجْمِ تَرْدادي وتَسْياري

فكان أكرمَهم عهداً وأوثقَهم ... مجداً أبوك بعُرْفٍ غير إنكارِ

كالغيث ما أستمطروه جاد وابلُه ... وفي الشدائد كالمُستأسِد الضاري

كُنْ كالسموءل إذ طاف الهُمَامُ به ... في جَحْفَلٍ كهَزِيع اللّيل جَرَّارِ

إذ سامه خُطّتَيْ خَسْفٍ فقال له ... قل ما تشاء فإنّي سامعٌ حارِ[3]

فقال غَدْرٌ وثُكْلٌ أنتَ بينهما ... فأختَرْ وما فيهما حَظٌّ لمختارِ

فشَكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال له ... أُقْتُلْ أسيرَكَ إنّي مانعٌ جاري

وسوف يُعْقِبُنيه إن ظَفِرتَ به ... ربٌّ كريمٌ وبِيضٌ ذاتُ أطهارِ

لا سِرُّهنّ لدينا ذاهبٌ هَدَراً ... وحافظاتٌ إذا استُودِعنَ أسراري

فاختار أدراعَه كي لا يُسَبَّ بها ... ولم يكن وعدُه فيها بخَتّارِ

ـ قال: وكان آمرؤ القيس بن حُجْر أودع السموءل بن عادياء أدراعاً مائةً، فأتاه الحارث بن ظالم ـ ويقال الحارث بن أبي شَمِر الغَسّانيّ ـ ليأخذها منه، فتحصّن منه السموءل؛ فأخذ الحارث ابناً له غلاماً وكان في الصيد، فقال: إمّا أنّ

(١) الجزور يقع على الذكر والأنثى.

(٢) بانقيا: ناحية من نواحي الكوفة.

(٣) حار أي يا حارث.

سلّمتَ الأدراعَ إليّ وإمّا أنْ قتلتُ أبنَك. فأبى السموءلُ أن يُسلِم إليه الأدراع؛ فضرب الحارثُ وَسْطَ الغلام بالسيف فقطَعه قطعتين، فيقال: إن جريراً حين قال للفرزدق:

بسيفِ أبي رَغْوانَ[1] سيفِ مُجَاشِعٍ ضربتَ ولم تَضْرِب بسيفِ أبنِ ظالمِ

/ إنما عني هذه الضربةَ. فقال السموءل في ذلك:

٨٣/٨

وَفَيْتُ بذمّةِ الكِنْديّ إنّي إذا ما ذُمّ أقوامٌ وَفَيْتُ

/ وأوصى عَادِيَا يوماً بأن لا تُهدِّمَ يا سموءلُ ما بَنَيْتُ [٩/١٢٠]

بَنَى لي عَادِيَا حِصْناً حَصيناً وماءً كلّما شئتُ استقيتُ

قال: فجاء شُرَيح إلى الكلبيِّ فقال له: هَبْ لي هذا الأسيرَ المضرور. فقال: هو لك، فأطلقه. وقال: أقم عندي حتى أكْرِمَك وأحْبُوَكَ. فقال له الأعشى: إنّ من تمام صنيعتك أن تُعطيني ناقةً نَجيبة وتُخَلِّيَني الساعةَ. قال: فأعطاه ناقةً فركِبها ومضى من ساعته. وبلغ الكلبيَّ أنّ الذي وهَب لشُرَيح هو الأعشى. فأرسل إلى شُرَيح: ابعثْ إلى الأسير الذي وهبتُ لك حتى أحْبُوَه وأُعطيَه. فقال: قد مضى. فأرسل الكلبيُّ في أثره فلم يَلْحَقه.

مدح عامر بن الطفيل وهجا علقمة بن علاثة:

حدّثنا ابن عُلاَثَة عن محمد العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال حدّثنا يحيى بن سعيد بن يحيى الأمويّ عن محمد بن السائب قال:

أتى الأعشى الأسودَ العَنْسِيَّ[2] وقد امتدحه فأستبطأ جائزته. فقال الأسود: ليس عندنا عينٌ ولكن نُعطيك عَرَضاً، فأعطاه خمسمائة مثقال دُهْنا وبخمسمائة حُلَلاً وعَنْبَراً. فلمّا مَرّ ببلاد بني عامر خافهم على ما معه، فأتى عَلْقمةَ[3] بن عُلاَثَةَ فقال له: أَجِرْني، فقال: قد أجرتُك. قال: من الجنّ والإنس؟ قال نعم. قال: ومن الموت؟ قال لا. فأتى عامِرَ بن الطُّفَيْل فقال: أجِرْني، قد أجرتُك. قال: من الجنّ / والإنس؟ قال نعم. قال: ومن الموت؟ قال نعم. قال: وكيف تُجيرني من الموت؟ قال: إنْ متَّ وأنت في جواري بعثتُ إلى أهلك الدِّيَة. فقال: الآن علمتُ أنك قد أجرتَني من الموت. فمدح عامراً وهجا عَلْقمة. فقال علقمة: لو علمتُ الذي أراد كنتُ أعطيته إيّاه. [٩/١٢١]

قال الكلبيّ: ولم يهج علقمة بشيء أشدَّ عليه من قوله:

تَبِيتُون في المَشْتَى مِلاَءً بطونُكم وجاراتُكم غَرْثَى يَبِتْنَ خَمائصَا

فرفع علقمة يديه وقال: لعنه الله! إن كان كاذباً! أنحن نفعل هذا بجاراتنا!. وأخبار الأعشى وعَلْقمة وعامر تأتي مشروحةً في خبر مُنَافرتهما إن شاء الله تعالى.

---

(١) أبو رغوان: لقب مجاشع، وهو مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة.

(٢) هو عبهلة بن كعب بن غوث يلقب ذا الخمار، خرج بعد حجة الوداع في عامّة مذ حج وادّعى النبوّة وكان كاهناً شعباذاً (مشعوذاً) وكان يريهم الأعاجيب ويسبي قلوب من سمع منطقه، قتله فيروز وداذويه وقيس غيلة. (انظر «تاريخ الطبري» ق ١ ص ١٧٩٥ ـ ١٧٩٨، ١٨٥٣ ـ ١٨٧٠).

(٣) هو علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، أسلم في عهد النبي ﷺ ثم ارتد بعد فتح الطائف وخرج حتى لحق بالشام ثم أسلم أيام أبي بكر رضي الله عنه. (الطبري ق ١ ص ١٨٩٩ ـ ١٩٠٠).

تزوّج امرأة من عنزة ثم طلقها وقال فيها شعراً:

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني عمّي عُبَيْدالله قال حدّثني محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضّل وغيره من أصحابه:

أنّ الأعشى تزوّج امرأة من عَنَزَة ثم من هِزّان ـ قال: وعَنَزة هو ابن أسد بن ربيعة بن نِزَار ـ فلم يَرْضَها ولم يستحسن خُلقها، فطلّقها وقال فيها:

بِيني حَصَانَ الفَرْجِ غيرَ ذَميمةٍ ... وموموقةً فينا كذاك ووامقَهْ

وذُوقِي فتى قومٍ فإنّيَ ذائقٌ ... فتاةَ أُناسٍ مثلَ ما أنتِ ذائقَهْ

لقد كان في فِتيانِ قومِكِ مَنْكَحٌ ... وشُبّانِ هِزّانَ الطِّوالِ الغَرَانِقَهْ

فبِيِني فإنّ البَيْنَ خيرٌ من العصا ... وإلاّ تَرَيْ لي فوق رأسك بارِقَهْ

وما ذاك عندي أن تكوني دنيئةً ... ولا أن تكوني جئتِ عندي ببائقَهْ

ويا جارتا بِيني فإنّك طالقَهْ ... كذاك أمورُ الناس غادٍ وطارقَهْ

٨٤/٨ / أخبرنا أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا الحسين بن إبراهيم بن الحُرّ قال حدثنا المُبارَك بن سَعيد عن سُفيان الثَّوريّ قال:

[١٢٢/٩] / طلاقُ الجاهلية طلاقٌ. كانت عند الأعشى امرأة فأتاها قومُها فضربوه وقالوا: طلّقها فقال:

أيا جارتا بِيني فإنّك طالقَهْ ... كذاك أمورُ الناس غادٍ وطارقَهْ

وذكر باقيَ الأبيات مثلَ ما تقدّم.

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عبدالصمد بن عبدالوارث قال حدّثنا عثمان البَرّيّ في إسناد له قال:

أخذ قومُ الأعشى فقالوا له: طلّق امرأتك؛ فقال:

أيا جارتا بِيني فإنّك طالقَهْ ... كذاك أمور الناس غادٍ وطارقَهْ

ثم ذكر نحوَ الخبر الذي قبله على ما قدّمناه.

في هذه الأبيات غناء نسبته:

صـوت

فبِيني فإنّ البينَ خيرٌ من العصا ... وإلاّ تَرَيْ لي فوق رأسِك بارقَهْ

وما ذاك عندي أن تكوني دنيئةً ... ولا أن تكوني جئتِ عندي ببائقَهْ

ويا جارتا بيني فإنّكِ طالقه ... كذاك أمورُ الناس غادٍ وطارقَهْ

الشعر للأعشى. والغناء للهُذَليّ خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.

وفيه لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن الهشاميّ. قال الهشاميُّ: وفيه لفُلَيح خفيفُ ثقيل بالوسطى لا يُشَكّ فيه من غِنائه. وذكر حَبَشٌ أن الثقيل الثانيَ لابن سُرَيج وذكر عُبيدالله بن عبدالله بن طاهر أنّ الخفيفَ الثانيَ المنسوبَ إلى

فُلَيح لأبيه عبدالله بن طاهر. وهذا الصوت يُغَنَّى في هذا الزمان على ما سمعناه:

أيـا جـارتـا دُومـي فـإنـك صـادقـة ... ومـومـوقـةٌ فينـا كـذاك ووَامِقـة

/ ولـم نفتـرق أنْ كنـتِ فينـا دنيئـةً ... ولا أن تكـونـي جئـتِ عنـدي ببـائقـه [١٢٣/٩]

وأحسبه غُيِّر في دُور الطاهريّة على هذا.

فخر الأخطل بشعر له في الخمر فرد عليه الشعبي بشعره:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني سَوَّار بن أبي شُرَاعة قال حدّثني أبي عن مسعود بن بِشْر عن أبي عُبَيْدة قال:

دخل الأخطل على عبدالملك بن مَرْوان وقد شرِب خمراً وتضمّخ بلَخَالخَ[١] وخَلُوقٍ وعنده الشَّعْبيّ. فلما رآه قال: يا شعبيّ، ناك الأخطلُ أُمّهاتِ الشعراء جميعاً. فقال له الشعبيّ: بأيّ شيء؟ قال حين يقول:

وتظـلُّ تَنْصُفُنـا[٢] بهـا قَـرَوِيّـةٌ ... إبـريقُهـا بـرقـاعِـه[٣] ملثـومُ

فـإذا تـعـاورتِ الأكُـفُّ زُجَـاجَهـا ... نَفَحـتْ فَشـمَّ رِيـاحَهـا المـزكـومُ

فقال الأخطل[٤]: سمعتَ بمثل هذا يا شعبيّ؟! قال: إن أمِنْتُك قلتُ لك. قال: أنت آمن. فقلت له: أشعرُ والله منك الذي يقول:

وأدكـنَ[٥] عـاتِـقٍ حَجْـلٍ رِبَحْـلٍ ... صَبَحْـتُ بـراحِـه شَـرْبـاً كِـرَامـا

مـن اللاتـي حُمِلْـنَ علـى المَطَـايَـا ... كـريـحِ المسـك تستـلّ الـزُّكـامـا

/ فقال الأخطل: وَيْحَك! ومن يقول هذا؟ قلت: الأعشى أعشى بني قيس بن ثَعْلبة. فقال: قُدّوس قُدّوس! ناك الأعشى أمهاتِ الشعراء جميعاً وحقِّ الصليب!. [٨٥/٨]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا أبو غَسّان دَمَاذ عن أبي عُبيدة والهَيْثَم بن عَدِيّ، وحدّثني الصُّوليّ قال حدّثني الغَلاَبيّ عن العُتْبيّ عن أبيه، وذكر / هارون بن الزيّات عن حَمّاد عن أبيه عن عبدالله بن الوليد عن جعفر بن سعيد الضَّبِّيّ، قالوا جميعاً: [١٢٤/٩]

قدِم الأخطل الكوفةَ، فأتاه الشعبيّ يسمع من شعره. قال: فوجدته يتغدّى، فدعاني أتغدّى فأتيته، فوُضع الشراب فدعاني إليه فأتيته. فقال ما حاجتُك؟ قلت: أحِبّ أن أسمع من شعرك، فأنشدني قوله

صَرَمتْ أُمَامةُ حبلَنا ورَعُومُ

حتى أنتهى إلى قوله:

---

(١) لخالخ: جمع لخلخة وهي ضرب من الطيب.

(٢) تنصفنا: تخدمنا.

(٣) في «ديوان الأخطل»: «برقاعها».

(٤) السياق مستغن عنها.

(٥) الأدكن: الضارب إلى السواد. والعاتق: القديم. والجحل (بالفتح وتقديم الجيم على الحاء): السقاء الواسع وقد وردت هذه الكلمة في الأصول بتقديم الحاء على الجيم وهو تصحيف. والربحل: الضخم.

فـإذا تعـاورت الأكـفُّ خِتـامَهـا نَفَحَـتْ فَشـمَّ ريـاحَهـا المـزكُـومُ

فقال: يا شَعْبيّ، ناك الأخطل أُمّهاتِ الشعراء بهذا البيت. قلت: الأعشى أشعر منك يا أبا مالك. قال: وكيف؟ قلت: لأنه قال:

مـنْ خمـر عـانـةَ قـد أتـى لِختـامهـا حَـوْلٌ تَسُـلّ غُمَـامَـةَ[1] المـزكـومِ

فضرب بالكأس الأرضَ وقال: هو والمسيحِ أشعرُ منّي! ناك والله الأعشى أُمهات الشعراء إلاّ أنا.

مدح سلامة ذا فائش فأجازه:

حدّثني وكيع قال حدّثني محمد بن إسحاق المَعْوَلِيّ عن إسحاق الموصليّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ عن حَمّاد الرواية عن سِمَاك بن حَرْب قال:

قال الأعشى:

أتيتُ سَلامةَ[2] ذا فائش فأطلت المُقامَ ببابه حتى وصلت إليه، فأنشدتُه:

[١٢٥/٩] / إنّ مَحَـلاً وإنّ مُـرْتَحَـلاَ وإنّ فـي السَّفْـرِ مـن مَضَـى مَهَـلاَ[3]

إستـأثـر اللهُ بـالـوفـاء وبـالـ ـعَـدْل وولّـى المَـلاَمـةَ الـرجـلا

الشعـرُ قَلَّـدتُـه سَـلاَمـةَ ذا فـائـشَ والشـيءُ حيـث مـا جُعـلا

فقال: صدقْتَ، الشيء حيث ما جُعل، وأمر لي بمائة من الإبل وكساني حُللا وأعطاني كَرِشاً مدبوغةً مملوءةً عنبراً وقال: إياك أن تُخدع عما فيها. فأتيت الحِيرةَ فبعتُها بثلثمائة ناقة حمراء.

أراد أن يفد على النبي ليسلم فردته قريش بجائزة فعثر به بعيره فمات:

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلَّبيّ وأحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال قال هشام بن القاسم الغَنَوِيّ وكان عَلاَّمةً بأمر الأعشى:

إنه وفد إلى النبيّ ﷺ وقد مدحه بقصيدته التي أولها:

ألـم تَغْتَمِـضْ عينـاكَ ليلـةَ أَرْمَـدَا وعـادكَ مـا عـادَ السَّليـمَ المُسَهَّـدَا[4]

ومـا ذاكَ مـن عشـق النسـاء وإنمـا تنـاسيـتَ قبـل اليـوم خُلَّـةَ مَهْـدَدَا[5]

وفيها يقول لناقته:

(١) الغمام: كزكام وزناً ومعنى.

(٢) هو سلامة بن يزيد بن مرة اليحصبي أحد ملوك اليمن، وقد مدحه الأعشى. وقال هشام بن محمد الكلبيّ: الأعشى مدح سلامة الأصغر وهو سلامة بن يزيد بن سلامة ذي فائش. (راجع «القاموس» و «شرحه» مادة فيش).

(٣) رواية تلخيص المفتاح التي كتب عليها شارحوه: «وإن في السفراذ مضوا مهلاً». والمحل والمرتحل مصدران ميميان، والخبر محذوف. أي إن لنا في الدنيا حلولاً وإن لنا عنها ارتحالاً. والسفر: اسم جمع بمعنى مسافر. والمهل (بفتح الميم والهاء): مصدر بمعنى الإمهال وطول الغيبة.

(٤) في «السيرة لابن هشام»: (ج ١ ص ٥٥ طبع أوربا) «وبت كما بات السليم مسهداً».

(٥) مهدد: معشوقة الأعشى.

فآليتُ لا أَرْثِي لها من كَلالَةٍ ولا من حَفاً حتى تَزُورَ محمدا

نبيٌّ يَرى ما لا تَرَوْن وذكرُه أغار لعَمْرِي في البلاد وأنْجدا

متى ما تُناخِي عند باب ابن هاشم تُراحِي وتَلْقَيْ من فَوَاضِله يدا

فبلغ خبرُه قريشاً فرَصَدوه على طريقه وقالوا: هذا صَنَّاجةُ العرب، ما مدح أحداً قَطُّ / إلاّ رفَع في قدره: فلما ٨٦/٨ ورد عليهم قالوا له: أين أردت يا أبا بَصِير؟ قال: / أردتُ صاحبَكم هذا لأسلِم، قالوا: إنه ينهاك عن خلال [٩/١٢٦] ويحرّمها عليك، وكلُّها بك رافق ولك موافق. قال: وما هنّ؟ فقال أبو سفيانَ بنُ حرْب: الزِّنا: قال: لقد تركني الزِّنا وما تركته؛ ثم ماذا؟ قال: القِمار. قال: لعلِّي إن لقِيتُه أن أصيبَ منه عِوَضاً من القِمار؛ ثم ماذا؟ قالوا: الرِّبا. قال: ما دِنْتُ ولا أدَّنْتُ؛ ثم ماذا؟ قالوا: الخمر. قال: أوَّهْ! أرْجِع إلى صُبَابَةٍ قد بقيتْ لي في المِهْراس[1] فأشربُها. فقال له أبو سفيان: هل لك في خير مما هممتَ به؟ قال: وما هو؟ قال: نحن وهو الآن في هُدْنة، فتأخذ مائة من الإبل وترجع إلى بلدك سَنَتَك هذه وتنظُر ما يصير إليه أمرنا، فإن ظهرْنا عليه كنتَ قد أخذت خَلَفاً، وإن ظهر علينا أتيته. فقال: ما أكره ذلك. فقال أبو سفيان: يا معشر قريش، هذا الأعشى! والله لئن أتى محمداً واتّبعه ليُضرِمنّ عليكم نيرانَ العرب بشعره، فاجمعوا له مائةً من الإبل، ففعلوا؛ فأخذها وانطلق إلى بلده. فلما كان بقاع منفوحة[2] رمَى به بعيرهُ فقتله.

قبره بمنفوحة يتنادم عليه الفتيان:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا محمد بن إدريس بن سليمان بن أبي حَفْصة قال. قبر الأعشى بمَنْفُوحةَ وأنا رأيته؛ فإذا أراد الفِتيانُ أن يشربوا خرجوا إلى قبره فشربوا عنده وصبّوا عنده فَضَلاتِ الأقداح.

أخبرني أبو الحسن الأسَديّ قال حدّثنا عليّ بن سليمان النَّوْفَلي قال حدّثنا أبي قال: أتيت اليمامة والياً عليها، فمررتُ بمنفوحةَ وهي منزل الأعشى التي يقول فيها:

بشَطِّ منفوحةَ فالحاجرِ

فقلت: أهذه قرية الأعشى؟ قالوا نعم. فقلت: أين منزله؟ قالوا: ذاك وأشاروا إليه. قلت: فأين قبره؟ قالوا: بفِناء بيته. فعدلت إليه بالجيش / فانتهيت إلى قبره فإذا هو رَطْبٌ. فقلت: مالي أراه رطباً؟ فقالوا: إن الفِتْيان [٩/١٢٧] ينادمونه فيجعلون قبره مجلس رجل منهم، فإذا صار إليه القدح صَبُّوه عليه لقوله: «أرجِعُ إلى اليمامة فأشبَع من الأطيبَيْن الزنا والخمر».

صوت معبد المسمى بالدوامة في شعره:

وأخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبدالملك الزيّات قال حدّثنا الأَطْروش بن إسحاق بن إبراهيم عن أبيه:

أنّ ابن عائشة غنّى يوماً:

هُرَيْرةَ ودِّعها وإن لام لائم

---

(١) المهراس: حجر منقور يسع كثيراً من الماء.

(٢) منفوحة: قرية مشهورة من نواحي اليمامة.

فأعجبته نفسه ورآه ينظر في أعطافه. فقيل له: لقد أصبحتَ اليومَ تائهاً! فقال: وما يمنعني من ذلك وقد أخذتُ عن أبي عَبّاد معبدٍ أحد عشر صوتاً منها:

هريرةَ ودِّعها وإن لام لائم

وأبو عَبّاد مغنّي أهل المدينة وإمامُهم!.

قال: وكان مَعْبد يقول والله لقد صنعت صوتاً لا يقدِر أن يغنّيه شبعانٌ ممتلىء، ولا يقدر متكىءٌ على أن يُغَنّيه حتى يَجْثُو، ولا قائم حتى يقعُد. قيل: وما هو يا أبا عَبّاد؟ قال إسحاق فأخبرني بذاك محمد بن سَلّام الجُمَحيُّ أنه بلغه أن معبداً قاله. وأخبرني بهذا الخبر إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غَسّان محمد بن يحيى قال: قال معبد: والله لأغنّين صوتاً لا يغنّيه مهموم ولا شبعانٌ ولا حامِلُ حِمْلٍ، ثم غنّى:

ولقـــد قلـــتُ والضمـــيــرُ كثيـــرُ البـــلابِـــلِ
ليـــت شعـــري تَمَنِّيـــاً والمُنَـــى غيـــرُ طـــائـــل
هـــل رســـولٌ مبلِّـــغ فيُـــؤَدّي رســـائلـــي

٨٧/٨ [١٢٨/٩] / لحنُ معبد هذا خفيفُ ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس. وفيه ثقيلٌ أوّلُ ينسب إليه أيضاً، ويقال: إنه لأهل مكة.



صوت معبد المسمى بالمنمنم:

ومنها الصوت المسمّى بالمُنَمْنَم.

صـوت

هـاجَ ذا القلـبَ مـن تَـذَكُّـر جُمْـلٍ مـا يَهيـج[1] المتيَّـمَ المحـزونـا
إذ تـــراءتْ علـــى البَـــلاَطِ فلمّـــا واجهتْـنـا كـالـشمـس تُغْشِـي العيـونـا
ليلـــةَ السبـــت إذ نظـــرتُ إليهـــا نظـــرةً زادت الفـــؤادَ جنـــونـــا

الشعر لإسماعيلَ بنِ يَسَار. والغناء لمَعْبدٍ ثقيل أوّل بالوسطى. وفيه لدَحْمانَ ثاني ثقيل بالبنصر، ذكر الهِشاميّ أنّه لا يُشَكّ فيه من غنائه. وقد مضت أخبار إسماعيل بن يسار في المائة المختارة فاستُغْني عن إعادتها ها هنا.

صـوت

صوت معبد المسمى بمعقصات القرون:

آمِـن آل لَيْلَـى بـالمَـلاَ مُتَـربَّـعُ كمـا لاح وَشْـمٌ فـي الـذراع مُـرَجَّـعُ
سـأَتْبَـع لَيْلَـى حيـث سـارت وخيَّمـتْ ومـــا النـــاسُ إلاّ آلِـــفٌ ومُـــوَدِّعُ

الشعر لعمرو بن سعيد بن زيد، وقيل: إنه للمجنون وإنّ مع هذين البيتين أُخَرَ وهي:

(١) في الأصول: «ما يهيم المتيم المحزونا». وهو لا يستقيم لغة. وورد في صدر البيت مما يرجح ما أثبتناه.

وقفتُ لليلَى بعد عشرين حِجَّةً بمنزلةٍ فانهَلَّتِ العينُ تَدْمَعُ
فأمرضَ قلبي حبُّها وطِلاَبُها فيا آلَ ليلَى دعوةً كيف أصْنَعُ
سأتبعَ ليلى حيث حلَّت وخيَّمتْ وما الناسُ إلاّ آلِفٌ ومودِّع
كأنّ زِماماً في الفؤاد معلَّقاً تَقُود به حيث استمرّتْ وأتْبَع

/ والغناء لمَعْبد خَفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبَّابة في مجرى الوسطى. وقد ذكر حَمّاد بن إسحاق عن أبيه أن هذا [٩/١٢٩] الصوت منحول إلى معبد وأنه مما يُشبه غناءه. وذكر ابن الكلبيّ عن محمدُ بن يزيد أن معبداً أخذ لحن سائب خاثر في:

أفاطمُ مهلاً بعضَ هذا التدلُّل

فغنّى فيه:

أمن آلِ ليلَى بالمَلاَ متربَّعُ



[٩/ ١٣٠]

/ نسب عمرو بن[١] سعيد بن زيد وأخباره

نسبه، وشيء عن أبيه سعيد بن زيد:

هو عمرو بن سَعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل بن عبدالعُزَّى بن رِياح[٢] بن عبدالله بن قُرْط[٣] بن رَزَاح بن عَدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب. وسعيد بن زيد يُكْنَى أبا الأعور، وهو أحد العشرة الذين كانوا مع رسول الله ﷺ على حِرَاءَ فرجَف بهم، فقال: «اثْبُتْ حِرَاءُ[٤] فليس عليك إلّا نبيّ أو صِدّيق أو شهيد».

معبد وابن عائشة في حضرة الوليد بن يزيد:

أخبرني ابن أبي الأزهر قال حدّثنا حَمَّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال حدّثني الهَيْثَم بن سُفْيان عن أبي مِسْكين قال:

جلس الوليد بن يزيد يوماً للمغنّين وكانوا متوافرين عنده وفيهم مَعْبَد وابن عائشة؛ فقال لابن عائشة: يا محمد. قال: لَبَّيْك يا أمير المؤمنين. قال: إنّي قد قلت شعراً فغَنّ فيه. قال وما هو؟ فأنشده إيّاه، وترنّم به محمد ثم غنّاه فأحسن، وهو:

[٩/ ١٣١]
٨٨/٨

/ صـوت

عَـلِّـلانـي وأسـقِـيـانـي — مـن شـرابٍ أصْـبـهَـانِـي
مـن شـرابِ الشيـخِ كِسْـرَى — أو شـراب القَيْـرَوانِ
إنّ فـي الكـأس لَمِسْكـاً — أو بكفَّـيْ مَـنْ سَقـانِـي
أوْ لقـد غُـودِرَ فيهـا — حيـن صُبَّـتْ فـي الـدِّنـانِ
كَلِّـلانِـي تَـوِّجـانِـي — وبشعـري غَنِّيـانـي

(١) لم يورد المؤلف شيئاً من أخبار عمرو بن سعيد غير هذه الأسطر وكل ما يأتي بعد ليس مرتبطاً به فلعل ها هنا خرماً.
(٢) كذا في «طبقات ابن سعد»: (ج ٣ ص ١٩٠) و«كتاب المعارف»: لابن قتيبة. وفي الأصول: «رباح» بالباء الموحدة. وقد ورد هذا النسب في «المعارف» لابن قتيبة هكذا «عبدالعزى بن قرط بن رياح بن عبدالله بن رزاح . . . إلخ».
(٣) كذا في أ: و«طبقات ابن سعد» و«المعارف» لابن قتيبة. وفي الأصول: «قرظ» بالظاء المعجمة وهو تصحيف.
(٤) في «شرح القسطلاني على صحيح البخاري»: (ج ٦ ص ١١٤ ـ ١١٥) «أن أنس بن مالك رضي الله عنه حدثهم أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمرو وعثمان فرجف بهم فقال: أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان». وقد جاء في «سنن الترمذي» و «سنن أبي داود» كما جاء في الأصل.

أطلِقـــانــي بـــوَثـــاقِـــي وأشــــدُدَانــــي بعِنـــانـــي
إنّمــــا الكــــأسُ ربيــــعٌ يُتَعـــاطَــى بـــالبَنـــانِ
وحُمَيّـــا الكـــأسِ دبّـــتْ بيـــن رِجْلِـــي ولِســـانــي

ـ الغِناء لابن عائشة هَزَجٌ بالبنصر من رواية حَبَش ـ قال: فأجاد ابن عائشة واستحسن غناءهَ مَنْ حضَر؛ فالتفت إلى مَعْبد فقال: كيف ترى يا أبا عَبّاد؟ فقال له معبد: شِنْتَ غناءَك بصَلَفِك. قال ابن عائشة: يا أحول! والله لولا أنّك شيخُنا وأنّك في مجلس أمير المؤمنين لأعلمتك مَنِ الشائنُ لغنائه أنا بصَلَفي أم أنت بقبح وجهك. وفطَن الوليدُ بحركتهما فقال: ما هذا؟ فقال: خيرٌ يا أمير المؤمنين، لحنٌ كان مَعْبدٌ طارَحنِيه فأُنْسِيتُه فسألته عنه لأغنّيَ فيه أميرَ المؤمنين. فقال وما هو؟ قال:

أمِـــنْ آلِ ليلـــى بـــالمَـــلا مُتَـــربَّـــعُ كمـــا لاح وشـــمٌ فـــي الـــذِّراع مُـــرَجَّـــعُ

فقال: هاتِ يا مَعْبد، فغنّاه إيّاه؛ فاستحسنه الوليد وقال: أنت والله سيّد مَنْ غنّى. وهذا الخبر أيضاً مما يدلّ على أن ما ذكره حَمّاد من أنّ هذا الصوت منحول لمعبد لا حقيقة له.

/ أحمد بن أبي العلاء يغني المعتضد بشعر الوليد فيجيزه: [١٣٢/٩]

أخبرني محمد بن إبراهيم قُرَيْض قال حدّثني أحمد بن أبي العَلاَء المغنّي قال: غنّيتُ المعتضدَ صوتاً في شعر له ثم أتبعتُه بشعر الوليد بن يزيد:

كلِّـــلانِـــي تـــوِّجـــانِـــي وبِشِعْــــــرِي غنِّيــــــانــــــي

فقال: أحسن والله! هكذا تقول الملوك المُتْرَفون، وهكذا يطربون، وبمثل هذا يُشِيرون، وإليه يرتاحون! أحسنتَ يا أحمد الاختيار لِما شاكل الحالَ، وأحسنتَ الغناء، أعدْ؛ فأعدته، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وشرب رطلاً ثم استعاده فأعدتُه، وفعل مثل ذلك حتى استعاده ستَّ مَرّات وشرب ستّةَ أرطال وأمر لي بعشرةَ آلاف درهم ـ وقال مرةً أخرى بستمائة دينار ـ ثم سكِر. وما رُئي قبل ذلك ولا بعده أعطي مغنّياً هذه العطيّةَ. وفي الخبر زيادة وقد ذكرته في موضعت آخر يصلُح له.

وقد ذكر محمد بن الحسن الكاتب عن أحمدَ بن سهل النُّوشَجَانِي أنه حضر أحمدَ بـن أبي العلاء وقد غنَّى المعتضدَ هذا الصوتَ في هذا المجلس وأمر له بهذا المال بعينه ولم يشرح القصّةَ كما شرحها أحمد.

ومنها صوت وهو المتبختر

صوت معبد المسمى بالمتبختر:

جعَـــل الله جعفـــراً لـــكِ بَعْـــلاً وشِفـــاءً مـــن حـــادث الأوصـــاب
/ إذ تقـــوليـــن للـــوليـــدة قُـــومِـــي فـــانظُـــري مَـــنْ تَـــرَيْـــنَ بـــالأبـــواب [٨٩/٨]

الشعر للأحوص. والغناء لمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر. وذكر حَمّاد عن أبيه في كتاب مَعْبد أنه منحول إلى معبد وأنه لكَرْدَم.

صوت
وهو المسمى مُقَطَّع الأثفار

ضــوءُ نــارٍ بــدا لعينــك أم شَبَّـ ـــتْ بـذي الأَثْـلِ مـن سَـلامـةَ نـارُ

تلـك بيـن الـرِّيَـاضِ والأَثْـلِ والبا نـاتِ منّـا ومـن سَـلامـةَ دارُ

[١٣٣/٩] / وكـذاكَ الـزمـانُ يـذهـبُ بـالنـا سِ وتَبْقـى الـرُّسـومُ والآثـارُ

الشعر للأحوص. والغناء لمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر يونس أن فيه صوتين لمعبد وعمر الواديّ رَمَلٌ عن الهِشاميّ. وفيه لعبدالله بن العبّاس خفيفُ رمل بالوسطى.

الأحوص وموسى شهوات:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا عمّي قال:

مدَح موسى شَهَوات أبا بكر بن عبدالعزيز بن مَرْوان بقصيدةٍ أحسن فيها وأجاد وقال فيها:

وكـذاكَ الـزمـانُ يـذهـب بـالنـا س وتَبْقـى الـديـارُ والآثـارُ

فقام الأحوص ودخل منزلَه وقال قصيدةً مدح فيها أبا بكر بن عبدالعزيز أيضاً وأتى فيها بهذا البيت بعينه وخرج فأنشدها. فقال له موسى شهوات: ما رأيت يا أحوصُ مثلَك! قلتُ قصيدةً مدحتُ فيها الأمير فسرقتَ أجود بيت فيها وجعلتَه في قصيدتك. فقال له الأحوص: ليس الأمر كما ذكرتَ، ولا البيت لي ولا لك، هو لِلَبِيد سرقناه جميعاً منه، إنما ذكر لبيدٌ قومَه فقال:

فعفـا آخـرُ الـزمـان عليهـم فَعلـى آخـرِ الـزمـان الـدَّبَـارُ[١]

وكـذاك الـزمـانُ يـذهـب بـالنـا سِ وتبقـى الـرُّسُـوم والآثـارُ

قال: فسكت موسى شهوات فلم يُحِرْ جواباً كأنما أُلْقِمه حَجَراً.

حديث سلامة مع الأحوص وعبدالرحمن بن حسان وهو كما يرى أبو الفرج موضوع:

ونسخت من كتاب أحمد بن سَعيد الدِّمشقي خبرَ الأحوص مع سَلاّمةَ التي ذكرها في هذا الشعر وهو موضوع لا أشكُّ فيه لأن شعره المنسوب إلى الأحوص شعر ساقطٌ سخيفٌ لا يشبه نَمَطَ الأحوص، والتوليدُ بَيِّن فيه يشهد على أنه مُحْدَث. / والقصّة أيضاً باطلةٌ لا أصل لها؛ ولكنّي ذكرتُه في موضعه على ما فيه من سوء العهدة. قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني أبو محمد الجَزَرِيّ قال: [١٣٤/٩]

كانت بالمدينة سلامةُ من أحسن الناس وجهاً وأتمّهن عقلاً وأحسنِهن حديثاً قد قرأت القرآنَ وروت الأشعارَ وقالت الشعر، وكان عبدالرحمن بن حَسّان والأحوصُ بن محمد يختلفان إليها فيروِّيانها الشعرَ ويُناشدانها إيّاه. فعَلِقَتِ الأحوصَ وصَدَّت عن عبدالرحمن. فقال لها عبدالرحمن يعرِّض لها بما ظَنَّه من ذلك:

أَرَى الإقبـالَ منـكِ علـى خليلـي ومـالـي فـي حـديثِكُـم نَصيـبُ

فأجابته:

---

(١) الدبار: الهلاك.

لأن الله علّقــه فــؤادي فحــاز الحــبَّ دونكــم الحبيــبُ

/ فقال الأحوص: ٩٠/٨

خليلــي لا تَلُمْهــا فــي هــواهــا ألــذُّ العيــش مــا تَهْــوى القلــوبُ

قال: فأضرب عنها أبنُ حسّان وخرج ممتدحاً ليزيد بنِ معاوية فأكرمه وأعطاه. فلما أراد الانصرافَ قال له: يا أمير المؤمنين، عندي نصيحة. قال: وما هي؟ جارية خلّفتُها بالمدينة لامرأة من قريش من أجمل الناس وأكملهم وأعقلهم ولا تصلُح أن تكون إلاّ لأمير المؤمنين وفي سُمَّارِه: فأرسل إليها يزيدُ فاشتُرِيتْ له وحُملت إليه؛ فوقعت منه موقعاً عظيماً وفضَّلها على جميع من عنده. وقدِمَ عبدُالرحمن المدينةَ فمرّ بالأحوص وهو قاعد على باب داره وهو مهموم، فأراد أنَ يزيده إلى ما به فقال:

يــا مُبْتَلَــى بــالحــب مفــدوحَــا لاقَــى مــن الحــبِّ تَبَــارِيحَــا
ألْجمــه الحــبُّ فمــا يَنْثَنِــي إلاّ بكــأس الشــوق مَصْبــوحَــا
وصــار مــا يُعْجِبــه مُغْلَقــاً عنــه ومــا يكــره مفتــوحَــا
/ قــد حــازهــا مــن أصبحــتْ عنــده ينــال منهــا الشَّــمَّ والــرِّيحَــا [١٣٥/٩]
خليفــةُ الله فســلِّ الهَــوَى وعَــزِّ قلبــاً منــك مجــروحــا

فأمسك الأحوصُ عن جوابه. ثم إن شابَّين من بني أميّة أرادا الوِفادةَ إلى يزيدَ، فأتاهما الأحوص فسألهما أن يحملا له كتاباً ففعلا. فكتب إليها معهما:

سَــلامٌ ذكــرُكِ مُلْصَــقٌ بلســانــي وعلــى هــواكِ تَعُــودُني أَحْــزانــي
مــالــي رأيتُــكِ فــي المنــام مطيعــةً وإذا انتبهــتُ لجَجْــتِ فــي العصيــان
أبــداً محبُّــك مُمْسِــكٌ بفــؤاده يخشــى اللَّجَــاجَــةَ منــكِ فــي الهِجْــرانِ
إن كنــتِ عــاتبــةً فــإنّــي مُعْتِــبٌ بعــد الإســاءة فــأقبلــي إحســانــي
لا تقتُلــي رجــلاً يَــراكِ لمــا بــه مثــلَ الشــراب لغُلّــة الظمــآن
ولقــد أقــول لقــاطنَيْــن مِــنَ أهلنــا كــانــا علــى خُلُقــي مــن الإخــوان
يــا صــاحبــيَّ علــى فــؤادي جمــرةٌ وبَــرَى الهــوى جسمــي كمــا تَــرَيــان
أمُــرَقِّيــانِ[1] إلــى ســلامــة أنتمــا مــا قــد لقيــتُ بهــا وتَحْتَسِبــان
لا أستطيــع الصبــر عنهــا إنهــا مــن مهجتــي نــزلــتْ بكــلِّ مكــان

قال: ثم غلبه جَزَعُه فخرج إلى يزيدَ ممتدحاً له. فلما قدِم عليه قرَّبه وأكرمه وبلغ لديه كلَّ مبلغ. فدسَّتْ إليه سلامةُ خادماً وأعطته مالاً على أن يُدخلَه إليها. فأخبر الخادمُ يزيدَ بذلك؛ فقال: إمْضِ برسالتها. ففعل ما أمره به وأدخل الأحوصَ، وجلس يزيدُ بحيث يراهما. فلما بَصُرت الجاريةُ بالأحوص بكت إليه وبكى إليها، وأمرتْ فأُلقي له

(١) أمرقيان إلى سلامة أي أرافعان إليها.

[٩/١٣٦] كرسيٌّ فقعد عليه، وجعل كلُّ واحد منهما يشكو إلى صاحبه شدّةَ الشوق. فلم يزالا / يتحدّثان إلى السَّحَر ويزيدُ يسمع كلامهما من غير أن تكون بينهما رِيبةٌ. حتى إذا هَمّ بالخروج قال:

أَمْسَى فُؤادِيَ في هَمٍّ وبِلْبالِ — مِن حُبِّ مَنْ لم أَزَلْ منه على بالِ

٩١/٨ / فقالت:

صحا المحبُّون بعد النأيِ إذ يئسوا — وقد يئستُ وما أصحو على حالِ

فقال:

مَنْ كان يسلو بيأسٍ عن أخي ثِقَةٍ — فعن سَلامَةَ ما أمسيتُ بالسّالي

فقالت:

واللهِ واللهِ لا أنساكَ يا سَكَني — حتى يُفارِقَ منّي الرُّوحُ أوْصالي

فقال:

واللهِ ما خابَ مَنْ أمسى وأنتِ له — يا قُرّةَ العينِ في أهلٍ وفي مالِ

ثم ودّعها وخرج. فأخذه يزيدُ ودعا بها فقال: أخبراني عمّا كان جرى بينكما في ليلتكما واصْدُقاني. فأخبراه وأنشداه ما قالاه، فلم يَخْرِما حرفاً ولا غيّرا شيئاً مما سمعه. فقال له يزيد: أتحبُّها يا أحوص؟ قال: إي والله يا أمير المؤمنين.

حُبّاً شديداً تليداً غيرَ مُطَّرِفٍ — بينَ الجوانحِ مثلَ النارِ يَضْطَرِمُ

فقال لها: أتحبّينه؟ قالت: نعم يا أمير المؤمنين.

حباً شديداً جرى كالرُّوحِ في جسدي — فهل يُفَرَّق بين الرُّوحِ والجسدِ

فقال يزيد: إنكما لَتَصِفانِ حباً شديداً، خُذْها يا أحوص فهي لك، ووصله بصلةٍ سنيّة، وانصرف بها وبالجارية إلى الحِجاز وهو من أقرّ الناس عيناً. مضى الحديث.

[٩/١٣٧] / أصوات معبد المسمّاة مُدُنَ معبد وتسمّى أيضاً حصونَ معبد

مدن معبد أو حصونه:

أخبرني ابنُ أبي الأزهر والحسينُ بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه، قال حسين في خبره واللفظ له عن إسماعيل بن جامع عن يونس الكاتب قال:

قال معبد وقد سمع رجلاً يقول: إن قُتَيبة بن مُسْلِم فتح سبعةَ حصون أو سبعَ مُدُن بخُراسان فيها سبعة حصون صَعْبة المُرْتَقَى والمسالِك لم يُوصَلْ إليها قطُّ. فقال: والله لقد صنعتُ سبعةَ ألحان كلُّ لحنٍ منها أشدّ من فتح تلك الحصون. فسئل عنها فقال:

لعَمري لئن شَطَّتْ بَعَثْمةَ دارُها

و: هُرَيرَةَ ودِّعها وإن لام لائمُ

و : رأيتُ عَرابةَ الأوْسِيَّ يَسْمُو
و : كم بذاك الحَجُونِ من حَيٍّ صِدْقٍ
و : لو تعلمين الغَيْبَ أيقنت أنني
و : يا دار عَبْلَةَ بالجِوَاء تكلّمي
و : ودِّع هريرةَ إنّ الركبَ مُرْتحِلُ

ومن الناس من يروي مُدُنَ معبد:

تقطّع من ظلاّمةَ الوصلُ أجمعُ
و : خَمْصانةٌ قَلِقٌ مُوشَّحُها
و : يومَ تُبدِي لنا قُتَيْلةُ

/ مكان: [١٣٨/٩]

كم بذاك الحَجُونِ من حي صدق
و : لو تعلمين النيب أيقنتِ أنني
و : يا دارَ عَبْلة بالجِواء تكلّمي

نسبة هذه الأصوات وأخبارها

صوت

لعَمْـري لئـن شَطَّـتْ بَعْثمـةَ دارُهـا | لقـد كـدتُ مـن وَشْـك الفِـراق أُلِيـحُ
أرُوح بهَــمٍّ ثــم أغْــدُو بمثلــه | ويُحسَـب أنّـي فـي الثيـاب صحيـح

/ عروضه من الطويل. شَطّت: بعُدتْ. ووَشْك الفراقِ: دنُوه وسرعتُه. وأليح: أشْفِق وأجزَع. الشعر لعُبَيدالله بن عبدالله بن عُتْبة الفقيه. والغِناء لمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالخنصر في مجرى البنصر من رواية يونُس وإسحاقَ وعمرو وغيرهم. وفيه رمل يقال: إنه لابن سُريج. [٩٢/٨]

[٩/١٣٩]

/ ذكر عبيد الله بن عبد الله ونسبه

نسبه، وعداده في بني زهرة:

هو عُبيدالله بن عبدالله بن عُتبة بن مسعود بن غافِل[١] بن حَبيب بن شَمْخ[٢] بن فأر[٣] بن مخزوم بن صاهِلة بن كاهِل بن الحارث بن تَميم بن سَعْد بن هُذَيل بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر بن نِزار. وهو في حُلفاء بني زُهْرة من قريش وعِدادُه فيهم.

كان لجده صحبة وليس بدرياً:

وعتبةُ بن مسعود وعبدالله بن مسعود البَدْريّ صاحبُ رسول الله ﷺ أخوان، ولعُتْبة صحبةٌ بالنبيّ ﷺ وليس من البَدْرِيّين.

استعمل أباه عمر بن الخطاب:

وكان ابنه عبدالله أبو عُبيدالله بن عبدالله رجلاً صالحاً، واستعمله عمرُ بن الخَطّاب فأَحْمده.

أخواه عون وعبدالرحمن وشيء عنهما:

ولعُبَيْدالله بن عبدالله أخَوانِ عَوْنٌ وعبدالرحمن.

وكان عون من أهل الفقه والأدب، وكان يقول بالإرْجاء ثم رجع عنه. وقال ـ وكان شاعراً ـ:

فأوّلُ ما أُفارِقُ غيرَ شَكٍّ ... أُفارِقُ ما يقول المُرْجِئونا

وقالوا مؤمنٌ من آل جَوْرٍ ... وليس المؤمنون بجائرينا

وقالوا مؤمنٌ دَمُه حلالٌ ... وقد حَرُمَتْ دِماءُ المؤمنينا

وخرج مع ابن الأشعث، فلمّا هُزِم هَرب، وطلبه الحَجّاج؛ فأتى محمدَ بن مَرْوان بن الحَكَم بنَصِيبينَ فأمَّنه وألزمه ابنيه مروانَ بن محمد وعبدَالرحمن بن محمد. فقال له: كيف رأيتَ ابنَيْ أخيك؟ قال: أمّا عبدالرحمن فطفلٌ، وأمّا مروان فإني / إن أتيتُه حَجب، وإن قعدتُ عنه عتَب، وإن عاتبته صَخِب، وإن صاحبتُه غضِب. ثم تركه ولزم عمر بن عبدالعزيز فلم يَزَلْ معه. ذكر ذلك كلّه ومعانيَه الأصمعيّ عن أبي نَوْفَل الهُذَلِيّ عن أبيه: ولعونٍ يقول جرير: [٩/١٤٠]

يا أيّها القارئُ المُرْخِي عِمامتَه ... هذا زمانُك إنّي قد مضى زمني

أَبْلِغْ خليفتَنا إن كنتَ لاقِيَه ... أنّي لدى الباب كالمصفود في قَرَنِ

---

(١) كذا في «طبقات ابن سعد»: (ج ٢ ص ١٠٦) و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج ١ ص ٣٧٠) وفي الأصول: «وائل».

(٢) كذا في «طبقات ابن سعد والاستيعاب»: وفي الأصول: «شيخ».

(٣) كذا في «الطبقات والاستيعاب»: وفي الأصول: «قار» بالقاف.

وخبرُه يأتي في أخبار جرير[1].

كان فقيهاً، وهو أحد السبعة بالمدينة:

وأمّا عبد الرحمن فلم تكن له نباهةُ أخويه وفضلُهما فسقَط ذكره.

وأمّا عُبَيْدالله فإنه أحد وجوه الفُقَهاء الذين رُوِي عنهم الفقه والحديث. وهو أحد السبعة من أهل المدينة، وهم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق، وعُروة بن الزُّبَيْر، وأبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام، وسَعِيد بن المُسَيَّب، وعُبَيْدالله بن عبدالله بن عُتْبة، وخارِجة بن زيد بن ثابت، وسليمان بن يسار. وكان عبيدالله ضريراً. وقد روَى عن جماعة من وجوه الصحابة مثل ابن عبّاس وعبدالله بـن مسعود عمّه وأبي هريرة. وروَى عنه الزُّهْريّ وابنُ أبي الزنَاد وغيرهما من نُظَرائهما.

كان يؤثره ابن عباس:

وكان عبدالله بن عباس يقدّمه ويُؤْثِره.

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا عبدالله بن أحمد بن حَنْبَل قال حدّثنا أبي قال حدّثنا يونُس بن محمد قال حدّثنا حَمّاد بن زيد عن مَعْمَر عن الزُّهري قال:

كان / عُبَيدالله بن عبدالله يلطُف لابن عبّاس فكان يُعِزُّه عِزاً. ٩٣/٨

حديث الزهري عنه وكان كثير الاتصال به:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بكّار عن محمد بن الحسن عن مالك بن أَنَس عن ابن شِهَاب الزُّهرِيّ قال:

/ كنت أخدُم عُبَيْدالله بن عبدالله بن عُتْبة حتى إنْ كنتُ لأستَقِي الماءَ المِلْحَ وإنْ كان ليسأل جاريتَه فتقول: غلامُك الأعمش. [١٤١/٩]

أخبرني وَكيع قال حدّثنا محمد بن عبدالملك بن زَنْجويه قال حدّثنا عبدالرزّاق عن مَعْمَر عن الزُّهْريّ قال:

أدركت أربعةَ بُحور، عُبَيْدُالله بن عبدالله أحدُهم.

أخبرني وكِيع قال حدّثنا محمد قال حدّثنا حامد بن يحيى عن ابن عُيَيْنة عن الزُّهْريّ قال:

سمعت من العلم شيئاً كثيراً، فلما لقيتُ عبيدالله بن عبدالله كأني كنت[2] في شِعْب من الشِّعاب فوقعتُ في الوادي؛ وقال مرّة: صِرْتُ كأنّي لم أسمع من العلم شيئاً.

أثنى عليه عمر بـن عبدالعزيز:

أخبرني وكيع قال حدّثني بشر بن موسى قال حدّثنا الحُمَيْدِيّ عن ابن عُيَيْنة عن عليّ بن زيد بن جُدْعان قال:

كان عمر بن عبدالعزيز يقول: ليت لي مجلساً من عبيدالله بن عبدالله بـن عُتْبة بدِيَة.

(١) مضى هذا الخبر في «ترجمة جرير»: في ج ٨ ص ٤٧ من هذه الطبعة.

(٢) لعل صوابه: «صرت كأني كنت... إلخ».

أخبرني وَكيع قال حدّثنا أحمد بن عبدالرحمن بن وَهْب قال حدّثني عمّي عن يعقوبَ بن عبدالرحمن الزُّهْريّ عن حمزةَ بنِ عبدالله قال:

قال عمر بن عبدالعزيز: لو كان عُبيدالله بن عبدالله بن عتبة حَيّاً ما صدَرْتُ إلّا عن رأيه، ولوددْتُ أنّ لي بيوم من عُبيدالله غُرْماً. قال ذلك في خِلافته.

[١٤٢/٩] / **ما جرى بين عمر بن عبدالعزيز وعروة في شأن عائشة وابن الزبير أمامه، ثم شعره لعمر حين أرسل إليه:**

أخبرنا محمد بن جَرير الطَّبَريّ وعمُّ أبي عبدُالعزيز بن أحمد ومحمد بن العباس اليَزيديّ والطُّوسِيّ ووكَيع والحَرَمِيّ بن أبي العَلاء وطاهر بن عبدالله الهاشميّ، قالوا حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا إبراهيم بن طَلْحة بن عبدالله بن عبدالرحمن بـن أبي بكر الصِّدّيق وٱبنُ أخيه يحيى بن محمد بن طلحة جميعاً عن عثمانَ بنِ عمر بن موسى عن الزُّهْريّ قال:

دخل عُرْوة بن الزبير وعبيدالله بن عبدالله بن عُتْبة على عمرَ بنِ عبدالعزيز وهو أمير المدينة. فقال عروة لشيء حُدِّث به من ذكر عائشةَ وعبدِالله بن الزبير: سمعت عائشةَ تقول: ما أحببت أحداً حبِّي عبدَالله بن الزُّبير لا أَعْني رسولَ الله ﷺ ولا أبويّ. فقال عمر: إنكم لتنتحلون عائشةَ لابن الزُّبيرَ ٱنتحال من لا يرى لكل مسلم معه فيها نصيباً. فقال عُروة: بركةُ عائشة كانت أوسعَ من ألّا يُرى لكلِ مسلم فيها حقّ، ولقد كان عبدالله منها بحيث وضعتْه الرَّحِمُ والمودّةُ التي لا يَشْرَكُ كلَّ واحد منهما فيه عند صاحبه أحدٌ. فقال عمر: كذبتَ. فقال عُروة: هذا عبيدُالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود يعلم أنّي غيرُ كاذب، وإنّ من أكذب الكاذبين من كذَّب الصادقين. فسكت عبيدالله ولم يدخل بينهما في شيء. فأفَّف بهما عمر وقال: أخرجا عنّي. ثم لم يلبَثْ أن بعث إلى عُبيدالله بن عبدالله رسولاً يدعوه لبعض ما كان يدعوه إليه. فكتب إليه عُبيدالله:

لَعَمْرُ ٱبنِ لَيْلَى[١] وٱبنِ عائشةَ التي ... لمَرْوانَ أدّتْهُ، أبٌ غيرُ زُمَّلِ[٢]
لَوَ انهمُ عمّاً وجَدّاً ووالداً ... تأسّوا فَسنّوا سُنّةَ المُتَعَطِّلِ
[١٤٣/٩] / عذرتُ أبا حَفْص وإن كان واحداً ... من القوم يَهدي هديَهم ليس يأتلي
[٩٤/٨] / ولكنهم فاتُوا وجئتَ مُصَلِّياً ... تقرِّبُ[٣] إثْرَ السابق المتمهل
وعُمْتَ[٤] فإن تَسْبِقْ فضَنْءُ مبرِّزٍ ... جوادٍ وإن تُسْبَقْ فنفسَك فٱعذِلِ
فما لك بالسلطان أن تَحمِل القَذَى ... جفونُ عيونٍ بالقَذَى لم تُكَحَّلِ
وما الحقُّ أن تَهْوَى فتُسْعَفَ بالذي ... هَويتَ إذا ما كان ليس بأعدل
أَبَى اللهُ والأحسابُ أن تَرْأمَ[٥] الخَنَى ... نفوسٌ كرامٌ بالخَنا لم تُوكَّلِ

---

(١) ابن ليلى به يعني به عبدالعزيز بن مروان وهي ليلى بنت زبان بن الأصبغ بن عمرو. وابن عائشة يريد به عبدالملك بن مروان وهي عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية.

(٢) الزمل: الضعيف الساقط.

(٣) التقريب: عدو دون الإسراع.

(٤) عمت: سرت.

(٥) ترأم الخنى: ترضاه وتستسيغه.

قال الزبير في خبره وحده: الضُّنْء والضَّنْء: الولد. قال: وأنشد الخليلُ بن أسد قال أنشدني دَهْثَم:

ابـنُ عَجُـوزٍ ضَنْـؤُهـا غيـرُ أَمِـرْ[1] ... لـو نحـرتْ فـي بيتهـا عشـرَ جُـزُرْ
لأصبحـتْ مـن لحمهـنّ تعتـذر ... تغـدو علـى الحـيّ بعـود مـن سَمُـرْ
حتى يَقِرّ أهلُها كلّ مَقَرّ

حجبه عمر بن عبدالعزيز فقال فيه شعراً ثم اعتذر فعذره:

أخبرني الحسن بن عليّ ووكيع قالا حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزّبَير، وأخبرَناه الحَرَميّ بن أبي العلاء إجازةً قال حدّثنا الزُّبَير عن ابن أبي أُوَيْس عن بكّار بن حارثة عن عبدالرحمن بن أبي الزّناد عن هشام بن عُرْوة:

أن عُبيدالله بن عبدالله جاء إلى عمر بن عبدالعزيز فاستأذن عليه، فردّه الحاجب وقال له: عنده عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفّان وهو مُخْتَلٍ به، فانصرف غضبانَ. وكان في صلاحه ربما صنَع الأبيات، فقال لعمر:

أَبِـنْ لـي فكُـنْ مِثلـي أو ابْتـغِ صـاحبـاً ... كمثلـكَ إنّـي تـابـع صـاحبـاً مثلـي
/ عـزيـزٌ إخـائـي لا يَنـال مـودّتـي ... مـن النـاس إلاّ مسلـمٌ كـامـل العقـل [٩/١٤٤]
ومـا يَلْبَـثُ الفِتيـانُ أن يتفـرّقـوا ... إذا لـم يُـؤلِّـفْ روحُ شكـل إلـى شكـل

قال: فأُخبِر عمرُ بأبياته؛ فبعث إليه أبا بكر بنَ سليمان بن أبي خَيْثَمة وعِراكَ بن مالك يَعْذِرانه عنده ويقولان: إن عمر يقسم بالله ما علم بأبياتك ولا بردّ الحاجب إياك، فعذَره. قال الزُّبَير وقد أنشدني محمد بن الحسن قال أنشدني مُحْرِز بن جعفر لعُبيدالله بن عبدالله هذه الأبيات وزاد فيها وهو أوّلها:

وإنّـي امـرؤ مـن يُصْفِنـي الـودَّ يُلْفِنـي ... وإن نَـزحـتْ دارٌ بـه دائـمَ الـوصـل
عـزيـزٌ إخـائـي لا ينـال مـودّتـي ... مـن النـاس إلاّ مسلـمٌ كـامـلُ العقـل
ولـولا اتّقـائـي اللهَ قلـتُ قصيـدةً ... تسيـر بهـا الـرُّكبـانُ أَبْـرَدُهـا يَغْلِـي
بهـا تُنْقَـض الأحـلاسُ[2] فـي كـلّ منـزل ... ويَنْفِـي الكَـرَى عنـه بهـا صـاحبُ الـرَّحْـل
كفـانِـي يسيـرٌ إذ أراكَ بحـاجتـي ... كَلِيـلَ اللسـانِ مـا تُمِـرُّ ومـا تُحْلِـي[3]
تُلاوِذُ[4] بـالأبـواب منّـي مخـافـةَ الـ ... ـمَـلامـة والإخـلافُ شـرٌّ مـن البخـل

وذكر الأبياتَ الأُوَلَ بعد هذه.

شعره في عراك وابن حزم حين علم أنهما مرّا عليه ولم يسلما:

أخبرني وَكيع قال حدّثني عليّ بن حَرْب المَوْصِليّ قال حدّثنا إسماعيل بن رَيّان الطائي قال سمعت ابن إدريس يقول:

---

(١) الأمر: الكثير.
(٢) الأحلاس: جمع حلس وهو كل ما ولي ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج.
(٣) ما تمر وما تحلي: ما تضر وما تنفع.
(٤) تلاوذ: تراوغ.

كان عِراكُ بن مالك وأبو بكر بن حَزْم وعُبيدالله بن عبدالله بن عُتْبَةَ يتجالسون بالمدينة زماناً. ثم أن ابن حزم ٩٥/٨ ولي إمرتَها وولي عِراكٌ القضاءَ، وكانا يمرّان بعُبيدالله فلا يسلّمان عليه ولا يقفان، وكـان / ضريراً فأُخبر بذلك، فأنشأ يقول:

[١٤٥/٩] / ألا أبلغا عنّي عِراكَ بنَ مالك ... ولا تَدَعا أن تَثْنِيا بأبي بكر
فقد جعلت تَبْدو شَوَاكِلُ منكما ... كأنكما بي مُوقَرَان من الصَّخْر
وطاوعتُما بي داعِكاً[١] ذا مَعَاكة ... لعَمْرِي لقد أَزْرَى وما مثله يُزْرِي
ولولا اتّقائي ثم بُقْيايَ فيكما ... لَلُمْتُكما لوماً أحرَّ من الجمر

صوت

فَمَسَّا تُرابَ الأرض منها خُلقتُما ... ومنها المَعَادُ والمَصِيرُ إلى الحَشْرِ
ولا تَأنفا أن تسألا وتسلّما ... فما خشي الإنسانُ شرّاً من الكِبْرِ
فلو شئتُ أن ألفي عدوّاً وطاعنا ... لألفَيْتُه أو قال عنديَ في السرّ
فإن أنا لم آمُرْ ولم آتِ عنكما ... ضحكتُ له حتى يَلَجَّ ويَسْتَشْرِي

عروضه من الطويل. غُنِّيَ في:

فَمَسّا ترابَ الأرض منها خُلقتُما

والذي بعده لحن من الثقيل الأوّل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة وابن المكّيّ ويونسَ وغيرِهم. وزعم ابن شِهاب الزُّهْريّ أن عبيدالله قال هذه الأبيات في عمر بن عبدالعزيز وعمرو بن عثمان، يعني [أن] الأبياتَ الأوّلَ ليست منها في شيء، وإنما أدخِلتْ فيها لاتّفاق الرَّوِيّ والقافية.

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا إبراهيم بن المُنْذِرْ الحِزاميّ قال حدّثنا إبراهيم بن محمد بن عبدالعزيز عن أبيه عن ابن شهاب قال:

[١٤٦/٩] / جئت عُبيدالله بن عبدالله يوماً في منزله فوجدته ينفُخ وهو مغتاظ؛ فقلت له: مالك؟ قال: جئت أميرَكم آنفاً ـ يعني عمرَ بن عبدالعزيز ـ فسلّمت عليه وعلى عبدالله بن عمرو بن عثمان، فلم يردّا عليّ، فقلت:

فَمَسّا ترابَ الأرض منها خُلقتما

وذكر الأبياتَ الأربعة. قال فقلتُ له: رحمكَ الله! أتقول الشعر في فضلك ونُسكك! قال: إنّ المصدور إذا نفَث بَرَأ.

قال أبو زيد حدّثنا إبراهيم بن المنذر، وأنشدني هذه الأبياتَ عبدالعزيز بن أبي ثابت عن ابن أبي الزّناد له وذكر مثل ذلك وأنها في عمر بن عبدالعزيز وعبدالله بن عمرو، وزاد فيها:

وكيف يُريدانِ ابنَ تسعينَ حِجّةً ... على ما أتى وهو ابن عشرين أو عشرِ

(١) الداعك: الأحمق. والمعاكة: الحمق.

شيء من شعره:

ولعبيدالله بن عبدالله شعرٌ فَحْلٌ جيّد ليس بالكثير. منه قوله:

إذا كان لي سِرٌّ فَحدّثْتُه العِدَا ... وضاق به صدري فلَلنّاسُ أَعْذَرُ

وسِرُّك ما أستُودعتَه وكتمتَه ... وليس بسِرٍّ حين يفشو ويظهر

وقوله لابن شِهاب الزُّهْري:

إذا قلتُ أمّا بعدُ لم يُثْنَ مَنْطِقِي ... فحاذِرْ إذا ما قلتُ كيف أقولُ

إذا شئتَ أن تَلْقَى خليلاً مصافِياً ... لقيتَ وإخوانُ الثِّقاتِ قليلُ

استحسن جامع بن مرخية شعره فأجازه:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني عبدالجبار بن سعيد المُسَاحِقيّ عن ابن أبي الزِّناد عن أبيه قال:

٩٦/٨ أنْشد عبيدُالله بن عبدالله جامعَ بنَ مُرْخِيَةَ / الكلابيّ لنفسه:

لعَمْرُ أبي المُحْصِينَ أيامَ نلتقي ... لَمَا لا نُلاقيها من الدهر أكثرُ

[١٤٧/٩] / يَعُدُّون يوماً واحداً إن أتيتُها ... ويَنْسَوْن ما كانت على الدهر تهجُر

وإن أولعَ الواشون عَمْداً بوصلنا ... فنحن بتجديد المودة أبصر

قال: فأعجبتْ أبياتُه هذه جامعاً، فسَرَّ ذلك عبيدَ الله فكساه وحَمله.

جامع بن مُرْخِيَة هذا من شعراء الحجاز، وهو الذي يقول:

سألتُ سعيدَ بنَ المسيَّب مفتيَ الـ ... ـمدينة هل في حبِّ ظَمْياءَ من وِزْرِ

فقال سعيدُ بنُ المسيَّب إنما ... تُلام على ما تستطيع من الأمر

فبلغ قولُه سعيداً، فقال: كذَب واللهِ! ما سألني ولا أفتيتُه بما قال. أخبرني بذلك الحَرَميّ بن أبي العَلاء عن الزُّبَير.

مختارات من شعره:

ومن جيِّد شعر عُبَيْدِالله وسهلِه:

أعاذلَ عاجِلُ ما أشتهي ... أحبُّ من الآجل الرائثِ[١]

سأُنفق مالي على لذّتي ... وأُوثِر نفسي على الوارث

أُبادِر إهلاكَ مستهلِك ... لماليَ أو عبثَ العابث

وقولُه يفتخر في أبيات:

إذا هي حَلّت وَسْط عُوذٍ[٢] ابن غالبٍ ... فذلك وِدٌّ نازحٌ لا أُطالعُه

(١) الرائث: البطيء.

(٢) عوذ: جمع عائذ وهي الحديثة النتاج من الإبل وغيرها.

شددتُ حَيازِيمي[1] على قلب حازِمٍ كَتومٍ لما ضُمَّتْ عليه أضالعه
أُداجي رجالاً لستُ مُطْلِعَ بعضِهم على سرِّ بعضٍ إنّ صدريَ واسعه
بَنَى ليَ عبدُالله في ذِروة العلا وعُتْبةُ مجداً لا تُنال مصانعه

[١٤٨/٩] / وقولُه وفيه غناء:

صوت

إن يَكُ ذا الدهرُ قد أضرَّ بنا من غير ذَحْلٍ[2] فربَّما نفعا
أبكي على ذلك الزمانِ ولا أحسَب شيئاً قد فات مُرتَجَعا
إذ نحن في ظلّ نعمةٍ سلَفتْ كانت لها كلُّ نعمةٍ تَبَعا

عروضه من المنسرِح. غنّت فيها عَرِيبُ خفيفَ رَمَلٍ عن الهشاميّ.

قدمت المدينة مكية فتنت الناس فشبب بها:

حدّثنا محمد بن جرير الطبريّ والحَرَميّ بن أبي العَلاء ووَكيع قالوا حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني إسماعيل بن يعقوب عن ابن أبي الزِّناد عن أبيه قال:

قَدِمتِ المدينةَ امرأةٌ من ناحية مكة من هُذَيل، وكانت جميلة فخطبها الناس، وكادت تَذهب بعقول أكثرِهم. فقال فيها عُبيدالله بن عبدالله بن عُتْبة:

أحِبُّكِ حبّاً لو علمتِ ببعضه لجُدْتِ ولم يَصعُبْ عليكِ شَديدُ
وحُبُّكِ يا أمَّ الصبيِّ مُدَلِّهي شَهيدي أبو بكرٍ وأيُّ شَهيدِ[3]
ويعلم وَجْدِي القاسمُ بن محمد وعُروةُ ما ألقى بكم وسَعيدُ
ويعلم ما أُخفِي سليمانُ علمَه وخارجةٌ يُبْدِي لنا ويُعيدُ
٩٧/٨ / متى تَسألي عمّا أقول فتُخْبَري فللحبّ عندي طارفٌ وتَلِيدُ

فبلغت أبياتُه سعيدَ بن المُسَيَّب، فقال: والله لقد أمِنَ أن تسألَنا وعلم أنها لو استَشهدتْ بنا لم نشهد له بالباطل عندها.

وقال الزُّبَير: أبو بكر الذي ذكَر والنَّفَرُ المسمَّوْن معه: أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام، [١٤٩/٩] والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وعُروة بن الزُّبير، وسَعيد بن / المسيَّب، وسليمان بن يَسار، وخارجةُ بن زيد بن ثابت، وهم الفقهاء الذين أخذ عنهم أهلُ المدينة.

---

(١) الحيزوم: وسط الصدر.
(٢) الذحل: الثأر.
(٣) في هذا البيت إقواء.

عتب على زوجة عثمة في بعض الأمر فطلقها وشعره فيها:

أخبرني وَكيع قال حدّثني عمر بن محمد بن عبدالملك الزيّات عن أحمد بن سَعيد الفِهْريّ عن إبراهيم بن المُنْذِر بن عبدالملك بن الماجِشُون:

أن أبيات عبيدالله بن عبدالله بن عتبة التي أوّلها:

لَعَمْـرِي لئـن شَطَّـت بعَثْمَـةَ دارُهـا ... لقـد كـدتُ مـن وَشْـك الفـراق أُلِيـحُ

قالها في زوجة له كانت تسمَّى عَثْمةَ، فعتَب عليها في بعض الأمر فطلّقها. وله فيها أشعار كثيرة، منها هذه الأبيات، ومنها قوله يذكر نَدَمَه على طلاقها:

كتمتَ الهـوى حتـى أضرَّ بـك الكَتْـمُ ... ولامـك أقـوامٌ ولـومُهُـم ظلـمُ

وأخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال حدّثنا الزُّبَيْر قال قال لي عمّي:

لقيني عليّ بن صالح فأنشدني بيتاً وسألني مَنْ قائله؟ وهل فيه زيادة؟ فقلت: لا أدري، وقد قدِم ابن أخي - أعْنِيكَ - وقلّما فاتني شيء إلاّ وجدتُه عنده. قال الزبير: فأنشدني عمّي البيتَ وهو:

غُـرَابٌ وظبـيٌ أعضـبُ[1] القَـرْنِ نَـادَيـا ... بصُـرْمٍ وصِـرْدَانُ[2] العَشِـيِّ تَصِيـحُ

فقلت له: قائله عُبيدالله بن عبدالله بن عُتْبَة، وتمامها:

لَعَمْـرِي لئـن شَطَّـت بعَثْمـةَ دارُهـا ... لقـد كـدتُ مـن وَشْـك الفِـراق أُلِيـحُ
أَرُوحُ بهَـمٍّ ثـم أغـدو بمثلـه ... ويُحْسَـبُ أنّـي فـي الثيـاب صحيـحُ

فكتبهما عمّي عنّي وانصرف بهما إليه.

[٩/ ١٥٠]

صـوت

ألاَ مَـنْ لنفـسٍ لا تمـوت فيَنقضـي ... عَنـاهـا ولا تحيـا حيـاةً لهـا طعـمَ
أأتـرُكُ إتيـانَ الحبيـب تـأثُّمـاً ... ألاَ إنّ هِجْـرانَ الحبيـب هـو الإثـم
فـذُقْ هجـرَهـا قـد كنـتَ تـزعـمُ أنـه ... رَشَـادٌ ألاَ يـا ربّمـا كـذَبَ الـزَّعْـم

عروضه من الطويل. غنّى يونُس في هذه الأبيات الثلاثة لحناً ماخُورياً وهو خفيفُ الثقيلِ الثاني من رواية إسحاق ويونس[3] وابن المكّيّ وغيرِهم. وغنّت عَرِيبُ في:

أأترك إتيانَ الحبيب تأثُّما

لحناً من الثقيل الأوّل، وأضافت إليه بعدَه على الوِلاَءِ بيتين ليسا من هذا الشعر وهما:

وأقبـلُ أقـوالَ الـوُشـاة تَجَـرُّمـاً ... ألاَ إن أقـوال الـوُشـاة هـي الجُـرْمُ
وأشتـاقُ لـي إلفـاً علـى قُـرب داره ... لأنّ مُـلاقـاةَ الحَبيـب هـي الغُنْـم

(١) الأعضب القرن: المكسور القرن.
(٢) الصردان: جمع صرد وهو طائر أبقع أبيض البطن يتشاءم به.
(٣) يلاحظ أن صاحب هذا الغناء هو يونس؛ ويبعد أن يكون من رواته.

ومما قاله عبيدالله أيضاً في زوجته هذه وغُنِّيَ فيه:

[٩٨/٨] / صوت

عَفَتْ أطلالُ عَثْمةَ بالغَمِيم ... فأضحتْ وهي مُوحِشةُ الرُّسُومِ

وقد كُنَّا نَحُلُّ بها وفيها ... هَضِيمُ الكَشْحِ جائلةُ البَرِيمِ

عروضه من الوافر. عَفَتْ. درَست. والأطلال: ما شخَص من آثار الديار. والرُّسُوم: ما لم يكن له شخص منها ولا ارتفاع وإنما هو أثر. والهضيم الكشح الخَميص الحَشَى والبطن. والبَرِيم: الخَلْخال، وقيل: بل هو اسم لكل ما يُلبس من الحُلِيّ في اليدين والرجلين. والجائل: ما يجول في موضعه لا يستقرّ. غنّى في هذين البيتين قَفَا النجّار. ولحنُه من القَدْر الأوسط من الثَّقِيل الأوّل بالخِنصر في مجرى البِنصر.

[١٥١/٩] / ومما قاله في زوجته عَثْمةَ وفيها غناء:

صوت

تغلغلَ حُبُّ عَثْمةَ في فؤادي ... فباديه مع الخافي يسيرُ

تغلغلَ حيث لم يَبْلُغْ شرابٌ ... ولا حُزنٌ ولم يبلُغ سرورُ

صَدَعْتِ القلبَ ثم ذَرَرْتِ فيه ... هواكِ فَلِيمَ والتأمَ الفُطُورُ[١]

أكاد إذا ذكرتُ العهدَ منها ... أطيرُ لَوَ انّ إنساناً يطيرُ

غَنِيُّ النفسِ أنْ أزدادَ حُبّاً ... ولكنّي إلى صِلَةٍ فَقيرُ

وأَنْفَذُ جارِحاكِ سوادَ قلبي ... فأنتِ عليَّ ما عِشنا أميرُ

لمَعْبد في الأوّل والثاني من الأبيات هَزَجٌ بالبِنصر عن حَبَش، وذكر أحمد بن عبيدالله أنه منحولٌ من المَكّيّ. وفي الثالث ثم الثاني لأبي عيسى بن الرّشيد رَمَلٌ.

قال ابن أبي الزِّنَاد في الخبر الذي تقدّم ذكْره عن عُبيدالله وما قاله من الشعر في عَثْمةَ وغيرِها: فقيل له: أتقول في مثل هذا؟! قال: في اللَّدُود راحةُ المَفْئود[٢].

بلغه أن رجلاً يقع ببعض الصحابة فجفاه:

أخبرني وَكيع قال حدّثنا أحمد بن عبدالرحمن قال حدّثنا ابن وَهْب عن يعقوب يعني ابنَ عبدالرحمن عن أبيه قال:

كان رجل يأتي عُبَيْدَالله بن عبدالله ويجلس إليه. فبلغ عُبيدَالله أنه يقع ببعض أصحاب رسول الله ﷺ. فجاءه الرجل فلم يلتفت إليه عبيدالله. وكان الرجل شديدَ العقل، فقال له: يا أبا محمد، إن لك لشأناً، فإن رأيتَ لي عذراً [١٥٢/٩] فأقبل عذري. فقال له: أتتَّهِمُ اللهَ في علمه؟ قال: أعوذ بالله. قال: أتتَّهم رسول الله ﷺ / في حديثه؟ قال: أعوذ

---

(١) الفطور: الشقوق.

(٢) اللدود: ما يصب بالمسعط من الدواء في أحد شقي الفم.
والمفئود: الذي يشتكي فؤاده.

بالله. قال: يقول الله عزّ وجل: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ وأنت تقع في فلان وهو ممن بايع، فهل بلغك أن الله سَخِط عليه بعد أن رضِي عنه؟! قال: والله لا أعود أبداً. قال: والرجل عمر بن عبدالعزيز[١].

صوته:

أخبرني وكَيع عن أحمد بن زُهيَر عن يحيى بن مَعِين قال:

مات عُبَيْدالله بن عبدالله بن عُتْبَة سنة اثنتين ومائة، ويقال سنةَ تسع وتسعين أخبرني محمد بن جرير الطبريّ والحسن بن عليّ عَن الحارث[٢] عن ابن سعد عن مَعْن[٣] عن محمد بن هلال: أن عُبيدالله توفّي بالمدينة سنة ثمانٍ وتسعين.

صوت من أصوات معبد المعروفة بالمدن:

ومنها[٤]:

صوت

/ ودِّعْ هُرَيْرةَ إن الرَّكْب مُرْتَحِلُ ... وهل تُطيق وَداعاً أيُّها الرجلُ ٩٩/٨

غَرّاءُ فَرْعاءُ مصقولٌ عوارضُها ... تمشي الهُوَيْنَى كما يمشي الوَجي الوَحِلُ[٢]

تسمع للحَلْيِ وَسْوَاساً إذا انصرفتْ ... كما استعان بريح عِشْرِقٌ زَجِلُ

عُلِّقْتُها عَرَضاً وعُلِّقَتْ رجُلاً ... غيري وعُلِّق أخرى غيرَها الرَّجُلُ

قالت هريرةُ لمّا جئتُ زائرَها ... وَيْلِي عليك وويلي منك يا رجلُ

لم تمشِ مِيلاً ولم تركب على جملٍ ... ولم ترَ الشمسَ إلاّ دونها الكِلَلُ

/ أقول للركب في دُرْنَى[٥] وقد ثَمِلوا ... شِيمُوا وكيف يَشِيم الشاربُ الثَّمِلُ [١٥٣/٩]

كناطحٍ صخرةً يوماً ليَفْلِقَها ... فلم يَضِرْها وأوْهَى قَرْنَه الوَعِلُ

أبلغ يزيدَ بني شَيْبانَ مَألُكَةً ... أبا ثُبَيتٍ أمَا تَنْفَكُّ تأتَكِلُ

إن تركبوا فركوبُ الخيل عادتُنا ... أو تنزلون فإنّا معشرٌ نُزُلُ

وقد غدوتُ إلى الحانوت يَتْبَعُني ... شاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

في فِتْيةٍ كسيوف الهند قد علموا ... أن ليس يدفع عن ذي الحيلة الحِيَلُ

نازعتُهم قُضُبَ الرَّيْحان مُتَّكِئاً ... وقهوةً مُزَّةً راوُوقُها خَضِلُ

---

(١) يبعد تصديق مثل ذلك عن عمر بن عبدالعزيز وهو من هو صلاحاً وتقوى.

(٢) هو الحارث بن أبي أسامة. وابن سعد هو سليمان بن سعد. (راجع ج ٦ ص ٣٥٩ من هذه الطبعة).

(٣) هو معن بن عيسى القزاز: (راجع «تهذيب التهذيب» ج ٩ ص ٤٩٨).

(٤) يريد أصوات. معبد التي تسمى مدن معبد، وقد مرت في صفحة ١٣٧.

(٥) درني: موضع بنواحي اليمامة، وقيل: بنواحي العراق.

غنّى معبد في الأوّل والثاني في لحنه المذكور في مُدُنِ معبد لحناً من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكرت دَنَانيرُ أن فيهما لابن سُرَيجٍ أيضاً صنعةً. ولمعبد أيضاً في الرابع والخامس والثالث ثقيلٌ أوّلٌ، ذكره حَبَشٌ، وقيل: بل هو لحن ابن سريج، وذلك الصحيح. ولابن مُحْرِز في الثقيل في «إن تركبوا» وفي «كناطح صخرة» ثاني ثقيلٍ مُطْلَق في مجرى الوسطى عن إسحاق. ولحُنَيْنِ الحِيريّ في «أبلغ يزيدَ بني شيبان» و «إن تركبوا» ثاني ثقيلٍ آخر. وذكر أحمد بن المَكّيّ أن لابن مُحْرِز في «ودِّع هريرة» و «تسمع للحَلْيِ» ثانيَ ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر. وفي «وقد غدوتُ» وما بعده رملٌ لابن سُرَيج ومُخارِق عن الهشامي. ولابن سريج في «تسمع للحلى» وقبله «ودِّع هُريرةَ» رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وللغَرِيض في «قالت هُرَيرةُ» و «عُلِّقتها عَرَضاً» رمل. وفي هذه الأبيات بعينها هَزَجٌ ينسب إليه أيضاً وإلى غيره. وفي «تسمع للحلى» و «قالت هُريرة» هزج لمحمد بن حسن بن مُصْعَب. وفي «لم تمش مِيلاً» و «أقول للركب» لابن سريج خفيف الثقيل الأوّل بالبنصر عن حَبَش. وفي «قالت / هريرة» و «تسمع للحلى» لحن لابن سريج. وإن لحُنَيْن في البيتين الآخرين لحناً آخر. وقد مضت أخبار هريرة مع الأعشى في: [٩/١٥٤]

هُرَيْرةَ ودِّعها وإن لام لائمُ

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن الأصمعيّ قال قلت لأعرابيّة: ما الغَرّاء؟ قالت: التي بين حاجبيها بَلَجٌ وفي جبهتها اتساعٌ تتباعد قُصَّتُها معه عن حاجبيها فيكون بينهما نَفْنَف[١]. وقال أبو عُبَيدة: الفَرْعاء: الكثيرةُ الشعر. والعوارض: الأسنان. والهُوَيْنَى تصغير الهُونَى، والهونى: مؤنث الأهون. والوَجِي: الظالع وهو الذي قد حَفِيَ فليس يكاد يستقلُّ على رجله. والوَحِلُ: الذي قد وقع في الوَحَل. / والعِشْرِق: نبت يَبِسَ فتحرّكهُ الريح؛ شبَّه صوتَ حَلْيِها بصوته. الزَّجِلُ: المصوِّتُ من العِشْرِق. وعلِّقتها: أحببتُها. وعرضاً: على غير موعد. والوَعِلُ: التَّيْسُ الجبليّ، والجمع أوعال. مَأْلُكة: رسالة، والجمع مآلِك. ما تنفكُّ: ما تزال. وتأتكل: تتحرّق. وقال أبو عُبيدة: الشاوي: الذي يشوي اللحمَ: والنَّشُولُ: الذي ينشُل اللحمَ من القِدْر. ومِشَلٌّ: سوّاقٌ سريع يسوق به. وشُلْشُلٌ: خفيف. وشَوِلٌ: طيِّبُ الرِّيح. [١٠٠/٨]

ما وقع بين بني كعب وبني همام، وقصيدة الأعشى في ذلك:

الشعر للأعشى وقد تقدّم نسبه وأخباره. يقول هذه القصيدة ليزيدَ بنِ مُسْهِر أبي ثابت الشَّيْباني. قال أبو عُبيدة: وكان من حديث هذه القصيدة أن رجلاً من بني كعب بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثَعْلبة، يقال له ضُبَيْع، قتل رجلاً من بني هَمَّام يقال له زاهِر بن سَيّار بن أسعد بن هَمَّام بن مُرَّة بن ذُهْل بن شَيْبان، وكان ضُبَيْع مطروقاً[٢] ضعيفَ العقل. فنهاهم يزيد بن مُسْهِر أن يقتلوا ضُبَيْعاً بزاهر وقال: / اقتلوا به سيِّداً من بني سعد بن مالك بن ضُبَيْعة، فَحضَّ بني سَيّار بن أسعد على ذلك وأمرهم به. وبلغ بني قيس مما قاله، فقال الأعشى هذه الكلمة يأمره أن يدع بني سَيّار وبني كَعْب ولا يُعِينَ بني سَيّار؛ فإنه إن أعانهم أعانت قبائلُ بني قيس بني كعب، وحذّرهم أن تَلْقَى شَيْبانُ منهم مثلَ ما لَقُوا يوم العَيْن عَيْنِ محلِّم[٣] بهجَر. [٩/١٥٥]

---

(١) النفنف: المهوى بين الشيئين.

(٢) المطروق: الذي به هوج وجنون.

(٣) عين محلم (بتشديد اللام وكسرها): قال أبو منصور: هي عين فوّارة بالبحرين، وما رأيت عيناً أكثر ماء منها، وماؤها جار في منبعها، فإذا برد فهو ماء عذب. ولهذه العين إذا جرت في نهرها خلج كثيرة تتخلج منها تسقي قرى كثيرة ومزارع ونخلاً

يوم عين محلم:

قال أبو عُبيدة: وكان من حديث ذلك اليوم، كما زعم عمر بن هلال أحدُ بني سعد بن قيس بن ثعلبة، أن يزيد بن مُسْهِر كان خالَع أَصْرَمَ بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة، وكان عوف أبو بني الأصرم يقال له الأَعْجَف والضَّيْعةُ له وهي قرية باليمامة. فلما خلع يزيدُ أصرمَ من ماله خالعه على أن يَرْهَنه ابنيه أَفْلَتَ وشِهابا ابني أصْرم، وأمُّهما فُطيمة بنت شُرَحْبيل بن عَوْسَجة بن ثعلبة بن سعد بن قيس، وأن يزيد قَمر أَصْرمَ فطلب أن يدفع إليه ابنيه رهينةً، فأبتْ أمُّهما وأبى يزيدُ إلاّ أخذَهما. فنادت قومَها، فحضر الناسُ للحرب، فاشتملتْ فطيمة على ابنيها بثوبها، وفكَّ قومُها عنها وعنهما. فذلك قول الأعشى:

نحــن الفــوارس يــوم العَيْــن ضــاحيــةً جَنْبَــيْ فُطَيمــةَ لا مِيــلٌ ولا عُــزُلُ[1]

قال: فانهزمتْ بنو شَيْبان، فحذِر الأعشى أن يلقَى مُسْهِرٌ مثلَ تلك الحال.

قال أبو عُبيدة: وذكر عامر ومِسمَعٌ عن قَتادة الفقيه أن رجلين من بني مَرْوانَ تنازعا في هذا الحديث، فجرّدا رسولاً في ذلك إلى العراق حتى قدِم إلى الكوفة فسأل فأُخْبِر أنّ فُطيمة من بني سعد بن قيس كانت عند رجل من بني شَيْبان، وكانت له / زوجة أخرى من بني شيبان، فتعايَرتا فعمَدتِ الشَّيْبانيّة فحلَّت ذوائبَ فُطيمة، فاْهتاج الحَيّانِ [٩/١٥٦] فاْقتتلوا، فهُزِمت بنو شَيْبانَ يومئذٍ.

مسحل رئي الأعشى:

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا أحمد بن محمد القَصير قال حدّثنا محمد بن صالح قال حدّثني أبو اليَقْظان قال حدّثني جُوَيْرِيةُ عن يَشْكُر بن وائل اليَشْكُرِيّ، وكان من علماء بكر بن وائل ووُلد أيام مُسَيْلِمةَ فجيء به إليه فمسح على رأسه فعَميَ، قال جُويرية فحدّثني يَشْكُرُ هذا قال حدّثني جَرير بن عبدالله البَجَلِيّ قال:

سافرت في الجاهليّة فأقبلتُ على بعيري ليلةً أريد أن أسقيَه، فجعلت أريده على أن يتقدّم فوالله ما يتقدّم، فتقدّمتُ / فدنوت من الماء وعَقَلته، ثم أتيت الماء فإذا قوم مشوّهون عند الماء فقعدت. فبينا أنا عندهم إذ أتاهم [١٠١/٨] رجل أشدّ تشويهاً منهم فقالوا: هذا شاعرهم. فقالوا له: يا فلان أنشدْ هذا فإنه ضيف؛ فأنْشد:

ودِّع هريرةَ إن الركب مرتحلُ

فلا والله ما خَرم منها بيتاً واحداً حتى انتهى إلى هذا البيت.

تسمــع للحَلْــي وَسْــواساً إذا انصــرفــتْ كمــا استعــان بــريــح عِشْــرِقٌ زَجِــلُ

فأعجب به. فقلت: من يقول هذه القصيدة؟ قال: أنا. قلت: لولا ما تقول لأخبرتك أن أعشى بني ثَعْلبة أنشَدَنيها عامَ أوّلَ بنَجْرانَ. قال: فإنك صادق، أنا الذي أَلقيتُها على لسانه وأنا مِسْحَلٌ صاحبه، ما ضاع شعرُ شاعرٍ وضعه عند ميمون بن قيس:

(١) ضاحية: علانية. والميل: جمع أميل وهو الذي لا يثبت في الحرب مثل أبيض وبيض. والعزل: جمع أعزل، وحركت زايه للشعر.

صوت

رأيتُ عَرابةَ الأوْسِيَّ يسمو إلى الخيرات مُنْقَطِعَ القَرِينِ
إذا ما رايةٌ رُفِعت لمجد تلقَّاها عَرابةُ باليمين

[٩/١٥٧] / عروضه من الوافر. الشعر للشّماخ. والغِناء لمَعْبد خفيفُ الثقِيل الأوّل بالوسطى. وذكر إسحاق أنه من الأصوات القليلة الأشباه. وذكر أبن المكّيّ أن له فيه لحناً آخر من خفيف الثقيل. وقد أخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال حدّثني عمر بن شَبَّة عن محمد بن يحيى أبي غَسّان قال غنّى أبو نؤي:

رأيت عرابة الأوسي يسمو إلى الخيرات منقطع القرين

فنسبه الناس إلى مَعْبد. ولعلّه يعني اللحنَ الآخر الذي ذكره أبن المكيّ. وقال هارون بن محمد بن عبدالملك الزيّات أخبرني حَمّاد عن ابن أبي جَنَاح قال: الناس ينسبون هذا الصوت إلى معبد.



/ ذكر الشَّمّاخ ونسبه وخبره

[٩/١٥٨]

نسبه من قبل أبويه:

هو، فيما ذكر لنا أبو خليفة بن محمد بن سَلّام، الشَّمَّاخ بن ضِرَار بن سِنَان بن أميّة[١] بن عمرو بن جِحَاش بن بَجَالة بن مازِن بن ثَعْلبة بن سعد بن ذُبْيان. وذكر الكوفيّون أنه الشماخ بن ضِرار بن حَرْمَلة بن صَيْفيّ بن إياس بن عبد بن عثمان بن جِحَاش بن بجَالَة بن مازِن بن ثَعْلَبة بن سعد بن ذُبيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان. وأمُّ الشَّماخ أنماريّة من بنات الخُرْشُب ويقال: إنهنّ أنجبُ نساء العرب، واسمها مُعَاذة بنت بُجَير بن خالد بن إياس.

مخضرم، وهو أحد من هجا عشيرته:

والشَّماخ مُخضرَم ممّن أدرك الجاهليّة والإسلام، وقد قال للنبيّ ﷺ.

تَعَلَّمْ رسولَ الله أنّا كأنّنا ... أفَأْنا بأنْمارٍ ثعالبَ ذي غِسْلِ[٢]

يعني أنْمَار بن بِغيض وهم قومه. وهو أحد من هجا عشيرتَه وهجا أضيافَه ومَن عليهم بالقِرَى. والشَّماخ: لقب واسمه مَعْقِل، وقيل الهَيْثَم، والصحيح معقل. قال جَبَل بن جَوّال له في قصة كانت بينهما:

لعَمْري لعل الخيرَ لو تعلمانِه ... يَمُنّ علينا مَعْقِلٌ ويزيد

/ مَنِيحةً[٣] عنزٍ أو عطاءَ فَطِيمةٍ ... ألا أنّ نيلَ الثَّعْلبيّ زهيد

١٠٢/٨

له أخوان جزء ومزرّد:

وللشَّمَاخ أخوان من أُمّه وأبيه شاعران، أحدهما مُزَرِّد وهو مشهور، واسمه يزيد وإنما سمي مُزَرِّداً لقوله:

/ فقلتُ تَزَرَّدْها عُبَيْدُ فإنني ... لدُرْدِ[٤] الشيوخِ في السنينَ مُزَرِّدُ

[٩/١٥٩]

والآخر جَزْء بن ضِرار، وهو الذي يقول يرثي عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه:

عليك سلامٌ من أميرٍ وباركتْ ... يدُ الله في ذاك الأدِيم الممزَّقِ

فمن يَسْعَ أو يركبْ جَناحَيْ نَعامةٍ ... ليُدرك ما حاولتَ بالأمس يُسْبَقِ

---

(١) في «تجريد الأغاني»: «أمامة».

(٢) ذو غسل: موضع. وقد ورد هذا البيت في «كتاب الشعر والشعراء» مع بيت آخر منسوبين إلى مزرّد أخي الشماخ.

(٣) المنيحة: الناقة أو الشاة تعطيها غيرك ليحتلبها ثم يردّها عليك.

(٤) كذا في «كتاب الشعر والشعراء» وفي حـ: «بدرد الموالي» وفي سائر الأصول: «بزرد الموالي» وهو تحريف. والدرد: جمع أدرد وهو من لا أسنان له.

ناحت الجن على عمر بشعر فنحل لجزء أخيه:

وقد أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا شِهاب بن عَبّاد قال حدّثنا محمد بن بشر قال حدّثنا مِسْعَر عن عبدالملك بن عُمير عن الصَّقْر بن عبدالله عن عُرْوة عن عائشة قالت:

ناحت الجنُّ على عمر قبل أن يُقتل بثلاث فقالت:

أبعد قَتيلٍ بالمدينة أظْلَمتْ ... له الأرضُ تهتزُّ العِضَاهُ[1] بأَسْوُقِ

جزَى اللهُ خيراً من إمامٍ وباركتْ ... يدُ الله في ذاك الأديم الممزَّقِ

فمن يَسْعَ أو يركب جَناحَيْ نعامةٍ ... ليُدرك ما حاولتَ بالأمس يُسبَقِ

قضيتَ أموراً ثم غادرتَ بعدها ... بوائقَ[2] في أكمامها لم تُفَتَّقِ

وما كنت أخشى أن تكون وفاته ... بكَفَّيْ سَبَنْتَى[3] أزرق العين مُطْرِقِ

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا سليمان بن داود الهاشميّ قال أخبرنا إبراهيم بن سعد الزُّهْريّ عن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي ربيعة عن أم كلثوم بنت أبي بكر الصدِّيق:

[٩/١٦٠] / أن عائشة حدّثتها أن عمر أذِن لأزواج النبي ﷺ أن يحججْنَ في آخر حِجّةٍ حَجّها عمر. قال: فلما ارتحل عمر من المحصَّب[4] أقبل رجل متلثِّم فقال وأنا أسمع: هذا كان منزله، فأناخ في منزل[5] عمر ثم رفع عَقِيرتَه يتغنّى:

عليك سلامٌ من أميرٍ وباركتْ ... يدُ الله في ذاك الأديم الممزَّقِ

فمن يَجْرِ أو يركبْ جناحَيْ نَعامةٍ ... ليدرك ما قدَّمتَ بالأمس يُسْبَقِ

قضيتَ أموراً ثم غادرتَ بعدها ... بوائقَ في أكمامها لم تفتَّقِ

قالت عائشة: فقلت لبعض أهلي: اعلَموا لي علمَ هذا الرجل، فذهبوا فلم يجدوا في مُناخِه أحداً. قالت عائشة: فوالله إني لأحسبَه من الجنّ. فلما قُتل عمر نحل الناسُ هذه الأبيات للشَّمَّاخ بن ضِرار أو جَمّاع بن ضِرار. هكذا في الخبر، وهو جَزْء بن ضرار.

وضعه ابن سلام في الطبقة الثالثة:

وجعل محمد بن سَلّام في الطبقة الثالثة الشمَّاخ وقرنَه بالنابغة ولَبيد وأبي ذُؤَيْب الهُذَليّ، ووصفه فقال: كان

---

(١) العضاه: كل شجر يعظم وله شوك. والأسوق: جمع ساق.

(٢) البوائق: الشرور.

(٣) السبنتى هنا: الجريء. وأزرق العين: يريد به الأعجمي. والمطرق: المسترخي العين.

(٤) في الأصول «من الحصبة» والتصحيح عن ابن سعد في العبارة الآتية.

(٥) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «في منزله عمر» وهو تحريف. وقد وردت هذه القصة في «كتاب الطبقات الكبير لابن سعد» (ج ٣ ص ٢٤١) هكذا: «قال ابن شهاب فأخبرني إبراهيم بن عبدالرحمن بن أبي ربيعة أن أمه أم كلثوم بنت أبي بكر حدثته عن عائشة قالت: لما كان آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين قالت: إذ صدرنا هي عرفة مررت بالمحصب سمعت رجلاً على راحلته يقول: أين كان عمر أمير المؤمنين فسمعت رجلاً آخر يقول: ها هنا كان أمير المؤمنين. قال: فأناخ راحلته ثم رفع عقيرته... إلخ».

شديدَ متون الشعر أشدَّ كلاماً[١] من لبيد، وفيه كَزَازَةٌ[٢]، ولبيدٌ أسهلُ منه منطقاً. أخبرنا بذلك أبو خَليفة عنه.

قال الحطيئة إنه أشعر غطفان:

وقد قال الحُطيئة في وصيّته: أبْلِغوا الشمّاخَ أنه أشعرُ غَطَفانَ، قد كُتب ذلك في شعر الحطيئة[٣].

/ هو أوصف الناس للحمير: [٩/١٦١]

وهو أوصفُ الناس للحَمِير. أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثني عمّي عن ابن الكلبيّ قال: أُنشِد الوليدُ بن عبدالملك شيئاً من شعر الشمّاخ / في صفة الحمير فقال: ما أوصفه لها! إني لأحسَب أن أحد أبويه كان حمّاراً. $\frac{١٠٣}{٨}$

أخبرني إبراهيم بن عبدالله قال حدّثنا عبدالله بن مسلم قال:

كان الشمّاخ يهجو قومه ويهجو ضيفَه ويَمُنُّ عليه بِقراه. وهو أوصف الناس للقوس والحمار وأَرْجَز الناس على البديهة.

حديث الشماخ ومزرّد مع أمهما:

أخبرني محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثنا عبدالرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال:

قال مُزَرِّد لأمّه: كان كعب بن زُهير لا يَهابني وهو اليومَ يَهابني. فقالت: يا بُنَيّ نَعَمْ! إنه يرى جَرْوَ الهِراش مُوثَقاً ببابك. تعني أخاه الشمّاخَ. وقد ذكر محمد بن الحسن الأحول هذا الخبر عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل قال: قالت مُعاذة بنت بُجَيْر بن خَلَف للشمّاخ ومُزَرِّد: عرَضْتُماني لشعراء العرب الحطيئةِ وكعب بن زهير. فقال: كَلّا! لا تخافي. قالت: فما يؤمّنني؟ قالا: إنك ربَطتِ بباب بيتك جَرْوَيْ هِراشٍ لا يجترىء أحدٌ عليهما. يعينان أنفسَهما.

منازعته قوم امرأته إلى كثير بن الصلت:

أخبرني أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال أخبرني شُعيب بن صخر قال:

كانت عند الشمّاخ امرأةٌ من بني سُلَيم أحدِ بني حَرَام بن سِمَاك، فنازعتْه وادَّعتْه طلاقاً وحضر معها قومُها فأختصموا إلى كَثِير بن الصَّلْت ـ وكان عثمان بن عفّان أقعده للنظر بين الناس، وهو رجل من كنْدة وعِدادُه في بني جُمَح [وقد ولدتهم بنو جمح[٤]] ثم تحوّلوا إلى بني العبّاس فهم فيهم اليوم ـ فرأى كَثِيرٌ عليهم يميناً، فألْتوَى الشمّاخُ باليمين يحرِّضهم عليها، ثم حلف وقال:

/ أتَتْنِي سُلَيمٌ قَضُّها وقَضِيضُها ... تمسَّحُ حولي بالبَقيع سِبالَها [٩/١٦٢]

يقولون لي يا آحلِفْ[٥] ولستُ بحالفٍ ... أُخاتِلهم عنها لكيما أنالَها

---

(١) عبارة ابن سلام «أشدّ أسر الكلام من لبيد».

(٢) الكزازة: اليبس والتقبض.

(٣) راجع الجزء الثاني ص ١٩٦ من هذه الطبعة.

(٤) هذه الجملة في الأصول ولم ترد في «طبقات لابن سلام».

(٥) في الأصول: «فاحلف» والتصويب عن «ديوانه».

ففــرّجــتُ هــمَّ النفــس عنّــي بحَلْفــةٍ كمــا شَقَّــتِ الشُّقْــراءُ عنهــا جِـلالَهــا

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال:

قدِم ناسٌ من بَهْز المدينةَ يستَعْدُون على الشّماخ وزعموا أنه هجاهم ونفاهم، فجحَد ذلك الشماخُ. فأمر عثمانُ كَثِيرَ بنَ الصَّلْت أن يستحلفه على مِنْبَرِ النبيّ ﷺ: ما هجاهم. فأنطلق به كَثِيرٌ إلى المسجد ثم أنتحاه دون بني بَهْز - وبهز: اسمه تَيْمُ بـن سُلَيم بن منصور - فقال له: وَيْلَك يا شَمّاخ! إنك لتحلف على منبر رسول الله ﷺ، ومن حلف به آثِما يتبوّأ مقعدَه من النار! قال: فكيف أفعل فداؤك أبي وأمّي؟! قال: إني سوف أُحلِّفك ما هجوتَهم، فأقلِب الكلامَ عليّ وعلى ناحيتي فقل: والله ما هجوتكم، فأَرِدْني وناحيتي بذلك، وإني سأدفع عنك. فلمّا وقف حلَف كما قال له وأقبل كَثِير فقال: ما هجوتكم. فقالت بَهْز: ما عنَى غيرَكم، فأعِد اليمين عليه. فقال: مالي أتأوّله! هل أستحلفتُه إلّا لكم! وما اليمين إلّا مرّةٌ واحدة! انِصرفْ يا شمّاخ. فانصرف وهو يقول:

أتتنــي سُلَيــم قَضُّهــا وقَضيضُهــا تمسَّــح حــولــي بــالبَقيــع سِبــالَهــا

يقـولـون لـي يـا احلِـفْ ولسـتُ بحـالـفٍ أُخــادعهــم عنهــا لكيمــا أنــالَهَــا

فلــو لا كَثِيــرٌ نعَّــم اللهُ بــالَــه أزلَّــتْ[1] بــأعلــى حُجَّتَيْــك نعــالَهــا

/ ففــرّجــتُ هــمَّ المــوت عنّــي بحَلْفــةٍ كمــا شَقَّــتِ الشُّقْــراءُ عنهــا جِـلالَهــا

١٠٤ / ٨

[١٦٣/٩] / سألته أمرأة لا تعرفه عن قصته مع زوجه، وشعره في ذلك:

ونسختُ هذا الخبر على التمام من كتاب يحيى بن حازم قال حدّثني عليّ بن صالح صاحب المصلّى قال قال القاسم بن مَعْن:

كان الشماخ تزوّج امرأة من بني سُلَيْم فأساء إليها وضربها وكَسر يدها. فعرَضت امرأةٌ من قومها، يقال لها أسماءُ ذاتَ يوم للطريق تسأل عن صاحبتها. فأجتاز الشمّاخ وهي لا تعرفه: فقالت له: ما فعل الخبيث شمّاخ؟ فقال لها: وما تريدين منه؟ قالت: إنه فعل بصاحبةٍ لنا كيت وكيت. فتجاهل عليها وقال: لا أعلم له خبراً، ومضى وتركها وهو يقول:

تُعــارِضُ أسمــاءُ الــرِّفــاقَ عشيَّــةً تســائــل عــن ضِغْــنِ النســاءِ النَّــواكــح

ومــاذا عليهــا إنْ قَلُــوصٌ تمــرَّغــتْ بعــذليــن أو ألقتهمــا بــالصَّحَــاصِــحِ[2]

فـإنـكِ[3] لـو أُنكحـتِ دارتْ بكِ الـرَّحَـا وأَلقيــتِ رَحْلِــي سَمْحــةً غيــرَ طــامــح

ألســمــاءُ إنّــي قــد أتــانــي مخبِّــرٌ بفيقــةَ[4] يُنْبِــي منطقــاً غيــرَ صــالــح

---

(١) أزلت: أزلقت. ومرجع الضمير فيه سليم خصومه.

(٢) كذا في جـ: والصحاصح: جمع صحصح وهو الأرض الجرداء المستوية. يريد: ماذا يهمها من امرأة أساءت عشرة زوجها فأدبها. وفي سائر الأصول: «الصحائح» وهو تحريف.

(٣) كذا في «ديوانه»: يريد: لو تزوجتك دارت بك الرحى أي انقلب أمرك وتغير. وألقيت رحلي أي أنزلتني عندك وأكرمت مثواي. وسمحة: منقادة. وغير طامح: غير ملتفتة إلى الرجال. وفي الأصول: «فإياك إن أنكحت».

(٤) فيقة الضحى: أولها وارتفاعها.

بَعَجتُ إليه البطنَ ثم أنتصحتُه ... وما كلُّ من يُفشَى إليه بناصحِ
وإنّي من قومٍ على أن ذممتهم[1] ... إذا أَوْلَمُوا لم يُولِموا بالأَنَافِحِ[2]
وإنك من قومٍ تَحِنّ نساؤهم ... إلى الجانبِ الأَقصَى حنينَ المَنَائحِ[3]

/ ثم دخل المدينةَ في بعض حوائجه، فتعلّقت به بنو سُلَيم يطلبونه بظُلامة صاحبتهم، فأنكر. فقالوا: احلفْ، [٩/١٦٤] فجعل يطلُب إليهم ويغلِّظ عليهم أمرَ اليمين وشدّتَها عليه ليرضَوْا بها منه حتى رَضُوا، فحلَف لهم وقال:

ألا أصبحتْ عِرْسِي من البيت جامحاً ... بغيرِ[4] بلاءٍ أيُّ أمرٍ بَدا لَها
على خَيْرةٍ[5] كانتْ أم العِرْسُ جامحٌ ... فكيف وقد سُقْنا إلى الحَيِّ ما لَها
سترجِع غَضْبَى رَثَّةَ الحال عندنا ... كما قطعتْ منّا بلَيْلٍ وصالَها

فذكر بعد هذه الأبيات قولَه:

أتتني سُلَيم قَضُّها وقَضِيضُها

إلى آخر الأبيات.

خطب امرأة فتزوّجها أخوه جزء فماتا متهاجرين:

وقال ابن الكلبيّ:

كان الشَّماخ يهوَى امرأةً من قومه يقال لها كَلْبةُ بنتُ جَوّال أختُ جَبَل بن جَوّال الشاعر ابن صَفْوان بن بِلال بن أَصْرَم بن إِياس بن عبد تَميم بن جِحَاش بن بَجَالة بن مازِن بن ثَعْلَبة، وكان يتحدّث إليها ويقول فيها الشعر؛ فخَطَبها فأجابته وهمّت أن تتزوّجه. ثم خرج إلى سفر له فتزوّجها أخوه جَزْءُ بن ضِرَار، فآلَى الشمّاخ ألّا يكلّمه أبداً، وهجاه بقصيدته التي يقول فيها:

لنا صاحبٌ قد خان من أجل نَظْرةٍ ... سقيمُ الفؤاد حبُّ كَلْبةَ شاغلُهْ

فماتا متهاجرين.

/ استنشد المهدي بن دأب من أشعر ما قالت العرب فأنشده من شعره: [٩/١٦٥]

أخبرني أحمد بن عُبَيْدالله بن عَمّار قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد الورّاق قال حدّثني أحمد بن محمد بن بكر الزُّبَيريّ قال حدّثنا الحسن بن موسى بن رَبَاح مولى الأنصار عن أبي غُزَيَّة الأنصاريّ قال:

كنتُ على باب المهديّ يوماً، فخرج حاجبه فقال: أين ابن دَأْب؟ فقال: هأنذا. فقال: أدخل؛ فدخل ثم خرج فجلس. فقلت: يأبنَ دأب، / ما جرى بينك وبين أمير المؤمنين؟ قال قال لي: أنشِدْني أبياتاً من أشعر ما ١٠٥/٨

---

(١) كذا في «ديوانه» وفي الأصول: «قضيتهم».
(٢) الأنافح: جمع إنفحة (بكسر الهمزة وفتح الفاء) وهي كرش الحمل والجدي ما لم يأكلا، فإذا أكلا فهي كرش.
(٣) المنائح: جمع منيحة وهي المعارة للبن فهي تحنّ لوطنها.
(٤) كذا في «تجريد الأغاني». وفي «ديوانه»: «على غير شيء». وفي الأصول: «بخير بلاء» وهو تحريف.
(٥) أي على حالة خيرة. وأم للإضراب بمعنى بل.

قالت العرب؛ فأردت أن أنشده قولَ صاحبك أبي صِرْمةَ الأنصاريّ التي يقول فيها:

لنا صُوَرٌ يؤول الحقُّ فيها ... وأخلاقٌ يَسُود بها الفقيرُ

ونصحٌ للعَشيرة حيث كانت ... إذا مُلئت من الغشِّ الصدور

وحِلْمٌ لا يَصُوب الجهلُ فيه ... وإطعامٌ إذا قَحِطَ الصَّبِيرُ[1]

بذات يدٍ على ما كان فيها ... نجود[2] به قليلٌ أو كثير

فتركتُها وقلت: إن من أشعر ما قالت العرب قولَ الشَّمّاخ:

وأشعثَ قد قَدّ السِّفارُ[3] قميصَه ... يجرّ شِواءً[4] بالعصا غيرَ مُنْضَجِ

دعوتُ إلى ما نابني فأجابني ... كريم من الفتيان غير مُزَلَّجِ[5]

فتًى يملأ الشِّيزَى[6] ويُرْوِي سِنانَه ... ويضرب في رأس الكَمِيِّ المُدَجَّجِ

فتًى ليس بالراضي بأدنى معيشةٍ ... ولا في بيوت الحيِّ بالمتولِّجِ

[٩/١٦٦] / فقال: أحسنتَ! ثم رفع رأسه إلى عبدالله بن مالك فقال: هذه صفتُك يا أبا العباس. فأكَبَّ عليه عبدالله فقبّل رأسه وقال: ذكرك اللهُ بخير الذِّكْر يا أمير المؤمنين. قال أبو غُزَيَّةَ فقلت له: الأبياتُ التي تركتَ واللهِ أشعرُ من التي ذكرت.

عرابة الذي مدحه ونسبه:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

عَرَابةُ الذي عَناه الشّمّاخ بمدحه هو أحد أصحاب النبيّ ﷺ وهو عرابة بن أَوْس بن قَيْظِيّ بن عمرو بن زيد بن جُشَم بن حارثة بن الحارث بن الخَزْرَج. وإنما قال له الشماخ: عرابة الأَوْسيّ، وهو من الخَزْرَج، نسبةً إلى أبيه أوس بن قَيْظِيّ. ولم يصنَع إسحاقُ في هذا القول شيئاً. عَرَابة من الأَوْس لا من الخَزْرَج؛ وفي الأوس رجل يقال له الخَزْرَج ليس هذا هو الجدَّ الذي ينتهي إليه الخَزْرجيّون الذي هو أخو الأوس، هذا الخَزْرَج بن النَّبِيت بن مالك بن الأَوْس، وهكذا نَسبه النسّابون.

أتى عرابة النبي في غزاة أحد مع غلمة فردّهم:

وأخبرني به الحَرَميّ بن أبي العَلاء عن عبدالله بن جعفر بن مُصْعَب عن جدّه مصعَب الزُّبَيريّ عن ابن القَدّاح: وأتى النبيَّ ﷺ في غَزَاة أُحُد ليغزوَ معه؛ فردّه في غِلْمة استصغرهم: منهم عبدالله بن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وأُسَيد بن حُضَير والبَرَاءُ بن عازِب وَعَرَابَة بن أَوْس وأبو سعيد الخُدْريّ.

---

(١) الصبير: السحاب الأبيض لا يكاد يمطر.

(٢) في الأصول: «يجود». والسياق يقتضي ما أثبتناه.

(٣) السفار: السفر، أي رب أشعث شقت كثرة السفر وكثرة العمل لرفقائه ثوبه.

(٤) في «ديوانه»: «وجر الشواء بالعصا غير منضج».

(٥) المزلج: الملصق بالقوم وليس منهم، والرجل الناقص المروءة.

(٦) الشيزي: خشب تتخذ منه القصاع.

أخبرني بذلك محمد بن جرير الطبريّ عن الحارث بن سعد عن الواقديّ عن محمد بن حُمَيد عن سلَمةَ عن ابن إسحاق.

قصة أبي عرابة وعمه مع النبي:

وأوس بن قَيْظِيّ أبو عَرَابة من المنافقين الذين شهدوا أُحُداً مع النبيّ ﷺ وهو الذي قال له: إنّ بيوتنا عَوْرةٌ. وأخوه مِرْبَع[1] بن قَيْظِيّ الأعمى / الذي حَثَا في وجه رسول الله ﷺ الترابَ لمّا خرج إلى أُحُدٍ وقد مرّ في حائطه[2] [٩/١٦٧] وقال له: إن كنتَ نبيّاً فما أُحِلُّ لك أن تدخل في حائطي. فضربه سعد بن زيد الأشْهَلي بقوسه فشَجّه وقال: دَعْني يا رسولَ الله أقتلْه فإنه منافق. فقال ﷺ: «دَعُوه فإنه أعمى القلبِ أعمى البصر». فقال أخوه أوْس بن قَيْظِي أبو عَرَابَة: لا والله / ولكنها عداوتُكم يا بني عبد الأشْهَل. فقال رسول الله ﷺ: «لا والله ولكنه نِفاقكم يا بني قَيْظِيّ». ١٠٦/٨

كان عرابة سيداً في قومه وأبوه من وجوه المنافقين:

أخبرنا بذلك الحَرَميّ عن عبدالله بن جعفر الزُّبَيريّ عن جدّه مُصْعَب عن ابن القَدّاح:

أن عَرَابة كان سيِّداً من سادات قومه وجواداً من أجوادهم، وكان أبوه أوس بن قَيْظِيّ من وجوه المنافقين.

لقي الشماخ بالمدينة فأكرمه فمدحه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن جُعْدُبة، وأخبرني عليّ بن سليمان عن محمد بن يَزيد، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبدالله بن مسلم:

أنّ الشمّاخ خرج يريد المدينة، فلقيه عَرابةُ بن أوس فسأله عما أقدمه المدينةَ، فقال: أردت أن أمْتارَ لأهلي. وكان معه بَعيران فأوقرهما له بُرّاً وتمراً وكساه وبَرَّه وأكرمه. فخرج عن المدينة وأمتدحه بهذه القصيدة التي يقول فيها:

رأيــتُ عَــرابــةَ الأوْسِــيَّ يسمــو ... إلــى الخيــرات منقطــعَ القــريــن

سأله معاوية بأي شيء سدتَ فأجابه:

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا الرِّياشي قال حدّثنا الأصمعيّ قال:

/ قال معاوية لعرابة بن أوس: بأي شيء سُدْتَ قومَك؟ فقال: أعفو عن جاهلهم، وأعطي سائلَهم، وأسعى [٩/١٦٨] في حاجاتهم، فمن فعل كما أفعل فهو مثلي، ومن قصّر عنه فأنا خيرٌ منه، ومن زاد فهو خيرٌ منّي. قال الأصمعيّ: وقد انقرض عَقِبُ عرابة فلم يبق منهم أحد.

اعترض عليه ابن دأب في شعره لابن جعفر:

أخبرني أحمد بن يحيى بن محمد بن سعيد الهَمْداني قال قال يحيى بن الحسن بن جعفر بن عُبيدالله بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه:

قال ابن دَأْب وسمع قولَ الشمّاخ بن ضِرار في عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه:

(١) كذا في «سيرة ابن هشام» ص ٥٥٩. وفي الأصول: «مرفع» بالفاء.
(٢) الحائط: البستان.

إنـك يـابـنَ جعفـرٍ نِعـم الفتـى ونعـم مـأوى طـارقٍ إذا أتـى
وجـارُ ضيـفٍ طـرَق الحـيَّ سُـرَى صـادف زاداً وحـديثـاً مـا أشتهـى
إن الحديثَ طَرَفٌ من القِرَى

فقال ابن دأب: العَجَب للشمّاخ! يقول مثلَ هذا لابن جعفر ويقول لعَرَابة:

إذا مـا رايـةٌ رُفعـت لمجـد تلقّـاهـا عَـرابـةُ بـاليميـن

ابن جعفر كان أحقَّ بهذا من عرابة!.

نقد أبو نواس بيتاً له ووازنه بشعر الفرزدق:

أخبرني محمد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثني الكُرَانيُّ محمد بن سعد قال حدّثني طائع قال أخبرني أبو عمرو الكَيِّس قال قال لي أبو نواس: ما أحسن الشَّماخُ في قوله:

إذا بلغْتِنـي وحملـتِ رحلـي عَـرابـةَ فـاشـرَقـي بـدم الـوَتِيـنِ[1]

[١٦٩/٩] / لا كما قال الفرزدق:

عـلامَ تَلَفَّتِيـن وأنـتِ تحتـي وخيـرُ النّـاس كلّهـم أمـامـي
متـى تَـرِدِي الـرُّصـافـةَ تستـريحـي مـن التَّهجيـر[2] والـدَّبَـرِ الـدَّوَامـي

قلت أنا: وقد أخذ معنى قول الفرزدق هذا داودُ بن سَلْم في مدحه قُثَم بن العباس فأحسن فقال:

نجـوتِ مـن حِلّـي ومـن رِحْلتـي يـا نـاقُ إن أدنيتِنـي مـن قُثَـمْ
إنـكِ إن أدنيـتِ منـه غـداً حـالفنـا اليُسْـرُ ومـات العَـدَمْ
/ فـي كفّـه بحـرٌ وفـي وجهـه بـدرٌ وفـي العِـرْنيـن منـه شَمَـمْ
أصـمُّ عـن قِيـل الخَنَـا سمعُـه ومـا عـن الخيـر بـه مـن صَمَـم
لـم يَـدْرِ مـا «لا» و«بَلَـى» قـد درَى فعـافهـا واعتـاض منهـا «نعـم»

١٠٧/٨

نقد عبدالملك بن مروان شعره:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الخَرّاز عن المَدائنيّ قال:

أنشد عبدُالملك قولَ الشمّاخ في عَرابة بن أوس:

إذا بلّغتِنـي وحملـتِ رحلـي عـرابـةَ فـاشـرَقـي بـدم الـوَتيـن

فقال: بئست المكافأةُ كافأها! حملتْ رحلَه وبلّغته بُغيتَه فجعل مكافأتها نَحرَها!.

(١) الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.
(٢) التهجير: المشي في الهاجرة. والدبر (بفتحتين) جمع دبرة (بفتحتين) وهي قرحة الدابة.

المهلب والشعراء:

قال الخَزّاز: ومثل هذا ما حدّثناه المدئنيُّ عن ابن دَأب أن رجلاً لقي المهلَّبَ فنحر ناقته في وجهه؛ فتطيَّر من ذلك وقال له: ما قصّتك؟ فقال:

إنــي نــذرتُ لئــن لَقِيتُــكَ ســالمــاً ... أن تستمـــرّ بهـــا شِفـــارُ الجـــازر

فقال المهلّب: فأطعمونا من كَبِد هذه المظلومة، ووصَلَه.

قال المدائنيّ: ولقِيَتْه امرأةٌ من الأَزْد وقد قدِم من حرب كان نهض إليها، فقالت: أيها الأمير، إني نذرتُ إن وافيتك سالماً أن أُقبِّل يدك وأصوم يوماً / وتهبَ لي جارية صُغديّة[1] وثلثمَائة درهم. فضحك المهلّب وقال: قد [٩/ ١٧٠] وفَينا لكِ بنذرك فلا تعاودي مثله، فليس كل أحد يفي لك به.

المهدي وأبو دلامة:

وأخبرني الحسن قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني بعض أصحابنا عن القَحْذَميّ: أن أبا دُلَامة لقيَ المهديَّ لمّا قدِم بغدادَ، فقال له:

إنـــي نـــذرتُ لئـــن رأيتـــكَ وارداً ... أرضَ العـــراق وأنـــت ذو وَفْـــر

لَتُصَلِّيَـــنّ علـــى النبـــيّ محمـــدٍ ... ولتمـــلأنّ دراهمـــاً حِجْـــري

فقال له: أمّا النبيّ فصلّى الله على النّبيّ محمد وآله وسلّم، وأمّا الدراهم فلا سبيل إليها. فقال له: أنت أكرمُ من أن تُعطِيَني أسهلَهما عليك وتمنعَني الأخرى. فضحك وأمر له بما سأل. وهذا مما ليس يجري في هذا الباب ولكن يُذكر الشيء بمثله.

لطيفة الأعرابي على مائدة عبدالملك بن مروان بسبب بيت له:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثنا مسعود بن عيسى العَبْديّ قال حدّثني أحمد بن طالب الكناني (كنانة تَغْلِب)، وأخبرني به محمد بن أحمد بن الطَّلَّاس عن الخَرَّاز عن المَدائنيّ لم يتجاوزه به قال:

نَصَب عبدالملك بن مروان الموائد يُطعم الناس؛ فجلس رجل من أهل العراق على بعض تلك الموائد. فنظر إليه خادمٌ لعبدالملك فأنكره، فقال له: أعِراقيٌّ أنت؟ قال: نعم. قال: أنت جاسوس؟ قال: لا. قال: بَلَى. قال: وَيْحَكَ! دَعْنِي أتهنّأ بزاد أمير المؤمنين ولا تنغِّصْني به. ثم إن عبدالملك وقف على تلك المائدة فقال مَنِ القائل:

/ إذا الأرْطَــى[2] تــوسَّــد أبْــرَدَيْــهِ ... خــدودُ جــوازىءٍ بــالــرَّمْــل عِيــنِ [٩/ ١٧١]

---

(١) صغدية: نسبة إلى الصغد وهي كورة قصبتها سمرقند.

(٢) قال البغدادي نقلاً عن ابن قتيبة: الأرطى: شجر من أشجار البادية تدبغ به الجلود. وهو مفعول لفعل محذوف أي إذا توسد الأرطى. وأبرديه بدل اشتمال من الأرطى. ومعنى توسد أبرديه: اتخذهما كالوسادة. والأبردان: الظل والفيء، سميا بذلك لبردهما، والأبردان أيضاً: الغداة والعشي. وخدود فاعل توسد. والجوازىء: الظباء وبقر الوحش، سميت جوازىء لأنها اجتزأت بأكل النبت الأخضر عن الماء. قال في «اللسان» في مادة جزأ: الظباء لا تعني في هذا البيت كما ذهب إليه ابن قتيبة؛ لأن الظباء لا تجزأ بالكلأ عن الماء، وإنما عني البقر. ويقوي ذلك أنه قال عين، والعين من صفات البقر لا من صفات الظباء. والعين. الواسعات العيون، =

وما معناه؟ ومن أجاب فيه أجزْناه، والخادم يسمع. فقال العراقيّ للخادم: أتحبّ أن أشرح لك قائله وفيم قاله؟ قال: نعم. قال: يقوله عَدِيّ بن زيد في صفة البِطّيخ الرَّمْسِيّ. فقال ذلك الخادم. فضحك عبدالملك حتى سقط. فقال له الخادم: أخطأتُ أم أصبتُ؟ فقال: بل / أخطأتَ. فقال: يا أمير المؤمنين، هذا العراقيّ فعل الله به وفعل لقَّنَنِيه. فقال: أيُّ الرجالِ هو؟ فأراه إياه. فعاد إليه عبدالملك وقال: أنت لقَّنْتَه هذا؟ قال: نعم. قال: أفخطأً لقَّنْتَه أم صواباً؟ قال: بل خطأ. قال: ولِمَ؟ قال: لأني كنت متحرِّماً بمائدتك فقال لي كيت وكيت، فأردتُ أن أَكُفَّه عنّي وأُضحكَكَ. قال: فكيف الصواب؟ قال: يقوله الشمّاخ بن ضِرَار الغَطَفانيّ في صفة البقر الوحشيّة قد جَزَأَتْ بالرُّطْب عن الماء. قال: صدقتَ وأجازه، ثم قال له: حاجتك؟ قال: تُنَحّي هذا عن بابك فإنه يَشِينُه.

١٠٨ / ٨

سأل كثير يزيد بن عبدالملك عن معنى بيت له فسبه:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بكّار قال كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم الموصليّ أن أبا عُبيدة حدّثه عن غير واحد من أهل المدينة:

[٩/ ١٧٢]

/ أن يزيد بن عبدالملك لمّا قَدِمَ عليه الأحوص وصله بمائة ألف درهم. فأقبل إليه كثيِّر يرجو أكثر من ذلك، وكان قد عوّده مَنْ كان قبلَ يزيدَ من الخلفاء أن يُلقى عليهم بيوتَ الشعر ويسألَهم عن المعاني. فألقى على يزيدَ بيتاً وقال: يا أمير المؤمنين، ما يَعْني الشمّاخُ بقوله:

فمـــا أَرْوَى وإن كَـــرُمَـــتْ علينـــا ... بـــأدنَـــى مِـــن مـــوقَّفَـــةٍ حَـــرُونِ[١]

تُطِيـــفُ علـــى الـــرُّمـــاة فتتَّقِيهـــم ... بـــأوعـــالٍ مُعَطَّفـــةِ القُـــرون[٢]

فقال يزيد: وما يضرُّ يا ماصَّ بَظْرِ أمّه ألّا يعلم أميرُ المؤمنين هذا! وإن احتاج إلى علمه سأل عبداً مثلَك عنه!. فندِم كثيِّر وسكّته مَنْ حضَر من أهل بيته، وقالوا له: إنه قد عوّده مَنْ كان قبلك من الخلفاء أن يُلقى عليه أشباهَ هذا، وكانوا يشتهونه منه ويسألونه إياه؛ فطَفِيءَ عنه غضبُه. وكانت جائزته ثلاثين ألفاً، وكان يطمع في أكثر من جائزة الأحوص.

وأخبرنا أبو خَليفة بهذا الخبر عن محمد بن سَلّام فذكر أنه سأل يزيد عن قول الشمّاخ:

وقـــد عَـــرِقـــتْ مَغَـــابِنُهـــا وجـــادتْ ... بِـــدرَّتهـــا قِـــرَى حَجِـــنٍ قَتِيـــنِ[٣]

= جمع عيناء. والمعنى: أن الوحوش تتخذ كناسين عن جانبي الشجر تستتر فيهما من حر الشمس فترقد قبل زوال الشمس في الكناس الغربي، فإذا زالت الشمس إلى ناحية المغرب وتحول الظل فصار فيئاً زالت عن الكناس الغربي ورقدت في الكناس الشرقي. (راجع «ديوانه» ص ٩٤).

(١) كذا في جـ و «ديوانه». وقد جاء فيه شرح هذا البيت هكذا: الموقفة: الأروية (أنثى الوعول) التي في قوائمها خطوط كأنها الخلاخيل. والوقف: الخلخال. والتوقيف: البياض مع السواد. فأراد أن في قوائمها خطوطاً تخالف لونها. والحرون: التي تحرن في أعلى الجبل فلا تبرح. وأروى: اسم محبوبته. يريد أن محبوبته ليست بأقرب من هذه الأروية التي لا تنال. وفي سائر الأصول: «مفوقة» وهو تحريف.

(٢) أي تطيف بهذه الأروية الرماة فلا تبرح لأنها في أعلى الجبل ودونها أو عال فلا يصل إليها نبل الرماة، لأنهم يرمون الأوعال لأنها أقرب إليهم فكأنها تقي نفسها بها. وإنما يؤكد بهذا بعدها وأنها لا يقدر عليها.

(٣) كذا في «ديوانه» و «اللسان» مادة «حجن وجحن» والمغابن: الآباط، وقيل: الأرفاغ. والقتين: مثل الحجن، أراد به قراداً سيىء الغذاء، وجعل عرق هذه الناقة قوتاً له. وفي الأصول: «بدرتها بها حجن قتين».

/ فسكت عنه يزيد، فقال يزيد: وما على أمير المؤمنين لا أمَّ لك ألّا يعرفَ هذا! هو القُرَّاد أشبهُ الدوابِّ بك! . [١٧٣/٩]

تمثل ابن الزبير ببيت له في حواره لمعاوية:

نسخت من كتاب يحيى بن حازم حدّثنا عليّ بن صالح صاحب المُصَلَّى قال حدّثنا أبن دَأْب قال:

قال معاوية لعبدالله بن الزُّبَير وهو عنده بالمدينة في أناس: يابْنَ الزُّبَير، ألاَ تَعْذِرني في حسن بن عليّ! ما رأيتُه مُذْ قَدِمتُ المدينةَ إلاّ مرَّةً. قال: دَعْ عنك حسناً، فأنت والله وهو كما قال الشمّاخ:

أجامِلُ أقواماً حياءً وقد أرَى ... صدورَهم تَغْلِي عليَّ مِراضُها

والله لو يشاء حسنٌ أن يضربك بمائة ألف سيف ضربك! والله لأهلُ العراق أرأمُ له من أمِّ الحُوار لحُوارها. فقال معاوية رحمه الله: أردتَ أن تُغرِيَني به! والله لأصِلنّ رَحِمَه ولأقْبِلَنّ عليه، وقال:

ألاَ أيُّها المرءُ المُحَرِّشُ بيننا ... ألاَ أقْتُلَ أخاك لستُ قاتلَ أرْبَدِ

أبَى قُرْبُه منّي وحسنُ بلائه ... وعلمي بما يأتي به الدهرُ في غد

ـ والشعر لعُرْوة بن قَيْس ـ فقال ابن الزُّبَير: أمَا واللهِ إنّي وإيّاه لَيَدٌ عليك بحِلْف[1] / الفُضُول. فقال معاوية: من [١٧٤/٩] أنت! لا أَعرِض لك وحِلْفَ الفُضول! والله ما كنتَ فيها إلا كالرَّهينة / تُثْخَن معنا وتَرْدَى هزيلاً، كما قال أخو ١٠٩/٨ هَمْدَان:

إذا ما بعيرٌ قام علّق رحلَه ... وإن هو أبقى بالحياة مُقَطَّعا[2]

صوت من مُدُن معبد

صوت معبد في شعر كثير بن كثير بن المطلب:

وهو الذي أوّله:

كم بذاك الحَجُون من حيٍّ صدقِ

أَسْعِدانِي بعَبْرةٍ أَسْرابِ ... مِن شؤون كثيرةِ التَّسْكاب

إن أهلَ الحِصاب قد تركوني ... مُوزَعاً مُولَعاً بأهل الحِصاب

كم بذاك الحَجُون من حيِّ صِدْقٍ ... وكهولٍ أعِفَّةٍ وشَباب

سكَنوا الجِزْعَ جِزْعَ بيت أبي مو ... سى إلى النخل من صُفِيِّ السِّباب

(١) حلف الفضول: حلف تداعت له قريش واجتمعوا من أجله في دار عبدالله بن جدعان تعاهدوا فيه على ألا يجدوا بمكة مظلوماً إلا ردوا عليه مظلمته، كان قبل البعث بعشرين سنة. وأوّل من دعا إليه الزبير بن عبدالمطلب. وسببه أن رجلاً من زبيد قدم مكة بتجارة له، فاشتراها منه العاص بن وائل وحبس عنه ثمنا. فأستعدى عليه الزبيدي الأحلاف من قريش فأبوا أن يعينوه على العاص لمكانته فيهم. فأرقى على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في أنديتهم حول الكعبة فصاح بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائي الدار والنفر

فقام الزبير بن عبدالمطلب واجتمعت هاشم وزهرة وتيم في دار ابن جدعان وتعاهدوا ليكونن يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي عليه حقه. فسمي ذلك الحلف حلف الفضول وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر. ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي وردّوها إليه.

(٢) كذا ورد هذا البيت في الأصول.

فـارَقـونـي وقـد علمـتُ يقينـاً ... مـا لمـن ذاق مِيتـةً مـن إيـاب
فَلِـيَ الـويـلُ بعـدَهـم وعليهـم ... صـرتُ فـرداً وملّنـي أصحـابـي

عَروضه من الخفيف. الشؤون: الشُّعَب التي يتداخل بعضُها في بعض من عظام الرأس، واحدها شأن مهموزا. والجِزْع: منعطَف الوادي. وصُفِيُّ[1] السِّباب: جمع صَفَاة وهي الحجارة. ولُقِّبتْ صُفيَّ السِّباب لأن قوماً من قريش ومواليهم كانوا يخرجون إليها بالعَشِيّات يتشاتمون ويذكرون المعايبَ والمثالبَ التي يُرمَوْن بها؛ فسمِّيتْ تلك الحجارةُ صُفيَّ السِّباب.

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ عن عليّ بن محمد النَّوْفَليّ عن أبيه قال يقال: صَفَا السِّبَابِ وصُفِيّ السِّبَاب بفتح الفاء وكسرها جميعاً، وهو شِعْبٌ من / شِعاب مكة فيها صَفَاً أي صخرٌ مطروح. وكانت قريش تخرج [٩/١٧٥] فتقف على ذلك الموضع فيفتخرون ثم يتشاتمون وذلك في الجاهلية فلا يفترقون إلا عن قتال؛ ثم صار ذلك في صدرٍ من الإسلام أيضاً حتى نشأ سُدَيْف مولى عُتْبة[2] بن أبي سُدَيف وشَبِيبٌ مولى بني أُمَيّة، فكان هذا يخرج في موالي بني هاشم وهذا في موالي بني أُميّة، فيفتخرون ثم يتشاتمون ثم يتجالدون بالسيوف. وكان يقال لهم السُّدَيْفيّة والشَّبِيبيّة. وكان أهل مكّة مقتسِمين بينهما في العصبيّة؛ ثم درَس ذلك فصارت العصبيّة بمكة بين الجزّارين والحنّاطين، فهي بينهم إلى اليوم، وكذلك بالمدينة في القِمار وغيره.

الشعر لكَثِير بن كَثِير بن المطَّلِب بن أبي وَدَاعة السَّهْميّ، وقيل: بل هو لكثيِّر عَزّة. وقد رُوِي في ذلك خبر نذكره. والغِناء لمَعْبَد ثقيلٌ أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه ثقيلاً أوّل بالخِنصر للغَرِيض ولحناً آخر لابن عَبّاد ولم يجنّسه. ولابن جامع في الخامس والسادس رَمَلٌ بالوسطى. ولابن سُرَيج في الأربعة الأُوَل ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. ولابن أبي دُبَاكِل الخُزَاعيّ فيها ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وأبي أيّوبَ المدَنيّ وحَبَش. فمن روى هذا الشعر لكثيّر عزّة يرويه:

إنّ أهل الخضاب قد تركوني

ويزعم أن كثيِّراً قاله في خِضاب / خضَبتْه عَزّةُ به. ٨/١١٠

ابن عائشة يذكر بحادثة لكثير وعزة فيغني بشعر:

أخبرني بخبره أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة ولم يتجاوزه، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني الزُّبَيريّ / قال حدّثني بهذا الخبر أيضاً وفيه زيادة وخبرُه أحسن وأكثر [٩/١٧٦] تلخيصاً وأدخل في معنى الكتاب، قال الزُّبيريّ حدّثني أبي قال:

خرجت إلى ناحية فَيْد[3] متنزِّهاً، فرأيت ابن عائشة يمشي بين رجلين من آل الزُّبَير وإحدى يديه على يد هذا والأخرى على يدِ هذا، وهو يمشي بينهما كأنه امرأة تُجْلَى على زوجها. فلمّا رأيتهم دنوت فسلّمت وكنت أحدثَ القومِ سِناً، فاشتهيتُ غِناء ابن عائشة فلم أدر كيف أصنع. وكان ابن عائشة إذا هيَّجتَه تحرّك. فقلت: رحم الله كثيِّراً

(١) صفيّ: جمع صفا، وصفا جمع صفاة. فصفّي جمع الجمع لصفاة.

(٢) في جـ: «مولى بني عتبة بن سديف».

(٣) فيد: منزل بطريق مكة.

وعَزّة! ما كان أوفاهما وأكرمَهما وأصونَهما لأنفسهما! لقد ذكرتُ بهذه الأودية التي نحن فيها خبر عَزّة حين خضَبتْ كثيِّراً. فقال ابن عائشة: وكيف كان حديث ذلك؟ قلت: حدّثني مَنْ حضره بذلك ـ ومِن ها هنا تتفق رواية عمر بن شَبّة والزُّبَيري ـ قال: خرج كثيِّر يريد عَزّة وهي منتجعة بالصَّوَاري وهي الأودية بناحية فَدَك، فلما كان منها قريباً وعلم أن القوم جلسوا عند أنديتهم للحديث بعث أعرابياً فقال له: اذهب إلى ذلك الماء فإنك ترى امرأةً جسيمةً لَحيمةً تُبَالِط الرجالَ الشعر ـ قال إسحاق: المبالطة: أن تُنشِد أوّلَ الشعر وآخرَه ـ فإذا رأيتَها فنادِ: من رأى الجملَ الأحمر؟ مراراً. ففعل. فقالت له: وَيْحَك قد أسمعتَ فأنصَرِفْ إليه فأخبره. فلم يلبثْ أن أقبلتْ جاريةٌ معها طَسْتٌ وتَوْرٌ[1] وقربة ماء حتى أنتهتْ إليه، ثم جاءت بعدَ ذلك عَزّةُ فرأته جالساً محتبياً قريباً من ذراع راحلته. فقالت له: ما على هذا فارقتُك! فركب راحلتَه وهي باركةٌ وقامت إلى لِحْيته فأخذت التَّوْر فخضَبتْه وهو على ظهر جمله حتى فرغتْ من خِضابه، ثم نزل فجعلا يتحدّثان حتى عَلِق الخضابُ، ثم قامت إليه فغسلت لِحيتَه ودهَنتْه، ثم قام فركب وقال:

/ إنّ أهــل الخِضــاب قــد تــركــونــي مُــوزَعــاً مُــولَعــاً بــأهــل الخضــاب [١٧٧/٩]

وذكر باقيَ الأبيات كلّها. وإلى ها هنا رواية عمر بن شَبّة. فقال ابن عائشة: فأنا والله أُغنّيه وأُجيده، فهل لكم في ذلك؟ فقلنا: وهل لنا عنه مَدْفعٌ! فأندفع يغنّي بالأبيات، فخُيِّل إليّ أن الأودية تنطق معه حسناً. فلمّا رجعنا إلى المدينة قصصت القصّة، فقيل لي: إن ذلك أحسن صوت يغنّيه ابن عائشة؟ فقلت: لا أدري إلاّ أني سمعت شيئاً وافق محبّتي.

معبد وابن سريج يبكيان أهل مكة بغنائهما:

وقال عبدالله بن أبي سعد حدّثني عبدالله بن الصَّبّاح عن هشام بن محمد عن أبيه قال:

زار معبدٌ ابنَ سُريج والغَرِيضَ بمكة؛ فخرجا به إلى التَّنعيم[2] ثم صاروا إلى الثَّنِيّة العُلْيا ثم قالوا: تعالَوْا حتى نُبْكِيَ أهل مكة؛ فأندفع أبن سُرَيج فغنّى صوتَه في شعر كَثِير بن كَثِير السَّهْمِيّ:

أَسْعِــدِينــي بعَبْــرةٍ أَسْــرابِ مــن دمــوعٍ كثيــرةِ التَّسْكــاب

فأخذ أهلُ مكة في البكاء وأنُّوا حتى سُمِع أنينُهم. ثم غنّى معبد:

صوت

يــا راكبــاً نحــوَ المــدينــة جَسْــرةً أُجُــداً[3] تــلاعِــب حَلْقــةً وزِمــامــا
/ اِقــرأ علــى أهــل البَقيــع مــن أمــرىء كَمِــدٍ علــى أهــل البقيــع ســلامــا ١١١/٨
كــم غيَّبــوا فيــه كــريمــاً مــا جــدا شَهْمــاً ومُقْتَبَــلَ الشبــابِ غــلامــا
ونَفيســةً فــي أهلهــا مــرجــوّةً جمعــتْ صَبــاحــةَ صــورةٍ وتَمــامــا

(١) تور: إناء صغير.
(٢) التنعيم: موضع بمكة على بعد فرسخين منها. ومنه يحرم المكيون بالعمرة.
(٣) ناقة جسرة: ضخمة. وأجد: قوية موثقة الخلق.

فنادَوْا من الدروب بالويل والحَرَب والسَّلَب، وبقي الغَرِيض لا يقدِر من البكاء والصُّراخ أن يغنّي.

[٩/١٧٨] / الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغِناء لمَعْبد ثقيل أوّل بالوسطى، وذكر عمرو بن بانة أنه ليحيى المكي، وقد غلط. وذكر حبش أن لعَلّويه فيه ثقيلاً أوّل آخر.

صوت من مدن معبد في شعر قيس بن ذريح:

ومن مُدُن معبد.

صوت

وقد أُضيف إليه غيره من القصيدة:

سَلِي[1] هل قَلاَنِي من عَشيرٍ صَحِبتُه ... وهل ذَمَّ رحلي في الرِّفاق رفيقُ

وهل يَجْتَوِي القومُ الكِرامُ صَحَابتي ... إذا أغبرَّ مَخْشِيُّ الفِجَاج عَميق

ولو تعلمين الغيبَ أيقنتِ أنني ... لكم والهَدَايا المُشْعَراتِ صديق

تكاد بلادُ الله يا أمَّ مَعْمَرٍ ... بما رَحُبتْ يوماً عليَّ تَضيق

أَذُود سَوَامَ الطَّرْف عنكِ وهل لها ... إلى أحدٍ إلاّ إليكِ طريق

وحدّثتني يا قلبُ أنك صابرٌ ... على البَيْن من لُبْنى فسوف تذوق

مُتْ كَمَداً أو عِشْ سقيماً فإنما ... تكلّفني ما لا أراك تُطيق

بلُبْنَى أُنادَى عند أوّل غَشْيَةٍ ... ولو كنتُ بين العائدات أُفيق

إذا ذُكِرت لبني تَجلّتْكَ زَفْرةٌ ... ويَثْني لك الدّاعي بها فتُفيق

عروضه من الطويل. الشعر لقيس بن ذَرِيح. والغناء لمَعْبد في اللحن المذكور ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق في الأول والثاني والثالث. وذكر في موضع. آخر وافقته[2] دنانيرُ أن لمعبد ثقيلاً أوّل بالبنصر في مجرى الوسطى أوّله:

[٩/١٧٩] / **صوت**

أتجمع قلباً بالعراق فَريقُه ... ومنه بأطلال الأرَاكِ فريقُ

فكيف بها لا الدارُ جامعةُ النَّوَى ... ولا أنت يوماً عن هواكَ تُفيقُ

ولو تعلمين الغيب أيقنتِ أنّني ... لكم والهدايا المُشْعَراتِ صديقُ

البيتان الأوّلان يُرْوَيان لجرير وغيره، والثالث لقيس بن ذَرِيح أضافه إليهما مَعْبد. وذكر عمرو ويونس أن لحن معبد

---

(١) في الأصول: «سلا» والخطاب لأنثى. وقبل البيت:

وإن كنت لما تخبريني فسائلي ... فبعض الرجال للرجال رموق

(راجع هذه القصيدة بتمامها في «الأمالي» ج ٢ ص ٢٥٧) والقصيدة فيه منسوبة لمضرس بن قرط بن الحارث المزني.

(٢) كذا بالأصول: ولعله: ومرافقته دنانير. أو: وافقته فيه دنانير.

الأوّل في خمسة أبيات أُولَى من الشعر. وذكر عمرو بن بانة أنّ لبَذل الكبيرة خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى في الرابع من الأبيات وبعده:

دَعَـوْنَ الهـوى ثـم ارتَمَيْـنَ قلـوبَنـا   بـأعيـنُ أعـداءٍ وهـنّ صـديـقُ

وبعده الخامس من الأبيات وهو «أذُود سَوَامَ الطَّرْف». وزعم حَبَشٌ أن في لحن معبدٍ الثاني الذي أوّله: «أتجمع قلباً» لابن سُرَيج خفيفَ رملٍ بالبنصر، وذكر أيضاً أن للغَرِيض / في الأوّل والثاني والسابع ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر، ولابنِ ١١٢/٨ مِسْجَح خفيف رملٍ بالبنصر. وفي السادس وما بعده لحَكَم الوادي ثقيلٌ أوّل بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر حَبَش أن للغرِيض فيها ثقيلاً أوّل بالوسطى.



[٩/١٨٠]

/ ذكر قيس بن ذريح ونسبه وأخباره

نسبه:

هو، فيما ذكر الكلبيّ والقَحْذَمِيّ وغيرهما، قيس بن ذَريح بن سُنَّة بن حُذَافة بن طَريف بن عُتْوَارةَ بن عامر بن لَيْث بن بكر بن عبد مَنَاةَ وهو عليّ بنِ كِنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار. وذكر أبو شُراعَة القَيْسِيّ[١] أنه قيس بن ذَريح بن الحُبَاب بن سُنَّة؛ وسائر النسب متّفق. وأحتجّ بقول قيس:

فإنْ يكُ تَهْيَامي بلُبْنَى غَوايةً ... فقد يا ذَرِيحُ بنَ الحُبَابِ غَوَيْتُ

وذكر القَحْذَمِيّ أن أمّه بنتُ سُنَّة بن الذاهِل[٢] بن عامر الخُزَاعِيّ، وهذا هو الصحيح؛ وأنه كان له خال يقال له عمرو بن سُنَّة شاعر، وهو الذي يقول:

ضربوا الفِيلَ بالمغمَّس[٣] حتى ... ظَلَّ يحبو كأنه محمومُ

وفيه يقول قيس:

أُنبئتُ أنّ لخالي هَجمةً[٤] حُبُساً ... كأنّهن بجَنْبِ المَشْعَرِ النُّصُلُ[٥]

قد كنتَ فيما مضى قِدْماً تجاوِرُنا ... لا ناقةٌ لك ترعاها ولا جملُ

ما ضَرَّ خاليَ عمراً لو تقسّمها ... بعضُ الحياض وجَمُّ البئر مُحْتَفِلُ[٦]

هو رضيع الحسين بن علي:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن موسى بن حَمّاد قال حدّثني أحمد بن القاسم بن يوسف قال حدّثني جَزْء بن قَطَن قال حدّثنا جَسّاس بن محمد بن عمرو / أحدُ بني الحارث بن كعب عن محمد بن أبي السَّرِي [٩/١٨١] عن هشام بن الكَلْبِيّ قال حدّثني عدد من الكنانيّين:

أن قيس بن ذَرِيح كان رضيعَ الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما، أرضعته أُمّ قَيْس.

---

(١) كذا في جـ و«الأغاني»: (ج ٧ ص ٢٣٢ من هذه الطبعة). وفي سائر الأصول: «أبو شراعة الضبي». وهو تحريف.
(٢) في «تجريد الأغاني»: «الكاهل».
(٣) المغمس: موضع قرب مكة في طريق الطائف.
(٤) الهجمة من الإبل: أولها أربعون إلى ما زادت، أو ما بين السبعين إلى المائة.
(٥) النصل: جمع نصيل، وهو حجر طويل رقيق كهيئة الصفيحة المحددة، يشبه به رأس البعير وخرطومه إذا وجف في سيره.
(٦) جم الماء: معظمه. ومحتفل: ملآن. يريد: ما على خالي أن نصيب من ماله وهو غني مكثر.

أول عشيقه لبنى ثم زواجه بها:

أخبرنا بخبر قيس ولُبْنَى ٱمرأتِه جماعةٌ من مشايخنا في قِصَص متّصلة ومنقطة وأخبار منثورة ومنظومةٍ، فألّفتُ ذلك أجمعَ ليتّسق حديثُه إلّا ما جاء مفرداً وعَسُر إخراجُه عن جملة النظم فذكرته على حدة. فممّن أخبرنا بخبره أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة ولم يتجاوزه إلى غيره، وإبراهيم بن محمد بن أيّوب عن ٱبن قُتيبة، والحسنُ بن عليّ عن محمد بن موسى بن حَمّاد البَرْبَريّ عن أحمد بن القاسم بن يوسف عن جَزْء بن قَطَن عن جَسّاس بن محمد عن محمد بن أبي السَّرِيّ عن هشام بن الكَلْبيّ وعلى روايته أكثر المعوّل. ونسختُ أيضاً من أخباره المنظومة أشياء ذكرها القَحْذَميّ عن رجاله، وخالدُ بن كُلثوم عن نفسه ومن روى عنه، وخالدُ بن جَمَل ونُتَفاً حكاها اليوسفيّ صاحبُ الرسائل عن أبيه عن أحمد بن حَمّاد عن جميل عن ٱبن أبي جَنَاح الكَعْبيّ. وحكيت كلَّ مُتَّفِقٍ فيه متصلاً، وكل مختلِفٍ في معانيه منسوباً إلى راويه. قالوا جميعاً:

كان منزل / قومه في ظاهر المدينة، وكان هو وأبوه من حاضِرة المدينة. وذكر خالد بن كلثوم أن منزله كان بسَرِف[1]، وٱحتجّ بقوله: ١١٣/٨

الحمـــد لله قـــد أمســت مُجَــاوِرةً أهــلَ العَقيــق وأمسَيْنـا علــى سَــرِفِ

قالوا: فمرّ قيس لبعض حاجته بخيام بني كعب بن خُزاعة، فوقف على خَيْمة منها والحيّ خُلُوف[2] والخيمةُ خيمة لُبْنَى بنت الحُبَاب الكَعْبيّة، فاستسقى ماءً، فسقتْه وخرجتْ / إليه به، وكانت امرأةً مديدةَ القامةِ شَهْلاءَ[3] [١٨٢/٩] حُلْوَةَ المنظر والكلام. فلما رآها وقعتْ في نفسه، وشرب الماء. فقالت له: أتنزل فتتبرّدَ عندنا؟ قال: نعم. فنزل بهم. وجاء أبوها فنحر له وأكرمه. فٱنصرف قيس وفي قلبه من لُبْنَى حَرٌّ لا يَطْفأ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع ورُوِي. ثم أتاها يوماً آخر وقد ٱشتدّ وجدُه بها، فسلّم فظهرتْ له وردّت سلامَه وتحفّتْ به؛ فشكا إليها ما يَجِدُ بها وما يَلْقَى من حبّها، وشكت إليه مثلَ ذلك فأطالتْ؛ وعرف كلُّ واحد منهما ما له عند صاحبه. فٱنصرف إلى أبيه وأعلمه حالَه وسأله أن يزوّجه إياها. فأبى عليه وقال: يا بنيّ، عليك بإحدى بناتِ عمّك فهنّ أحقُّ بك. وكان ذَرِيحٌ كثير المال موسِرا، فأحبّ ألّا يخرج ٱبنه إلى غريبة. فٱنصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه أبوه به. فأتى أمّه فشكا ذلك إليها وٱستعان بها على أبيه، فلم يجد عندها ما يحبّ. فأتى الحسينَ بن عليّ بن أبي طالب وٱبنَ أبي عتَيق فشكا إليهما ما به وما ردّ عليه أبوه. فقال له الحسين: أنا أَكْفِيك. فمشى معه إلى أبي لُبْنَى. فلما بَصُر به أعظمه ووثب إليه، وقال له: يا بْنَ رسول الله، ما جاء بك؟ ألّا بعثتَ إليّ فأتيتُك! قال: إن الذي جئتُ فيه يُوجب قصدَك وقد جئتك خاطباً ٱبنتَك لُبْنَى لقيس بن ذَرِيح. فقال: يا بْنَ رسول الله، ما كنّا لنَعْصِيَ لك أمراً وما بنا عن الفتى رغبة، ولكن أحَبّ الأمرِ إلينا أن يخطُبَها ذَرِيح أبوه علينا وأن يكون ذلك عن أمره، فإنّا نخاف إن لم يَسْعَ أبوه في هذا أن يكون عاراً وسُبّةً علينا. فأتى الحسينُ رضي الله عنه ذَرِيحاً وقومَه وهم مجتمعون، فقاموا إليه إعظاماً له وقالوا له مثل قول الخُزَاعِيِّين. فقال لذَرِيح: أقسمتُ عليك إلّا خطبتَ لُبْنَى لابنك قيس. قال: السمعَ والطاعةَ لأمرك. فخرج معه في وجوه من قومه حتى أتَوْا لُبْنَى فخطبها / ذَرِيحٌ على ٱبنه إلى أبيها فزوّجه إيّاها، وزُفّت إليه بعد ذلك. [١٨٣/٩]

---

(١) سرف: موضع على ستة أميال من مكة.

(٢) خلوف: غيب.

(٣) الشهلاء: التي يخالط سواد عينيها زرقة.

أبواه يغريانه بطلاقها ويأبى هو:

فأقامت معه مدّة لا يُنكر أحدٌ من صاحبه شيئاً. وكان أبرَّ الناس بأمّه، فألهتْه لُبْنَى وعكوفُه عليها عن بعض ذلك، فوجَدتْ أمّه في نفسها وقالت: لقد شغلتْ هذه المرأةُ ابني عن برّي؛ ولم تَرَ للكلام في ذلك موضعاً حتى مرِض مرضاً شديداً. فلما بَرَأ من علّته قالت أمّه لأبيه: لقد خَشِيتُ أن يموت قيسٌ وما يتركُ خَلَفاً وقد حُرِم الولدَ من هذه المرأة، وأنت ذو مال فيصيرُ مالك إلى الكَلاَلة[1]، فزوِّجْه بغيرها لعل الله أن يرزقه ولداً، وألحَّتْ عليه في ذلك. فأمهلَ قيساً حتى إذا اجتمع قومه دعاه فقال: يا قيس، إنك اعتللتَ هذه العلّةَ فخفتُ عليك ولا ولد لك ولا لي سواك. وهذه المرأة ليست بولُود؛ فتزوَّجْ إحدى بناتِ عمِّك لعلّ الله أن يَهَب لك ولداً تَقَرُّ به عينُك وأعينُنا. فقال قيس: / لست متزوِّجاً غيرها أبداً. فقال له أبوه: فإن في مالي سَعةً فَتَسَرَّ بالإماء. قال: ولا أسوءها بشيءٍ أبداً والله. قال أبوه: فإني أُقسِم عليك إلاّ طَلّقْتَها. فأبى وقال: الموتُ والله عليّ أسهل من ذلك، ولكني أُخيِّرك خَصْلةً من ثلاث خصال. قال: وما هي؟ قال: تتزوّج أنت فلعلَّ الله أن يرزُقَك ولداً غيري. قال: فما فيّ فَضْلة لذلك. قال: فدَعْني أرتحلْ عنك بأهلي واصنَعْ ما كنتَ صانعاً لو متُّ في علّتي هذه. قال: ولا هذه. قال: فأدَعُ لُبْنَى عندك وأرتحلُ عنك فلعليِّ أسلوها فإني ما أحبّ بعد أن تكون نفسي طيّبة أنها في خيالي. قال: لا أرضَى أو تطلِّقَها، وحلَف لا يَكُنُّه سقفُ بيت أبداً حتى يطلّق لُبْنَى، فكان يخرج فَيَقِفُ في حرّ الشمس، ويَجيء قيسٌ فيقف إلى جانبه فيُظِلّه بردائه ويَصْلَى هو بحرّ الشمس / حتى يَفِيءَ الفيءُ فينصرفَ عنه، ويدخل إلى لُبْنَى فيعانقها وتعانقه ويبكي وتبكي معه وتقول له: يا قيس، لا تُطعْ أباك فتَهلِكَ وتُهلِكني. فيقول: ما كنت لأُطيعَ أحداً فيكِ أبداً. فيقال: إنه مكث كذلك سنةً. وقال خالد بن كُلثوم: ذكر ابنُ عائشة أنه أقام على ذلك أربعينَ يوماً ثم طلّقها. وهذا ليس بصحيح.

طلاقه لبنى ثم ندمه على فراقها، وشعره في ذلك:

أخبرني محمد بن خَلَف وكِيع قال حدّثني أحمد بن زُهير قال حدّثني يحيى بن معين قال حدّثنا عبدالرزّاق قال أخبرنا ابن جُرَيْج قال أخبرني عمر بن أبي سفيان عن ليث بن عمرو:

أنه سمع قيس بن ذَرِيح يقول لزيد بن سليمان: هجَرني أبواي في لُبْنَى عشرَ سنين أستأذِنُ عليهما فيَرُدّاني حتى طلّقتُها. قال ابن جُرَيج: وأُخبرت أن عبدالله بن صَفْوان الطويل لَقِي ذَريحا أبا قيس فقال له: ما حمَلك على أن فرّقتَ بينهما؟ أمَا علمتَ أن عمر بن الخطاب قال: ما أُبالي أفرقتُ بينهما أو مشيتُ إليهما بالسيف. وروَى هذا الحديثَ إبراهيم بن يَسار الرَّمَادِيّ عن سُفْيان بن عُيينَة عن عمرو بن دينار قال قال الحسين بن عليّ رضي الله عنهما لذَريح بن سُنّة أبي قيس: أحَلَّ لكَ أن فرّقتَ بين قيس ولُبنى؟! أمَا إني سمعت عمر بن الخطاب يقول: ما أُبالي أفرّقتُ بين الرجل وامرأته أو مشيتُ إليهما بالسيف. قالوا: فلما بانت لُبنى بطلاقه إيّاها وفرغ من الكلام، لم يلبَثْ حتى استُطِير عقلُه وذُهِب به ولحقه مثلُ الجنون. وتذكّر لُبنى وحالَها معه فأسِف وجعل يبكي ويَنْشِج أحرَّ نَشيج. وبلغها الخبرُ فأرسلتْ إلى أبيها ليحتملها، وقيل: بل أقامت حتى انقضت عدّتها وقيسٌ يدخل عليها. فأقبل أبوها بِهَوْدَج على ناقة وبإبل تحملُ أثاثها. فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها فقال: وَيْحَكِ! ما دهاني فيكم؟ فقالت:

(١) اختلف في معنى الكلالة فقيل: إن الكلالة الرجل الذي لا ولد له ولا والد؛ أو من عدا الأب والابن من الورثة؛ وقيل من عدا الأب والابن والأخ؛ وقيل ما لم يكن من النسب لحا، أي لاصقاً؛ وقيل الإخوة لأم.

لا تسألني وسَلْ لُبْنَى. فذهب لِيُلِمَّ بخبائها / فيسألَها، فمنعه قومُها. فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له: ما لك [٩/١٨٥] وَيْحَك تسأل كأنك جاهلٌ أو تتجاهل! هذه لُبْنَى ترتحل الليلَة أو غداً. فسقط مغشياً عليه لا يَعْقِل ثم أفاق وهو يقول:

وإنّي لمُفْنٍ دمعَ عينيَ بالبكا ... حِذَارَ الذي قد كان أو هو كائنُ

وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلةٍ ... فراقُ حبيبٍ لم يَبِنْ وهو بائن

وما كنتُ أخشى أن تكون منيّتي ... بكفّيكِ إلاّ أنّ ما حان حائن

/ في هذه الأبيات غِناء ولها أخبار قد ذُكرت في أخبار المجنون. قال وقال قيس: ١١٥/٨

يقولون لُبْنَى فتنةٌ كنتَ قبلها ... بخيرٍ فلا تَنْدَمْ عليها وطلِّقِ

فطاوعتُ أعدائي وعاصيتُ ناصحي ... وأقررْتُ عينَ الشامتِ المُتخلِّقِ[1]

وَدِدتُ وبيتِ الله أنّي عَصَيْتُهُم ... وحُمِّلتُ في رِضوانها كلَّ مُوبِقِ[2]

وكُلِّفتُ خوضَ البحر والبحرُ زاخرٌ ... أَبِيتُ على أثباج موجٍ مُغَرَّقِ

كأنّي أرى الناسَ المحبِّين بعدها ... عُصارةَ ماء الحنظلِ المُتفلِّقِ

فتُنكِر عيني بعدها كلَّ منظرٍ ... ويكره سمعي بعدَها كلَّ منطقِ

قال: وسقط غرابٌ قريباً منه فجعل يَنْعَق مراراً، فتطيَّر منه وقال:

لقد نادى الغرابُ بِبَيْنِ لُبْنَى ... فطار القلبُ من حَذَرِ الغرابِ

وقال غداً تَباعَدُ دارُ لُبْنَى ... وتَنْأى بعد وُدٍّ واقترابِ

فقلتُ تَعِستَ وَيْحَك من غرابٍ ... وكان الدهرَ سعيُك في تَبابِ

/ وقال أيضاً وقد منعه قومه من الإلمام بها: [٩/١٨٦]

صوت

ألا يا غرابَ البَيْنِ وَيْحَكَ نَبِّني ... بعلمك في لُبْنَى وأنتَ خبيرُ

فإن أنتَ لم تُخْبِرْ بما قد علمتَه ... فلا طِرْتَ إلاّ والجَناحُ كَسيرُ

ودُرْتَ بأعداءٍ حبيبُك فيهمُ ... كما قد تَراني بالحبيب أدورُ

غنّى سليمان أخو حَجَبَةَ رملاً بالوسطى.

قالوا: وقال أيضاً وقد أُدخِلتْ هودجَها ورحلتْ وهي تَبكي ويتبعُها:

---

(١) المتخلق: الذي يتكلف ما ليس في خلقه.

(٢) الموبق: المهلك.

صـوت

ألَا يا غرابَ البَيْنِ هل أنتَ مُخبِري ... بخيرٍ كما خَبَّرتَ بالنأي والشرّ

وقلتَ كذاك الدهرُ ما زال فاجعاً ... صدقتَ وهل شيءٌ بباقٍ على الدهرِ

غنّى فيهما أبن جامع ثانيَ ثقيل بالبِنصر عن الهشاميّ. وذكر حَبَش أنّ لقفَا النجّار فيهما ثقيلاً أوّل بالوسطى. قالوا: فلما أرتحل قومُها أتّبعها مَلِيّاً، ثم علم أن أباها سيمنعه من المسير معها، فوقف ينظر إليهم ويبكي حتى غابوا عن عينه فكَرّ راجعاً. ونظر إلى أثر خُفّ بعيرها فأكبّ عليه يقبّله ورجع يقبّل موضعَ مجلسها وأثرَ قَدَمِها. فلِيمَ على ذلك وعنّفه قومُه على تَقْبيل التراب؛ فقال:

وما أحببتُ أرضَكمُ ولكن ... أُقَبِّل إثرَ مَن وَطِىء الترابا

لقد لاقيتُ من كَلَفِي بلُبْنَى ... بَلاءً ما أُسِيغ به الشَّرابا

إذا نادى المنادِي باسمِ لُبْنَى ... عَيِيتُ فما أُطيقُ له جوابا

[٩/١٨٧] / وقال وقد نظر إلى آثارها:

صـوت

/ ألَا يا رَبْعَ لُبْنَى ما تقولُ ... أَبِنْ لي اليومَ ما فعل الحُلولُ

فلو أن الديارَ تُجيب صَبّاً ... لَردّ جوابيَ الرَّبعُ المُحِيلُ

ولو أنّي قَدَرْتُ غداةَ قالتْ ... غَدَرْتَ[١] وماءُ مُقْلتِها يَسِيلُ

نحرتُ النفسَ حين سمعتُ منها ... مقالتَها وذاك لها قليلُ

شَفَيْتُ غليلَ نفسي من فِعالي ... ولم أَغْبُرْ بلا عقلٍ أَجُول

١١٦/٨

غنّى فيه حسين بن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ من روايتي بَذْل وقُرَيض. وتمام هذه الأبيات:

كأنّي وَالِهٌ بفِراق لُبْنَى ... تَهِيمُ بفقدِ واحِدها ثَكُولُ

ألَا يا قلبُ وَيْحَكَ كن جَلِيداً ... فقد رحَلتْ وفات بها الذَّمِيل[٢]

فإنك لا تُطيق رجوعَ لُبنى ... إذا رحَلتْ وإن كَثُر العَويلُ

وكَمْ قد عِشْتَ كَمْ بالقرب منها ... ولكنّ الفِراقَ هو السبيل

فصبراً كلُّ مؤتَلِفَين يوماً ... من الأيام عيشُهما يزول

قال: فلما جَنّ عليه الليلُ وأنفرد وأوى إلى مضجعه لم يأخذه القرارُ وجعل يتململ فيه تململ السليم، ثم وثَب حتى أتى موضعَ خِبائها، فجعل يتمرَّغ فيه ويبكي ويقول:

---

(١) كذا في «تجريد الأغاني»: وفي ب، س: «وددت» وهو تحريف. وقد سقط هذا البيت من سائر الأصول.
(٢) الذميل: السير اللين.

صوت

بِــتُّ والهـمُّ يـا لُبَيْنـى ضَجِيعـي وجـرت مُـذْ نـأيـتِ عنّـي دمـوعـي
وتنفّسـتُ إذ ذكـرتُـك حتـى زالـت اليـومَ عـن فـؤادي ضلـوعـي
/ أتنـاسَـاكِ كـي يُـرِيـغَ[1] فـؤادي ثـم يشتـدُّ عنـد ذاك وَلُـوعـي [١٨٨/٩]
يـا لُبَيْنـى فَـدَتْـكِ نفسـي وأهلـي هـل لـدهـرٍ مضـى لنـا مـن رجـوع

غنّت في البيتين الأوّلين شارِيَةُ خفيفَ رملٍ بالوسطَى. وغنّى فيهما حسين بن مُحْرِز ثانيَ ثقيل، هكذا ذكر الهشاميّ؛ وقد قيل إنه لهاشم بن سليمان.

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال قال الزُّبَير بن بَكّار حدّثني عبدالجبّار بن سعيد المُسَاحِقيّ عن محمد بن مَعْن الغِفَاريّ عن أبيه عن عجوز لهم يقال حَمّادةُ بنت أبي مُسافِر قالت:

جاورتَ آلَ ذَريح بقَطيع لي فيه الرّائِمة[2] وذات البَوّ والحائلُ والمُتْبِع. قالت: فكان قيسُ بن ذَرِيح إلى شَرَفٍ[3] في ذلك القطيع ينظر إلى ما يَلْقَيْن فيتعجّبُ. فقلّما لبث حتى عزم عليه أبوه بطلاق لُبْنَى فكاد يموتُ، ثم آلَى أبوه لئن أقامتْ لا يُساكِن قيساً. فظعَنتْ فقال:

أيـا كبـداً طـارتْ صُـدوعـاً نـوافـذاً ويـا حَسْـرتـا مـاذا تَغَلْغَـلَ فـي القلـب
فـأقسِـمُ مـا عُمْـشُ العيـون شـوارفٌ[4] روائـمُ بَـوٍّ حـائمـاتٌ علـى سَقْب[5]
تشمَّمْنَـه لـو يَستطِعـن ٱرتشفْنَـه إذا سُفْنَـه يَـزْددنَ نَكْبـاً علـى نَكْـب[6]
رَئِمْـنَ فمـا تَنحـاش منهـنّ شـارفٌ وحالَفْنَ[7] حبساً في المحُول وفي الجَدْب
/ بـأَوْجَـدَ منّـي يـومَ وَلَّـتْ حُمُـولُهـا وقـد طلعـتْ أولَـى الـرّكـاب مـن النَّقْـبِ [١٨٩/٩]
وكـلُّ مُلِمّـات الـزمـان وجـدتُهـا سـوى فُـرْقـةِ الأحبـاب هيّنـةَ الخَطْـب

/ أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ قال سمعتُ ٱبن عائشةَ يقول: قال إسحاق بن الفَضْل الهاشميّ: لم يقل الناس في هذا المعنى مثل قول قَيْس بن ذَرِيح: [١١٧/٨]

وكُـلُّ مُصيبـات الـزمـان وجـدتُهـا سـوى فُـرْقَـة الأحبـاب هيّنـةَ الخَطْـبِ

قال وقال ابن النطّاح قال أبو دِعَامةَ:

---

(١) كذا في «تجريد الأغاني»: ويريغ: يحيد. وفي الأصول: «يريع» بالعين المهملة وهو تصحيف.
(٢) الرائمة: العاطفة على غير ولدها. والبوّ: جلد الحوار يحشى تماماً أو تبناً أو غيرهما فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدرّ. والحائل: الناقة التي لا تحمل. والمتبع: التي يتبعها ولدها.
(٣) الشرف: المكان العالي.
(٤) الشوارف: جمع شارفة وهي الناقة المسنّة.
(٥) السقب: ولد الناقة.
(٦) ساف الشيء: شمه. والنكب (محركة وقد سكنت لضرورة الشعر): ظلع البعير، وقيل: داء يأخذ الإبل في مناكبها تظلع منه وتمشي منحرفة.
(٧) كذا في «تجريد الأغاني»: وفي الأصول: «وحاولن» وهو تحريف.

خرج في فتية إلى بلادها حتى رآها، وشعره في ذلك:

خرج قيسٌ في فِتْية من قومه وأعتلَّ على أبيه بالصيد، فأتى بلادَ لُبْنَى، فجعل يتوقَّعُ أن يراها أو يرى من يُرسِل إليها. فأشتغل الفتيانُ بالصيد؛ فلما قضَوْا وَطَرَهم منه رجعوا إليه وهو واقف، فقالوا له: قد عرفنا ما أردتَ بإخراجنا معك وأنك لم تُرِدِ الصيدَ وأنما أردتَ لقاءَ لبنى، وقد تعذَّر عليك فأنصرِف الآن. فقال:

وما حائماتٌ حُمْنَ يوماً وليلةً ... على الماء يَغْشَيْنَ العِصِيَّ حَوَانِ
عَوَافِيَ[1] لا يَصْدُرْن عنه لِوجهةٍ ... ولا هُنَّ من بَرْدِ الحِياض دَوَانِ
يَرَيْنَ حَبَابَ الماء والموتُ دونه ... فهنَّ لأصوات السُّقَاةِ رَوَانِ
بأجهدَ منّي حَرَّ شوقٍ ولَوْعةٍ ... عليكِ ولكنَّ العدوَّ عَدَاني
خليليَّ إنّي ميّتٌ أو مُكَلِّمٌ ... لُبَيْنَى بسِرِّي فأمضيا وذَرَاني
أَنَلْ حاجتي وَحْدِي ويا رُبَّ حاجةٍ ... قضيتُ على هَوْلٍ وخوفِ جَنَانِ
فإنّ أحقَّ الناس الا تُجَاوِزا[2] ... وتَطَّرِحا من لو يشاء شفاني
ومن قادني للموت حتى إذا صفَتْ ... مشاربُه السمَّ الذُّعَافَ سقاني

[٩/١٩٠] / قال: فأقاموا معه حتى لقيَها، فقالت له: يا هذا، إنك متعرِّضٌ لنفسك وفاضِحي. فقال لها:

صدَعْتِ القلبَ ثم ذَرَرْتِ فيه ... هواكِ فليمَ فألتام الفُطورُ[3]
تَغَلْغَلَ حيثُ لم يبلُغ شَرابٌ ... ولا حُزنٌ ولم يبلغ سرور

أبو السائب المخزومي وشعر قيس:

وقال القَحْذَميّ حدّثني أبو الوَرْدَانِ قال حدّثني أبي قال: أنْشدتُ أبا السّائب المَخزوميّ قولَ قيس:

صدعتِ القلبَ ثم ذررتِ فيه ... هواكِ فليم فألتأم الفطور

فصاح بجارية له سِنْديّةٍ تسمَّى زُبْدة، فقال: أيْ زبدةُ عجِّلي. فقالت: أنا أعجِن. فقال: وَيْحَكِ! تعالَيْ ودَعي العجينَ. فجاءت فقال لي: أنشِدْ بيتَيْ قيس فأعدتُهما. فقال لها: يا زُبْدة، أحسنَ قيس وإلاّ فأنت حرَّة! إرجعي الآنَ إلى عجينك أدْركيه لا يَبْرُدْ.

حسرته على فراقها وتأنيبه نفسه:

قالوا: وجعل قيس يعاتب نفسه في طاعته أباه في طلاقه لُبْنَى ويقول: فألّا رحلتُ بها عن بلده فلم أرَ ما يفعل ولم يَرَني! فكان إذا فقَدني أقلع عمّا يفعله وإذا فَقدتُه لم أتحرّج من فعله! وما كان عليّ لو أعتزلتُه وأقمت في حيّها أو في بعض بَوَادي العرب، أو عَصَيْته فلم أُطِعْه! هذه جنايتي على نفسي فلا لومَ على أحد! وهأنذا ميّتٌ مما فعلته،

---

(١) العوافي: جمع عافية وهي التي ترد الماء.
(٢) كذا في جـ: وفي سائر الأصول: «فإني أحق الناس ألا تحاورا».
(٣) الفطور: الشقوق.

فمن يردُّ رُوحي إليّ! وهل لي سبيل إلى لُبنى بعد الطلاق؟! وكلّما قرّع نفسَه وأنّبها بلونٍ من التقريع والتأنيب بكى أحرَّ بكاء وألصق خدَّه بالأرض ووضعه على آثارها ثم قال:

[١٩١/٩]

/ صوت

١١٨/٨

/ وَيْلي وعَوْلي ومالي حين تُفلِتُني ... من بعد ما أحرزتْ كفّي بها الظَّفَرا

قد قال قلبي لطَرْفي وهو يعذِلُه ... هذا جزاؤك منّي فاكْدِمُ الحجرا

قد كنتُ أنهاك عنها لو تُطاوِعُني ... فاصبِرْ فما لك فيها أجرُ من صبرا

غنّاه الغَرِيض خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو. وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّلٌ بالوسطى عن حَبَش. وفي الثالث والأوّل خفيفُ رَمَلٍ يقال إنه لابن الهِرْبِذ.

قالوا وقال أيضاً:

بانت لُبَيْنى فأنت اليوم متبولُ ... والرأي عندك بعد الحزم مخبولُ

أستودع اللهَ لُبْنى إذ تفارقني ... بالرغم منّي وقولُ الشيخ مفعولُ

وقد أرَاني بلبنى حقَّ مُقتنِعٍ ... والشملُ مجتمعٌ والحبلُ موصولُ

قال خالد بن كُلثوم وقال:

ألَا ليت لُبْنَى في خلاءٍ تزورني ... فأشكو إليها لَوْعتي ثم ترجِعُ

صحا كلُّ ذي لبٍّ وكلُّ متيَّمٍ ... وقلبي بلُبْنَى ما حَيِيتُ مروَّعُ

فيا مَنْ لِقلبٍ ما يُفيق من الهوى ... ويا مَنْ لعينٍ بالصَّبابة تَدْمَعُ

قالوا وقال في ليلته تلك:

قد قلتُ للقلب لا لُبناكَ فاعترِفِ ... واقضِ اللُّبانةَ ما قضّيتَ وانصرِفِ

قد كنت أحلف جَهْداً لا أُفارقها ... أُفٍّ لكثرة ذاك القِيل والحَلِفِ

حتى تكنَّفني الواشون فافتُلِتتْ[1] ... لا تأمَنَنْ أبداً من غشّ مُكتنِفِ

هيهات هيهات قد أمست مُجاورةً ... أهلَ العَقيق وأمسَيْنا على سَرِفِ

[١٩٢/٩]

/ ـ قال: وسَرِف على ستة أميال[2] من مكة. والعَقيق: واد باليمامة ـ

حيٌّ يَمَانُونَ والبَطْحاءُ منزلُنا ... هذا لعَمْرُك شملٌ غيرُ مؤتلِفِ

من شعره في لبنى وقد سنحت له ظبية:

قالوا: فلمّا أصبح خرج متوجّهاً نحوَ الطريق الذي سلكته يتنسّم روائحَها، فسنَحتْ له ظبيةٌ فقصدها فهربتْ منه فقال:

(١) افتلتت: أخذت بغتة.

(٢) كذا في «معجم ما استعجم» للبكري: وفي الأصول: «أيام» وهو تحريف من النساخ.

أَلاَ يا شِبْهَ لُبْنَى لا تُرَاعِي ... ولا تتيمّمِي قُلَلَ القِلاع

وهي قصيدة طويلة يقول فيها:

فوا كبِدي وعاودني رُدَاعِي[1] ... وكان فراقُ لُبْنَى كالخداع
تكنّفني الوُشاةُ فأزعجوني ... فيالله لِلْواشِي المُطاع
فأصبحتُ الغَداةَ ألوم نفسي ... على شيء وليس بمستطاع
كمغبونٍ يَعَضُّ على يديه ... تَبيَّنَ غَبْنَه بعد البِياع
بدار مَضِيعةٍ تركتُك لُبْنَى ... كذاك الحَيْنُ يُهْدَى للمُضاع
وقد عِشْنا نَلَذُّ العيشَ حِيناً ... لَوَ ان الدهرَ للإنسان داع
ولكنّ الجميعَ إلى افتراق ... وأسبابُ الحُتوفِ لها دواع

119/8 غنّاه الغَرِيض من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن / إسحاق. وفيه لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو والهشاميّ. ولشاريَةَ في البيتين الأوّلين ثقيلٌ أوّلُ آخر بالوسطى. ولابن سُرَيج رَمَلٌ بالوسطى عن الهشاميّ في:

بدارِ مَضِيعةٍ تركتُك لُبْنَى

[٩/١٩٣] / وقبله:

فوا كبِدي وعاودني رُدَاعِي

ولِسِيَاطٍ في البيتين الأوّلين خفيفُ رملٍ بالبنصر عن حَبَش.

أغرت أمه فتيات الحي بأن يعبن عنده لبنى ليسلوها فلم يسل، وشعره في ذلك:

حدّثني عمّي عن الكُرَانيّ عن العَتْبيّ عن أبيه قال:

بعثتْ أمُّ قيس بن ذَريح بفتيات من قومه إليه يَعِبْنَ إليه لُبْنَى ويَعِبْنَه بجزَعه وبكائه ويتعرَّضْنَ لوصاله، فأتيْنَه فاجتمعْنَ حوالَيْه وجعلن يمازحْنَه ويَعِبْنَ لُبْنَى عنده ويعيِّرْنَه ما يفعله. فلما أطلْنَ أقبل عليهنّ وقال:

صوت

يَقَرُّ بعيني قربُها ويَزِيدُني ... بها كَلَفاً مَنْ كان عندي يَعِيبُها
وكم قائلٍ قد قال تُبْ فعصَيْتُه ... وتلك لعَمْرِي توبةٌ لا أتوبها
فيا نفسُ صبراً لستِ والله فاعلمي ... بأوّلِ نفسٍ غاب عنها حبيبُها

ـ غنّاه دَحْمانُ ثقيلاً أوّلَ بالوسطى. وفيه هَزَجٌ بالبِنصر لسُلَيم، وذكر حَبَش أنه لإسحاق ـ قال: فانصرفْنَ عنه إلى أُمّه فأيأسْنَها من سَلْوته. وقال سائر الرُّواة الذين ذكرتهم: اجتمع إليه النّسوةُ فأطلْنَ الجلوسَ عنده ومحادثتَه وهو ساهٍ

(١) الرداع: النكس، وقيل: وجع الجسد كله.

عنهنّ، ثم نادَى: يا لُبْنَى! فقلن له: مالكَ وَيْحَك! فقال: خَدِرتْ رجلي، ويقال: إن دعاء الإنسان بأسم أحبِّ الناس إليه يُذْهِب عنه خَدَر الرِّجل فناديتُها لذلك. فقمن عنه، وقال:

إذا خدِرتْ رجلي تذكرتُ مَنْ لها ... فناديتُ لُبْنَى بآسمها ودعوتُ

دعوتُ التي لو أنّ نفسي تُطيعني ... لفارقتُها من حبِّها وقَضيتُ

بَرتْ نبلَها للصيد لبنى ورَيَّشَتْ ... ورَيَّشْتُ أخرى مثلَها وبَرَيْتُ

فلمّا رمتني أقصدتْني بسهمها ... وأخطأتُها بالسَّهم حين رميتُ

/ وفارقتُ لبنى ضَلّةً فكأنني ... قُرِنتُ إلى العيوق ثم هَوَيْتُ [٩/١٩٤]

فيا ليتَ أنّي مُتُّ قبل فراقها ... وهل تَرْجِعَنْ فوتَ القضيّة لَيْتُ

فصرتُ وشيخي كالذي عثرتْ به ... غَداةَ الوَغَى بين العُداة كُمَيْتُ

فقامت ولم تُضْرَرْ هناك سَوِيّةً ... وفارسُها تحت السّنابك مَيْتُ

فإن يكُ تَهْيامي بلُبْنَى غَوايةً ... فقد يا ذَريحُ بنَ الحُبَاب غَوَيْتُ

فلا أنت ما أمّلتَ فيّ رأيتَه ... ولا أنا لبنى والحياةَ حَوَيْتُ

فوَطِّنْ لهُلْكِي منك نفساً فإنني ... كأنك بي قد يا ذَريحُ قَضَيْتُ

حديثه في مرضه مع عوّاده ومع طبيبه عن لبنى، وشعره في ذلك:

وقال خالد بن كلثوم: مرِض قيس، فسأل أبوه فتياتِ الحي أن يَعُدْنه ويحدِّثْنه لعلّه أن يتسلّى أو يعلَق بعضَهن، ففعلن ذلك. ودخل إليه طبيب ليداويَه والفتياتُ معه، فلما أجتمعن عنده جعلن يحادثنه وأطلن السؤال عن سبب علّته، فقال:

صوت

/ عِيدَ قيسٌ من حبِّ لُبنى ولُبنى ... داءُ قيسٍ والحبُّ داءٌ شديدُ [١٢٠/٨]

وإذا عادني العوائدُ يوماً ... قالت العينُ لا أرَى من أُريد

ليت لُبْنَى تَعُودني ثم أَقْضِي ... إنها لا تعود فيمن يعود

وَيْحَ قيسٍ لقد تضمّن منها ... داءَ خَبْلٍ فالقلبُ منه عَميد

ـ غنّاه أبن سُرَيْج خَفيفَ رملٍ عن الهِشاميّ. وفيه للحَجَبيّ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى. وفيه ليحيى المكي رَمَلٌ ـ قالوا: فقال له الطبيب: منذُ كم هذه العلّةُ؟ ومنذُ كم وجَدتَ بهذه المرأة ما وجدتَ؟ فقال:

صوت

تعلّق رُوحي روحَها قبل خَلْقِنا ... ومن بعدِ ما كنّا نِطافاً وفي المهدِ

فزاد كما زِدنا فأصبح نامياً ... وليس إذا مُتْنا بمُنْصَرِمِ العهد

/ ولكنّه باقٍ على كلِّ حادثٍ ... وزائرُنا في ظُلمة القبر واللَّحْدِ [٩/١٩٥]

ـ غنّاه الغَرِيض ثقيلاً أوّلَ بالوسطى من رواية حَبَش ـ قالوا: فقال له الطبيب: إن مما يُسْلِيك عنها أن تتذكر ما فيها من المَساوىء والمعايب وما تَعافُه النفس من أقذار بني آدم؛ فإن النفس تنبو حينئذٍ وتسلو ويخفّ ما بها. فقال:

إذا عِبْتُها شبَّهتُها البدرَ طالعاً ... وَحَسْبُكَ من عيبٍ لها شَبَهُ البدرِ

لقد فُضِّلتْ لبنى على الناس مثلَ ما ... على ألف شهرٍ فُضِّلتْ ليلةُ القدرِ

صوت

إذا ما مشتْ شبراً من الأرض أرْجَفَتْ ... من البُهْر حتى ما تَزيدُ على شبرِ

لها كَفَلٌ يَرتَجُّ منها إذا مشتْ ... ومتنٌ كغصن البان مُضْطَمِرُ الخَصْرِ

ـ غنّى في هذين البيتين ابن المَكّيّ خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى. وفيهما رمل يُنسب إلى ابن سُرَيج وإلى ابن طُنْبورة عن الهِشاميّ ـ قالوا: ودخل أبوه وهو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة، فأنّبه ولامه وقال له: يا بنيّ! اللهَ اللهَ في نفسك! فإنك ميّت إن دمتَ على هذا! فقال:

وفي عُروَةَ[1] العُذْرِيّ إن متُّ أُسوةٌ ... وعمرو[2] بن عَجْلانَ الذي قتلتْ هندُ

وبي مثلُ ما ماتا به غيرَ أنني ... إلى أجلٍ لم يأتِني وقتُه بعدُ

[١٩٦/٩]

/ صوت

هل الحبُّ إلاّ عَبْرةٌ بعد زَفْرةٍ ... وحَرٌّ على الأحشاء ليس له بَرْدُ

وفَيْضُ دموعٍ تستهلُّ إذا بدا ... لنا علَمٌ من أرضكم لم يكن يبدو

غنّى في هذين البيتين زيد بن الخَطّاب مولى سليمان بن أبي جعفر، وقيل: إنه مولى سليمان بن عليّ، ثقيلاً أوّلَ بالوسطى عن الهِشامي.

إعجاب أبي السائب المخزومي بشعر له:

وأخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير، وأخبرنا اليَزيديّ عن ثَعْلَب عن الزُّبَير قال حدّثني إسماعيل بن أبي أُوَيس قال:

جلستُ أنا وأبو السائب في النبّالين، فأنشدني قولَ قيس بن ذَريح:

١٢١/٨ / عِيدَ قيسٌ من حبّ لُبْنى ولُبنى ... داءُ قيسٍ والحبّ داءٌ شديدُ

لَيتَ لُبْنى تعودني ثم أقضي ... إنها لا تعود فيمن يعود

---

(١) هو عروة بن حزام بن مهاصر أحد بني حزام بن ضبة بن عبد بن كبير بن عذرة، شاعر إسلامي، أحد المتيمين الذين قتلهم الهوى، لا يعرف له شعر إلا في عفراء بنت عمه. (انظر ترجمته في ج ٢٠ ص ١٥٢ من «الأغاني» طبع بولاق).

(٢) ورد هذا الاسم في تزيين الأسواق كما جاء في الأصول. وذكره البحتري أيضاً فقال:

هوى لا جميل في بثينة ناله ... بمثل ولا عمرو بن عجلان في هند

وذكر أبو الفرج ترجمته (في ج ١٩ ص ١٠٢ من «الأغاني» طبع بولاق) فقال: هو عبدالله بن العجلان بن عبد الأحب، شاعر جاهلي أحد المتيمين من الشعراء ومن قتله الحب منهم. وكان له زوجة يقال لها هند فطلقها ثم ندم عليها. ولما زوجت زوجاً غيره مات أسفاً.

قال: فأنشدته أنا لقيس:

تعلَّق رُوحي رُوحَها قبل خَلْقِنا ... ومن بعد ما كنّا نِطافاً وفي المهد
فزاد كما زِدنا وأصبح نامياً ... وليس إذا متْنا بمنتَقِضِ العهد
ولكنَّه باقٍ على كل حادثٍ ... وزائرُنا في ظلمة القبر واللَّحْد

فحلف لا يزال يقوم ويقعد حتى يرويَها. فدخل زُقاقَ النَّبالين وجعلتُ أَرَدِّدها عليه ويقوم ويقعد حتى رواها.

رجع الخبر إلى سِياقته.

زوجه أبوه غيرها ليسلوها فتزوّجت لبنى، وما قال في ذلك من الشعر:

وقال خالد بن جَمَل: فلمّا طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه بأن يزوِّجه امرأةً جميلة فلعلّه أن يسلو بها عن لُبنى. فدعاه إلى ذلك فأباه وقال:

لقد خِفتُ ألاّ تَقْنَع النفسُ بعدها ... بشيءٍ من الدنيا وإن كان مَقْنَعا
وأزجُر عنها النفس إذ حِيل دونها ... وتأبى إليها النفسُ إلاّ تَطلُّعا

/ فأعلمهم أبوه بما ردَّ عليه. قالوا: فمُرْه بالمَسير في أحياء العرب والنزول عليهم فلعلَّ عينه أن تقع على امرأةٍ [١٩٧/٩] تُعجبه. فأقسم عليه أبوه أن يفعل. فسار حتى نزل بحيٍّ من فَزارة، فرأى جاريةً حسناء قد حسَرَتْ برقُع خَزٍّ عن وجهها وهي كالبدر ليلة تِمّه، فقال لها: ما اسمك يا جارية؟ قالت: لُبْنَى. فسقط على وجهه مغشيّاً عليه، فنضَحتْ على وجهه ماء وارتاعت لِما عراه، ثم قالت: إن لم يكن هذا قيسَ بن ذَرِيح إنه لمجنون! فأفاق فنَسبتْه فانتسب. فقالت: قد علمتُ أنك قيس، ولكن نَشَدْتُك بالله وبحقّ لُبْنَى إلاّ أصبتَ من طعامنا. وقدّمتْ إليه طعاماً، فأصاب منه بإصبَعه. وركب فأتى على أَثَره أخٌ لها كان غائباً، فرأى مُناخ ناقته، فسألهم عنه فأخبروه، فركب حتى ردَّه إلى منزله، وحلف عليه ليُقيمنَّ عنده شهراً. فقال له: لقد شَقَقْتَ عليّ، ولكنّي سأتبع هواك، والفَزاريُّ يزداد إعجاباً بحديثه وعقله وروايته، فعرض عليه الصِّهْرَ. فقال له: يا هذا إن فيك لرغبةً، ولكنّي في شغل لا يُنتفع بي معه. فلم يزل يعاوده والحيُّ يلومونه ويقولون له: قد خشينا أن يصير علينا فعلُك سُبّة. فقال: دعوني، ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام. فلم يزل به حتى أجابه وعقد الصِّهرَ بينه وبينه على أخته المسماة لُبْنَى، وقال له: أنا أسرق عنك صَداقها. فقال: أنا والله يا أخي أكثر قومي مالاً، فما حاجتك إلى تكلُّف هذا؟ أنا سائر إلى قومي وسائق إليها المَهْر. ففعل وأعلم أباه الذي كان منه، فَسرَّه وساق المهرَ عنه. ورجع إلى الفزاريّين حتى أدخلت عليه زوجته، فلم يَرَوْهُ هَشَّ إليها ولا دنا منها ولا خاطبها بحرفٍ ولا نظر إليها. وأقام على ذلك أياماً كثيرة. ثم أعلمهم أنه يريد الخروج إلى قومه أياماً فأذِنوا له في ذلك، فمضى لوجهه إلى المدينة. وكان له صديق من الأنصار بها؛ فأتاه فأعلمه الأنصاريُّ أن خبر تزويجه بلغ لُبْنَى فغمَّها وقالت: إنه لغَدّار! ولقد كنت أمتنع من إجابة قومي إلى التزويج فأنا الآن أُجيبهم، وقد كان / أبوها شكا قيساً إلى معاوية / وأعلمه تعرُّضَه لها بعد الطلاق. فكتب إلى مروان بن الحكم يُهْدِر [١٢٢/٨] دمَه إن تعرّض لها، وأمر أباها أن يزوّجها رجلاً يعرف بخالد بن حِلِّزة من بني عبدالله بن غَطَفان ـ ويقال: بل أمره [١٩٨/٩] بتزويجها رجلاً من آل كَثِير بن الصَّلْت الكِنْديّ حلِيف قريش ـ فزوّجها أبوها منه. قال: فجعل نساءُ الحيِّ يقلن ليلةَ زِفافها:

لُبَيْنَى زوجُها أصبـ ـح لا حرَّ بِواديه[1]
له فضلٌ على الناس بما باتت تُناجيه
وقيسٌ ميّتٌ حيٌّ صريعٌ في بَواكيه
فلا يُبعِدُه الله وبُعْداً لنَواعيه

قال: فجزِع قيس جزعاً شديداً وجعل ينْشِج أحرَّ نَشيج ويبكي أحرَّ بكاء. ثم ركب من فَوْره حتى أتى مَحَلّة قومها، فناداه النساء: ما تصنع الآن ها هنا! قد نُقِلتْ لُبنى إلى زوجها!. وجعل الفتيانُ يعارضونه بهذه المقالة وما أشبهها وهو لا يُجيبهم حتى أتى موضع خِبائها فنزل عن راحلته وجعل يتمعَّك[2] في موضعها ويُمرِّغ خدّه على ترابها ويبكي أحرَّ بكاء. ثم قال:

صوت

إلى الله أَشكو فَقْدَ لُبنى كما شكا إلى الله فقدَ الوالِدَيْنِ يتيمُ
يتيمٌ جفاه الأقربون فجسمُه نَحيلٌ وعهدُ الوالِدَيْن قديمُ
بكت دارُهم من نأيهم فتهلّلتْ دموعي فأيُّ الجازِعَيْنِ ألوم
أمُستَعبِراً يبكي من الشوق والهوى أَمَ آخرَ يبكي شَجْوَه ويَهيم

[٩/١٩٩] / لابن جامع في البيتين الأولين ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهِشاميّ. ولعَريبَ فيهما ثاني ثقيلٍ. وفي الثالث والرابع لَميّاسةَ خفيفُ رملٍ بالبنصر عن عمرو وحَبَش والهِشاميّ وتمام هذه الأبيات، وليست فيها صنعة، قوله:

تهيَّضَني من حبّ لُبْنى علائقٌ وأصنافُ حبٍّ هَوْلُهن عظيمُ
ومن يتعلّق حبَّ لبنى فؤادُه يَمُتْ أو يَعِشْ ما عاش وهو كَليم
فإنّي وإن أجمعتُ عنكِ تجلُّداً على العهد فيما بيننا لمُقيم
وإنّ زماناً شتّت الشملَ بيننا وبينكمُ فيه العِدا لمَشُوم
أفي الحقّ هذا أنّ قلبكِ فارغٌ صحيحٌ وقلبي في هواكِ سَقيم

وقد قيل: إن هذه الأبيات ليست لقيس وإنما خُلطت بشعره، ولكنّها في هذه الرواية منسوبة إليه.

قال: وقال أيضاً في رحيل لُبنى عن وطنها وانتقالها إلى زوجها بالمدينة وهو مقيم في حيّها:

صوت

بانت لُبَيْنَى فهاج القلبَ مَنْ بانا[3] وكان ما وعدتْ مَطْلاً[4] وَلَيّانا

(١) في تزيين الأسواق (ج ١ ص ٥٦ طبع بلاق): «يوازيه».
(٢) يمتعك: يتمرّغ.
(٣) في جـ: «بانت لبينى فقلبي اليوم من بانا».
(٤) ليان ومثله ليّ (بفتح اللام فيهما وكسرها): مصدر لوى بمعنى مطل. تقول لواه دينه وبدينه. وقال أبو الهيثم: لم يجيء من المصادر على فعلان إلا ليان. وعن ابن زيد أن كسر اللام في هذا المصدر لغية.

وأخلفتْــك مُنّــى قــد كنــتَ تــأمُلها ... فــأصبح القلــبُ بعــد البيــن حيــرانــا
الله يــدري ومــا يــدري بــه أحــدٌ ... مــاذا أُجَمْجِــم مــن ذاكــراكِ أحيــانــا
/ يــا أكمــلَ النــاسِ مــن قَــرْنٍ إلــى قــدمٍ ... وأحســنَ النــاس ذا ثــوبٍ وعُــرْيــانــا
نعــم الضَّجيــعُ بُعَيْــد النــوم تَجْلُبــه ... إليــكَ ممتلئــاً نــومــاً ويَقْظــانــا

[١٢٣/٨]

/ للغَريض في هذه الأبيات ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاقَ وعمرو. وذكر الهِشاميّ أنّ فيه لابن مُحْرِز [٢٠٠/٩] ثانيَ ثقيلٍ آخرَ. وقال أحمد بن عُبيد: فيه لحنانِ ليحيى المَكّيّ وعَلّويه. وتمام هذه القصيدة:

لا بــارك اللهُ فيمــن كــان يحسَبُكــم ... إلاّ علــى العهــد حتــى كــان مــا كــانــا
حتــى أستفقــتُ أخيــراً بعــد مــا نُكِحــت ... كــأنمــا كــان ذاك القلــب حيــرانــا
قــد زارنــي طَيْفُكــم ليــلاً فــأرّقنــي ... فبِــتُّ للشــوق أُذْرِي الــدمــعَ تَهْتــانــا
إن تَصْــرِمــي الحبــلَ أو تُمْسِــي مُفــارِقــةً ... فــالــدهــر يُحــدث لــلإنســان ألــوانــا
ومــا أرى مثلَكــم فــي النــاس مــن بَشَــرٍ ... فقــد رأيــتُ بــه حَيّــاً ونِسْــوانــا

شكاه أبوها إلى معاوية فأهدر دمه، وشعره في ذلك:

وقال أبن قُتَيبة في خبره عن الهَيْثم بن عَدِيّ، ورواه عمر بن شَبّة أيضاً: أن أبا لُبنى شخَص إلى معاوية فشكا إليه قيساً وتعرُّضَه لابنته بعد طلاقه إيّاها. فكتب معاوية إلى مروانَ أو سعيد بن العاص يُهْدِر دمَه إن ألَمَّ بها وأن يشتدَّ في ذلك. فكتب مروان أو سعيد في ذلك إلى صاحب الماء الذي ينزله أبو لُبْنَى كتاباً وَكيداً، ووجّهتْ لُبنى رسولاً قاصداً إلى قيس تُعلمه ما جَرى وتحذِّره. وبلغ أباه الخبرُ فعاتبه وتجهَّمه وقال له: انتهى بك الأمر إلى أن يُهْدِر السلطان دمك! فقال:

صوت

فــإن يَحْجُبــوهــا أو يَحُــلْ دون وصلهــا ... مقــالــةُ واشٍ أو وَعيــدُ أميــر
فلــن يمنعــوا عينــيَّ مــن دائــم البُكــا ... ولــن يُــذهبــوا مــا قــد أَجَــنَّ ضميــري
إلــى الله أشكــو مــا ألاقــي مــن الهــوى ... ومــن حُــرَقٍ تعتــادنــي وزَفيــر
ومــن حَرَقٍ[١] للحبّ فــي بــاطن الحشــى ... وليــلٍ طــويــل الحــزن غيــرِ قصيــر
/ ســأبكــي علــى نفســي بعيــنٍ غــزيــرةٍ ... بكــاءَ حَــزيــنٍ فــي الــوَثــاق أسيــر

[٢٠١/٩]

وكنّــا جميعــاً قبــل أن يظهــر الهــوى ... بــأنْعَــم حــالَــيْ غِبْطَــةٍ وســرور
فمــا بــرِح الــواشــون حتــى بَــدَتْ لهــم ... بطــونُ الهــوى مقلــوبــةً لظهــور
لقــد كنــتِ حَسْــبَ النفــس لــو دام وصلُنــا ... ولكنّمــا الــدنيــا متــاعُ غــرور

ـ هكذا في هذا الخبر أن الشعر لقيس بن ذَريح. وذكر الزُّبير بن بكّار أنه لجدّه عبدالله بن مُصْعَب ـ غنّى يزيدُ حَوْراءَ

(١) الحرق بالتحريك: النار، ويحتمل أن تكون حرق بضم أوله جمع حرقة.

في الأوّل والثاني والسادس والثالث من هذه الأبيات خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى. وغنّى إبراهيم في الأوّل والثاني لحناً من كتابه غيرَ مجنَّس. وذكر حَبَش أنّ فيهما لإسحاق خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى. وفي الخامس وما بعده لَعرِيبَ ثقيلٌ أوّلُ ابتداؤه نشيد. وقال ابن الكلبيّ في خبره: قال قيس في إهدار معاوية دمه إن زارها:

إن تـك لُبْنَـى قـد أتـى دون قـربهـا ... حجـابٌ منيـعٌ مـا إليـه سبيـل

فـإنّ نسيـم الجـوّ يجمـع بيننـا ... ونُبصـر قَـرْنَ الشمـس حيـن تـزول

/ وأرواحنـا بـالّيـل فـي الحـيّ تلتقـي ... ونعلـم أنّـا بـالنهـار نَقيـل

١٢٤ / ٨

وتجمعنـا الأرضُ القَـرارُ وفـوقنـا ... سمـاء نـرى فيهـا النجـومَ تجـول

إلـى أن يعـود الـدهـر سَلْمـاً وتنقضـي ... تـراتٌ بغـاهـا عنـدنـا وذُحـول

شعره فيما حين صادفها في موسم الحج:

ومما وجد في كتاب لابن النطّاح قال العُتْبيّ حدّثني أبي قال: حَجّ قيس بن ذَرِيح، واتّفق أن حجّتْ لُبْنَى في تلك السنة، فرآها ومعها امرأة من قومها، فدَهِش وبقي واقفاً مكانَه ومضت لسبيلها. ثم أرسلت إليه بالمرأة تُبلغه السلامَ وتسأله عن خبره؛ فألْفَتْه جالساً وحدَه يُنشد ويبكي:

ويـومَ مِنَـى أعـرضـتِ عنّـي فلـم أقـل ... بحـاجـة[1] نفـس عنـد لُبْنَـى مقـالُهـا

/ وفـي اليـأس للنفـس المـريضـة راحـةٌ ... إذا النفـسُ رامـت خُطَّـةً لا تَنـالُهـا

[٩/٢٠٢]

فدخلتْ خباءه وجعلتْ تحدّثه عن لُبنى ويحدّثها عن نفسه مَلِيّاً، ولم تُعْلِمْه أنّ لُبنى أرسلتْها إليه. فسألها أن تُبلغها عنه السلامَ، فامتنعت عليه؛ فأنشأ يقول:

إذا طلعـتْ شمـسُ النهـار فسلِّمـي ... فـآيـةُ تسليمـي عليـكِ طلـوعُهـا

بعشـر تحيّـاتٍ إذا الشمـسُ أشْـرقـتْ ... وعشـرٍ إذا أصفـرَّتْ وحـان رجـوعُهـا

ولـو أبلغتْهـا جـارةٌ قـولـيَ أسْلَمِـي ... بكـتْ جَـزَعـاً وآرفَـضَّ منهـا دمـوعُهـا

وبانَ الذي تُخْفِي من الوجد في الحَشَى ... إذا جـاءهـا عنّـي حـديـث يَـرُوعُهـا

ـ غنّى في البيتين الأوّلين عَلّويه خفيفَ رملٍ بالوسطى ـ قال: وقضَى الناسُ حجّهم وأنصرفوا. فمرض قيس في طريقه مرضاً شديداً أَشْفَى منه على الموت، فلم يأته رسولها عائداً لأن قومها رأوْه وعلموا به؛ فقال:

أَلُبْنَـى لقـد جَلّـتْ عليـكِ مصيبتـي ... غَـدَاةَ غـدٍ إذ حـلّ مـا أتـوقّـعُ

تُمنّيـنَنِـي نَيْـلاً وتَلْـوِينَنِـي بـه[2] ... فنفسـيَ شـوقـاً كـلّ يـوم تَقَطَّـع

وقلبـكِ قَـطُّ مـا يَلِيـن لمـا يَـرى ... فـواكبـدي قـد طـال هـذا التضـرُّع

ألـومُـكِ فـي شـأنـي وأنـتِ مُلِيمـةٌ ... لَعَمْـرِي وأجْفَـى للمحـبِّ وأقطـع

---

(١) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «الحاجة نفس» باللام.

(٢) كذا في جـ و«تجريد الأغاني» و «تزيين الأسواق». وفي سائر الأصول «وتلوينني قلى».

أُخْبِرْتِ أنّي فيكِ مَيّتُ حَسْرتي ... فما فاض من عينيكِ للوَجْد مَدْمَع

ولكن لعَمْري قد بكيتُكِ جاهداً ... وإن كان دائي كلُّه منك أجمع

صَبيحةَ جاء العائداتُ يَعُدْنَني ... فظَلّت عليَّ العائداتُ تَفَجَّع

فقائلةٌ جئنا إليه وقد قضَى ... وقائلةٌ لا، بل تركْناه يَنْزع

وروى القَحْذَميّ ها هنا:

فما غَشِيتْ عينيكِ من ذاك عَبْرةٌ ... وعيني على ما بي بذِكْراكِ تدمعُ

/ إذا أنتِ لم تَبْكي عليّ جِنازةٌ[1] ... لديكِ فلا تبكي غداً حين أُرفَع [٩/٢٠٣]

قال: فبلغتْها الأبياتُ، فجزِعتْ جزعاً شديداً وبكت بكاء كثيراً. ثم خرجتْ إليه ليلاً على موعد فاعتذرتْ وقالت: إنما أبَقِّي عليك وأخشى أن تقتَل، فأنا أتحاماكَ لذلك، ولولا هذا لما / افترقنا. وودّعته وانصرفتْ. ١٢٥/٨

شعره فيها وقد بلغه أنها كذبت مرضه:

وقال خالد بن كُلْثوم: فبلغه أنّ أهلها قالوا لها: إنه عَليل لما به وإنه سيموت في سفره هذا. فقالت لهم لتدفَعهم عن نفسها: ما أراهُ إلا كاذباً فيما يدّعي ومتعلّلاً لا عَليلاً. فبلغه ذلك فقال:

تكاد بلادُ الله يا أمَّ مَعْمَرٍ ... بما رحُبتْ يوماً عليّ تَضِيقُ

تكذِّبني بالودّ لُبْنى وليتَها ... تُكَلَّفُ منّي مثلَه فتذوق

ولو تعلمين الغَيْبَ أيقنتِ أنني ... لكم والهدايا المُشْعَراتِ صديق

تتوق إليكِ النفس ثم أرُدُّها ... حياءً ومثلي بالحياء حَقيق

أَذُود سَوَامَ النفس عنكِ وما له ... على أحدٍ إلا عليكِ طريق

فإنّي وإن حاولتِ صُرْمي وهِجْرتي ... عليكِ مِنَ أحداثِ الرَّدَى لشَفيق

ولم أرَ أيّاماً كأيّامنا التي ... مَرَرْنَ علينا والزمان أنيق

ووعدُكِ إيّانا، ولو قلتِ عاجلٌ، ... بعيدٌ كما قد تعلمين سَحِيق

وحدّثتني يا قلبُ أنك صابر ... على البين من لُبْنى فسوف تذوق

فمُتْ كَمَداً أو عِشْ سَقيماً فإنّما ... تكلّفني ما لا أراكَ تُطيق

أطعتَ وُشاةً لم يكن لك فيهمُ ... خليلٌ ولا جارٌ عليك شَفيق

فإن تك لمّا تَسْلُ عنها فإنّني ... بها مُغْرَمٌ صَبُّ الفؤاد مَشُوق

/ بلُبْنَى أُنادَى عند أوّل غَشْيَةٍ ... ويَثْني بها الدّاعي لها فأُفيق [٩/٢٠٤]

---

[1] الجنازة (بالكسر ويفتح): الميت. وقيل: الجنازة بالكسر الميت وبالفتح السرير، وقيل عكس ذلك. والمراد هنا المريض المشرف على الموت.

شهِدتُ على نفسي بأنكِ غادةٌ ... رَدَاحٌ وأنّ الوجهَ منكِ عَتيقُ[1]

وأنكِ لا تَجزِينَني بصَحابةٍ ... ولا أنا للهِجران منكِ مُطيقُ

وأنكِ قسَّمتِ الفؤادَ فنصفُه ... رَهينٌ ونصفٌ في الحبالِ وَثيقُ

صَبُوحي إذا ما ذَرّتِ الشمسُ ذكرُكم ... ولي ذكرُكم عند المساءِ غَبُوقُ

إذا أنا عزَّيتُ الهوى أو تركتُه ... أتتْ عَبَراتٌ بالدموعِ تَسُوقُ

كأنّ الهوى بين الحَيَازيمِ والحَشَى ... وبين التَّراقي واللَّهَاةِ[2] حَرِيقُ

فإن كنتِ لمّا تَعْلمي العلمَ فاسألي ... فبعضٌ لبعضٍ في الفَعالِ فَرُوقُ

سَلِي هل قَلاني من عَشيرٍ صحبتُه ... وهل مَلَّ رَحْلي في الرِّفاقِ رفيقُ

وهل يَجْتَوي القومُ الكِرامُ صِحابتي ... إذا أغْبَرَّ مَخْشِيّ الفِجاجِ عَميقُ

وأكتُمُ أسرارَ الهوى فأُميتُها ... إذا باحَ مَزَّاحٌ بهنَّ بَرُوقُ[3]

سعَى الدهرُ والواشون بيني وبينها ... فقُطِّعَ حبلُ الوصلِ وهو وَثيقُ

هلِ الصبرُ إلا أن أصُدَّ فلا أرَى ... بأرضكِ إلّا أن يكونَ طريقُ

قصته مع لبنى وزوجها وقد باعه ناقة وهو لا يعرفه:

قال: ثم أتى قومَه فاقتطع قطعةً من إبله وأعلم أباه أنه يريد المدينة ليبيعها ويَمْتارَ لأهله بثمنها. فعرَف أبوه أنه إنما يريد لُبْنَى، فعاتبه وزجَره عن ذلك؛ فلم يقبل منه، وأخذ إبلَه وقدِم بها المدينةَ. فبينا هو يَعْرِضها إذ ساومه زوجُ لبنى بناقة منها وهما لا يتعارفان، فباعه إيّاها. / فقال له: إذا كان غَدٌ فأْتِني في دار كَثِير بن الصَّلْت فاقبِض الثمن؛ قال: نعم. ومضى زوج لُبنى إليها فقال لها: إني ابتعتُ ناقة من / رجل من أهل البادية وهو يأتينا غداً ليقبض ثمنها، فأعِدِّي له طعاماً، ففعلتْ. فلما كان من الغد جاء قيس فصوّت بالخادم: قُولي لسيّدكِ: صاحبُ الناقة بالباب. فعرفتْ لُبنى نَغْمتَه فلم تقل شيئاً. فقال زوجها للخادم: قولي له: ادخل، فدخل فجلس. فقالت لُبْنَى للخادم: قولي له: يا فتى، مالي أراك أشعثَ أغبر؟ فقالت له ذلك. فتنفّس ثم قال لها: هكذا تكون حالُ مَنْ فارق الأحبّةَ واختار الموتَ على الحياة، وبكى. فقالت لها لُبنى: قولي له: حدِّثْنا حديثَك. فلما ابتدأ يحدّث به كشفت الحجابَ وقالت: حَسْبُكَ! قد عرفنا حديثَك! وأسْبلتِ الحجابَ. فبُهت ساعة لا يتكلّم ثم انفجر باكياً ونَهض فخرج. فناداه زوجها: وَيْحَكَ! ما قصّتك؟ اِرجع اقبض ثمن ناقتك، وإن شئتَ زِدْناك. فلم يكلِّمه وخرج فاعْترَزَ[4] في رَحْلِه ومضى. وقالت لُبنى لزوجها: وَيْحَكَ! هذا قيس بن ذريح. فما حَمَلَكَ على ما فعلتَ به؟ قال: ما عرفتُه. وجعل قيسٌ يبكي في طريقه ويندُب نفسه ويوبِّخها على فعله ثم قال:

(١) الرداح: الثقيلة الأوراك. والعتيق: الجميل الكريم.

(٢) الحيازيم: جمع حيزوم وهو وسط الصدر. والتراقي: جمع ترقوة وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق. واللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

(٣) في «الأمالي»: «نزوق».

(٤) أي ركب، والغرز للجمل مثل الركاب للبغل.

صــوت

أتبكــي علــى لُبْنَــى وأنــت تــركتَهَــا ... وأنــت عليهــا بــالمَــلاَ أنــت أقــدَرُ

فــإن تكــن الــدنيــا بلُبْنَــى تقلّبــتْ ... علــيَّ فلِلــدنيــا بطــونٌ وأظْهــرُ

لقــد كــان فيهــا لــلأمــانــة مــوضــعٌ ... وللكَــفّ مُــرْتَــادٌ وللعيــن مَنْظَــر

وللحــائــم العطشــانِ رِيٌّ بــريقِهــا ... وللمَــرِح المختــالِ خمــرٌ ومُسْكِــرُ

كــأنّــي لهــا أُرْجــوحــةٌ بيــن أَحْبُــلِ ... إذا ذُكْــرةٌ منهــا علــى القلــب تَخْطُــر

للغَرِيض في البيتين الأوّلين ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو والهِشامي وفيهما لعَرِيبَ رَمَلٌ. ولشارِيَةَ خفيفُ رملٍ من رواية أبي العُبَيْس.

/ أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال حدّثنا الزُّبَيْر بنُ بَكّار قال حدّثني عبدالملك بـن عبدالعزيز قال: [٩/٢٠٦]

تزوّج رجل من أهل المدينة يقال له أبو دُرَّةَ أمرأة كانت قبله عند رجل آخر من أهل المدينة يقال له أبو بُطَينة؛ فلقيه زوجها الأوّل فضربه ضربة شلّت يدُه منها. فلقيه أبو السائب المخزومي فقال له: يا أبا دُرّة! أضربكَ أبو بُطَينة في زوجته؟ قال: نعم. قال: أمَا إني أشهد أنها ليست كما قال قيس بن ذَريح في زوجته لُبْنى:

لقــد كــان فيهــا لــلأمــانــة مــوضــعٌ ... وللكَــفّ مُــرْتَــادٌ وللعيــن مَنْظَــرُ

وللحــائــم العطشــان رِيٌّ بــريقِهــا ... وللمَــرِح المختــال خمــر ومُسْكِــر

قال: وكانت زوجة أبي دُرَّة هذه سوداء كأنها خُنْفَساء.

مرضه بعد هذه الحادثة:

قال: وعاد إلى قومه بعد رؤيته إيّاها وقد أنكر نفسه وأسِف ولحقه أمر عظيم؛ فأنكروه وسألوه عن حاله فلم يخبرهم، ومرض مرضاً شديداً أشرف منه على الموت. فدخل إليه إبوه ورجال قومه فكلّموه وعاتبوه وناشدوه الله. فقال: ويْحَكُم! أتُرَوْنِي أمرضتُ نفسي أو وجدت لها سَلْوةً بعد اليأس فأخترتُ الهَمَّ والبلاء، أو لِي في ذلك صُنْع! هذا ما أختاره لي أبواي وقتلاني به. / فجعل أبوه يبكي ويدعو به بالفرج والسَّلْوة. فقال قيس: [١٢٧/٨]

لقــد عــذَّبتَنــي يــا حــبَّ لُبْنَــى ... فقَــعْ إمّــا بمــوتٍ أو حيــاةِ

فــإنّ المــوت أرْوحُ مــن حيــاةٍ ... تــدوم علــى التبــاعــد والشَّتــات

وقــال الأقــربــون تَعَــزَّ عنهــا ... فقلــت لهــم إذاً حــانــت وفــاتــي

دست إليه رسولاً يسأله لم تزوّج حتى تزوّجت هي:

قال: وَدَسَّتْ إليه لُبنى بعد خروجه رسولاً وقالت له: استنشِدْه، فإن سألك عن سبتك فانتسِبْ له خُزَاعياً؛ فإذا أنشدك فقل له: لم تزوّجتَ بعدها حتى أجابت / إلى أن تتزوّج بعدك؟ وأحفَظْ ما يقول لك حتى تردّه عليَّ. فأتاه [٩/٢٠٧] الرسول فسلّم وأنتسب خُزاعياً، وذكر أنه من أهل الشام وأستنشده؛ فأنشده قوله:

فــأقْسِــم مــا عُمْــشُ العيــونِ شــوارِفٌ ... روائــمُ بَــوٍّ حــانِيــاتٌ علــى سَقْــبِ

ـ وقد مضت هذه الأبيات ـ فقال له الرجل: فلم تزوّجتَ بعدها؟ فأخبره الخبر، وحلف له أنّ عينه ما اكتحلت بالمرأة التي تزوّجها، وأنه لو رآها في نِسوة ما عرفها، وأنه ما مدّ يدَه إليها ولا كلّمها ولا كشف لها عن ثوب. فقال له الرجل: فإني جارٌ لها وإنها من الوَجْدِ بك على حالٍ قد تمنَّى زوجها معها أن تكون بقربها لتصلُح حالُها بك؛ فحمِّلْني إليها ما شئت أؤدّه إليها. قال: تَعُود إليَّ إذا أردتَ الرحيل، فعاد إليه لمَّا أراد الرحيلَ. فقال تقول لها:

ألاَ حـيِّ لُبْنَـى اليـومَ إن كنـتَ غـاديًـا وألِـمْ بهـا مـن قبـلِ أنْ لاَ تَـلاَقِيَـا
وأَهْـدِ لهـا منـك النصيحـةَ إنهـا قليـلٌ ولا تَخْـشَ الـوُشـاةَ الأدانيـا
وقـل إنّـي والـراقصـاتِ إلـى مِنّـى بـأَجْبُـل جَمْـعٍ[1] ينتظـرنَ المنـاديـا
أصـونُـكِ عـن بعـض الأمـور مَضِنَّـةً وأخشَـى عليـكِ الكـاشحيـن الأعـاديـا
تَسَـاقـطُ نفسـي حيـن ألقـاكِ أنفُسـاً يَـرِدْنَ فمـا يَصْـدُرْنَ إلاّ صَـوَادِيَـا
فـإنْ أَحْـيَ أو أهلِـكْ فلسـتُ بـزائـلٍ لكـم حـافظـاً مـا بَـلَّ ريـقٌ لسـانيـا
أقـول إذا نفسـي مـن الـوَجْـد أَصْعـدتْ بهـا زَفْـرةٌ تعتـادنـي هـي مـا هيـا
وبيـن الحَشَـى والنحـرِ منّـي حـرارةٌ ولـوعـةُ وجـدٍ تتـرك القلـب سـاهيـا
ألاَ ليـت لُبْنَـى لـم تكـن لـيَ خُلَّـةً[2] ولـم تَـرَنـي لُبْنـى ولـم أدرِ مـا هيـا
سَلِـي النـاسَ هـل خبَّـرتُ سِـرَّك منهـمُ أخـا ثقـةٍ أو ظـاهـرَ الغِـشِّ بـاديـا
يقـول لـيَ الـواشـون لمّـا تَظَـاهـروا عليـكِ وأَضْحَـى الحبـلُ للبيـن واهيـا
/ لَعَمْـري لقبـلَ اليـوم حُمِّلْـتَ مـا تَـرى وأُنْـذِرتَ مـن لُبْنَـى الـذي كنـتَ لاقيـا
خليلَـيَّ مـالـي قـد بَلِيـتُ ولا أرَى لُبَيْنَـى علـى الهجـران إلاّ كمـا هيـا
ألاَ يـا غـرابَ البَيْـن مـالـكَ كلّمـا ذكـرتُ لُبَيْنَـى طِـرْتَ لـي عـن شِمـاليـا
أعنـدكَ علـمُ الغيـبِ أم لسـتَ[3] مُخْبِـرِي عـن الحـيِّ إلاّ بـالـذي قـد بـدا ليـا
جَـزِعـتُ عليهـا لـو أرى لـيَ مَجْـزَعـاً وأفنيـتُ دمـعَ العيـن لـو كـان فـانيـا
/ حيـاتَـك لا تُغْلَـبْ عليهـا فـإنـه كفَـى بـالـذي تَلْقَـى لنفسـك نـاهيـا
تَمُـرّ الليـالـي والشهـور ولا أرَى وَلُـوعِـي بهـا يـزداد إلاّ تمـاديـا
فمـا عـن نَـوالٍ مـن لُبَيْنَـى زيـارتـي ولا قِلّـةُ الإلمـام أن كنـتُ قـاليـا
ولكنّهـا صَـدَّتْ وحُمِّلْـتُ مـن هـوىً لهـا مـا يَـؤود الشـامخـاتِ الـرواسيـا

[٩/٢٠٨] ١٢٨/٨

وهذه القصيدة تُخْلَط بقصيدة المجنون التي في وزنها وعلى قافيتها لتشابههما، فقلّما يتميّزان.

(١) جمع: المزدلفة.
(٢) خلة: صديقة.
(٣) كذا في س: وفي جميع الأصول: «أم أنت».

غنّى الحسين بن مُحْرِز في البيت الأوّل والبيت الخامس من هذه القصيدة ثقيلاً أوّلَ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من روايتي بَذْل والهِشاميّ.

أنبَ لبنى زوجها لافتضاح أمره بشعر قيس فغضبت:

حدّثني المَدائني عن عَوانة عن يحيى بن عليّ الكِنانيّ قال:

شُهِر أمرُ قيس بالمدينة وغَنّى في شعره الغَريض ومَعْبَد ومالك وذووهم، فلم يبق شريف ولا وضيع إلاّ سمع بذلك فأطربه وحزن لقَيْس ممّا به. وجاءها زوجها فأنّبها على ذلك وعاتبها وقال: قد فضحتِني بذكرك. فغضِبت وقالت: يا هذا، إني والله ما تزوّجتك رغبةً فيك ولا فيما عندك ولا دُلْس أمري عليك، ولقد علمتَ أني كنتُ زوجته قبلك وأنه أُكْرِه على طلاقي. ووالله ما قبِلت التزويج حتى أُهدِر / دمه إن ألَمَّ بحيًّا، فخشيتُ أن يحمله ما يجد على المخاطرة فيُقْتَلَ، فتزوّجتك. وأمرُك الآن إليك، ففارِقْني فلا حاجة بي إليك. فأمسك عن جوابها وجعل يأتيها بجواري المدينة يغنّينَها بشعر قيس كيما يستصلحَها بذلك؛ فلا تزدادُ إلاّ تمادياً وبُعداً، ولا تزال تبكي كلّما سمعتْ شيئاً من ذلك أحرَّ بكاءٍ وأشجاه. [٢٠٩/٩]

وسط بريكة في لقائها، وشعره في ذلك:

رجع الحديث إلى سِياقته.

وقال الحِزْمازيّ وخالد بن جَمَل: كانت امرأة من موالي بني زُهْرة يقال لها بُرَيكة من أظرف النساء وأكرمِهنّ، وكان لها زوج من قريش له دارُ ضيافة. فلما طالت عِلّةُ قيس قال له أبوه: إني لأعلم أن شفاءك في القرب من لُبنى فأرحَلْ إلى المدينة. فرحَل إليها حتى أتى دارَ الضيافة التي لزوج بُرَيكة. فوثَب غِلمانُه إلى رَحْل قيس ليحطُّوه. فقال: لا تفعلوا فلستُ نازلاً أو ألقَى بُرَيكة فإنّي قصدتها في حاجة؛ فإن وجدتُ لها عندها موضعاً نزلتُ بكم وإلاّ رحلت. فأتوها فأخبروها. فخرجتْ إليه فسلّمتْ عليه ورحَّبتْ به وقالت: حاجتُك مقضيةٌ كائنةً ما كانت، فأنزِلْ. فنزل ودنا منها فقال: أذكرُ حاجتي؟ قالت: إن شئتَ. قال: أنا قيس بن ذَريح. قالت: حيّاكَ الله وقرّبك! إنّ ذكرك لجديدٌ عندنا في كل وقت. قال: وحاجتي أن أرى لُبْنَى نظرةً واحدةً كيف شِئت. قالت: ذلك لك عليّ. فنزل بهم وأقام عندها وأخفتْ أمرَه، ثم أهدى لها هدايا كثيرةً وقال: لاطِفيها وزوجَها بهذا حتى يأنَس بك. ففعلتْ وزارتْها مراراً، ثم قالت لزوجها: أخبِرْني عنك: أنت خيرٌ من زوجي؟ قال: لا. قالت: فلُبْنَى خير منّي؟ قال: لا. قالت: فما بالي أزورها ولا تزورني؟ قال: ذلك إليها. فأتتها وسألتها الزيارة وأعلمتْها أن قيساً عندها. فتسارعتْ إلى ذلك وأتتْها. فلمّا رآها / ورآته بكيا حتى كادا يَتْلَفان. ثم جعلت تسأله عن خبره وعِلّته فيخبرُها، ويسألها فتخبره. ثم قالت: أنشِدْني ما قلتَ في علّتك؛ فأنشدها قولَه: [٢١٠/٩]

أعالِجُ من نفسي بقايا حُشاشةٍ[1]	على رَمَقٍ والعائداتُ تعودُ
/ فإنْ ذُكِرتْ لُبْنَى هَشِشْتُ لذِكرها	كما هَشَّ للثدي الدَّرُورِ وَليدُ
أُجيبُ بِلُبْنَى مَنْ دعاني تَجَلُّداً	وبي زَفَراتٌ تنجلي وتعودُ

١٢٩ / ٨

(١) الحشاشة: بقية الروح في المريض والجريح.

تُعيد إلى روحي الحياةَ وإنني بنفسيَ لو عاينتني لأجود

قال: وفي هذه القصيدة يقول:

صوت

ألا ليتَ أيّاماً مَضَيْن تعود فإن عُدْنَ يوماً إنني لسعيدُ

سَقَى دارَ لُبنى حيث حَلَّتْ وخَيَّمتْ من الأرض مُنْهَلُّ الغَمامِ رعود

في هذين البيتين لعَريبَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق في مجرى الوسطى، وقيل: إنه لغيرها. وتمام هذه القصيدة:

على كلِّ حالٍ إن دَنَتْ أو تباعدتْ فإن تَدْنُ منّا فالدنوُّ مَزيدُ

فلا اليأسُ يُسْلِيني ولا القربُ نافعي ولُبْنَى مَنُوعٌ ما تكاد تجود

كأنّيَ من لُبنى سليمٌ مُسَهَّدٌ يَظَلُّ على أيدي الرجال يَميد

رمَتْنِي لُبَيْنَى في الفؤاد بسهمها وسهمُ لبينى للفؤاد صَيُود

سلا كُلُّ ذي شَجْوٍ علمتُ مكانَه وقلبي للبنى ما حَيِيتُ وَدود

وقائلةٍ قد مات أو هو مَيِّتٌ وللنفس منّي أن تَفيض رَصيد

أُعالِج من نفسي بقايا حُشاشةٍ على رَمَقٍ والعائداتُ تعود

[٢١١/٩] / وقال الحِزْمازيّ في خبره خاصّة: وعاتبتْه على تزوُّجه؛ فحلف أنه لم ينظر إليها ملءَ عينيه ولادنا منها، فصدّقته. وقال:

صوت

ولقد أردتُ الصبر عنكِ فعاقَني عَلَقٌ بقلبي من هواكِ قديمُ

يبقَى على حَدَثِ الزمانِ ورَيْبِه وعلى جَفائِك، إنه لكريمُ

فَصَرمتِه وصَحَحْتِ وهو بدائه شتّانَ بين مُصَحَّحٍ وسَقِيم

وَارَبْتِه[1] زمناً فعاد بحلمه إنّ المحبّ عن الحبيب حليمُ

ـ لعَريبَ في هذه الأبيات خفيفُ ثقيلٍ، وللدّراميّ خفيفُ رملٍ من رواية الهِشاميّ. ومن الناس من يَنسُب خفيفَ الثَّقيل إليه وخفيفَ الرمل إليها ـ قالوا: فلم يزل يومَه معها يحدّثها ويشكو إليها أعفَّ شكوى وأكرمَ حديث حتى أمسى؛ فانصرفتْ ووعدتْه الرجوعَ إليه من غدٍ فلم ترجع. وشاع خبره فلم تُرسل إليه رسولاً. فكتب هذه الأبيات في رُقعة ودفعها إلى بُرَيْكة وسألها أن تُوصلها إليها، ورحَل متوجِّهاً إلى معاوية. والأبياتُ:

صوت

بنفسيَ مَنْ قلبي له الدَّهرَ ذاكرُ ومَنْ هو عنّي مُعرِضُ القلبِ صابرُ

ومَنْ حُبُّه يزداد عنديَ جِدَّةً وحبّي لديه مُخْلَقُ العهدِ دائِرُ

(١) الموارَبة: المخاتلة والمخادعة.

شكا إلى يزيد ما به وامتدحه فحقن دمه:

١٣٠/٨ /ـ غَنَّت في هذين البيتين ضنين جاريةُ خاقان بن حامد خفيفَ رَمَلٍ قالوا: ثم ارتحل إلى معاوية، فدخل إلى يزيد فشكا ما به إليه وامتدحه؛ فرَقَّ له وقال: سلْ ما شئت، إن شئتَ أن أكتب إلى زوجها فأُحتِّم عليه أن يطلّقها فعلتُ. / قال: لا أُريد ذلك، ولكن أحبّ أن أقيم بحيث تقيم من البلاد، أتعرَّفُ أخبارَها وأقنَعُ بذلك من غير أن يُهْدَر دمي. قال: لو سألتَ هذا من غير أن ترحل إلينا فيه لَما وجب أن تُمْنَعَه، فأقم حيث شئت؛ وأخذ كتابَ أبيه له بأن يُقيم حيث شاء وأحبّ ولا يَعترِضَ عليه أحد، وأزال ما كان كتب له في إهدار دمه؛ فقدِم إلى بلده. وبلغ الفَزَاريِّين خبرُه وإلمامُه بلُبْنَى، فكاتبوه في ذلك وعاتبوه. فقال للرسول: قل للفتى (يعني أخا الجارية التي تزوّجها): يا أخي ما غرَّرتُك من نفسي، ولقد أعلمتك أني مشغول عن كل أحد، وقد جعلتُ أمرَ أُختك إليك فأمْضِ فيه من حكمك ما رأيتَ. فتكرَّم الفتى عن أن يُفرِّق بينهما، فمكثتْ في حِباله[1] مدّةً ثم ماتت. [٩/٢١٢]

لقيه عياش السعدي ذاهلاً شارد اللب وأنشده من شعره فيها:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني سليمان بن عَيّاش السَّعْديّ عن أبيه قال:

أقبلتُ ذاتَ يوم من الغابة[2]؛ فلما كنت بالمَذَاد[3]، إذا رَبْعٌ حديثُ العهدِ بالساكن، وإذا رجل مجتمعٌ في جانب ذلك الربع يَبْكي ويحدّث نفسَه. فسلَّمتُ فلم يَرُدّ عليّ سلاماً. فقلت في نفسي: رجل مُلْتَبَسٌ[4] به فولّيتُ عنه. فصاح بي بعد ساعة: وعليكَ السلام، هَلُمَّ هلمّ إليّ يا صاحب السلام! فأتيته فقال: أمَا واللهِ لقد فهمتُ سلامَك ولكنّي رجل مُشْتَرَكُ اللُّبِّ يَضِلُّ عنّي أحياناً ثم يعود إليّ. فقلت: ومن / أنت؟ قال: قيس بن ذَريح اللَّيْثيّ. [٩/٢١٣] قلت: صاحبُ لُبْنَى؟ قال: صاحبُ لُبْنَى لعَمْرِي وقتيلُها! ثم أرسل عينيه كأنهما مَزَادتانِ؛ فما أَنْسَى حسنَ قوله:

أبــائــنــةٌ لُبْنَــى ولــم تَقطَــعِ المَــدَى ... بــوصـــلٍ ولا صُـــرْمٍ فيـــأسَ طـــامـــعُ

نهـــارِي نهـــارُ الـــوالِهيـــن صَبـــابـــةً ... وليلِـــيَ تنبـــو فيـــه عنّـــي المضـــاجـــع

وقـــد كنـــتُ قبـــل اليـــوم خِلْـــواً وإنّمـــا ... تُقَسَّـــم بيـــن الهـــالِكيـــن المَصَـــارِع

فلـــولا رجـــاءُ القلـــب أن تُسْعِـــف[5] النَّـــوَى ... لَمَـــا حبَسَـــتْـــه بينهـــنّ الأضـــالـــع

لـــه وَجَبَـــاتٌ إثـــرَ لُبْنَـــى كـــأنهـــا ... شَقـــائـــقُ بـــرقٍ فـــي السمـــاء لَـــوَامِـــع

أَبَـــى اللهُ أن يَلْقَـــى الـــرشـــادَ مُتَيَّـــمٌ ... ألاَ كـــلّ أمـــرٍ حُـــمَّ لا بُـــدَّ واقـــع

همـــا بَـــرَّحَـــا بـــي مُعْـــوِلَيْـــنِ كِـــلاهمـــا ... فـــؤادٌ وعيـــنٌ جفنُهـــا الـــدَّهـــرَ دامـــع

---

(١) كذا في جـ و «تجريد الأغاني». وفي سائر الأصول: «في خباء له» وهو تحريف.

(٢) الغابة: بريد من المدينة على طريق الشام.

(٣) المذاد: موضع بالمدينة حيث حفر رسول الله ﷺ الخندق. وقيل: هو واد بين سلع وخندق المدينة. (راجع «معجم ما استعجم» للبكري و «معجم البلدان» لياقوت و «لسان العرب» مادة مذد).

(٤) في «تجريد الأغاني»: «ملتبس» بدون كلمة «به». وفي الأصول: «مكتنس عنه». وقد اعتمدنا في إصلاحه على ما ورد في حديث المبعث: «فجاء الملك فشق عن قلبه قال فخفت أن يكون قد التبس بي» أي خولطت في عقلي.

(٥) كذا في «تجريد الأغاني». وفي الأصول: «تسعر» ولعلها محرفة عن «تسعد».

عبد الله بن مسلم بن جندب ينشد من شعره:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سَعيد قال حدّثنا الزُّبَير قال، وأخبرنا به وَكيع عن أبي أيُّوب المَدينيّ، قال الزُّبَير قال حدَّثتني ظَبْية قالت:

سمعتُ عبدالله بن مُسْلِم بن جُنْدَب يُنْشِد زوجي قولَ قيسِ بن ذَرِيح:

إذا ذُكِرتْ لُبْنَى تأوَّه واشتكى ... تأوُّهَ محموم عليه البَلابلُ

يَبيت ويُضحِي تحت ظِلّ منيَّةٍ ... به رَمَقٌ تَبكي عليه القبائلُ

قتيلٌ لِلُبْنَى صدَّع الحبّ قلبَه ... وفي الحب شغلٌ للمحبِّين شاغلُ

١٣١/٨ فصَاح زوجي: أوَّه! واحَرَباه واسَلَباه!. ثم أقبل على ابن جُنْدَب فقال: وَيْلَك! أتُنشد هذا كذا! / قال: فكيف أُنشِدُه؟ قال: لِمَ لا تتأوّه كما يتأوّه وتشتكي كما يشتكي!.

استنشده ابن أبي عتيق أحرّ ما قال في لبنى:

وقال القَحْذَمِيّ: قال ابن أبي عَتيق لقيس يوماً: أنْشِدْني أحرَّ ما قلتَ في لُبْنَى. فأنشده قولَه:

[٢١٤/٩] / وإني لأهوَى النَّومَ في غير حِينه ... لعلَّ لقاءً في المنام يكون

تُحَدِّثني الأحلامُ أنّي أرَاكمُ ... فياليتَ أحلامَ المنام يقين

شهدتُ بأني لم أحُل عن مَودّةٍ ... وأنّي بكم لو تَعلمين ضَنين

وأن فؤادي لا يَلِين إلى هَوًى ... سواكِ وإن قالوا بَلَى سيَلِين

فقال له ابن أبي عَتيق: لَقَلَّ ما رضِيتَ به منها يا قَيْس. قال: ذلك جُهْدُ المُقِل.

غنَّى في البيتين الأوّلين قَفَا النجّار ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش.

أنشد ثعلب من شعره وكان يستحسنه:

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال أنشدني أحمد بن يحيى ثَعْلب لقيس بن ذَرِيح وكان يستحسن هذه الأبياتَ من شعره:

سقَى طَلَلَ الدّارِ التي أنتمُ بها ... حَياً ثم وَبْلٌ صَيِّفٌ[1] ورَبِيعُ

مضى زمنٌ والناس يستشفعون بي ... فهل لي إلى لُبْنَى الغَداةَ شَفيعُ

سأصرِمُ لُبْنَى حبلَكِ اليومَ مُجْمِلاً ... وإن كان صَرْمُ الحبل منكِ يَرُوعُ

وسوف أُسَلِّي النفسَ عنكِ كما سَلاَ ... عن البلدِ النائي البعيدِ نَزِيعُ[2]

وإنْ مَسَّني للضُّرِّ منكِ كآبةٌ ... وإن نالَ جسمي للفِراقِ خُشوعُ

يقولون صَبٌّ بالنساء موكَّلٌ ... وما ذاك من فعلِ الرجال بَديعُ

---

(١) في ب، س: «صيب» بالباء الموحدة.

(٢) نزيع: غريب.

نَدِمتُ على ما كان منّي ندامةً كما ندِمَ المغبونُ حين يَبيعُ
فقَدتُكِ من نفسٍ شَعاعٍ ألم أكن نهيتُكِ عن هذا وأنتِ جَميعُ
فقرّبتِ لي غيرَ القريبِ وأشرفتْ هناكَ ثَنايا ما لهنَّ طلوعُ
إلى الله أشكو نيّةً شَقّتِ العصا هي اليوم شَتّى وهي أمسِ جميعُ
فيا حَجَراتِ الدارِ حيث[1] تحمَّلوا بذي سَلِمٍ لا جادكُنَّ ربيعُ

[٩/٢١٥] / صوت

فلو لم يَهِجْني الظاعنون لهاجني حمائمُ وُرْقٌ في الديارِ وُقوعُ[2]
تَداعَيْنَ فاستبكَيْنَ مَنْ كان ذا هوًى نوائحَ لم تَقطُرْ لهنّ دُموعُ

ـ غنّى في هذين البيتين ابنُ سُرَيج خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ عن الهِشاميّ ـ

صوت

إذا أمرتْني العاذلاتُ بهجرها أبتْ كَبِدٌ عمّا يَقُلْنَ صَديعُ
وكيف أُطيعُ العاذلاتِ وذكرُها يؤرِّقُني والعاذلاتُ هُجوعُ

غنّى في هذين البيتين إبراهيمُ ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو.

فكاهات لأبي السائب المخزومي في شعره وفي سيرته:

أخبرني الحَرَميُّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثني عبدالملك بن عبدالعزيز قال:

أنشدتُ أبا السائبِ المَخْزُوميّ قولَ قيس بن ذَريح:

صوت

أُحبُّك أصنافاً من الحبِّ لم أجِدْ لها مَثَلاً في سائر الناس يُوصَفُ
/ فمنهنَّ حبٌّ للحبيبِ ورحمةٌ بمعرفتي منه بما يتكلَّفُ
ومنهنَّ ألّا يَعرِضَ الدهرَ ذكرُها على القلبِ إلّا كادتِ النفسُ تَتْلَفُ
وحبٌّ بدا بالجسمِ واللونِ ظاهرٌ وحبٌّ لدى نفسي من الرُّوحِ ألطفُ

١٣١ / ٨

قال أبو السائب: لا جَرَمَ والله لأُخلِصَنَّ له الصَّفاءَ ولأغضبَنَّ لغضبه ولأرضَيَنَّ لرضاه. غنّى في البيتين الأوّلين الحسين بن مُحرِز خفيفَ ثقيلٍ عن الهِشامي وبَذْل.

/ أخبرني الحَرَميُّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا عبدالملك بن عبدالعزيز عن أبي السائب المخزوميّ أنه أخبره [٩/٢١٦] أنه كان مع عبدالرحمن بن عبدالله بن كَثِير في سَقيفة دار كَثِير، إذ مُرَّ بجنازة؛ فقال لي: يا أبا السائب، جارُك ابن

(١) كذا في جـ: وفي سائر الأصول: «كيف».
(٢) يقال: وقع الطير على شجر أو أرض، إذا نزلتِ، فهن وقوع ووقع.

كَلَدة، ألاّ تقوم بنا فنصلّيَ عليه! قال: قلت: بَلَى والله فديتُك!. فقمنا حتى إذا كنّا عند دار أُوَيْس إذ ذكرتُ أن جدَّه كان تزوّج لُبْنَى ونزل بها المدينة، فرجعتُ فطرحتُ نفسي في السَّقيفة وقلت: لا يراني الله أُصلّي عليه. فرجع الكَثِيريّ فقال: أكنتَ جُنُباً؟ قلت: لا والله. قال: فعلى غيرِ وُضوء؟ قلتُ: لا والله. قال: فمالك؟ قلتُ: ذكرتُ أن جدّه كان تزوّج لُبْنَى وفرَّق بينها وبين قيس بن ذَرِيح لمّا ظعَن بها من بلادها، فما كنت لأُصلّيَ عليه.

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا أحمد بن يحيى قال حدّثنا عبدالله بن شَبِيب قال حدّثني هارون بن موسى الفَرْويّ قال أخبرنا الخليل بن سعيد قال:

مررتُ بسُوق الطَّيْر، فإذا الناس قد اجتمعوا يركب بعضُهم بعضاً، فاطَّلعتُ فأذا أبو السائب المخزوميّ قائم على غراب يُبَاع وقد أخذ بطَرَف ردائه وهو يقول للغراب: يقول لك قيس بن ذَرِيح:

ألاَ يا غرابَ البين قد طِرْتَ بالذي ... أُحاذِر من لُبْنَى فهل أنت واقعُ

لِمَ لا تقع! ويضربه بردائه والغراب يصيح. قال: فقال قائل له: أصلحك الله يا أبا السائب! ليس هذا ذاك الغرابَ. فقال: قد علمت، ولكن آخذ البريء حتى يقع الجريء[1].

آلت لبنى ألا ترى غراباً إلاّ قتلته لبيت قاله من قصيدة، وذكر المختار منها:

وقال الحِرْمازيّ في خبره: لمّا بلغ لُبنى قولُ قيس:

ألاَ يا غرابَ البين قد طِرْتَ بالذي ... أُحاذِر من لبنى فهل أنت واقع

[٩/٢١٧] / آلتْ ألاّ ترى غراباً إلاّ قتلته؛ فكانت كلّما رأته أو رأته خادمٌ لها أو جارة أبتيع ممن هو معه وذبحتْه.

وهذه القصيدة العينيّة أيضاً من جيّد شعر قيس. والمختارُ منها قوله:

أتبكي على لُبنى وأنت تركتَها ... وكنتَ كآتٍ حَتْفَه وهو طائعُ

فيا قلبُ صبراً واعترافاً لما ترى[2] ... ويا حبَّها قَعْ بالذي أنت واقع

ويا قلبُ خبِّرني إذا شَطَّتِ النَّوَى ... بلُبْنَى وبانت عنك ما أنت صانع

أتصبِر للبَيْن المُشِتّ مع الجَوَى ... أم أنت أمرؤ ناسي الحياء[3] فجازع

كأنّك بِدْعٌ[4] لم تَرَ الناسَ قبلها ... ولم يَطَّلِعْك الدهرُ فيمن[5] يُطالع

ألاَ يا غرابَ البَيْن قد طِرْتَ بالذي ... أُحاذِر من لُبنى فهل أنت واقع

فليس محبٌّ دائماً لحبيبه ... ولا ثقةٌ إلاّ له الدهرَ فاجع

/ كأنَّ بلادَ الله ما لم تكن بها ... وإن كان فيها الناسُ قَفْرٌ[6] بَلاَقِع

١٣٣
٨

(١) في جـ: «النطف»، والنطف: المريب.
(٢) كذا في «الأمالي» (جـ ٢ ص ٣١٥ و«لسان العرب» مادة عرف). واعترف للأمر: صبر. وفي الأصول: «واعترافاً بحبها».
(٣) كذا في «تجريد الأغاني» و «الأمالي». وفي الأصول: «الحياة» وهو تحريف.
(٤) البدع: الغمر من الرجال، وهو الذي لم يجرب الأمور.
(٥) كذا في «الأمالي». وفي الأصول: «فيما».
(٦) كذا في «الأمالي»: وفي الأصول: «وحش بلاقع».

فما أنت إذ بانت لُبَيْنَى بهاجعٍ ... إذا ما اطمأنّت بالنّيام المَضاجع

صوت

أُقَضِّي نهاري بالحديث وبالمُنَى ... ويَجْمعني والهمَّ بالليل جامعُ

نهارِي نهارُ الناس حتى إذا دَجَا[1] ... لِيَ الليلُ هَزَّتْني إليكِ المضاجع

لقد رسَخَتْ في القلب منكِ مَودّةٌ ... كما رَسَخَتْ في الراحتين الأصابع

/ أحالَ عليَّ الهمُّ من كلِّ جانب ... ودامت فلم تبرح عليَّ الفواجع [٩/٢١٨]

ألا إنّما أبكي لِما هو واقعٌ ... فهل جَزَعِي من وَشْكِ ذلك نافع

وقد كنتُ أبكي والنَّوَى مطمئنّةٌ ... بنا وبكم من عِلْمِ ما البينُ صانع

وأَهجُركم هجرَ البَغِيض وحبُّكم ... على كبدي منه كُلُومٌ[2] صوادع

وأَعمِد للأرض التي لا أريدها ... لتَرْجِعَني يوماً إليكِ الرواجع

وأُشفِق من هِجرانكم وتَرُوعني ... مَخافةُ وَشْكِ البين والشَّملُ جامع

فما كلُّ ما منَّتْكَ نفسُك خالياً ... تُلاقِي ولا كلُّ الهوى أنت تابع

لَعَمْري لمَنْ أمسى ولُبْنَى ضَجيعُه ... من الناس ما اختيرتْ عليه المضاجع

فتلك لُبَيْنَى قد تراخَى مَزارُها ... وتلك نَواها غُرْبةٌ ما تُطاوِع[3]

وليس لأمرٍ حاول اللهُ جمعَه ... مُشِتٌّ ولا ما فرّق اللهُ جامع

فلا تَبْكِيَنْ في إثر لُبْنَى نَدامةً ... وقد نَزَعَتْها من يديك النوازع

غنّى الغَريضُ في الثالث والرابع والأوّل والعشرين وهو «لعمري لمَنْ أمسى ولُبنى ضجيعُه» ثقيلاً أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وغنّى إبراهيم الموصليّ في العاشر وهو: «أقَضِّي نهاري بالحديث وبالمُنى» والحادي عشر والثاني عشر رَمَلاً بالوسطى عن عمرو. وقد قيل: إن ثلاثة أبيات من هذه وهي: «أقضِّي نهاري بالحديث وبالمنى» [والبيتان اللذان بعده[4]] لابن الدُّمَيْنة الخَثْعَميّ؛ وهو الصحيح؛ وإنما أدخلها الناس من هذه الأبيات لتشابهها.

/ مصير قيس ولبنى وهل ماتا زوجين أو مفترقين: [٩/٢١٩]

وقد اختُلف في آخر أمر قيس ولُبْنَى؛ فذكر أكثر الرُّواة أنهما ماتا على افتراقهما، فمنهم من قال: إنه مات قبلَها وبلغها ذلك فماتت أسفاً عليه. ومنهم من قال: بل ماتت قبله ومات بعدها أسفاً عليها، وممن ذكر ذلك

---

(١) في الأصول: «بدا».

(٢) كذا في «الأمالي» وفي الأصول: «شؤون».

(٣) رواية «الأمالي»:

ألا تلك لبنى قد تراخى مزارها ... وللبين غم ما يزال ينازع

(٤) زيادة يقتضيها السياق. (راجع «الأغاني» جـ ١٥ ص ١٥٤ طبع بولاق).

اليوسُفيّ عن عليّ بن صالح المُصَلَّى، قال قال لي أبو عمرو المَدَنيّ:

ماتت لُبْنَى، فخرج قيسٌ ومعه جماعةٌ من أهله فوقف على قبرها فقال:

ماتت لُبَيْنَى فموتُها مَوْتي ... هل تنفعَنْ حَسْرتي على الفَوْتِ

وسوف أبكي بكاءَ مكتئبٍ ... قضى حياةً وَجْداً على مَيْت

ثم أَكَبَّ على القبر يبكي حتى أغمي عليه؛ فرفعه أهلُه إلى منزله وهو لا يعقل، فلم يزل عليلاً لا يُفيق ولا يجيب مكلِّماً ثلاثاً حتى مات فدُفِن إلى جنبها.

١٣٤/٨ وذكر القَحْذَميّ وآبن عائشة / وخالد بن جمل أن ابن أبي عتيق صار إلى الحسن والحسين ابنَيْ عليّ بن أبي طالب وعبدالله بن جعفر رضي الله عنهم وجماعةٍ من قريش، فقال لهم: إن لي حاجةً إلى رجل أخشى أن يَرُدَّني فيها، وإني أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه. قالوا: ذلك لك مُبْتَذَلٌ منّا. فاجتمعوا ليوم وعَدهم فيه، فمضى بهم إلى زوج لُبْنَى. فلمّا رآهم أعْظم مصيرَهم إليه وأكْبره. فقالوا: لقد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عَتيق. قال: هي مقضيّة كائنةً ما كانت. قال ابن أبي عَتيق: قد قضيتَها كائنةً ما كانت من مِلك أو مال أو أهل؟ قال نعم. قال: تَهَب لهم ولي لُبْنى زوجتك وتطلّقها. قال: فإني أُشْهِدكم أنها طالقٌ ثلاثاً. فآستحيا القوم وآعتذروا وقالوا: والله ما عرفنا حاجته، ولو علمنا أنها هذه ما سألناك إيّاها. وقال آبن عائشة: فعوّضه الحسنُ من ذلك مائةَ ألف درهم [٩/ ٢٢٠] وحملها آبن أبي عتيق إليه. فلم تزل عنده حتى آنقضت عِدّتُها. / فسأل القوم أباها فزوّجها قيساً، فلم تزل معه حتى ماتا. قالوا: فقال قيس يمدح آبن أبي عَتيق:

جزى الرحمنُ أفضلَ ما يُجازي ... على الإحسان خيراً من صديق

فقد جَرَّبْتُ إخواني جميعاً ... فما ألْفَيْتُ كآبنِ أبي عتيق

سعى في جمع شَمْلِي بعد صَدْعٍ ... ورَأْيٍ حِدْتُ فيه عن الطريق

وأطفا لوعةً كانت بقلبي ... أغصَّتْني حرارتُها بريقي

قال: فقال له آبن أبي عتيق: يا حبيبي أَمْسِكْ عن هذا المديح؛ فما يسمعه أحد إلاّ ظنّني قَوّاداً. مضى الحديث.

صوت من مدن معبد في شعر عنترة:

ومن مُدُن مَعْبَد وهو الذي أوّله:

يا دارَ عَبْلة بالجِواء تكلّمي

وقد جُمع معه سائرُ ما يغنّى فيه من القصيدة.

منها:

صوت

هل غادر الشعراءُ من مُتَرَدَّمِ ... أم هل عَرَفتَ الدارَ[١] بعد تَوَهّمِ

يا دارَ عَبْلةَ بالجِواءَ تَكَلَّمِي ... وعِمِي صَباحاً دارَ عبلةَ وأسْلَمِي

(١) ويروى: «أم هل عرفت الربع» وهي الرواية التي كتب عليها المؤلف.

وتَحُـلُّ عبلـةُ بـالجِـوَاءِ وأهلُنـا ... بـالحَـزْنِ فـالصَّمَّـانِ فـالمُتَثَلَّـمِ[1]
كيـفَ القَـرَارُ[2] وقـد تـربَّـعَ أهلُهـا ... بعُنَيْـزَتَيْـنِ وأهلُنـا بـالغَيْلَـمِ
حُيِّيـتَ مـن طَلَـلٍ تَقَـادمَ عهـدُهُ ... أقْـوَى وأقْفَـرَ بعـدَ أُمِّ الهَيْثَـمِ
/ ولقـد نـزلـتِ فـلا تَظُنِّـي غيـرَهُ ... مِنِّـي بمنـزلـةِ المُحَـبِّ المُكْـرَمِ [٩/٢٢١]
ولقـد خَشِيـتُ بـأن أمـوتَ ولـم تَـدُرْ ... للحـرب دائـرةٌ علـى ابنَـيْ ضَمْضَـمِ
الشَّـاتِمَـيْ عِـرْضِـي ولـم أشتُمْهمـا ... والنَّـاذِرَيْـنِ إذا لَـمَ ألقَهمـا دمـي
ولقـد شَفَـى نفسـي وأبـرا سُقْمَهـا ... قِيـلُ الفـوارِسِ وَيْـكَ عنتَـرُ فـأقْـدِمِ
/ مـا زِلْـتُ أرميهـم بثُغْـرةِ نَحْـرِهِ ... ولَبَـانِـهِ حتـى تَسَـرْبَـلَ بـالـدَّمِ [١٣٥/٨]
هَـلاَّ سـألـتِ الخيـلَ يـابنـةَ مـالـكٍ ... إن كنـتِ جـاهلـةً بمـا لـم تَعْلَمـي
يُخْبِـرْكِ مَـنْ شَهِـدَ الـوَقيعـةَ أنَّنـي ... أغْشَـى الـوَغَـى وأعِـفُّ عند المَغْنَـمِ
يَـدْعُـون عَنْتَـرَ والـرِّمَاحُ كأنَّهـا ... أشْطـانُ بئـرٍ فـي لَبَـانِ الأدهـمِ
فشكَكْـتُ بـالـرُّمـحِ الطـويـلِ ثيـابَـهُ ... ليـس الكـريـمُ علـى القَنَـا بمحـرَّمِ
فـإذا شَـرِبْـتُ فـإنّنـي مستهلِـكٌ ... مـالـي، وعِـرْضِـي وافـرٌ لـم يُكْلَـمِ
وإذا صحـوتُ فمـا أقصِّـر عـن نَـدًى ... وكمـا علمـتِ شمـائلـي وتكـرُّمـي

الشعر لعنترة بن شَدَّاد العَبْسيّ، وقد تقدَّمت أخباره، ونسبه. وغنّى في البيت الأوّل، على ما ذكره ابن المكّيّ، إسحاقُ خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى، وما وجدتُ هذا في رواية غيره. وغنّى مَعْبد في البيت الثاني والثالث خفيفَ ثقيلٍ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وهو الصوت المعدود في مُدُن معبد. وغنّى سَلاَّم الغَسَّال في السابع والثامن والثالث والعاشر رَمَلاً بالسبّابة في مجرى البنصر، ووجدت في بعض الكتب أن له أيضاً في السابع وجده ثانيَ ثقيلٍ أيضاً، وذكر عمرو بن بانة أن هذا الثقيل الثانيّ بالوسطى لمعبد ووافقه يونس، وذكر ابن المكيّ أن هذا الثقيل الثانيَ للهُذَليّ، وذكر غيره أنه لابن مُحْرِز. وذكر أحمد بن عُبَيْد أنّ في السابع ثقيلاً أوّل للهُذَلي، ووافقه حَبَش. وذكر حبش أن في الثاني لمعبد ثقيلاً أوّل، وأن لابن سُرَيج فيه رملاً آخر غير رمل ابن الغَسَّال، وأن لابن مِسْجَح / أيضاً فيه خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى. وفي كتاب أبي العُبَيْس: له في الثالث لحن. وفي كتاب أبي أيّوب [٩/٢٢٢] المَدِينيّ: لابن جامع في هذه الأبيات لحن. ولمعبد في الحادي عشر والثاني عشر والخامس عشر والسادس عشر خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً. ولعَلّويه في السادس والرابع ثاني ثقيلٍ، وله أيضاً في الرابع عشر والثالث عشر رَمَلٌ. وفي كتاب هارون بن الزَّيّات لعبدِ آلٍ في الخامس ثقيلٌ أوّل؛ وقد نسَب الثقيلَ الثانيَ المختلَفَ فيه لابن مُحْرِز. وفي كتاب هارون: لأحمد النَّصْبيّ في الرابع والخامس لحن.

«هل غادر الشعراء» البيتَ، يدفع أكثرُ الرواة أن يكون لعنترة؛ وممن يدفعه الأصمعيّ وابن الأعرابيّ. وأوّل

---

(١) الصمان: موضع، ويقال: هو جبل. وقال أبو جعفر: الجواء بنجد، والحزن لبني يربوع، والصمان لبني تميم. والمتثلم: مكان. (انظر «شرح القصائد العشر» للتبريزي).
(٢) في «المعلقات»: «كيف المزار».

القصيدة عندهما «يا دار عَبْلَة». فذكر أبو عمرو الشَّيْبَانِيّ أنه لم يكن يَرْويه حتى سمع أبا حِزَامٍ العُكْليّ يرويه له.

قوله: «هل غادر الشعراء من متردَّم» يقول: هل تركوا شيئاً يُنْظَر فيه لم ينظروا فيه؟. والمتردَّم: المتعطَّف، وهو مصدر. يقول: هل تركوا شيئاً يُتردَّم عليه أي يتعطَّف؛ ويقال: تردَّمت الناقةُ على ولدها إذا تعطَّفت عليه، وثوبٌ مردَّم وملدَّم إذا سُدّت خروقُه بالرِّقاع. والرَّبع: المنزل، سُمِّيَ ربعاً لارتباعهم فيه؛ والرَّبِيعة: الصخرة. حكى أبو نصر أنه يقول: هل ترك الشعراء من خَرْقٍ لم يرقَعوه وفَتْقٍ لم يرتُقوه! وهو أشبهُ بقوله من متردَّم. وقال غيره: يعني بقوله من متردَّم البناءَ وهو الرَّدْم، أي لم يتركوا بناءً إلاّ بنَوْه؛ قال الله عز وجل: ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾ يعني بناء؛ وردَم فلان حائطَه أي بناه. / والجِواء: بلد بعينه؛ والجِواء أيضاً: جمع جَوٍّ وهو البطن الواسع من الأرض. عِمي صباحاً، وانْعِمِي صباحاً: تحيّةٌ. تَرَبّع أهلُها: نزلوا في الرَّبيع. وعُنَيْزَتَيْن: أَكَمةٌ سوداء بين البَصْرة ومكة. والغَيْلَم: موضع. والطَّلَل: ما كان / له شخص من الدار مثل أُثْفِيَة[1] أو وَتِدٍ أو نُؤْيٍ، وتقول العرب: حيّا الله طَلَلَك، أي شخصَك. وأبنا ضَمْضَم: حُصَيْن وهَرِم المُرِّيّانِ. وثُغْرة نحره: موضع لَبّته. واللَّبان: مَجْرَى لَبَبِه من صدره وهو الصدر نفسه. ويروى «بغُرّة وجهه». وتَسَرْبل، أي صار له سِربال من الدم. وقوله: «هَلاّ سألت الخيلَ» يريد فرسانَ الخيل؛ كما قال الله تعالى: ﴿واسألِ القَرْيَةَ﴾. والوَقِيعة: الوَقْعةُ. والوَغَى والوَحَى: أصواتُ الناس وجَلَبتُهم في الحرب؛ وقال الشاعر:

وليـلٍ كَسـاجٍ[2] الحِمْيَـرِيّ أدَّرعتُـه ... كـأنَّ وَغَـى حـافـاتِـه لَغَـطُ العُجْـمِ

والأشطان: الحبال، واحدها شَطَن. شبّه اختلافَ الرِّماح في صدر فرسه بالأشطان. وشَكَكْتُ بالرمح: نظمت. وقال أبو عمرو: يعني بثيابه قلبَه. والعِرْض: موضعُ المدح والذَّمّ من الرجل؛ يقال: طيِّب العِرْض أي طيّب ريح الجسم. والكُلوم: الجراح. والوافر: التامّ. وشمائلي: أخلاقي، واحدها شِمَال. يقال: فلان حُلو الشَّمائل والنَّحائت والضَّرائب والغرائز.

عنترة يقول معلقته لأن رجلاً سبه وعيره سواده:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أبو سعيد السُّكَّرِيّ قال قال أبو عمرو الشَّيْبانيّ:

قال عنترةُ هذه القصيدةَ لأن رجلاً من بني عَبْس سابَّه فذكر سوادَه وسوادَ أُمّه وإخوته وعيّره ذلك. فقال عنترة: والله إن الناس لَيَتَرافَدُون[3] بالطُّعْمة، فوالله ما حضرتَ مَرْفِدَ الناس أنت ولا أبوك ولا جَدُّك قَطُّ. وإنّ الناس لَيُدْعَوْن في الفزع فما رأيتُك في خيلٍ قطُّ، ولا كنتَ في أوّل النساء. وإن اللَّبْس (يعني الاختلاط) ليكونُ بيننا فما حضرتَ أنت ولا أحدٌ من أهل بيتك لِخُطّةِ فَيْصلٍ قطُّ، / وكنتَ فَقْعاً بقَرْقَرة[4]. ولو كنتُ في مَرْتَبَتك ومَغْرِسك الذي أنت فيه ثم ما جَدْتُك لمجَدتُك، أو طاولتُك لَطُلْتُك. ولو سألتَ أُمّك وأباك عن هذا لأخبراك بصحته. وإنّي لأحتضِر الوَغَى،

(١) الأثفية: الحجر توضع عليه القدر.

(٢) الساج: الطيلسان الأسود.

(٣) يترافدون: يتعاونون.

(٤) ويقال أيضاً فقع قرقرة. وهو مثل يضرب للضعيف الذليل الذي لا يمتنع على من يضيمه. والفقع: هجين الكمأة، وهو أبيض ضخم سريع الفساد قليل الصبر عن الحيا لا يمتنع على من اجتناه، وقيل: لأنه يداس دائماً بالأرجل، وقيل: لأنه لا أصل له ولا أغصان. والقرقرة والقرقر: الأرض المستوية السهلة. (انظر ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه).

وأوْفَى المَغْنَم، وأَعِفُّ عن المسألة، وأَجُود بما ملكتُ، وأفصِل الخُطَّةَ الصَّمْعاء[1]. فقال له الآخر: أنا أشعرُ منك. فقال: ستعلم!. وكان عنترة لا يقول من الشّعر إلاّ البيتَ أو البيتين في الحرب فقال هذه القصيدة. ويزعمون أنها أوّل قصيدة قالها. وكانت العرب تسمّيها المُذَهَّبة.

بقية مدن معبد:

نسبة الأصوات التي جُعِلتْ مكان بعض هذه الأصوات في مدن معبد، وهنّ:

صوت من مدنه في شعر كثير عزة:

صــوت

تَقطَّـع مـن ظَـلاَّمـةَ الـوصـلُ أَجْمَـعُ أخيـراً علـى أنْ لـم يكـن يَتَقطَّـعُ

وأصبحـتْ قـد وَدّعـت ظَـلاَّمـةَ التـي تَضُـرُّ ومـا كـانـت مـع الضُّـرّ تنفـع

الشعر لكُثَيِّر. والغِناء لَمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو ويونس.

أخبرني الحَرَميُّ بن أبي العَلاَء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بكّار قال حدّثني سليمان بن عَيّاش السَّعْديّ قال قال السائبُ راويةُ كُثَيِّر، وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال زعم / ابن الكَلْبيّ عن أبي المُقَوَّم قال حدّثني سائب راوية كُثَيِّر قال: [١٣٧/٨]

كنتُ مع كُثَيِّر عند ظَلاَّمة فأقمنا أيّاماً. فلما أردنا الانصرافَ عقدتْ له في عِلاَقة سَوْطه عُقَداً وقالت: احفَظْها. ثم انصرفنا فمررنا على ماء لبنى ضَمْرة، / فقال: إن في هذه الأخبية جارية ظريفةً ذاتَ جمال، فهل لك أن تستبرزها؟ فقلت: ذاك إليك. قال: فمِلْنا إليهم فخرجتْ إلينا جاريتها فأخرجتْها إلينا، فإذا هي عَزّة، فجلس معها يحادثها، وطرح سَوْطَه بينه وبينها إلى أن غلَبَتْه عيناه. وأقبلتْ عَزّة على تلك العُقَد تَحُلُّها واحدةً واحدةً. فلما أستيقظ أنصرفْنا. فنظر إلى عِلاقة سوطه فقال: أحلَّتْها؟ قلت: نعم! فلا وصلها الله! والله إنك لمجنون. قال: فسكت عنّي طويلاً ثم رفع السَّوْطَ فضرب به واسطةَ رَحْله وأنشأ يقول: [٩/٢٢٥]

تقطّـع مـن ظَـلاَّمـة الـوصـلُ أجمـعُ أخيـراً علـى أن لـم يكـن يتقطّـعُ

وأصبحـتْ قـد ودّعـت ظَـلاَمَـةَ التـي تَضُـرُّ ومـا كـانـت مـع الضُّـرُّ تنفَـع

وقـد سُـدَّ مـن أبـواب ظَـلاَّمـة التـي لنـا خَلَـفٌ للنَّفـس منهـا ومَقْنَـع

ثم وصل عزّةَ بعد ذلك وقطع ظَلاّمة.

ومنها:

وهو الذي أوّله: «خَمْصانةٌ قَلِقٌ مُوَشَّحُها».

(١) الصمعاء: الحازمة.

صوت من مدنه في شعر الحارث بن خالد:

صوت

أَقْوَى مِنَ آلِ ظُلَيمةَ الحَزْمُ فالغَمْرتانِ فأَوْحَشَ الخَطْمُ[1]

فجنوبُ أثْبِرةٍ فَمُلْحَدُها فالسُّدْرتانِ فما حَوَى دَسْمُ[2]

وبما أرَى شخصاً به حسناً في القومِ إذ حَيُّكُمْ نُعْمُ

إذ وُدُّها صافٍ ورؤيتُها أمنيةٌ وكلامُها غُنْمُ

[٢٢٦/٩] / لَفّاءُ[3] مملوءٌ مُخَلْخَلُها عَجْزاءُ ليس لعَظْمِها حَجْمُ

خَمْصانةٌ قَلِقٌ مُوشَّحُها رُؤْدُ الشبابِ عَلا بها عَظْمُ

وكأنَّ غاليةً[4] تُباشرُها تحتَ الثيابِ إذا صَغا[5] النَّجْمُ

أظُلَيمُ إنّ مُصابكم رجلاً أهْدَى السلامَ تحيةً ظُلْمُ

أقْصيتِه وأراد سِلْمَكمُ فَلْيَهْنِه إذ جاءكِ السِّلْمُ

عروضه من الكامل. الشعر للحارث بن خالد المخزوميّ. والغِناء لمَعْبد، ولحنه من القدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البِنصر. قال: ولحن معبد[6]:

خمصانةٌ قَلِقٌ مُوَشَّحُها

وأوّل لَحْنٍ[7] مالك:

أقوى مِنَ آلِ ظُلَيمةَ الحزمُ

(١) أقوى: خلا. والحزم: موضع أمام خطم الحجول. والغمرة: منهل من مناهل طريق مكة ومنزل من منازلها.

(٢) أثبرة: عدة جبال بمكة، واحدها ثبير. والسدرتان: موضع. ودسم: موضع قرب مكة فيه قبر ابن سريج المغني.

(٣) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «هيفا». ولفاء: ضخمة الفخذين مكتنزة.

(٤) الغالية: ضرب من الطيب.

(٥) صغا النجم: مال للغروب.

(٦) لعله: «وأوّل لحن معبد».

(٧) يلاحظ أنه لم يتقدم لمالك لحن في هذا الشعر.

/ ذكر الحارث بن خالد ونسبه وخبره في هذا الشعر [٢٢٧/٩]

الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المُغِيرة بن عبدالله بن عُمَر بن مخزوم؛ وقد تقدّم ذكره وأخباره في كتاب المائة المختارة في بعض الأغاني المختارة التي شعرُها له وهو:

إنّ أمرأً تَعْتادُه ذِكَرُ

تزوّج حميدة بنت النعمان بن بشير ثم طلقها:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال:

بلغني / أن الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المُغِيرة ـ ويقال: بل خالد بن المُهاجِر بن خالد بن الوليد بن المغيرة ـ كان تزوّج حُمَيْدة بنت النُّعْمان بن بَشِير بِدِمَشْق لمّا قدِم على عبدالملك بن مَرْوان. فقالت فيه: ١٣٨/٨

نَكَحـتُ المَـدينـيَّ إذ جـاءنـي ... فيـالَـكِ مـن نَكْحَـةٍ غـاويـهْ

كهـولُ دِمَشْـقَ وشُبّـانُهـا ... أحـبُّ إلينـا مـن الجـالِيـهْ

صُنَـانٌ لهـم كصُنَـانِ التُّيُـو ... س أعيـا علـى المسـك والغـاليـهْ

فقال الحارث يجيبها:

صـوت

أسَنَـا ضـوءِ نـار ضَمْـرة بـالقَفْـ ... ـرة أبصـرْتَ أم سَنَـا ضـوءِ بَـرْقِ

قـاطنـاتُ الحَجُـونِ أشْهَـى إلـى قلـ ... ـبـيَ مـن سـاكنـات دُورِ دِمَشْـقِ

يَتَضـوّ عْـنَ لـو تضمَّخْـنَ بـالمسـ ... ـك صُنَـانـاً كـأنّـه رِيـحُ مَـرْقِ[١]

غنّاه مالكُ بن أبي السّمْح خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر من رواية إسحاق. وفيه لابن مُحْرِز[٢] لحنٌ من رواية عمرو بن بانة ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى.

(١) المرق (بالفتح): صوف المجاف والمرضى وهو منتن، أو هو الجلد المنتن.

(٢) في جـ: لابن مسجع».

[٩/٢٢٨]

/ رجعت الرواية إلى خبر الحارث

قال: وطلّقها الحارث؛ فخلَف عليها رَوحُ بن زِنْباع. قال: وكان الحارث خطَب أَمَةً لمالك بن عبدالله بن خالد، بن أَسِيد، وخطبها عبدالله بن مُطِيع. فتزوّجها عبدالله ثم طلّقها أو مات عنها، فتزوّجها الحارث بن خالد بعد ذلك وقال فيها قبل أن يتزوّج:

أَقْــوَى مِــنَ آلِ ظُليمــةَ الحَــزْمُ فــالغَمْــرتــانِ فــأَوْحَــش الخَطْــمُ

الأبيات التي فيها الغناء.

قال وأخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال حدّثنا محمد بن الحَكَم عن عَوَانة بهذا الخبر فذكر مثلَه، ولم يذكر أنّ الحارث هو المتزوِّجُها، وفسَّر قولَها:

أحبُّ إلينا من الجالية

وقال: الجالية أهل الحجاز، كان أهل الشام يسمُّونهم بذلك لأنهم كانوا يَجْلُون عن بلادهم إلى الشام. وقال في الحديث: فبلغ عبدَالملك قولُها فقال: لولا أنها قدّمت الكهولَ على الشبّان لعاقبتُها.

قتل مصعب أختها عمرة بعد قتل زوجها المختار:

قال عَوَانة: وكانت لحُمَيْدة أختٌ يقال لها عَمْرة، وكانت تحت المختار بن أبي عُبَيد الثَّقَفيّ، فأخذها مُصْعَب بعد قتله المختار وأخذ امرأتَه الأخرى وهي بنت سَمُرة بن جُنْدَب، فأمرهما بالبراءة من المختار. أمّا بنت سَمُرَة فبرئتْ منه، وأبتْ ذلك عَمْرةُ. فكتب به مُصْعَب إلى أخيه عبدالله. فكتب إليه: إن أبت أن تَبْرأ منه فاقْتُلْها. فأبتْ فحفَر لها حَفِيرةً وأقيمت فيها فقُتلت. فقال عمر بن أبي ربيعة في ذلك:

[٩/٢٢٩]

/ إنّ مــن أعجــبِ العجــائــب عنــدي قتــل بيضــاءَ حُــرّةٍ عُطْبــولِ[1]

قُتِلــتْ حُــرَّةٌ علــى غيــر جُــرْم إنّ للهِ دَرَّهــا مــن قَتيــل

كُتِــب القتــلُ والقتــالُ علينــا وعلــى الغــانيــاتِ جَــرُّ الــذيــول

رجع الحديث إلى رواية عمر بن شَبَّة

١٣٩ / ٨

/ قال أبو زيد وحدّثني ابن عائشة عن أبيه بهذا الخبر ونحوه، وزاد فيه أن الحارث لمّا تزوّجها قالت فيه:

نَكَحــتُ المَــدِينــيَّ إذ جــاءنــي فيــا لــكِ مــن نَكْحــةٍ غــاويــة

تهاجي حميدة مع زوجها روح بن زنباع:

وذكر الأبيات المتقدّمة. وقال عمر بن شَبَّة فيه: وتزوّجها رَوح بن زِنْباع؛ فنظر إليها يوماً تنظر إلى قومه جُذَام، وقد اجتمعوا عنده فلامها. فقالت: وهل أرى إلّا جُذَامَ! فوالله ما أُحِبُّ الحَلالَ منهم فكيف بالحرام!.

وقالت تهجوه:

(١) العطبول: المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق.

بكى الخَزُّ من رَوْحٍ وأنكر جلدَه ... وعَجَّتْ عَجيجاً من جُذامَ المَطارِفُ
وقال العَبَا قد كنتُ حيناً لباسَكم ... وأكسيةٌ كُرْدِيَّةٌ وقَطائفُ

فقال رَوْح:

إن تَبْكِ منا تَبْكِ ممن يُهينُها ... وإن تَهْوَكم تهوَ اللِّئامَ المَقارِفَا[1]

وقال رَوْح:

أُثْني[2] عليَّ بما علمتِ فإنَّني ... مُثْنٍ عليكِ لبئس حشوُ المِنْطَقِ[3]

فقالت:

أُثْني عليكَ بأنّ باعَكَ ضَيِّقٌ ... وبأن أصلَكَ في جُذامٍ مُلْصَقُ

/ فقال رَوْح: [٩/ ٢٣٠]

أُثْني عليَّ بما عَلِمْتِ فإنّني ... مُثْنٍ عليكِ بمثل رِيحِ الجَوْرَبِ

فقالت:

فتناوَلا شرُّ الثَّناء عليكمُ ... أسْوَا وأنْتَنُ من سُلاحِ الثَّعْلَبِ

وقالت:

وهل أنا إلّا مُهْرَةٌ عربيّةٌ ... سَليلةُ أفراسٍ تجلَّلها بَغْلُ
فإنْ نُتِجتْ مُهراً كريماً فبالحَرَى ... وإن يكُ إقرافٌ[4] فما أنْجب الفحلُ

فقال رَوْح:

فما بالُ مُهْرٍ رائعٍ عَرَضتْ له ... أتانٌ فبالتْ عند جَحْفَلَةِ[5] البغلِ
إذا هو وَلّى جانباً رَبَخَتْ[6] له ... كما ربختْ قَمْراءُ[7] في دَمْسٍ سهلِ

وقالت عَمْرةُ لأخيها أَبَانَ بن النُّعْمان:

أطال[8] اللهُ شأْوَكَ من غُلامٍ ... متى كانتْ مَناكِحُنا جُذَامُ
أترضَى بالأكارعِ[9] والذُّنَابَى ... وقد كنّا يَقِرُّ بنا السَّنامُ

---

(١) المقارف: الأنذال. ويروى: «وما صانها إلّا اللئام المقارف».
(٢) الثناء: ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم، وخص بعضهم به المدح.
(٣) المنطق والنطاق (وزان منبر وكتاب): شبه إزار فيه تكة كانت المرأة تنتطق به. وفي حديث أم إسماعيل: أوّل ما اتخذ النساء المنطق.
(٤) المقرف: الذي أمه عربية وأبوه ليس كذلك، ضد الهجين والمقرف أيضاً: النذل. وعليه وجه هذا البيت.
(٥) الجحفلة: لذي الحافر كالشفة للإنسان.
(٦) ربخت: استرخت.
(٧) القمراء: البيضاء.
(٨) ستأتي فيه رواية أخرى (جـ ١٤ ص ١٢٩ طبع بولاق): «أضل الله حلمك من غلام».
(٩) في الأصول هنا: «بالفواسق والذنابي». والتصويب عن الموضع المذكور.

وقال ٱبن عمٍّ لرَوْح:

رَضِي الأشياخ بالفِطْيَوْنِ[1] فَحْلاً وترغَب للحماقة عن جُذامِ

[٩/٢٣١] / يهوديٌّ له بُضْعُ العَذارَى فقبحاً للكهول وللغلام

تُزَفُّ إليه قبل الزوج خَوْدٌ كأنْ شَمْساً تدلَّتْ من غَمام

فأبقى ذلكم عاراً وخِزْياً بقاءَ الوَحْيِ[2] في صُمِّ السِّلام

يهودٌ جُمْجُموا من كلِّ أوْبٍ وليسوا بالغَطاريفِ الكرام

وقالت:

سُمِّيتَ رَوْحاً وأنت الغمُّ قد عَلِموا لا روَّح اللهُ عن رَوْح بن زِنْباعِ

فقال رَوْح:

لا روَّح الله عمَّن ليس يمنعنا مالٌ رَغيبٌ وبعلٌ غير مِمْناعِ

كشافعٍ[3] جَوْنةٍ ثُجْلٍ مَخَاصِرُها دَبَّابةٍ شَثْنةِ الكَفَّيْنِ جُبّاعِ

قال: والجُبّاع: القصيرة. والجُبّاع من السهام: الذي لا نصل له. والجُبّاع: الرَّصَفُ[4]. وقالت:

١٤٠/٨ / تُكَحِّل عينيك بَرْدَ العَشِيّ كأنّك مُومِسَةٌ زانيه

وآيةُ ذلك بعد الخُفُوقِ تَغَلُّفُ رأسِك بالغاليه

وأنّ بَنيك لَريبِ الزَّمان أمسَتْ رقابهمُ حاليه

فلو كان أوْسٌ لهم حاضراً لقال لهم إنّ ذا ماليه

وأَوْس رجل من جُذام يقال: إنه استودَع رَوْحاً مالاً فلم يردّه عليه. فقال لها رَوْح:

إن يكن الخُلْعُ من بالكم فليس الخلاعةُ من باليه

[٩/٢٣٢] / وإن كان مَنْ قد مضى مثلَكم فأُفٌّ وتُفٌّ على الماضيه

وما إنْ بَرا اللهُ فاستيقنيه من ذات بعلٍ ومن جاريه

شبيهاً بكِ اليوم فيمن بَقِي ولا كان في الأعصُر الخاليه

---

(١) كذا في «نسخة الشنقيطي» مصححة بقلمه. والفطيون (بكسر الفاء وسكون الطاء): رجل من اليهود سيىء فاجر كانت اليهود تدين له إلى أن كانت لا تتزوّج امرأة منهم حتى تدخل عليه قبل دخولها على زوجها، ويقال إنه كان يفعل ذلك بنساء الأوس والخزرج. حتى كان زفاف أخت لمالك بن العجلان فأثارت في أخيها عوامل الحمية والغيرة فقتله. (راجع الجزء الثالث من هذه الطبعة ص ٤٠ الحاشية رقم ٣). وفي «الأصل» هنا: «القيطون» وهو تحريف.

(٢) الوحي: الكتابة. والسلام: الحجارة.

(٣) الشافع من النوق والشاء: التي في بطنها ولد ويتبعها آخر. وجونة: سوداء. وثجل: جمع أثجل أو ثجلاء. والثجل: عظم البطن وسعته. وشثنة الكفين: غليظتهما.

(٤) الرصف: جمع رصفة وهي العقبة (والعقب: العصب الذي تعمل منه الأوتار) تلوي فوق الرعظ (ورعظ السهم: مدخل سنخ السهم في النصل).

فبُعـداً لمَحْيـاكِ إذ مـا حَيِيـتِ ... وبُعـداً لأعظُمِـك البـاليـه

تزوّجها بعده الفيض بن محمد بن الحكم:

وقال رَوْح في بعض ما يتنازعان فيه: اللَّهمّ إن بَقِيتْ بعدي فأبْتلِها ببعلٍ يلطِم وجهها ويملأ حِجرَها قيئاً: فتزوّجها بعده الفَيْض بن محمد بن الحَكَم بن أبي عَقِيل وكان شاباً جميلاً يُصيب من الشَّراب فأحبَّته. فكان ربّما أصاب من الشَّراب مُسْكِراً فيلطِم وجهها ويقيءُ في حِجرها؛ فتقول: يرحَم الله أبا زُرْعة! قد أجيبت دعوتُه فيّ.

وقالت لفَيْض:

سُمِّيتَ فيضاً وما شيءٌ تَفيضُ به ... إلاّ سُلاحُكَ بين الباب والدارِ

فتلك دعوةُ رَوْحِ الخيرِ أعرِفُها ... سقى الإلهُ صَداه الأَوْطَفَ[1] السّاري

وقالت لفَيْض أيضاً:

ألا يا فَيضُ كنتُ أراكَ فَيْضاً ... فلا فَيْضاً أصبتُ ولا فُراتا

وقالت:

وليس فيضٌ بفيّاضِ العَطاء لنا ... لكنَّ فيضاً لنا بالقَيْءِ فَيّاضُ

ليثُ اللُّيوثِ علينا باسلٌ شَرِسٌ ... وفي الحروب هَيُوبُ الصدرِ جَيّاضُ[2]

تزوّج ابنتها من الفيض الحجاج بن يوسف:

فولدتْ من الفَيْض ابنة فتزوّجها الحَجّاج بن يوسف؛ وقد كانت قبلها عند الحَجّاج أمُّ أَبَانٍ بنتُ النّعمان بن بَشير. فقالت حُمَيْدة للحَجّاج:

إذا تذكَّرتُ نكاحَ الحَجّاجْ ... من النَّهارِ أو من اللَّيلِ الداجْ

فاضتْ له العينُ بمدمعٍ ثَجّاجْ ... وأُشْعِلَ القلبُ بوَجْدٍ وَهّاجْ

/ لو كان نُعمانُ قتيلُ الأعْلاجْ[3] ... مُنْتَوِيَ الشَّخصِ صحيحَ الأوداجْ [٩/٢٣٣]

لكنتَ منها بمكانِ النَّسّاجْ ... قد كنتُ أرجو بعضَ ما يرجو الرَّاجْ

أن تَنْكِحيه مَلِكاً أو ذا تاجْ

فقَدِمتْ حُمَيْدة على ابنتها زائرةً. فقال لها الحَجّاج: يا حُمَيْدة، إنّي كنتُ أحتمل مُزَاحَكِ مرّةً[4]، وأمّا اليوم فإني بالعراق وهم قومُ سَوْءٍ فإيّاكِ! فقالت: سأكُفُّ حتى أرحَل.

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا سليمان بن أيوب قال حدّثنا المدائنيّ عن مَسْلَمةَ بن مُحارِب قال:

قالت حُمَيْدة بنت النُّعمان لزوجها رَوْح بن زِنْباع، وكان أسودَ ضخماً: / كيف تَسُود وفيك ثلاثُ خِصَال: ١٤١/٨

(١) الأوطف من السحاب: الداني من الأرض.
(٢) الجياض: الروّاغ.
(٣) في جـ: «قتيل الإدلاج».
(٤) لعله: «مدة».

أنت من جُذَام، وأنت جَبَانٌ، وأنت غَيُور. فقال: أمّا جُذَام فأنا في أُرُومتها[1]، وبحَسْبِ الرجلِ أن يكون في أُرُومة قومه. وأما الجُبْن فإنما لي نفسٌ واحدة، ولو كان لي نفسانِ لجُدْتُ بإحداهما. وأمّا الغَيْرة فهو أمر لا أُحِبّ أن أشارَك فيه، وإن المرء لحقيقٌ بالغيرة على المرأة مِثلكِ الحَمْقاء الوَرْهاء لا يأمَنُ أن تأتِيَ بولد من غيره فتقذِفَه في حِجْرِه. ثم ذكر باقيَ خبرها مثلَ ما تقدّم، وقال فيه: فخلَفَ بعده عليها الفَيْضُ بن محمد عمُّ يوسف بن عمر، فكان يشرب ويلطِمها ويقيءُ في حِجْرِها، فقالت:

سُمِّيـتَ فَيْضـاً ومـا شـيءٌ تَفيـض بـه إلاّ سُـلاحُـكَ بيـن البـاب والـدار

قال المدائنيّ: وتمثَّل فيضٌ يوماً بهذا البيت:

إن كنـتِ سـاقيـةً يـومـاً علـى كَـرَمٍ صَفْـوَ المُـدامـةِ فـاسقِيهـا بنـي قَطَـنِ

ثم تحرّك فَضَرط. فقالت: وأسْقِ هذه أيضاً بني قَطَن!.

[٩/ ٢٣٤]/ أبو عثمان المازني والواثق:

وهذا الصوت أغني:

أَقْوَى مِن آلِ ظُلَيْمَةَ الحَزْمُ

هو الصوت الذي أشخَص الواثقُ له أبا عثمان المازنيّ بسبب بيت منه آختُلف في إعرابه بحضرته، وهو قوله:

أظُلَيْـمُ إنّ مُصـابكـم رجـلاً أهْـدَى السّـلامَ تَحِيّـةً ظُلْـمُ

وقال آخرون: «رجلٌ». حدّثني بذلك عليُّ بن سليمان الأخفش عن أبي العباس محمد بن يَزيد عن أبي عثمان، وأخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا القاسم بن إسماعيل وعَوْنُ بن محمد وعبدُ الواحد بن العبّاس بن عبد الواحد والطيِّبُ بن محمدالباهليّ، يزيد بعضُهم على بعض، قالوا حدّثنا أبو عثمان المازِنيّ قال:

كان سبب طلب الواثق لي أنّ مُخارِقاً غنّى في مجلسه:

أظُلَيْـمُ إنّ مُصـابكـم رجـلاً أهْـدَى السّـلامَ تحيّـةً ظلـمُ

فغنّاه مخارق «رجلٌ» فتابعه بعض القوم وخالفه آخرون. فسأل الواثقُ عمّن بقي من رؤساء النحويين فذكِرت له، فأمر بَحْملي. فلمّا وصلتُ إليه قال: ممن الرَّجلُ؟ قلت: من بني مازن. قال: أمن مازِن تُمِيم أم مازِن قَيْس أم مازِن ربِيعة أم مازِن اليمن؟ قلتَ: من مازن ربيعة. فقال لي بَا أسمُك؟ (يريد ما أسمُك وهي لغة كثيرة في قومنا) فقلت على القياس: مَكْرٌ (أي بكر). فضحِك فقال[2]: اجلِس واطْبَئِنّ (يريد: واطمئنّ) فجلست. فسألني عن البيت. فقلت: «إن مصابكم رجلاً» فقال: أين خبرُ «إنّ»؟ قلت: «ظلم» وهو الحرف الذي في آخر البيت. وقال الأخفش في خبره: وقلتُ له: إن معنى «مصابِكم» إصابتكُم، مثل ما تقول: / إنّ قتلكم رجلاً حيّاكم ظلمٌ. ثم قلت: يا أمير [٩/ ٢٣٥] المؤمنين، إن البيت كله معلّق لا معنى له حتى يتمّ بقوله «ظلم». ألا ترى أنه لو قال: أظُلَيم إن مصابكم رجلٌ أهدى السلام تحيةً، لَمَا أحتيجَ إلى «ظلم» ولا كان له معنًى، إلاّ أن يجعل التحيةَ بالسلام ظلماً، وذلك محال، ويجب حينئذٍ أن يقول:

(١) الأرومة (بالفتح وتضم): الأصل.
(٢) لعله: «وقال».

أَظُلَيْمُ إن مُصابكم رجلاً أَهْدَى السَّلامَ تحيّةً ظُلْما

ولا معنى لذلك، ولا هو، لم كان له وجهٌ، معنى قولِ الشاعر في شعره. فقال: صدقتَ، ألك ولدٌ؟ قلت: بُنَيَّةٌ لا غيرُ. قال: فما قالت حين ودَّعتَها؟ قال قلتُ: أَنْشدتْ شعرَ الأعشى:

تقول ابنتي حين جَدَّ الرَّحِيلُ أَرانا سواءً ومَنْ قد يَتِمْ
/ أبانا فلا رِمْتَ من عندنا فإنّا بخيرٍ إذا لم تَرِمْ
أَرانا إذا أضمرتْك البلا دُ نُجْفَى وتُقْطَع منّا الرَّحِمْ

١٤٢/٨

قال: فما قلتَ لها؟ قال: قلتُ لها قولَ جرير:

ثِقي بالله ليس له شريكٌ ومِن عندِ الخليفةِ بالنَّجاحِ

فقال: ثِقْ بالنجاح إن شاء الله تعالى. إنّ ها هنا قوماً يختلفون إلى أولادنا فامتحِنْهم، فمَنْ كان منهم عالماً يُنتفَع به ألزمناهم إيّاه، ومَنْ كان بغير هذه الصورة قطعناه عنهم. فأمر فجمعُوا إليَّ فامتحنتُهم فما وجدت فيهم طائلاً؛ وحَذِروا ناحيتي، فقلت: لا بأسَ على أحد. فلمّا رجعتُ إليه قال: كيف رأيتَهم؟ قلت: يفضُل بعضهم بعضاً في علوم، ويفضُل الباقون في غيرها، وكلٌّ يُحتاج إليه. فقال لي الواثق: إني خاطبتُ منهم واحداً فكان في نهاية من الجهل في خطابه ونظره. فقلت: يا أمير المؤمنين، أكثرُ من تقدَّم منهم بهذه الصفة؛ ولقد أَنْشدتُ فيهم:

/ إنّ المعلِّمَ لا يزال مُضَعَّفاً ولو ابْتَنَى فوق السماء بناءَ
من علَّم الصبيانَ أَصْنَوْا عقلَه مما يرقي غُدْوةً ومَساءَ

[٩/٢٣٦]

مضى الحديث:

صوت من مدن معبد في شعر الأعشى:

ومنها:

صوت

يوم تُبْدي لنا قُتَيْلةُ عن جِيـ ـدِ أَسيلٍ تَزِينُه الأطواقُ
وشَتِيتٍ كالأُقْحُوانِ جَلاه الطْـ ـلُ فيه عُذوبةٌ واتِّساقُ

الشعر للأعشى. والغناء لمعبد. وذكر إسحاق أن لحنه خفيفُ ثقيلٍ من أصواتِ قليلاتِ الأشباه، وذكر عمرو بن بانة أنّ لحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر. ولإسحاق لحنٌ من الثقيل أيضاً وهو مما عارَض فيه معبداً فأنتصف منه، ومن أوائل أغانيه وصدورها.

أخبرنا إسماعيل بن يونس الشِّيعِيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق قال ذَكر الحسن بن عُتْبة اللَّهَبِيّ المعروف بفُوْرَكٍ قال:

قتيلات معبد:

قال لي الوليد بن يزيد: أريد الحجّ، فما يمنعني منه إلاّ أن يلقاني أهل المدينة بقُتَيْلات معبد وبقَصْره ونَخْله

فافتضحَ به طرباً. يعني ثلاثةَ أصوات لمعبد من شعر الأعشى في قُتَيْلة هذه، ونسبتُها تأتي بعدُ. ويعني بقصره ونخله لحنَه:

القصرُ فالنخلُ فالجَمَّاء بينهما

قال أبو زيد قال إسحاق وحدّثني عبدالملك بن هِلاَل: وبلغني أن فِتْيَةً من قريش دخلوا إلى قَيْنةٍ ومعهم رَوْح بن حاتم المُهَلَّبيّ، فتماروْا فيما يختارونه من الغناء. فقالت لهم: أغَنِّي لكم صوتاً يُزِيل الاختلاف ويُوقع بينكم الاجتماع، فرَضُوا بها. فغنَّتْ:

[٩/٢٣٧] / يــوم تُبْـدِي لنــا قُتَيلــةُ عــن جِيـ ـــدٍ أسيــلٍ تَــزِينُــه الأطـــواقُ

فَرضُوا به واتّفقوا على أنه أحسن صوت يعرفونه، وأقاموا عندها أسبوعاً لا يسمعون غيرَه.

نسبة أصوات معبد في قُتَيلة

الصوتان الباقيان من قتيلات معبد في شعر الأعشى:

منها:

أَثْــوَى وقَصَّــر ليلــةً ليُــزَوَّدا فمضَــى وأُخْلِـف مــن قُتَيْلــةَ مَــوْعِـدا

يَجْحَــدْنَ دَيْنــي بــالنَّهــار وأقتضِــي دَيْنــي إذا وقَــذ[1] النُّعــاسُ الــرُّقَّــدا

[١٤٣/٨] / وأرى الغــوانــيَ لا يُــواصِلْــنَ امــرأً فقَــدَ الشَّبــابَ وقــد يَصِلْــنَ الأمــردا

الشعر للأعشى. والغِناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى.

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزِيديّ قال حدّثنا أبو شُرَاعة في مجلس الرِّياشيّ قال:

حُدِّثت أنّ رجلاً نظر إلى الأعشى يَدُور بين البيوتِ ليلاً؛ فقال له: يا أبا بَصير، إلى أين في هذا الوقت؟ فقال:

يجحــدن دَيْنِــي بــالنَّهــار وأقتضِــي دَيْنــي إذا وقَــذ النُّعــاسُ الــرُّقَّــدا

أخبرني أحمد بن عُبَيْدالله بن عَمّار قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنا أحمدُ بن القاسم بن جعفر بن سليمان قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال حدّثني أبي قال:

غنَّيتُ بين يَدَي الرشيد وسِتارتُه منصوبة:

وأرى الغــوانــيَ لا يُــواصلــن امــرأً فقــدَ الشبــابَ وقــد يَصِلْــنَ الأمــردا

[٩/٢٣٨] / فطرِب واستعاده وأمر لي بمال. فلما أردتُ أن أنصرف قال لي: يا عاضَّ كذا وكذا! أتغنِّي بهذا الصوت وجواريّ من وراء ستارةٍ يسمعْنَه! لولا حُرْمتُك لضربت عنقك!. فتركته والله حتى أُنسيته.

ومنها:

صوت

أَلَــمَّ خيــالٌ مــن قُتَيْلــةَ بعــدمــا وهَــى حبلُهــا مــن حبلنــا فتَصَــرَّمَــا

(١) وقذه النعاس: غلبه.

فبِــتُّ كــأنّــي شــاربٌ بعــد هَجْعــةٍ سُخَــاميَّــةً[1] حمــراءَ تُحْسَــبُ عَنْــدَمَــا

الشعر للأعشى. والغناء لمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبِنصر عن عمرو. وفيه لابن مُحْرِز ثاني ثقيلٍ بالوسطى عنه وعن أبن المكيّ.

سبعة أبن سريج:

فأمّا السبعة التي جُعلت لابن سُرَيج بإزار سبعة مَعْبد فإني قرأت خبرها في كتاب محمد بن الحسن، قال حدّثني الحسين بن أحمد الأَكْثَميّ عن أبيه قال:

ذكرنا عند إسحاق يوماً أصواتَ معبد السبعةَ فقال: والله ما سبعةُ أبن سُرَيج بدونهنّ. فقلنا له: وأيُّ سبعة؟ فقال: إن مُغنّي المكّيين لمّا سمعوا بسبعة معبد وشهرتها لحقتْهم لذلك غَيْرة، فأجتمعوا فأختاروا من غِناء أبن سُرَيج سبعةً فجعلوها بإزاء سبعة معبد، ثم خايروا[2] أهلَ المدينة فأنتَصفوا منهم. فسألوا إسحاقَ عن السبعة السُّرَيْجيّة؛ فقال: منها.

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لما جَهَدْتُه

وقد مضت نسبتُه في الثلاثة الأصوات المختارة.

و لـقـد حَـبَّـبـتْ نُـعْـمٌ إلـيـنـا بـوجـهـهـا

/ و قَــرَّب جِـيـرانُـنـا جِـمـالَـهُـمُ [٢٣٩/٩]

و أرِقـتُ ومـا هـذا الـسُّـهـاد الـمـؤرِّقُ

وقد مضى في أخبار الأعشى المذكورة في مُدُن معبد.

و بَـيْـنـا كـذاك إذا عَـجَـاجـةُ مَـوْكِـبٍ

و فـلـم أرَ كـالـتَّـجْـمـير مـنـظَـر نـاظـرٍ

ـ وقد مضى في الأرمال المختارة ـ

و تَضـوَّعِ مِـسْـكاً بطـنُ نَـعْـمَـانَ إن مـشـتْ

ـ وقد ذُكر في المائة مع غيره في شعر النُّمَيْرِيّ ـ

و إن جــاء فـلْـيـأتِ عـلـى بـغـلـةٍ

(١) خمر سخام وسخامية: لينة سلسة.

(٢) أي غالبوهم، يقال: خايره في العلم وخيره مخايرة فخاره، أي غالبه فغلبه وكان خيراً منه.

نسبة ما لم تمض نسبته من هذه الأصوات إذ كان بعضها قد مضى متقدّماً

الكلام على ما لم يمض الكلام عليه من هذه السبقة:

فمنها:

صوت

١٤٤ / ٨

/ لقد حَبَّبَتْ نُعْمٌ إلينا بوجهها ... مساكنَ ما بين الوَتَائر[1] فالنَّقْعِ

ومن أَجْلِ ذاتِ الخال أَعملتُ ناقتي ... أكلِّفها سَيْرَ الكَلاَلِ مع الظَّلْعِ

عروضه من الطويل. والشعر لعمرَ بن أبي ربيعة، والغناء لابن سُرَيج ثاني ثقيلٍ بالبنصر. وذاتُ الخالِ التي عَنَاها ها هنا عمر امرأةٌ من ولد أبي سُفْيانَ بنِ حَرْب، كان عمر يَكْني عنها بذلك.

عمر بن أبي ربيعة وذات الخال:

حدّثني عليّ بن صالح بن الهَيْثَم قال حدّثني أبو هِفّان عن إسحاق بن إبراهيم المَوْصليّ عن الزُّبَيْريّ والمُسَيَّبيّ ومحمد بن سَلاّم والمدائنيّ، وأخبرنا به الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني عمّي ولم يتجاوزه:

٩/ ٢٤٠

/ أن عمر بن أبي رَبيعة وأبنَ أبي عتيق كانا جالسَين بفناء الكعبة، إذ مرّتْ بهما أمرأة من آل أبي سُفْيان، فدعا عمرُ بكَتِفٍ[2] فكتب إليها وكَنى عن أسمها:

صوت

أَلِمَّا بذاتِ الخالِ فأستطلِعا لنا ... على العهد باقٍ وِدُّها أم تَصَرَّما

وقولاَ لها إنّ النَّوَى أجنبيّةٌ ... بنا وبكم قد خِفتُ أن تَتيَمَّما

ـ غنّاه أبن سُرَيج خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالسبّابة في مجرى البِنصر عن إسحاق ـ قال فقال له أبن أبي عَتيق: سبحانَ الله! ما تريد إلى أمرأةٍ مُسْلِمة مُحْرِمةٍ أن تكتب إليها مثل هذا! قال: فكيف بما قد سيَّرتُه في الناس من قولي:

لقد حَبَّبَتْ نُعْمٌ إلينا بوجهها ... مساكنَ ما بين الوتائر والنَّقْعِ

ومن أجل ذات الخال أعملتُ ناقتي ... أُكَلِّفُها سيرَ الكَلاَلِ مع الظَّلْعِ

ومن أجل ذات الخال يومَ لقِيتُها ... بمُنْدَفَعِ الأخباب[3] أَخْضَلَنِي دمعي

ومن أجل ذات الخال آلَفُ منزلاً ... أُحُلُّ به لا ذا صديقٍ ولا زَرْعِ

ومن أجل ذات الخال عُدْتُ كأنني ... مُخَامَرُ سُقْمٍ داخلٍ أو أخو رَبْعِ[4]

---

(١) الوتيرة: ماء بأسفل مكة لخزاعة. والنقع: موضع قرب مكة في جنبات الطائف.

(٢) في ب، س: «بكاتب» وهو تحريف.

(٣) موضع قرب مكة. وفي الأصول: «الأجناب» بالجيم والنون وهو تصحيف.

(٤) الربع: النعش، ويكنى به عن الموت.

أَلِمّا بِذاتِ الخالِ إن مُقامَها ... لدى الباب زاد القلبَ صَدْعاً على صَدْعِ
وأُخرى لَدَى البيت العَتيق نظرتُها ... إليها تَمشّت في عظامي وفي سمعي

وقال الحَرَميّ في خبره: أمَا ترى ما سار لي من الشعر! ما علم اللهُ أنّي اطّلعتُ حراماً قطّ! ثم انصرفنا. فلما كان من الغدِ التقينا. فقال عمر: أشعرت أنّ ذلك الإنسان قد ردّ الجواب؟ قال: وما كان من ردّه؟ قال: كتب.

/ صوت [٩/٢٤١]

أمسى قَريضُك بالهوى نَمّاما ... فاربَعْ هُديتَ وكن له كَتّاما
واعلم بأن الخال حين وصفتَه ... قعد العدوُّ به عليك وقاما
لا تحسَبنَّ الكاشحين عَدِمتَهم ... عما يسوءك غافلين نِياما
لا تمكننّ من الدَّفينة كاشحاً ... يتلو بها حفظاً عليك إماما

غنّى فيه سُلَيم خفيفَ رَمَلٍ بالبِنصر عن عمرو. قال: وفيه لفَريدة وإبراهيمَ لحنان.

وفي بعض النسخ: لإسحاقَ فيه ثقيلٌ أوّل غير منسوب. وذكر حَبَش أن خفيف الرَّمَل لفَريدة.

/ أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال أخبرنا أبو أيّوب المَدِينيّ عن محمد بن سَلّام، قال وأخبرني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سَلّام قال: [١٤٥/٨]

سألتُ عمر بن خَليفة العبْديّ ـ وكان عابداً وكان يُعجبه الغِناء ـ أيّ القوم كان أحسنَ غناء؟ قال: ابن سُرَيج إذا تَمَعْبَد ـ يريد: إذا غنّى في مذهب مَعْبَد من الثقيل ـ قلت: مثل ماذا؟ قال: مثل صوته[1]:

صوت

لقد حَيّيَتْ نُعْمٌ إلينا بوجهها ... مساكنَ ما بين الوَتائر فالنَّقْع

وقال حَمّاد بن إسحاق حدّثني أبي قال حدّثني أبو محمد العامريّ قال:

جلس مَعْبَد والأبْجَر وجماعةٌ من المغنّين فتذاكروا ابن سُرَيج وما اشتهاه الناس من غِنائه، فقالوا: ما هو إلّا من غِناء الزُّفّافِ والمخنّثين. فنُمِي الحديث إلى ابن سُرَيج فغنّى:

لقد حَيّيَتْ نعمٌ إلينا بوجهها

/ فلمّا جاء مَعْبد وأصحابه واجتمعوا غنّاهم إيّاه. فلمّا سمعوه قاموا هاربين، وجعل ابن سُرَيج يصفّق خَلْفَهم ويقول: إلى أين؟! إنما هو ابن ليلته فكيف لو اختمر!. قال فقال معبد: دَعُوه مع طرائقِه الأوّلِ ولا تَهيجُوه على طرائقكم، وإلّا لم يَدَعْ لكم واللهِ خبزاً تأكلونه. [٩/٢٤٢]

قال الزُّبَير في خبره عن عمّه: وعَلِق نُعْماً هذه فقال فيها شعراً كثيراً. ونحن نذكر ها هنا ما فيه غِناءٌ من ذلك. فمنه قولُه:

(١) كذا في أ، م وفي سائر الأصول: «قوله».

صوت

خَطَرتْ لذات الخالِ ذِكْرَى بعدما … سلَكَ المَطِيُّ بنا على الأنصابِ[١]
أنصابِ عَمْرةَ والمَطِيُّ كأنّها … قِطَعُ القَطَا صدَرتْ عن الأَحْبابِ[٢]
فانْهَلّ دمعي في الرِّداء صَبابةً … فسترتُه بالبُرْدِ عن أصحابي
فرأى سوابقَ دمعةٍ مسكوبةٍ … بَكْرٌ فقال بكَى أبو الخَطّاب

عروضه من الكامل. «بكر» الذي ذكره ها هنا عمر هو ابن أبي عَتيق وهو يسمّيه في شعره ببكر وبعَتيق، وإياه يَعْني بقوله:

لا تَلُمْني عَتِيقُ حَسْبِي الذي بي … إنّ بي يا عَتيقُ ما قد كفاني

الغناء في «خطرت لذات الخال» للغَريض، ولحنه ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانَةَ أنّ فيه ثقيلاً أوّلَ بالبِنصر لأبي سَعيد مولى فائد.

وأخبرني الحَرَميّ قال حدّثني الزُّبَيْر قال حدّثني عمّي:

أنّ عمر بن أبي ربيعة وافقها وهي تستلم الركنَ، فقرُب منها. فلما رأته تأخّرتْ وبعثتْ إليه جاريتَها. فقالت له: [٩/٢٤٣] تقول لك أبنةُ عمِّك: إنّ هذا مَقامٌ / لا بدَّ منه كما ترى، وأنا أعلم أنك ستقول في موقفنا هذا فلا تقولنَّ هُجْراً. فأرسَلَ إليها: لستُ أقول إلّا خيراً. ثم تعرّض لها وهي ترمي الجِمار، فأعرضت عنه وأستترت؛ فقال:

صوت

دِينَ هذا القلبُ من نُعُمِ … بسَقَامٍ ليس كالسَّقَمِ
إن نُعْماً أقصدتْ رجلاً … آمِناً بالخَيْفِ إذ تَرمِي
/ اسمعي منّا تَحَاوُرَنا … وأحكُمِي رُضِّيتُ بالحكمِ
بشَتِيتٍ[٣] نبْتُه رَتِلٍ … طيِّبِ الأنياب والطَّعْمِ[٤]
يأتِكم[٥] منه بحُجَّته … فله العُتْبَى ولا أَحْمِي[٦]

١٤٦/٨

عَروضُه من المَديد. الغِناء لإسحاقَ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيها لمالك ثقيلٌ أوّل من أصوات قليلاتِ الأشباه عن إسحاق. وفيه لابن سُرَيج رملٌ بالبنصر عن حَبَش. وفيه لابن مِسْجَح ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن حبش أيضاً. وذكر الهِشاميُّ أنّ الصوت مما يُشَكّ فيه أنه لمعبد أو غيره.

---

(١) الأنصاب: موضع.
(٢) الأجباب: جمع جب وهو البئر التي لم تطو أي لم تبن.
(٣) الشتيت: المفرق. والرتل: بياض الأسنان وحسن تناسقها.
(٤) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «واللغم».
(٥) كذا في «ديوانه». وقد ورد فيه قبل هذا البيت بيت يرجح رواية «الديوان» وهو:

وأنشديه هل أتيت له … سخطاً مني على علم

وفي الأصول: «وليأتكم».
(٦) كذا في «الديوان». وفي الأصول: «ولم أحم».

قال: وقال فيها أيضاً:

صـوت

أبِينِــي اليَـــومَ أيَ نُعْـــمُ أوَصْــلٌ منــكِ أم صُــرْمُ
فــإن يــك صُــرْمُ عــاتبــةٍ[1] فقــد تَغْنَــى وهُــو سَلْــم
/ تَلُومكَ فــي الهــوى نُعْــمُ وليــس لهــا بــه عِلْــمُ [٩/٢٤٤]
صحيــحٌ لـــو رأى نُعْمــاً لخــالــط جسمَــه سُقْــمُ

عروضه من الهَزَج. غنّاه مالك ولحنه ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لمتيَّم خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر عن إسحاق[2]، وذكر أنّ فيه أيضاً صنعةً لابن سُرَيج.

ومما يُغَنَّى فيه مما قاله فيها ـ وهو من قصيدة طويلة ـ:

صـوت

فقلــتُ لجَنّــادٍ خُــذِ السَّيـفَ وأشْتمِـلْ عليــه بحــزمٍ وأنظـرُ الشمـس تَغْـرُبِ
وأَسْرِجْ لنا الـدَّهْمَـاءَ وأعجَـلْ بِممْطَـرِي[3] ولا تُعْلِمَـنْ خَلْقـاً مـن النـاس مـذهبـي

عروضه من الطويل. غنّاه زُرْزور غلامُ المارِقيّ خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر.

أخبرني الحَرَميُّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا عمّي قال:

قيل لعمر بن أبي ربيعة: ما أحَبُّ شيء أصبتَه إليك؟ قال: بينا أنا في منزلي ذاتَ ليلة إذ طرَقني رسول مُصْعَب بن الزُّبَير بكتابه يقول: إنه قد وقعت عندنا أثوابٌ مما يُشْبِهك، وقد بعثتُ بها إليك وبدنانيرَ ومسك وطِيب وبغلة. قال: فإذا بثياب من وَشْيٍ وخَزٍّ العراق لم أرَ مثلها قطّ وأربعمائة دينار ومسكٍ وطِيبٍ كثير وبغلة. فلمّا أصبحتُ لبِست بعضَ تلك الثياب وتطيَّبت وأحرزتُ الدنانير وركبت البغلة وأنا نشيط لا همَّ لي قد أحرزتُ نفقةَ سنتي؛ فما أفدتُ فائدةً كانت أحبَّ إليّ منها. وقلت في ذلك:

/ ألَا أرْسلــتْ نُعْــمٌ إلينــا أنِ آئْتِنــا فــأحْبِـبْ بهــا مــن مُـرسِـلٍ مُتغَضِّـبِ [٩/٢٤٥]
فــأرسلــتُ أن لا أستطيــعُ فــأرْسلــتْ تــؤكِّــد أيمــانَ الحبيــبِ المــؤنِّــبِ
فقلــت لجَنّــادٍ خُــذِ السيــفَ وأشتمِـلْ عليــه بحــزمٍ وأنظُـرِ الشمـسَ تَغْـرُبِ
وأسْـرِجْ لـيَ الـدَّهْمـاء واعجَـلْ بِممْطَـرِي ولا تُعْلِمَـنْ خَلْقـاً مـن النـاس مـذهبـي
ومـوعِـدُك البَطْحـاءُ أو بَطْـنُ يـأجَـجٍ[4] أو الشِّعْـبُ بـالمَمْرُوخ[5] من بطن مُغْرِبِ

(١) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «غانية» وهو تصحيف.
(٢) في جـ: «عن حبش».
(٣) الممطر: ما يلبس للوقاية من المطر.
(٤) يأجج: مكان من مكة على ثمانية أميال.
(٥) كذا في «الديوان». وفي الأصول: «أو الشعب ذي المسروح».

١٤٧ / ٨

/ فلمـا ٱلتقينـا سَلَّمـتْ وتبسَّمَـتْ وقـالـت مقـالَ المُعْـرِضِ المُتَجَنِّـب
أمِـنْ أجـلِ واشٍ كـاشـحٍ بنَميمـةٍ مشَـى بيننـا صـدَّقتَـه لـم تُكَـذِّبِ
قطعـتَ وِصـالَ الحبـلِ منّـا ومـن يُطِـع بـذِي[1] ودِّه قـولَ المحـرِّش يُعْتِـب
فبـات وِسـادي ثِنْـيَ كـفٍّ مُخضَّـبٍ مُعَـاوِدَ عَـذْبٍ لـم يُكَـدَّرْ بمَشْـرَب
إذا مِلْـتُ مـالـتْ كـالكَثِيـب رخيمـةٌ مُنَعَّمَـةٌ حُسّـانـةُ المُتَجَلْبَـب

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني عمّي قال:

بلغ عمرَ بن أبي ربيعة أنّ نُعْماً اغتسلتْ في غَدير؛ فنزل عليه ولم يزل يشرب منه حتى نضَب.

قال الزُّبَير قال عمّي: «وقال فيها أيضاً:

صـوت

طـال ليلِـي وعـادنـي اليـومَ سُقْـمُ وأصـابـت مقـاتـلَ القلـب نُعْـمُ
وأصـابـتْ مَقـاتلـي بسِهـام نـافـذاتٍ ومـا تَبَيَّـن كَلْـمُ
حُـرَّةُ الـوجـه والشمـائـلِ والجـو هـر تكليمُهـا لمـن نـال غُنْـمُ
/ هكـذا وَصْـفُ مـا بـدا لِـي منهـا ليس لـي بـالـذي تغيَّـب عِلْـمُ
غيـرَ أنـي أرى الثيـابَ مِـلاءً فـي يَفَـاعٍ يَـزِيـن ذلـك جسـمُ
وحـديـثٍ بمثلـه تَنْـزِل العُصْـ ـمُ رخيـمٍ يشـوب ذلـك حِلْـمُ

[٢٤٦/٩]

عروضه من الخَفيف. غنَّى ابن سُرَيج في الأربعة الأبيات لحناً ذكره إسحاق وأبو أيّوب المَدِيني في جامع غنائه ولم يجنّسه، وذكر حبش أنه خفيفُ رملٍ بالبنصر.

مناقشة بين إسحاق وإبراهيم بن المهدي في معبد وابن سريج:

أخبرني عمي قال حدّثني الحسين بن يحيى أبو الحِمار قال حدّثني عمرو بن بانة قال:

كنتُ حاضراً مع إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عند إبراهيمَ بنِ المهديّ. فتفاوضْنا حديثَ المغنِّين، حتى انتهَوْا إلى أن حَكى إسحاقُ قولَ عمر بن أبي خَليفة: «إذا تَمَعْبَد ابنُ سُرَيج كان أحسن الناسِ غناءً». فقال إبراهيم لإسحاق: حاشاك يا أبا محمد أم تقول هذا! فقد رفع الله علمك وقَدْرَ ابن سُرَيج عن مثل هذا القول، وأغنَى ابنَ سُرَيج بنفسه عن أن يقال له تَمَعْبَدَ؛ وما كان مَعْبَد يضع نفسَه هذا الموضعَ؛ وكيف ذلك وهو إذا أحسن يقول: أصبحتُ اليومَ سُرَيْجيّاً. وما قد أنصف أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن المهدي معبداً في هذا القول؛ لأن معبدا وإن كان يعظِّم ابنَ سُرَيج ويوفِّيه حقَّه فليس بدونه ولا هو بمرذول عنده. وقد مضى في صدر الكتاب خبرُ ابن سُرَيج لمّا قدِم المدينةَ مع الغَرِيض ليستمنحا أهلَها، فسمعاه وهو يصيد الطير يغنِّي لحنه:

القَصْرُ فالنخل فالجَمّاءُ بينهما

(١) كذا في جـ و «ديوانه». وفي الأصول: «الذي ودّه».

فرجع أبن سريج وردَّ الغَريضَ وقال: لا خير لنا عند قوم هذا غناء غلامٍ فيهم يصيد الطير، فكيف بمَنْ داخل الجَوْنة!.

[٢٤٧/٩] / **تعظيم أبن سريج لمعبد وأخذه عنه:**

وأظرفُ من ذلك من أخباره وأدلُّ على تعظيم أبن سُرَيج معبداً ما أخبرني به أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قال حدّثني عليّ بن سليمان النَّوْفَليّ، قال حدّثني أبي قال:

اِلتقى أبن سُرَيج ومعبد ليلةً بعد أفتراق طويل وبُعْدِ عهد؛ فتساءلا عما صنعا من الأغاني بعد أفتراقهما؛ فتغنَّى هذا وتغنَّى هذا؛ ثم تغنَّى أبن سُرَيج لحنَه في:

/ أنـا الهـالـكُ المسلـوبُ مهجـةَ نفسـه	إذا جـاوزَتْ مَـرّاً[1] وعُسْفـانَ عِيـرُهـا

$\frac{١٤٨}{٨}$

فغنّاه مُرْسَلاً لا صَيْحة فيه. فقال له معبد: أفَلَا حسَّنتَه بصيحة! قال: فأين أضعها؟ قال: في:

غدتْ سافراً والشمسُ قد ذَرَّ قَرْنُها

قال: فصِحْ أنت فيه حتى أسمعَ منك. قال: فصاح فيه معبدٌ الصَّيْحة التي يُغَنَّى بها فيه اليوم. فأستعاده أبن سُرَيج حتى أخذه فغنَّى صوته كما رسمه معبدٌ فحسُن به جداً. وفي هذا دليل يَبين فيه التحاملُ على معبد في الحكاية.



صـوت

غَـدَتْ سـافِـراً والشمـسُ قـد ذَرَّ قَـرْنُهـا	فـأَغْشَـى شُعَـاعَ الشمس منهـا سفـورُهـا
وقـد علمـتْ شمـسُ النهـار بـأنّهـا	إذا مـا بـدتْ يـومـاً سيـذهـب نـورهـا
أنـا الهـالـك المسلـوبُ مهجـةَ نفسِـه	إذا جـاوزتْ مَـرّاً وعُسْفـانَ عيـرُهـا
أهـاجتـك سلمـى إذ أَجَـدَّ بُكـورُهـا	وهَجَّـر يـومـاً للـرَّواح بعيـرهـا

الشعر يقال: إنه لطَرِيف العَنْبَريّ. والغِناء لابن سُرَيج خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى في مجراها عن أبن المَكّيّ، وذكر عمرو أنه لِسياط. ولإبراهيمَ في الثالث والأوّل والرابع خفيفُ رَمَلٍ مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو. وفيه لبَنْباسةَ ثقيلٌ / أوّلُ بالبِنصر عن حَبَش. وفيه لابن جامع لحنٌ عن حَبَش من رواية أبي أيُّوبَ المَدينيّ. [٢٤٨/٩]

ومن سبعة أبن سريج:

صـوت

أصوات من سبعة ابن سريج في شعر ابن أبي ربيعة:

قَـرَّب جيـرانُنـا جِمـالَهُـمُ	لَيـلاً فـأَضْحَـوْا معـاً قـد أرتفعـوا
مـا كنـتُ أَدْرِي بـوَشْـكِ بينِهـم	حتـى رأيـتُ الحُـداة[2] قـد طلَعـوا

(١) يريد مر الظهران وهو موضع على مرحلة من مكة. وعسفان على مرحلتين منها.

(٢) كذا أ، م. وفي سائر الأصول: «الغداة» وهو تحريف.

علــى مِصَكَّيْــنِ مــن جمــالهــمُ وعَنْتَــرِيسَيْــن فيهمــا شَجَــعُ[1]

يــا نفــسُ صبــراً فــإنّــه سَفَــهٌ بــالحُــرُ أن يستفــزّه الجَــزَعُ

الشعر لعمر بن أبي رَبيعة. والغِناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو. وذكر حَبَش أن فيه للغَريض ثقيلاً أوّل بالبِنصر. وذكر ابن أبي حَسّان أن هِبةَ الله بنَ إبراهيم بن المهديّ حدّثه عن أبيه عن ابن جامع قال: عِيبَ على ابن سُرَيج خِفّةُ غِنائه، فأخذ أبياتَ عمر بن أبي رَبيعة:

قَرَّب جيراننا جِمالَهُم

فغنّى فيها في كل إيقاع لحناً. فجميع ما فيها من الألحان له.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال حدّثني منصور بن أبي مُزاحِم قال حدّثني رِزَام أبو قَيْس مولى خالد بن عبدالله قال:

قال لي إسماعيل بن عبدالله: يا أبا قَيس، أيّ رجل أنت لولا أنك تحب السَّماع!. قلت: أصلحك الله! أمّا والله لو سمعتَ فلانةَ تُغنّيك:

قَــرَّب جيــرانُنــا جِمــالَهُــم ليــلاً فــأضحَــوْا معــاً قــد ارتفعــوا

لعذَرْتَني. فقال: يا أبا قيس، لا عاتبتُك بعد هذا أبداً.

[٩/٢٤٩] / ومنها:

١٤٩ / ٨

صوت

بَيْنَــا كــذلــك إذ عَجَــاجــةُ مَــوْكِــبٍ رفَعــوا ذَمِيــلَ العِيــسِ فــي الصحــراءِ

قــالــت أبــو الخَطّــاب أعــرِف زِيَّــه[2] ولبــاسَــه لا شــكَّ غيــرَ خَفــاءِ

الشعر لابن أبي رَبيعة. والغِناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّل بالبنصر، وذكر الهِشاميّ وأبو العُبَيس أنه لمعبد؛ وليس الأمر كما ذكرا.

ومنها:

صوت

وهو الذي أوّله:

إن جاء فَلْيَأْتِ على بغلةٍ

(١) المصك: القوي. والعنتريس: الناقة الغليظة الوثيقة. والشجع في الإبل: سرعة نقل القوادم.

(٢) كذا في «ديوانه». وقبل البيت:

قــالــت لجــارتهــا انظــري هــا مــن أولــى وتــأمّلــي مــن راكــب الأدمــاء

وفي الأصول: «تعرف».

سَلْمَى عِدِيهِ سَرْحَتَيْ مالِكٍ أو الرُّبَا دونَهما مَنْزِلاً

إن جاءه فلْيَأْتِ على بغلةٍ إني أخاف المُهْرَ أن يَصْهِلا

الشعر لعمر بن أبي رَبيعة. والغِناء لابن سُرَيج من رواية يحيى بن المَكّيّ والهِشاميّ ثقيلٌ أوّل بالبنصر، وذكر يونس أنه للغَرِيض، وذكره إسحاق في أغاني الغريض ولم يجنّسه.



[٩/٢٥٠]

/ أغاني الخلفاء وأولادهم وأولاد أولادهم

من ثبت عنه من الخلفاء أنه غنى ومن لم يثبت عنه ذلك:

قال مؤلف هذا الكتاب: المنسوبُ إلى الخلفاء من الأغاني والمُلصَقُ بهم منها لا أصلَ لجُلّه ولا حقيقةَ لأكثره، لا سيّما ما حكاه ابن خُرداذْبة فإنه بدأ بعُمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر أنه تغنّى في هذا البيت:

كأنّ راكبها غصنٌ بمَرْوَحةٍ

ثم والَى بين جماعة من الخلفاء واحداً بعد واحد، حتى كأن ذلك عنده ميراث من مواريث الخلافة أو ركن من أركان الإمامة لا بدّ منه ولا مَعْدِل عنه، يخبط خَبْطَ العَشْواء ويجمع جمع حاطب الليل. فأمّا عمر بن الخطاب فلو جاز هذا أن يُرْوَى عن كل أحد لبعُد عنه؛ وإنما رُوِي أنه تمثّل بهذا البيت وقد ركب ناقةً فأستوطأها، لا أنه غنّى به، ولا كان الغِناء العربيُّ أيضاً عُرف في زمانه إلا ما كانت العرب تستعمله من النَّصْب[1] والحُدَاء، وذلك جارٍ مَجْرَى الإنشاد إلا أنه يقع بتطريب وترجيع يسير ورفع للصوت. والذي صَحّ من ذلك عن رُوَاة هذا الشأن فأنا ذاكرٌ منه ما كان متقَن الصَّنْعة لاحقاً بجيّد الغناء قريباً من صنعة الأوائل وسالكاً مذاهبهم لا ما كان ضعيفاً سخيفاً، وجامعٌ منه ما أتصل به خبرٌ له يُستحسَن ويجري مجرى هذا الكتاب وما تضمّنه.

فأوّل من دُوِّنتْ له صنعةٌ منهم عمر بن عبدالعزيز؛ فإنه ذُكر عنه أنه صنع في أيّام إمارته على الحجاز سبعةَ ألحان يذكر سُعَاد فيها كلّها؛ فبعضُها عرفتُ الشاعر القائلَ له فذكرتُ خبره، وبعضها لم أعرف قائله فأتيتُ به كما وقع إليّ. فإن مرّ / بي بعد وقتي هذا أثبتُّه في موضعه وشرحتُ من أخباره ما أتصل بي، وإن لم يقع لي ووقع إلى [٩/٢٥١] بعض من كتَب هذا الكتاب فمن أقلِّ الحقوق عليه أن يتكلّف إثباته ولا يستثقلَ تجشُّمَ هذا القليل فقد وصل إلى فوائد جمّة تجشّمناها له ولنظرائه في هذا الكتاب، فحظِي بها من غير نَصَبٍ ولا كَدْح؛ فإن جمالَ ذلك موفَّر عليه إذا نُسب إليه، وعيبَه عنّا ساقطٌ مع / اعتذارنا عنه إن شاء الله. $\frac{١٥٠}{٨}$

ومن الناس من يُنكر أن تكون لعمر بن عبدالعزيز هذه الصَّنْعةُ ويقول: إنها أصواتٌ مُحْكَمة العمل لا يقدِر على مثلها إلّا مَنْ طالت دُرْبته بالصَّنعة وحذِقَ الغناءَ ومهَر فيه وتمكّن منه. ولم يوجد عمر بن عبدالعزيز في وقت من الأوقات ولا حال من الحالات أشتهر بالغِناء ولا عُرف به ولا بمعاشرة أهله، ولا جالس من يُنقل ذلك عنه ويؤدّيه؛ وإنما هو شيء يحسُن المغنّون نسبته إليه. ورُوِي من غير وجه خلافٌ لذلك وإثباتٌ لصنعته إيّاها، وهو أصح القولين؛ لأن الذين أنكروا ذلك لم يأتوا على إنكارهم بحجّة أكثر من هذا الظن والدعوى، ومخالفوهم قد أيّدتهم أخبارٌ رُوِيتْ.

---

(١) النصب: غناء للعرب يشبه الحداء إلا أنه أرق.

عمر بن عبدالعزيز والغناء:

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع والحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي عن أبيه وعن إسماعيل ابن جامع عن سِيَاط عن يونس الكاتب عن شُهْدة أمّ عاتكة بنتِ شُهْدة عن كَرْدَم بن معبد عن أبيه:

أنّ عمر بن عبدالعزيز طارحه لحنَه في:

ألِمّا صاحِبَيّ نَزُرْ سُعَادَا

ونسختُ هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسين الكاتب قال حدّثني أبو يَعْلَى زُرْقانُ غلامُ أبي الهُذَيْل وصاحبُ أحمد بن أبي داود قال حدّثني محمد بن يونس قال / حدّثني هاتفٌ أراه قال أمّ ولد المعتصم قالت حدّثتني عُلَيّة بنت [٩/٢٥٢] المهديّ قالت حدّثتني عاتكة بنت شُهْدة عن أمّها شهدة عن كَرْدَم قال:

طرح عليّ عمر بن عبدالعزيز لحنَه:

عَلِقَ القلبُ سُعَادا ... عادتِ القلبَ فعادا

كلّما عُوتِبَ فيها ... أو نُهِي عنها تَمادَى

وهو مشغوف بسُعْدَى ... قد عصَى فيها وزادا

قال كَرْدَم: وكان عمر أحسنَ خَلْقِ الله صوتاً، وكان حسنَ القراءةِ للقرآن.

ونسختُ من كتاب ابن الكَرْنَبِيّ بخطّه حدّثني أحمد بن الفَتْح الحَجّاجيّ في مجلس حَمّاد بن إسحاق قال أخبرني أحمد بن الحسين قال:

رأيت عمر بن عبدالعزيز في النوم وعليه عِمامةٌ ورأيت الشَّجَّة في وجهه تدلّ على أنها ضربةُ حافرٍ، فسمعته يقول: قال عمر بن الخَطّاب: لا تُعلّموا نساءكم الخُلْع[١]. قال حدّثني محمد[٢] بن الحسين: فأقبلتُ عليه في نومي فقلت له: يا أمير المؤمنين، صوتٌ يزعمُ الناسُ أنك صنعتَه في شعر جرير:

ألِمّا صاحِبَيّ نَزُرْ سُعَادا ... لِوَشْكِ فِراقِها وذَرَا البِعادا

لَعَمْرُكَ إنّ نفعَ سُعَاد عنّي ... لمصروفٌ ونفعِي عن سعادا

إلى الفاروقِ يَنْتسِبُ ابنُ لَيْلَى ... ومَرْوانَ الذي رفعَ العِمادا

فتبسّم عمر ولم يردّ عليّ شيئاً.

/ نسبة هذين الصوتين [٩/٢٥٣]

صوت

ألِمّا صاحِبَيّ نَزُرْ سُعادا ... لِوَشْكِ فِراقِها وذَرَا البِعادا

/ لَعَمْرُكَ إنّ نفعَ سعادَ عنّي ... لمصروفٌ ونفعي عن سعادا

(١) الخلع: تطليق المرأة ببذل منها للزوج.

(٢) كذا في الأصول. ولعل صوابه «أحمد بن الحسين».

إلـى الفـاروقِ يَنتسـبُ ابـنُ لَيْلَـى ومـروانَ الـذي رفـع العِمـادا

الشعر لجرير يمدح عمر بن عبدالعزيز بن مروان. والغناء لعمر بن عبدالعزيز ثقيلٌ أوّلُ مطلَق في مجرى البِنصر. وفيه خَفيفُ ثقيلٍ يُنسب إلى مَعْبَد.

صـوت

عَلِـق القلـبُ سُعـادا عـادتِ القلـبَ فعـادا

كُلَّمـا عُـوتِـب فيهـا أو نُهِـي عنـا تَمـادى

وهـو مشغـوفٌ بسُعْـدَى قـد عصَـى فيهـا وزادا

الغناء لعمر بن عبدالعزيز خفيفُ ثقيلٍ. وفيه ثاني ثقيلٍ يُنسب إلى الهُذَلِيّ.



/ ذكر عمر بن عبد العزيز وشيء من أخباره [٩/٢٥٤]

هو أشج بني مروان:

عمرُ بن عبدالعزيز مَرْوان بن الحَكَم بن أبي العاصِي بن أُمَيّة بن عبد شمس بن عبد مَناف. ويُكْنَى أبا حَفْص. وأُمُّه أُمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخَطّاب رضي الله عنه. وكان يقال له أَشَجُّ قريشٍ؛ لأنه كان في جبهته أثر يقال إنه ضربة حافرٍ. فذكر يحيى بن سعيد الأَمَويّ عن أبيه أن عبدالملك بن مروان كان يُؤْثِر عمر بن عبدالعزيز ويَرِقُّ عليه ويُدْنِيه، وإذا دخل عليه رفَعه فوق ولده جميعاً إلاّ الوليدَ. فعاتبه بعضُ بَنِيه على ذلك، فقال له: أوَ ما تَعْلم لِمَ فعلتُ ذلك؟ قال لا. قال: إن هذا سَيِلي الخلافةَ يوماً وهو أَشَجُّ بني مَرْوان الذي يملأ الأرض عدلاً بعد أن تُمْلأ جَوْراً، فمالي لا أُحبُّه وأُدْنِيه!.

أخبرني محمد بن يزيد قال حدّثنا الرِّياشيّ قال حدّثنا سالم بن عَجْلان قال:

خرج عمر بن عبدالعزيز يلعب فرمحَتْه بغلة على جبينه. فبلَغ الخبرُ أُمّه أُمَّ عاصم، فخرجتْ في خَدَمِها، وأقبل عبدالعزيز بن مروان إليها فقالت: أمّا الكبير فيُخْدَم، وأمّا الصغير فيُكْرَم، وأما الوَسَطُ فيَضيع! لِمَ لا تتخذ لابني حاضِناً حتى أصابه ما ترى! فجعل عبدُالعزيز يمسَح الدَّمَ عن وجهه، ثم نظر إليها وقال لها: وَيْحَكِ! إن كان أَشَجَّ بني مَرْوان، أو أَشَجَّ بني أُميّة، إنه لسَعيدا.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن أحمد المُقَدَّميّ قال حدّثنا عُبيدالله بن سعد الزُّهريّ قال حدّثنا هارون بن معروف قال حدّثنا ضَمْرة قال سمعت ثَرْوانَ مولى عمرَ بنِ عبدالعزيز قال:

/ دخل عمر بن عبدالعزيز وهو غلام إصطبلَ أبيه، فضربه فرس على وجهه، فأُتِيَ به أبوه يُحمَل. فجعل أبوه [٩/٢٥٥] يمسَح الدمَ عن وجهه ويقول: لئنْ كنتَ أَشَجَّ بني أمية إنك لسعيد.

أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب:

حدّثنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال حدّثنا مُصْعَب الزُّبَيْريّ قال:

كانت بنتٌ لعُبيدالله بن عمر بن الخَطّاب تحت إبراهيم بن نُعَيْم النَّحّام فماتت، فأخذ عاصمُ بن عمر بيده فأدخله منزلَه، وأخرج إليه ابنتيه حَفْصةَ وأُمَّ عاصم، فقال له: اخْتَرْ فاختار حفصة فزوّجها إياه. فقيل له: تركتَ أُمَّ عاصم وهي أجملهُما! فقال: رأيت جاريةً رائعة، وبلغني أن آل مروان ذكروها فقلت: علَّهم أن يُصيبوا من / دنياهم. $\frac{١٥٢}{٨}$ فتزوّجها عبدالعزيز بن مروان، فولدت له أبا بكر وعمر وكانت عنده. وقُتل إبراهيم بن نُعَيم يوم الحَرَّة. وماتت أمُّ عاصم عند عبدالعزيز بن مروان؛ فتزوج أختها حَفْصةَ بعدها، فحُملت إليه بمصر؛ فمرّت بأَيْلَةَ[1] وبها مخنَّث أو

(١) أيلة: هي المعروفة الآن باسم «العقبة» وهي التي تقع على نهاية الساحل الشرقي لخليج العقبة. وكانت قديماً تابعة لمصر، وهي الآن من بلاد إمارة شرق الأردن.

معتوه وقد كان أَهْدَى لأُمِّ عاصم حين مرّت به فأثابته. فلمّا مرّتْ به حفصةُ أَهْدَى لها فلم تُثِبْه. فقال: «ليست حَفْصةُ من رجال أُمّ عاصم» فذهبتْ مثلاً.

لما ولي بدأ بأهل بيته وأخذ ما كان في أيديهم وسمى أعمالهم المظالم:

أخبرني أحمد بن عُبَيدالله بن عَمّار قال حدّثنا أبو بكر الرَّمَاديّ وسليمان بن أبي شَيْخ قالا حدّثنا أبو صالح كاتبُ اللَّيْث قال حدّثني الليث قال:

لمّا وَلِيَ عُمر بن عبدالعزيز، بدأ بلُحْمته[1] وأهلِ بيته، فأخذ ما كان في أيديهم وسمَّى أعمالَهم المظالمَ. [٢٥٦/٩] ففَزِعتْ بنو أُميّة إلى فاطمة بنت مَرْوان عمّته. فأرسلتْ / إليه: إنه قد عناني أمرٌ لا بدّ من لقائك فيه. فأتته ليلاً فأنزلها عن دابّتها. فلمّا أخذتْ مجلسَها قال: يا عَمَّة، أنتِ أولى بالكلام لأنّ الحاجة لكِ فتكلّمي. قالت: تكلّمْ يا أمير المؤمنين. فقال: إنّ الله تبارك وتعالى بعث محمداً ﷺ رحمةً، لم يبعثه عذاباً، إلى الناس كافّة، ثم آختار له ما عنده فقبَضه إليه، وترك لهم نهراً شِرْبُهم فيه سواء. ثم قام أبو بكر فترك النَّهرَ على حاله. ثم وَلِي عمرُ فعمِل على عمل صاحبه، فلما وَلِيَ عثمانُ آشتقّ من ذلك النهر نهراً. ثم وَلِيَ معاويةُ فَشقّ منه الأنهار. ثم لم يزل ذلك النهر يَشُقُّ منه يزيدُ ومروانُ وعبدالملك والوليد وسليمان حتى أَفْضَى الأمرُ إليّ، وقد يَبِسَ النهر الأعظم ولن يَرْوَى أصحابُ النهر حتى يعود إليهم النهرُ الأعظم إلى ما كان عليه. فقالت له: قد أردتَ كلامَك ومُذاكرتَك. فأمّا إذ كانت هذه مقالتَك فلستُ بذاكرةٍ لك شيئاً أبداً. ورجعتْ إليهم فأبلغتْهم كلامَه.

وقال سليمان بن أبي شَيْخ في خبره: فلمّا رجعتْ إلى بني أميّة قالت لهم: ذُوقُوا مَغَبّةَ أمرِكم في تزويجكم آلَ عمرَ بنِ الخطاب.

كثير والأحوص ونصيب عند عمر بن عبدالعزيز:

أخبرني محمد بن خَلَف وَكِيع قال أخبرني عبدالله بن دِينار مولى بني نصر بن مُعاوية قال حدّثنا محمد بن عبدالرحمن التَّيْميّ قال حدّثنا محمد بن عبدالرحمن بن سُهَيْل عن حَمّاد الراوية، وأخبرني محمد بن حسين الكِنْدي خطيبُ القادسيّة قال حدّثنا الرِّياشيّ قال حدّثنا شَيْبان بن مالك قال حدّثنا عبدالله بن إسماعيل الجَحْدَريّ عن حَمّاد الراوية، والروايتان متقاربتان وأكثر اللفظ للرِّيَاشي، قال:

دخلتُ المدينة ألتمس العلم، فكان أوّلَ مَنْ لقيتُ كثيِّر عَزّة. فقلت: يا أبا صَخْر، ما عندك من بضاعتي؟ [٢٥٧/٩] قال: عندي ما عند الأحوص ونُصَيْب. قلت: وما هو؟ / قال: هما أحقّ بإخبارك. فقلت له: إنّا لم نَحُثّ المَطِيَّ نحوَكم شهراً نطلب ما عندكم إلاّ ليبقى لكم ذكرٌ، وقلَّ مَنْ يفعل ذلك، فأخبِرْني عما سألتُك ليكون ما تُخبرني به حديثاً آخُذه عنك. فقال: إنه لمّا كان من أمر عمر بن عبدالعزيز ما كان، قَدِمتُ أنا ونُصَيْب والأحوصُ وكلُّ واحدٍ منا يُدِلُّ بسابقته عند عبدالعزيز وإخائه لعمر. فكان أوّلُ من لقِيَنا مَسْلَمةَ بن عبدالملك وهو يومئذٍ فتى العرب، وكلُّ واحد منّا ينظر في عِطْفَيْه لا يَشُكّ أنه شريك الخليفة في الخلافة، فأحسنَ ضيافتَنا وأكرم مَثْوانا، ثم قال: أمَا علمتم [١٥٣/٨] أن إمامكم لا يُعْطِي الشعراءَ شيئاً؟ قلنا: قد جئنا الآن، فوجِّه لنا في هذا الأمر / وَجْهاً. فقال: إن كان ذو دِينٍ من آل مروان قد وَلِيَ الخلافة فقد بقي ذوي دنياهم من يَقْضِي حوائجَكم ويفعل بكم ما أنتم له أهل. فأقمنا على بابه

---

(١) لحمته: قرابته.

أربعةَ أشهرٍ لا نصلُ إليه، وجعل مَسْلَمةُ يستأذن لنا فلا يُؤْذَن. فقلت: لو أتيتُ المسجدَ يومَ الجمعة فتحفَّظتُ من كلام عمرَ شيئاً!. فأتيت المسجد فأنا أوّل مَنْ حفظ كلامه، سمعته يقول في خطبة له: لكل سَفَرٍ زادٌ لا محالة، فتزوّدوا من الدنيا إلى الآخرة التَّقْوَى، وكونوا كمن عاينَ ما أعدَّ اللهُ له من ثوابه وعقابه، فعمِل طلباً لهذا وخوفاً من هذا. ولا يَطُولَنّ عليكم الأمَدُ فتَقْسُوَ قلوبكم، وتنقادوا لعدوِّكم. وٱعلموا أنه إنما يطمئنّ بالدنيا من وَثِق بالنّجاة من عذاب الله في الآخرة. فأما من لا يُداوي جُرْحاً إلاّ أصابه جُرْحٌ من ناحيةٍ أخرى، فكيف يطمئنّ بالدنيا! أعوذ بالله أن آمُرَكم بما أَنْهَى نفسي عنه فتَخسَرَ صَفْقتي، وتَبْدُوَ عَيْلتي، وتظهرَ مَسْكَنتي يومَ لا يَنْفع فيه إلاّ الحقُّ والصدق. فٱرْتَجَّ المسجدُ بالبكاء، وبكى عمر حتى بَلَّ ثوبُه، حتى ظننّا أنه قاضٍ نَحْبَه. فبلغتُ إلى صاحبيَّ فقلت: جَدِّدا لعمر من الشِّعر غيرَ ما أعددناه، فليس الرجلُ بدُنْيويّ. ثم إن مَسْلَمة ٱستأذن لنا يومَ جُمُعة بعد ما أُذن للعامّة. فدخلنا فسلّمنا عليه بالخلافة فردَّ علينا. فقلت له: / يا أميرَ المؤمنين، طال الثَّوَاء وقَلّتِ الفائدة وتحدّثتْ بجفائك إيانّا وفودُ [٩/٢٥٨] العرب. فقال: يا كثيِّر، أمَا سمعتَ إلى قول الله عزّ وجلّ في كتابه ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أفمِنْ هؤلاء أنت؟ فقلت له وأنا ضاحك: أنا ٱبن سبيلٍ ومُنْقَطِعٌ به. قال: أولستَ ضيفَ أبي سعيد؟ قلت بَلَى. قال: ما أحسَب مَنْ كان ضيفَ أبي سعيد ٱبنَ سبيلٍ ولا مُنْقَطَعاً به. ثم ٱستأذنتُه في الإنشاد، فقال: قل ولا تقل إلاّ حقاً؛ فإنّ الله سائلك. فقلت:

وَلِيتَ فلم تَشْتُم عليّاً ولم تُخِفْ ... بَرِيّاً ولم تتبَع مقالةَ مُجْرِمِ
وقلتَ فصدَّقتَ الذي قلتَ بالذي ... فعلتَ، فأضْحَى راضياً كلُّ مسلم
ألاَ إنّما يَكْفِي الفتى بعد زَيْغه ... من الأوَدِ الباقي ثِقَافُ المُقَوِّمِ
لقد لبِستَ لُبْسَ الهَلُوكِ ثيابَها[١] ... وأبدتْ لك الدنيا بكفٍّ ومِعْصَم
وتُومِضُ أحياناً بعينٍ مَريضةٍ ... وتَبسِمُ عن مثل الجُمانِ المنظَّم
فأعرضتَ عنها مشمئزاً كأنما ... سَقتْك مَدُوفاً[٢] من سِمامٍ وعَلْقَم
وقد كنتَ من أجبالها في مُمَنَّعٍ ... ومن بحرها في مُزْبِدِ الموج مُفْعَم
وما زلتَ سبّاقاً إلى كلّ غايةٍ ... صعِدتَ بها أعلى البناء المقدَّم
فلما أتاك الملكُ عَفْواً ولم يكن ... لطالبِ دنيا بعده مِن تكلُّم
تركتَ الذي يَفْنَى وإن كان مُونِقاً ... وآثرتَ ما يبقى برأيٍ مصمِّم
فأضررْتَ بالفاني وشمَّرتَ للذي ... أمامَك في يومٍ من الهَوْلِ مُظلِم
ومالك أن كنتَ الخليفةَ مانعٌ ... سوى الله من مالٍ رَغيبٍ ولا دمِ
/ سَمَا لكَ همٌّ في الفؤاد مؤرِّقٌ ... صَعِدتَ به أعلى المعالي بسُلَّم [٩/٢٥٩]

(١) الهلوك من النساء: الفاجرة المتساقطة على الرجال. وفي الأصول: «لبس الملوك بيابها». وظاهر «أنه تحريف».

(٢) مدوفاً: مخلوطاً. وأكثر ما يستعمل هذا اللفظ في الدواء والطيب. والسمام: السم.

١٥٤/٨

/ فما بين شرق الأرض والغرب كلِّها مُنَادٍ ينادِي من فصيح وأعجم
يقول: أميرَ المؤمنين ظلمتَني بأخذٍ لدينارٍ ولا أخذِ درهم
ولا بسطِ كَفٌّ لامرىءٍ ظالمٍ له ولا السفكِ منه ظالماً مِلْءَ مِحْجَم
فلو يستطيع المسلمون تقسَّموا لك الشَّطْرَ من أعمارهم غيرَ نُدَّم
فعِشْتَ به ما حجَّ لله راكبٌ مُغِذٌّ مُطِيفٌ بالمقام وزَمْزَم
فأَرْبِحْ بها من صَفْقةٍ لمُبايِع وأعْظِمْ بها أعْظِمْ بها ثم أعْظِم

فقال لي: يا كثيِّر، إن الله سائلك عن كل ما قلتَ. ثم تقدّم إليه الأحوص فأستأذنه فقال: قل ولا تقل إلّا حقّاً؛ فإن الله سائلك. فأنشده:

وما الشعرُ إلّا خطبةٌ من مؤلِّفٍ بمنطقِ حقٍّ أو بمنطقِ باطلِ
فلا تَقْبَلَنْ إلّا الذي وافق الرِّضا ولا تَرْجِعَنَّا كالنساء الأراملِ
رأيناك لم تَعْدِل عن الحقّ يَمْنةً ولا يَسْرةً فعلَ الظَّلومِ المُجادِلِ
ولكن أخذتَ القَصْدَ جهدَك كلَّه وتَقْفُو مثالَ الصالحين الأوائلِ
فقلنا ولم نكذِبْ بمَا قد بَدَا لنا ومَنْ ذا يَرُدُّ الحقَّ من قول عاذلِ
ومَنْ ذا يردُّ السَّهمَ بعد مُروقِه[1] على فُوقِه إن عارَ[2] من نَزْع نابِلِ
ولولا الذي قد عوّدتْنا خلائفٌ غَطَارِيفُ كانت كالليوث البواسلِ
لَمَا وخَدَتْ شهراً بَرحْلِيَ جَسْرةٌ تَفُلُّ مُتُونَ البِيدِ بين الرَّواحلِ
ولكن رجَوْنا منك مثلَ الذي به صُرِفنا قديماً من ذويكَ الأفاضلِ

[٢٦٠/٩] / فإن لم يكن للشعر عندك موضعٌ وإن كان مثلَ الدُّرِّ من قول قائلِ
وكان مُصيباً صادقاً لا يَعيبه سِوَى أنه يُبْنَى بناءَ المنازلِ
فإنّ لنا قُرْبَى ومَحْضَ مَوَدّةٍ وميراثَ آباءٍ مَشَوْا بالمَناصلِ
فذادُوا عدوَّ السِّلْم عن عُقْر دارهم وأرْسَوْا عَمُودَ الدِّين بعد تَمايُلِ
فقبلَك ما أعطَى الهُنَيدةَ[3] جِلّةً على الشعر كَعْباً من سَديسٍ وبازلِ
رسولُ الإلٰه المصطفَى بنُبُوّةٍ عليه سلامٌ بالضُّحَى والأصائلِ[4]

---

(١) كذا في أ. وفي سائر الأصول: «صدوفه» وهو تحريف.

(٢) السهم العائر: «الذي لا يدري من أين أتى. وانشد أبو عبيده:

أخشى على وجهك يا أمير عوائراً من جندل تعير

وفي الأصول: «عاد» بالدال وهو تحريف.

(٣) هنيدة: اسم للمائة من الإبل خاصة، وقيل اسم للمائة من الإبل وغيرها. ويريد بكعب كعب بن زهير. والسديس من الإبل ما دخل في السنة الثامنة. والبازل الذي فطر نابه أي أنشق، وذلك في السنة التاسعة.

(٤) المعروف المحفوظ في كتب السير أن رسول الله ﷺ لما أنشده كعب بن زهير قصيدته اللامية «بانت سعاد» ووصل فيها إلى قوله: =

فكلّ الذي عدّدتُ يَكْفيكَ بعضُه ونَيْلُك خيرٌ من بحور السوائل

فقال له عمر: يا أحوصُ، إنّ الله سائلُك عن كلّ ما قلت. ثم تقدّم إليه نُصَيْب فاستأذن في الإنشاد، فأبى أن يأذَن له وغضِب غضباً شديداً، وأمره باللّحَاق بدَابِق[1]. وأمر لي وللأحوص لكلّ واحد بمائة وخمسين درهماً.

وقال الرِّياشِيّ في خبره: فقال لنا: ما عندي ما أُعطيكم، فانتظروا حتى يَخْرُجَ عطائي فأُواسيكم منه. فانتظرنا حتى خرج، فأمر لي وللأحوص بثلثمائة درهم، وأمر لنصيب بمائة وخمسين درهماً. فما رأيت أعظمَ بركةً من الثلاثِ المائةِ التي أعطاني، إبتعتُ بها وَصيفةً فعلّمتُها الغِناء فبعتُها بألفِ دينار.

خبر دكين الراجز معه:

أخبرني عمّي عبدالعزيز بن أحمد قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المَدائنيّ قال:

/ قال دُكَيْنٌ / الراجز: إمتدحتُ عمرَ بن عبدالعزيز وهو والي المدينة، فأمر لي بخمسَ عشرةَ ناقةً كرائمَ، فكرهتُ أن أرْمِيَ بهنّ الفجاج، ولم تَطِبْ نفسي ببيعهنّ. فقدِمتْ علينا رُفْقةٌ من مصر، فسألتُهم الصُّحْبةَ، فقالوا: ذاك إليك، ونحن نخرج الليلةَ، فأتيتُه فودّعتُه وعنده شيخان لا أعرفهما. فقال لي: يا دُكَيْنُ، إن لي نفساً تَوّاقة، فإن صِرْتُ إلى أكثر مما أنا فيه فأتِني ولك الإحسان. قلت: أشهِدْ لي بذلك. قال: أُشهِدُ اللهَ به. قلت: ومِنْ خَلْقِه؟ قال: هذين الشيخين. فأقبلتُ على أحدهما فقلت: من أنت أعرِفك؟ قال: سالم بن عبدالله بن عمر. فقلت له: لقد أستسمنت الشاهد. وقلت للآخر: من أنت؟ قال: أبو يحيى مولى الأمير. فخرجتُ إلى بلدي بهنّ، فرمَى الله في أذنابهنّ بالبَرَكةِ حتى أعتقدتُ[2] منهن الإبلَ والعَبِيد. فإنّي لبصَحْراء فَلْج[3] إذا ناعٍ يَنْعَى سليمانَ. قلت: فمن القائمُ بعده؟ قال: عمرُ بن عبدالعزيز. فتوجّهتُ نحوَه، فلقِيني جريرٌ منصرفاً من عنده. فقلت: يا أبا حَزْرة، من أين؟ فقال: من عند من يُعطِي الفقراء، ويمنع الشعراء. فانطلقتُ فإذا هو في عَرْصة دار وقد أحاط الناسُ به، فلم أخلُص إليه فناديتُ:

[٩/٢٦١ ١٥٥/٨]

يا عُمَرَ الخيراتِ والمَكارمِ وعُمَرَ الدَّسائعِ[4] العظائمِ

إنّي أمرؤٌ من قَطَنِ بنِ دارمِ طلبتُ دَيْني من أخي مَكَارِمِ

إذ تَنْتَجِي والليلُ غيرُ نائمِ[5] عند أبي يَحْيَى وعند سالمِ

فقام أبو يحيى فقال: يا أمير المؤمنين، لهذا البدوي عندي شهادة عليك، فقال: أعرفُها؛ أُدْنُ يا دُكَين، أنا كما ذكرتُ لك، إن نفسي لم تنل شيئاً قطُّ إلاّ تاقت / لما هو فوقه، وقد نلتُ غايةَ الدنيا فنفسي تَتُوق إلى الآخرة، والله

[٩/٢٦٢]

= إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

ألقى عليه بردة كانت عليه، بذل له فيها معاوية عشرة آلاف درهم، فقال: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله ﷺ أحداً. فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفاً فأخذها منهم.

(١) دابق: قرية قرب حلب بينها وبين حلب أربعة فراسخ.

(٢) اعتقد الشيء: اشتراه أو اقتناه.

(٣) فلج: واد بين البصرة وحمى ضرية.

(٤) الدسائع: الشمائل أو العطايا.

(٥) كذا في «العقد الفريد»: وفي الأصول: إذا تنتجي والله غير نائم.

ما رَزَأْتُ من أموال الناس شيئاً، ولا عندي إلا ألف درهم، فخذ نصفَها. قال: فوالله ما رأيت ألفاً كان أعظمَ بركةً منه. قال: ودُكَين الذي يقول:

إذا المرءُ يَدْنَسْ من اللُّؤم عِرْضُه ... فكلُّ رداءٍ يَرتَديه جميلُ

وإن هو لم يَرْفَع عن اللؤم نفسَه ... فليس إلى حُسْنِ الثَّناء سبيلُ[1]

زهده بعد أن ولي الخلافة:

أخبرني الحَرَميّ عن الزُّبَير عن هارون بن صالح عن أبيه قال:

كنّا نعطي الغَسّال الدراهمَ الكثيرةَ حتى يَغسِلَ ثيابَنا في أثر ثياب عمر بن عبدالعزيز من كثرة الطِّيب فيها يعني المِسْكَ. قال: ثم رأيت ثيابَه بعد ذلك وقد وَلِيَ الخلافةَ فرأيتُ غيرَ ما كنتُ أعرف.

حبه آل البيت:

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ عن نافع بن أبي نُعَيْم قال:

قدِم عبدالله بن الحسن بن الحسن على عمر بن عبدالعزيز فقال: إنك لا تُغْنِم أهلَك شيئاً خيراً من نفسك فارجِعْ، وأتبَعه حوائجَه.

قال الرِّياشِيّ وحدّثنا نصر بن عليّ قال حدّثنا أبو أحمد محمد بن الزُّبَير الأسَديّ عن سعيد بن أبَان قال.

رأيت عمر بن عبدالعزيز آخذاً بُسرَّة عبدالله بن حسن وقال: أذْكُرْها عندك تَشْفَعْ لي يوم القيامة.

٢٦٣/٩] / حدّثني أبو عُبَيْد الصَّيْرَفيّ قال حدّثنا الفَضْل بن الحسن المصري قال حدّثنا عبدالله بن عمر القَوَاريريّ قال حدّثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أَبَان القُرَشيّ قال:

١٥٦/٨ دخل عبدالله بن حسن على عمر بن عبدالعزيز وهو حديث السِّنّ وله وَفْرة[2]، فرفَع مجلسَه وأقبل عليه / وقضَى حوائجَه، ثم أخذ عُكْنةً من عُكَنِه فغمَزها حتى أَوْجعه وقال له: أُذكُرْها عندك للشَّفَاعة. فلمّا خرج لامَه أهله وقالوا: فعلتَ هذا بغلام حديثِ السنّ! فقال: إن الثِّقةَ حدّثني حتى كأنّي أسمعه مِنْ في رسول الله ﷺ قال: «إنما فاطمةُ بَضْعةٌ منّي يسرُّني ما يسرُّها» وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حَيّة لسرَّها ما فعلتُ بأبنها. قالوا: فما معنى غَمْزِك بطنَه وقولِك ما قلتَ؟ قال: إنه ليس أحدٌ من بني هاشم إلاّ وله شفاعة، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا.

أكرم يزيد بن عيسى لأنه مولى عليّ:

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا عيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن عليّ قال أخبرني يزيد بن عيسى بن مُورِق قال:

كنت بالشام زمنَ وَلِيَ عمرُ بن عبدالعزيز، وكان بخُنَاصِرَةَ[3]، وكان يعطي الغرباءَ مائتيْ درهم. قال: فجئتُه

(١) المعروف أن هذين البيتين للسموءل بن عادياء اليهودي. ويروى، كما في «الحماسة والأمالي» لأبي علي القالي، صدر البيت الثاني:
وإن هو لم يحمل عن النفس ضيمها

(٢) الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس.

(٣) خناصرة: بليدة من أعمال حلب.

فَأَجِدُه متكئاً على إزار وكِساء من صوف. فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من أهل الحجاز. قال: من أيّهم؟ قلت: من أهل المدينة. قال: من أيّهم؟ قلت: من قريش. قال: من أيِّ قريش؟ قلت: من بني هاشم. قال: من أيِّ بني هاشم؟ قلت: مولى عليّ. قال: مَنْ عليٌّ؟ فسكتُّ. قال: مَنْ؟! فقلت: ابنُ أبي طالب. فجلس وطَرح الكِساء ثم وضع يده على صدره وقال: وأنا والله مَوْلَى عليّ، ثم قال: أَشْهَد على عددٍ ممّن أدرك النبيّ ﷺ / يقول: قال [٩/٢٦٤] رسول الله ﷺ: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه». أين مُزَاحِم[1]؟ كم تُعْطِي مثلَه؟ قال: مائتي درهم. قال: أعطِه خمسين ديناراً لولائه من عليّ. ثم قال: أفي فَرْضٍ أنت؟ قلت لا. قال: وأفْرِضْ له، ثم قال: اِلْحَقْ بلادَك فإنه سيأتيك إن شاء الله ما يأتي غيرَك.

سمى عمر بن علي نحله غلامه مورقا:

قال أبو زيد فحدّثني عيسى بن عبدالله قال حدّثني أبي عن أبيه قال قال أبي:

وُلِد لي غلامٌ يومَ قام عمر بن عبدالعزيز، فغدوتُ عليه فقلت له: وُلِد لي في هذه الليلة غلام. فقال لي: ممّن؟ قلت: من التَّغْلَبِيّة. قال: فهَبْ لي أسمَه. قلت نعم. قال: قد سمَّيتُه أسمي ونَحلتُه غُلامِي مُورِقاً، وكان نُوبِيّاً فأعتقه عمر بن عبدالعزيز بعد ذلك؛ فولدُه اليومَ مَوَالينا.

كان يكرم عبدالله بن الحسن:

أخبرني محمد بن العبّاس قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عيسى بن عبدالله قال أخبرني موسى بن عبدالله بن حسن عن أبيه قال:

كان عمر بن عبدالعزيز يراني إذا كانت لي حاجةٌ أتردّد إلى بابه. فقال لي: ألم أقلْ لك: إذا كانت لك حاجةٌ فأرفَعْ بها إليّ! فوالله إني لأستحي من الله أن يراك على بابي.

لم يفد من ولايته شيئاً وخلف ولده فقراء:

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرَانِيّ قال حدّثني العُمَرِيّ عن العُتْبِيّ عن أبيه قال:

لمّا حضرتْ عمرَ بن عبدالعزيز الوفاةُ جمع ولدَه حولَه، فلما رآهم أستعبَر ثم قال: بأبي وأُمّي من خلّفتهُم بعدي فقراء!. فقال له مَسْلَمة بن عبدالملك: يا أمير المؤمنين، فَتَعقَّبْ فعلَك وأَغْنِهم، فما يمنعك أحدٌ في حياتك ولا يرتجعُه الوالي بعدك. فنظر إليه نظرَ مُغْضَب متعجِّب فقال: يا مَسْلَمة، منعتُهم إيّاه في حياتي وأَشْقَى به/ بعد [٩/٢٦٥] وفاتي! إن ولدي بين رجلين: إمّا مطيع لله فالله مُصلحٌ له شأنه ورازقُه ما يكْفِيه، أو عاصٍ له فما كنتُ لأُعِينَه على معصيته. يا مَسْلَمة، إني حضرتُ أباكَ لمّا دُفن فحملتْني عيني عند قبره فرأيته قد أفْضَى إلى أمرٍ من أمر الله راعَنِي وهالَنِي، فعاهدتُ الله ألاّ أعملَ بمثل عمله إن وَلِيتُ؛ وقد أجتهدتُ في ذلك طولَ حياتي، وأرجو أن أُفْضِيَ إلى عفوٍ من الله / وغُفران. قال مَسْلَمة: فلمّا دُفِن حضرتُ دفنَه، فما فُرِغ من شأنه حتى حملتْني عيني، فرأيته فيما يَرى ١٥٧/٨ النائم وهو في رَوْضةٍ خَضْراءَ نَضِرة فَيْحاء وأنهارٍ مُطَّرِدَةٍ وعليه ثيابٌ بِيضٌ؛ فأقبل عليّ فقال: يا مَسْلَمة، لمثل هذا فليعمَلِ العاملون. هذا أو نحوَه، فإن الحكاية تزيد أو تنقص.

(١) هو مزاحم بن أبي مزاحم مولى عمر بن عبدالعزيز.

رثاه مسلمة بن عبدالملك:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ عن يحيى بن سَعيد الأمَويّ قال:

لمّا مات عمر بن عبدالعزيز وقف مَسْلَمة عليه بعد أن أُدْرِج في كفنه فقال: رحمك الله يا أمير المؤمنين! فقد أورثْتَ صالحينا بك اقتداءً وهُدًى، وملأتَ قلوبَنا بمواعظك وذكرِك خَشْيةً وتُقًى، وأثَّلْتَ لنا بفضلك شرفاً وفخراً، وأبقيتَ لنا في الصالحين بعدَك ذِكْراً.

كتابه إلى أسارى قسطنطينية:

أخبرني الحسن قال أخبرنا الغَلابيُّ عن ابن عائشة عن أبيه:

أنّ عمر بن عبدالعزيز كتب إلى الأسَارَى بِقُسْطَنْطِينيّة: أمّا بعدُ، فإنكم تَعُدُّون أنفسكم أسارَى ولستم أسارَى. معاذَ الله! أنتم الحُبَساء في سبيل الله. واعلموا أنّي لستُ أَقْسِم شيئاً بين رعيّتي إلاّ خَصَصْتُ أهلَكم بأوفرِ ذلك وأطيبِه. وقد بعثتُ إليكم خمسةَ دنانير، خمسة دنانير. ولولا أنّي خَشيتُ إن زدتكُم أن يَحبسه عنكم / طاغيةُ الرُّوم لزدْتُكم. وقد بعثتُ إليكم فلانَ بن فلان يُفادِي صغيرَكم وكبيرَكم، ذَكَرَكم وأُنثاكم، حُرَّكم ومملوكَكم بما يسأل، فأَبْشِروا ثم أَبْشِروا. [٩/٢٦٦]

كتاب الحسن البصري له ورده عليه:

أخبرني أحمد بن عُبيدالله بن عَمّار وأحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عبدالله بن مُسْلِم قال زعَم لنا سليمانُ بن أَرْقَم قال:

كتب الحسن البصريّ إلى عمر بن عبدالعزيز، وكان يكاتبه، فلما استُخْلِف كتب إليه: «من الحسن البصريّ إلى عمر بن عبدالعزيز». فقيل له: إن الرجل قد وَلِيَ وتغيّر. فقال: لو علمتُ أنّ غير ذلك أَحَبُّ إليه لاتَّبَعْتُ محبّته. ثم كتب: «من الحسن بن أبي الحسن إلى عمر بن عبدالعزيز. أما بعد، فكأنك بالدنيا لم تكن، وكأنك بالآخرة لم تَزَلْ». قال: فمضيتُ إليه بالكتاب فقدِمت عليه به. فإني عنده أتوقّع الجواب إذ خرج يوماً غير يوم جُمُعة حتى صَعِد المنبرَ واجتمع الناس. فلما كثُروا قام فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها النّاس، إنكم في أسلاب الماضين، وسيَرِثُكم الباقون حتى تصيروا إلى خير الوارثين. كلَّ يومٍ تجهِّزون غادياً إلى الله ورائحاً، قد حضر أجلُه، وطُوِي عملُه، وعاين الحساب، وخلع الأسلاب، وسكن التراب، ثم تَدَعونه غيرَ مُوَسَّد ولا مُمَهَّد. ثم وضع يديه على وجهه فبكى مَلِيّاً ثم رفعهما فقال: يأيّها الناس، مَنْ وصل إلينا منكم بحاجته لم نَألُه خيراً، ومَنْ عَجز فوالله لَوَدِدتُ أنه وآلَ عمر في العجز سواء. قال: ثم نزل. فأرسل إليّ فدخلتُ إليه؛ فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم. أمّا بعدُ، فإنك لستَ بأوّل مَنْ كُتِب عليه الموت، وقد مات. والسلام».

آخر خطبة له:

أخبرني ابن عَمّار قال حدّثني سليمان بن أبي شَيْخ قال حدّثنا أبو مُطَرِّف المُغِيرة بن مُطَرِّف عن شُعَيب بن صَفْوان عن أبيه:

[٩/٢٦٧] / أنّ عمر بن عبدالعزيز خطب بخُنَاصِرَةَ خطبةً لم يخطُب بعدها، حَمِد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس،

إنكم لم تُخلَقوا عبثاً ولم تُتركوا سُدًى؛ وإن لكم مَعاداً يتولّى الله فيه الحكم فيكم والفصلَ بينكم، / فخاب وخسر ١٥٨/٨ من خرج من رحمة الله التي وَسِعَتْ كلَّ شيء، وحُرِم الجنّةَ التي عَرْضُها السماواتُ والأرضُ. وٱعلموا أنّ الأمان غَداً لمن حَذِر اللهَ وخافه، وباع قليلاً بكثير، ونافداً بباق، وخوفاً بأمانٍ. ألاَ تَرَوْنَ أنكم في أسلاب الهالكين وسيَخْلُفها من بعدكم الباقون، وكذلك حتى تُرَدُّوا إلى خير الوارثين. ثم إنكم في كلّ يوم وليلة تُشيِّعون غادياً إلى الله ورائحاً، قد قضى نَحْبَه، وٱنقضى أجلُه، ثم تضعونه في صَدْعٍ من الأرض في بطن لَحْد، ثم تَدَعُونه غيرَ موسَّدٍ ولا ممهَّد، قد خلَع الأسلاب، وفارق الأحباب، ووجّه للحساب، غنيّاً عمّا ترَك، فقيراً إلى ما قدّم. وٱيْمُ اللهِ إني لأقول لكم هذه المقالةَ ولا أعلم عند أحدٍ منكم أكثر مما عندي، وأستغفر الله لي ولكم. وما يُبلغنا أحدٌ منكم حاجتَه يسعها ما عندنا إلا سَدَدْنا من حاجته ما قَدَرنا عليه، ولا أحدٌ يتّسع له ما عندنا إلا وَدِدتُ أنه بُدِىء بي وبلُحْمَتي الذين يَلُونني حتى يستويَ عيشُنا وعيشُكم. وٱيْمُ الله لو أردتُ غيرَ هذا من عيش أو غَضَارة لكان اللسانُ به منّي ناطقاً ذلولاً عالماً بأسبابه، ولكنه من الله عزّ وجلّ كتابٌ ناطق، وسُنّةٌ عادلة، دَلّ فيهما على طاعته ونهَى فيهما عن معصيته. ثم بكى فتلقّى دموعَه بطَرَف ردائه؛ ثم نزل فلم يُرَ على تلك الأعواد بعدُ حتى قبَضه اللهُ إليه. رحمه الله عليه.

اشترى موضع قبره بعشرة دنانير:

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني أبو سَلَمة المَدينيّ. عن إبراهيم بن مَيْسَرة: أن عمر بن عبدالعزيز اشترى موضع قبره بعشرة دنانير.



/ وفاته: [٩/ ٢٦٨]

أخبرني اليَزيديّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني أبو سَلَمة المَدينيّ قال أخبرني ٱبن مَسْلَمةَ بنِ عبدالملك قال حدّثني أبي مَسْلَمةُ قال:

كنّا عند عمر في اليوم الذي تُوُفِّي فيه أنا وفاطمةُ بنت عبدالملك؛ فقلنا له: يا أمير المؤمنين، إنّا نرى أنّا قد منعناك النَّومَ، فلو تأخّرنا عنك شيئاً عسى أن تنام! قال: ما أُبالي لو فعلتما. قال: فتنحّيتُ أنا وهي وبيننا وبينه سِتْر. قال: فما نَشِبْنا أن سمعناه يقول: حَيَّ الوجوهَ حَيَّ الوجوهَ. فٱبتدرْناه أنا وهي فجئناه وقد أُغمِض ميّتاً، فإذا هاتفٌ يهتِف في البيت لا نراه: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

من أصواته في سعاد:

ومن أصوات عمر في سعاد

صوت

أَلاَ يا دِينَ قلبُك من سُلَيْمَى ... كما قد دِينَ قلبُك من سُعَادَا

هما سَبَتَا الفؤادَ وأَصْبَتَاه ... ولم يُدرِك بذلك ما أرادا

قِفَا نَعْرِف منازلَ من سُلَيْمَى ... دَوَارِسَ بين حَوْمَلَ أو عُرَادَا[1]

(١) عراد: جبل.

ذكــرتُ بهــا الشّبــابَ وآلَ ليلَــى فلــم يَــرِدِ الشبــابُ بهــا مَــرادا
فــإن تَشِــبِ الــذُّؤابــةُ أمَّ زيــدٍ فقــد لاقيــتُ أيّــامــاً شِــدادا

عروضه من الوافر. الشعر لأشْهَبَ بنِ رُمَيْلة فيما ذكر ابن الأعرابيّ وأبو عمرو الشَّيباني. وحكى ابن الأعرابيّ أنه سمع بعض بني ضَبّة يذكر أنها لابن أبي رُمَيْلة الضَّبّيّ. والغناء لعمر / بن عبدالعزيز رَمَلٌ بالوسطى عن الهِشاميّ وحَبَشٍ وغيرِهما. وفي نسخة عمرو بن بانة الثانية: لخَزْرَجٍ رَمَلٌ بالبنصر.

١٥٩/٨



/ نسب الأشهب بن رُمَيلة وأخباره [٩/٢٦٩]

نسبه:

رُمَيْلة أُمُّه، وهي أَمَةٌ لخالد بن مالك بن رِبْعِيّ بن سَلْمَى بن جَنْدَل بن نَهْشَل بـن دَارِم بن عمرو بن تَمِيم. وهو الأشهب بن ثَوْر بن أبي حارثة بنِ عبدالدار بن جَنْدَل بن نَهْشَل بن دارِم في النَّسَب. قال أبو عمرو: وولدُها يزعمون أنها كانت سبيّةً من سَبَايا العرب، فولدتْ لثور بن أبي حارِثة أربعةَ نفر، وهم رَبَاب، وحَجْنَاء، والأَشْهَب، وسُوَيْد.

إخوته وعزّهم في الجاهلية والإسلام:

فكانوا من أشدّ إخوةٍ في العرب لساناً ويداً، وأمنعِهم جانباً. وكثُرت أموالهم في الإسلام. وكان أبوهم ثَوْرٌ ابتاع رُمَيلةَ في الجاهليّة، وولدتْهم في الجاهليّة، فعَزُّوا عِزّاً عظيماً، حتى كانوا إذا ورَدوا ماءً من مياه الصَّمّان[١] حظَروا على الناس ما يريدون منه. وكانت لرُمَيْلة قَطِيفةٌ حمراء، فكانوا يأخذون الهُدْبَ من تلك القطيفة فيُلقونه على الماء، أي قد سبقْنا إلى هذا، فلا يَرِدُه أحدٌ لعزّهم، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه ويَدَعون ما يستغنُون عنه.

يوم الصمان بينهم وبين أبناء عمومتهم:

فورَدوا في بعض السنين ماءً من مياه الصَّمّان وورَد معهم ناسٌ من بني قطن بن نَهْشَل. وكانت بنو قطن بن نهشل وبنو زيد بن نهشل وبنو مَنَاف بن درام حُلفاءَ. وكانت الأعجازُ حُلفاءَ عليهم، وهم جَنْدَل وجَرْوَل وصَخْر بنو نهشل. فأورد بعضُهم بعيرَه فأشرعه حوضاً قد حظَروا عليه. وبلَغهم ذلك فغضِبوا منه وأجتمعوا وأحلافُهم، وأجتمعت الأحلافُ عليهم، فأقتتلوا قتالاً شديداً، فضرب رَبَابُ بـن رُمَيلة رأسَ نُسَيْر بن صُبَيْح المعروف بأبي بَدَّال، وأمُّه بنتُ أبي الحُمَام بن قُرَاد بـن مَخزوم. وقال رَبَاب في ذلك:

[٩/٢٧٠] / ضَربتُه عَشِيَّةَ الهِلالِ ... أوّلَ يومِ عُدَّ من شوّالِ

ضرباً على رأس أبي بَدّال ... ثُمّتَ ما أُبْتُ ولا أُبالِي

أَلّا يؤوبَ آخرَ اللّيالِي

فجمع كلُّ واحد منهما لصاحبه. فقالت بنو قَطَن: يا بني جَرْوَل ويا بني صَخْر ويا بني مَنَاف[٢]، ضرب صاحبُكم صاحبَنا ضربةً لا نَدْري أيموتُ منها أم يعيش، فأنْصِفونا؛ فأبى القومُ أن يفعلوا؛ فأقتتلوا يومَهم ذلك إلى الليل. وكان أُبَيّ بـن أُشَيْمَ أخو بني جَرْوَل وهو سيّدهم خرج في حاجة له، فلقِيه بعض بني قَطَن فأسَره وأتى به أصحابَه. فقال نَهْشَل[٣] بن حَرِّيّ: يا بني قطَن، أطيعوني اليوم وأعصوني أبداً. قالوا: نعم، فقلْ. فقال: إن هذا لم يشهد

(١) الصمان: جبل في أرض تميم.

(٢) يلاحظ أن بني مناف ليسوا حلفاء لبني جرول وبني صخر، وإنما هم حلفاء بني قطن بن نهشل وبني زيد بن نهشل.

(٣) هو نهشل بن حريّ بن ضمرة، كان شاعراً وهو القائل:

شرّكم ولا حربَكم، ولا يَحِلُّ لكم دمُه، وإنّ قومه أحرُّ مَنْ يقاتلكم وشَوْكتُهم؛ فخذوا عليه العهد أن يصرفهم عنكم وخلُّوا سبيلَه. قالوا: اِفعَلْ ما رأيتَ. فأتاه نَهْشَل بن حَرِّيٍّ فقال له: يا أبا أسماء، إنّ قومك قد حالوا بيننا وبين حقّنا وقاتلوا دونه، وقد أمكننا اللهُ منك، وأنت والله أوْفَى دماً عندنا من بني رُمَيْلة، فوالله لأقتلنّك أو تُعطيَنّي ما أسألك. قال: سَلْ. قال: تَجْعَل أن تَصْرِفَ بني جَرْوَل جميعاً، فإن لم يطيعوك انصرفتَ ببني أَشْيَم، فإن لم يطيعوك أتيتَنا. قال نعمْ. فخلَّى سبيلَه / تحتَ الليل. فأتاهم وهم بحيث يَرى بعضهم بعضاً فقال: يا بني جَرْوَل انصرفوا؛ أتعترضون على قوم يريدون حقَّهم! ألاَ تتّقون الله! والله لقد أسَرني القوم ولو أرادوا قتلي لكان/ فيه وَفَاءٌ بحقِّهم، ولكنّهم يكرَهون حرْبَكم فلا تَبْغُوا عليهم. فانصرف منهم أكثرُ من سبعين رجلاً. فلما رأى ذلك بنو صخر وبنو جَرْوَل قالوا: والله إنا لنظلم[1] قومنا إن قاتلناهم؛ وانصرفوا، وتخاذل القومُ. فلما رأى ذلك الأشهبُ بن رُمَيْلة قال: وَيْلَكم! أفي ضربةٍ من عَصًا لم تصنع شيئاً تسفكون دماءكم! والله ما به من بأس، فأَعْطُوا قومَكم حقَّهم. فقال حَجْناء ورِبَاب: والله لتَنْصرِفنَّ فلنلحَقَنَّ بغيركم ولا نُعطِي ما بأيدينا. فجعل الأشهبُ بن رُمَيْلة يقول: وَيْلَكم! أتُخرِّبون دارَ قومكم في ضربة عصاً لم تبلُغ شيئاً!. فلم يزل بهم حتى جاءوا برِبَاب فدفعوه إلى بني قَطَن، وأخذوا منهم أبا بَدَّال وهو المضروب فمات في تلك الليلة في أيديهم؛ فكتَموه، وأرسلوا إلى عَبّاد بن مسعود، ومالك بن رِبْعِيّ، ومالك بن عَوْف، والقَعْقاع بن مَعْبد، فعَرضوا عليهم الدِّية. فقالوا: وما الدِّية وصاحبُنا حيّ! قالوا: فإن صاحبكم ليس بحيٍّ. فأَمْسكوا وقالوا: ننظر. ثم جاءوا إلى رِبَاب فقالوا: أَوْصِنا بما بدا لكَ. قال: دَعُوني أُصَلّي. قالوا: صَلِّ. فصلّى ركعتين ثم قال: أمَا والله إنّي إلى ربّي لذو حاجة، وما منعني أن أزيد في صلاتي إلا أن تَرَوْا أن ذلك فَرَقٌ من الموت، فلْيَضْرِبْني منكم رجلٌ شديد السّاعد حديدُ السيف. فدفعوه إلى أبي خُزَيْمة بن نُسَيْر المَكْنِيّ بأبي بَدّال فضرب عنقه، فدفنوه؛ وذلك في الفتنة بعد مقتل عثمان بن عَفّان. فقال الأشهب يرثي أخاه ويلوم نفسَه في دفعه إليهم لتسكُن الحرب:

أَعَيْنَـيَّ قَلَّـتْ عَبْـرةٌ مـن أخيكمـا ... بـأن تسهَـرا لَيـلَ التِّمـام وتَجْـزَعـا

وبـاكيـةٍ تَبْكـي الـرِّبـابَ وقـائـلٍ ... جـزَى اللهُ خيـراً مـا أعـفَّ وأمْنَعَـا

وأَضْـرَبَ فـي الهَيْجـا إذا حَمِـسَ الـوَغَى ... وأَطعَـمَ إذ أَمْسَـى المَـرَاضِيـعُ جُـوَّعـا

/ إذا مـا اعتـرضْنـا مـن أخينـا أخـاهُـم ... رَوِينـا ولـم نَشْـفِ الغَلِيـلَ فَيَنْقَعـا

قَـرَوْنـا دمـاً والضَّيْـفُ منتظِـرُ القِـرَى ... ودعـوةِ داعٍ قـد دعـانـا فـأسمعـا

مَـرَدْنـا[2] وكـانـت هفـوةً مـن حُلـومنـا ... بِثَـدْيِ إلـى أولاد ضَمْـرةَ أَقْطعـا

وقـد لامنِـي قـومـي ونفسـي تَلُـومُنـي ... بمـا فـال رأيـي فـي ربـابٍ وضَيَّعـا

= إنـا بنـي نهشـل لا نـدّعـي لأب ... عنـه ولا هـو بـالأبنـاء يشـرينـا
إن تبتـدر غـايـة يـومـا لمكـرمـة ... تلـق السـوابـق منـا والمصلينـا

(انظر ترجمته في «الشعر والشعراء» ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥).

(١) في أ، م: «لنضيع».

(٢) مرد الصبي ثدي أمه: مرسه.

فلـو كـان قلبـي مـن حـديـدٍ أذابَـه ولـو كـان مـن صُـمّ الصَّفَـا لتصـدَّعـا

مضى الحديث.

أصوات عمر في سعاد:

ونسختُ من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المَكّي عن أبيه قال: لِعمرَ بنِ عبد العزيز في سُعَادَ سبعةُ ألحان.

منها:

يـا سُعـادُ التـي سَبَتْنِـي فـؤادي ورُقَـادي هَبِـي لعينـي رُقَـادِي

ولحنُه رَمَلٌ مطلَق.

ومنها:

حـظُّ عينـي مـن سُعَـاد أبـداً طـولُ السُّهَـاد

ولحنه رَمَلٌ بالسبّابة في مجرى البِنصر.

ومنها:

سبحـان ربّـي بَـرا سُعـادَا لا تعـرف الـوصـلَ والـوداد

/ ولحنُه خفيفُ[1] رَمَلٍ.

١٦١/٨

/ ومنها:

[٢٧٣/٩]

لَعَمْري لئـن كـانـت سعـادُ هـي المُنَـى وجنّـةَ خُلْـد لا يُمَـلُّ خلـودُهـا

ولحنُه ثقيلٌ أوّل.

ومنها:

أسُعـادُ جُـودِي لا شَقِيـتِ سُعَـادا وأجْـزِي مُحِبَّـكِ رأفـةً ووِدادَا

ولحنُه خفيفُ رَمَلٍ.

ومنها:

ألِمَّا صاحبيَّ نَزُرْ سُعادَا

ومنها:

ألاَ يا دِينَ قلبُكَ من سُلَيْمَى

وقد ذكرتُ طريقتهما.

(١) في جـ: «خفيف ثقيل».

كان محدثاً وفقيهاً وراوياً:

وقد رُوي عن عمر بن عبدالعزيز حديثٌ كثيرٌ وفقهٌ، وحملَ عنه أهلُ العلم.

أخبرنا محمد بن جرير الطَّبَريّ قال حدّثنا عِمران بن بَكّار الكَلَاعيّ قال حدّثنا خالد بن عليّ قال حدّثنا بَقِيَّةُ بن الوليد عن مبشِّر بن إسماعيل عن بشر بن عمر بن عبدالعزيز عن أبيه عمر عن جدّه عبدالعزيز عن معاوية بن أبي سُفْيان قال:

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أحبَّ أن تَمْثُل له الرجالُ قِياماً فليتبوَّأْ مقعدَه من النار».

أخبرني محمد بن عِمْرانَ الصَّيْرفيّ وعمّي قالا حدّثنا العَنَزيُّ قال حدّثني وَزِير بن محمد أبو هاشم الغَسَّانيّ قال حدّثني محمد بن أيّوب بن سعيد السُّكَّريّ عن عمر بن عبدالعزيز عن أمّه عن أبيها عاصم بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب قال:

قال رسول الله ﷺ: «نِعْمَ الإدَامُ الخَلُّ».

[٩/ ٢٧٤] / غناء يزيد بن عبدالملك:

وممن حُكي عنه أنه صنَع في شعره غناءَ يزيدُ بن عبدالملك، ولم يأت ذلك بروايةٍ عمَّن يحصِّل قولُه كما حُكي عن عمر بن عبدالعزيز، وإنما وُجد في الكتب أنه صنَع لحناً في شعره، وذكَره من لا يُوثق به، ولم نَرْوِه عن أحد فلم نأت بأخباره ها هنا مشروحةً، وأتيت بها في أخباره مع حَبَابةَ بحيث يصلُح. وأما اللحن الذي ذُكر أنه صنعه فهو:

صوت

أبلِغْ حَبَابةَ أسْقَى رَبْعَهَا المطَرُ ... ما للفؤادِ سوى ذكراكُم وَطَرُ

إن سار صَحْبِيَ لم أمْلِكْ بذكرِكُم ... أو عَرَّسوا فهمومُ النفسِ والفِكَرُ

في هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ يقال إنه ليزيد بن عبدالملك. وذكر ابن المَكّيّ أنه لحبَابَة.

وحُكي عن الهَيْثم بن عَديّ أن يزيد بن عبدالملك لمّا رأى حَبَابَة تعلَّقها ولم يقدِر على أبتياعها خوفاً من أخيه سليمان أو من عمر بن عبدالعزيز، وقال فيها هذين البيتين وهو راحل عن الحجاز، وغنَّاه فيهما مَعْبد، فوصله بعد ذلك بما كان يُغنِيه، وأخذتْه حَبَابةُ وغيرُها عنه. وذكر الهِشاميّ أنه مما لا يُشَكّ فيه من غناء معبد. وقد مضت أخبار يزيد بن عبدالملك وحَبَابَةَ في صدر هذا الكتاب فاسْتُغْنِيَ عن إعادتها هنا.

غناء الوليد بن يزيد:

وممن غنَّى منهم الوليد بن يزيد:

وله أصوات صنَعها مشهورةٌ، وقد كان يَضْرِب بالعود ويُوقع بالطبل ويمشي بالدُّفّ على مذهب أهل الحجاز.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد عن القَطِرانيّ ١٦٢/٨ عن محمد بن جَبْر قال حدّثني مَنْ سمع خالدَ / صامةَ يقول:

[٩/ ٢٧٥] / كنت يوماً عند الوليد بن يزيد وأنا أغنّيه:

أَرانِي الله يا سَلْمَى حياتي

وهو يشرب حتى سَكِر. ثم قال لي: هات العودَ، فدفعتُه إليه، فغنّاه أحسنَ غناء؛ فنَفِسْتُ عليه إحسانَه، ودعوت بطبل فجعلت أُوقع عليه وهو يضرب حتى دفع العودَ وأخذ الطَّبْل فجعل يُوقع به أحسنَ إيقاع، ثم دعا بدُفٍّ فأخذه ومشى به وجعل يغنّي أهزاجَ طُوَيْس حتى قلت قد عاش، ثم جلس وقد انْبَهر. فقلت: يا سيِّدي، كنت أرى أنك تأخذ عنّا ونحن الآن نحتاج إلى الأخذ عنك! فقال: أسكت وَيْلَكَ! فوالله أن سمع هذا منك أحدٌ ما دمتُ حيّاً لأقتلنّك. فوالله ما حكيته عنه حتى قُتل.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرنا أبو أيُّوبَ المدِينيّ قال ذكَر أبو الحسن المَدائني أن يحيى مولى العَبَلات المعروف بفيل وهو الذي غنَّى:

أَزْرَى بنا أننا شالتْ نَعامتُنا

كان مقيماً بمكة. فلمّا قدِمها الوليد بن يزيد سأل عن أحسن الناس غِناءً وحكايةً لابن سُرَيج؛ فقيل له: فيل. فدعاه وقال له: امشِ لي بالدُّفّ، ففعل. ثم قال له الوليد: هاته حتى أمشي به، فإن أخطأتُ فقوِّمْني. فمشى به أحسنَ من مِشية فيل. فقال له يحيى: جُعلت فداءك! إيذَنْ لي حتى أختلفَ إليك لأتعلّم منك.

فمن مشهور صنعته في شعره:

وَصَفْـراءَ فـي الكـأس كـالـزعفـران ... سبـاهـا التُّجيبـيُّ مـن عَسْقَـلانْ

تُـريـكَ القَـذاةَ وعَـرْضَ الإنـاء ... سِتْـرٌ لهـا دون لَمْـسِ البَنـانْ

لحنه فيه خَفيفُ رَمَلٍ. وفيه لأبي كامل ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس. ولعمرَ الواديّ فيه ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن يونس والهشاميّ. وقد مضت أخباره مشروحة في المائة الصوت المختارة.

/ غناء الواثق: [٩/٢٧٦]

وممن دُوِّنت صنعتُه من خلفاء بني العبّاس الواثق بالله.

ولم نعلمه حُكي ذلك عن أحد منهم قبله إلّا ما قدّمنا سوءُ العهدة فيه عن ابن خُرْداذْبَة؛ فإنه حَكى أن للسّفّاح والمنصور وسائرهم غِناء وأتى فيها بأشياءَ غَثّةٍ لا يحسُن لمحصّلٍ ذكرها.

غنى الواثق في شعر لأبي العتاهية بحضرة إسحاق ووصله:

وأخبرني يحيى بن محمد الصُّوليّ قال حدّثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

دخلتُ يوماً دارَ الواثق بغير إذْن إلى موضع أمرَ أن أدخله إذا كان جالساً. فسمعت صوت عود من بيت وترنُّماً لم أسمع أحسنَ منه قطّ، فأطْلعَ خادمٌ رأسَه ثم رَدّه وصاح بي فدخلت فإذا الواثق. فقال: أيَّ شيء سمعتَ؟ فقلت: الطّلاقُ لازمٌ لي وكلُّ مملوك لي حرٌّ لقد سمعتُ ما لم أسمع مثلَه قطّ حُسْناً! فضحِك فقال: وما هو! إنما هذه فضلة أدب وعلم مدحه الأوائل وأشتهاه أصحاب رسوا الله ﷺ وسلم ورَحِمَهم والتابعون بعدهم وكثُر في حَرَمِ الله ومُهَاجَر رسولِ الله. أتحبّ أن تسمعه منّي؟ قلت: إي والذي شرّفني بخطابك وجميل رأيك. فقال: يا غلام، هاتِ العود وأَعْطِ إسحاق رِطْلاً. فدفع الرِّطلَ إليَّ وضرب وغنّى في شعرِ لأبي العتاهية بلحنٍ صنعه فيه:

أضحـتْ قبـورهـمُ مـن بعـد عِـزِّهـمُ ... تَسْفِي عليهـا الصَّبـا والحَـرْجَـفُ الشَّمَـلُ

١٦٣/٨ / لا يَدْفَعون هَوَاماً عن وجوههمُ … كأنهمْ خَشَبٌ بالقاعِ مُنْجَدِلُ

فشربتُ الرَّطلَ ثم قمتُ فدعوتُ له؛ فأجلَسني وقال: أتشتهي أن تسمعه ثانيةً؟ فقلت: إي والله، فغنّانِيه ودعا لي برِطْل، ففعلت كما فعلت ثانيةً ثم ثالثةً. وصاح ببعض خَدَمه وقال له: إحمِل إلى إسحاق ثلثمائة ألف درهم. ثم [٢٧٧/٩] قال: يا إسحاق، / قد سمعتَ ثلاثة أصوات وشربت ثلاثة أرطال وأخذتَ ثلثَمائة ألف درهم، فأنصرِفْ إلى أهلك ليُسَرُّوا بسرورك؛ فأنصرفت بالدراهم.

صنع مائة صوت ليس فيها صوت ساقط:

أخبرني محمد قال سمعت أحمد بن محمد بن الفُرَات يقول سمعتُ عَرِيبَ تقول: صنع الواثقُ مائةَ صوتٍ ما فيها صوتٌ ساقطٌ. ولقد صنع في هذا الشعر:

هل تعلمين وراء الحبِّ منزلةً … تُدْنِي إليكِ فإنّ الحبَّ أقصاني

هذا كتابُ فتًى طالتْ بَلِيَّتُه … يقول يا مُشْتَكَى بَثِّي وأحزاني

لحناً من الرَّمَل تشبَّه فيه بصنعة الأوائل.

نسبة هذا الصوت

الشعر ليعقوب بن إسحاق الرَّبَعِيّ المخزوميّ. والغناء للواثق رَمَلٌ بالوسطى من رواية الهِشاميّ.

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزِيديّ والحَرَميّ بن أبي العَلاء وعليّ بن سليمان الأخفش قالوا حدّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلَب قال قال الزُّبَير بن بكّار:

كتب ابن أبي مَسَرَّةَ المَكّيّ إلى أهل المدينة بيتين وهما:

هذا كتابُ فتًى طالتْ بَلِيَّتُه … يقول يا مُشْتَكَى بَثِّي وأحزاني

هل تعلمين وراءَ الحبِّ منزلةً … تُدني إليكِ فإنّ الحبَّ أقصاني

قال الزُّبَير: وكنتُ غائباً، فلما قدِمت قال لي أهل المدينة ذلك. فقلت لهم: أيكتبُ إليكم صاحبكم يعاتبكم فلا تُجيبونه!.

شعر يعقوب بن إسحاق الربعي:

أنشدني يعقوب بن إسحاق الرَّبَعِيُّ المخزوميّ لنفسه:

قال الوُشاةُ لهندٍ عن تَصَارُمِنَا … ولستُ أنسى هوى هندٍ وتنساني

يعقوبُ ليس بمتبولٍ ولا كَلِفٍ … وَيْحَ الوُشاةِ فإنّ الداء أضناني

[٢٧٨/٩] / ما بي سوى الحبِّ من هندٍ وإن بخِلَتْ … حُبِّي لهندٍ بَرى جسمي وأبلاني

قد قلتُ حين بدا لي بُخْلُ سيِّدتي … وقد تتابع بي بَثِّي وأحزاني

هل تعلمين وراء الحبِّ منزلةً … تُدْنِي إليكِ فإنّ الحبَّ أقصاني

قالت نعم قلتُ ما ذاكم أسيِّدتي … وطاعةُ الحبِّ تَنفي كلَّ عِصْيانِ

قـالـت فـدَعْنـا بـلا صُـرْمٍ ولا صِلَـةٍ ولا صـدودٍ ولا فـي حـال هِجـران
حتـى يَشُـكَّ وُشـاةٌ قـد رَمَـوْك بنـا وأعلنـوا بـك فينـا أيَّ إعـلان

ومن غناء الواثق بالله:

صوت

غناؤه في شعر لذي الرمة:

خليلـيَّ عُـوجَـا مـن صـدور الـرَّواحِـل بجَـرْعـاءِ حُـزْوَى وأبكيـا فـي المنـازلِ
/ لعـلّ انحـدارَ الـدمـع يُعْقِـب راحـةً مـن الـوَجْـدِ أو يَشْفِـي نَجِـيَّ البَـلابِـل ١٦٤/٨

الشعر لذي الرُّمة. والغناء للواثق بالله رَمَلٌ مطلَق في مجرى الوسطى عن الهِشاميّ. ولإسحاق فيهما رَمَلٌ بالسبَّابة في مجرى البنصر. ولحنُ الواثق منهما الذي أوّلُه البيت الثاني وهو اللحن المحثوث المُسْجَح وله رَدَّةٌ في «العل». ولحنُ إسحاق أوّلُه البيتُ الأوّل ثم الثاني وهو أشدُّهما إمساكاً وفيه صِياح.

غنى إسحاق الموصلي بحضرته صوتاً أخذته عنه شاجي فأجازه:

أخبرنا أبو أحمد يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال حدّثنا محمد بن عبدالله بن مالك الخُزاعِيّ قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ:

أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ وقد كان تكلّم له في حاجة فقُضِيتْ. فقال له: أعطاك الله أيها الأمير ما لم تُحِطْ به أُمنيّة ولم تَبلُغْه رغبة. قال: فاشتهي هذا الكلامَ فاستعاده فأعدتُه. قال: ثم مكثنا ما شاء الله؛ وأرسل الواثق إلى محمد بن إبراهيم يأمره بإشخاصي إليه في الصوت الذي أمرني أن أتغنَّى فيه وهو:

لقد بَخِلتْ حتى لَوَ انّي سألتُها

/ فأمر لي بمائة ألف درهم. فأقمتُ ما شاء الله ليس أحدٌ من مغنّيهم يقدِر على أن يأخذ هذا الصوت منّي. فلما طال [٢٧٩/٩] مُقامي قلت: يا أمير المؤمنين، ليس أحد من هؤلاء المغنّين يقدِر على أن يأخذ هذا الغِناء منّي. فقال لي: ولِمَ وَيْحَك؟ قلت: لأني لا أصحِّحه ولا تسخو نفسي لهم به. فلما فعلتَ يا أمير المؤمنين في الجارية التي أخذتَها منّي؟ (يعني شَجًا، وهي التي كان أهداها إلى الواثق وعَمِل لها المُصَنَّفَ الذي في أيدي الناس لإسحاق). قال: وكيف؟ فقلت: لأنها تأخذه منّي وأَطِيبُ به لها نفساً، وهم يأخذونه منها. قال: فأمَر بها فأُخرِجتْ وأخذتْه على المكان. فأمر لي بمائة ألف درهم أُخرى، وأذِن لي في الانصراف. وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ حاضراً عنده، فقلت له عند وَداعي إيّاه: أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تُحِطْ به أُمنِيّة ولم تبلُغه رغبة. فالتفت إليَّ إسحاق بن إبراهيم فقال لي: وَيْحَكَ يا إسحاق! تعيد الدعاء! فقلت: إي والله أعيده قـاصٌّ أنا أو مُغَنٍّ. فانصرفتُ إلى بغداد وأقمتُ، حتى قدِم إسحاقُ فجئته مسلِّماً. فقال: وَيْلَكَ يا إسحاق! أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده؟ قلت: لا، أيها الأمير. قال: قال لي: وَيْحكَ! كنّا أغنَى الناسِ عن أن نبعَث إسحاقَ على لحننا فيُفْسِدَه علينا. هذه رواية أبي أيّوب.

تقدير إسحاق لغناء الواثق:

قال أبو أحمد يحيى بن عليّ بن يحيى وأخبرني أبي رحمه الله عن إسحاق أنه قال: لمّا صنعتُ لحني في:

خليليّ عُوجَا من صدور الرواحل

غنّيتُه الواثقَ فاستحسنه وعجب من صحّة قسمته، ومكث صوتَه أيّاماً ثم قال لي: يا إسحاق، قد صنعتُ لحناً في [٩/ ٢٨٠] صوتك وفي إيقاعه، وأمر فغُنِّيتُ به؛ فقلت: / يا أمير المؤمنين، بَغَّضتَ إليَّ لحني وسمَّجتَه عندي. وقد كنتُ أستأذنته مرّاتٍ في الانحدار إلى بغداد بعد أن ألقيت اللحنَ الذي كان أمرني بصنعه في:

لقد بَخِلتْ حتى لَوَ أني سألتها

فمنعني ودافعني بذلك. فلما صنع لحنه الرَّمَلَ في:

خليليّ عُوجَا من صدور الرّواحل

قلت له: يا أمير المؤمنين، قد والله أقتصصتَ وزدتَ؛ فأذِنَ لي بعد ذلك. قال أبو الحسن عليُّ بن يحيى قلت لإسحاق: فأيُّهما أجود الآن لحنُك / فيه أو لحنه؟ فقال: لحني أجود قسمةً وأكثر عملاً، ولحنه أظرف، لأنه جعل رَدَّتَه من نفس قسمته، فليس يقدِر على أدائه إلا متمكِّنٌ من نفسه. قال أبو الحسن: فتأمّلت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق. قال وقال لي إسحاق: ما كان يحضُر مجلسَ الواثق أعلمُ منه بالغناء. ١٦٥/٨

فأمّا نسبة هذين الصوتين، فإن أحدهما قد مضى ومضت نسبته. والآخر:

صوت

أيا مُنْشِرَ الموتى أَقِدْني من التي ... بها نَهِلتْ نفسي سَقاماً وعَلَّتِ

لقد بَخِلتْ حتى لَوَ انّي سألتُها ... قَذَى العين من ضاحِي التُّراب لضَنَّتِ

الشعر لأعرابيّ رواه إسحاق عنه ولم يذكر أسمَه، والناس يَغْلَطون فينسُبونه إلى كثيِّر ويظنّونه من قصيدته التي أوّلها:

خليليَّ هذا رَسْمُ عَزّةَ فأعْقِلا ... قَلُوصَيكما ثم أبكيا حيث حَلَّتِ

وهذا خطأ ممن قال ذلك. والغناء للواثق ثاني ثقيلٍ بالوسطى. ولإسحاق في البيت الثاني وبعده بيت ألحقه به ليس من الشعر ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى الوسطى. والبيتُ الذي ألحقه إسحاق به من شعره:

[٩/ ٢٨١] / فإن بَخِلتْ فالبخلُ منها سَجِيةٌ ... وإن بَذَلتْ أعطتْ قليلاً وأكْدَتِ

كان يعرض غناءه على إسحاق فيدلي فيه برأيه:

أخبرني عمّي رحمه الله قال حدّثني أبو جعفر بن الدُّهْقانة النَّديم قال:

كان الواثق إذا أراد أن يَعْرِض صنعتَه على إسحاق نَسَبها إلى غيره وقال: وقع إلينا صوتٌ قديم من بعض العجائز ما سمعه أحدٌ، ويأمر مَنْ يغنّيه إيّاه. وكان إسحاق يأخذ نفسَه في ذلك بقول الحق أشدَّ أَخْذٍ، فإن كان جيّداً من صناعته قرّظه ووصفه وأستحسنه، وإن كان مُطَّرَحا أو فاسداً أو متوسّطاً ذكر ما فيه. فربّما كان للواثق فيه هوًى فيسألُه عن تقويمه وإصلاح فَسَاده، وربما أطّرحه بقول إسحاق فيه؛ إلى أن صنع لحناً في قول الشاعر:

لقـد بَخِلـتْ حتـى لَـوَ آنـي سـألتُهـا قَـذَى العيـن مـن ضـاحِـي التـراب لَضَنَّتِ

كان عنده مخارق لإسحاق فجفاه وأصلحت بينهما فريدة:

فأُعْجِبَ به وٱستحسنه، وأمر المغنِّين فغنَّوْا فيه، وأمر بإشخاص إسحاقَ إليه من بغداد ليسمعه.

فكاده مخارق عنده وقال: يا أمير المؤمنين، إن إسحاق شيطانٌ خبيث داهية، وإن قولك له فيما تصنعه: هذا صوت وقع إلينا، لا يخفَى عليه به أنّ الصوت لك ومن صَنْعتك ولا يُوقِعُ في فهمه أنه قديم، فيقولُ لك وبحضرتك ما يُقارب هواك، فإذا خرج عن حضرتك قال لنا ضدَّ ذلك. فأَحْفَظَ الواثقَ قولُه وغاظه، وقال له: أريد على هذا القول منك دليلاً. قال: أنا أُقيم عليه الدليل إذا حضر. فلما قُدِم به وجلس في أوّل مجلس أندفع مُخَارِق يغنّي لحنَ الواثق:

لقد بَخِلتْ حتَّى لَوَ آنّي سألتُها

فزاد فيه زوائدَ أفسدتْ قِسْمتَه فساداً شديداً وخفيتْ على الواثق لكثرة زوائد مُخَارِقٍ في غِنائه. فسأله الواثق عنه؛ فقال: هذا غناء / فاسدٌ غيرُ مَرْضِيّ عندي. فغضِب الواثق وأمر بإسحاقَ فسُحِب حتى أُخرِجَ من المجلس. فلما كان من الغد/ قالت فَريدة للواثق: يا أمير المؤمنين، إن إسحاق رجل يأخذ نفسَه بقول الحق في صناعته على كل حالٍ ساءته أو سَرَّته، لا يخاف في ذلك ضرراً ولا يرجو نفعاً؛ وما لك منه عوض. وقد كاده مخارقٌ عندك فزاد في صدر الصوت من زوائده التي تَعْرِف، وتركه في المِصراع الثاني على حاله، ونقَص من البيت الثاني، وقد تبيّنتُ ذلك. وأنا أعرِضه على إسحاق وأُغنّيه إيّاه على صِحّته، وأَسمَعْ ما يقول. وما زالت تَلْطُف للواثق حتى رضِي عنه وأمر بإحضاره. فغنّتْه إيّاه فَريدةُ كما صنعه الواثق. فلمّا سمعه قال: هذا صوتٌ صحيحُ الصَّنْعةِ والقسمةِ والتجزئة، وما هكذا سمعته في المرة الأولى. ثم أخبر الواثقَ عن مواضع فَساده حينئذٍ، وأبان ذلك له بما فهِمه. وغنّتْه فَريدة عدّةَ أصوات من القديم والحديث كلِّها يقول فيها بما عنده من مدحٍ لبعضها وطعنٍ على بعض. فٱستحسن الواثقُ ذلك وأجازه يومئذٍ وحَبَاه، وجفا مُخارِقاً مدّةً لِما فعله به.

[١٦٦ / ٨] [٩/ ٢٨٢]

أخبرني جَحْظة قال حدّثني ٱبن المَكّيّ عن أبيه قال:

كان الواثقُ إذا صنع شيئاً من الغناء أخبر إسحاقَ به وعرَضه عليه حتى يُصلح ما فيه ثم يُظهِرَه.

وقد أخبرني الحسن بن عليّ عن يزيد بن محمد المهلّبيّ بهذا الخبر فذكر نحو ما ذكرتُه ها هنا وفي ألفاظه ٱختلاف. وقد تقدّم ذكره[١] وٱبتدأناه في أخبار إسحاق. والأبيات الثانية التي غنّى فيها الواثقُ وإسحاق أنشدَنيها عليّ بن سليمان الأخفش وعليّ بن هارون بن عليّ بن يحيى جميعاً عن هارون بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاقَ لأعرابيّ، وأنشدَناها محمدُ بن العبّاس اليَزيديّ قال أنشدني أحمد بن يحيى ثَعْلَب لبعض الأعراب:

[٩/ ٢٨٣]

/ ألاَ قـاتَــلَ اللهُ الحمــامــةَ غُـدْوةً على الغصـن مـاذا هَيَّجـتْ حيـن غَنَّـتِ

فغَنَّــتْ بصــوتٍ أعجمــيٍّ فهيَّجــتْ هَـوايَ الـذي كـانـت ضُلـوعـي أكنَّـتِ

فلـو قَطَـرتْ عيـنُ ٱمـرِىءٍ مـن صَبـابـةٍ دَمـاً قَطَـرتْ عينــي دمــاً وأَلَمَّــتِ

فمـا سكتـتْ حتـى أَوَيـتُ لصـوتهـا وقلـتُ أرى هٰـذي الحمـامـةَ جُنَّـتِ

(١) راجع جـ ٥ ص ٣٦٠ ـ ٣٦١ من هذه الطبعة.

ولـي زَفَـراتٌ لـو يَـدُمْـنَ قتلْنَنِـي ... بشـوقٍ إلـى نـادي التـي قـد تَـولَّـتِ
إذا قلـتُ هٰـذي زفـرةُ اليـوم قـد مضـتْ ... فمَـنْ لـي بـأُخـرَى فـي غـدٍ قـد أَظلَّـتِ
أيـا مُنْشِـرَ المـوتَـى أعِـنِّـي علـى التـي ... بهـا نَهِلَـتْ نفسـي سَقـامـاً وعَلَّـت
لقـد بَخِلَـتْ حتـى لَـوَ انّـي سـألتُهـا ... قَـذَى العيـن مـن سَـافِـي[1] التـرابِ لضَنَّـتِ
فقلـتُ ٱرْحَـلا يـا صـاحبَـيَّ فليتَنِـي ... أرى كـلَّ نفـس أُعطِيَـتْ مـا تمنَّـت
حلَفْـتُ لهـا بـالله مـا أُمُّ واحـدٍ ... إذا ذكـرتْـه آخـرَ الليـلِ أَنَّـتِ
ومـا وَجْـدُ أعـرابيَّـةٍ قَـذَفَـتْ بهـا ... صُـروفُ النَّـوَى مـن حيـثُ لـم تَـكُ ظَنَّـت
إذا ذكـرتْ مـاءَ العِضَـاهِ وطِيبَـه ... وبطـنَ الحَصَـى مـن بطـن خَبْـت أَرَنَّـتِ
بـأعظَـمَ مـن وجـدي بهـا غيـرَ أنّنـي ... أُجَمْجِـمُ أحشـائـي علـى مـا أَجَنَّـت

غناه إسحاق فوصله وشعره فيه:

١٦٧/٨ أخبرني جَحْظةُ وابن أبي الأزهر ويحيى بن عليّ والحسين بن يحيى قالوا جميعاً أخبرنا / حَمّاد بن إسحاق عن أبيه، وقد جمعتُ روايتَهم في هذا الخبر وزدتُ فيه ما نقصه كل واحد منهم حتى كملت ألفاظه، قال:

ما وصلني أحد من الخلفاء بمثل ما وصلني به الواثقُ، وما كان أحد منهم يُكرمني إكرامَه. ولقد غنَّيتُه لحني:

لعلَّـكَ إن طـالـتْ حيـاتُـك أن تَـرى ... بِـلاداً بهـا مَبْـدًى لليلَـى ومَحْضَـرُ

[٢٨٤/٩] / فاستعاده منّي ليلةً[2] لا يشرَب على غيره، ثم وصلني بثلثمائة ألف درهم. ولقد قَدِمتُ عليه في بعض قَدَماتي، فقال لي: وَيْحَكَ يا إسحاق! أمَا اشتقتَ إليّ! فقلتُ: بَلَى والله يا سيّدي! وقلت في ذلك أبياتاً إن أمرتَني أنشدتُها. قال: هاتِ؛ فأنشدتُه:

أشكـو إلـى الله بُعْـدي عـن خليفتِـه ... ومـا أقـاسيـه مـن هَـمٍّ ومـن كِبَـر
لا أستطيـع رَحيـلاً إن هَمَمـتُ بـه ... يـومـاً إليـه ولا أقـوَى علـى السفـر
أنـوي الـرحيـلَ إليـه ثـم يمنَعنـي ... مـا أَحْـدثَ الـدهـرُ والأيّـامُ فـي بصـري

ثم استأذنتُه في إنشاد قصيدةٍ مدحته بها فأذن لي، فأنشدتُه قصيدتي التي أقول فيها:

لمّـا أمـرتَ بـإشخـاصـي إليـك هَـوَى ... قلبـي حَنينـاً إلـى أهلـي وأولادي
ثـم اعتـزمـتُ فلـم أحفـلْ ببَيْنِهِـمُ ... وطـابـت النفـسُ عـن فَضْـلٍ وحَمّـاد
كـم نعمـةٍ لأبيـك الخَيْـرِ أفـردنـي ... بهـا وخَـصَّ بـأُخـرَى بعـد إفـرادي
فلـو شكـرتُ أيـاديكـم وأنْعُمَكـم ... لَمَـا أحـاط بهـا وصفـي وتَعْـدادي
لأشكـرنَّـك مـا غـار النجـومُ ومـا ... حَـدَا علـى الصُّبْـحِ فـي إثر الـدُّجَى حـاد

(١) ويروى: «ضاحي التراب» (راجع ص ٢٨٠ س ١٥).
(٢) في حـ: «جمعة».

قال عليّ بن يحيى خاصّةً في خبره: فقال لي أحمد بن إبراهيم: يا أبا الحسن، أَخْبِرْني لو قال الخليفةُ لإسحاق: أحْضِرْ لي فَضْلاً وحَمّاداً أليس كان يفتضح إسحاق! (يعني من دَمَامة خِلْقتهما وتخلُّفِ شاهدِهما).

خرج معه إسحاق إلى النجف، وشعره فيها وفي حنينه إلى ولده:

قال إسحاق: ثم أنحدرتُ مع الواثق إلى النَّجَف، فقلت: يا أمير المؤمنين، قد قلتُ في النَّجَف قصيدةً. فقال: هاتِها؛ فأنشدتُه قولي:

يا راكبَ العِيسِ لا تَعْجَلْ بنا وقِفِ ... نُحَيِّ داراً لسُعْدَى ثم ننصرِفِ

[٩/ ٢٨٥] / لم يَنْزِلِ الناسُ في سهلٍ ولا جبلٍ ... أصْفَى هواءً ولا أَغْذَى من النَّجَفِ

حُفَّتْ ببرٍّ وبحرٍ في جوانبها ... فالبَرُّ في طَرَفٍ والبحرُ في طَرَفِ

ما إن يزال نسيمٌ من يمانيةٍ ... يأتيك منها بَرِيّاً رَوْضةٍ أُنُفِ

حتى أنتهيت إلى مديحه فقلت وقد أنتهيتُ إلى قولي فيه:

لا يَحْسَبُ الجودَ يُفْنِي مالَه أبداً ... ولا يرى بَذْلَ ما يَحْوِي من السَّرَفِ

فقال لي: أحسنتَ يا أبا محمدا! فكنّاني، وأمر لي بألف درهم. وأنحدرنا إلى الصالحيّة التي يقول فيها أبو نُوَاس:

فالصالحيّةُ من أكناف كَلْواذا[١]

وذكرتُ الصبيان وبغداد فقلت:

أتبكي على بغدادَ وهي قريبةٌ ... فكيف إذا ما أزددتَ منها غداً بُعدا

لَعَمْرُك ما فارقتُ بغدادَ عن قِلًى ... لَوَ آنّا وجدنا من فِراقٍ لها بُدّا

[١٦٨/ ٨] / إذا ذَكرتْ بغدادَ نفسي تَقَطَّعتْ ... من الشوقِ أو كادت تموت بها وجدا

كفى حَزَناً أن رُحْتَ لم تستطع لها ... وَدَاعاً ولم تُحْدِثْ لساكنها عهدا

فقال لي: يا موصليّ، لقد أشتقتَ إلى بغداد! فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكني أشتقتُ إلى الصبيان، وقد حضرني بيتان. فقال هاتِهما. فقلت:

حَنَنْتَ إلى الأُصَيْبِيَةِ الصِّغارِ ... وشاقكَ منهمُ قُرْبُ المَزارِ

وكلُّ مُفارِقٍ يزداد شوقاً ... إذا دنتِ الدِّيارُ من الديارِ

فقال لي: يا إسحاق، سِرْ إلى بغداد فأقم شهراً مع صِبيانك ثم عُدْ إلينا، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم.

[٩/ ٢٨٦] / **امتياز إسحاق على المغنين في مجلسه:**

أخبرني جَحْظة عن أبن حَمْدون: أن إسحاق كان يحضُر مجالس الخلفاء إذا جلسوا للشُّرْب في جملة المغنِّين وعُودُه معه إلى أيام الواثق، فإنه كان إذا قَدِم عليه يحضُر مع الجلساء بغير عُود، ويُدْنيه الواثق ولا يُغَنِّي حتى يقول له: غَنِّ، فإذا قال له غَنِّ جاءوه بعُودٍ فغنّى به، وإذا فرَغ رُفِع العود من بين يديه إكراماً من الواثق له.

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٥٧ ج ٥ من هذه الطبعة.

برّز إسحاق عليه في لحن اشتركا فيه:

أخبرني الحسين بن يحيى عن وَسْوَاسةَ بنِ الموصليّ عن حَمّاد بن إسحاق قال:

كتب حَمْدون بن إسماعيل إلى أبي: إن أمير المؤمنين الواثق يأمرك أن تصنع لحناً في هذا الشعر:

لقد بَخِلَتْ حتى لَوَ انّي سألتُها

وقد كان الواثق غنّى فيه غناءً أعجبه؛ فغنّى فيه أبي. فلما سمعه الواثق قال: أفسد علينا إسحاق ما كنّا أُعْجِبنا به من غنائنا. قال حَمّاد: ثم لم أعلم أن أبي صنع بعده غناءً حتى مات.

ومن مشهور أغاني الواثق:

صـوت

سقَى العَلَمَ الفردَ الذي في ظِلاَلِه ... غزالان مكحولانِ مؤتلِفانِ

أرَغْتُهما خَتْلاً فلم أستطعهما ... ورَمْياً ففاتاني وقد رمَيَاني (١)

ولحنُه فيه من الثقيل الأوّل. ولإسحاق فيه رَمَلٌ.

قصة لأعرابي عاشق مع إسحاق بن سليمان بن علي:

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال أخبرني محمد بن منصور بن عُلَيّة القُرَشيّ قال أخبرني جعفر بن عُبَيدالله بن جعفر الهاشميّ عن إسحاق بن سليمان بن عليّ قال:

[٩/٢٨٧] / لقِيتُ أعرابياً بالشَّميّة (٢) فصيحاً، فأستخففتُه وتأمّلته فإذا هو مُصْفَرٌّ شاحب ناحل الجسم، فأستنشدته فأنشدني الشيءَ بعد الشيء على أستكراهٍ منّي له. فقلت له: ما بالُك؟ فوالله إنك لفصيح! فقال: أمَا ترى الجبلين؟ قلت بلَى. قال: في ظِلالهما والله يمنعني من إنشادك ويَشْغَلُني ويُذْهلني عن الناس. قلت: وما ذاك؟ قال: بنتُ عمٍّ لي قد تيّمتْني وذهبتْ بعقلي، والله إنه لتأتي عليّ ساعاتٌ ما أدري أفي السماء أنا أم في الأرض، ولا أزال ثابتَ العقل ما لم يُخامِرْ ذكرُها قلبي، فإذا خامره بَطَلَتْ حواسّي وعزَب عنّي لُبّي. قلت: فما يمنعك منها؟ أقلّةُ ما في يدك؟ قال: والله ما يمنعني منها غيرُ ذلك. قلت: وكم مهرُها؟ قال: مائةُ ناقة. قلت: فأنا أدفعها إليك إذاً لتدفعها إليهم. قال: والله لئن فعلتَ ذلك إنك لأعظم الناس عليّ مِنّةً. فوعدتُه بذلك وأستنشدتُه ما قال فيها، فأنشدني أشياءَ كثيرةً منها قوله:

[١٦٩/٨] / سقى العَلَمَ الفردَ الذي في ظلاله ... غَزَالانِ مكحولانِ مؤتلفانِ

البيتان. فقلت له: يا أعرابيّ، والله لقد قتلتَني بقولك «ففاتاني وقد قتلاني» وأنا بريء من العبّاس أن لم أقُمْ بأمرك. ثم دعوتُ بمركوب فركبته وحملتُ معي الأعرابيَّ، فصِرْنا إلى أبي الجارية في جماعة من أهلي ومواليّ حتى زوّجتُه إيّاها وضمِنت عنه الصّداقَ وأشتريت له مائة ناقة فسُقْتُها عنه؛ وأقمتُ عندهم ثلاثاً ونحَرتُ لهم ثلاثين جَزُورا، ووهبت للأعرابيّ عشرةَ آلاف درهم وللجارية مثلها، وقلت: أستعينا بهذا على أتّصالكما وأنصرفتُ. فكان الأعرابيّ يطرُقنا في كلّ سنة وأمرأته معه فأهَبُ له وأصِلُه وينصرف.

---

(١) ويروى: «وقد قتلاني» (انظر الصفحة الآتية).

(٢) السمية: جبل، كما في «معجم البلدان» لياقوت.

[٩/٢٨٨]

/ غناؤه في شعر حسان:

ومن أغانيه ـ أخبرني به ذُكاء وجه الرُّزَّة عن أحمد بن العَلاء عن مُخَارِق وأنه أخذه عنه ـ:

صـوت

إنّ التـي عـاطيتَهـا فـرَدَدْتُهـا   قُتِلـتْ قُتِلْـتَ فهـاتِهـا لـم تُقْتَـلِ
كلتـاهمـا حَلَـبُ العَصيـر فعـاطِنـي   بـزجـاجـةٍ أرخـاهمـا للمَفْصِـلِ

يروى: «كلتاهما جَلَبُ العصير» و«حَلَبُ العصير». ويروى: «للمَفْصِل» و«للمِفصَل». والمَفْصِل: الواحد من المفاصل، والمِفصَل هو اللسان. ذكر ذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن محمد بن الحسن الأحول عن ابن الأعرابيّ.

الشعر لحَسَّان بن ثابت. والغناء للواثق خفيفُ رَمَلٍ بالبِنصر. وفيه لإبراهيمَ الموصليّ رَمَلٌ مطلَقٌ في مجرى الوسطى. وهذه الأبيات من قصيدة حَسّان المشهورة التي يمدح بها بني جَفْنة، وأوّلها:

أسألتَ رسمَ الدار أم لم تسألِ

وهي من فاخر المَديح، منها قوله:

أولادُ جَفْنَـةَ عنـد قبـر أبيهـمُ   قبـرِ ابـن مـارِيَـةَ الكـريـم المُفْضِـلِ
يَسْقُـون مَـنْ ورَد البَـرِيـصَ[1] عليهـمُ   بَـرَدَى يُصفَّـق بـالـرَّحيـق السَّلْسَـلِ
بيـضُ الـوجـوهِ كـريمـةٌ أنسـابُهـم   شُـمُّ الأنـوفِ مـن الطِّـرازِ الأوّلِ
يُغْشَـوْن حتـى مـا تَهِـرُّ كِـلابُهـم   لا يَسـألـون عـن السَّـواد المُقْبِـلِ

تفسير القاضي عبيدالله بن الحسن لهذا الشعر:

نسخت من كتاب الشَّاهِينيّ: حدّثني ابن عُلَيْل العَنزيّ قال حدّثني أحمد بن عبدالملك بن أبي السَّمّال السَّعْدِيّ قال حدّثني أبو ظَبْيانَ الحِمّانيّ قال:

[٩/٢٨٩]

/ اِجتمعتْ جماعةٌ من الحيّ على شراب لهم، فتغنّى رجل منهم بشعر حَسّان:

إنّ التـي عـاطيتَنـي فـرددتُهـا   قُتِلَـتْ قُتِلْـتَ فهـاتهـا لـم تُقتَـلِ
كلتـاهمـا حَلَـبُ العَصيـر فعـاطِنـي   بـزجـاجـةٍ أرخـاهمـا للمَفْصِـلِ

فقال رجل من القوم: ما معنى قوله «إن التي عاطيتَني» فجعلها واحدة، ثم قال: «كلتاهما حلب العصير» فجعلهما ثنتين؟ فلم يعلم أحد منّا الجواب. فقال رجل من القوم: امرأتُه طالقٌ ثلاثاً إن بات أو يسألَ القاضيَ عُبَيدَالله بن الحسن عن تفسير هذا الشعر. قال أبو ظَبْيانَ: فحدّثني بعض أصحابنا السعديّين قال: فأتيناه نتخطّى إليه الأحياءَ حتى أتيناه وهو في / مسجده يصلّي بين العِشاءين. فلما سمع حِسَّنا أَوْجز في صلاته، ثم أقبل علينا وقال: ما حاجتُكم؟ فبدأ رجل منّا كان أحسنَنا بَقِيّةً[2] فقال: نحن، أعزّ الله القاضيَ، قومٌ نَزَعْنا إليك من طَرَف البَصْرة في

١٧٠/٨

(١) البريص: اسم غوطة دمشق. وبردى: نهر دمشق.
(٢) أي أحسننا رأياً وفضلاً. وإنما سمي ذلك بقية، لأن الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وأفضله.

حاجةٍ مهمّة فيها بعضُ الشيء. فإن أذِنتَ لنا قلنا. قال: قولوا. فذكر يمينَ الرجل والشعرَ. فقال: أمّا قولُه «إن التي ناولَتني[1]» هي الخمرة. وقوله: «قُتِلتْ» يعني مُزِجتْ بالماء. وقوله: «كلتاهما حَلَب العصير» يعني به الخمرَ ومِزَاجَها، فالخمر عصير العنب، والماء عصير السَّحاب؛ قال الله عزّ وجلّ: ﴿وأنزَلْنَا مِنَ المُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً﴾ إنصرفوا إذا شئتم.

غناؤه لحناً على مثال لحن لمخارق:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني أحمد بن يزيد المُهَلَّبيّ عن أبيه قال:

غَنَّى مُخَارِقٌ يوماً بحضرة الواثق:

حتى إذا الليلُ خَبا ضوءُه ... وغابتِ الجَوْزاءُ والمِرْزَمُ[2]

/ خرجتُ والوطءُ خَفِيٌّ كما ... ينسابُ من مَكمَنه الأرقمُ [٩/ ٢٩٠]

فاستملح الواثقُ الشعر واللحن، فصنع في نحوه:

قالت إذا الليلُ دَجَا فأْتِنا ... فجئتُها حين دجا الليلُ

خَفِيَّ وطءِ الرِّجلِ من حارسٍ ... ولو درَى حلَّ بيَ الويلُ

ولحنه فيه من الرَّمَل. وصنع فيه الناس ألحاناً بعده: منها لعَرِيب خفيفُ رَملٍ، ومنها ثقيلٌ أوّل لا أعلم لمن هو؛ وسمعت ذُكَاءَ ومحمد بن إبراهيم قُرَيضاً يغنّيانه وذكرا أنهما أخذاه عن أحمد بن أبي العَلاء، ولا أدري لمن هو.

تحدّث إسحاق إليه بقصة أعرابيّ عاشق وغنى في شعره فوصله ووصل الأعرابيّ:

حدّثني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال:

سرتُ إلى سُرَّمَنْ رأى بعد قدومي من الحجّ، فدخلتُ إلى الواثق فقال: بأي شيء أطْرفتَني من أحاديث الأعراب وأشعارهم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين جلس إليّ فتًى من الأعراب في بعض المنازل، فحادثني فرأيتُ منه أحلى ما رأيت من الفِتيان منظراً وحديثاً وأدباً. فأستنشدته فأنشدني:

سقَى العَلَمَ الفَرْدَ الذي في ظِلالهِ ... غزالان مكحولان مؤتلِفانِ

إذا أمِنَا التفّا بجيدَيْ تَواصُلٍ ... وطَرْفاهما للرَّيْب مُسترِقانِ[3]

أرَغْتُهما خَتْلاً فلم أستطعهما ... ورمياً ففاتاني وقد قتَلاني

ثم تنفّس تنفُّساً ظننت أنه قد قطع حَيَازِيمَه. فقلت: مالك بأبي أنت؟ فقال: إن لي وراء هذين الجبلين شَجَناً، وقد حِيل بيني وبين المرور به ونذَروا دمي، وأنا أتمتّع بالنظر إلى الجبلين تعلُّلاً بهما إذا قدِم الحاجُّ، ثم يُحال بيني وبين ذلك. فقلت له: زِدْني مما قلتَ في ذلك. فأنشدني:

/ إذا ما وردتَ الماءَ في بعض أهلهِ ... حَضُورُ فعرِّض بي كأنّك مازحُ [٩/ ٢٩١]

---

(١) الرواية المتقدمة في البيت: «... عاطيتني».

(٢) الجوزاء: برج في السماء، سميت بذلك لأنها معترضة في جوز السماء أي وسطها. والمرزمان: نجمان مع الشعريين.

(٣) الاستراق: اختلاس النظر والسمع، ومثله التسرق والمسارقة.

فـإنْ سـألـتْ عنّـي حَضُـورُ فقُـلْ لهـا بـه غُبَّـرٌ(١) من دائـه وهـو صـالـح

فأمرني الواثق فكتبتُ له الشعرين. فلمّا كان بعدَ أيّام دعاني فقال: قد صنع بعض عجائز دارنا الشعرين لحناً فأسمعْه، فإن ارتضيتَه أظهرناه وإن رأيتَ فيه موضع إصلاح أصلحتَه. فغنَّي لنا من وراء الستار، فكان في نهاية الجودة، وكذلك كان يفعل إذا صنع شيئاً. فقلت له: أحسن والله صانعُه يا أمير المؤمنين ما شاء!. فقال: بحياتي؟ فقلت: وحياتك، / وحلفتُ له بما وثِق به، وأمر لي برطْلٍ فشربتُه، ثم أخذ العود فغنّاه ثلاثَ مرات، وسقاني ثلاثة أرطال وأمر لي بثلاثين ألف درهم. فلما كان بعدَ أيّام دعاني فقال: قد صُنع أيضاً عندنا في الشعر الآخر، وأمر فغنُّيَ به؛ فكانت حالي فيه مثلَ الحال في الأوّل. فلما استحسنته وحلفت له على جودته ثلاث مرات، سقاني ثلاثة أرطال وأمر لي بثلاثين ألف درهم. ثم قال لي: هل قضيتُ حقَّ هديّتك؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين؛ فأطال الله بقاءك، وتمّم نعمتك، ولا أفقدنيها منك وبك. ثم قال: لكنك لم تَقْضِ حقَّ جليسك الأعرابيّ ولا سألتَني مَعُونَته على أمره، وقد سبقتُ مسألتك وكتبت بخبره إلى صاحب الحجاز وأمرتُه بإحضاره، وخُطبت المرأة له وحُمِل صداقُها إلى قومها عنه من مالي. فقبّلتُ يديه وقلت: السَّبْقُ إلى المكارم لك، وأنت أولى بها من عبدك ومن سائر الناس.

١٧١/٨

[٩/٢٩٢]

/ نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني:

منها الصوتان اللذان في الأخبار المتقدّمة.



صوت

حتـى إذا الليـلُ خَبَـا ضـوءُه وغـابـتِ الجَـوْزاءُ والمِـرْزَمُ
أقبلـتُ والـوطْءُ خَفِـيٌّ كمـا ينسـابُ مـن مَكْمَنـه الأرقـمُ

ذكر يحيى المكيّ أنّ اللحن لابن سُرَيْج رَمَلٌ بالسبّابة في مجرى البِنصر، وذكر الهِشاميّ أنه منحولٌ.

طرب شيخ لسماع مغنية فرمى بنفسه في الفرات:

فأخبرني أحمد بن عُبَيدالله بن عَمّار وإسماعيلُ بن يونس وغيرُهما قالوا حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن ابن كُنَاسة قال:

إصطحب شيخٌ مع شَباب في سفينةٍ في الفُرَات ومعهم مغنّية. فلمّا صاروا في بعض الطريق قالوا للشيخ: معنا جاريةٌ لبعضنا وهي مغنّية، فأحببنا أن نسمع غناءها فهِبْناك، فإن أذِنتَ لنا فعلنا. قال: أنا أصعَد إلى طَلَلِ(٢) السفينة، فاصنَعوا أنتم ما شئتم. فصعِد، وأخذت الجاريةُ عودَها فغنّت:

حتـى إذا الصبـحُ بـدا ضـوءُه وغـابـت الجَـوْزاءُ والمِـرْزَمُ
أقبلـتُ والـوطْءُ خفـيٌّ كمـا ينسـابُ مـن مَكْمَنـه الأرقـم

---

(١) غبر الشيء: بقيته.
(٢) في الأصول: «ظلال السفينة» بالظاء المعجمة. والتصويب عن كتب اللغة. وطلل السفينة: جلالها، وهو غطاء تغشى به كالسقف للبيت.

فطرِب الشيخ وصاح ثم رمَى بنفسه بثيابه في الفُرَات، وجعل يغوصُ في الفرات ويطفو ويقول: أنا الأرقم! أنا الأرقم! فألقَوْا أنفسهم خلفَه، فبعد لأْيٍ ما أستخرجوه، وقالوا له: يا شيخ، ما حملك على ما صنعتَ؟ فقال: إليكم عنّي! فإنّي والله أعرف من معاني الشعر ما لا تعرفون. وقال إسماعيل في خبره/ فقلت له: ما أصابك؟ فقال: دَبّ [٢٩٣/٩] شيء من قدمي إلى رأسي كدَبيب النمل ونزل في رأسي مثلُه، فلمّا وردا على قلبي لم أعقِل ما عمِلت.

وأمّا ما في الخبر من الصَّنْعة في: «قالت إذا الليل دَجَا» فإنّ لحن الواثق هو المشهور، وما وجدتُ في كتب «الأغاني» غيرَه، بل سمعت محمد بن إبراهيم المعروف بقُرَيض وذُكَاءَ وجهَ الرُّزّة يغنّيان فيه لحناً من الثقيل الأوّل المذموم؛ فسألتهما عن صانعه فلم يعرفاه، وذكرا جميعاً أنّهما أخذاه / عن أحمد بن أبي العَلاَء. [١٧٢/٨]

علمه بالغناء وعدد أصواته وذكر المشهور منها:

وأخبرني الصولي عن أحمد بن محمد بن إسحاق عن حَمّاد بن إسحاق قال:

كان الواثق أعلمَ الخلفاءِ بالغِناء، وبلغتْ صنعتُه مائةَ صوتٍ، وكان أحذَقَ منْ غنَّى بضرب العود. قال: ثم ذكرها فعَدَّ منها:

يفــرَح النــاسُ بــالسَّمــاع وأبكــي ... أنــا حُــزنــاً إذا سمعــتُ السَّمــاعــا

ولهــا فــي الفــؤاد صَــدْعٌ مُقيــمٌ ... مثـلُ صَـدْع الـزُّجـاج أعْيـا الصُّنّـاعـا

الشعر للعبّاس بن الأحنف. والغناء للواثق خفيفُ ثقيلٍ. وفيه لأبي دُلَف خفيفُ رَمَلٍ.

ومنها:

ألا أيُّهـا النفـسُ التـي كـادهـا الهـوى ... أفـأنـتِ إذا رمـتُ السُّلُـوَّ غـريمـي

أَفِيقـي فقـد أفنيـتِ صبـرِي أو اصبِـري ... لِمـا قـد لقيتيـه علـيَّ ودُومـي

الشعر والغناء للواثق خفيفُ رَمَل.

ومنها:

سَقَى العَلَمَ الفـردَ الـذي فـي ظِـلالـه ... غـزالانِ مكحـولان مـؤتلِفـان

أرغتُهمـا خَتْـلاً فلـم أستطِعْهمـا ... ورميـاً ففـاتـانـي وقـد قتـلانـي

[٢٩٤/٩] / الغناء للواثق ثقيلٌ أوّل. وفيه لإسحاقَ رَمَلٌ وهو من غريب صنعته، يقال إنه صنعه بالرَّقّة.

ومنها:

كـلَّ يـومٍ قَطيعـةٌ وعِتـابُ ... ينقضـي دهـرُنـا ونحـن غِضـابُ

ليـت شعـري أنـا خُصِصـتُ بهـذا ... دون ذا الخلـقِ أم كـذا الأحبـابُ

فـاصبِـر النفـسَ لا تكـونَـنْ جَـزُوعـاً ... إنمـا الحـبّ حَسْـرةٌ وعـذاب

فيه للواثق رَمَلٌ، ولزُرْزُور ثقيلٌ أوّل، ولعَريبَ هَزَجٌ.

ومنها:

ولـم أرَ لَيْلَـى بعـد مـوقـف سـاعـةٍ ... بخَيْـفِ مِنًـى تـرمـي جِمـارَ المحصَّـبِ

ويُبْـدِي الحَصَـى منهـا إذا قـذَفـتْ بـه ... مـن البُـرْدِ أطـراف البَنـان المُخَضَّـب
فـأصبحـتُ مـن ليلَـى الغَـدَاةَ كنـاظـرٍ ... مـع الصبـح فـي أعْقـاب نجـم مغـرِّب
ألاَ إنمـا غـادرتِ يـا أمَّ مـالـكِ ... صَـدًى أينمـا تـذهـبْ بـه الـريـحُ يَـذْهـب

الصنعة في هذا الشعر ثقيلٌ أوّل وهو لحن الواثق فيما أرى. ونسبه حَبَش، وهو قليل التحصيل، إلى ابن مُحْرِز في موضع، وإلى سُلَيم في موضع آخر، وإلى مَعْبد في موضع ثالث.

ومنها:

أمسـتْ وُشَـاتُـكِ قـد دَبَّـتْ عقـاربُهـا[1] ... وقـد رَمَـوْكِ بعيـن الغِـشّ وأبتَـدروا
تُـرِيـكِ أعيُنهـم مـا فـي صـدورهـمُ ... إنّ الصـدور يـؤدّي غيبَهـا النظـر

الشعر للمجنون. والغناء للواثق ثاني ثقيل. وفيه لمتيَّمَ ثقيلٌ أوّلُ. وقد نُسب لحنُ كل واحد منهما إلى الآخر.

/ ومنها: [٩/ ٢٩٥]

عجبـتُ لسَعْـي الـدهـر بينـي وبينهـا ... فلمّـا أنقضـى مـا بيننـا سكَـن الـدهـرُ
فيـا هجـرَ لَيْلَـى قـد بلغـتَ بـيَ المَـدَى ... وزدتَ علـى مـا لـم يكـن بلَـغ الهجـر

الغناء للواثق رَمَلٌ. وفيه لمَعْبدٍ ثاني ثقيلٍ بالوسطى، ولابن سُرَيج ثقيلٌ أول بالبِنصر، / ولعَرِيبَ ثقيلٌ أوّلٌ آخر. ١٧٣/ ٨

ومنها:

كـأنّ شخصـي وشخصـه حكَيَـا ... نظـامَ نِسْـرِيتَيْـن فـي غُصُـنِ
فليـت لَيْلِـي وليلَـه أبـداً ... دام ودُمْنـا بـه فلـم نَبِـن

الشعر أظنّة لعليّ بن هِشام أو لمُرَادَ[2]. ولحن الواثق فيه ثقيلٌ أوّلُ. وفيه لَعرِيبَ ثقيلٌ أوّلُ آخر. وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ولمتيَّمَ لحنانِ لم يقع إليّ جنسُهما.

ومنها:

أهـابُـكِ إجـلالاً ومـا بـكِ قـدرةٌ ... علـيّ ولكـن مـلءُ عيـنٍ حَبيبُهـا
ومـا فـارقتْـكِ النفـسُ يـا ليـلُ أنهـا ... قَلَتْـكِ ولكـن قَـلَّ منـكِ نصيبُهـا

لِحن الواثق فيه ثقيلٌ أوّلٌ مطلَق في مجرى الوسطى. وفيه لغيره لحن.

ومنها[3]:

فـي فمـي مـاءٌ وهـل يَنـ ... ـطِـق مَـنْ فـي فيـه مـاءُ!
أنـا مملـوكٌ لمملـو ... كٍ عليـه الـرُّقَبـاءُ

---

(١) لو كان: «عقاربهم» لا تحدث الضمائر.
(٢) مراد: شاعرة علي بن هشام وهي التي رثته لما قتله المأمون. (راجع ص ٣٠٤ من الجزء السابع من هذه الطبعة).
(٣) في الأصول: «ومنه».

كنت حُرّاً هاشميّاً فاسترقّتني الإماءُ
وسباني مَنْ له كا ن على الكُرْه السِّباءُ
[٢٩٦/٩] / أَحْمَدُ اللهَ على ما ساقه نحوي القضاءُ
ما بعينيَّ دموعٌ أنفدَ الدمعَ البكاء

الغناء للواثق رَمَلٌ.

ومنها[١]:

أيُّ عَوْنٍ على الهموم ثلاثٌ مُتْرَعاتٌ[٢] من بعدهنّ ثلاثُ
بعدها أربعٌ تتِمّةُ عَشْرٍ لا بِطاءٌ لكنهنّ حِثاثُ

فيه رَمَلٌ يُنسب إلى الواثق وإلى متيّم.

ومنها[١]:

أيا عَبْرة العينين قد ظَمِيءَ الخدُّ فما لكما من أن تُلِمّا به بُدُّ
ويا مُقْلةً قد صار يُبْغِضها الكَرى كأن لم يكن من قبلُ بينهما وُدّ
لئن كان طولُ العهد أحدث سَلْوةً فموعدُ بينِ العينِ والعَبْرة الوُجْد[٣]
وما أنا إلّا كالذين تُخُرِّموا على أنّ قلبي من قلوبهمُ فَرْد

الشعر والغناء للواثق رَمَلٌ. وفيه لأبي حَشِيشةَ هَزَجٌ، ذكر ذلك الهشاميّ الملقّب بالمِسْك، وأخبرني جَحْظة أنه للمسدود. وأخبرني جَحْظة أن من صنعة أبي حشيشة في شعر الواثق خفيفَ رَمَلٍ وهو:

سألتُه حُوَيْجةً فأعرضا وعَلِق القلبُ به ومَرِضا
فاستلّ منّي سيفَ عزمٍ مُنْتضًى فكان ما كان وكابرْنا القَضَا

قال: وفي هذا الشعر أيضاً بعينه للواثق رَمَلٌ، ولقَلَم الصالحيّة فيه هَزَجٌ. وقد غلِط جَحْظةُ في هذا الشعر، وهو لسَعيد بن حُمَيْد مشهور، وله فيه خبر قد ذكرناه في موضعه[٤].

[٢٩٧/٩] / غاضبه خادم له فقال فيه شعراً غنى فيه:

أخبرني عمّي عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه[٥] ابن حَمْدون عن أبيه حمدون بن إسماعيل قال:

١٧٤/٨ كان الواثق يحبّ خادماً له كان أهدِيَ إليه من مصر، فغاضبه يوماً وهجَره، فسمع الخادمَ يحدِّث / صباحاً له

---

(١) في الأصول: «ومنه».
(٢) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «متبعات».
(٣) الوجد: اللقاء.
(٤) راجع الجزء السابع عشر من «الأغاني» ص ٢ ـ ٩ طبع بولاق.
(٥) كذا في الأصول. والمعروف أن ابن حمدون خال علي بن محمد بن نصر لا جدّه. (راجع «الاستدراك الأول» في الجزء الخامس ص ٥٣٧ من هذه الطبعة).

بحديث أغضبه عليه، إلى أن قال له: والله إنه ليَجْهَد منذُ أمسِ على أن أصالحه فما أفعل. فقال الواثق في ذلك:

يـا ذا الـذي بعذابـي ظـلَّ مفتخـراً ... هـل أنـت إلاّ مليـكٌ جـار إذ قَـدَرَا

لـولا الهـوى لتجـازَيْنـا علـى قَـدَرٍ ... وإن أفِـقْ مـرّةً منـه فسـوف تَـرَى

قال: وغنّى الواثق وعَلّويه فيه لحنَين، ذكر الهِشاميّ أن لحن الواثق خفيفُ ثقيلٍ، وفي أغاني عَلّويه: لحنُه في هذا الشعر خفيفُ رَمَلٍ.

غنى في شعر لعلي بن الجهم:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني ابن أبي العَيْناء عن أبيه عن إبراهيم بن الحسن بن سَهْل قال:

كنّا وقوفاً على رأس الواثق في أوّل مجالسه التي جلسها لمّا وَلِيَ الخلافةَ، فقال: مَنْ يُنشدنا شعراً قصيراً مليحاً؟ فحرَصْتُ على أن أعمل شيئاً فلم يجتني، فأنشدته لعليّ بن الجَهْم:

لـو تنصّلـتَ إلينـا ... لَـوَهَبْنـا لـكَ ذَنْبَـكْ

ليتنـي أملِـك قلبـي ... مثلَمـا تملِـك قلبَـكْ

أيُّهـا الـواثـق بـالله ... لقـد نـاصحـتَ ربَّـكْ

سيِّـدي مـا أبغـض العيـ ... ـشَ إذا فـارقـتُ قُـربَـكْ

أصبحـتْ حُجّتُـك العُلْيـ ... ـا وحِـزبُ الله حِـزْبَـكْ

/ فأستحسنها وقال: لمن هذه؟ فقلت: لعبدك عليّ بن الجَهْم. فقال: خذ ألف دينار لك وله؛ وصنع فيها لحناً كنّا نغنّي به بعد ذلك. [٩/٢٩٨]

يوم له مع المغنين بسر من رأى:

أخبرني محمد بن يحيى بن أبي عَبّاد قال حدّثني أبي قال:

لمّا خرج المعتصم إلى عَمُّورِيّةَ أستخلفَ الواثقَ بسُرَّ مَنْ راى، فكانت أموره كلُّها كأمور أبيه. فوجّه إلى الجُلَساء والمغنّين أن يُبكِّروا إليه يوماً حُدِّد لهم، ووَجّه إلى إسحاق، فحضر الجميعُ. فقال لهم الواثق: إني عزمتُ على الصَّبُوح، ولست أجلس على سرير حتى أختلطَ بكم ونكونَ كالشيء الواحد، فأجلسوا معي حَلْقةً، وليكن كلُّ جليس إلى جانبه مغنٍّ، فجلسوا كذلك. فقال الواثق: أنا أبدأ؛ فأخذ عوداً فغنّى وشربوا وغنّى مَنْ بعده، حتى أنتُهِيَ إلى إسحاق فأُعطِيَ العودَ فلم يأخذه. فقال: دَعُوه. ثم غنَّوْا دَوْراً آخر. فلما بلَغ الغِناءُ إلى إسحاق لم يُغَنِّ، وفعل هذا ثلاثَ مرّات. فوثَب الواثق فجلس على سريره وأمر الناس فأدخلوا، فما قال لأحد منهم: أجلِسْ. ثم قال: عليَّ بإسحاق!. فلما رآه قال: يا خُوزِيُّ يا كلب! أتَنَزَّلُ لك وأُغَنّي وترتفع عنّي! أتُرَى لو أنّي قتلتُك كان المعتصم يُقِيدُني بك! ابْطَحُوه! فبُطِح فضُرب ثلاثين مِقرعةً ضرباً خفيفاً، وحلَف ألاّ يُغَنِّيَ سائرَ يومه سواه. فأعتذر وتكلّمت الجماعة فيه، فأخذ العودَ وما زال يغنّي حتى أنقضى ذلك اليومُ، وعاد الواثق إلى مجلسه.

شعره في خادم يهواه:

وجدتُ في بعض الكتب عن أبن المعتزّ قال: كان الواثق يهوَىَ خادماً له فقال فيه:

سـأمنـع قلبـي مـن مـودّةِ غـادر تعبَّـدنـي خُبثـاً بمكـرِ مُكـاشِـرِ
خطبتُ إليـه الـوصـلِ خِطْبةَ راغـبٍ فـلاحَظَنـي زَهْـواً بطَـرْفِ مُهَـاجِـر

قال أبو العبّاس عبدالله بن المعتزّ: وللواثق في هذا الشعر لحن من الثقيل الأوّل.

[٩/٢٩٩] / **ألقى على غلمانه صوتاً فأخذوه عنه:**

١٧٥/٨ / أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني الحسين بن يحيى أبو الحِمار قال حدّثني عبدُ أمّ غلام الواثق قال:

دعا بنا الواثق مع صلاة الغَداة وهو يَسْتاك فقال: خذوا هذا الصوتَ، ونحن عشرون غلاماً كلُّنا يُغَنِّي ويضرِب، ثم ألقَى علينا:

أشكـو إلـى الله مـا ألقـى مـن الكَمَـدِ حَسْبِـي بـربِّـي فـلا أشكـو إلـى أحـدِ

فما زال يردِّده حتى أخذناه عنه.

نسبة هذا الصوت

أشكـو إلـى الله مـا ألقَـى مـن الكَمَـدِ حَسْبِـي بـربِّـي فـلا أشكـو إلـى أحـد
أيـن الـزمـانُ الـذي قـد كنـت نـاعمـةً مُهلَّـةً بـدُنُـوِّي منـك يـا سَنَـدي
وأسـألُ الله يـومـاً منـكِ يُفـرِحُنـي فقـد كَحَلْـتِ جُفـونَ العيـن بـالسَّهَـد
شـوقـاً إليـك ومـا تَـدْريـن مـا لقيـتْ نفسـي عليـكِ ومـا بـالقلـب مـن كَمَـد

الغناء للواثق ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر. وفيه لعَرِيبَ أيضاً ثقيلٌ أوّل بالوسطى.

كان إسحاق يصحح له غناءه:

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني محمد بن أحمد المَكّيّ قال حدّثني أبي قال:

كان الواثق يَعْرِض صنعتَه على إسحاق، فيُصلح الشيءَ بعد الشيء ممّا يخفَى على الواثق؛ فإذا صحّحه أخرجه إلينا وسمعناه.

أمر مخارقاً وعلويه وعريب أن يعارضوا لحناً له:

حدّثنا جَحْظة قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق قال حدّثني مُخَارِق قال:

لمّا صنع الواثق لحنَه في:

حَـوْراءُ مَمْكـورةٌ[١] مُنَعَّمـةٌ كـأنمـا شَـفّ وجهَهـا نُـزُفُ

[٩/٣٠٠] / وصنع لحنه في «سأذكر سِرْباً طال ما كنت فيهمُ» أمرني وعَلّويه وعَرِيبَ أن نُعارض صنعتَه فيهما؛ ففعلنا واجتهدنا ثم غنَّيناه. فضحك فقال: أمِنّا معكم أن نجد من يبغُض إلينا صنعتَنا كما بغَّض إسحاقُ إلينا «أيا مُنْشِرَ المَوْتَى». قال حَمّاد: هذا آخر لحنٍ صنعه أبي. يعني الذي عارض به لحنَ الواثق في «أيا مُنْشِرَ المَوْتَى».

(١) الممكورة: المدمجة الخلق من النساء، وقيل: المستديرة الساقين. وقوله: «كأنما شف وجهها نزف» يريد أنها رقيقة المحاسن وكأن دمها ودم وجهها نزف. والمرأة أحسن ما تكون غب نفاسها لأنه يكون قد ذهب تهيج الدم فتصير رقيقة المحاسن.

غناه إسحاق صوتاً فتطير به:

أخبرني جَحْظة قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

دخلتُ يوماً إلى الواثق وهو مُصْطَبِحٌ، فقال لي: غنِّي يا إسحاق بحياتك عليك صوتاً غريباً لم أسمعه منك حتى أُسَرَّبه بقيّة يومي. فكأن الله أنساني الغناء كلّه إلاّ هذا الصوت:

يا دارُ إن كان البِلَى قد مَحَاكِ ... فإنّه يُعْجِبني أن أراكِ

أَبْكِي الذي قد كان لي مَألَفاً ... فيكِ فآتِي الدارَ من أجلِ ذاكِ

ـ والغناء في هذا اللّحن للأَبْجَر رَمَلٌ بالوسطى عن أبن المَكّيّ وهو الصواب، وذكر عمرو بن بانة أنه لُسَلَيم ـ قال فتبيَنْتُ الكراهيَةَ في وجهه، ونَدِمتُ على ما فَرَط منّي. وتجلَّد فشرِب رِطلاً كان في يده، وعدَلْتُ عن الصوت إلى غيره. فكان والله ذلك اليومُ آخرَ جلوسي معه.

وممّن حُكي عنه أنه صنعَ في شعره وشعر غيره المنتصرُ

غناء المنتصر:

فإنّي ذكرتُ ما رُوي عنه أنه غنَّى فيه على سوء العُهدة في ذلك وضَعْف الصنعة، لئلا يَشِذَّ عن الكتاب شيءٌ قد رُوي وقد تداوله الناس. فممّا ذكر عنه أنه غَنَّى فيه:

١٧٦/٨

/ **صوت**

سُقِيتُ كأساً كشَفَتْ ... عن ناظريَّ الخُمُرَا

فَنَشَّطَتْنِي ولقد ... كنتُ حزيناً خاثِرا

الشعر للمنتصر، وهو شعرٌ ضعيفٌ رَكيك إلاّ أنه يُغَنَّي فيه.

/ **كان متخلفاً في قول الشعر ومتقدماً في غيره وكان يغني قبل الخلافة:** [٩/٢٠١]

وحدّثني الصُّوليّ عن أحمد بن يزيد المهلّبي عن أبيه قال:

كان طبع المنتصر متخلِّفاً في قول الشعر وكان متقدِّماً في كل شيء غيره؛ فكان إذا قال شعراً صنع فيه وأمر المغنِّين بإظهاره، وكان حسنَ العلم بالغناء. فلمّا ولِي الخلافةَ قطع ذلك وأمر بستر ما تقدّم منه. من ذلك صَنْعتُه في شعره وهو من الثقيل الأوّل المذموم:

سُقِيتُ كأساً كشَفَتْ ... عن ناظريَّ الخُمُرَا

قال: ومن شعره الذي غنَّى فيه ولحنهُ ثاني ثقيلٍ:

صوت

متى تَرْفَعُ الأيّامُ مَنْ وضعْنَه ... وينقادُ لي دهرٌ عليَّ جَمُوحُ

أُعَلِّل نفسي بالرجاء وإنني ... لأغدو على ما ساءني وأروحُ

قال: وكان أبي يَستجيد هذين البيتين ويستحسنهما. ونذكر ها هنا شيئاً من أخبار المنتصر في هذا المعنى دون غيره أُسْوةَ ما فعلنا في نُظَرائه.

أراد الشرب علانية فجاء الناس ليروه فقال شعراً فتفرقوا:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولِيّ قال حدّثني محمد بن يحيى بن أبي عَبّاد قال حدّثني أبي قال:

أراد المنتصر أن يشرب في الزَّقّاق، فوافَى الناسُ من كل وجه ليَرَوْه ويخدُمُوه؛ فوقف على شاطىء دِجْلة وأقبل على الناس فقال:

لَعَمْـــرِي لقـــد أَصْحَـــرتْ خيلُنـــا ... بـــأكنـــاف دِجْلَـــةَ لِلمَلْعَـــبِ

والشعر «بأكناف دجلة للمُصعَب» ولكنّه غيّره لأنه تطيَّر من ذكر المُصْعَب ـ

فَمَـــنْ يَـــكُ منّـــا يَبِـــتْ آمنـــاً ... ومَـــنْ يَـــكُ مـــن غيـــرنـــا يهـــرُبِ

قال: فعُلم أنه يريد الخَلْوةَ بالنُّدماء والمغنّين، فانصرفوا، فلم يبق معه إلاّ من يَصلُح للأنس والخدمة.

[٩/٣٠٢] / **جفا يزيد المهلبي لاختصاصه بالمتوكل ثم عفا عنه وأكرمه:**

حدّثني الصُّولِيّ قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ قال: كان أبي أخصَّ الناس بالمنتصر، وكان يجالسه قبل مجالسته المتوكِّل. فدخل المتوكِّل يوماً على المنتصر على غفلة، فسمع كلامَه فاستحسنه، فأخذه إليه وجعله في جُلسائه. وكان المنتصر يريد منه أن يلازمه كما كان، فلم يقدِر على ذلك لملازمته أباه؛ فعتَب عليه لتأخُّره عنه على ثقةٍ بمودّة وأُنسٍ به. فلما أفضتْ إليه الخلافة استأذن عليه؛ فحجَبه وأمر بأن يُعتقل في الدار فحُبِس أكثرَ يومه. ثم أذِن له فدخل وسلّم وقبّل الأرضَ بين يديه ثم قبّل يده، فأمره بالجلوس؛ ثم التفت إلى بَنَان بن عَمْرو وقال له: غَنِّ، وكان العود في يده:

غـدَرْتَ ولـم أغـدِر وخُنْـتَ ولـم أَخُـنْ ... ورُمْـتَ بَـدِيـلاً بـي ولـم أتَبَـدَّلِ

١٧٧/٨ ـ قال: والشعر للمنتصر ـ فغنّاه بَنَانٌ. وعلم أبي أنه أراده بذلك فقام فقال: والله ما اخترتُ / خدمةَ غيرك ولا صرتُ إليها إلاّ بعد إذنك. فقال: صدقت؛ إنما قلتُ هذا مازحاً؛ أتُراني أتجاوز بك حكمَ الله عزّ وجلّ إذ يقول: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾. ثم استأذنه في الإنشاد فأذِن له فأنشده:

ألاَ يــا قَــوْمِ قــد بَــرِح الخفــاء ... وبـــان الصبـــرُ منّـــي والعـــزاءُ

تَعَجَّـبَ صـاحبـي لضيـاع مثلـي ... وليـــس لـــداء محـــروم دواء

جفـــانـــي سيّـــدٌ قـــد كـــان بَـــرّاً ... ولـــم أُذنِـــبْ فمـــا هـــذا الجفـــاء

حَلَلْـــتُ بـــداره وعلمـــتُ أنّـــي ... بـــدار لا يَخِيـــبُ بهـــا الـــرجـــاء

فلمّـــا شـــاب رأســـي فـــي ذَرَاه ... حُجِبـــتُ بعُقْـــبِ مـــا بَعُـــد اللّقـــاء[١]

فـــإن[٢] تَنـــأَى سُتـــورُ الإذن عنّـــا ... فمـــا نـــأتِ المحبّـــةُ والثنـــاء

(١) كذا في أ. وفي سائر الأصول: «ما بعد الرخاء» وهو تحريف.

(٢) في حـ: «تثني».

/ وإن يَكُ كادني ظلماً عَدُوٌّ ... فعند البحث يَنكشِف الغِطاء [٩/٣٠٣]

ألم تر أنّ بالآفاق منّا ... جَماجِمَ حَشْوُ أقبُرِها الوفاء

وقد وصَف الزمانَ لنا زِيادٌ[1] ... وقال مقالةً فيها شفاء

ألا يا رُبّ مغمومٍ سيَحْظَى ... بدولتنا ومسرورٍ يُساء

أمنتصِرَ الخَلائِف جُدْتَ فينا ... كما جادت على الأرض السماء

وَسِعْتَ الناسَ عدلاً فاستقاموا ... بأحكامٍ عليهنّ الضياء

وليس يفوتنا ما عِشْتَ خيرٌ ... كفانا أن يطول لك البقاء

قال: فقال له المنتصر: والله إنك لمن ذوي ثقتي وموضعُ اختياري، ولك عندي الزُّلْفَى، فطِبْ نفساً. قال ووصَلني بثلاثة آلاف دينار.

شعر الحسين بن الضحاك فيه:

حدّثني الصُّولِيّ قال حدّثني عَوْن بن محمد الكِنْديّ قال:

لمّا وَلِيَ المنتصرُ الخلافةَ دخل عليه الحسين بن الضحّاك فهنّأه بالخلافة وأنشده:

تجدّدتِ الدنيا بمُلْكِ محمدِ ... فأهلاً وسَهلاً بالزمان المجدَّدِ

هي الدولة الغَرّاءُ راحتْ وبكَّرتْ ... مُشَهَّرةً[2] بالرُّشْد في كل مَشْهَد

لَعَمْري لقد شَدَّتْ عُرَا الدِّين بيْعةٌ ... أعزّ بها الرحمنُ كلَّ موحِّد

هَنَتْكَ أميرَ المؤمنين خلافةٌ ... جَمَعْتَ بها أهواءَ أُمّة أحمد

قال: فأظهر إكرامَه والسرورَ به، وقال له: إن في بقائك بهاءً للملك، وقد ضَعُفْتَ عن الحركة، فكاتِبْني بحاجاتك ولا تَحْمِلْ على نفسك بكثرة الحركة. ووصلَه بثلاثة آلاف دينار ليقضيَ بها ديناً بلغه أنه عليه.

/ قال: وقال الحسين بن الضحّاك فيه وقد ركب الظهورَ وراءَه الناسُ، وهو آخر شعر قاله: [٩/٣٠٤]

ألا ليتَ شعري أَبَدْرٌ بَدَا ... نهاراً أم المَلِكُ المنتصِرْ

إمامٌ تَضَمَّنُ أثوابُه ... على سَرْجِه قمراً من بشرْ

حمَى اللهُ دولةَ سلطانِه ... بجُندِ القضاء وجُندِ القَدَرْ

فلا زال ما بَقِيَتْ مُدّةٌ ... يروح بها الدهرُ أو يَبْتَكِرْ

/ قال: وغنّى فيه بَنَانٌ وعَرِيبُ. ١٧٨/٨

---

(١) يريد زياد ابن أبيه وهو معروف.

(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «مشمرة».

شعر يزيد المهلبي فيه:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ قال: أوّل قصيدة أنشدها أبي في المنتصر بعد أن وَلِيَ الخلافةَ:

ليَهْنِكَ مُلْكٌ بالسعادة طائرُهْ ... مَوَارِدُه محمودةٌ ومَصَادِرُهْ

فأنت الذي كنّا مُرَجّي فلم نَخِبْ ... كما يُرتَجَى من واقع الغيب باكره

بمنتصرٍ بالله تَمّتْ أمورُنا ... ومَنْ ينتصر بالله فاللهُ ناصره

فأمر المنتصرُ عَرِيبَ أن تغنّيَ نشيداً في أوّل الأبيات وتجعلَ البَسيط في البيت الأخير؛ فعملته وغنّته به.

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني أحمد بن يزيد قال: صلّى المنتصرُ بالناس في الأضحَى سنة سبع وأربعين ومائتين؛ فأنشده أبي لمّا أنصرف:

ما أستشرف الناسُ عيداً مثلَ عِيدِهِمُ ... مع الإمامِ الذي بالله ينتصرُ

غَدَا بجَمْعٍ كجُنْحِ الليل يقدُمه ... وجهٌ أغرُّ كما يجلو الدُّجَى القمرُ

يَؤُمُّهم صادعٌ بالحقّ أحْكَمَه ... حزمٌ وعلمٌ بما يأتي وما يَذَرُ

لو خُيِّر الناسُ فأختاروا لأنفسهم ... أحظَّ منك لِما نالوه ما قدَروا

قال: فأمر له بألف دينار، وتقدّم إلى أبن المَكّيّ أن يُغنّيَ في الأبيات.

[٩/٣٠٥] / غناء بنان بن عمرو بشعر مروان فأمره ألا يغني في شعر آل أبي حفصة:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى قال حدّثني بَنَانُ بن عمرو المغنّي قال: غنّيتُ يوماً بين يَدَي المنتصر:

هل تَطْمِسون من السماء نجومَها ... بأكُفِّكم أو تستُرون هِلالَها

فقال لي: إيّاك وأن تغنّيَ بحضرتي هذا الصوتَ وأشباهَه، فما أُحِبُّ أن اغنّى إلاّ[1] في أشعار آل أبي حَفْصَةَ خاصّة.

غناء المعتز بالله:

وممن هذه سبيلُه في صنعة الغِناء المعتزُّ بالله:

فإني لم أجد له منها شيئاً إلا ما ذكره الصُّوليّ في أخباره؛ فأتيت بما حكاه للعلّة التي قدّمتُها من أنّي كرِهتُ أن يُخِلَّ الكتاب بشيء قد دوّنه الناس وتعارفوه. فممّا ذكر أنه غَنَّى فيه:

صوت

لعَمْري لقد أَصْحرتْ خيلُنا ... بأكناف دِجْلَةَ للمُصْعَبِ

فمَنْ يَكُ مِنّا يَبِتْ آمناً ... ومن يَكُ من غيرنا يَهْرُبِ

---

(١) لعله: «فما أحب أن أغني في أشعار إلخ» بحذف «إلا»؛ لأن هذا البيت من قصيدة مشهورة لمروان بن أبي حفصة مطلعها:

طرقتك زائرة فحيّ خيالها ... بيضاء تخلط بالجمال دلالها

الشعر لعَدِيّ بن الرِّقَاع. والغِناء للمعتزّ خفيفُ رَمَلٍ. وهذه الأبيات من قصيدة لعديٍّ يقولها في الوقعة التي كانت بين عبدالملك بن مَرْوانَ والمُصْعَب بن الزّبَيْر بطَسُّوجِ[١] مَسْكِن، فقُتل فيها مصعَبٌ بقرية من مَسْكِن يقال لها دَيْرُ الجاثَلِيق، وذكرتْه الشعراءُ في هذه الأبيات:

لعَمْـــرِي لقـــد أَصْحـــرتْ خيلُنـــا ... بـــأكنـــاف دِجْلـــةَ للمُصْعَـــبِ
/ يهـــزُّون كـــلَّ طـــويـــل القنـــا ... ةِ لَـــدْنٍ ومعتـــدلِ الثَّعْلَـــبِ[٢] [٩/٣٠٦]
فِـــداؤك أُمِّـــي وأبنـــاؤهـــا ... وإن شئـــتَ زدتُ عليهـــا أبـــي
ومـــا قلتُهـــا رهبـــةً إنمـــا ... يَحُـــلّ العقـــابُ علـــى المُـــذْنِـــبِ
/ إذا شئـــتُ نـــازلـــتُ مُستقتِـــلاً ... أُزاحِـــمُ كـــالجمـــل الأجـــربِ [١٧٩/٨]
فمـــن يَـــكُ منّـــا يَبِـــتْ آمنـــاً ... ومـــن يَـــكُ مـــن غيـــرنـــا يهـــرُبِ



(١) الطسوج: القرية أو الناحية. وطسوج مسكن: بالعراق. ودير الجاثليق يقع من طسوج مسكن غربي دجلة قرب بغداد من آخر السواد وأوّل أرض تكريت.

(٢) الثعلب هنا: رأس الرمح.

[٣٠٧/٩]

/ أخبار عَدِيّ بن الرِّقاع ونسبه

نسبه:

هو عَدِيّ بن زيد بن مالك بن عَدِيّ بن الرِّقاع بن عَصَر بن عَلّ[1] بن شَعْل[2] بن معاوية بن الحارث وهو عاملةُ بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرَّةَ بنِ أُدَد. وأُمُّ معاويةَ بنِ الحارث عاملةُ بنت وَدِيعةَ من قُضَاعة، وبها سُمُّوا عاملةَ. ونسَبه الناسُ إلى الرِّقاع، وهو جدُّ جدِّه، لشهرته؛ أخبرني بذلك أبو خَليفةَ عن محمد بن سَلاّم.

شاعر أموي اختص بالوليد بن عبدالملك جعله ابن سلام في الطبقة الثالثة:

وكان شاعراً مقدَّماً عند بني أُميّة مَدّاحاً لهم خاصّاً بالوليد بن عبدالملك. وله بنت شاعرة يقال لها سَلْمَى، ذكر ذلك أبن النَّطّاح. وجعله محمد بن سَلاّم في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام. وكان منزله بدمشق. وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم. وقد تعرَّض لجرير وناقضه في مجلس الوليد بن عبدالملك، ثم لم تتمَّ بينهما مُهاجاةٌ، إلاّ أنّ جريراً قد هجاه تعريضاً في قصيدته:

حَيِّ الهِدَمْلَةَ[3] من ذات المَوَاعِيسِ

ولم يصرِّح لأن الوليد حلَف إن هو هجاه أسْرَجَه وألْجمه وحمله على ظهره، فلم يصرِّح بهجائه.

ما جرى بينه وبين جرير في حضرة الوليد بن عبدالملك:

أخبرني أبو خَليفةَ إجازةً قال حدّثنا محمد بن سَلاّم قال أخبرني أبو الغَرّاف قال:

دخل جرير على الوليد بن عبدالملك وهو خليفة وعنده عَدِيّ بن الرِّقَاع العامِليّ. فقال الوليد لجرير: أتعرف هذا؟. قال: لا يا أمير المؤمنين. فقال الوليد:/ هذا عديّ بن الرِّقَاع. فقال جرير: فشَرُّ الثيابِ الرِّقاعُ، قال: ممّن [٣٠٨/٩] هو؟ قال: العامليّ. فقال جرير: هي التي يقول [فيها] الله عزّ وجلّ ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾. ثم قال:

يُقَصِّرُ باعُ العامليّ عن النَّدَى ... ولكنَّ أَيْرَ العامليِّ طويلُ

فقال له عَدِيّ بن الرِّقَاع:

أأُمُّك كانت أخبرتك بطُولِه ... أمَ انت امرؤٌ لم تَدْرِ كيف تقول

فقال لا! بل أدري كيف أقول. فوثَب العامليّ إلى رِجلِ الوليد فقبّلها وقال: أجِرْني منه. فقال الوليد لجرير: لئن شتمتَه لأُسْرِجنّك ولألجمنّك حتى يركبك فيعيِّرَكَ الشعراءُ بذلك. فكنى جريرٌ عن أسمه فقال:

---

(١) كذا في الأصول. وفي شرح «القاموس» مادة (رقع): «عدي». وفي «المقتضب» لياقوت (ص ٧٩): «عدة».

(٢) كذا في شرح «القاموس» و«والاشتقاق» لابن دريد و «المقتضب». وفي الأصول: «شغل» بالغين المعجمة، وهو تصحيف.

(٣) الهدملة والمواعيس: موضعان.

إنـي إذا الشـاعـر المغـرورُ حـرَّبنـي جـارٌ لقبـرٍ علـى مَـرّانَ[١] مَـرْمُـوس
قـد كـان أشْـوَسَ آبـاءٍ فـورَّثنـا شَغْباً على الناس في أبنائه الشُّوس[٢]
أقصِـرْ فـإنّ نِـزاراً لـن يفـاضلَهـا[٣] فـرعُ لئيـمٌ وأصـلٌ غيـرُ مغـروس
وابـن اللَّبُـون إذا مـا لُـزَّ فـي قَـرَنٍ لـم يَستطِـعْ صَـوْلـةَ البُـزْلِ القَنـاعِيـس

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال قال أبو عُبَيدة:

دخل جريرٌ على الوليد بن عبدالملك وعنده عديُّ بن الرِّقاع العامليّ. فقال له الوليد: أتعرف هذا؟ قال: لا، فمن هو؟ قال: هذا ابن الرِّقاع. قال فشرُّ الثِياب الرِّقاع، فممّن هو؟ قال: من عاملةَ. قال: أمن التي قال الله تعالى فيها: ﴿عَامِلَةٌ / ناصِبَةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾! . فقال الوليد: والله ليَركبنّك! / لِشاعرنا ومادحِنا والراثي لأمواتنا تقول هذه المقالة!! يا غلام بإكَافٍ[٤] ولجام. فقام إليه عمر بن الوليد فسأله أن يُعفيَه فأعفاه. فقال: والله لئن هجوتَه لأفعلنّ ولأفعلنّ. فلم يصرِّح بهجائه وعرَّض، فقال قصيدته التي أوّلُها: [٣٠٩/٩] ١٨٠/٨

حَيِّ الهِدَمْلَةَ من ذاتِ المَوَاعِيسِ

وقال فيها يعرِّض به:

قـد جَـرَّبَـتْ عَـرْكَتِـي فـي كـلّ مُعْتَـرَكٍ غُلْـبُ الأُسُـودِ فمـا بـالُ الضَّغَـابِيـسِ[٥]

فضل جرير عليه كثيراً في مجلس بعض الخلفاء:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثني الزُّبَير بن بكّار قال حدّثني سليمان بن عَيّاش السَّعْديّ قال:

ذُكِر كثيِّر وعديّ بن الرِّقاع العامليّ في مجلس بعض خُلفاء بني أُميّة، فامْتَرَوْا فيهما أيُّهما أشعر وفي المجلس جرير. فقال جرير: لقد قال كُثيِّر بيتاً هو أشهر وأعرَف في الناس من عَدِيّ بن الرِّقاع نفسه؛ ثم أنشد قولَ كثيِّر:

ألَانَ زُمَّ أجمـالٌ وفـارق جيـرةٌ وصـاح غـرابُ البيـن أنـت حـزيـنُ

قال: فحلف الخليفة لئن كان عديُّ بن الرِّقاع أعرفَ في الناس من بيت كثيِّر لَيُسْرِجَنَّ جَريراً ولَيُلْجِمنَّه ولَيَرْكبَنّ عَدِيّ بن الرِّقاع على ظهره. فكتب إلى واليه بالمدينة: إذا فرغتَ من خطبتك فسَلِ الناسَ من الذي يقول:

ألَانَ زُمَّ أجمـالٌ وفـارق جيـرةٌ وصـاح غـرابُ البيـن أنـت حـزيـن

وعن نسب ابن الرِّقاع. فلمّا فرَغ الوالي من خطبته قال: إنّ أمير المؤمنين كتب إليّ أن أسألكم من الذي يقول:

ألَانَ زُمَّ أجمالٌ وفارق جيرةٌ

(١) أراد قبر تميم بن مر بمرّان على أربع مراحل من مكة إلى البصرة. وحربني: أغضبني، يقال: منه حرب الرجل يحرب حرباً (من باب فرح).
(٢) الشوس (بالتحريك): التكبر والنظر بمؤخر العين.
(٣) كذا في «ديوانه» المخطوط. وفي أكثر الأصول: «لن يفاخركم». وفي س: «لن يفاخرهم».
(٤) الإكاف: برذعة الحمار.
(٥) الغلب: جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة. والضغابيس: جمع ضغبوس وهو الضعيف.

[٩/٣١٠] / قال: فٱبتَدَروا من كل وجه يقولون: كُثَيِّر كثيِّر. ثم قال: وأمرني أن أسأل عن نسب ٱبن الرِّقَاع؛ فقالوا: لا ندري؛ حتى قام أعرابيٌّ من مؤخَّر المسجد فقال: هو من عاملة.

نقد محمد بن المنجم بيتاً من شعره:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه قال قال لي محمد بن المنجِّم: ما أحدٌ ذُكِر لي فأحببتُ أن أراه فإذا رأيته أمرتُ بصَفْعه إلا عَدِيّ بن الرِّقَاع. قلت: ولِم ذلك؟ قال: لقوله:

وعلمتُ حتى ما أُسائل عالماً ... عن علم واحدةٍ لكي أزدادَها

فكنت أَعْرِض عليه أصنافَ العلوم، فكلما مَرَّ به شيء لا يُحسنه أمرتُ بصفعه.

جاءه شعراء ليعارضوه فردت عليهم بنته فأفحمتهم:

حدّثني إبراهيم بن محمد بن أيُّوبَ قال حدّثنا عبدالله بن مُسْلِم قال:

كان عديُّ بن الرِّقَاع ينزل بالشام، وكانت له بنت تقول الشعر. فأتاه ناس من الشعراء ليُماتِنُوه[1] وكان غائباً؛ فسمعت بنتُه وهي صغيرة لم تبلُغْ دَوْرَ وعيدِهم، فخرجتْ إليهم وأنشأتْ تقول:

تجمّعتُمُ من كلِّ أَوْبٍ وبَلْدةٍ ... على واحدٍ لا زلتمُ قِرْنَ واحدِ

فأفحمتْهم:

كان من أوصف الشعراء للمطية:

وقال عبدالله بن مُسْلِم:

وممّا يَتفرد به ويقدَّم فيه وصفُ المطيّة؛ فإنه كان من أوصف الشعراء لها.

استحسن أبو عمرو شعره:

حدّثني أحمد بن عُبيدالله بن عَمّار قال حدّثنا محمد بن عَبّاد بن موسى قال: كنت عند أبي عمرو أَعْرِض أو يَعْرِض عليه رجلٌ بحضرتي من شعر عَدِيّ بن الرِّقَاع، وقرأتُ أو قرأ هذه الأبيات:

[٩/٣١١] / لولا الحياءُ وأنّ رأسيَ قد عَسَا[2] ... فيه المَشِيبُ لَزُرْتُ أمَّ القاسِم

/ وكأنها وَسْطَ النساء أعارَها ... عينيه أَحْوَرُ من جآذرِ جاسِم

وَسْنانُ أقصدَه النُّعاسُ فَرنَّقتْ ... في عينه سِنَةٌ وليس بنائم

فقال أبو عمرو: أحسنَ واللهِ!. فقال رجل كان يحضُر مجلسه أعرابيٌّ كأنه مدنيّ: أمَا والله لو رأيتَه مشبوحاً بين أربعةٍ وقُضْبانُ الدِّفْلَى[3] تأخذه لكنتَ أشدَّ له ٱستحساناً. يعني إذا كان يُغَنّي به على العود.

(١) ماتنه في الشعر: عارضه.

(٢) عسا: اشتد.

(٣) الدفلي: نبت مرّ زهره كالورد الأحمر وحمله كالخروب

استحسن أبو عبيدة بيتاً له:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد عن عليّ بن المغيرة قال:

كان أبو عُبَيْدة يستحسن بيت عديّ بن الرِّقَاع:

وَسْنانُ أقْصدَه النُّعاس فرنَّقَتْ ... في عينه سِنَةٌ وليس بنائم

جدّاً ويقول: ما قال أحد في مثل هذا المعنى أحسن منه في هذا الشعر. وفي هذا الشعر غناء، نسبتُه:

صوت

لولا الحياءُ وأن رأسيَ قد عَسَا ... فيه المَشِيبُ لزُرْتُ أمَّ القاسم

وكأنّها وَسْطَ النساء أعارَها ... عينيه أحْوَرُ من جآذِرِ جاسِم

وَسْنانُ أقْصدَه النُّعاسُ فرنَّقَتْ ... في عينه سِنَةٌ وليس بنائم

ألِمّ على طَلَلٍ عَفَا مُتَقادِمِ ... بين الذُّوَيْبِ[1] وبين غَيْبِ النَّاعِمِ

/ عروضه من الكامل. الجآذِر: جمع جُؤذُر وهي أولاد البقر الوحشيّة. وجاسِمٌ: موضع. ويُروى في هذا الشعر [٩/٣١٢] «عاسِم» مكان «جاسِم». والوَسْنَانُ: النائم، والوَسَنُ النوم، الواحدة منه سِنَة. والتَّرْنيق: الدنُوُّ من الشيء يريد أن يفعله، يقال: رَنَّقَتِ العُقَابُ لصيدها إذا دَنَتْ منه، وترنيقُها أيضاً أن تُقَصِّر عن الخَفَقان بجناحيها. ويقال: طيرٌ مرنِّقة إذا جاءت تطير ثم أرادت الوقوعَ ومدَّت أجنحتَها فلم تَخْفُق وترجَّحتْ. ويقال للقوم إذا قصَّروا في سيرهم، وللسابح إذا قصَّر في الخَفْق بيديه ورجليه: قد رنَّقوا ترنيقاً. الشعر لعديّ بن الرِّقَاع. والغِناء لابن مِسْجَح خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر يُنسب إليه أيضاً، وذكر الهِشاميّ أنه من منحول يحيى بن المَكّيّ إليه.

استحسن أبو عمرو شعره واستحسن مدني الغناء به:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن عبدالله المعروف بالحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو قال:

كنت عند أبي ورجلٌ يقرأ عليه شعر عَدِيّ بن الرِّقَاع. فلما قرأ عليه القصيدة التي يقول فيها:

لولا الحياءُ وأنّ رأسيَ قد عَسَا ... فيه المَشيبُ لزرتُ أمَّ القاسم

قال أبي: أحسن والله عَدِيُّ بن الرِّقَاع! قال: وعنده شيخ مَدَنيّ جالس، فقال الشيخ: والله لئن كان عَدِيٌّ أحسن لَمَا أساء أبو عَبّاد. قال أبي: ومن هو أبو عبّاد؟ قال: مَعْبَد. والله لو سمعتَ لحنه في هذا الشعر لكان طربُك أشدَّ واستحسانُك له أكثرَ. فجعل أبي يضحك.

(١) كذا في «معجم البلدان» في الكلام عن الذويب وغيب الناعم. وفي الأصول: «الركيك» وهو تحريف. والذويب: ماء بنجد لبني دهمان بن نصر بن معاوية. وذكر ياقوت أن غيب الناعم موضع في شعر عدي بن الرقاع، وذكر البيت.

مدح عبيدة بن عبدالرحمن حين عزله الوليد فجفاه الوليد ثم رضي عنه:

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن جَرير عن محمد بن سَلّام قال:

[٩/٣١٣] [١٨٢/٨] / عزل الوليدُ بن عبدالملك عُبَيْدَةَ بن عبدالرحمن عن الأرْدُنّ وضربه وحلقه وأقامه للناس وقال / للمتوكّلين به: من أتاه متوجِّعاً وأَثْنَى عليه فأْتُوني به. فأتى عَدِيُّ بن الرِّقَاع، وكان عُبَيْدة إليه محسناً، فوقف عليه وأنشأ يقول:

فما عزلوك مسبوقاً ولكن ... إلى الخيرات سَبَّاقاً جَوَادَا

وكنتَ أخي وما وَلَدتْك أُمّي ... وَصُولاً باذلاً لي مستزادا

وقد هِيضتْ لِنَكْبتك القُدَامَى ... كذاك الله يفعل ما أرادا

فوثَب المتوكِّلون به إليه، فأدخلوه إلى الوليد وأخبروه بما جَرى. فتغيَّظ عليه الوليد وقال له: أتمدح رجلاً قد فعلتُ به ما فعلت!. فقال: يا أمير المؤمنين، إنه كان إليّ مُحْسِناً، ولي مُؤْثِراً، وبي بَرّاً؛ ففي أيّ وقت كنت أُكافئه بعد هذا اليوم!. فقال: صدقتَ وكَرُمتَ! فقد عفوتُ عنك وعنه لك! فخُذْه وانْصرِفْ. فانصرَف به إلى منزله.

عدّه جرير أنسب الشعراء لشعر له:

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أحمد بن يحيى ثَعْلَب قال: قال نوح بن جَرير لأبيه: يا أبتِ، مَنْ أَنْسَبُ الشعراء؟ قال له: أتَعْني ما قلتُ؟ قال: إنّي لستُ أريد من شعرك إنما أُريد من شعر غيرك. قال: ابنُ الرِّقَاع في قوله:

لولا الحياء وأنّ رأسيَ قد عَسَا ... فيه المَشِيب لَزُرْتُ أُمَّ القاسم

الثلاثَة الأبياتِ. ثم قال لي: ما كان يُبالِي أن لم يقل بعدها شيئاً.

عجب جرير من توفيقه في تشبيه دقيق:

أخبرني الحسن بن عليّ عن هارون بن محمد بن عبدالملك عن أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال:

قال جَرير: سمعت عَدِيَّ بن الرِّقَاع يُنشد:

تُزْجِي أَغَنَّ كأنّ إبرةَ رَوْقِه[١]

[٩/٣١٤] / فرَحِمتُه من هذا التشبيه فقلت: بأيّ شيء يُشَبِّهه تُرَى! فلما قال:

قَلَمٌ أصاب من الدَّواةِ مِدادَها

رحِمتُ نفسي منه

/تابع روح بن زنباع ثم خالفه وتابع نائل بن قيس في نسبهم:

أخبرني اليَزِيديّ قال حدّثني عمّي عُبيدالله عن ابن حَبِيبَ عن أبي عُبَيْدة قال:

مال رَوْح بن زِنْباع الجُذَاميّ إلى يزيد بن معاوية لمّا فصَل بين الخطبتين فقال: يا أمير المؤمنين، أَلْحِقْنا

---

(١) الروق: القرن.

بإخوتنا من مَعَدٍّ فإنا مَعَدِّيُّون، والله ما نحن من قَصَب الشأم ولا من زعاف[١] اليمن. فقال يزيد: إن أجمع قومُك على ذلك جعلناك حيث شئتَ. فبلغ ذلك عَدِيَّ بن الرِّقَاع فقال:

إنّـا رَضِينـا وإن غـابـت جمـاعتُنـا ... مـا قـال سيِّـدُنـا رَوْح بـن زِنْبـاع

يـرعَـى ثمـانيـن ألفـاً كـان مثلُهُـمُ ... ممّـا يُخـالِـف أحيـانـاً علـى الـرّاعـي

قال: فبلغ ذلك نائِلَ بن قَيْس الجُذَامِيّ، فجاء يركُض فرسَه حتى دخل المقصورةَ في الجمعة الثانية. فلمّا قام يزيد على المنبر، وثَب فقال: أين الغادر الكاذب رَوْح بن زِنْباع؟! فأشاروا إلى مجلسه. فأقبل عليه وعلى يزيد ثم قال: يا أمير المؤمنين، قد بلغني ما قال لك هذا، وما نعرف شيئاً منه ولا نُقِرُّ به، ولكنّا قوم من قَحْطان يَسَعُنا ما يسعهم ويَعْجِزَ عنّا ما يعجز عنهم. فأمسك رَوْح ورجع عن رأيه. فقال عَدِيُّ بن الرِّقَاع في ذلك:

أضـــلالُ ليـــلٍ ســاقـــطٍ أكنـــافُـــه ... فـــي النـــاس أغـــدَرُ أم ضـــلالُ نهـــارِ

قَحْطـانُ والـدُّنـا الـذي نُـدْعَـى لـه ... وأبــو خُــزَيْمــةَ خِنــدِفُ بــن نِــزار

/ أنبيــع والــدَنـا الـذي نُـدْعَـى لـه ... بــأبــي مَعَــاشِــرَ غــائــبٍ مُتــواري [٩/٣١٥]

تلـــك التجـــارةُ لا زكـــاءَ لمثلهـــا ... ذهـــبٌ يبـــاع بـــآنُـــكٍ[٢] وإبـــار

/ فقال له يزيد: غَيَّرتَ يابنَ الرِّقَاع. قال: إنّ نائلاً والله عليّ أعزُّهما سُخطاً، وأنصحُهما لي ولعَشيرتي. قال أبو عُبَيْدة: الإبار: جمع إبْرة. ١٨٣/٨

ما كان بينه وبين ابن سريج في حضرة الوليد بن عبد الملك:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاقَ عن أبيه عن جدِّه إبراهيم:

أن الأحوص وابن سُرَيج قَدِما المدينة[٣]، فنزلا في بعض الخانات ليُصْلِحا من شأنهما، وقد قدم عَدِيُّ بن الرِّقَاع وكانت هذه حالَه، فنزل عليهما. فلما كان في بعض الليل أفاضوا في الأحاديث؛ فقال عَدِيُّ بن الرِّقَاع لابن سُرَيج: والله لخروجُنا كان إلى أمير المؤمنين أَجْدَى علينا من المُقام معك يا مولى بني نَوْفَل. قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنك تُوشِك أن تُلْهِيَنا فتشغَلَنا عمّا قصدنا له. فقال له ابن سُرَيج: أوَ قِلّةَ شكرٍ أيضاً! . فغضِب عَدِيٌّ وقال: أنك لتَمُنُّ علينا أن نزلنا عليك؛ وإني أُعاهدُ اللهَ ألّا يُظِلَّنِي وإياكَ سقفٌ إلا أن يكون بحضرة أمير المؤمنين. وخرج من عندهما. وقدم الوليد من باديته فأذِن لهما فدخلا. وبلغه خبر ابن الرِّقَاع وما جرى بينه وبين ابن سُرَيج؛ فأمَر بابن سُرَيج فأُخْفِيَ[٤] في بيت ودعا بعَدِيّ فأدخله؛ فأنشده قصيدةً امتدحه بها. فلما فرَغ، أومأ إلى بعض الخَدَم فأمر ابنَ سُرَيج فغنَّى في شعر عَدِيِّ بن الرِّقَاع يمدح الوليدَ:

عَـرَف الـديـارَ تَـوَهُّمـاً فـاعتـادهـا ... مـن بعـدمـا شَمِـل البِلَـى أبـلادَهـا[٥]

---

(١) كذا في الأصول: ولعله «من رعان اليمن» أي جبالها أو «من زعانف اليمن».

(٢) الآنك: الرصاص.

(٣) كذا في الأصول. والأحرى أن تكون «دمشق» إذ المعروف أن دمشق كانت عاصمة ملك بني أمية التي كان يقصد إليها الروّاد والوافدون وبها ينزلون.

(٤) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «فأدخل».

(٥) اعتادها: أعاد النظر إليها مرة بعد أخرى لدروسها حتى عرفها. وشمل: عم. والأبلاد: الآثار.

[٣١٦/٩] / فطرِب عَدِيٌّ وقال: لا والله ما سمعتُ يا أمير المؤمنين بمثل هذا قطُّ ولا ظننت أن يكون مثلُه طِيباً وحُسْناً. ولولا أنه في مجلس أمير المؤمنين لقلتُ طائفٌ من الجنّ. أيأذَن لي أمير المؤمنين أن أقول؟ قال: قل. قال: مثلُ هذا عند أمير المؤمنين وهو يبعث إلى ابن سُرَيج يتخطّى به قبائلَ العرب فيقال: ابنُ سُرَيج المغنّي مولى بني نَوْفَل بعث أمير المؤمنين إليه!. فضحك ثم قال للخادم: أخْرِجْه فخرج. فلما رآه عديٌّ أطْرَق خَجَلاً ثم قال: المعذرةَ إلى الله وإليك يا أخي، فما ظننتُ أنك بهذه المنزلة، وإنك لحَقيقٌ أن تُحْتَمَل على كل هفوة وخطيئة. فأمر لهم الوليد بمال سَوَّى بينهم فيه، ونادمهم يومئذٍ إلى الليل.

نسبة هذا الصوت المذكور في هذا الخبر وسائرِ ما مضى في أخبار عَدِي قبله من الأشعار التي فيها غناء:

صـوت

عـرَف الـدّارَ تَـوَهُّمـاً فـاعتـادهـا ... مـن بعـد مـا شمِـل البِلَـى أبـلادَهـا

إلاّ رَوَاكِـدَ كلُّهـن قـد اصطلَـى ... حمـراءَ أشْعـلَ أهلُهـا إيقـادَهـا

عروضه من الكامل. الشعر لعَدِيّ بن الرِّقَاع. والغناء لابن مُحْرِز خفيفُ ثقيلٍ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

أفحمه كثير في حضرة الوليد بن عبدالملك:

أخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق قال حدّثني أحمد بن الهَيْثَم بن فِراس قال حدّثني العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال:

أنْشد عَدِيّ بن الرِّقَاع الوليدَ بن عبدالملك قصيدتَه التي أوّلُها:

عرَف الديارَ تَوَهُّماً فاعتادها

وعنده كثيِّر وقد كان يَبلُغه عن عَدِيّ أنه يطعن على شعره ويقول: هذا شعر حجازيٌّ مَقْرورٌ إذا أصابه قُرُّ الشام جمَد وهلَك. فأنشده إيّاها حتى أتى على قوله:

[٣١٧/٩] / وقـصـيـدةٍ قـد بِـتُّ أجمـع بينهـا ... حتـى أقـوِّمَ مَيْلَهـا وسِنَـادَهـا[١]

فقال له كثيِّر: لو كنتَ مطبوعاً أو فصيحاً أو عالماً لم تأتِ فيها بميلٍ ولا سِنَاد فتحتاج إلى أن تقوِّمها. ثم أنشد:

نَظَـرَ المثقِّـف فـي كُعـوب قَنَـاتـه ... حتـى يُقِيـمَ ثِقـافُـه مُنـآدَهـا

فقال له كثيِّر: لا جَرَمَ أنّ الأيام إذا تطاولتْ عليها عادت عوجاءَ، ولأن تكونَ مستقيمةً لا تحتاج إلى ثِقافٍ أجودُ لها. ثم أنْشد:

وعلمـتُ حتـى مـا أُسـائـل واحـداً ... عـن علـم واحـدةٍ لكـي أزدادَهـا

فقال كثيِّر: كذَبتَ وربِّ البيت الحرام! فليمتحنْك أميرُ المؤمنين بأن يسألك عن صِغار الأمور دون كبارها حتى يتبيَّنَ جهلك. وما كنتَ قطُّ أحمقَ منك الآنَ حيث تظنّ هذا بنفسك. فضحك الوليد ومَنْ حضر، وقُطِع بعديّ بن الرِّقَاع حتى ما نطَق.

(١) يريد بالسناد هنا عيباً في الشعر. والسناد في اصطلاح العروضيين هو اختلاف الحرف الذي قبل الردف بالفتح والكسر. والردف هو حرف اللين الذي قبل الروي. (انظر الكلام عليه في «العقد الفريد» ج ٣ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ طبع بولاق، و «اللسان» مادة «سند»).

/ أخبار المعتزّ في الأغاني ومع المغنّين وما جَرَى هذا المجرَى [٩/٣١٨]

شعره في جارية يهواها:

حدّثني محمد بن يحيى الصُّولِيّ قال حدّثني عليّ بن محمد بن نصر[1] قال حدّثني جدّي حَمْدون بن إسماعيل قال:

اصطبح المعتزّ في يوم ثُلاثاءَ ونحن بين يديه ثم وثَب فدخل، واعترضتْه جارية كان يحبّها ولم يكن ذلك اليوم من أيامها فقبّلها وخرج؛ فحدثني بما كان وأنشدني لنفسه في ذلك:

صـوت

إنـي قَمَـرْتُـكَ يـا سـؤلـي ويـا أمَلِـي ... أمـراً مُطـاعـاً بـلا مَطْـلٍ ولا عِلَـلِ

حتّـى متـى يـا حبيـبَ النفـس تَمطُلنـي ... وقـد قمـرتـك[2] مَـرّاتٍ فلـم تَـفِ لـي

يـومُ الثـلاثـاء يـومٌ سـوف أشكـره ... إذ زارنـي فيـه مَـنْ أهـوي علـى عَجَـلِ

فلـم أنَـلْ منـه شيئـاً غيـرَ قُبْلتـه ... وكـان ذلـك عنـد أعظـمَ النَّفَـلِ

قال: وعُمِل فيه لحن خفيف وشربنا عليه سائرَ يومنا. الغناء في هذه الأبيات لعَرِيبَ رَمَلٌ عن الهشاميّ. ولأبي العُبَيْس في الثالث والرابع هَزَجٌ.

طارحه بنان المغني في بيت من الشعر وتغنى فيه:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولِيّ قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ قال حدّثني أبي قال:

كان المعتزُّ يشرب على بستان مملوء من النَّمّام[3] وبين النَّمّام شقائق النعمان، فدخل إليه يونس بن بُغَا وعليه قَباءٌ أخضر؛ فقال المعتزّ: [٩/٣١٩]

/ صـوت

شبّهـتُ حُمـرةَ خـدّه فـي ثـوبـه ... بشقـائـق النُّعمـان فـي النَّمّـامِ

ثم قال: أَجِيزوا. فابتدَر بَنَانٌ المُغَنّي، وكان ربّما عبث بالبيت بعدَ البيت، فقال:

والقَـدُّ منـه إذا بـدا فـي قَـرْطَـقٍ[4] ... كـالغصـن فـي لِيـنٍ وحسـن قَـوام

فقال له المعتزّ: فغَنِّ فيه الآن، فعمِل فيه لحناً. لحنُ بَنَانٍ في هذين البيتين من خفيف الثقيل الثاني وهو الماخُورِيّ.

(١) في الأصول: «محمد بن علي بن نصر». وقد تقدّم هذا الاسم غير مرة كما أثبتناه.
(٢) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «قصدتك».
(٣) النمام: نبت ورقة كالسذاب عطريّ قويّ الرائحة. سمي بذلك لسطوع رائحته.
(٤) القرطق: قباء ذو طاق واحد (معرب).

أخبر بوفاة أم يونس بن بغا ففتر المجلس ثم عاد أحسن ما كان:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني محمد بن يحيى بن أبي عبّاد قال حدّثني عمر بن محمد بن عبدالملك قال:

شرب المعتزّ ويونس بن بُغَا بين يديه يَسْقيه والجلساءُ والمغنُّون بين يديه وقد أَعَدّ الخِلَعَ والجوائز، إذ دخل بُغَا فقال: يا أمير المؤمنين، / والدة عبدك يونسَ في الموت وهي تُحِبّ أن تراه؛ فأذِن له فخرج. وفتَرَ المعتزُّ ونَعَس بعده، وقام الجلساء وتفرّق المغنُّون، إلى أن صُلّيت المغرب، وعاد المعتزّ إلى مجلسه، ودخل يونس وبين يديه الشموع. فلما رآه المعتزّ دعا برِطْلٍ فشربه وسقَى يونسَ رِطْلاً وغنّاه المغنُّون، وعاد المجلس أحسنَ ما كان؛ فقال المعتزّ:

١٨٥/٨

صوت

تَغيـــبُ فـــلا أَفـــرَحُ فلَيْتَـــك مـــا تَبْـــرَحُ
وإنْ جئـــتَ عـــذَّبْتَنـــي بـــأنّـــك لا تَسْمـــحُ
فـــأصبحـــتُ مـــا بيـــن ذَيْـــنِ لـــي كبـــدٌ تُجْـــرَحُ
علـــى ذاك يـــا سيِّـــدي دُنُـــوُّك لـــي أصلَـــحُ

ثم قال: غنُّوا فيه، فجعلوا يفكِّرون. فقال المعتزُّ لسليمان بن القَصّار الطُّنْبُوريّ: وَيْلَكَ! ألحانُ الطُّنْبور أملَحُ وأخفّ فغنِّ فيه أنت؛ فغنّى فيه لحناً؛ فدفع إليه دنانيرَ/ الخريطة وهي مائة دينار مكيّة ومائتان مكتوبٌ على كلِّ دينار منها «ضُرِب هذا الدينار بالجَوْسَق بخريطة[1] أمير المؤمنين المعتزّ بالله» ثم دعا بالخِلَع والجوائز لسائر الناس، فكان ذلك المجلس من أحسن المجالس.

[٣٢٠/٩]

لحنُ سليمانَ بن القَصّار في هذه الأبيات رَمَلٌ مطلَق.

لما قتل بغا هنأه الناس بالظفر:

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن عبد السميع الهاشميّ قال حدّثني أبي قال:

لمّا قُتل بُغَا[2] دخلنا فهنأنا المعتزّ بالظَّفَر، فاصطبح ومعه يونس بن بُغَا، وما رأينا قطُّ وجهين أجتمعا أحسنَ من وجهيهما. فما مضت ثلاثُ ساعات حتى سكِر، ثم خرج علينا المعتزّ فقال:

مـــا إنْ تَـــرَى مَنْظَـــراً إن شئتَـــه حسنـــاً إلاّ صَـــريعـــاً يُهَـــادَى[3] بيـــن سُكْـــرَيـــنِ
سُكْـــرِ الشـــراب وسكـــرٍ مـــن هَـــوَى رَشَـــإ تخـــالـــه والـــذي يَهْـــواه غُصْنَيْـــن

(١) لعله: «لخريطة أمير المؤمنين» أي ضربت لخزانته الخاصة.

(٢) هو أحد قوّاد الأتراك المبرزين وقد اشترك في قتل المتوكل بدسيسة من ابنه المنتصر، وكان يتولى الحرس ليلة قتل فسهل للقتلة الدخول للقصر. خدم عدّة خلفاء في الدولة العباسية. وجفاه المعتز فوكل به وليداً المغربي فقتله غيلة وحمل رأسه إليه، فوهبه عشرة آلاف دينار وخلع عليه خلعة، ونصب رأسه بسامرا ثم ببغداد. (راجع الطبري القسم الثالث ص ١٤٥٨ ـ ١٤٦١، ١٦٩٤ ـ ١٤٩٧).

(٣) جاء فلان يهادي بين اثنين مهاداة (بالبناء للمفعول): جاء يتمايل.

ثم أمر فتغنّى فيه بعضُ المغنِّين.

قصة المعتز ويونس بن بغا مع ديراني:

حدثني الصُّولِيّ قال حدّثني أحمد بن محمد بن إسحاق الخُرَاسانيّ قال حدّثني الفضل بن العباس[1] بن المأمون قال:

/ كنت مع المعتزّ في الصيد، فأنقطع عن الموكِب وأنا ويونس بن بُغَا معه، ونحن بقرب قَنْطَرة[2] وصِيف، [٩/٣٢١] وكان هناك دَيْرٌ فيه دَيْرانِيٌّ يعرفني وأعرفه، نظيفٌ ظريفٌ مليحُ الأدب واللفظ. فشكا المعتزُّ العطشَ. فقلت: يا أمير المؤمنين، في هذا الدير دَيْرانِيٌّ أعرفه خفيفُ الروح لا يخلو من ماء بارد، أفَتَرى أن نميلَ إليه؟ قال نعم. فجئناه فأخرج لنا ماءً بارداً، وسألني عن المعتزّ ويونس فقلت: فَتَيانِ من أبناء الجُنْد؛ فقال: بل مُفْلِتَانِ من حُورِ الجَنَّة. فقلت له: هذا ليس في دِينك. فقال: هو الآن في ديني. فضحِك المعتزّ. فقال لي الدَّيْرانِيُّ: أتأكلون شيئاً؟ قلت نعم. فأخرج شطيراتٍ وخبزاً وإداماً نظيفاً، فأكلنا أطيبَ أكل، وجاءنا بأطراف[3] أُشْنانٍ. فأستظرفه المعتزُّ وقال لي: قل له فيما بينك وبينه: مَنْ تحبّ أن يكون معك من هذين لا يفارقك. فقلت له، فقال: «كلاهما[4] وتمراً». فضحك المعتزُّ حتى مال على حائط الدَّيْر. فقلت للدَّيْرَانِيّ: لا بدّ من أن تختار. فقال: الأختيار والله في هذا دَمَار، وما خلق الله عقلاً يميِّز بين هذين. ولحِقهما الموكب، فأرتاع الدَّيْرانِيُّ. / فقال له المعتزّ: بحياتي لا تنقطع عما كنا [١٨٦/٨] فيه، فإنّي لِمَنْ ثَمّ مولى ولِمَنْ ها هنا صَديق. فمَزَحْنا ساعةً؛ ثم أمر له بخمسمائة[5] ألف درهم. فقال[6]: والله ما أقبلها إلّا على شرط. قال: وما هو؟ قال: يجيب / أمير المؤمنين دَعْوتي مع من أراد. قال: ذلك لك. فأتّعدْنا ليوم [٩/٣٢٢] جئناه فيه، فلم يُبْقِ غايةً، وأقام للمَوْكِب كلّه ما أحتاج إليه، وجاءنا بأولاد النصارى يخدِمُوننا. ووصلَه المعتزُّ يومئذٍ صلةً سنيّةً؛ ولم يزل يعتاده ويُقيم عنده.

ولي الخلافة وله سبع عشرة سنة، وشعره في ذلك:

حدثني الصُّولِيّ قال حدّثنا عبدالله بن المعتزّ قال:

بُويع للمعتزّ بالخلافة وله سبعَ عشرةَ سنةً كاملة وأشهرٌ. فلما أنقضت البَيْعة قال:

تَـوَحَّـدَنـي الـرحـمـنُ بـالـعِـزِّ والعُـلاَ ... فـأصبحـتُ فـوقَ العـالمـيـن أميـرَا

(١) كذا في «مسالك الأبصار» (حـ ١ ص ٢٨٢ طبع دار الكتب المصرية) و «معجم البلدان» في كلامهما عن دير مرمار ـ وفي «معجم البلدان»: «دير مرماري» بياء ـ وفي الأصول: «العباس بن المفضل بن المأمون». وذكر اليعقوبي في تاريخه أن المأمون خلف من الولد الذكور ستة عشر وذكر منهم «العباس» و«الفضل».

(٢) كذا في جـ و«مسالك الأبصار». وفي سائر الأصول: منظرة وصيف».

(٣) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «بأظرف إنسان» وهو تحريف.

(٤) في «مسالك الأبصار»: «فقال: كلاهما» بدون «وتمراً». و«كلاهما وتمراً» مثل قائله عمرو بن حمران وقد مر به رجل أضر به العطش والسغوب وبين يديه زبد وتامك وتمر. فقال له الرجل: أطعمني من هذا الزبد والتامك. فقال عمرو: «نعم كلاهما وتمراً» فصارت مثلاً في زيادة الإكرام. أي لك كلاهما وأزيد تمراً. ويروى «كليهما وتمراً» بالنصب على تقدير فعل محذوف أي أطعمك.

(٥) في «مسالك الأبصار»: «بخمسين ألف درهم».

(٦) في الأصول: «فقبلها فقال... إلخ» بزيادة كلمة «فقبلها». وظاهر أنها من زيادات النساخ، إذ يأباها سياق الكلام، وليست موجودة في «مسالك الأبصار».

هكذا ذكر الصُّوليّ في قافية الشعر. ووجدته في أغاني بَنَانٍ مرفوعَ القافية، وله فيه صنعة. ولعلّ المعتزّ قال البيت، فأضاف بَنَانٌ إليه آخرَ وجعل المخاطبة عن نفسه للمعتزّ فقال:

صوت

تَوَحَّدكَ الرحمنُ بالعز والعُلاَ فأنت على كل الأنام أميرُ
تُقاتِلُ عنك التُّرْكُ والخُزْرُ كلُّها كأنَّهُمُ أُسْدٌ لهنّ زئيرُ

الغناء لبَنانٍ [لَحْنانِ[1]] خفيفُ ثقيلٍ وخفيفُ رملٍ. ومما قاله المعتزُّ وغنّى فيه قولُه ـ ذكر الصُّوليّ أن عبدالله بن المعتزّ أنشده إيّاه لأبيه ـ:

صوت

ألَا حَيِّ الحبيبَ فَدَتْهُ نفسي بكأسٍ من مُدامة خانِقِينَا[2]
فإنّي قد بَقِيتُ مع الليالي أُقاسِي الهَمَّ في يده سِنينا

الغِناء فيه لِعَريبَ خفيفُ رَمَلٍ، ولبَنَانٍ هَزَجٌ.

[٩/٣٢٣] / وممّن ذُكر أن له صنعةً من الخلفاء المعتمِد.

غناء المعتمد:

قال محمد بن يحيى الصُّوليّ ذكر عبدالله بنِ المعتزّ عن القاسم بن زُرْزُور أن المعتمِد أَلْقَى عليه لحناً صنعه في هذا الشعر وهو:

ليس الشَّفِيعُ الذي يأتيك مُؤْتزِراً مثلَ الشَّفِيع الذي يأتيكَ عُرْيانَا

الشعر للفرزدق. والغناء للمعتمِد، ولحنُه فيه خفيفُ ثقيلٍ. هذه حكاية الصُّوليّ. وفي غناء عَرِيبَ: لها في هذا البيت خفيفُ ثقيلٍ. ولا أعلم لِمَنْ هو منهما على صحة، إلاّ أنّ المشهور في أيدي الناس أنه لعَرِيبَ. ولم أسمع للمعتمد غناءً إلاّ من هذه الجهة التي ذكرتُها.

(١) زيادة عن حـ.
(٢) خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد.

/ ذكر أخبار الفرزدق في هذا الشعر خاصة دون غيره [٩/٣٢٤]

لأنّ أخباره كثيرة جداً، فكرهت أن أثبتها ها هنا في غناء مشكوك فيه،

فذكرت نسبه وخبره في هذا الشعر خاصة،

وأخباره تأتي بعد هذا في موضع مفرد يتسع لطول أحاديثه

نسبه:

الفرزدق لقبٌ غلب عليه. وٱسمه هَمّام بن غالب بن صَعْصَعة بن ناجِيَةَ بن عِقال بن محمد بن سُفْيان بن مُجاشِع بن دارِم بن مالك [بن حَنْظَلة بن مالك] بن زيد مَناةَ بن تَميم.

هو وجرير والأخطل أشعر طبقات الإسلاميين:

وهو وجرير والأخطل أشعرُ / طبقات الإسلاميّين والمقدَّمُ في الطبقة الأولى منهم. وأخباره تُذكر مفردةً في $\frac{١٨٧}{٨}$ موضع آخر يتّسع لها، ونذكر ها هنا في هذا المعنى. فأخبرني خبَره في ذلك جماعة. فممّن أخبرني به أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة، وأخبرني به أبو خَليفة إجازةً عن محمد بن سَلّام، وأخبرني به محمد ابن العباس اليَزيديّ عن السُّكَّريّ عن محمد بن حَبيبَ عن أبي عُبَيْدة وٱبن الأعرابيّ، قال عمر بن شبّة خاصّة في خبره حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني أبي:

حديث الفرزدق والنوار وذمه بني قيس وزهيراً وبني أم النسير لمعاونتهم إياها:

أنّ عبدالله بن الزُّبَير تزوّج تُماضِرَ بنت منظور بن زَبّانَ، وأمُّها مُلَيْكة بنت خارجةَ بن سِنان بن أبي حارثة، فخاصم الفرزدقُ امرأتَه النَّوَارَ إلى ٱبن الزُّبَير. هكذا ذكر محمد بن يحيى ولم يذكر السببَ في الخصومة، وذكرها عمر بن شَبّة ولم يَرْوِها عن أحد، وذكرها ٱبن حَبيبَ عن أصحابه، وذكرها أبو غَسّان دَماذٌ عن أبي عُبَيْدة: أن رجلاً من بني أُميّة خطَب النَّوَارَ بنت أَعْيَنَ المُجَاشعيّة، فَرضيَتْه وجعلتْ أمرَها إلى الفرزدق. فقال لها: أشْهِدي لي بذلك على نفسك شهوداً ففعلتْ، وٱجتمع الناس لذلك. فتكلَّم الفرزدق ثم قال: اشهَدوا أنّي قد تزوّجتها وأصدقتها كذا وكذا، فأنا ٱبن عمّها / وأحقُّ بها. فبلغَ ذلك النَّوَارَ فأبَتْه وٱستترتْ من الفرزدق وجزِعتْ ولجأتْ إلى بني قيس بن [٩/٣٢٥] عاصم المِنْقَريّ. فقال فيها:

بَنِي عاصمٍ لا تُلْجِئوها فإنكم ... مَلاجِىءُ للسَّوْءات دُسْمُ العمائِمِ[١]

بني عاصمٍ لو كان حيّاً أبوكُم ... لَلامَ بَنِيه اليومَ قيسُ بن عاصمِ

فقالوا: والله لئن زدتَ على هذين البيتين لتقتلنّك غِيلةً. فنافرتْه إلى عبدالله بن الزُّبَير وأرادت الخروج إليه؛ فتحامَى الناسُ كِراءَها. ثم إن رجلاً من بني عَدِيٍّ يقال له زُهَير بن ثَعْلَبة وقوماً يُعْرَفون ببني أُمِّ النُّسَيْر أكْرَوْها؛ فقال الفرزدق:

(١) دسمت عمائمهم، أي وسخت وقذرت.

ولــولا أن تقــول بنــو عَــدِيٍّ … أليســت أمَّ حَنْظَلــةَ النَّــوارُ

أتتكــم يــا بنــي مِلْكــانَ عنّــي … قــوافٍ لا تُقَسِّمهــا[1] التُّجّــارُ

يعني بالنَّوَار ها هنا بنت جُلّ[2] بن عَدِيّ بن عبد مَنَاة وهي أُمُّ حَنْظَلةَ بن مالك بن زيد مَنَاةَ وهي إحدى جَدّاته. وقال فيها أيضاً:

سَرَى بالنَّوَار عَوْهَجِيٌّ[3] يَسُوقه … عُبَيْدٌ قَصِيرُ الشِّبْرِ[4] نائي الأقاربِ

تؤمُّ بلادَ الأمنِ دائبةَ السُّرَى … إلى خير والٍ من لُؤَيِّ بن غالب

فدونكَ عِرْسِي[5] تبتغي نَقْضَ عُقدتي … وإبطالَ حقِّي باليمين الكواذب

[٩/٣٢٦] / وقال أيضاً:

ولــولا أنّ أمّــي مــن عَــدِيٍّ … وأنــي كــارِهٌ سُخْــطَ الــرِّبــاب

إذاً لأتــى الــدواهِــي[6] مــن قَــريــبٍ … جــزاءً غيــر مُنْصَــرِفِ العِقــاب

وصُلْــتُ علــى بنــي مِلْكــانَ منّــي … بجيــش غيــر مُنْتَظَــر الإيــاب[7]

وقال لزهير أيضاً:

لبئــس العِــبْءُ يحملــه زُهَيــرٌ … علــى أعجــاز صِــرْمتــه[8] نَــوارُ

/ لقــد أَهــدتْ وليــدتُنــا إليكــم … عــوائــرَ[9] لا تقسّمهــا التّجــار

١٨٨/٨

وقال لبني أمّ النُّسَيْر:

لَعَمْري لقد أَرْدَى النَّوارَ وساقها … إلى الغَوْر أحلامٌ خِفافٌ عقولُها

أطاعت بني أُمِّ النُّسَير فأصبحت … على قَتَبٍ يعلو الفَلاةَ دليلُها

وقد سَخِطتْ مِنِّي النَّوَارُ الذي ارتضَى … به قبلها الأزواجُ خابَ رَحِيلُها

---

(١) لعله يريد أن التجار يروونها كلها في رحلاتهم لا ينقصون منها شيئاً لجودتها، فلا يختارون بعضها دون بعض لأنها كلها جيدة مختارة.

(٢) كذا في «شرح القاموس» مادة «جلل» و«النقائض» ص ٨٠٤ وفي الأصول: «حل» بالحاء المهملة وهو تصحيف.

(٣) عوهجي: طويلي العنق. يريد جملاً.

(٤) كذا في أ، م: و«النقائض». وقصير الشبر: متقارب الخطو. ونائي الأقارب: غريب بعيد عن أهله. وفي سائر الأصول: «السير» بالسين المهملة وهو تصحيف.

(٥) كذا في «النقائض»، وقد ورد فيها البيت هكذا:

فدونك عرسي تبتغي نقض عهدتي … وإبطال حقي بالمنى والأكاذب

وفي الأصول: «فدونك أرشا» وهو تحريف.

(٦) كذا في «النقائض». وفي الأصول: «الزواهر» وهو تحريف.

(٧) لعله يريد أنه يغزو ويحتل فلا يعود ولا ينتظر إيابه.

(٨) الصرمة: القطعة من الإبل نحو الثلاثين.

(٩) عوائر: سوائر. يريد قصائده.

وإن أمرأً أمسَى تحبَّبَ زوجتي ... كماش إلى أُسْدِ الشَّرَى يَسْتَبيلها[١]

ومن دونِ أبوالِ الأسود بَسالةٌ ... وبَسْطَةُ أيدٍ يمنَع الضَّيمَ طُولُها

وإنّ أمير المؤمنين لعالمٌ ... بتأويل ما أوْصَى العبادَ رسولُها

فدونكها يابن الزُّبَير فإنها ... مولَعةٌ يُوهِي الحجارةَ قِيلُها

استشفعت النوار إلى ابن الزبير امرأته فاستشفع هو بابنه حمزة:

فلما قدِمتْ مكّةَ نزلتْ على بنت منظور بن زَبَّان، وأستشفعتْ بها إلى زوجها عبدالله. وأنضمّ الفرزدق إلى حمزة بن عبدالله بن الزُّبَير، وأمُّه بنت منظورِ هذه، ومدحه فقال:

/ أصبحتُ قد نزلت بحَمْزَةَ حاجتي ... إنّ المنوَّه بأسمِه الموثوقُ [٩/٣٢٧]

الأبيات. وقال فيه أيضاً:

يا حَمْزُ هل لك في ذي حاجة غَرِضتْ[٢] ... أنضاؤه بمكانٍ غيرِ ممطورِ

فأنت أحْرَى قريشٍ أن تكون لها ... وأنت بين أبي بَكْرٍ ومنظورِ

بين الحَوَارِيِّ والصِّدِّيقِ في شُعَبٍ ... نَبَتْنَ في طيِّب الإسلامِ والخِيَرِ

هذه الأبيات كلُّها من رواية أبي زيد خاصّةً. قالوا جميعاً: وقال في النَّوَار:

هَلُمّي لابنِ عمِّك لا تكوني ... كمختارٍ على الفرسِ الحِمَارا

وقال فيها أيضاً:

تُخَاصِمُني النَّوَارُ وغابَ فيها ... كرأس الضَّبِّ يلتمس الجرادا

قال أبو زيد في خبره خاصّة: فجعَل أمرُ الفرزدق يضعُف وأمرُ النَّوَار يَقْوى. وقال الفرزدق:

أمّا بَنُوه[٣] فلم تُقْبَلْ شفاعتهم ... وشفعت بنتَ منظورِ بنِ زَبَّانا

صوت

ليس الشَّفِيعُ الذي يأتيكَ مُؤْتزِراً ... مثلَ الشَّفِيع الذي يأتيك عُرْيانَا

ـ غنّت في هذا البيت عَرِيبُ خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالبنصر ـ فبلغ أبنَ الزُّبَير هذا فَدَعا النَّوَار فقال: إن شئتِ فرَّقت بينكما وقتلتُه فلا يهجونا أبداً، وإن شئتِ سيَّرتُه إلى بلاد العدوّ. فقالت: ما أُريد واحدةً منهما. قال: فإنه أبنُ عمّك وهو فيكِ راغب، أفأُزوِّجه إيّاكِ؟ قالت نعم. فزوّجه إيّاها. فكان الفرزدق يقول: خرجنا متباغضَيْن ورجعنا متحابَّيْن.

(١) كذا في جـ: و«اللسان» مادة «بول» أي يأخذ بولها في يده. وفي الأصول: «يستغيلها» بالغين المعجمة، وهو تحريف.

(٢) كذا في «ديوانه». وفي الأصول: «عرضت» بالعين المهملة. وغرض بالمكان: مل وضجر. والأنضاء: جمع نضو وهو المهزول من الإبل.

(٣) كذا في جـ و«النقائض». وفي سائر الأصول: «بنوك».

[٣٢٨/٩] / هدده ابن الزبير وعيره جلاء قومه تميم عن البيت فقال في ذلك شعراً:

أخبرني أحمد قال حدّثني عمرو بن شَبّة قال قال عثمان بن سليمان:

شَهِدتُ الفرزدق يوم نازَعَ النَّوارَ فتوجّه القضاءُ عليه، فأشفق من ذلك وتعرّض لابن الزّبَير بكلام أغضبه، وكان ابن الزّبَير حديداً. فقال له ابن الزُّبَير: أيا ألأمَ الناس! وهل أنت وقومُك إلا جالِيةُ العرب! وأمر به / فأُقِيم. وأقبل علينا فقال: إن بني تميم كانوا وثَبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة فاستلبوه؛ وأَجْمعت العربُ عليها لما انتَهكتْ ما لم يَنْتَهِكه أحد قطُّ فأَجْلَتْها من أرض تِهامة. فلما كان في طائفة من ذلك اليوم لقيني الفرزدق فقال: هِيهِ! أيعيِّرنا ابنُ الزُّبَير جَلاءنا[١] عن البيت! اِسمَعْ! ثم قال:

[١٨٩/٨]

فإن تَغضَبْ قريشٌ ثم تغضبْ ... فإنّ الأرض ترعاها[٢] تميمُ

هُمُ عَدَدُ النجوم وكلُّ حيٍّ ... سواهم لا تُعَدُّ لهم نجوم

فلولا بنتُ[٣] مُرٍّ من نِزارٍ ... لَمَا صحّ المَنابتُ والأديم

بها كثُر العَديدُ وطاب منكم ... وغيرُكُم أحذُّ[٤] الرِّيشِ هِيم

فمهلاً عن تذلُّلِ مَنْ عَزَزْتُم ... بخُولَتِه وعَزَّ به الحَميم

أعبدَالله مهلاً عن أذاتي ... فإنّي لا الضعيف ولا السَّؤُوم

ولكنّي صَفاةٌ لم تُوَبَّس[٥] ... تَزِلُّ الطيرُ عنها والعُصُوم[٦]

[٣٢٩/٩] / أنا ابن العاقِر الخُورَ[٧] الصَّفايا ... بصَوْءَرَ[٨] حيث فُتِّحت العُكُوم[٩]

وذكر الزُّبَير بن بكّار عن عمه أن عبدالله بن الزُّبَير لمّا حكم على الفرزدق قال: إنما حكمتَ عليَّ بهذا لأفارقَها فتثِب عليها؛ وأمرَ به فأُقيم، وقال له ما قال في بني تَميم. قال: ثم خرج عبدالله بن الزُّبَير إلى المسجد فرأى الفرزدقَ في بعض طرق مكة وقد بلغتْه أبياته التي قالها، فقبض ابن الزُّبَير على عنقه فكاد يَدُقُّها، ثم قال:

---

(١) في الأصول: «أيعيرنا ابن الزبير بجلائنا» وهي لغة رديئة.

(٢) كذا صححها الأستاذ الشنقيطي في نسخته. وفي جـ: «ترغبها» وهو تصحيف عن «ترعيها». وفي سائر الأصول: «ترضاها» وهو تحريف.

(٣) كذا صححها الأستاذ الشنقيطي. وفي الأصول: «نبت» وهو تصحيف.

(٤) أحذ الريش: قصيره. والهيم: العطاش. ولعله يكنى بذلك عن الضعف والذلة.

(٥) كذا في جـ ونسخة الشنقيطي. وتوبس: تكسر. وفي سائر الأصول: تؤنس» بالنون، وهو تصحيف.

(٦) لعله جمع عصم (بالضم) الذي هو جمع عصماء. والعصم الظباء.

(٧) كذا صححها الأستاذ الشنقيطي. والخور: جمع خوّارة، وهي الغزيرة اللبن من النوق والشاء، على غير قياس. وفي جـ: «الجول». والجول: الجماعة من الإبل. وفي سائر الأصول: «الحور» بالحاء المهملة وهو تصحيف.

(٨) صوءر: ماء لكلب فوق الكوفة مما يلي الشام، وهو الماء الذي تعاقر عليه غالب بن صعصعة أبو الفرزدق وسحيم بن وثيل الرياحي، وكان قد عقر غالب ناقة وفرقها على بيوت الحي، وجاء إلى سحيم منها بجفنة، فغضب سحيم وردها فقام وعقر ناقة؛ فعقر غالب أخرى وتعاقرا حتى أقصر سحيم.

(٩) العكوم: جمع عكم، وهو العدل (بكسر العين) أو الكارة وهي وعاء الثياب والطعام. لعله يريد أنه ينهب ما تحمله هذه النوق ثم يذبحها.

لقد أصبحت عِرْسُ الفرزدق ناشِزاً ... ولو رضيت رُمْحَ أستِه[1] لاستقرّتِ

قال الزُّبير: وهذا الشعر لجعفر بن الزُّبَير.

ما كان بينه وبين ابن الزبير بعد ما قال له ما حاجتك بالنوار وقد كرهتك:

أخبرنا أبو خَليفة قال أخبرنا ابن سَلّام قال أخبرنا إبراهيم بن حَبيب الشَّهيد قال:

قال ابن الزُّبَير للفرزدق: ما حاجتُك بها وقد كرِهتك! كُنْ لها أكرهَ وخلِّ سبيلَها. فخرج وهو يقول: ما أمرني بطلاقها إلا لَيثِبَ عليها. فبلغ ذلك ابنَ الزُّبَير فخرج وقد استهلّ هلال ذي الحِجّة ولبس ثيابَ الإحرام يريد البيتَ الحَرام، فألفَى الفرزدقَ بباب المسجد عند الباعة، فأخذ بعنقه فغمزها حتى جعل رأسَه بين ركبتيه وقال:

لقد أصبحت عِرْسُ الفرزدقِ ناشِزاً ... ولو رضيت رُمْحَ أستِه لاستقرّتِ

قال الزُّبَير: وهذا البيت لجعفر بن الزبير.

/ **هجاه جعفر بن الزبير فنهاه أخوه عن ذلك:** [٩/ ٣٣٠]

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن محمد بن يحيى عن أبيه قال:

لمّا قال الفرزدق في ابن الزُّبَير:

أمّا بنوه فلم تُقبَل شفاعتُهم ... وشُفِّعت بنتُ منظورِ بن زَبّانا

قال جعفر بن الزُّبير:

ألا تِلْكُمُ عِرْسُ الفرزدقِ جامِحاً ... ولو رضيت رمحَ أستِه لاستقرّتِ

فقال عبدالله بن الزُّبَير: أتُجْزِرُنا كلباً[2] من كلاب بني تَميم! لئن عُدْتَ لم أُكلِّمْك أبداً.

قال: وتُماضِرُ التي عَناها الفرزدقُ أمّ خُبَيب وثابتٍ ابنَيْ عبدالله بن الزُّبَير. وماتت عند / عبدالله، فتزوّج أختها أمّ هاشم فولدتْ له هاشماً وحَمْزة وعَبّاداً. [١٩٠/ ٨]

قال: وفي أمّ هاشم يقول الفرزدق يستعينها على ابن الزُّبَير ويشكو طولَ مُقامه:

تروّحتِ الرُّكْبانُ يا أُمَّ هاشمٍ ... وهُنَّ مُناخاتٌ لهنَّ حَنِينُ

وخُيِّسْنَ[3] حتى ليس فيهنّ نافِقٌ ... لبَيْعٍ ولا مركوبُهنّ سَمِينُ

قال: وهذا يدلّ على أنّ النَّوار كانت استعانتْ بأمّ هاشم لا بتُماضِرَ.

فلما أذنت النوار في تزويجها منه استعان في مهرها سلم بن زياد فأعانه:

فما أذِنتِ النَّوارُ لعبدالله في تزويجها بالفرزدق حكم لها عليه بمهر مثلها عشرةِ آلافِ درهم. فسأل: هل بمكة أحد يُعِينه؟ فَدُلَّ على سَلْم بن زِياد، وكان ابنُ الزُّبَير حَبسه، فقال فيه:

---

(١) رمح الأست: الكناية فيه واضحة.

(٢) يقال: أجزرت القوام إذ أعطيتهم شاة يذبحونها. يريد: أتعرض أعراضنا للفرزدق ينهشها.

(٣) خيسن: لم يسرّحن.

دَعِـي مُغْلِقِـي الأبـوابِ دون فَعـالهـم ومُـرّي تَمَشّـيْ بـي - هُبِلْـتِ - إلـى سَلْـم
إلـى مـن يَـرى المعـروفَ سَهْـلاً سبيلُـه ويفعــل أفعــال الكــرام التــي تَنْمِـي

[٩/٣٣١] / ثم دخل على سَلْمٍ فأنشده. فقال له: هي لك ومثلها نفقتُك، ثم أمر له بعشرين ألفاً فقبَضها. فقالت له زوجته أمُّ عثمان بنتُ عبدِالله بن عثمانَ بنِ أبي العاصي الثَّقَفيّة: أتُعطي عشرين ألفاً وأنت محبوس! فقال:

ألاَ بكَـرت عِـرْسِـي تَلُـوم سَفـاهـةً علـى مـا مضَـى منّـي وتـأمـر بـالبخـل
فقلـت لهـا والجـودُ منّـي سجيّـةٌ وهـل يمنـع المعـروفَ سُـؤّالَـه مثلـي
ذَرينـي فـإنّـي غيـر تـاركِ شيمتِـي ولا مُقْصِـرٍ عـن السّمـاحـةِ والبَـذْل
ولا طـاردٍ ضَيفِـي إذا جـاء طـارقـاً فقـد طـرَق الأضيـافُ شَيْخِـيَ مـن قبلـي
أأبخَـلُ! إنّ البخـل ليـس بمُخْلِـدِ ولا الجـودُ يُـدْنِينـي إلـى المـوت والقتـل
أَبِيـع بنـي حَـرْبٍ بـآل خُـوَيْلِـدٍ[١] ومـا ذاكَ عنـد الله فـي البيـع بـالعـدل
وأَشْـرِي[٢] أبـنَ مـروان الخليفـةَ طـائعـاً بنَجْـل بنـي العَـوّام! قُبّـح مـن نَجْـل
فـإن تُظْهِـروا لـي البخـلَ آلُ خُـوَيلـدٍ فمـا دَلُّكـم دَلِّـي ولا شَكْلُكـم شكلـي
وإن تَقْهَـرونـي حيـث غـابـت عَشيـرتـي فمـن عَجَـبِ الأيـام أن تَقْهَـروا مثلـي

لم تحسن النوار عشرته فتزوّج عليها حدراء بنت زيق ومدحها وذمّ النوار:

قال دَمَاذٌ في خبره: ثم اصطلحا ورضيتْ به، وساق إليها مهرَها ودخل بها وأحبلها قبل أن تخرج من مكة ثم خرج بها وهما عَدِيلانِ في مَحْمِلٍ. فكانت لا تزال تُشَارُّه وتخالفه، لأنها كانت صالحةً حسنة الدِّين وكانت تكره كثيراً من أمره. فتزوّج عليها حَدْراء بنت زيق بن بِسْطام بن قيس بن مسعود بن قَيْس بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن الحارث بن هَمّام بن مُرَّة بن ذُهْل بن شَيْبان، فتزوّجها على مائة من الإبل. فقالت له النَّوَارُ: وَيْلَكَ! تزوّجتَ أعرابيّةً دقيقة السّاقين بوّالة على عَقِبَيْها على مائة بعير!. فقال الفرزدق يفضّلها عليها ويُعيِّرها أنها كانت تربّيها أَمَةٌ:

[٩/٣٣٢] / لجَـاريـةٌ بيـن السَّلِيـل عُـروقُهـا وبيـن أبـي الصَّهْبـاء[٣] مـن آل خـالـد
أحـقُّ بـإغـلاء المُهـور مـن التـي رَبَـتْ وهـي تَنْـزُو فـي حُجـور الـولائـد

ومدحها أيضاً فقال:

[١٩١/٨] / عَقِيلـةٌ مـن بنـي شَيْبـانَ تـرفعهـا دَعـائـمٌ للعُـلاَ مـن آل هَمّـام
مـن آل مُـرَّةَ بيـن المُستضـاء بهـم مـن رَهْـطِ صِيـدٍ مَصَـاليـتٍ وحُكّـام
بيـن الأحـاوِص[٤] مـن كَلْـبٍ مُـرَكَّبُهـا وبيـن قيـس بـن مسعـودٍ وبِسْطـام

(١) خويلد: هو الجد الثاني لابن الزبير.
(٢) أشري: أبيع.
(٣) أبو الصهباء: يعني بساطم بن قيس. والسليل: هو السليل بن قيس أخو بسطام.
(٤) الأحاوص: عوف وعمرو وشريح وربيعة، أولاد الأحوص بن جعفر بن كلاب.

وقال أيضاً يمدحها ويعرِّض بالنَّوار:

لعَمْــرِي لأعــرابيَّــةٌ فــي مَظَلّــةٍ[١] تَظَلُّ بـأعلى[٢] بيتها الـرِّيحُ تَخْفُـقُ
كــأُمِّ غَــزالٍ أو كَــدُرَّةِ غــائـص إذا مـا أتَـتْ مثـلَ الغَمـامـة تُشْـرِق
أحَـبُّ إلينـا مـن ضِنَـاكٍ[٣] ضِفِنَّـةٍ إذا وُضِعـتْ عنهـا المـراوحُ تَعْـرَق

فقال بعض[٤] باهِلةَ يُجيبه:

أعـوذ بـالله مـن غـولٍ مُغَـوَّلـةٍ كـأنَّ حـافـرَهـا فـي الحـدِّ ظُنْبُـوبُ[٥]
تَسْتَـرْوِحُ الشـاةَ مـن مِيـلٍ إذا ذُبِحـتْ حُـبَّ اللَّحـامِ كمـا يَسْتَـرْوِحُ الـذِّيـبُ

هاجاه جرير بإغراء النوار:

وأَغْضب الفرزدقُ النَّوارَ بمدحه إيّاها، فقالت: والله لأخزينَّكَ يا فاسق! وبعثتْ إلى جرير فجاءها؛ فقالت: ألا تَرى ما قال لي الفاسق! وشكتْ إليه. فقال:

[٩/ ٣٣٣] / فلا أنا مُعْطِي الحُكْمِ عَن شِفٍّ[٦] مَنْصِبٍ ولا عــن بنـات الحَنْظَلِيِّيــن راغـبُ
وهـنَّ كمـاء المُـزْن يُشْفَـى بـه الصَّـدَى وكـانـت مِـلاحـاً غيـرَهُـنَّ المَشـارِبُ
لقـد كنـتَ أهـلاً أن تَسُـوقَ دِيـاتِكـم[٧] إلــى آل زِيــق أن يَعيبَـك عــائـب
ومــا عَــدَلَــتْ ذاتُ الصَّلِيب[٨] ظعينَـةً عُتَيْبَـةُ والـرِّدْفـانِ منهـا وحـاجـب
ألاَ رُبَّمـا لـم نُعْـطِ زِيقـاً بحُكْمِـه وأدَّى إلينـا الحُكْـمَ والغُـلُّ[٩] لازِبُ

(١) المظلة (بفتح الميم وكسرها): الخباء الكبير.
(٢) في حـ و«النقائض» «بروقي بيتها». والروق من البيت: رواقه أي شقته التي دون الشقة العليا.
(٣) الضناك (بكسر الضاد): الضخمة من النساء. والضفنة (بكسر الضاد وفتح الفاء وكسرها وتشديد النون): الحمقاء مع عظم خلق.
(٤) هو عبدالله بن الحجاج بن عبدالله المعروف بالأصم الباهلي.
(٥) في حـ و«النقائض»: «في حد ظنبوب». والظنبوب: حرف الساق اليابس من قدم. وبعده في «النقائض»:
وركبنـاهـا سـلاح مـا يقـوم لهـا إلا الشيـاطيـن فـي تلـك الأعـاريـب
(٦) الشف (ها هنا) النقصان، وقد يكون الشف الفضل أيضاً. («النقائض» ص ٨٠٧).
(٧) أي لقد كنت أهلاً أن يعيبك عائب لأجل سوقك الديات إلى آل زيق. والمراد بالديات المائة من الإبل التي ساقها الفرزدق مهراً إلى آل زيق.
(٨) ذات الصليب: يريد بها حدراء، وذلك أن أجدادها كانوا نصارى فعيره ذلك. وظعينة: امرأة. والأصل في الظعينة المرأة تكون على البعير، ثم استعمل العرب الظعينة حتى صيروا المرأة ظعينة بغير بعير. وعتيبة: يريد عتيبة بن الحارث بن شهاب بن عبد قيس بن كناس بن جعفر بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وقد رأس وكان فارس مضر في زمانه. وحاجب: هو حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبدالله بن دارم. والردفان هما: عتاب بن هرميّ بن رياح بن يربوع، وعوف بن عتاب بن هرميّ، والردف: الذي يردف الملك يعادله في ركوبه ويجلس في مجلسه إذا قام من مجلسه. (عن «النقائض» ص ٨٠٨ إلى ٨٠٩ ببعض تصرف).
(٩) كذا في «النقائض» وفي الأصول: «والنعل» وهو تحريف. ولازب: لازم.

حَـوَيْنـا أبـا زِيـقٍ وزِيقـاً وعمَّـه ... وجَـدَّهُ زِيـقٍ قـد حـوتْها المَقَـانِـبُ[1]

فأجابه الفرزدق بقصيدة منها:

ألسـتَ إذ القَعْسـاء[2] أَنْسَـلَ[3] ظهـرُها ... إلـى آلِ بِسْطـام بـن قيـس بخـاطـبِ

[٩/٣٣٤] / فنَـلْ مثلَهـا مـن مثلهـم ثـم لُمْهـمُ ... بملْكـك مـن مـالٍ مُـرَاحٍ وعـازِب

فلـو كنـتَ مـن أكفـاء حَـدْراءَ لـم تَلُـمْ ... علـى دارمـيٍّ بيـن لَيْلَـى وغـالـب

وإنـي لأخشـى إن خطبـتَ إليهـمُ ... عليـك التـي لاقـى يَسَـارُ الكـواعـب

ـ يَسَارٌ كان عبداً لبني غُدَانَة، فأراد مولاته على نفسها، فنهتْه مرّةً بعد مرة، وألحّ فوعدته، فجاء فقالت له: إني أريد أن أبخِّرَك فإن رائحتك متغيِّرة؛ فوضعتْ تحته مِجمرةً وقد أعَدَّتْ له حديدةً حادّةً، فأدخلتْ يدها فقبضتْ على ذكره وهو يرى أن ذلك لشيء، فقطعته بالمُوسَى؛ فقال: «صبراً على مجامر الكرام» فذهبتْ مثلاً ـ عاد الشعر:

ولـو قَبِلـوا منِّـي عَطِيَّـةَ سُقْتُـه ... إلـى آلِ زِيـقٍ مـن وَصِيـفٍ مُقَـارِبِ[4]

هـمُ زوَّجـوا قبلـي ضِـراراً وأنكحـوا ... لَقِيطـاً وهـم أكفـاؤنـا فـي المَنَـاسـب

ولـو تُنْكِـحِ الشمـسُ النجـومَ بنـاتِهـا ... إذاً لنكحنـاهـنّ قبـل الكـواكـب

وقال جرير:

[١٩٢/٨] / يـا زِيـقُ أنكحـتَ قَيْناً باستِه حَمَمٌ ... يا زِيقُ وَيْحَكَ مَنْ أنكحتَ يا زِيقُ[5]

غـابَ المثنَّـى فلـم يَشْهَـدْ نَجِيَّكمـا ... والحَـوْفَـزانُ ولـم يشهَـدْك مفـروق

أيـن الألَـى أنـزلـوا النعمـانَ مُقْتَسَـراً ... أم أيـن أبنـاءُ شَيْبَـانَ الغَـرَانِيـقُ

يـا رُبَّ قـائلـةٍ بعـد البِنـاء بهـا ... لا الصِّهْـرُ راضٍ ولا ٱبنُ القَيْـنِ معشـوق

وقال الفرزدق[6] لجرير في هذا:

إن كـان أنفُـك قـد أعيـاكَ مَحْمَلُـه ... فـاركـبْ أتـانَـك ثـم اخطُـبْ إلـى زِيـقِ

[٩/٣٣٥] / قال: ولامه الحَجّاج وقال: أتزوّجتَ ٱبنةَ نَصرانيّ على مائة ناقة؟! قال: وما هي في جُود الأمير! قال: فاشترى الإبلَ وساقها.

رأى في طريقه إلى حدراء كبشاً مذبوحاً فتشاءم بموتها وشعره حين أخبر بوفاتها:

فلمّا كان في بعض الطريق ومعه أَوْفَى بن خِنْزير أحدُ بني التَّيْم بن شَيْبانَ بنِ ثَعْلبَةَ دليلُه رأى كبشاً مذبوحاً،

(١) المقانب: جمع مقنب، وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة.

(٢) القعساء من النساء: الداخلة الصلب العظيمة البطن. وإنما عني ها هنا أتانا. يعني أن بني كليب قالوا لجرير: مالك وقد حسنت حال أعيارك لا تأتي آل بسطام فتخطب إليهم كما فعل الفرزدق. («النقائض» ص ٨١٣).

(٣) كذا في «النقائض». وأنسل ظهرها أي طرّت فسقط وبرها القديم ونبت وبر جديد وذلك لسمنها. وفي الأصول: «أنحل ظهرها».

(٤) عطية: هو أبو جرير. والمقارب: الدون، وقيل: هو الوسط بين الجيد والردي.

(٥) راجع هذا الشعر وشرحه في ترجمة جرير في الجزء الثامن من هذه الطبعة ص (٨٥ ـ ٨٦).

(٦) في الأصول: «وقال جرير للفرزدق» وقد صححها كما أثبتناها الأستاذ الشنقيطي في نسخته.

فقال: يا أوفى، هلكتُ واللهِ حَذراءُ!. قال: ما لك بذلك من علم!. فلمّا بلغ قال له بعض قومها: هذا البيتُ فأنزل، وأمّا حَذراء فهلكتْ. وقد عرفنا الذي يُصيبكم في دِينكم من ميراثها وهو النصف فهو لك عندنا. فقال: لا والله لا أرْزَأ منه قِطميراً، وهذه صَدُقَتُها[1] فاقبِضوها. فقال: يا بني دارِم! والله ما صاهرنا أكرمَ منكم. قال: وفي هذه القصة يقول الفرزدق:

عجبتُ لحادِينا المقحِّمِ سيرَه ... بنا مُوجَفاتٍ من كَلاَل وظُلَّعَا

لِيُدْنِيَنا ممن إلينا لقاؤه ... حبيبٌ ومن دارٍ أرَدْنَا لتجمعَا

ولو يعلم الغَيْبَ الذي مِنْ أمامِنا ... لكرَّ بنا حادِي المطيِّ فأسْرَعا

يقولون زُرْ حَذراءَ والتُّرْبُ دونَها ... وكيف بشيءٍ وصلُه قد تقطَّعا

وما مات عند أبنِ المَراغةِ مثلُها ... ولا تبعتْه ظاعناً حيث ودّعا

يقول أبنُ خِنزيرٍ بكيتَ ولم تكن ... على أمرأةٍ عينَا أخيك لتَدْمَعا

وأهونُ رُزْءٍ لامرىءٍ غيرِ جازعٍ ... رَزِيَّةُ مُرْتَجِّ الرَّوادفِ أفْرعا

استعان الحجاج في مهر حدراء فعذله فشفع له عنبسة بن سعيد:

وقال ابن سَلّام فيما أخبرنا به أبو خَليفةَ عنه قال حدّثني حاجب بن زيد وأبو الغَرّاف قالا:

تزوّج الفرزدق حَذْراءَ بنت زِيق بن بِسطام بن قَيْس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجَدّين وهو عبدالله بن عمرو بن الحارث بن هَمّام بن مُرّة بن ذُهْل بن شَيْبان على حكم أبيها، فاحتكم مائةً من الإبل. فدخل على الحَجّاج/ فعذَله فقال: أتزوّجتَها على حكمها وحكم أبيها مائةِ بعير وهي نصرانية وجئتنا متعرِّضاً أن نَسُوقَها عنك! [٩/٣٣٦] أُخْرُجْ ما لك عندنا شيء!. فقال عَنْبَسة بن سَعيد بن العاصِي وأراد نفعَه: أيها الأمير، إنها من حَوَاشِي إبل الصدقة؛ فأمَر له بها. فوثَب عليه جَرير فقال:

يا زِيقُ قد كنتَ من شَيْبَانَ في حَسَبٍ ... يا زِيقُ وَيْحَكَ مَنْ أنكحتَ يا زِيقُ

أنكحتَ وَيْحَكَ قَيْناً بأستِه حَمَمٌ ... يا زِيقُ وَيْحَكَ هل بارتْ بكَ السُّوقُ

ثم ذكر باقيَ القصيدة بمثل رواية دَمَاذ.

أراد أن تحمل حدراء فاعتلوا بموتها وشعر لجرير في ذلك:

قال ابن سَلّام: وأراد الفرزدقُ أن تُحْمَلَ؛ فأعتلّوا عليه وقالوا: ماتت، كراهةَ أن يَهْتِك جَريرٌ أعراضَهم. فقال جَرير:

/ وأقسِم ما ماتتْ ولكنّه الْتَوَى ... بحَذْراءَ قومٌ لم يَرَوْكَ لها أهلاَ

رأوا أن صِهْرَ القَيْنِ عارٌ عليهمُ ... وأن لِبسطامٍ على غالبٍ فضلا

إذا هي حَلَّتْ مُسْحُلانَ[2] وحاربتْ ... بشَيْبان لاقى القومُ من دونها شُغْلا

١٩٣/٨

(١) الصدقة: المهر.

(٢) مسحلان: موضع في بلاد بني يربوع.

وحَذْراءُ هذه هي التي ذكرها الفرزدق في أشعاره. ومن ذلك قوله:

صوت

عـزَفْـتَ بـأَعْشـاشٍ[1] ومـا كِـدْتَ تَعْزِفُ وأنكـرتَ مـن حَـذْراءَ مـا كنـتَ تعـرِفُ

ولَـجَّ بـك الهِجْـرانُ حتـى كـأنّمـا ترى الموتَ في البيت الذي كنتَ تألَفُ[2]

عروضه من الطويل. عزَفْتَ عن الشيء انصرفت عنه، عزَف يَعزُفُ عُزُوفا. الشعر للفرزدق. والغناء لسَلْسَل، ثاني ثقيلٍ بالوسطى. وفيه لحنٌ للغَريض من الثَّقيل الأوّل بالبنصر من رواية حَبَش.

[٩/٣٣٧] / **قصة ما كان بينه وبين ابن أبي بكر بن حزم حين أنشده من شعر حسان في المسجد:**

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليَزِيديّ قالا حدّثنا أبو سعيد السُّكَّريّ قال حدّثنا محمد بن حَبِيبَ وأبو غَسّانَ دَمَاذٌ عن أبي عُبيدةَ قال قال اليَرْبوعيّ:

قال إبراهيم بن محمد بن سَعْد بن أبي وَقّاص الزُّهريّ: قدِم الفرزدقُ المدينةَ في إمارة أَبَانِ بن عثمان. قال: فإني والفرزدقَ وكثيِّراً لجلوسٌ في المسجد نتناشد الأشعار، إذ طلع علينا غلامٌ شَخْتٌ[3] آدَمُ في ثوبين مُمَصَّرين (أي مصبوغين بصُفْرة غير شديدة) ثم قصد نحوَنا حتى جاء إلينا فلم يسلِّم، فقال: أيُّكم الفرزدق؟ فقلت مخافةَ أن يكون من قريش: أهكذا تقول لسيِّد العرب وشاعرها! فقال: لو كان كذلك لم أقل هذا له. فقال له الفرزدق: ومَنْ أنت لا أمَّ لك؟! قال: رجل من بني الأنصار ثم من بني النَّجّار ثم أنا ابن أبي بكر بن حَزْم. بلغني أنك تزعمُ أنك أشعر العرب وتزعُمُ مُضَر ذلك لك، وقد قال صاحبنا حَسّان شعراً فأردتُ أن أعرِضه عليك وأؤجِّلك سنةً؛ فإن قلتَ مثله فأنت أشعر العرب وإلا فأنتَ كذّاب مُنْتَحِل.

ثم أنشده قول حسّان:

لنـا الجَفَنـاتُ الغُـرُّ يَلْمَعْـنَ بـالضُّحـى وأسيـافُنـا يَقْطُـرْنَ مـن نَجْـدةٍ دَمـا

مَتَـى مـا تَـزُرْنـا مـن مَعَـدٍّ عِصـابـةٌ وغسّـانَ نَمْنَـعْ حَـوْضَنـا أنْ يُهَـدَّمـا

ـ قيل إن قوله: «وغسان» ها هنا قسمٌ أقسم به، لأن غسّان لم تكن تغزوهم مع مَعَدّ ـ

أبَـى فعلُنـا المعـروفَ أن نَنْطقَ الخَنَـا وقـائلُنـا بـالعُـرْف إلاّ تَكَلُّمـا

ولَـدْنـا بنـي العَنْقـاءِ وابْنَـيْ مُحَـرِّقٍ فـأَكْـرِم بنـا خـالاً وأكْـرِمْ بنا ابْنَمـا

[٩/٣٣٨] / فأنشده القصيدة إلى آخرها وقال له: إني قد أجَّلتُك فيها حولاً، ثم انصرف. وانصرف الفرزدقُ مُغْضَباً يسحَب رداءه ما يَدْري أيَّ طريقٍ يسلُك، حتى خرج من المسجد. قال: فأقبل كثيِّر عليّ فقال: قاتل الله الأنصاريَّ! ما أفصحَ لهجتَه، وأوضح حُجَّتَه، وأجوَدَ شعرَه!. قال: فلم نزل في حديث الفرزدق والأنصاريّ بقيّةَ يومنا. حتى إذا كان الغدُ خرجتُ من منزلي إلى مجلسي الذي كنت فيه بالأمس؛ وأتاني كثيِّر فجلس معي. فإنّا لنتذاكر الفرزدقَ ونقول: ليت

(١) أعشاش: موضع في بلاد بني تميم لبني يربوع بن حنظلة.
(٢) في «النقائض»: «اللذي كنت تِيلف» وهي لغة تميم.
(٣) الشخت: الدقيق الضامر أصلاً لا هزالاً.

شعري ما فعل، إذ طلع علينا في حُلّةٍ أفـواف[1] يَمَانِيَةٍ مُوَشَّاةٍ، له غَدِيرتان، حتى / جلس في مجلسه بالأمس، ثم ١٩٤/٨ قال: ما فعل الأنصاريّ؟ قال: فنِلْنا منه وشتَمناه. فقال: قاتله الله! ما رُمِيتُ بمثله ولا سمعت بمثل شعره! فارقتُكما فأتيتُ منزلي فأقبلتُ أصَعِّد وأُصَوِّب في كلّ فنٍّ من الشعر، فَلَكأنّي مُفْحَمٌ أو لم أقل قطُّ شعراً حتى نادى المنادِي بالفجر، فرحَلْتُ ناقتي ثم أخذت بزمامها فقُدْتُها حتى أتيتُ ذِبَاباً[2]، ثم ناديتُ بأعلى صوتي: أخاكم أبا لُبْنَى ـ وقال سعدان[3]: أبا ليلى! ـ فجاش صدري كما يجيش المِرْجَل، ثم عَقَلْتُ ناقتي وتوسّدتُ ذراعها؛ فما قمتُ حتى قلتُ مائةً وثلاثةَ عَشَرَ بيتاً. فبينا هو يُنشدنا، إذ طلع علينا الأنصاريّ حتى أنتهى إلينا فسلّم ثم قال: أمَا إني لم آتِك لأُعْجِلَك عن الأجل الذي وقَّتُّه لك، ولكنّي أحببت ألاّ أراك إلا سألتُك عما صنعتَ. فقال: اجلس، ثم أنشده:

عزَفْتَ بأَعْشاشٍ وما كِدْتَ تَعْزِفُ

فلمّا فرغَ الفرزدقُ من إنشاده قام الأنصاريُّ كئيباً. فلمّا توارَى طلع أبوه وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم في مَشْيَخة من الأنصار، فسلّموا علينا وقالوا: / يا أبا فِرَاس، قد عرفتَ حلَّنا ومكانَنا من رسول الله ﷺ ووصيّتَه بنا. [٣٣٩/٩] وقد بلَغنا أنّ سفيهاً من سُفَهائنا تعرَّض لك، فنسألك بالله لَمّا حفظت فينا وصيّةَ النبيِّ ﷺ ووهبتَنا له ولم تفضَحْنا. قال إبراهيم بن محمد: فأقبلتُ أكلِّمه أنا وكثيِّر؛ فلما أكثرنا عليه قال: اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشيّ.

قال: وقد كان جَرير قال:

أَلاَ أيُّهـا القلـبُ الطَّـروبُ المُكَلَّـفُ ... أَفِـقْ رُبَّمـا ينـأى هـواكَ ويُسْعِـفُ

ظَلِلْـتَ وقـد خَبَّـرْتَ أن لسـتَ جـازعاً ... لِـرَبْـعٍ بسُلْمـاتَيْـنِ[4] عَيْنُـك تَـذْرِفُ

فجعل الفرزدقُ هذه القصيدة نَقِيضة لها.

نسبة ما في الخبر من الأصوات

منها:

صوت

لنـا الجَفَنـاتُ الغُـرُّ يَلْمَعْـنَ بـالضُّحَـى ... وأسيـافُنـا يَقْطُـرْنَ مـن نَجْـدةٍ دمـا

ولَـدْنـا بنـي العَنْقـاءِ وابنَـيْ محـرِّقٍ ... فـأكْـرِمْ بنـا خـالاً وأكـرم بنـا ابْنَمَـا

عروضه من الطويل. الشعر لحَسّان بن ثابت. والغناء لمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة.

ما كان بين النابغة وحسان بسوق عكاظ حين مدح النابغة الخنساء:

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثني محمد بن سَعْد الكُرَانيّ عن أبي عبدالرحمن الثَّقفي، وأخبرني

---

(١) الأفواف: جمع فوف (بالضم) وهو القطن.

(٢) ذباب (رواه الحزامي بكسر أوله والعمراني بضمه): جبل بالمدينة.

(٣) لم يتقدم في سند هذا الخبر شخص بهذا الاسم.

(٤) سلمانان (بضم أوّله وتكرير النون): اسم موضع، تضاف إليه البرقة المعروفة ببرقة سلمانين. (راجع «معجم البلدان» في سلمانين و «برقة سلمانين»).

أحمد بن عبدالعزيز الجَوْهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة، وأخبرنا إبراهيم بن أيّوبَ الصائغ عن ابن قُتيبة:

[٩/ ٣٤٠] / أن نابغةَ بني ذُبيانَ كان تُضرَب له قُبة من أدَم بسُوقِ عُكاظَ يجتمع إليه فيها الشعراء؛ فدخل إليه حسّان بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعرَه وأنشدتْه الخَنْساءُ قولَها:

قَذًى بعينِك أم بالعين عُوّارُ

حتى انتهتْ إلى قولها:

وإنّ صخـــراً لَتـأْتـمُّ الهُـداةُ بــه ... كــأنـــه عَلَـمٌ فــي رأســه نــار

وإنّ صخـــراً لمـــولانـــا وسيّـدُنــا ... وإن صخــــراً إذا نَشْتُــــو لنَحّــــار

[١٩٥/ ٨] فقال: لولا أن أبا بَصيرٍ أنشدني قبلكِ لقلت: إنكِ أشعر الناس! أنتِ واللهِ أشعر من كل ذات / مَثانة[1]. قالت: والله ومن كلِّ ذي خُصْيتين. فقال حَسّان: أنا والله أشعر منكَ ومنها. قال: حيث تقول ماذا؟ قال: حيث أقول:

لنــا الجَفَنــاتُ الغُــرّ يَلْمَعْـنَ بــالضُّحَـى ... وأسيــافُنــا يَقْطُـرْنَ مــن نَجْـدةٍ دَمَـا

ولَـدْنـا بنـي العَنْقــاء وابنَـيْ محـرِّقٍ ... فــأكْـرِمْ بنـا خـالاً وأكْـرِمْ بنـا ابْنَمَـا

فقال: إنك لشاعر لولا أنك قلّلتَ عدد جِفانك وفخَرْتَ بمن وَلدتَ ولم تَفْخَرْ بمن ولدَك. وفي رواية أخرى: فقال له: إنك قلت «الجَفَنات» فقلّلتَ العدد ولو قلت «الجفان» لكان أكثرَ. وقلت «يلمعن في الضُّحَى» ولو قلت «يَبْرُقْنَ بالدُّجى». لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طُروقاً. وقلت «يَقْطُرْنَ من نجدة دماً» فدلّلْتَ على قلة القتلِ ولو قلت «يَجْرِينَ» لكان أكثرَ لانصبابِ الدم. وفخَرْتَ بمن ولَدْتَ ولم تفخَرْ بمن ولدَك. فقام حَسّان منكسراً منقطعاً.

مما يغنّي فيه من قصيدة الفرزدق الفائية قولُه:

صـوت

تَـرَى النـاسَ مـا سِـرْنـا يَسِيـرُون خَلْفَنـا ... وإن نحـن أَوْمَـأنـا إلـى النـاس وَقَّفُـوا

فيه رَمَلٌ بالوسطى، يقال: إنه لابن سُريج، وذكر الهشاميّ أنه من منحولِ يحيى المَكّي.

[٩/ ٣٤١] / انتحل بيتا لجميل:

أخبرنا الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثني أبو مَسْلَمةَ موهوبُ بن رشَيد الكِلاَبيّ قال: وقف الفرزدق على جَميلٍ والناس مجتمعون عليه وهو يُنْشِد:

تَـرَى النـاسَ مـا سِـرْنـا يَسِيـرُون خَلْفَنـا ... وإن نحـن أَوْمَـأنـا إلـى النـاس وَقَّفُـوا

فأشْرع إليه رأسَه من وراء الناس وقال: أنا أحقُّ بهذا البيت منك. قال: أَنْشُدك الله يا أبا فِراس! فمضَى الفرزدق وانتحله.

---

(١) المثانة: المراد بها هنا موضع الولد من الأنثى.

عرّض هو وكثير كل منهما للآخر أنه سرق بيتاً من جميل:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثني الزُّبَير قال حدّثني أبي عن جَدّي:

أن الفرزدق لقي كثيرًا فقال له: ما أشعرك يا كثير في قولك:

أُريــد لأنســى ذكــرَهــا فكــأنّمــا　　　تَمَثَّــلُ لــي لَيْلَــى بكــلّ سبيــل

فعرّض له بسرقته إيّاه من جَميل:

أريــد لأنســى ذكــرهــا فكــأنّمــا　　　تمثَّـلُ لـي لَيْلَـى علـى كـلِّ مَـرْقَـبِ

فقال له كثيِّر: أنت يا فرزدق أشعر منِّي في قولك:

تَـرَى النـاسَ مـا سِـرْنـا يَسِيـرُون خَلْفَنـا　　　وإن نحــن أوْمَـأنـا إلـى النـاس وَقَّفـوا

ـ قال: وهذا البيت لجميل سَرقه الفرزدق ـ فقال الفرزدق لكثيِّر: هل كانت أُمُّك تَرِدُ البصرةَ؟ قال: لا! ولكن أبي كان نَزِيلاً لأُمّك.

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن عبدالعزيز بن عِمْرانَ عن محمد بن عبدالعزيز عن ابن شِهاب عن طَلْحَةَ بن عبدالله بن عَوْف قال: لقي الفرزدق كثيرًا بقارعة البَلاط وأنا وهو نمشي؛ فقال له الفرزدق: يا أبا صَخْر! أنت أنسبُ العربِ حيث تقول:

/ أريــد لأَنْســى ذكــرَهــا فكــأنمــا　　　تَمَثَّــلُ لــي ليلــى بكــلِّ سبيــلِ　[٩/٣٤٢]

قال: وأنت يا أبا فِراس أفخر العرب حيث تقول:

/ تَـرَى النـاسَ مـا سِـرْنا يَسِيـرُون خَلْفَنـا　　　وإن نحــن أوْمَـأْنـا إلـى النـاس وَقَّفـوا　١٩٦/٨

ـ قال عبدالعزيز: وهذان البيتان جميعاً لجَميل، سرق أحدَهما الفرزدق، وسرق الآخرَ كثيِّر ـ فقال له الفرزدق: يا أبا صَخْر، هل كانت أُمّكَ تَرِدُ البَصرة؟ قال: لا! ولكنْ أبي كان كثيراً يَرِدُها. قال طَلْحَة: فوالذي نفسي بيده لقد تعجّبتُ من كثيِّر وجوابه، وما رأيت أحداً قطُّ أحمقَ منه؛ لقد دخلتُ عليه يوماً في نَفَر من قريش، وكنّا كثيراً نَهْزَأ به، وكان يتشيّع تشيُّعاً قبيحاً، فقلنا له: كيف تجدك يا أبا صَخْر؟ فقال: بخير. هل سمعتم الناس يقولون شيئاً؟ قلت: نعم! يتحدّثون أنك الدجّال. قال: والله إنْ قلتَ ذلك إنّي لأجد في عيني هذه ضعفاً منذ أيام!.

ولجرير قصيدة يناقض بها هذه القصيدة في أوَّلها غناء نسبته:

ألاَ أيُّهــا القلــب الطَّــرُوب المكلَّــفُ　　　أفِــقْ رُبّمــا يَنْــأَى هــواك ويُسعِــفُ

ظَلِلْـتَ وقـد خَبَّـرتَ أنْ لسـتَ جـازعـاً　　　لِــرَبْــعِ بِسُلْمــانَيْــنِ عينُــك تَــذْرِفُ

الشعر لجرير. والغِناء لمحمد بن الأشعث الكُوفيّ ثاني ثقيل بالبِنصر، عن عمرو بن بانة. وقال حَبَش: فيه ثقيل أوّل بالوسطى. وليس ذلك بصحيح.

رجع الحديث إلى سياقه حديث الفرزدق والنوار:

تزوّج رهيمة بنت غنيم اليربوعية:

قال دَمَاذ: وتزوّج الفرزدق على النَّوار آمرأةً من اليَرَابيع، وهم بطن من النَّمِر بن قاسط حُلَفَاءُ لبني الحارث بن عُبَاد القَيْنيّ، وقد أنتسبوا فيهم. فقالت له النَّوار: وما عسى أن تكون القَيْنيّة؟! فقال:

[٩/٣٤٣] / أرتك[1] نجومَ اللَّيلِ والشمسُ حيَّةٌ ... زِحامُ بناتِ الحارث بن عُبَادِ

نساءٌ أبوهنّ الأغرُّ ولم تكن ... من الحُتِّ[2] في أجبالها وهَدَادِ[3]

ولم يكن الجَوْفُ[4] الغموضُ مَحَلَّها ... ولا في الهِجَارِيِّين رَهْطِ زيادِ

أبوها الذي أدْنَى النَّعامةَ بعدما ... أبَتْ وائلٌ في الحرب غيرَ تَمادِ

ـ يعني بأبيها الذي أدنى النعامةَ الحارثَ بن عُبَاد، وأراد قوله:

قرِّبا مَرْبَطَ النَّعَامةِ منّي ـ

عدلتُ بها مَيْلَ النَّوار فأصبحت ... مُقاربةً لي بعد طول بِعادِ

وليست وإنْ أنبأتُ أنّي أحِبُّها ... إلى دَارِميّات النِّجار جِيادِ

وقال أبو عُبَيْدة حدّثني أعيَنُ بن لَبَطَة قال: تزوّج الفرزدق، مُضَارّةً للنَّوار، امرأةً يقال لها رُهَيْمة بنت غُنَيْم بن دِرْهَم من اليَرابيع، قوم من النَّمِر بن قاسط في بني الحارث بن عُبَاد. وأمّها الحُمَيْضَة[5] من بني الحارث. فنافرته الحميضة فأستَعْدتْ عليه. فأنكرها الفرزدق وقال: أنا منها بريء، وطلّق أبنتها وقال:

إن الحميضة كانت لي ولابنتِها ... مثلَ الهَرَاسةِ[6] بين النَّعل والقَدَمِ

إذا أتتْ أهلَها منّي مُطَلَّقةً ... فلن أرُدَّ عليها زَفْرةَ النَّدم

[٩/٣٤٤] / مضى الحديث. ولم أجد لأحدٍ من الخلفاء الذين ذكرتُهم والذين لم أذكرهم، بعد الواثق، صَنْعةً يُعتَدُّ بها إلا [١٩٧/٨] المعتضدَ، فإنه صنَع صنعةً متقنة عجيبة، أبَرّت[7] على صنعة سائر الخلفاء / سوى الواثق، وفَضَل فيها أكثرَ أهل الزمان الذي نشأ فيه. وإنما ذكرتُ صنعة مَنْ بينهما، لأنها قد رُويتْ، فأمّا حقيقة الغِناء الجيِّد فليس بينهما مثلُهما.

---

(١) في «ديوانه»: «أراك». وفي «النقائض»: «سوف يريك النجم».

(٢) الحت: قبيلة من كندة.

(٣) هداد: حي من اليمن.

(٤) الجوف: المطمئن من الأرض. ويحتمل أن يكون الغموض بفتح الغين صيغة مبالغة من غمض المكان إذا تطامن وخفي. ويحتمل أن يكون جمع غمض، وهو المكان المنخفض المطمئن. وإنما وصف المفرد بالجمع لإرادة الجنس، كما يقال الدينار الصفر، والدرهم البيض. ومنه قول الفرزدق نفسه على رواية «الأغاني» كما تقدّم في صفحة ٣٢٥ من هذا الجزء:

وإبطال حقي باليمين الكواذب

(٥) في «النقائض» ص ٥٩٥: «الخميصة» بالخاء المعجمة والصاد المهملة.

(٦) الهراسة: واحدة الهراس، وهو شوك كأنه حسك.

(٧) كذا في جـ. «وأبرأت: علت. وفي سائر الأصول: «أبرزت» وهو تحريف.

وذكر عُبَيْدالله بن عبدالله بن طاهر صنعةَ المعتضد فقرّظها، وقال: لم أجد لحناً قديماً قد جمع من النَّغَم ما جمعه لحن ابن مُحْرِز في شعر مُسافِر بن أبي عمرو وهو:

يـــا مَـــنْ لِقَلْـــبٍ مُقْصِـــرِ ... تَـــرك المُنَـــى لفـــواتهـــا

فإنه جمع من النغم العشر ثمانياً، ولحن ابن مُحْرِز أيضاً في شعر كثيِّر:

تـوهَّمـتُ بـالخَيْـف رَسْمـاً مُحِيـلاَ ... لِعـــزَّةَ تَعْـــرِفُ منـــه الطُّلُـــولا

وهو أيضاً يجمع ثمانياً من النَّغَم. وقد تلطَّف بعض مَنْ له دُرْبةٌ وحِذْقٌ بهذه الصناعة حتى جمع النَّغَم العشرَ في هذا الصوت الأخير متوالية، وجمعها في صوت آخر غيرَ متوالية، وهو في شعر ابن هَرْمَة:

فـإنّـكِ إذ أطمعتِنـي منـكِ بـالـرضـا ... وأيـأستِنـي مـن بعـد ذلـك بـالغضـبْ

وأعجبُ من ذلك ما عمله أمير المؤمنين المعتضد بالله؛ فإنه صنع في رَجَز دُرَيْد بن الصِّمَّة «يا ليتني فيها جَذَعْ» لحناً من الثقيل الأوّل يجمع النَّغَم العشرَ، فأتى به مستوفَى الصنعة مُحْكَم البناء، صحيحَ الأجزاء والقِسْمة، مُشبعَ المفاصل، كثيرَ الأدوار، لاحقاً بجيِّد صنعة الأوائل. وإنما زاد فضلُه على من تقدّمه لأنه عمله في ضرب من الرجز / قصير جدّاً، واستوفَى فيه الصنعة كلَّها على ضيق الوزن، فصار أعجب مما تقدّمه؛ إذ تلك عُمِلتْ في أوزان تامّة [٩/٣٤٥] وأعاريضَ طِوال يتمكّن الصانع فيها من الصنعة ويقتدر على كثرة التصرُّف؛ وليس هذا الوزن في تمكُّنه من ذلك فيه مثلَ تلك.

نسبة هذا اللحن

صوت

يـــا ليتنـــي فيهـــا جَـــذَعْ ... أَخُـــبُّ فيهـــا وأَضَـــعْ (١)

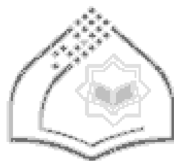
أَقُـــود وَطْفـــاءَ (٢) الـــزَّمَـــعْ ... كـــأنهـــا شـــاةٌ صَـــدَعْ (٣)

الشعر لدُرَيْد بن الصِّمَّة. والغِناء للمعتضد، ولحنُه ثقيلٌ أوّل يجمع النَّغَم العشرَ.

(١) الجذع: الصغير السن. والخبب والوضع: نوعان من السير.

(٢) الزمع: هنات شبه أظفار الغنم في الرسغ، في كل قائمة زمعتان كأنما خلقتا من قطع القرون؛ أو الزمعة: الشعرة المدلاة في مؤخر رجل الشاة والظبي والأرنب. ووطفاء: كثيرة الشعر سابغته. يريد فرساً هذه صفتها.

(٣) الصدع من الأوعال والظباء والإبل والحمر: الفتى الشاب القوي منها.



فهرس موضوعات الجزء التاسع

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

(٣٥٦ هـ)

إعداد

مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي



ـ الجزء العاشر ـ

طبعة كاملة وجديدة، مصححة، ملونة

محققة على تسع مخطوطات ومزيدة بفهارس شاملة

دار إحياء التراث العربي

بيروت ـ لبنان


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بيان حول الجزء العاشر

بحمد الله وحسن توفيقه، تمّ هذا الجزء بعد مقابلته بأصوله المخطوطة والمطبوعة، وبعد تصحيح ما وفّقنا له، وضبط ما ينبغي ضبطه من لغة وأسماء، وتحرّي وجه الصواب جهد الطاقة فيما وضعناه من شروح وتعليقات.

والأصول التي اعتمدنا عليها في المراجعة هي الأصول التي اعتمدنا عليها في مراجعة الأجزاء السابقة، وقد تقدّم وصف هذه الأصول جميعاً في تصدير الجزء الأول. وتقدّم في هذا التصدير أن النسخة التي اصطلحنا على أن نرمز لها بحرف «أ» مكتوبة بخطوط مختلفة.

والمجلد الذي راجعنا عليه في هذا الموضع من هذه النسخة مكتوب بالخط المغربي، كتبه ـ كما هو وارد في آخر صفحة منه ـ بثغر الجزائر محمد بن محمد المدعو السلاوي الحسني الفاسي المنشأ والدار في أواخر جمادي الثانية من سنة ست وتسعين ومائة وألف هجرية. وهو أكبر حجماً من سائر مجلدات هذه النسخة؛ إذ يبلغ طول صحفه ٣١ سنتيمتراً، وعرضها ٢٠ وطول ما رسم من الكتابة في الصحف ٢٢ بعرض ١٣ وفي كل صفحة ٢٩ سطراً. أما سائر الأجزاء فهي دونه في الحجم وفي عدد السطور. وأوّل هذا المجلد محلى ومجدول بالذهب، ويقع في ٣٠٣ ورقة وباقي الصحف مجدول بالمداد الأحمر.

ويبتدىء هذا المجلد بأخبار عنترة بن شدّاد العبسي التي تقع في أوّل صفحة ٢٣٧ من الجزء الثامن من هذه الطبعة، وينتهي بأخبار أبي زبيد وتقع في الجزء الثاني عشر من هذه الطبعة.

وهذا الاختلاف بين هذا المجلد وسائر المجلدات يدل على أنه ليس من أسفار النسخة التي في دار الكتب المصرية والمرقومة برقم ١٣١٨ أدب، وإنما جمع معها وسلك في رقمها. وفي آخره ما يدل على ذلك صراحة إذ ورد فيه: «تم السفر الثالث من كتاب الأغاني...» وهذا السفر يصل إلى قريب من نصف الكتاب مع أن هذه النسخة تقع في أربعة عشر مجلداً كما قلنا في وصفها في تصدير الكتاب. وواضح من هذا أن هذا المجلد لا بد أن يكون جزءاً من نسخة أخرى لا تعدو أسفارها ستة أو سبعة على الأكثر.

وقد اطلع على هذا المجلد كما اطلع على سائر مجلدات هذه النسخة الأستاذ الكبير شيخ الأزهر الشيخ حسن بن محمد العطار من جلّة العلماء والأدباء في القرن الثالث عشر الهجري.

وقد وضعت لهذا الجزء فهارس كاملة كالأجزاء السابقة، غير أنا توسعنا في فهرس هذا الجزء عند ذكر أسماء رجال السند؛ إذ لم نكتف بذكر رقم أو رقمين لكل رجل بل أثبتنا كل أرقام الراوي إذا اختلف من روى عنهم أو من رووا عنه، ليكون ذلك مرجعاً للرجال الذين روى عنهم أبو الفرج أخباره التي ذكرها في كتابه.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[٣/١٠]

/ بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء العاشر

من كتاب الأغاني

/ أخبار دريد بن الصمة ونسبه

٢/٩

نسبه:

هو دُرَيْد بن الصِّمَّة. وأسم الصِّمَّة، فيما ذكَر أبو عمرو، معاويةُ الأصغر بن الحارث بن معاوية الأكبر بن بكر بن عَلَقَة، وقيل عَلْقَمة، بن خُزَاعة بن غَزِيَّة بن جُشَمَ بن معاوية بن بَكْر بن هَوَازِن. وأما أبو عُبَيْدة فقال: هو دُرَيد بن الصِّمَّة، وأسمه معاوية بن الحارث بن بكر بن عَلَقَة ولم يذكر معاويةَ. وقال أبن سَلاَّم: الحارث بن معاوية بن بكر بن عَلَقَة.

صفاته:

ودريد بن الصِّمَّة فارسٌ شجاع شاعر فَحْل، وجعله محمد بن سَلاَّم أوّلَ شعراء الفُرْسان. وقد كان أطولَ الفُرْسان الشعراءِ غَزْواً، وأبعدَهم أثراً، وأكثرهم ظَفَراً، وأيمَنهم نَقِيبةً عند العرب، وأشعرهم دريد[١] بن الصِّمَّة.

قتل يوم حنين:

وقال أبو عبيدة: كان دريد بن الصِّمَّة سيِّدَ بني جُشَمَ وفارسَهم وقائدَهم، وكان مظفَّراً ميمونَ النَّقِيبة، وغزا نحوَ مائة غَزَاةٍ ما أَخفَق في واحدة منها، وأدرك / الإسلامَ فلم يُسْلِم، وخرج مع قومه في يوم حُنَيْنٍ مُظاهِراً للمشركين، [٤/١٠] ولا فضلَ فيه للحرب، وإنّما أخرجوه تيمُّناً به وليقتبسوا من رأيه، فمنعهم مالكُ بن عَوْف من قبول مَشُورته، وخالفه لئلا يكون له ذِكر، فقُتِل دُرَيد يومئذٍ على شِرْكه. وخبرُه يأتي بعد هذا.

إخوته:

وكان لدريد أخوةٌ وهم عبدالله الذي قتلته غَطَفانُ، وعبدُ يَغُوثَ قتله بنو مُرَّة، وقَيْسٌ قتله بنو أبي بكر بن كِلَاب، وخالدٌ قتله بنو الحارث بن كَعْب، أمُّهم جميعاً رَيْحانةُ بنت مَعْدِ يكربَ الزُّبَيْديّ أخت عمرو بن معد يكرِب كان الصِّمَّة سباها ثم تزوّجها فأولدها بَنِيه. وإيّاها يَعني أخوها عمرو بقوله في شعره:

أَمِنْ رَيْحانَةَ الدّاعِي السَّمِيعُ ... يُؤَرِّقُني وأصحابي هُجُوعُ

/ إذا لم تَسْتطِعْ شيئاً[٢] فَدَعْهُ ... وجاوِزْهُ إلى ما تستطيعُ

٣/٩

(١) يلاحظ بأدنى تأمل أن سياق الكلام مستغن عن ذكر هذا الاسم.

(٢) في «أ، حـ، م»: «أمراً».

ابنه وبنته شاعران:

وكان لدُرَيْدٍ ابْنٌ يقال له سَلَمةُ، وكان شاعراً وهو الذي رمى أبا عامر الأَشْعَرِيّ[1] بسهم فأصاب ركبته فقتله وارتجز فقال:

إن تَسْـألـوا عنّـي فـإنّـي سَلَمـة ... إبـنُ سَمـادِيـرَ[2] لمـن تـوسَّمـهْ

* أضرِب بالسيف رؤوسَ المُسْلِمَهْ *

وكانت لدُرَيْد أيضاً بنتٌ يقال لها عَمْرةُ [وكانت][3] شاعرة، ولها فيه مَرَاثٍ كثيرةٌ.

شعره في الصبر على النوائب:

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال: حدّثنا أبو غَسّانَ دَمَاذ عن أبي عُبَيْدة وأخبرني به محمد بن الحسن بن دُرَيد عن أبي حاتم عن أبي عُبَيدة، وأخبرني بأخبار / له مجموعةٍ ومتفرّقةٍ جماعةٌ من شيوخنا أذكرهم في مواضعهم، وأخبرني أيضاً بخبره محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان عن صالح بن محمد عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ وقد بيّنتُ رواية كل واحد منهم في موضعها، قال أبو عُبَيدة سمعت أبا عمرو بن العَلَاء يقول: أحسنُ شعرٍ قيل في الصبر على النوائب قولُ دُرَيد بن الصِّمَّة حيث يقول: [٥/١٠]

تقـول ألا تَبْكـي أخـاك! وقـد أرى ... مكـانَ البكـا لكـن بُنِيـتُ علـى الصبـرِ

لمقتـلِ عبـدِ الله والهـالـكِ الـذي ... علـى الشَّـرَف الأعلـى قتيـلِ أبـي بكـر

وعبـدِ يَغُـوث أو خليلِـيَ خـالـدٍ ... وعَـزَّ مُصَـابـاً حَثْـوُ[4] قبـرٍ علـى قبـر

أبَـى القتـلَ إلّا آلُ صِمَّـةَ إنهـم ... أبَـوْا غيـره والقَـدْرُ يَجْـرِي إلـى القَـدْر

فـإمّـا تَـرَيْنـا مـا تـزال دمـاؤنـا ... لـدى واتـرٍ يَشْقَـى بهـا آخـرَ الـدهـر

فـإنّـا لَلَحْـمُ السيـفِ غيـرَ نَكيـرة ... ونَلْحَمُـه[5] حينـاً وليـس بـذي نُكْـر

يُغـار علينـا واتـريـن فيُشْتَفَـى ... بنـا إن أُصِبْنـا، أو نُغِيـر علـى وِتْـر

بـذاك قَسَمْنـا الـدّهـرَ شَطْـريْـن قِسمـةً ... فمـا يَنْقضـي إلا ونحـن علـى شَطْـر

وأخبرني ابن عَمّار قال: حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال حدّثني محمد بن القاسم الأَسَديّ عن صاعِدٍ مولى الكُمَيْت بن زيد يقول: أحسنُ شعرٍ قيل في الصبر على النوائب قولُ دُرَيد بن الصِّمَّة، وذكَر هذه الأبيات.

يوم اللوى ومقتل أخيه عبدالله وما رثاه به من الشعر:

قال أبو عُبَيدة: فأما عبدالله بن الصِّمّة فإن السبب في مقتله إنه كان غزا غَطَفانَ ومعه بنو جُشَمَ وبنو نَصْرٍ

(١) أبو عامر الأشعري هو ابن عم أبي موسى الأشعري، وقد كان هذا الحادث يوم حنين.
(٢) سمادير اسم أم سلمة امرأة دريد بن الصمة.
(٣) الزيادة عن «حـ».
(٤) في «أ»: «حثى قبر» يقال: حثوت عليه التراب أحثوه حثواً وحثيته أحثية حثيا، والياء أعلى.
(٥) لحمه (من باب فتح): أطعمه اللحم. وفي «الصحاح»: «ولا تقل ألحمه والأصمعي يقوله».

أبناءُ معاوية فظفِر بهم وساق أموالَهم في يوم يقال له يوم اللِّوى ومضى بها. ولما كان منهم غير بعيد قال: انزلوا بنا، فقال له / أخوه دُرَيد: يا أبا فُرْعان ـ وكانت لعبدالله ثلاثُ كُنًى: أبو فُرْعانَ، وأبو ذُفَافَة، وأبو أوْفَى، وكلُّها [١٠/٦] قد ذكرها دُرَيدٌ في شعره ـ: نَشَدْتُك اللهَ ألاَّ تنزل فإنّ غَطَفانَ ليست بغافلةٍ عن أموالها، فأقسم لا يَرِيمُ حتى يأخذ مِرْباعَه[١] ويَنْقَعَ نَقِيعَه[٢]، فيأكلَ ويُطْعِمَ ويَقْسِمَ البقيّةَ بين أصحابه، فبينا هم في ذلك وقد سَطَعتِ الدَّواخِنُ، إذا بغُبارٍ قد ارتفع أشدَّ من دُخانهم، وإذا عَبْسٌ وفَزارةُ وأشجعُ قد أقبلتْ فقالوا لرَبيئتهم[٣]: انظر ماذا تَرَى؟ فقال أرى قوماً جِعاداً كأن سَرَابيلَهم قد غُمِستْ في الجادِيّ[٤] قال: تلك أشجعُ، ليست بشيء. ثم نظر فقال: أرى قوماً كأنهم الصِّبيان، أَسِنَّتُهم عند آذانِ خيلهم. / قال: تلك فَزَارةُ. ثم نظر فقال: أرى قوماً أَدْماناً[٥] كأنما ٤/٩ يَحْملون الجبلَ[٦] بسوادهم، يَخُدُّون[٧] الأرضَ بأقدامهم خَدّاً، ويَجُرُّون رماحَهم جَرّاً، قال: تلك عَبْسٌ والموتُ معهم! فتلاحَقُوا بالمُنْعَرَج من رُمَيْلَةِ اللِّوَى فاقتتلوا فقتل رجلٌ من بني قارِبٍ وهم من بني عَبس عبدَالله بن الصِّمَّة فتنادَوْا: قُتِل أبو ذُفَافة! فعطَف دُرَيد فذبَّ عنه فلم يُغْنِ شيئاً وجُرِح دُرَيد فسقط فكَفُّوا عنه وهم يَرَوْن أنه قُتِل، واستنقذوا المالَ ونجا مَنْ هَرَب. فمرّ الزَّهْدَمانِ وهما من بني عبس، وهما زَهْدَمٌ وقيسٌ ابنا حَزْن بن وهب بن رَوَاحَة وإنما قيل لهم الزَّهْدَمان تَغْليباً لأشهر الاسمين عليهما، كما قيل العُمَرانِ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والقمران للشمس والقمر. قال دُرَيد: فسمعتُ زَهْدَماً العَبْسِيَّ يقول لكَرْدَم الفَزَارِيّ إني لأَحْسَب دُرَيداً حيّاً / فانزلْ فأَجْهِز عليه، قال: قد مات، قال: أنزل فانظر إلى سُبَّته[٨] هل تَرَمَّزُ؟ قال دُرَيد: فسدَدتُ من [١٠/٧] حِتارها[٩] أي من شَرَجها، قال فنظر فقال: هيهات، أي قد مات، فولّى عنّي، قال ومال بالزُّجِّ في شَرَج دُرَيد فطعنه فيه فسال دمٌ كان قد احتَقَن في جوفه، قال دُرَيد فعرفت الخِفَّةَ حينئذٍ فأمْهَلتُ، حتى إذا كان الليلُ مَشَيْت وأنا ضعيف قد نَزَفني[١٠] الدَّمُ حتى ما أكاد أبْصِر، فجُزْتُ بجماعةٍ تسير[١١] فدخلتُ فيهم، فوقعتُ بين عُرْقُوبَيْ بعيرٍ ظَعِينة، فنفَر البعيرُ فنادتْ: نعوذ بالله منك، فانتسبتُ لها فأعْلَمتِ الحيَّ بمكاني، فغُسِل عنّي الدم وزُوِّدتُ زاداً وسِقاء فنجوتُ، وزعم بعض الغَطَفانيِّين أن المرأة كانت فَزَارِيّة وأنّ الحيَّ كانوا علِموا بمكانه فتركوه فداوتْه المرأةُ حتى بَرَأ ولحِق بقومه، قال: ثم حَجَّ كَرْدَم بعد ذلك في نَفَرٍ من بني عَبْس، فلما قاربوا ديارَ دُرَيد تنكَّروا خوفاً، ومَرَّ بهم فأنكرهم، فجعل يمشي فيهم ويسألهم من هم؟ فقال له كَرْدم: عمَّن تسأل؟ فدفعه دُرَيد، وقال: أمّا عنك وعمَّن معك فلا أسأل أبداً، وعانقه، وأهْدي إليه فرساً وسلاحاً، وقال له: هذا بما فعلتَ بي يوم اللِّوَى.

---

(١) المرباع بكسر أوله: ربع الغنيمة، وهو حظ الرئيس في الجاهلية.
(٢) نقع الشيء في الماء وغيره ينقعه (من باب فتح) فهو نقيع، ومثله أنقعه. نبذه: أي اتخذ منه النبيذ.
(٣) الربيئة: الطليعة.
(٤) الجاديّ: الزعفران.
(٥) الأدمان: جمع آدم على مثال سودان وحمران. والآدم من الناس: الأسمر.
(٦) في جـ م: «الأرض».
(٧) يخدون: يشقون.
(٨) السبة بالضم: الإست. وترمز (بحذف إحدى تاءيها): تضطرب وتتحرك.
(٩) الحتار بالكسر: ما أحاط بالشيء كحتار الغربال والمنخل.
(١٠) يقال: نزف الدم فلاناً فهو منزوف ونزيف أي سال منه دم كثير حتى يضعف.
(١١) في «أ»، م»: «قيس».

وقال دُرَيد يرثي أخاه عبدالله:

أَرَثَّ جديدُ الحبلِ من أمِّ معبدِ   بعاقِبةٍ[١] وأَخْلفتْ كلَّ مَوْعِدِ
وبانت ولم أَحْمدْ إليك جِوارَها   ولم تَرْجُ منّا رِدَّةَ اليوم أوغَدِ

[٨/١٠] / وهي طويلة وفيها يقول:

أعاذِلَتي كُلُّ امرىءٍ وابنُ أمِّه   متاعٌ كزاد الراكب المتزوِّدِ
أعاذل إن الرُّزْءَ أمثالُ خالدٍ[٢]   ولا رُزْءَ ممّا أهلَكَ المرءُ عن يدِ
نصحتُ لعارضٍ وأصحاب عارض   ورَهْطِ بني[٣] السَّوْداء والقومُ شُهَّدي
فقلتُ لهم ظُنّوا[٤] بألْفَيْ مدجَّجٍ   سَراتُهمُ في الفارِسيِّ المُسَرَّدِ
أمرتُهمُ أمري بمُنْعَرَجِ اللِّوَى   فلم يَسْتبينوا الرُّشْدَ إلّا ضُحَى الغَدِ
فلما عَصَوْني كنتُ منهم وقد أرَى   غَوايتَهم وأنّني[٥] غيرُ مهتدِ
وهل أنا إلّا من غَزِيّةَ[٦] إن غَوَتْ   غَوَيْتُ، وإن تَرْشُدْ غَزِيّةُ أرْشُدِ
دعاني أخي والخيلُ بيني وبينه   فلما دعاني لم يَجِدْني بقُعْدُدِ[٧]
تنادَوْا فقالوا أَرْدَتِ الخيلُ فارساً   فقلتُ أعبدُالله ذلكُمُ الرَّدِي
٥/٩ // فإن يَكُ عبدُالله خلَّى مكانَه   فلم يَكُ وَقّافاً ولا طائشَ اليدِ
[٩/١٠] / ولا بَرِماً[٨] إذا الرياحُ تناوحتْ   برَطْبِ العِضاهِ والهَشِيمِ المعضَّدِ
نظرتُ إليه والرِّماحُ تَنُوشُه[٩]   كوَقْعِ الصَّياصِي في النَّسِيج المُمدَّدِ
فطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تبدَّدتْ   وحتى عَلاني أشقرُ اللّونِ مُزْبِدُ[١٠]

(١) بعاقبة أي بأخرة.
(٢) ذكر المؤلف فيما مر إخوة دريد وذكر منهم خالداً و عبدالله. والتصريح بهذا الاسم في هذا الشعر الذي قاله دريد في رثاء أخيه عبدالله خاصة يدل على أن عبدالله وخالداً وعارضا (المذكور في البيت التالي) ثلاثة أسماء لشخص واحد وقد صرح بذلك شارح الحماسة جـ ٢ ص ١٥٦ حيث قال: «عارض هو أخو دريد وكانت له ثلاثة أسماء عارض وعبدالله وخالد، وثلاث كنى كان يكنى أبا أوفى وأبا ذفافة وأبا فرعان أو أبا فرغان».
(٣) رهط بني السوداء يعني بهم أصحاب أخيه عبدالله. والقوم شهدي أي شهودي.
(٤) ظنو: أي أيقنوا أو معناه ما ظنكم بألفين من الأعداء راصدين لكم يرقبونكم. والمدجج: التام السلاح، من الدجة وهي شدة الظلمة لأن الظلمة تستر كل شيء، والمدجج يستر نفسه بالسلاح. وسراتهم: أشرافهم وسادتهم. والفارسي المسرد عني به الدروع المتابعة الحلق في نسجها.
(٥) كذا في «حـ» و«الحماسة». وفي «سائر الأصول»: «أو».
(٦) غزية: قبيلة من هوازن. وهي رهط الشاعر.
(٧) القعدد كقنفذ: الجبان اللئيم القاعد عن المكارم.
(٨) البرم: الضجر. وتناوحت الرياح هبت صبا مرة وشمالاً مرة وجنوباً مرة، وذلك آية الجدب. والعضاه: كل شجر يعظم وله شوك. والهشيم: النبت اليابس المتكسر. والمعضد: المقطع بالمعضد.
(٩) تنوشه: تتناوله. والصياصي: جمع صيصية وهي شوكة الحائك التي يسوى بها السداة واللحمة.
(١٠) هذه رواية الأصول وفيه إقواء. ورواية «الحماسة»

فمــا رِمْـتُ حتـى خـرَّقتْنـي رمــاحُهـم وغــودِرتُ أكبــو فــي القَنــا المتقصِّــد[١]

قِتــالَ امْـرىءٍ واسَــى أخــاه بنفســه وأيقــن أنّ المــرءَ غيــرُ مخلَّــد

صبـور علـى وقـع المصـائـب حـافـظ مـن اليـوم أعقـابَ الأحـاديـث فـي غَـدِ

في بعض هذه الأبيات غناء وهو:

صـوت

تمثل عليّ عليه السلام بشعره:

أمــرتُهُــمُ أمــري بمنْعَــرَجِ اللِّــوَى فلــم يَسْتبينـوا الـرُّشْـدَ إلاَّ ضُحَـى الغـدِ

فلمـا عصَـوْنـي كنـتُ منهـم وقـد أَرَى غَــوايتَهــم وأنّنــي غيــر مهتــدِ

وهــل أنــا إلاّ مــن غَــزِيّــةَ إن غَــوَتْ غَــوَيـتُ وإن تَـرْشُـد غَـزيّـةُ أَرْشُـد

الغناء ليحيى المكيّ ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى البنصر من رواية ابنه أحمد، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسُبه إلى أحمد. وهذه الأبيات تمثَّل بها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عند مُنْصَرَفِه من صفّين.

/ حدّثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العِجْليّ قال حدّثنا حسين بن نصر بن مُزَاحِم قال حدّثنا عمر بن[١٠/١٠] سعيد عن أبي مِخْنَف عن رجاله أن علياً عليه السلام لمّا اختلفتْ كلمةُ أصحابه في أمر الحَكَمَيْن وتفرّقت الخوارجُ وقالوا له ارجع عن أمر الحَكَمَيْن وتُبْ واعترفْ بأنك كفرت إذ حَكَّمتَ، ولم يَقْبل ذلك منهم، وخالَفوه وفارقوه تمثَّل بقول دُرَيد:

أمــرتُهُــمُ أمــري بمُنْعَــرَجِ اللِّــوَى فلــم يَسْتبينــوا الـرُّشْـدَ إلاّ ضُحَـى الغـد

الأبيات:

أخوه عبدالله وأسماؤه وكناه:

قال أبو عُبَيدة: كانت لعبدالله بن الصِّمّة ثلاثةُ أسماءٍ وثلاثُ كُنًى: عبدالله ومَعْبَد وخالد. ويكنى أبا ذُفَافَة وأبا فُرْعانَ وأبا أَوْفَى.

وقال دُرَيد:

أبــا ذُفَــافَــةَ مَــنْ للخيــل إذ طُــرِدَت فــاضطـرَّهـا الطعـنُ فـي وَعـثٍ[٢] وإيجـافِ

يــا فـارسَ الخيـلِ فـي الهَيْجـاء إذ شُغِلـت كلتــا اليــديــن دَرُوراً غيــرَ وقّــافِ

له أفضل بيت في الصبر على النوائب:

= فطـاعنــت عنــه الخيــل حتــى تنفســت وحتــى عــلانــي حــالــك اللــون أســودي

قال التبريزي: ويروي أسود على الإقواء. وأسودي يريد أسوديا كما قيل في الأحمر أحمري وفي الدوّار دوّاري ثم خففت ياء النسب بحذف إحداهما.

(١) المتقصد: المتكسر.

(٢) الوعث هنا: الطريق الخشن الغليظ العسر. والإيجاف: سرعة السير.

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عُبَيدة عن يونس أنه كان يقول: أفضلُ بيت قالته العرب في الصبر على النوائب قولُ دُرَيد بن الصِّمَّة:

قليــلُ التَّشكّــي للمُصيبــاتِ حــافــظٌ ... مِـن اليـوم أعقـابَ الأحـادِيـث فـي غـد

عاتبته زوجته أم معبد على بكائه أخاه فطلقها وقال شعراً:

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء عن الزُّبَير عن أبي المُهاجِر، وذكر مثلَه أبو عمرو الشَّيْبانيّ، أنّ أُمّ مَعْبَد التي [١٠/١١] ذكرها دُرَيد في شعره هذا كانت امرأتَه فطلّقها، لأنها/ رأته شديدَ الجَزَع على أخيه، فعاتبتْه على ذلك وصغَّرت شأن أخيه وسبَّتْه، فطلّقها وقال فيها:

أرَتَّ جـديـدُ الحبـلِ مـن أم مَعْبـدِ ... بعـاقِبـةٍ وأَخْلفـتْ كـلَّ مـوعِـد

٦/٩ / وبـانـت ولـم أحمَـد إليـكَ جِـوارَهـا ... ولـم تَـرْجُ منـا رِدّة اليـوم أو غـد

فقالت له أمُّ مَعْبَد: بئسَ واللهِ ما أثنيتَ عليّ يا أبا قُرّة! لقد أطعمتُك مأدُومي، وبَثثْتُك مكتومي، وأتيتُك باهِلاً[١] غيرَ ذاتِ صِرَار وما اسْتَفْرَمتُ[٢] قبلك إلاّ من حَيْض.

وقال أبو عُبَيدة في خبره: بلغ دُرَيدَ بن الصِّمَّة أن زوجته سَبَّتْ أخاه فطلّقها وألحقها بأهلها وقال في ذلك:

أعبـدَالله إن سَبَّتْـكَ عِـرسـي ... تقـدَّم بعـضُ لحمـي قبـل بعـض

إذا عِرْسُ آمـرىءٍ شتمـتْ أخـاه ... فليـس فـؤاد شـانئـه بحَمْـض[٣]

مَعَـاذَ اللهِ أن يشتُمْـنَ رَهْطـي ... وأن يَمْلِكْـنَ إبـرامـي ونَقْضِـي

حارب غطفان يوم الغدير طلباً بثأر أخيه وقال شعراً:

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدّثنا أبو غَسّان دَمَاذ عن أبي عُبَيدة قال:

أغار دُرَيد بن الصِّمَّة بعد مقتل أخيه عبدِالله على غَطَفانَ يطالبهم بدمه، فاستقراهم[٤] حَيّاً حَيّاً، وقَتل من بني عَبْس ساعدةَ بن مُرّ، وأسَر ذُؤابَ بن أسماء بن زيد بن قارِب، أسَره مُرَّةُ بن عَوْف الجُشَميّ. فقالت بنو جُشَمَ: لو فادَيْناه[٥]! فأبَى ذلك دُرَيد عليهم، وقتله بأخيه عبدالله، وقتل من بني فَزَارةَ رجلاً يقال له حِزَام وإخوة له، [١٠/١٢] وأصاب / جماعةً من بني مُرّةَ ومن بني ثَعْلبة بن سَعْد ومن أحياء غَطَفانَ، وذلك في يوم الغَدِير. وفي هذا اليوم وفي مَنْ قُتِل فيه منهم يقول:

تـأبَّـد مـن أهلِـه مَعْشَـرُ ... فَجـوُّ سُـوَيقـةَ[٦] فـالأصْفَـرُ

---

(١) الباهل «في الأصل»: الناقة لإصرار عليها، تريد أنها أباحته نفسها.
(٢) كذا في «حـ»، واستفرمت المرأة: تضيقت بالفرم (بفتح أوله وإسكان ثانيه) أي عالجت ذلك الموضع منها ليضيق ويستحصف، وربما تتعالج بحب الزبيب ونحوه تضيق به متاعها.
(٣) فؤاد حمض: فاسد متغير.
(٤) استقراهم: تتبعهم.
(٥) فاداه: أطلقه وقبل فديته. وفي «القرآن الكريم» ﴿وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم﴾.
(٦) تأبد: أقفر. ومعشر وجو سويقة والأصفر أسماء مواضع.

فجِزْعُ الحُلَيْفِ[1] إلى واسِطِ ... فذلك مَبْدًى وذا مَحْضَرُ
فأبْلِغْ سُلَيْمَى وألْفافَها[2] ... وقد يَعْطِفُ النَّسَبُ الأكبرُ
بأنّي ثأرْتُ بإخوانكم ... وكنتُ كأنّي بهم مُخْفِرُ[3]
صبَحْنا فَزارةَ سُمْرَ القَنا ... فَمَهْلاً فَزارةُ لا تَضْجَروا
وأبْلِغْ لَدَيْكَ بني مازنٍ ... فكيف الوَعيدُ ولم تَقْدِروا
فإن تَقْتُلوا فِتْيةً أُفْرِدوا ... أصابهمُ الحَيْنُ أو تَظْفَروا
فإنّ حِزاماً لدى مَعْرَكٍ ... وأخوتَه حولَهم أنْسُرُ
ويومَ يزيدِ بني ناشِبٍ ... وقبلُ يزيدُكُم الأكبرُ
أثَرْنا صَريخَ بني ناشِبٍ ... ورَهْطَ لَقيطٍ فلا تَفْخَروا
تَجُرّ الضِّباعُ[4] بأوصالهم ... ويَلْقَحْنَ منهم ولم يُقْبَروا

[١٣/١٠] / ويقولُ في ذلك أيضاً دُرَيد بن الصِّمَّة في قصيدة له أخرى:

جَزَيْنا بَني عَبْسٍ جزاءً موفَّراً ... بمقتلِ عبدِالله يومَ الذَّنائبِ[5]
ولولا سوادُ الليلِ أدرك رَكْضُنا ... بذي الرِّمْثِ والأَرْطَى[6] عِياضَ بنَ ناشب
قتلنا بعبدِالله خيرَ لِداتِه ... ذُؤابَ بنَ أسماءَ بنِ زيدِ بنِ قارب

قال أبو عبيدة: أنْشِد عبدُالملك بن مروان شعرَ دريد بن الصِّمَّة هذا فقال: كاد دريد أن يَنْسُب ذؤابَ بنَ أسماءَ إلى آدمَ. فلما بلَغ المُنْشِدُ قولَه:

ولولا سوادُ الليلِ أدرك رَكْضُنا ... بذي الرِّمْثِ والأَرْطَى عِياضَ بنَ ناشب

/ قال عبدالملك: ليت الشمس كانت بقيتْ له قليلاً حتى يُدْرِكَه. ٧/٩

قال أبو عبيدة وقال دريد أيضاً في هذه الوقعة:

قتَلْنا بعبدِالله خيرَ لِداتِه ... وخيرَ شَبابِ الناس لو ضُمَّ أجمعا
ذُؤابَ بنَ أسماءَ بنِ زيدِ بنِ قاربٍ ... مَنِيَّتُه أَجْرَى[7] إليها وأَوْضَعا
فتًى مثلُ مَتْنِ السيفِ يهتزُّ للنَّدى ... كعاليةِ الرُّمْحِ الرُّدَيْنيِّ أرْوَعا

(١) الجزع: منعطف الوادي. والحليف وواسط: موضعان.
(٢) ألفافها: قومها المجتمعون حولها، مفرده لف بالكسر.
(٣) أخفره: نقض عهده وغدره. والهمزة فيه للإزالة أي أزال خفارته كأشكاه إذا أزال شكواه.
(٤) يشير إلى ما هو معروف عن الضبع من أنها إذا لقيت قتيلاً بالعراء وورم وانتفخ غرموله تأتيه فتركبه وتقضي حاجتها منه ثم تأكله (راجع «نهاية الأرب» ج ٩ ص ٢٧٤ طبع دار الكتب المصرية و «الحيوان» للجاحظ طبع مصر ج ٥ ص ٤٠).
(٥) الذنائب يوم من أيام العرب المشهورة (راجع «الأغاني» ج ٥ ص ٣٥ ـ ٦٣ طبع دار الكتب المصرية).
(٦) ذو الرمث: موضع. والرمث والأرطى نبتان.
(٧) أجرى إليها: قصد إليها.

أغرته أمه بالاستعانة بأخواله في ثأر أخيه فأبى وقتل ذؤاب بن أسماء:

وقال ابن الكَلْبيّ: قالت رَيْحانة بنت معد يكرِب لدُرَيد بن الصِّمَّة بعد حولٍ من مَقْتَل أخيه: يا بنيّ إن كنتَ عَجزتَ عن طلب الثار بأخيك فاستعِنْ بخالك وَعشيرته من زُبَيْد، فأنِف من ذلك وحلَف لا يَكْتَحِل ولا يَدَّهِنُ ولا يَمَسُّ طِيباً ولا يأكل لحماً ولا يشربُ خمراً حتى يُدْرِكَ ثأرَه، فَغزَا هذه الغَزَاةَ وجاءها بذُؤاب بن أسماء فقتله بفِنائها، وقال: هل بلغتُ ما في نفسِك؟! قالت: نعم مُتِّعتُ بك! ورُوِيَ عن ابن الكَلْبيّ لرَيْحانةَ في هذا المعنى أبياتٌ لم تَحْضُرْني وقد كتبتُ خبرها.

[١٤/١٠] / **أخوه قيس بن الصمة ومقتله:**

وأمّا قتيل أبي بكرٍ الذي ذكره دُرَيد فإنه أخوه قَيْس بن الصِّمَّة، قتله بنو أبي بكر بنِ كِلاب. وكان السببُ في ذلك، فيما أخبرني به هاشم بن محمد عن دَماذ عن أبي عُبَيدةَ، أنّه غزا في قومه بني خُزَاعة من بني جُشَمَ، فأغاروا على إبلٍ لبني كَعْب بن أبي بكر بن كِلاب، فانطلقوا بها. وخرج بنو أبي بكر بن كلاب في طلبها حتى إذا دنَوْا منهم قال عمرو بن سُفْيانَ الكِلابيّ، وكان حازماً عاقلاً، امكثوا، ومضى هو متنكِّراً حتى لقِيَ رجلاً من بني خُزَاعةَ فسلَّم عليه واستسقاه فسقاه وانتسب له هِلاليّاً، فسأله عن قومه وأين مَرْعَى إبلهم، وأعلمه أنه جاء رائداً[١] لقومه يريد مجاورتَهم، فخبَّره الرجل بكلّ ما أراد، فرجع إلى قومه وقد عرف بُغْيتَه، فصبَّح القوم فظفِرتْ بهم بنو كِلَابٍ وقتلوا قيسَ بن الصِّمَّة، وذهبوا بإبل بني خُزَاعة وارتجعوا إبلهم[٢]. وكان يقال لعمرو بن سفْيانَ ذو السيفيْن، لأنه كان يَلْقَى الحربَ ومعه سيفان خوفاً من أن يخونه أحدُهما. وإيّاه عَنَى دُرَيدُ بن الصِّمَّة بقوله:

إنّ امرءاً باتَ عمرٌو بين صِرْمَتِه[٣] … عمرُو بنُ سُفْيانَ ذو السَّيفين مغرورُ

يا آل سفيانَ ما بالِي وبالُكمو … هل تنتهون وباقي القولِ مأثورُ؟

يا آل سُفْيانَ ما بالِي وبالُكمو … أنتم كبيرٌ وفي الأحلام عُصْفورُ

هلّا نَهَيْتُم أخاكم عن سَفاهته … إذ تَشْربون وغاوي الخمر مدحورُ؟

لا أعرِفَنْ لِمَّةً سَوْداءَ داجيةً … تدعو كِلاباً وفيها الرُّمح مكسورُ

لن تَسْبِقوني ولو أمهلتُكم[٤] شَرَفاً … عُقْبَى إذا أبطأ الفُحْجُ[٥] المَخاصِيرُ[٦]

[١٥/١٠] / **خبر الحرب بين بني عامر وبني جشم وبين أسد وغطفان:**

وأخبرنا بخبر ابتداء هذه الحروب محمد بن العبّاس اليَزِيديّ قال قرأت على أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابيّ قال:

---

(١) في ب، س، حـ: «زائراً» وهو تحريف.

(٢) في ب، س: «أموالهم».

(٣) الصرمة بكسر الصاد: القطيع من الإبل والغنم اختلف في عدده.

(٤) في ب، س: «أمهلتكم».

(٥) الفحج بضم الفاء وسكون الحاء: جمع أفحج أو فحجاء، وصف من الفحج بفتح الفاء والحاء وهو تباعد ما بين أوساط الساقين من الرجل والدابة.

(٦) المخاصير: جمع مخصور وهو الذي يشتكي خصره.

أغارت بنو عامر بن صَعْصَعَةَ وبنو جُشَمَ بن معاوية على أَسَدٍ وغَطَفانَ، وكان دُرَيد بن الصِّمَّة وعمرو بن سفيان بن ذي اللِّحْية متسانِدَيْن[١]، فدُرَيد على بني جُشَمَ بن معاوية، وعمرو بن سفيان على بني عامر. فقال عبدالله بن الصِّمَّة / لأخيه: إنّي غيرُ مُعْطِيك الرِّياسةَ، ولكنّ لي في هذا اليوم شأناً. ثم اشترك عبدُالله ٩/٨ وشَراحِيلُ بن سفيان، فلما أغار القوم أخذ عبدالله من نَعَم بني أَسَدٍ ستّين وأصاب القومُ ما شاءوا. وأدرك رجل من بني جَذِيمةَ عبدَالله بنَ الصِّمَّة فقال له عبدالله بن الصِّمَّة: ارجع فإني كنتُ شاركتُ شَراحِيلَ بن سُفْيانَ، فإن استطاع دُرَيد فليأتِه وليأخذ مالي منه. وأقام دُرَيدٌ في أواخر الحيّ فقال له عمرو: ارْتحِلْ بالناس قبل أن يأتيَك الصُّراخُ[٢]، فقال: إني أنتظر أخي عبدَالله. حتى إذا أطال عليه قال له: إن أخاك قد أدرك فوارسَ من الحُلَيْفِيِّين يسوقون بظُعُنِهم فقتلوه. فانطلقوا حتى إذا كانوا بحيث يفترقون قال دُرَيد لشَراحِيلَ[٣]: إن عبدالله أنبأني ولم يَكذِبْني قَطُّ أن له شَرِكةً مع شَرَاحِيلَ فأدُّوا إلينا شَرِكتَه. فقالوا له: ما شاركناه قطّ. فقال دريد: ما أنا بتارككم حتى استحلِفَكم عند ذي الخَلَصَة (وثنٍ من أوثانهم). فأجابوه إلى ذلك وحلَفوا، ثم جاء عبدُالله بغَنيمةٍ عظيمة فجاءوه يَنْشدونه الشَّرْكَ. فقال لهم دريد: ألم أحَلِّفكم حين ظننتم أن عبدالله قد قُتِل. فقالوا: ما حَلَفْنا وجعلوا يُناشِدون عبدَالله أن يُعطيَهم، فقال: لا، حتى يرضى دريدٌ، فأبى أن يَرْضى فتوعَّدوه أن يَسْرقوا إبلَه. فقال دريد في ذلك:

/ هـلْ مثـلُ قلبِـك فـي الأهـواء معـذورُ ... والحـبُّ بعـد مَشِيـبِ المـرءِ مغـرورُ [١٠/١٦]

وذكر الأبياتَ التي تقدَّمتْ في الخبر قبل هذا وزاد فيها:

إذا غلَبْتـم صـديقـاً تَبْطُشـون بـه ... كمـا تهـدَّم فـي المـاء الجَمَـاهيـرُ[٤]

وأنتـم مَعْشـرٌ فـي عِـرْقِكـم شَنَـجٌ[٥] ... بُـزْخُ الظهـورِ وفـي الأَسْتـاهِ تـأخيـرُ

قـد علِـم القـومُ أنّـي مـن سَـراتهـمُ ... إذا تَقبَّـض فـي البطـن المَـذاكِيـرُ

وقـد أَرُوعُ سَـوامَ القـوم ضـاحيـةً ... بـالجُـرْدِ يَـرْكُضُهـا الشُّعْـثُ المَغَـاوِيـرُ[٦]

يَحْمِلـن كـلَّ هِجـانٍ[٧] صـارِمٍ ذَكَـرٍ[٨] ... وتحتهـم شُـزَّبٌ[٩] قُـبٌّ مَضَـامِيـرُ

أَوْعَـدْتُمـو إبِلِـي كـلّا سمينعُهـا ... بنـو غَـزِيَّـةَ لا مِيـلٌ ولا صُـورُ[١٠]

(١) التساند: التعاضد.
(٢) الصراخ: صوت الاستغاثة.
(٣) بالتأمل في سياق هذه القصة يلاحظ أن هذه الكلمة زائدة.
(٤) الجماهير: الرمال الكثيرة المتراكمة.
(٥) العرق: الأصل. والشنج: التقبض والتقلص، والبزخ: تقاعس الظهر عن البطن، وقيل هو خروج الصد ودخول الظهر يريد أنهم مشوهو الأجسام غير أهل للرياسة.
(٦) الجرد: جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر. والشعث جمع أشعث وهو المغبر الرأس المتلبد الشعر. والمغاوير جمع مغوار وهو المقاتل الكثير الغارات.
(٧) الهجان: الكريم.
(٨) كذا في «حـ». وفي «سائر الأصول»: «كرم».
(٩) الشزب: جمع شازب، وهو الضامر اليابس، والقب: جمع أقب وهو من الخيل الدقيق الخصر الضامر البطن.
(١٠) الصور: جمع أصور وهو المائل وفي حـ، أ، م «ولا عور».

أخوه عبد يغوث ومقتله وما رثاه به:

وأمّا عبد يَغُوثَ بن الصِّمَّة وخبرُ مقتله فإنه كان ينزل بين أظْهُر بني الصَّادر فقتلوه. قال أبو عُبَيدَةَ في خبره: قتله مُجَمِّع بن مُزاحِم أخو شَجْنَةَ بنِ مُزاحِم وهو من بني يَرْبُوع بن غَيْظ بن مُرَّة . فقال دُرَيد بن الصِّمَّة:

أبْلِــغْ نُعَيْمــاً وأوْفَــى إن لَقِيتَهمــا ... إن لـم يكـن كـان فـي سَمْعَيْهمـا صَمَـمُ

فمــا أخــي بــأخــي سَــوْءٍ فيَنْقُصَــه ... إذا تَقــارَبَ بــأبــن الصَّــادِر القِسَــم

[١٠/١٧] / ولــن يَــزال شِهــابــاً يُستضــاء بــه ... يَهْدِي المَقَانبَ[١] مـا لـم تَهْلِكِ الصِّمَمُ[٢]

عــارِي الأشــاجِــع[٣] مَعْصــوبٌ بِلِمَّتِــه ... أمــرُ الــزَّعــامــة، فــي عِــرْنينِــه شَمَــم

خالد بن الصمة ومقتله:

قال أبو عُبَيدة: أمّا قوله «أو نَدِيمَي خالِد»، فإنه يعني خالدَ بن الصِّمَّة؛ فإن بني الحارث بن كعب غَزَتْ بني جُشَمَ بنِ معاوية، فخرجوا إليهم فقاتلوهم فقتلتْ بنو الحارث خالدَ بن الصِّمَّة، وإياه عَنَى. وقال غيرُ أبي عُبَيدةَ: خالد بن الحارث[٤] الذي عناه دُرَيدٌ هو عمُّه خالد بن الحارث أخو الصِّمَّة / بن الحارث قتلته أَحْمَسُ (بطنٌ من شَنُوءة)، وكان دُرَيد بن الصِّمَّة أغار عليهم في قومه فظفِر بهم وأستاق إبلَهم وأموالَهم وسبَى نساءَهم وملأ يديه وأيديَ أصحابه، ولم يُصَبْ أحدٌ ممّن كان معه إلاّ خالدَ بن الحارث عمَّه، رماه رجل منهم بسهم فقتله؛ فقال دُرَيد بن الصِّمَّة يَرْثيه: ٩/٩

يــا خــالــداً خــالــدَ الأيْســارِ والنّــادِي ... وخــالــدَ الــرِّيــح إذ هَبَّــتْ بصُــرَّادِ[٥]

وخــالــدَ القــولِ والفعــلِ المَعِيــش بــه ... وخــالــدَ الحــرب إذ عَضَّــتْ بــأَزْرَاد[٦]

وخــالــدَ الــرَّكْــبِ إذ جَــدّ السُّفــارُ بهــم ... وخــالــدَ الحــيّ لمّــا ضُــنَّ بــالــزاد

[١٠/١٨] / وقال أبو عُبَيدة: قال دُرَيد يَرْثِي أخاه خالداً:

أُمَيْــمَ أَجِــدِّي عــافِــيَ الــرُّزْءِ وأجْشَمِــي ... وشُــدِّي علــى رُزْءٍ ضلــوعَــك وابْــأَسِــي

حــرامٌ عليهــا أن تَــرَى فــي حيــاتهــا ... كمثــلِ أبــي جَعْــدٍ فعُــودِي أو اجلِسِــي

أعــفَّ وأجْــدَى نــائــلاً لعَشِيــرةٍ ... وأكــرمَ مخلــود[٧] لــدى كــلّ مجلِــس

وألْيَــنَ منــه صَفْحــةً لعَشِيــرةٍ ... وخيــراً أبــا ضيــفٍ وخيــراً لمجلِــس

---

(١) المقانب: جمع مقنب وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة.
(٢) الصمم: جمع صمة وهو الشجاع. ولعله عنى قومه.
(٣) الأشاجع: أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف، وقيل هي عروق ظاهر الكف واحدها أشجع. والعرنين: الأنف.
(٤) كذا في «الأصول». ولعله: «خالد الذي عناه دريد هو عمه خالد بن الحارث... إلخ».
(٥) الصراد: الغيم الرقيق لا ماء فيه.
(٦) كذا في أ، م، . والأزراد: جمع زرد وهي الدرع المزرودة؛ سميت بذلك للينها وتداخل بعضها في بعض. وفي «سائر الأصول»: «قصت بأوراد». والأوراد: جمع ورد، والورد من معانيه القطيع من الطير والجيش على التشبيه به.
(٧) كذا في الأصول.

تقول هلالٌ خارجٌ من غمامةٍ ... إذا جاء يَجْرِي في شَلِيلٍ[(١)] وقَوْنَسِ
يَشُدّ متونَ الأقربين بهاوه ... ويُخْبِث نفسَ الشانىء المُتَعبِّسِ
وليس بمِكْبابٍ[(٢)] إذا الليلُ جَنّه ... نؤومٍ إذا ما أَدْلَجُوا في المُعَرَّسِ
ولكنّه مِدْلاَجُ ليلٍ إذا سَرَى ... يُنِدُّ[(٣)] سُرَاه كلَّ هادٍ مُمَلَّسِ[(٤)]

هذه روايةُ أبي عُبَيدة.

يوم ثيل:

وأخبرني محمد بن الحَسَن بن دُرَيد عن عمِّه العبّاس بن هشام عن أبيه أن خالد بن الصِّمَّة قُتل في غارة أغارتْها بنو الحارث بن كَعْب على بني نَصْر بن معاوية في يومٍ يقال له يوم ثيل[(٥)]، فأصابوا ناساً من بني نصر. وبلغ الخبرُ بني جُشَمَ فلحِقوهم، ورئيس بني جُشَمَ يومئذٍ مالكُ بن حَزْن، فأستنقَذوا ما كان في أيديهم من غنائم بني نصر، فأصابوا ذا القَرْن الحارثيّ أسيراً وفقئوا عينَ شهاب بن أَبَان الحارثيّ بسهم،/ وقُتل يومئذٍ خالد بن [١٩/١٠] الصِّمَّة وكان مع مالك بن حَزْن، وأصابت بنو جشم منهم ناساً، وكان رئيسُ بني الحارث بن كعب يومئذٍ شِهابَ بن أَبَان، ولم يشهَد دُرَيد بن الصِّمَّة ذلك اليوم؛ فلما رجعوا قتلوا ذا القَرْن بخالد بن الصِّمَّة، ولما قُدِّم لتُضرَبَ عُنُقُه، صاح بأَوْس بن الصِّمَّة، وكان له صديقاً، ولم يكن أوس حاضراً، فلم ينفعه ذلك وقُتل. فلما قَدِم أَوْسٌ غضِب وقال: أقتلتم رجلاً أستجار بأسمي! فقال عَوْف بن معاوية في ذلك:

نُبِّئْتُ أَوْساً بَكَى ذا القَرْنِ إذ شربا ... على عُكَاظ بكاءَ غالَ مجهودي[(٦)]
إنِّي حلَفْتُ بما جمّعتُ من نَشَبٍ ... وما ذبَحتُ على أنصابِكَ السُّودِ
لتبكِيَنَّ قَتِيلاً منك مُقْترِباً ... إنّي رأيتُك تبكي للأباعيدِ

قصة زواجه بامرأة وجدها ثيباً:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا أبو غَسّانَ دَمَاذ عن أبي عُبَيدة، وأخبرني عبدالله بن مالك النحويّ الضّرير قال حدّثنا محمد بن حَبِيبَ عن أبن الأعرابيّ قال:

تزوّج دُرَيد بن الصِّمَّة أمرأة فوجده ثَيِّباً، وكانوا قالوا له إنها بكر، فقام عنها قبل أن يصل إليها، / وأخذ [١٠/٩] سيفَه فأقبل به إليها ليضر بها، فتلقَّتْه أمُّها لتدفعه عنها، فوقَف يدَيْها (أي حَزَّهما ولم يقطعهما)، فنظر إليها بعد ذلك وهي معصوبة فقال:

أَقَرَّ العينَ أن عَصَبَتْ يديها ... وما إن تُعْصَبانِ على خِضابِ

(١) الشليل: الغلالة تلبس تحت الدرع. والقونس: أعلى بيضة الحديد، وقيل مقدم البيضة.
(٢) المكباب: الكثير النظر إلى الأرض.
(٣) ينِدّ: يشرد، وينفر.
(٤) كذا في الأصول. والظاهر أنها محرفة عن «عملس» وهو القوي الشديد على السفر أو القوي على السير السريع، ومثله «العمرس».
(٥) لم نجد يوماً بهذا الاسم فيما راجعنا من مصادر. وفي ياقوت: «ثيتل بالفتح ثم السكون ماء قرب النباج كانت به وقعة مشهورة».
(٦) في «جـ»: «مجلودي».

فأبقاهنّ أن لهنّ جَدّاً ... ووافيةً كوافية الكلاب

قالوا: يريد أن الكلبَ يُصيبه الجُرْح فيَلْحَس نفسَه فيَبْرَأ.

[١٠/٢٠]/ **ما جرى بينه وبين عياض الثعلبي:**

قال أبو عُبَيدة وابن الأعرابيّ جميعاً في هذه الرواية: أَسَر دُرَيْدُ بن الصِّمَّة عِياضاً الثَّعْلَبيّ أحدَ بني ثَعْلبة بن سعد بن ذُبْيان فأنعم[١] عليه. ثم إن دُرَيداً أتاه بعد ذلك يَسْتثيبه. فقال له: إيتِ رَحْلَك حتى أبعثَ إليك بثوابك؛ فأنصرف دُرَيدٌ. فبعث إليه بوَطْبٍ[٢] نصفُه لبن ونصفُه بول. فغضب دريد ولم يلبث إلاّ قليلاً حتى أغار على بني ثَعْلبةَ، وأستاق إبلَ عِياض، وأَفْلَتَ عِياضٌ منه جريحاً؛ فقال دُرَيد في ذلك من قصيدة:

فإن تَنْجُ يَدْمَى عارضاكَ فإنّنا ... تركنا بنيكَ للضِّباعِ وللرُّخَمِ[٣]

جزَيتُ عِياضاً كُفْرَه وعُقُوقَه ... وأخرجتُه من المُدَفَّأة[٤] الدُّهْمِ

ألاَ هل أتاه ما رِكْبنا سَراتَهم ... وما قد عقَرْنا من صَفِيٍّ[٥] ومن قَرْمِ

هجا عبدالله بن جدعان ثم مدحه:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا دَمَاذ عن أبي عُبَيدة قال: هجا دُرَيد بن الصِّمَّة عبدَالله بن جُدْعانَ التَّيْميّ تَيْم قُرَيش فقال:

هل بالحوادث والأيام من عَجَبِ ... أم بابنِ جُدْعانَ عبدِالله من كَلَبِ

إسْتٌ حميتٌ[٦] وهيَ في عِكْمٍ رِبَتُه ... في يوم حرٍّ شديد الشرّ والهَرَبِ

إذا لقيتَ بني حَرْبٍ وإخوتَهم ... لا يأكلون عَطِينَ[٧] الجلدِ والأَهُبِ

لا يَنْكُلُون ولا تُشْوِي[٨] رماحُهمُ ... من الكُماةِ ذوي الأبدان والجُبَبِ[٩]

[١٠/٢١] / فأقْعُدْ بَطِيناً مع الأقوام ما قعدوا ... وإن غزوتَ فلا تُبْعِدْ من النَّصَبِ

فلو تَقِفُتُكَ[١٠] وَسْطَ القوم تَرْصُدُني ... إذاً تلبَّس منك العِرْضُ[١١] بالحَقَبِ

(١) أنعم عليه: أطلقه.

(٢) الوطب: سقاء للبن يتخذ من جلد.

(٣) الرخم: (بضم الراء وسكون الخاء): جمع رخمة (بفتح الراء والخاء). وهي طائر أبقع على شكل النسر خلقة إلا أنه مبقع بسواد وبياض يقال له الأنوق.

(٤) المدفأة: الإبل الكثيرة الأوبار والشحوم.

(٥) الصفي: الناقة الغزيرة اللبن. والقرم: الفحل.

(٦) الحميت: المتين. والعكم (بكسر العين وسكون الكاف): العدل يجعل فيه المتاع ويشد عليه بالعكام أي الحبل. ويلاحظ أن هذا الشطر غير واضح.

(٧) العطين: الجلد المدبوغ.

(٨) تشوي: تصيب الشوى ولا تقتل. والشوى: الأطراف.

(٩) الأبدان: جمع بدن وهو هنا الدرع القصيرة. والجبب: جمع جبة وهي هنا الدرع أيضاً.

(١٠) ثقفه: صادفه.

(١١) العرض هنا: الجسد، والحقب شيء تتخذه المرأة تعلق به معاليق الحلي تشده على وسطها. يريد إذا صادفتك وسط القوم لبست =

وما سمعتُ بصَقْرٍ ظَلّ يرصُده — من قبل هذا بجَنْبِ المَرْج[1] من خَرَب[2]

قال: فلقيه عبدالله بن جُدْعانُ بعُكاظ فحيّاه وقال له: هل تعرفني يا دُرَيد؟ قال لا. قال: فَلِمَ هجوتَني؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا عبدالله بن جُدْعان. قال: هجوتك لأنك كنتَ أمرأً كريماً، فأحببتُ أن أضع شعري موضعَه. فقال له عبدالله: لئن كنتَ هجوتَ لقد مدحتَ؛ وكساه وحمله على ناقة برَحْلِها. فقال دُرَيد يمدحه:

إليك آبنَ جُدعانَ أعملتُها — مخفَّفةً للسُّرَى والنَّصَبْ

فلا خَفْضَ حتّى تُلاقِي أمرأً — جَوادَ الرِّضا وحَلِيمَ الغَضَبْ

وجَلْداً إذا الحربُ مَرَّت به — يُعِينُ عليها بجَزْل الحَطَبْ

رَحَلْتُ البلادَ فما إن أرَى — شَبِيهَ آبنِ جُدعانَ وَسْطَ العَرَبْ

سِوى مَلِكٍ شامخٍ ملكُه — له البحرُ يَجْرِي وعينُ الذَّهَبْ

تغزل في الخنساء وخطبها فأمتنعت وتهاجيا:

/ أخبرنا أبو خَلِيفةَ عن محمد بن سَلاَّم موقوفاً عليه لم يتجاوزه إلى غيره، وحدّثني حَبِيبُ بن نَصْر المهلَّبيّ [11/9] وأحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة عن الأصمعيّ وأبي عُبَيدة، وأخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا أبو غَسّان دَماذ عن أبي عُبيدة، وأخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدثني عليُّ بن المُغِيرة عن أبي عُبَيدة، وأخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان/ قال حدّثني أبو بكر العامِريّ قال [10/22] حدّثني ابن نوبة[3] عن أبي عَمْرو الشَّيْبانيّ، وأخبرني عمّي قال حدّثنا ثَعْلَب عن آبن الأعرابيّ[4]، وقد جمعتُ أخبارَهم على اختلاف ألفاظهم في هذا الموضع، أن دُرَيد بن الصِّمَّة مرّ بالخَنْساء بنت عمرو بن الشَّرِيد، وهي تَهْنَأ بعيراً لها وقد تبذَّلت حتى فرغت منه، ثم نَضَتْ عنها ثيابَها فأغتسلتْ ودُرَيد بن الصِّمَّة يراها وهي لا تشعر به فأعجبتْه؛ فأنصرف إلى رَحْله وأنشأ يقول:

حَيُّوا تُماضِرَ وآربَعوا صَحْبي — وقِفُوا فإن وقوفَكم حَسْبي

أخُنَاسُ قد هامَ الفؤادُ بكم — وأصابَه تَبْلٌ من الحُبِّ

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ به — كاليومِ طالِيَ أيْنُقٍ جُرْبِ

متبذِّلاً تبدو محاسنُه — يضعُ الهِنَاءَ مواضعَ النُّقْب[5]

متحسِّراً نَضَحَ الهِنَاءُ به — نَضْحَ العَبِيرِ بِرَيْطَةِ العَصْبِ[6]

= لبسة النساء واستخفيت.

(١) كذا في «الأصول». ولعله «المرخ» وهو شجر سريع الورى يقتدح به.

(٢) الخرب: ذكر الحباري، وقيل الحباري كلها.

(٣) الذي في جـ، أ: «... وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أبو نوبة... إلخ».

(٤) في أ، م هنا زيادة، هي: «وأخبرني محمد بن خلف قال حدثني أبو بكر العامري عن ابن الأعرابي».

(٥) الهناء: القطران. والنقب (بضم النون وتسكين القاف أو فتحها): القطع المتفرقة من الجرب. والواحدة نقبة، وقيل هي أول ما يبدو من الجرب.

(٦) في ب، س: «العطب». والعطب (بالضم وبضمتين) القطن.

فَسَلِيهِــمُ عنّــي خُنــاسُ إذا عَــضَّ الجميــعَ الخَطْــبُ مــا خَطْبــي

ـ قالوا: وتُمَاضِرُ اسمُها. والخنساءُ لقبٌ غلَب عليها ـ فلما أصبح غداً على أبيها[1] فخطبها إليه. فقال له أبوها: مرحباً بك أبا قُرَّة! إنك لَلْكريمُ لا يُطْعَن في حَسَبه، والسيِّد لا يُرَدُّ عن حاجته، والفحل لا يُقْرَع أنفُه. ـ وقال أبو عبيدة خاصّة مكانَ «لا يُطعن في حسبه» «لا يطعن في عيبه»[2] ـ ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها، [٢٣/١٠] وأنا ذاكرك لها/ وهي فاعلةٌ. ثم دخل إليها وقال لها: يا خَنْساء، أتاك فارسُ هوازنَ وسيِّدُ بني جُشَمَ دُرَيد بن الصِّمّة يخطُبك وهو مَنْ تعلمين، ودُرَيد يسمع قولَهما. فقالت: يا أبتِ، أتُراني تاركة بني عمّي مثلَ عَوَالِي الرِّماح وناكحةَ شيخَ بني جُشَم هامَةً[3] اليوم أو غَدٍ! . فخرج إليه أبوها فقال: يا أبا قُرَّة قد امتنعتْ، ولعلّها أن تُجيب فيما بعد. فقال: قد سمعتُ قولَكما، وانصرف. هذه رواية مَنْ ذكرتُ. وقال ابن الكلبيّ: قالت لأبيها: أَنْظِرْني حتى أُشاوِرَ نفسي، ثم بعثتْ خلفَ دريد وليدةً فقالت لها: انظري دُرَيداً إذا بال، فإن وجدتِ بولَه قد خَرق الأرضَ ففيه بقيّة، وإن وجدته قد ساح على وجهها فلا فضلَ فيه. فأتبعتْه وليدتُها ثم عادت إليها فقالت: وجدتُ بولَه قد ساح على وجه الأرض، فأمسكتْ. وعاود دُرَيد أباها فعاودها فقالت له هذه المقالَة المذكورَة؛ ثم أنشأتْ تقول:

أتخطُبنــي، هُبِلْــتَ، علــى دُرَيــدٍ وقــد أطْــرَدْتُ[4] سَيِّــدَ آلِ بَــدْرِ!

مَعَــاذَ اللهِ يَنْكِحُنــي حَبَــرْكَــى[5] يقــال أبــوه مــن جُشَــمَ بــنِ بكــر

/ ولــو أمسيــتُ فــي جُشَــمٍ هَــدِيّــاً[6] لقــد أمسيــتُ فــي دَنَــسٍ وفَقْــر

(١٢/٩)

فغضب دُرَيد من قولها وقال يهجوها:

وقــاكِ اللهُ يــا بْنَــةَ آلِ عَمْــرٍو مــن الفِتْيــانِ أمثــالــي ونَفْسِــي

فــلا تَلِــدِي ولا يَنْكِحْــكِ مثلــي إذا مــا ليلــةٌ طَــرَقَــتْ بنَحْــس

[٢٤/١٠] / لقــد علِــم المَــراضِــعُ فــي جُمــادَى إذا اسْتَعْجَلْــنَ عــن حَــزٍّ[7] بنَهْــس

بــأنّــي لا أَبِيــتُ بغيــر لحــم وأَبْــدَأُ بــالأرامــل حيــن أُمْسِــي

وأنّــي لا يَنَــالُ الحَــيُّ ضَيْفِــي[8] ولا جــارِي يَبِيــتُ خبيــثَ نفــس

إذا عُقَــبُ القُــدورِ تَكُــنَّ مــالاً[9] تَحُــثُّ حــلائــلَ الأبْــرام عِــرْسِــي

---

(١) في «الأمالي» ج ٢ ص ١٦١ طبع دار الكتب المصرية أنه خطبها إلى أخيها معاوية.

(٢) كذا في الأصول. ولعلها: «في غيبة» بالغين المعجمة.

(٣) يقال: فلان هامة اليوم أو غد؛ إذا شاخ وأشرف على الموت.

(٤) أطردت: أمرت بطرده.

(٥) الحبركى: الغليظ الطويل الظهر القصير الرجلين، والأنثى منه حبركاة. وقد ورد هذا البيت في «اللسان» هكذا:

ولســت بمــرضــع ثــديــي حبــركــي قصيــر الشبــر مــن جشــم بــن بكــر

(٦) الهدي: العروس.

(٧) الحز: القطع. والنهس: تعرّق ما على العظم وانتزاعه بمقدم الأسنان.

(٨) رواية «الأمالي»:

* وأني لا يهر الضيف كلبي *

أي لا ينبح في وجهه لأنسه به.

(٩) كذا في «حـ». وفي «سائر الأصول»: «تكن بلاى» وهو تحريف. ورواية هذا الشطر في «الأمالي» و «اللسان» (في مادة برم): «إذا =

وأصفَرَ من قِداح النَّبْعِ صُلْبٍ ... خفيِّ الوَسْمِ في ضَرْسٍ[١] ولَمْسِ

دَفَعْتُ إلى المُفيضِ[٢] إذا استقلُّوا ... على الرُّكُباتِ[٣] مَطْلَعَ كلِّ شَمْسِ

فإن أَكْدَى[٤] فتامِكَةٌ تُوَدَّى[٥] ... وإن أَرْبَى فإنِّي غيرُ نِكْسِ

وتزعُم أنني شيخٌ كبيرٌ ... وهل خبَّرتُها أني ابنُ أمسِ

/ تريد شَرَنْبَثَ[٦] القدمين شَثْناً ... يُبادِر بالجَدائِر كلَّ كِرْسِ [١٠/٢٥]

وما قَصُرتْ يدي عن عُظْمِ أمرٍ ... أُهَمُّ به ولا سَهْمِي بِنِكْسِ

وما أنا بالمُزَجَّى[٧] حين يسمو ... عظيمٌ في الأمور ولا بوَهْسِ

قال: فقيل للخَنْساء: ألاَ تُجيبينَه؟ فقالت: لا أَجْمَعَ عليه أن أرُدَّه وأَهْجُوَه.

آخر أيامه وشعره بعد أن أسن وضعف جسمه:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا دَمَاذ عن أبي عُبَيدة قال: لما أَسَنَّ دُرَيد جعل له قومه بيتاً مفرداً عن البيوت، ووكّلوا به أَمَةً تخدُمه، فكانت إذا أرادت أن تُبْعِدَ في حاجة قَيَّدَتْه بقيد الفرس. فدخل إليه رجل من قومه فقال له: كيف أنت يا دُرَيد؟ فأنشأ يقول:

أصبحتُ أقذف أهدافَ المنون[٨] كما ... يَرْمي الدَّرِيئةَ[٩] أَدْنَى فُوقَةِ[١٠] الوَتَرِ

= عقب القدور عددن مالاً». وعقبه القدر: ما التزق بأسفلها من تابل وغيره. وتحت: تعجل، يقال حته دراهمه إذا عجل له النقد. وقد وردت هذه الكلمة في الأصول «تحب» والتصويب عن «اللسان». يريد أنه إذا اشتد القحط وعدّت عقب القدور مالاً عجلت زوجته العطاء لزوجات الأبرام. والأبرام: اللئام، الواحد: برم، وهو في «الأصل» الذي لا يدخل مع القوم في الميسر.

(١) ضرس السهم: عجمه.

(٢) المفيض: الضارب بالقداح.

(٣) في الأصول: «الركبان» والتصويب عن «الأمالي»؛ ويروى فيه:

دفعت إلى النجيّ وقد تجاثوا ... على الركبات مطلع كل شمس

قال أبو علي قال لنا أبو بكر قال أبو حاتم عن الأصمعي: هذا غلط، إنما هو مغرب كل شمس، لأن الأيسار إنما يتياسرون بالعشيات.

(٤) أكدى: أخفق ولم يصب.

(٥) كذلك في الأصول. ويلاحظ أنه لم يرد في «كتب اللغة» إلا التامك بدون هاء التأنيث. والتامك: الناقة العظيمة السنام أو السنام نفسه. والنكس: الرجل الضعيف لا خير فيه.

(٦) الشرنبث: الغليظ. والشثن: الغليظ أيضاً. والكرس: ما تكرس أي صار بعضه فوق بعض. والجدائر: جمع جديرة وهي الحظيرة. وقد رواه أبو علي في «الأمالي»:

تريد أفحج الرجلين شثنا ... يقلع بالجديرة كل كرس

وقال: ويروى:

تريد شرنبث الكفين شثنا ... يقلع بالجدائر كل كرس

(٧) المزجي من القوم: المزلج وهو الملصق بالقوم وليس منهم، والرجل الناقص المروءة، والدون من كل شيء، والبخيل. والوهس: الذليل الموطوء.

(٨) في أ، م: «السنين». وفي حـ: «المثين».

(٩) الدريئة: حلقة يتعلم عليها الرامي الرمي؛ قال عمرو بن معد يكرب:

ظللت كأني للرماح دريئة ... أقاتل عن أبناء جرم وفرّت

(١٠) في «اللسان»: «الفوق: مشق رأس السهم حيث يقع الوتر. وحرفاه: زنمتاه. وهذيل تسمي الزنمتين الفوقتين.

في مَنْصَفٍ[1] من مَدَى تسعين من مائة ... كَرَمْيَة الكاعبِ العَذْراء بالحجر

في منزلٍ نازحٍ م الحيِّ مُنْتَبِذٍ ... كمَرْبَطِ العَيْرِ لا أدعى إلى خبر

[١٠/٢٦] / كأنّني خَرَبٌ[2] قُصَّتْ قوادمُه ... أو جُثَّةٌ من بُغَاثٍ في يَدَيْ خَصِر[3]

يُمْضُون أمرَهُم دوني وما فقدوا ... مِنّي عزيمةَ أمرٍ ما خلا كِبَري

ونومةً لستُ أقضيها وإن مَتُعَتْ[4] ... وما مضى قبلُ من شأوي ومن عُمُري

وأنني رابِئ قيدٌ حُبِسْتُ به ... وقد أكون وما يُمْشَى على أثَري

إن السِّنِين إذا قَرَّبْنَ من مائة ... لَوَيْنَ مِرَّةً[5] أحوالٍ على مِرَرِ

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا دَمَاذ عن أبي عُبيدة قال: قالت امرأة دريد له: قد أَسْنَنْتَ وضعُف جسمك وقُتل أهلك وفَنِيَ شبابك، ولا مال لك ولا عُدّة، فعلى أيّ شيء تعوّل إن طال بك العمر أو على أيّ شيء تُخَلِّف أهلك إن قُتِلتَ؟ فقال دُرَيد:

١٣/٩

/ صوت

أعاذلُ إنما أَفْنَى شبابي ... ركوبي في الصَّرِيخ إلى المُنادِي

مع الفِتْيان حتى كَلَّ جسمي ... وأقْرَحَ عاتِقي حَمْلُ النِّجاد

أعاذلُ إنه مالٌ طَرِيفٌ ... أحَبُّ إليَّ من مالٍ تِلاد

أعاذل عُدَّتِي بَدَني[6] وَرُمْحي ... وكلُّ مقلَّص شَكِس القِياد

ويَبْقى بعد حِلْم القوم حِلْمي ... ويَفْنَى قبلَ زاد القوم زادي

هذا الشعر رواه أبو عُبَيدة لدُرَيد، وغيرُه يرويه لعمرو بن معد يكرب، وقول أبي عُبَيدة أصحّ. لابن[7] [١٠/٢٧] محرز في هذه الأبيات ثاني ثقيلٍ بالخِنْصر في مجرى البِنصر/ عن إسحاقَ. وذكر عمرو بن بانة أن لابن سُرَيْج فيها ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر. وخلَط المغنّون بهذا الشعر قول عمرو بن معد يكرب في هذين اللحنين:

أريد حياتَه[8] ويريد قتلي ... عَذِيرَكَ من خليلك من مُرَاد

ولو لاقيتني ومعي سلاحي ... تكشَّف شَحْمُ قلبِك عن سواد

---

(١) منصف الشيء: وسطه.

(٢) الخرب: ذكر الحباري.

(٣) كذا في الأصول. ولعلها «هصر». ويقال ليث هصور وهصر (ككتف) وهصر (كصرد).

(٤) متعت: طابت.

(٥) المرة: طاقة الحبل.

(٦) البدن هنا: الدرع. وفرس مقلص (بكسر اللام): طويل القوائم منضم البطن.

(٧) في الأصول هنا. «ولابن محرز... إلخ».

(٨) في ب، س: «حياءه».

قتلت بنو يربوع الصمة أباه فغزاهم:

وقال أبو عُبَيدةَ فيما رويناه عن دَمَاذ عنه: قتلتْ بنو يَرْبُوع الصِّمَّةَ أبا دُرَيد غَدْراً، وأسروا ابن عمٍّ له؛ فغزاهم دُرَيد ببني نصر فأوقع ببني يَرْبُوع وبني سعدٍ جميعاً، فقتَل فيهم. وكان فيمن قُتل عمّار بن كَعْب؛ وقال فيهم:

دعـوتُ الحَـيَّ نصـراً فـاستهلُّـوا ... بشُبَّـانٍ ذوي كَـرَمٍ وشِيـبِ
علـى جُـرْدٍ كـأمثـال السَّعَـالِـي ... ورَجْـلٍ مثـلِ أهميـةِ[1] الكَثِيـبِ
فمـا جَبُنـوا ولكنّـا نَصَبْنـا ... صـدورَ الشَّـرْعَبِيّـةِ[2] للقلـوبِ
فكـم غـادَرْنَ مـن كـابٍ صَـرِيـعٍ ... يَمُـجُّ نَجِيـعَ جـائفـةٍ[3] ذَنُـوبِ
وتلكـم عـادةٌ لِبَنِـي رِبـابٍ ... إذا مـا كـان مـوتٌ مـن قـريـبِ
فـأجلَـوْا والسَّـوامُ لنـا مُبَـاحٌ ... وكـلُّ كـريمـةٍ خَـوْ عَـرُوبِ
وقـد تُـرك ابـنُ كَعْـب فـي مَكَـرٍّ ... حَبِيسـاً بيـن ضِبْعـانٍ وذيـبِ

كان أبوه شاعراً:

قال أبو عبيدة: وكان الصِّمة أبو دريد شاعراً، وهو الذي يقول في حرب الفِجَار التي كانت بينهم وبين قُرَيش:

/ لاقـت قُـرَيـشٌ غـداةَ العَقِيـقِ ... أمـراً لهـا وجـدْتُـهُ وَبِيـلاَ [١٠/٢٨]
وجئنـا إليهـم كمـوج الأتِـيِّ[4] ... يعلـو النِّجـادَ ويَمـلا المَسِيـلا
وأعـددتُ للحـرب خَيْفـانـةً[5] ... ورمحـاً طـويـلاً وسيفـاً صقيـلا
ومُحْكَمَـةً مـن دروع القُيُـو ... نِ تسمـع للسيـف فيهـا صليـلا

وكان أخوه مالك شاعراً:

قال: وكان أخوه مالك بن الصِّمَّة شاعراً؛ وهو القائل يَرْثي أخاه خالداً:

أبَنـي غَـزِيَّـةَ إنّ شِلْـواً[6] مـاجِـداً ... وَسْـطَ البيـوتِ السُّـودِ مَـدْفَـعَ كَـرْكَـرِ[7]
لا تَسْقِنـي بيـديـكَ إن لـم ألتمـسْ ... بـالخيـلِ بيـن هبـولـةٍ[8] فـالقَـرْقَـرِ

(١) كذا في أكثر الأصول. وفي م، حـ: «أمهية» ولا معنى لهما. فلعل الصواب «أهيلة» جمع هيال وهو ما انهال من الرمال.
(٢) الشرعبية: الطويلة، يريد الرماح.
(٣) الجائفة: الطعنة التي تنفذ إلى الجوف. وذنوب: طويلة الشر والأذى؛ ومثله قولهم: يوم ذنوب إذا كان طويل الشر لا ينقضي.
(٤) الأتي: السيل لا يدري من أين أتى.
(٥) الخيفانة: الفرس.
(٦) الشلو (بالكسر) هنا: الجسد.
(٧) كركر: علم على عدة مواضع.
(٨) هبولة والقرقر: موضعان.

تحالف مع معاوية بن عمرو بن الشريد ورثاه:

١٤/٩ / أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غَسّانَ دَماذ عن أبي عُبَيدة قال: تحالف دُرَيد بن الصِّمَّة ومعاويةُ بن عمرو بن الشَّرِيد وتواثقا إن هلَك أحدهما أن يَرْثِيَه الباقي بعده، وإن قُتل أن يطلب بثأره. فقُتل معاوية بن عمرو بن الشَّرِيد، قتله هاشم بن حَرْمَلةَ بن الأَشْعَر المُرّيّ. فرثاه دُرَيد بقصيدته التي أولها:

ألاَ هَبَّتْ تَلُوم بغير قَدْرِ ... وقد أحفظِتِني ودخلتِ سِتْري

وإلاّ تَتْرُكِي لَومِي سَفَاهاً ... تَلُمْكِ عليه نفسُك غيرَ عَصْر

وفيها يقول:

فإنّ الرُّزْءَ يوم وقفتُ أدعو ... فلم أسمع معاويةَ بن عمرو

ولو أسمعتَه لأتاكَ يسعَى ... حَثِيثَ السَّعْيِ أو لأتاكَ يجري

بِشِكَّة[١] حازمٍ لا غَمْزَ فيه ... إذا لِبس الكُماةُ جلودَ نِمْرِ[٢]

[٢٩/١٠] / عرفتُ مكانَه فعطَفتُ زَوْراً[٣] ... وأين مكانُ زَوْرٍ يا أَبنَ بكر

على إِرَمٍ[٤] وأحجارٍ ثِقالٍ ... وأغصانٍ من السَلَماتِ سُمْر

وبُنْيانُ القبورِ أتَى عليها ... طَوَالُ الدهرِ شهراً بعد شهر

حديث عارض الجشمي عنه وقد خرف:

أخبرني عبدالله بن مالك النحويّ قال حدّثنا محمد بن حَبِيبَ عن أبن الأعرابيّ قال:

وقف عارضٌ الجُشَمِيّ على دُرَيد وقد خَرِف وهو عُرْيانٌ وهو يكوِّم كُوَمَ بَطْحاءَ[٥] بين رجليه يلعب بذلك؛ فجعل عارضٌ يتعجّب مما صار إليه دُرَيد. فرفع رأسَه دُرَيد إليه وقال:

كأنّني رأسُ حَضَنْ[٦] ... في يوم غَيْمٍ ودُجَنْ[٧]

يا ليتني عهدَ زَمَنْ ... أنفُضُ رَأسي وذَقَنْ

كأنّني فَحْلُ حُصُنْ ... أُرسِلَ في حَبْلٍ عُنُنْ

أُرْسِلَ كالظَّبْيِ الأرِنْ[٨] ... ألصَقَ أُذْناً بأُذُنْ

قال: ثم سقَط؛ فقال له عارضٌ: إِنهض دُرَيدُ! فقال:

(١) الشكة: السلاح.
(٢) يقال: لبس فلان لفلان جلد النمر إذا تنكر له. وكانت ملوك العرب إذا جلست لقتل إنسان لبست جلود النمر ثم أمرت بقتل من تريد قتله.
(٣) الزور في اللغة: الجمل القوي، ولعله هنا اسم جملة.
(٤) الإرم: حجارة تنصب علماً في المفازة.
(٥) البطحاء هنا: الحصى الصغار.
(٦) حضن: سم جبل.
(٧) الدجن: جمع دجنة وهي الظلمة.
(٨) الأرن: النشيط.

لا نَهْــضَ فــي مثــل زمــانــي الأوّلِ ... مُحنَّــبَ الســاقِ شــديــدَ[(١)] الأعْصَــلِ

ضخـمَ الكَـرَادِيـس[(٢)] خَمِيـصَ الأشْكُـلِ[(٣)] ... ذي[(٤)] حَنْجَـرٍ رحـبٍ وصُلْـبٍ أعـدل

/ خرج في حرب حنين وهو شيخ ونصح مالك بن عوف فخالفه: [١٠/٣٠]

حدّثنا محمد بن جَرير الطَّبَري قال حدّثنا محمد بن حُمَيْد قال حدثنا سَلَمَةُ بن الفَضْل عن محمد بن إسحاق عن الزُّهْريّ عن عُبَيدالله بن عبدالله قال:

لمّا فتح رسول الله ﷺ مكةَ أقام بها خمسَ عشرةَ ليلةً يَقْصُر[(٥)]، وكان فتحُها في عشر ليالٍ بَقِينَ من شهر رمضان. قال ابن إسحاق: وحدّثني عمرو بن شُعَيْب عن أبيه عن جدّه قال: لمّا سمعتْ به هَوازِنُ جَمَعها مالك بن عَوْف النَّصْريّ، فاجتمعتْ إليه ثَقِيف مع هوازنَ، ولم يجتمع إليه من قَيْس إلاّ هوازنُ وناسٌ قليلٌ من بني هِلال، وغابت عنها كَعْبٌ وكِلاب، فجمعت نَصْرٌ وجُشَمُ وسَعْدٌ وبنو بكر وثَقِيف واحتشدت، وفي بني جُشَمَ دُرَيدُ بن الصِّمَّة شيخٌ كبيرٌ فانٍ ليس فيه شيء إلا التيمُّنَ برأيه ومعرفته بالحرب، وكان شيخاً مجرِّباً، وفي ثَقِيف في الأحلاف قارِبُ بن الأسود بن مسعود، وفي بني مالك ذو الخِمار سُبَيْع / بن الحارث، وجِمَاعُ أمرِ الناس إلى ١٥/٩ مالك بن عوف. فلمّا أجمع مالكٌ المسيرَ حَطَّ مع الناس أموالَهم وأبناءهم ونساءهم. فلمّا نزلوا بأَوْطاس[(٦)] اجتمع إليه الناسُ وفيهم دُرَيد بن الصِّمَّة في شِجارٍ[(٧)] له يُقاد به. فقال لهم دريد: بأيِّ وادٍ أنتم؟ قالوا: بأوطاس. قال: نِعم مجالُ الخيل، ليس بالحَزْن الضَّرِس[(٨)] ولا السَّهْل الدَّهِس[(٩)]. مالي أسمع رُغاءَ الإبلِ ونَهيقَ الحمير وبكاءَ الصغير وثُغاءَ الشاء؟! قالوا: ساق مالكُ بن عَوْف مع الناس أبناءَهم ونساءَهم وأموالَهم. فقال: أين مالكٌ؟ فدُعِي له به. فقال له: يا مالك، إنك قد أصبحتَ رئيسَ قومك، وإنّ هذا اليوم كائن له ما بعدَه من الأيام!. مالي أسمع رُغاء البعير ونَهيقَ الحمير وبكاء الصِّبيان وثُغاءَ الشاء؟! قال: سُقْتُ مع الناس نساءَهم وأبناءَهم وأموالهم. قال:/ ولِمَ؟ قال: أردتُ أن أجعل مع كلّ رجل أهلَه ومالَه ليقاتل عنهم. قال: فانقضَّ به [١٠/٣١] ووبخّه ولامه، ثم قال: راعِي ضأنٍ والله (أي أحمق)! وهل يَرُدُّ المنهزمَ شيء! إنها إن كانت لك لم يَنْفعك إلاّ رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحتَ في أهلك ومالك. ثم قال: ما فعلتْ كَعْبٌ وكِلاب؟ قال: لم يَشْهَدْها أحدٌ منهم. قال: غاب الحَدّ والجِدّ! لو كان يومَ عَلاءٍ ورفعة لم تَغِبْ عنه كَعْبٌ وكِلاب! ولَوَدِدْتُ أنكم

(١) التحنيب: احديداب في وظيفي يدي الفرس، وهو مما يوصف صاحبه بالشدّة. والأعصل: المعوج الصلب من كل شيء، ومنه ناب أعصل أي معوج شديد؛ قال أوس بن حجر:

* رأيت لها ناباً من الشر أعصلاً *

وفي الأصول: «أعضل» بالضاد وهو تصحيف.

(٢) الكراديس: جمع كردوس وهو كل عظم تام ضخم.

(٣) ليس في «كتب اللغة» إلا الشاكلة بمعنى الخاصرة وهي المرادة في هذا الشعر.

(٤) كذا في «جميع الأصول»: المراد به ليس واضحاً.

(٥) قصر الصلاة: أن يترك من ذوات الأربع ركعتين ويصلي ركعتين.

(٦) أوطاس: واد بديار هوازن.

(٧) الشجار: مركب أصغر من الهودج.

(٨) الضرس: الصعب.

(٩) الدهس: اللين السهل.

فعلتم مثلَ ما فعلوا. فمَنْ شَهِدها منهم؟ قالوا: بنو عمرو بن عامر وبنو عوف بن عامر. قال: ذانِك الجَذَعانِ[١] من عامرٍ لا ينفعان ولا يَضُرّان. ثم قال: يا مالك إنك لم تَصْنَع بتقديم البَيْضة[٢] بَيْضةِ هَوازنَ إلى نُحور الخيل شيئاً. اِرْفعهم إلى أعلى[٣] بلادهم وعَلْياءِ قومهم ثم الْقَ القومَ بالرجال على مُتونِ الخيل، فإن كانت لك لَحِق بك مَنْ وراءَك، وإن كانت عليك كنتَ قد أحرزتَ أهلَك ومالَك ولم تُفْضَح في حَريمك. قال: لا والله ما أفعل ذلك أبداً! إنك قد خَرِفتَ وخَرِفَ رأيُك وعلمُك. والله لَتُطيعُنّني يا معشر هوازن أو لأتّكِئنّ على هذا السيف حتى يخرج من وراء ظهري ـ فنفِس على دريد أن يكونَ له في ذلك اليوم ذكرٌ ورأيٌ ـ فقالوا له: أطَعْناكَ وخالفنا دُرَيداً. فقال دريد: هذا يوم لم أشْهَدْه ولم أغِب عنه. ثم قال:

يـــا لَيْتَنــي فيهـــا جَـــذَعْ أَخُـــبُّ فيهــا وأَضَـــعْ

أَقُـــود وَطْفـــاءَ الـــزَّمَـــعْ كـــأنّهـــا شـــاةٌ صَـــدَعْ

قال: فلما لَقِيهم رسول الله ﷺ انهزم المشركون فأتَوا الطائفَ ومعهم مالك بن عوف، وعَسْكَر بعضُهم بأوْطَاس وتوجَّه بعضُهم نحوَ نَخْلةَ[٤]، وتبعتْ خيلُ / رسول الله ﷺ مَنْ سَلَك نخلةَ، فأدرك رَبيعةُ بن رُفَيْع السُّلَمِيّ أحدُ بني يَرْبُوع بن سَمّال[٥] بن عَوْف دُرَيدَ بن الصِّمَّة فأخذ بِخطام جمله وهو يظن أنه[٦] امرأة، وذلك أنه كان في شِجارٍ له، فأناخ به فإذا هو برجلٍ شيخ كبير ولم يعرفه الغلامُ. فقال له دريد: ماذا تريد؟ قال: أقتُلك. قال: ومن أنتَ؟ قال: أنا رَبيعة بن رُفَيْع السُّلَمي. فأنشأ دُرَيد يقول:

وَيْــحَ ابْــن أكْمَــةَ[٧] مــاذا يُــريــد مِــنَ المُــرْعَــشِ الــذّاهــب الأَدْرَدِ

فــأُقْســمُ لــو أنّ بــي قــوّةً لــوَلّــت فــرائصُــه تُــرْعَــدُ

ويـــا لَهْــفَ نفســـيَ ألّا تكـــونَ معـــي قـــوّةُ الشـــارخِ[٨] الأمْـــرَدِ

/ ثم ضربه السُّلَمِيُّ بسيفه فلم يُغْنِ شيئاً. فقال له: بئس ما سلّحتْك أمُّكَ! خذ سيفي هذا من مؤخَّر رحلي في القِرابِ فاضْرِبْ به وارْفَع عن العظام واخْفِضْ عن الدِّماغ، فإنّي كذلك كنتُ أفعل بالرجال، ثم إذا أتيتَ أمَّك فأخْبِرْها أنك قتلتَ دُرَيدَ بن الصِّمَّة، فرُبَّ يوم قد منَعتُ فيه نساءَك!. فزعمتْ بنو سُلَيْم أن رَبيعةَ قال: لمّا ضربتُه بالسيف سقَط فانكشف، فإذا عِجانُه[٩] وبطن فَخِذَيْه مثلُ القراطيس من ركوب الخيل أعْراءً[١٠]. فلمّا رجع رَبيعةُ

(١) الجذع: الشاب الحدث.
(٢) بيضة القوم: أصلهم ومجتمعهم.
(٣) في السيرة: «متمنع بلادهم».
(٤) نخلة: المراد هنا نخلة اليمانية، وهي واد يصب فيه يدعان (اسم واد) وبه مسجد لرسول الله ﷺ، وبه عسكرت هوازن يوم حنين («معجم البلدان» لياقوت).
(٥) في الأصول: «سماك» والتصويب من «السيرة لابن هشام» و «القاموس».
(٦) كذا في السيرة. وفي الأصول: «أنها».
(٧) كذا في الأصول. وفي «مختصر الأغاني»: «تكمة». وقد جاء في «سيرة ابن هشام» (ج ٢ ص ٨٥٢) أن ربيعة بن رفيع هذا يقال له ابن الدغنة وهي أمه فغلبت على اسمه، ويقال: ابن لذعة.
(٨) كذا في «مختصر الأغاني». وفي سائر الأصول: «الشامخ» والشارخ: الشاب.
(٩) العجان: الدبر، وقيل هو ما بين الدبر والقبل.
(١٠) فرس عري: غير مسرج، وصف بالمصدر، ثم جعل اسما فجمع فقيل خيل أعراء. ولا يقال فرس عريان كما لا يقال رجل عري.

إلى أمّه أخبرها بقتله إياه؛ فقالت له: لقد أعْتَق قتيلُك ثلاثاً من أمهاتك. وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجّه قِبَلَ أَوْطَاس أبا عامر الأشعريّ ابن عَمّ أبي موسى الأشعريّ، فهزَمهم/ الله جلّ وعزّ وفتح عليه. فيزعُمون أنّ [١٠/٣٣] سَلَمَةَ بن دُرَيد بن الصِّمَّة رماه بسهم فأصاب رُكْبَته فقتله (يعني أبا عامر).

فقالت عَمْرةُ بنتُ دُرَيد ترثيه:

جَــزَى عنّــا الإلــهُ بنــي سُلَيْــمٍ ... وأَعْقبهــم بمــا فعلــوا عَقَــاقِ[1]

وأَسْقَــانــا إذا سِــرْنــا إليهــم ... دمــاءَ خِيــارِهــم يــومَ التَّــلاقــي

فــرُبَّ مُنَــوِّهٍ بــك مــن سُلَيْــمٍ ... أُجيــبَ وقــد دعــاك بــلا رِمَــاقِ[2]

ورُبَّ كــريمــةٍ أعتقــتَ منهــم ... وأُخــرى قــد فكَكْــتَ مــن الــوَثَــاقِ

وقالت عَمْرةُ ترثيه أيضاً:

قــالــوا قتلنــا دُرَيْــداً قلــتُ قــد صــدَقــوا ... وظَــلّ دمعــي علــى الخــدَّيــن يَنْــدرُ[3]

لــولا الــذي قهَــر الأقــوامَ كلَّهــمُ ... رأت سُلَيْــمٌ وكَعْــبٌ كيــف تــأتَمِــرُ

إذاً لصبَّحهــم غِبّــاً وظــاهِــرةً[4] ... حيــث أستقــرّ نــواهــم جَحْفَــلٌ ذَفِــرُ[5]

استحثه قومه على الأخذ بثأر أخيه خالد من بني الحارث فقال شعراً وأجابه عبدالله بن عبد المدان:

ونسختُ من كتاب مترجَم بأنه نُسخ من نسخة عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ يأثُره عن أبيه قال قال محمد بن السّائب الكَلْبيّ:

كان دُرَيْد بن الصِّمَّة يوماً يشرب مع نَفَرٍ من قومه، فقالوا له: يا أبا ذُفَافَةَ ـ وكان يُكنى بأبي ذُفَافَةَ وبأبي قُرّة ـ أينجو بنو الحارث بن كَعْبٍ منك وقد قَتلوا/ أخاك خالداً؟ فقال لهم: إنّ القوم جَمْرةٌ[6] مَذْحِج، وهم [١٠/٣٤] أكفاءُ جُشَمَ، ولا يَجْمُل بي هجاؤهم. فأحفظوه بكثرة القول وأغضبوه، فقال:

يــا بنــي الحــارِث أنتــم مَعْشَــرٌ ... زَنْــدُكــم وارٍ وفــي الحــرب بُهَــمْ[7]

(١) في «لسان العرب» و «السيرة لابن هشام»: «وعقتهم» بدل «وأعقبهم». وعقاق (بالبناء على الكسر): العقوق.

(٢) الرماق من العيش: البلغة والقليل يمسك الرمق.

(٣) في أ، م: «ينحدر». وفي «سيرة ابن هشام» «فظل دمعي على السربال ينحدر».

(٤) كذا في «السيرة» لابن هشام. وقد جاء في «لسان العرب» (في مادة «غبب»): «ومن كلامهم لأضربنك غب الحمار وظاهرة الفرس؛ فغب الحمار أن يرعى يوماً ويشرب يوماً، وظاهرة الفرس أن يشرب كل يوم نصف النهار». وفي الأصول: «عنا وظاهرهم» وهو تحريف.

(٥) كذا في «السيرة». والذفر: المتغير الرائحة؛ يقال: كتيبة ذفراً. أي إنها سهكة من الحديد وصدئه. وفي الأصول «زفر» بالزاي وهو تحريف.

(٦) يقال: بنو فلان جمرة، إذا كانوا أهل منعة وشدّة. والجمرة: كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحالفون أحداً ولا ينضمون إلى أحد، تكون القبيلة نفسها جمرة تصبر لقراع القبائل، كما صبرت عبس لقبائل قيس. قال أبو عبيدة: جمرات العرب ثلاثة بنو ضبة بن أد، وبنو الحارث بن كعب، وبنو نمير بن عامر، وطفئت منهم جمرتان: طفئت ضبة لأنها حالفت الرباب، وطفئت بنو الحارث لأنها حالفت مذحج، وبقيت نمير لم تطفأ لأنها لم تحالف.

(٧) بهم: جمع بهمة وهو الشجاع.

ولكـــم خيـــلٌ عليهـــا فتيـــةٌ كـأُسُـودِ الغـاب يَحْمِيـن الأَجَـمْ
ليـس فـي الأرض قَبيـلٌ مثلُكـم حيـن يَـرْفَـضُّ العِـدَا غيـرَ جُشَـمْ
لَسْـتُ للصِّمَّـة إن لـم آتِكـم بـالخَنَـاذِيـذِ[1] تَبَـارَى فـي اللُّجُـمْ
فتَقَـرُّ العيـنُ منكـم مـرّةً بـانبعـاث الحُـرِّ نَـوْحـاً تَلْتَـدِمْ[2]
وتُـرى نَجْـرانُ منكـم بَلْقعـاً غيـرَ شَمْطـاءَ وطفـلٍ قـد يَتِـمْ
فـانْظُـروهـا كـالسَّعَـالِـي[3] شُـزَّبـاً قبـلَ رأس الحَـوْل إن لـم أُخْتَـرَمْ

قال: فنُمِي قولُه إلى عبدالله بن عبد المَدَان، فقال يُجيبه:

نُبِّئْـتُ أنّ دُرَيـداً ظـلّ مُعتـرِضـاً يُهْـدِي الـوَعيـدَ إلـى نَجْـرانَ مـن حَضَـنِ[4]
كـالكلـب يَعْـوِي إلـى بيـداء مُقفِـرةٍ مـن ذا يُـواعِـدُنـا بـالحـرب لـم يَحِـنِ[5]
إن تَلْـقَ حَـيَّ بَنـي الـدَّيَّـانِ تَلْقَهـمُ شُـمَّ الأنـوف إليهـم عِـزَّةُ[6] اليمـنِ
مـا كـان فـي النـاس للـدَّيَّـان مـن شَبَـهٍ إلّا رُعَيْـنٌ وإلّا آلُ ذي يَـزَنَ
أَغْمِـضْ جفـونَـك عمّـا لسـتَ نـائلَـه نحـن الـذيـن سبقْنـا النـاسَ بـالـدمـنِ
نحـن الـذيـن تـركنـا خـالـداً عَطِبـاً وَسْـطَ العَجَـاج كـأنّ المـرءَ لـم يكُـنِ
إن تَهْجُنـا تَهْـجُ أنجـاداً شَـرَامِحـةً[7] بِيـضَ الـوجـوهِ مَـرَافِيـداً علـى الـزمـنِ
أَوْرى زِيـادٌ لنـا زَنْـداً والـدُّنـا عبـدُ المَـدَان وأَوْرَى زنـدَه قَطَـنُ[8]

رده أسماء بن زنباع عن ظعينته زينب وطعنه فأصاب عينه:

أخبرني محمد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثنا أبو بكر العامِريّ عن ابن الأعرابيّ قال:

أغار دُرَيد بن الصِّمَّة في نفر من أصحابه، فمرّوا بأسماءَ بن زِنْباع الحارثيّ ومعه ظَعِينتُه زينب، فأحاطوا به لِيَنْتزعوها في يده، فقاتلهم دونَها فقتَل منهم وجَرَح، ثم اختلف هو ودُرَيد طعنتين: فطعنه دُرَيْدٌ فأخطأه، وطعنه أسماءُ فأصاب عينَه، وانهزم دُرَيدٌ ولحِق بأصحابه؛ فقال دريدٌ في ذلك:

شَلَّـتْ يمينـي ولا أَشْـرَبْ معتَّقـةً إذ أخطـأ المـوتُ أسمـاءَ بـنَ زِنْبـاعِ

قال: وهي قصيدة.

---

(١) الخناذيذ: جياد الخيل، واحدها خنذيذ.
(٢) تلتدم: تضرب صدرها في النياحة.
(٣) السعالي: الغيلان، واحدها سعلاة. والشزب: جمع شازب وهو الضامر.
(٤) حضن: جبل بنجد.
(٥) لم يحن: لم يهلك.
(٦) في الأصول: «غرة» بالراء المهملة وهو تصحيف.
(٧) الشرامحة: جمع شرمح وهو القوي والطويل.
(٨) في هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروي.

قصته مع أنس بن مدركة الخثعمي ويزيد بن عبد المدان وشعره في ذلك:

ونسختُ من كتاب أبي عمرو الشَّيْبانيّ الذي ذكرتُه يأثُره عن محمد بن السّائب الكَلْبيّ قال:

جاور رجلٌ من ثُمَالةَ عبدَالله بن الصمَّة، فهلَك عبدُالله وأقام الرجل في جِوار دُرَيد. وأغار أَنَسُ بن مُدْرِكة الخَثْعَميّ على بني جُشَمَ، فأصاب مالَ الثُّمَاليّ وأصاب ناساً من ثمالة كانوا جيراناً لدُرَيد؛ فكفَّ دُرَيدٌ عن طلب القوم وشُغِل بحرب من يَلِيه، وقال لجاره ذلك: أَمهِلْني عامي هذا. فقال الثماليّ: قد أمهَلتُك عامين. وخرج دُرَيدٌ ليلةً لحاجته وقد أبطأ في أمر الثُّمَاليّ، فسمعه يقول:

[٣٦/١٠]

/ كساكَ دُرَيْدُ الدهرَ ثوبَ خزايةٍ ... وجَدَّعكَ الحامِي حقيقتَه أَنَسْ

دَعِ الخيلَ والسُّمْرَ الطِّوالَ لخَثْعَمٍ ... فما أنت والرُّمحُ الطويل وما الفَرَسْ

وما أنت والغَزْوُ المُتابَعِ للعِدا ... وهَمُّكَ سَوْقُ العَوْذِ والدَّلْوُ والمَرَسْ[1]

فلو كان عبدُالله حيّاً لردَّها ... وما أصبحتْ إبْلِي بنَجْرانَ تُحْتَبَسْ

ولا أصبحتْ عِرْسِي بأشقَى مَعيشةٍ ... وشيخٌ كبيرٌ من ثُمالةَ في تَعَسْ

يُراعِي نجومَ الليل من بعد هَجْعةٍ ... إلى الصبح محزوناً يُطاولُه النَّفَس

وكنتُ وعبدُالله حيٌّ وما أرَى ... أبالِي من الأعداء مَنْ قام أو جلَس

فأصبحتُ مهضوماً حزيناً لفقده ... وهل من نكيرٍ بعد حولين تَلْتَمِسْ

قال: فضاق دُرَيدٌ ذَرْعاً بقوله، وشاور أُولي الرأي من قومه؛ فقالوا له: ارحَلْ إلى يزيد بنِ عبد المَدَان؛ فإنّ أنساً قد خلَّف المالَ والعِيالَ بنَجْرانَ للحرب التي وقعتْ بين خَثْعَم، وإن يزيد يردُّها عليك. فقال دُرَيد: بل أُقدِّم إليه قبل ذلك مِدْحةً ثم أنظر ما مَوْقِعي من الرجل، فقال هذه القصيدة وبعث بها إلى يزيد:

١٨/٩

/ بني الدَّيّانِ رُدُّوا مالَ جاري ... وأَسْرَى في كُبُولِهِمُ[2] الثِّقالِ

ورُدُّوا السَّبْيَ إن شئتم بمَنٍّ ... وإن شئتم مُفاداةً بمالِ

فأنتم أهلُ عائدةٍ وفضلٍ ... وأيدٍ في مواهبكم طِوالِ

متى ما تَمنعوا شيئاً فليست ... حبائلُ أخذِه غيرَ السؤالِ

وحربُكمُ بني الدَّيّانِ حربٌ ... يَغَصُّ المرءُ منها بالزُّلالِ

وجارتُكم بني الدَّيّان بَسْلٌ[3] ... وجاركمُ يُعَدُّ مع العِيالِ

حَذا عَبْدُ المَدَانِ لكم حِذاءً ... مُخَصَّرةَ الصدورِ على مِثالِ

[٣٧/١٠]

/ بَني الدَّيّانِ إنّ بني زيادٍ ... هُمُ أهلُ التكرُّمِ والفَعالِ

فأَوْلُوني بني الدَّيّان خيراً ... أُقِرَّ لكم به أُخْرَى الليالي

---

(١) العود: المسن من الإبل. والمرس: الحبل، والمراد هنا حبل الاستقاء.

(٢) في أ، م، حـ: «في كبولكم».

(٣) البسل: الحرام.

قال: فلما بلَغ يزيدَ شعرُه قال: وجب حقُّ الرجل! فبعث إليه أنِ أقدَمْ علينا. فلما قدِم عليه أكرمه وأحسن مَثْواه. فقال له دُرَيد يوماً: يا أبا النَّضر، إني رأيتُ منكم خِصالاً لم أرَها من أحد من قومكم: إني رأيتُ أبْنِيَتكم متفرّقة، ونِتاجَ خيلكم قليلاً، وسَرْحَكُم يجيء مُعتِماً، وصبيانكم يَتَضاغَوْن[1] من غير جوع. قال: أجَلْ! أمّا قلّة نِتاجنا فنِتاجُ هَوَازِنَ يكفينا وأمّا تفرّق أبنيتنا فللغَيْرة على النساء. وأمّا بكاء صبياننا فإنّا نبدأ بالخيل قبل العِيال. وأمّا تَمَسِّينا بالنَّعَم فإنّ فينا الغرائبَ والأراملَ، تخرج المرأة إلى مالها حيث لا يراها أحدٌ. قال: وأقبلتْ طلائعُهم على يزيد، فقال شيخ منهم:

أَتَتْـكَ السـلامـةُ فـارْعَ النَّعَـمْ ... ولا تَقُـلِ الـدَّهْـرَ إلّا نَعَـمْ

وسَـرِّحْ دُرَيـداً بنُعْمَـى جُشَـمْ ... وإن سـالَـكَ المـرءُ إحـدَى القُحَـمْ[2]

فقال له دُرَيد: من أين جاء هؤلاء؟ فقال: هذه طلائعُنا لا نَسْرَحُ ولا نَصْطَبِحُ حتى يرجعوا إلينا. فقال له: ما ظلمَكم مَنْ جعلكم جَمْرةَ مَذْحِج. ورَدّ يزيدُ عليه الأُسارَى من قومه وجيرانه، ثم قال له: سَلْني ما شئتَ؛ فلم يسأله شيئاً إلّا أعطاه إيّاه. فقال دريد في ذلك:

مَـدحـتُ يـزيـدَ بـن عبـد المَـدَان ... فـأَكْـرِمْ بـه مـن فتـى مُمْتَـدَحْ

إذا المـدحُ زان فتـى مَعْشَـرٍ ... فـإنّ يـزيـدَ يَـزِيـنُ المِـدَحْ

حلَلْـتُ بـه دونَ أصحـابـه ... فـأَوْرَى زِنـادِيَ لمّـا قَـدَحْ

/ ورَدَّ النسـاءَ بـأطهـارهـا ... ولـو كـان غيـرُ يـزيـدٍ فضَـحْ

وفَـكَّ الـرجـالَ وكـلُّ امـرىءٍ ... إذا أصلـحَ اللهُ يـومـاً صلَـحْ

وقلـتُ لـه بعـد عِتْـقِ النسـاء ... وفَـكِّ الـرّجـال ورَدِّ اللُّقَـحْ[3]

أَجِـزْ لـي فـوارسَ مـن عـامـرٍ ... فـأَكْـرِمْ بنَفْحتـه إذا نَفَـحْ

ومـا زلـتُ أعـرف فـي وجهـه ... بكَـرِّي السـؤالَ ظهـورَ الفـرح

رأيـتُ أبـا النَّضْـر فـي مَـذْحِـجٍ ... بمنـزلـة الفجـر حيـن اتّضَـحْ

إذا قـارَعـوا عنـه لـم يُقْـرَعـوا ... وإن قـدّمـوه لكَبْـشٍ نطَـحْ

/ وإن حضَـر النـاسَ لـم يُخْـزِهـم ... وإن وازنـوه بِقِـرْنٍ رجَـحْ

فـذاك فتـاهـا وذو فضلهـا ... وإن نـابـحٌ بفَخـارٍ نَبَـحْ

[٣٨/١٠]

١٩/٩

قصته مع مسهر بن يزيد الحارثي وشعره:

قال وقال ابن الكلبيّ: خرج دريد بن الصِّمّة في فوارس من قومه في غَزاة له، فلَقِيه مُسْهِر بن يزيد الحارثيّ، الذي فَقَأ عين عامر بن الطُّفَيل، يقود بامرأته أسماء بنت حَزْن الحارثيّة. فلما رآه القوم قالوا: الغنيمةَ،

(١) تضاغى من الطوى: تضوّر من الجوع وصاح.
(٢) القحم: جمع قحمة وهي الأمر الشاق لا يكاد يركبه أحد.
(٣) اللقح: جمع لقحة وهي الناقة الحلوب.

هذا فارسٌ واحد يقود ظَعِينةً، وخليقٌ أن يكون الرجل قرشياً. فقال دريد: هل منكم رجل يمضي إليه فيقتله ويأتينا به وبالظَّعينة؟ فانتَدب إليه رجلٌ من القوم فحمَل عليه، فلقيه مُسْهِر فاختلفا طعنتين بينهما، فقتله مُسْهِر بن الحارث. ثم حمل عليه آخر فكانت سبيلُه سبيلَ صاحبه؛ حتى قتَل منهم أربعةَ نفر. وبقي دريد وحدَه فأقبل إليه؛ فلما رآه ألقى الخِطامَ من يدِه إلى المرأة وقال: خُذِي خِطامَك؛ فقد أقبل إليّ فارسٌ ليس كالفُرسان الذين تقدَّموه؛ ثم قصد إليه وهو يقول:

أمَـا تَـرَى الفـارس بعـد الفـارسْ ... أرْدَاهُـم عـامـلُ رمـحٍ يـابـس

/ فقال له دُرَيد: من أنت لله أبوك؟ قال: رجلٌ من بني الحارث بن كعب. قال: أنت الحُصَيْن؟ قال لا. قال: [٣٩/١٠] فالمُحجَّل هَوْذَة؟ قال لا. قال: فمن أنت؟ قال: أنا مُسْهِر بن يزيد. قال: فانصرف دُرَيد وهو يقول:

أمِـن ذِكْـر سَلْمَـى مـاءُ عينيـك يَهْمِـلُ ... كمـا انهـلَّ خَـرْزٌ مِـن شُعَيْـبٍ مُشَلْشِـلُ[١]

ومـاذا تُـرَجِّـي بـالسـلامـة بعـدمـا ... نـأتْ حِقَـبٌ وأبيـضَّ منـكَ المُـرَجَّـلُ[٢]

وحـالـت عَـوَادِي الحـربِ بينـي وبينهـا ... وحـربٌ تَغُـلّ المـوتَ صِـرْفـاً وتُنْهِـلُ

قِـراهـا إذا بـاتـت لَـدَيَّ مُفَـاضَـةٌ ... وذو خُصَـلٍ نَهْـدُ المَـرَاكِـل هَيْكَـلُ[٣]

كَمِيـشٌ[٤] كتَيْـسِ الـرَّمْـلِ أخلَـص مَتْنَـه ... ضَـرِيـبُ[٥] الخَـلاَيـا والنَّقِيـعُ المعجَّـل

عَتِيـدٌ لأيّـام الحـروب كـأنّـه ... إذا انجـاب رَيْعـانُ العَجـاجـة أجْـدَلُ[٦]

يُجَـاوِبُ[٧] جُـرْداً كـالسَّرَاحِيـنِ[٨] ضُمَّـراً ... تَـرُود بـأبـواب البيـوت وتَصْهَـل

علـى كـل حَـيٍّ قـد أطلَّـتْ بغـارة ... ولا مثـل مـا لاقَـى الحِمَـاسُ وزَعْبَـلُ

ـ الحِماس وزَعْبَل: قبيلتان من بني الحارث بن كعب ـ

غَـدَاةَ رأوْنـا بـالغـريـف[٩] كـأنّنـا ... حَبِـيٌّ[١٠] أدرَّتْـه الصَّبَـا متهلِّـل

بمُشْعَلَـةٍ تـدعـو هـوازنَ، فـوقهـا ... نسيـجٌ مـن المـاذِيِّ[١١] لأمٌ مُـرَفَّـل

/ لـدى مَعْـرَكٍ فيهـا تـركنـا سَـراتَهـم ... يُنـادُون، منهـم مُـوثَـقٌ ومُجَـدَّل [٤٠/١٠]

(١) شلشل الماء: قطر.
(٢) المرجل: الشعر؛ يقال: رجل الشعر إذا سرحه.
(٣) المفاضة هنا: الدرع. وذو خصل: يريد فرساً. والمراكل: جمع مركل وهو حيث تصير رجلك من الدابة؛ يقال فرس نهد المراكل أي واسع الجوف. والهيكل: الضخم.
(٤) الكميش: السريع.
(٥) الضريب: اللبن. والخلايا: جمع خلية وهي الناقة المخلاة للحلب. يريد أن هذا الفرس معتنى به.
(٦) الأجدل: الصقر.
(٧) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «يحارب» وهو تحريف.
(٨) السراحين: الذئاب واحدها سرحان.
(٩) كذا في الأصول. ولعلها الغريف أو نحو ذلك.
(١٠) الحبي: السحاب المتراكم. وفي الأصول: «حيي» بياءين.
(١١) الماذي: الدروع اللينة السهلة. واللأم: الدروع، واحدها لأمة. والمرفل: المسبغ.

نَجُذّ جِهاراً بالسيوف رؤوسَهم وأرماحُنا منهم تَعُلّ وتَنْهَل

تَرى كلَّ مسودُ العِذارَين فارسٍ يُطِيف به نَسرٌ وعَرْفَاءُ[1] جَيْأَل

قال مؤلِّف هذا الكتاب: هذه الأخبار التي ذكرتُها عن ابن الكلبيّ موضوعةٌ كلُّها، والتوليدُ بيّن فيها وفي أشعارها، وما رأيتُ شيئاً منها في ديوان دُرَيد بن الصِّمَّة على سائر الروايات. وأعجبُ من ذلك هذا الخبرُ الأخيرُ؛ فإنه ذكَر فيه ما لحِقَ دريداً من الهُجْنة والفضيحة في أصحابه وقتل من قُتِل معه وانصرافَه منفرداً، وشعرُ دريد هذا يفخر فيه / بأنّه ظفِر ببني الحارث وقتلَ أماثِلَهم؛ وهذا من أكاذيب ابن الكَلْبِيّ. وإنما ذكرتُه على ما فيه لئلا يسقطَ من الكتاب شيء قد رواه الناسُ وتَدَاوَلُوه.



(١) كذا في جـ والعرفاء: الضبع؛ سميت بذلك لكثرة شعر رقبتها. وجيأل: من أسماء الضبع أيضاً، معرفة بغير ألف ولام. وقال كراع: الجيأل، فأدخل عليها الألف واللام، وشاهده قول العجاج:

يــدعــن ذا الثــروة كــالمجبــل وصــاحــب الإقتــار لحــم الجيــأل

وفي سائر الأصول: «وغربال جيأل» وهو تحريف.

/ أخبار المُعتَضِد في صنعة هذا اللحن وغيره من الأغاني [١٠/٤١]

ـ دون أخباره في غير ذلك لأنها كثيرة تخرج عن حدّ الكتاب ـ وشيء من أخباره مع المغنّين وغيرهم يصلح لما ها هنا

راسل عبيدالله بن عبدالله بن طاهر في أمر النغم العشر حتى فهمها وجمعها في صوت:

حدّثني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثني عُبَيدالله بن عبدالله بن طاهر أن المعتضد بعث إليه ـ لما صنعتْ جاريتُه شَاجِي اللحنَ الذي يجمع النَّغَمَ العشرَ ـ بظَبْي وحبيب جاريتَيْ أخيه سليمان بن عبدالله بن طاهر حتى أخذَتَا اللحنَ عنه ونقَلتَاه إليه وألْقَتَاه على جواريه. قال: ولم يزلْ يُراسِلُني مع عبدالله بن أحمد بن حمدون في أمر النَّغَم العشر ويسألني عنها وأشرحُها له، حتى فهمها جيّداً وجمَعها في صوتٍ صنعه في شعر دُرَيد بن الصِّمَّة:

يــــا ليتنــــي فيهـــا جَـــذَعْ أَخُـــبّ فيهـــا وأَضَـــعْ

وألقاه عليهما حتى أدّتاه إليّ مستعلِماً بذلك هل هو صحيحُ القِسمة والأجزاء أم لا، فعرَّفتُه صحّتَه ودللتُه على ذلك حتى تيقَّنه فسُرَّ بذلك؛ وهو لَعَمْري من جيِّد الصنعة ونادرها. وقد صنع المُعْتَضِدُ ألحاناً في عدّة أشعار قد صنع فيها الفحول من القدماء والمُحْدَثِين وعارضَهم بصنعته فأحسن وشاكَل وضاهَى، فلم يَعْجَز ولا قصَّر ولا أتى بشيء يُعْتَذر منه. فمن ذلك أنه صنع في:

أمّــا القَطــاةُ فــإنّــي ســوف أنعتُهــا نَعْتــاً يــوافــق نعتــي بعــضَ مــا فيهــا

لحناً في الثقيل الأوّل بالبنصر في نهاية الجودة، سمعت إبراهيم بن القاسم بن زُرْزُور يُغَنِّيه، فكان من أحسنِ ما صُنع في هذا الصوت على كثرة الصنعة فيه واشتراك / القدماء والمُحْدَثين في صنعته مثل مَعْبَد ونَشِيطٍ [١٠/٤٢] ومالك وابن مُحْرِز وسِنانٍ وعُمَر الوادي وأبن جامع وإبراهيم وأبنه إسحاق وعَلّويه. وأظرفُ من ذلك أنه صنع في:

تَشَكّــى الكُمَيْــتُ الجَــرْيَ لمّــا جهَــدتُــه وبيَّـــنَ لـــو يستطيـــع أن يَتكلّمـــا

لحناً من الثقيل الأوّل[١] بالوسطى، وقد صنع قبله أبن سُريج لحناً هو من الألحان الثلاثة المختارة من الغناء كلِّه، فما قصَّر في صنعته ولا عَجَز عن بلوغ الغاية فيها؛ هذا بعد أن صنع إسحاقُ فيها لحناً من الثقيل الثاني عارض أبنَ سُرَيج به في لحنه، فما أمتنع من أن يتلو مثل هذين ولا نظيرَ لهما في القدماء والمُحْدَثين، ثم جوَّد غاية التجويد فيما أتْبعهما به وعارضهما فيه. هذا مع أصوات له صنعَها تُزاهِي[٢] المائة صوت، ما فيها ساقطٌ ولا مَرْذُول، وسأذكر منها ما يَصْلُح ذكرُه في موضعه إن شاء الله تعالى.

(١) في أ، م: «الثاني».
(٢) تزاهي: تضاهي. وزهاء الشيء: قدره.

ومن نادر صنعة المعتضد:

صوت

أنــاةً فــإن تُغْــنِ عقّــب بعــدَهــا وَعِيــداً، فــإن لــم يُغْــن أغنــتْ عَــزائمُــهْ

$\frac{٢١}{٩}$ / الشعر لإبراهيم بن العبّاس، والغناء للمعتضد ثقيلٌ أوّل. هذا بيتٌ قاله إبراهيم وهو لا يعلم أنه شعر، وإنما كتب به في رسالة عن المعتصم[١] إلى بعض أصحاب الأطراف فقال في فصل منه: «وإن عند أمير المؤمنين في أمرك أناةً، فإن لم تُغْن عقّب بعدها وعيداً، فإن لم يُغْنِ أَغْنَتْ عزائمُه». فلما تأمّله أنه شعر وأنه بيتٌ نادر فأخرجه في شعره.



(١) في جـ: «عن المعتضد».

/ أخبار إبراهيم بن العباس ونسبه

[٤٣/١٠]

نسبه، وشيء عن آبائه:

إبراهيم بن العبّاس بن محمد بن صُولٍ، وكان صُولٌ رجلاً من الأتراك، ففتح يزيد بن المهلّب بلدَه وأسلم على يديه، فهم موالي يزيدَ. ولما دعا يزيدُ إلى نفسه لحِقَ به صُولٌ لينصرَه فصادفَه قد قُتل. وكان يقاتل كلَّ مَنْ بينه وبين يزيد من جيش بني أميّة ويكتب على سهامه: صُولٌ يدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه. فبلغ ذلك يزيدَ بن عبدالملك، فاغتاظ وجعل يقول: وَيْلي على ابن الغَلْفاء! وماله وللدُّعاء إلى كتاب الله وسنّة نبيّه! ولعلّه لا يَفْقَه صَلاتَه!. وكان ابنه محمد بن صُول من رجال الدولة العبّاسية ودُعاتها، وقد كان بعضُ أهليهم ادّعَوْا أنه عربٌ وأن العباس بن الأحنف خالُهم. وأمّا صول فإنّ خالد بن خِداش[١] ذكر عن أهله قالوا: كان صولٌ وفَيْروزُ أخوين مَلِكا على جُرْجانَ، وكانا تركيَّيْن تمجّسا وتشبّها بالفُرْس. فلما حضر يزيدُ بن المُهَلَّب جُرْجَانَ أمّنهما، فأسلم صُولٌ على يديه ولم يزل معه حتى قُتِل يومَ العَقْر[٢]. وكان محمد بن صُول يُكْنى[٣] أبا عُمَارة، أحدَ الدُّعاة، وقتله عبدالله بن عليّ لما خالف مع مُقاتِل بن حَكِيم العَكّي[٤] وعِدّةٍ آخرين.

كان يقول الشعر ثم يختاره:

وأمّا إبراهيم بن العباس وأخوه عبدالله فإنهما كانا من وجوه الكُتّاب، وكان عبدالله أسنَّهما وأشدَّهما تقدُّماً، وكان إبراهيم آدَبهما وأحسنَهما شعراً، وكان يقول الشعر ثم يختاره، ويُسْقط رَذْله، ثم يُسقط الوسطَ، ثم يسقط ما يُسْبَق إليه، فلا يَدَعُ من القصيدة إلا اليسيرَ، وربما لم يَدَعْ منها إلاّ بيتاً أو بيتين؛ فمن ذلك قوله:

[٤٤/١٠]

/ ولكنَّ الجوادَ أبا هشامٍ   وفيُّ العهدِ مأمونُ المَغِيبِ

وهذا ابتداء يدلّ على أنّ قبله غيرَه؛ وقولُه في أخيه:

ولكنّ عبدَالله لما حَوَى الغنى   وصار له من بين إخوته مالُ

وهذا أيضاً ابتداء يدلّ على أنّ قبله غيرَه. وكان إبراهيم وأخوه عبدالله من صنائع ذي الرِّياستين، اتّصلا به فرفع منهما. وتنقَّل إبراهيم في الأعمال الجليلة والدواوين إلى أن مات وهو يتقلّد ديوانَ الضِّياع والنفقات بسُرّ مَنْ رأى في سنة ثلاث وأربعين ومائتين للنصف من شعبان.

قال محمد[٥] بن داود وحدّثني أحمد بن سَعيد بن حسّان قال حدّثني ابن إبراهيم قال سمعت دِعْبِلاً يقول:

---

(١) في الأصول «خراش» بالراء. وقد تقدم خالد بن خداش غير مرة في الأجزاء السابقة.

(٢) هو عقر بابل وهو موضع عند كربلاء قتل عنده يزيد بن المهلب (انظر الحاشية رقم ١ ص ٢٢ ح ٩ من «الأغاني» طبع دار الكتب المصرية).

(٣) كذا في الأصول. ولعله: «ويكنى أبا عمارة إلخ».

(٤) هو أحد قواد أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية. (انظر الكلام عليه في «تاريخ الطبري» ق ٢ ص ٢٠٠١ ـ ٢٠٠٣، ٢٠٠٥، ٢٠١٦ طبعة أوربا).

(٥) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «أحمد بن داود».

لو تكسّب إبراهيم بن العبّاس بالشعر لتركنا في غير شيء. قال: ثم أنشدَنا له، وكان يستحسن ذلك من قوله:

إنّ امــرأ ضــنَّ بمعــروفــه عنّــي لمبــذولٌ لــه عــذري
مــا أنــا بــالــراغــب فــي عُــرفــه إن كــان لا يــرغــب فــي شكــري

هجاؤه محمد بن عبدالملك الزيات وتشفيه بموته:

٢٢/٩ / وكان إبراهيم بن العباس صديقاً لمحمد بن عبدالملك الزيّات، ثم آذاه وقصده وصارت بينهما شَحْناء عظيمة لم يمكن تلافيها، فكان إبراهيم يهجوه؛ فمن قوله فيه:

أبــا جعفــرٍ خَــفْ خَفْضــةً بعــد رِفعــةٍ وقصِّــرْ قليــلاً عــن مَــدَى غُلَــوائكــا
لئــن كــان هــذا اليــومُ يــومــاً حــوَيْتَــه فــإن رجــائــي فــي غــدٍ كــرجــائكــا

وله فيه أيضاً:

دعــوتــك فــي بَلْــوَى ألمَّــتْ صــروفُهــا فــأوقــدتَ مــن ضِغْــنٍ علــيَّ سعيــرَهــا
فــإنّــي إذا أدعــوك عنــد مُلِمَّــةٍ كــداعيــةٍ عنــد القبــور نَصيــرَهــا

[٤٥/١٠] / وقال فيه لمّا مات:

لمّــا أتــانــي خَبَــرُ الــزيّــات وأنّــه قــد صــار فــي الأمــوات

* أيقنتُ أنّ موته حياتي *

هجره صديقه الحارث بن بسخنر مرضاة لمحمد بن عبدالملك الزيّات فقال في ذلك شعراً:

أخبرني جَحْظة قال حدّثني ميمون بن هارون قال: لما انحرف محمد بن عبدالملك الزيّات عن إبراهيم تحاماه الناس أن يلقَوْه، وكان الحارث بن بُسْخُنَّر صديقاً له مصافياً، فهجره فيمن هجره من إخوانه؛ فكتب إليه:

تَغَيَّــر لــي فيمــن تغيَّــر حــارثُ وكــم مــن أخ قــد غيَّــرتــه الحــوادثُ
أحــارثُ إن شــوركــتُ فيــك فطــالمــا غَنِينــا ومــا بينــي وبينــك ثــالــثُ

وقد قيل: إن هذه الأبيات لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ.

ومن جيِّد قولِ إبراهيم بن العباس وفيه غِناء:

صــوت

خــلِّ النفــاقَ لأهلــه وعليــك فــالتمــس الطَّــريقــا
واذهَــبْ بنفســك أن تُــرَى إلاّ عــدوّاً أو صــديقــا

الغِناء لأبي العُبَيْس بن حمدون، ثقيلٌ أوّل.

قصة عشقه لقينة وانكماشه لتأخرها وشعره فيها:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال: كان إبراهيم بن العباس يهوَى قَيْنة بسُرَّ مَنْ رأى، فكان لا يكاد يفارقها. فجلس يوماً للشرب ومعه إخوان له، ودعا جماعةً من جواري القيان، ودعاها فأبطأت، فتنغّص عليهم يومُهم لِما رأوْا من شُغْل قلبه بتأخُّرها، ثم وافتْ فسُرِّيَ عنه وطابت نفسه وشرب وطرِب، ثم دعا بدواة فكتب:

ألـــم تَـــرنـــا يـــومَنـــا إذ نـــأتْ ... فلـــم تـــأتِ مـــن بيـــن أتـــرابهـــا
وقـــد غمـــرتْنـــا دواعـــي الســـرور ... بـــإشْعـــالهـــا وبـــإلْهـــابهـــا
/ ومَـــدَّتْ علينـــا سمـــاءَ النعيـــم ... وكـــلُّ المُنـــى تحـــت أطنـــابهـــا[1] [٤٦/١٠]
ونحـــن فُتـــورٌ إلـــى أن بـــدتْ ... وبـــدرُ الـــدُّجـــى بيـــن أثـــوابهـــا
فلمّـــا نـــأتْ كيـــف كُنّـــا لهـــا ... ولمّـــا دَنَـــتْ كيـــف صِـــرْنَـــا بهـــا

وأمر من حضر فقرأ عليها الأبيات؛ فتجنَّتْ وقالت: ما القصّةُ كما وصفتَ، وقد كنتم في قَصْفكم مع مَنْ حضر. وإنما تجمَّلتم لي لمّا حَضَرتُ. فأنشأ يقول:

يـــا مَـــنْ حنينـــي إلـــيـــه ... ومـــن فـــؤادي لـــديـــه
/ ومَـــنْ إذا غـــاب مـــن بيـــنهـــم أسِـــفـــتُ عـــليـــه ٢٣/٩
إذا حـــضـــرتِ فـــمـــا[1] مِـــنْـــهُـــم مَـــنَ أصـــبُـــو إلـــيـــه
مـــن غـــاب غـــيـــرُكِ مـــنـــهـــم ... فـــأمـــرُه فـــي يـــديـــه

قال: فرضيتْ عنه، وأتممنا يومنا على أحسن حال.

أجازه دعبل في شعر:

وقال محمد بن داود حدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني إبراهيم بن المدبّر قال حدّثني إبراهيم بن العباس ـ قال حدّثني به دِعْبِلٌ أيضاً فكانا متفقَيْن في الرواية ـ قال: كنّا نطلُب جميعاً بالشعر، فخرجنا وكنا في مَحْمِل، فابتدأتُ أقول في المطَّلِب بن عبدالله بن مالك:

* أمطَّلِبٌ أنت مُسْتَعْذِبٌ *

فقال دِعْبِل:

* لسمِّ الأفاعي ومُسْتَقْتِلُ *

فقلت:

* فإن أَشْفِ منك تكن سُبَّةً *

فقال دِعْبِل:

(١) الأطناب: جمع طنب: وهو حبل طويل يشدّ به سرادق البيت.

* وإن أعْفُ عنك فما تفعل *

[١٠/٤٧] / **روى له الأخفش أبياتاً كان يفضلها ويستجيدها:**

أنشدني الأخفش لإبراهيم بن العباس وكان يُفضِّلها ويستجيدها:

أميل مع الذِّمام على ٱبن أمّي ... وآخُذ للصَّديق من الشقيق

وإن ألْفَيْتَني حُرّاً مُطاعاً ... فإنك واجِدي عبدَ الصديق

أفرِّق بين معروفي ومَنِّي ... وأجمع بين مالي والحقوق

جوابه لأبي أيوب:

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو الحسن بن أبي البَغْل قال حدّثني عمّي قال:

اجتاز محمد[1] بن عليّ برد الخيار على أبي أيوب ابن أخت الوزير وهو متولّي ديار مُضَر فلم يتلقَّه، ونزل الرَّقَّة فلم يصل إليه ولم يَبَرّه، وخرج عنها فلم يُشيِّعْه. فلامه إخوانُه وقالوا: يشكوك إلى إبراهيم بن العباس. فكتب إلى إبراهيم يعتذر مما جرى بعلّةٍ.

فكتب إليه إبراهيم على ظهر كتابه:

أبداً مُعتَذِرٌ لا يُعْذَرُ ... ورُكُوبٌ للتَّسنّي لا تُغْفَرُ

ومُلَقّى بمساوٍ كلُّها ... منه تبدو وإليه تصدُرُ

هي من كل الورى مُنْكَرةٌ ... وهي منه وحده لا تُنْكَرُ

كان يهوى جارية اسمها «سامر» أهدت له جاريتين:

أخبرني عمّي قال حدّثني ٱبن برد الخيار عن أبيه قال:

كان إبراهيم بن العباس يهوى جارية لبعض المغنِّين بسُرَّ مَنْ رأى يقال لها سامر، وشُهِر بها، فكان منزله لا يخلو منها. ثم دُعِيتْ في وليمة لبعض أهلها فغابت عنه أياماً ثم جاءته ومعها جاريتان لمولاتها. وقالت له: قد أهديتُ صاحبتَيَّ إليك عِوَضاً من مَغيبي عنك؛ فأنشأ يقول:

[١٠/٤٨] / **صوت**

أقبلن يَحْفُفْن مثلَ الشمس طالعةً ... قد حسَّن الله أُولاها وأُخراها

ما كنتِ فيهن إلّا كنتِ واسطةً ... وكنَّ دونك يُمناها ويُسراها

الغناء لسَلْسَل مولى بني هاشم، ثاني ثقيلٍ بالوسطى مطلقٌ. وليس لسلسل خبر يُدَوَّن ولا هو من المشهورين ولا ممّن خدم الخلفاء أو دُوِّن له حديث. وذكر حَبَش أنه لسلسل مولاة محمد بن حرب الهِلاليّ. وسَلْسَل هذه كانت من أحسن الناس وجهاً وغِناءً، وكانت لبعض المغنِّين بالبصرة، وكان محمد بن حرب هذا

(١) كذا في الأصول و «تاريخ الطبري» (ق ٣ ص ١٤٩٩). وفي «معجم الأدباء» لياقوت في الكلام على إبراهيم بن العباس: «محمد بن علي بن برد الخباز» بالزاي.

يتعشّقها ولم تكن مولاته. فأخبرني الحرميّ بن أبي / العَلاء قال حدّثنا إسحاق بن محمد النَّخَعيّ قال حدّثني ٢٤/٩ حمّاد بن إسحاق قال: أتى أبَانُ بن عبدالحميد الشاعر رجلاً بالبَصرة وله قَيْنة يقال لها سَلْسَل، فصادف عندها محمد بن قَطَن الهلاليّ وعثمان بن ٱلحَكَم بن صخر الثَّقَفيّ فقال:

فتنــتْ سَلْسَـلُ قلـبَ ٱبـنِ قَطَـنْ ... ثـم ثَنَّـتْ بـابـن صخـر فـأفتتـنْ

فـأتيـتُ اليـومَ كـي أنقِـذَهـم ... فـإذا نحـن جميعـاً فـي قَـرَنْ

فأظُنّ الغَلَطَ وقع على حَبَش من ها هنا أو سمع هذا الخبر فتوهّم أنّها مولاة محمد بن حرب.

ذهابه مع دعبل ورزين وركوبهم حمير أهل الشوك وشعرهم في ذلك:

أخبرني عمّي ووكيع قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدّثني محمد بن عيسى بن عبدالرحمن قال:

خرج إبراهيم بن العباس ودِعْبِل بن عليّ وأخوه رَزِين في نُظَرائهم من أهل الأدب رَجَّالةً إلى بعض البساتين في خلافة المأمون، فلقِيَهم قوم من أهل السواد من أصحاب الشَّوْك، فأعطَوْهم شيئاً وركِبوا تلك الحميرَ؛ فأنشأ إبراهيم يقول:

[٤٩/١٠] / أُعِيضَـتْ بعـد حَـمْـل الشّـوْ ... ك أحـمـالاً مـن الحـرف[1]

تَـشَـاوَى لا مـن الصَّهْبـا ... ء بـل مـن شِـدّة الضّـعْـف

فقال رَزِين:

فلـو كنتـم علـى ذاك ... تـؤولـون إلـى قَصْـفِ

تَسـاوتْ حـالُكـم فيـه ... ولـم تَبْقَـوْا علـى خَسْـف

فقال دِعْبِل:

وإذا فـات الـذي فـات ... فكـونـوا مـن بنـي الظَّـرْف

ومُـرُّوا نَقْصِـف اليـوم ... فـإنـي بـائـعٌ خُفّـي

فأنصرفوا معه فباع خُفَّه وأنفقه عليهم.

رثاؤه لابنه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال قال لي عليّ بن الحسين الإسكافيّ:

كان لإبراهيمَ ٱبنٌ قد يَفَع وتَرَعْرَعَ، وكان مُعْجَباً به فَٱعتلّ عِلَّة لم تَطُل ومات؛ فرثاه بمراثٍ كثيرة، وجزع عليه جَزَعاً شديداً. فممّا رثاه به قوله:

كنـتَ السـوادَ لمُقْلتـي ... فبكـى عليـك النّـاظـرُ

مَـنْ شـاء بعـدك فَلْيَمُـتْ ... فعليـك كنـتُ أُحـاذِر

فيه رَمَلٌ لابن القَصَّار. ومن مراثيه إيّاه قوله:

(١) كذا في الأصول.

وما زلتُ مُذْ لَدُ أُغطِيتُه أُدافِعُ عنه حِمامَ الأَجَلْ
أُعوِّذه دائباً بالقُران وأَرْمي بطرفي إلى حيث حَلْ
فأضحت يدي قصدُها واحدٌ إلى حيث حلَّ فلم يَرْتَحِلْ

عاتبه أبو وائلة في لهوه فقال شعراً:

وقال أحمد بن أبي طاهر حدّثني أبو وائِلة قال: قلت لإبراهيم بن العبّاس: قد أخملتَ نفسك ورضيتَ أن تكون تابعاً أبداً لاقتصارك على القَصْف واللعب؛ فأنشأ يقول:

[١٠/٥٠] / إنّما المرء صورةٌ حيث حلّت تناهت
أنا مذ كنتُ في التصرُّف لي حالُ ساعتي

وهبه أخوه عبدالله ثلث ماله وأخته الثلث الآخر وشعره في ذلك:

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني أبن السَّخِيّ قال:

وهَب عبدالله بن العبّاس لأخيه إبراهيم ثُلُثَ ماله، ووهب لأخته الثلث الآخر، فسار مساوياً لهما في الحال؛ فقال إبراهيم:

٢٥/٩ / ولكنَّ عبدَالله لمّا حوى الغنى وصار له من بين أخوته مالُ
رأى خَلَّةً منهم تُسَدُّ بماله فساهَمهم حتى أستوتْ بهمُ الحال

وهذا مما عِيبَ على إبراهيم قولُه أبتداءً «ولكنّ عبدالله». وقد كرَّره في شعره فقال:

ولكنَّ الجوادَ أبا هشام وفيُّ العهد مأمونُ المَغِيب
بَطِيءٌ عنك ما أستغنيتَ عنه وطَلّاعٌ عليك مع الخطوب

والسبب في ذلك أختيارُه شعرَه وإسقاطُه ما لم يَرْضَه منه.

عزله عن الأهواز:

وقرأت في بعض الكتب: لمّا عُزِل إبراهيم بن العبّاس عن الأهواز في أيام محمد بن عبدالملك الزيّات أعتُقِل بها وأُوذِي، وكان محمد قبْل الوزارة صديقَه، وكان يؤمِّل منه أن يُسامحه ويُطْلِقَه، فكتب إليه:

فلو إذْ نَبَا دهرٌ وأُنكِر صاحبٌ وسُلِّط أعداءٌ وغاب نصيرُ
تكون عن الأهوازِ داري بنَجْوة ولكن مقاديرٌ جرتْ وأمور
وإني لأرجو بعد هذا محمداً لأفضَلِ ما يُرجَى أخٌ ووزير

فأقام محمد على قصدِه وتكشُّفِه والإساءةِ إليه حتى بلغ منه كلَّ مكروه، وأنفرجت الحال بينهما على ذلك، وهجاه إبراهيم هجاء كثيراً.

[١٠/٥١] / **أرسل ابن الزيات أبا الجهم للنكاية به:**

وأخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدّثني أبو عبدالله الباقطانيّ أو الطّالَقانيّ قال حدّثني عليّ بن الحسين بن

عبد الأَعْلَى قال:

وجَّه محمد بن عبدالملك بأبي الجَهْم أحمد بن سيف إلى الأهْواز ليكشِف إبراهيم بنَ العبّاس، فتحامل عليه تحاملاً شديداً. فكتب إبراهيم إلى محمد بن عبدالملك يُعَرِّفه ذلك ويشكوه إليه ويقول له: أبو الجهم كافرٌ لا يُبالي ما عمِل، وهو القائل لمّا مات غلامُه يخاطب مَلَكَ الموت:

وأقبلتَ تسعى إلى واحدي ... ضِراراً كأنّي قتلتُ الرسولا

تركتَ عَبيدَ بني طاهرٍ ... وقد ملئوا الأرضَ عَرْضاً وطولاً

فسوف أُدِين بترك الصلاة ... وأصْطَبِح الخمرَ صِرْفاً شَمولاً

فكان محمد لعصبيَّته على إبراهيم وقَصْدِه له يقول: لَيس هذا الشعر لأبي الجَهْم، إنما إبراهيم قاله ونَسَبَه إليه.

مدح المتوكل ببيتين وغنى بهما جعفر بن رفعة:

أخبرني أحمد بن جعفر بن رفعة قال حدّثني أبي قال دعاني إبراهيم بن العبّاس وقال: قد مدحتُ أمير المؤمنين المتوكِّل ببيتين، فغنِّ فيهما وأشِعْهما، ودعا لي بِطيب كثير فأعطانيه، وخلَع عليَّ خِلعة سَرِيَّة، فغنَّيتُ فيهما. والبيتان:

صوت

ما واحدٌ من واحدٍ ... أولى بفضلٍ أو مُرُوّةْ

ممّن أبوه وجَدُّه ... بين الخلافة والنُّبُوَّةْ

وأشَعْتُهما وغنّى فيهما المتوكّل فاستحسنهما ووصله صِلَةً سنيّة.

لحنُ جعفر بن رفعة في هذين البيتين رَمَلٌ بالبِنصر.

مدح الرضا لما عقدت ولاية العهد فأجازه:

[٢/١٠] / أخبرني محمد بن يونس الأنْبَاريّ قال حدّثني أبي:

أن إبراهيم بن العباس الصُّوليّ دخل على الرِّضا لمّا عقَد له المأمون ولاّه العهدَ، فأنشده قولَه:

أزالتَ عَزاءَ القلب بعد التجلُّدِ ... مصارعُ أولاد النبيّ محمدِ

/ ـ ﷺ ـ فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضُرِبت بأسمه. فلم تزل عند إبراهيم، وجعل منها مُهور نسائه، وخلّف بعضَها لكَفَنه وجَهازه إلى قبره. [٢٦/٩]

آذى إسحاق ابن أخي زيدان فهدّده فكف عنه:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدّثني أبو العبّاس بن الفُرات والباقْطانيّ قالا:

كان إسحاق بن إبراهيم ابن أخي زيدان صديقاً لإبراهيم بن العبّاس، فأنسخه شعرَه في مدح الرِّضا، ثم ولِيَ إبراهيمُ بن العبّاس في أيام المتوكّل ديوانَ الضِّياع، فعزله عن ضِياع كانت بيده بحُلْوان، وطالبه بمال وجب عليه، وتباعَد بينهما. فقال إسحاق لبعض من يثِق به: قل لإبراهيم بن العبّاس: والله لئن لم يَكْفُف عمّا يفعله في

لأخرجنّ قصيدتَه في الرّضا بخطّه إلى المتوكِّل. فأحجم عنه إبراهيم وتلافاه، ووجَّه من آرتجع القصيدةَ منه وجعله على ثقةٍ من أنه لا يُظهرها، ثم أفرج عنه وأزال ما كان يطالبه به.

نادرته في ثقيل:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا إبراهيم بن المُدَبِّر قال:

راكَبت إبراهيمَ بن العبّاس، فَلَقِيَنا رجلٌ كان إبراهيم يستثقله، فسلَّم عليه. فلمَّا مضى قال: يا أبا إسحاق إنه جَرْميّ. فقلت: ما كان عندي إلا أنه من أهل السَّوَاد. فضحِك وقال: إنما أردتُ قولَ الشاعر:

تُسائِلُ عن أخي جَرْم ثقيلٌ والذي خَلَقَهْ

كتابه في شفاعة لرجل إلى بعض إخوانه:

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني محمد[1] بن السَّخِيّ قال حدّثني الحسن بن عبدالله الصُّوليّ قال:

[١٠/٥٣] / كتب عمّي إبراهيمُ بن العبّاس شفاعة لرجل إلى بعض إخوانه: فلان ممّن يَزْكُو شكره، ويحسُن ذكرُه، ويَعْنِيني أمرُه، والصنيعةُ عنده واقعةٌ موقعَها، وسالكةٌ طريقَها.

وأفضَلُ ما يأتيه ذو الدِّين والحِجا إصابةُ شكرٍ لم يَضِعْ مَعَهُ أجرُ

مدحه عبيدالله بن يحيى عند المتوكل:

أخبرني عمّي عن أبي العَيْناء قال:

كان عُبيد الله بن يحيى يقول للمتوكِّل: يا أمير المؤمنين، إن إبراهيم بن العبّاس فضيلةٌ خَبَأَهَا الله لك، وذخيرةٌ ذَخَرَها لدولتك.

طلب إليه المتوكل وصف القدور الإبراهيمية ومجونهما في ذلك:

وذُكر عن عليّ بن يحيى:

أنّ المتوكل بعث إلى إبراهيم بن العبّاس يأمره أن يصف له القُدورَ الإبراهيميّة، وكان آبتدعها؛ فكتب له صِفتَها، وكتب في آخرها في ذكر الأبازِير: «ووزن دَانَقٍ» ونسيَ أن يكتب من أيّ شيء. فلمّا وصلتْ إليه الصفةُ آغتاظ ثم قال لعليّ بن يحيى: إحلفْ بحياتي أن تقول له ما آمُرك به، ففعل. فقال له: قل وزنُ دانق من أي شيء؟ أمِن بظر أمّك! قال عليّ بن يحيى: فدخلتُ إليه فقلت: إني جئتك في رسالة عزيز عليّ أن أؤدِّيها؛ فقال: هاتها، فأدّيتُها. قال: فآرجِع إليه وقل له عنّي: يا سيّدي، إن عليّ بن يحيى أخي وصديقي وقد أدّى الرسالة؛ فإن رأيت أن تجعل وزن الدّانق من بَظْر أمّي وبَظْر أمّه جميعاً تفضلْتَ بذلك. فقلت: قَبحك الله! وأنا أَيْشٍ ذنبي! قال: قد أدّيتَ الرسالة وهذا جوابُها. فدخلتُ إلى المتوكّل فقال: إيهِ ما قال لك؟ فقلتُ: قَبَح الله ما جئتُك به! وأخبرته بالجواب؛ فضحِك حتى فَحَص برجله وجعل يَشْرب عليه بقيَّة يومِه. وإذا لَقِيتُه قال لي: يا عليّ، وزن دانق أيْشٍ! فأقول: لعنة الله على إبراهيم.

(١) كذا في جميع الأصول هنا. وقد جاء في صفحة ٥٥ في جميع الأصول أيضاً: «أحمد بن السخي». وليس لدينا ما يرجح إحدى الروايتين.

[١٠/٥٤] / داعب الحسن بن وهب وشعره في ذلك:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني محمد بن موسى بن حمّاد قال:

دعا الحسنُ بنُ وَهْب إبراهيمَ بن العبّاس؛ فقال له: أَرْكَبُ وأجيئك عشيّاً فلا تنتظرني بالغَداة. / فأبطأ ٩/٢٧ عليه، وأسرع الحسنُ في شُرْبه فسكِر ونام، وجاء إبراهيم فرآه على تلك الحال، فدعا بدواة وكتب:

رُحْنا إليك وقد راحتْ بك الرَّاحُ ... وأسرعت فيك أوتارٌ وأقداح

قال: وحدّثني محمد بن موسى قال:

نظر إبراهيم بن العباس الحسنَ بنَ وَهْبٍ وهو مخمورٌ فقال له:

عيناكَ قد حَكَتا مَبِيـ ... ـتَكَ كيف كنتَ وكيف كانا

ولَرُبَّ عينٍ قد أرتـ ... ـكَ مَبِيتَ صاحبها عِياناً

فأجابه الحسن بن وهب بعشرين بيتاً وطالبه بمثلها؛ فكتب إليه بأربعة أبيات وطالبه بأربعين بيتاً. وأبياتُ إبراهيم:

ألبا عليّ خيرُ قولك ما ... حصّلتَ أنجعَه ومُختصرَهْ

ما عندنا في البيع من غَبَنٍ ... للمُستقِلّ بواحدٍ عَشَرة

أنا أهلُ ذلك غيرُ مُحْتَشِمٍ ... أرْضَى القديمَ وأقتفِي أثره

ها نحن وفَّيناك أربعةً ... والأربعون لديك مُنتظَره

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني القاسم بن إسماعيل قال:

سمعتُ إبراهيمَ بن العبّاس وقد لبِس سوادَه يوماً يقول: يا غلامُ هاتِ ذلك السيفَ الذي ما ضرَّ الله به أحداً قطُّ غيري.

كان يستثقل ابن أخيه وحكايات عنه في ذلك:

قال: وسأل يوماً عن ابن أخيه طماس وهو أحمد بن عبدالله بن العبّاس فقيل له:

هو مشغول بطبيب ومُنجِّم عنده، وكان يستثقله، فقال قل له يا غلام: والله ما لك في الناس طَبْعٌ؛ ولا في السماء نجم، فما لك تَكَلُّفُ هذا التكلّف.

[١٠/٥٥] / أخبرني الصّوليّ قال حدّثني أحمد بن السَّخِيّ قال:

أمر إبراهيم بن العبّاس أن يُجْمَعَ كلُّ أعور يَمرُّ في الطريق، فجمعوهم ووقَفُوهم وخرج ومعه طماس، فلما رأى العُورَ مجتمعين قال لطماس: كُلُّهم مثلُك، فاترك هذا الصَّلَف فإنه داعية إلى التَّلف.

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني مَيْمون بن موسى قال:

قال الحسن بن وَهْب لإبراهيم بن العبّاس: تعالَ حتى نَعُدَّ البُغَضاء؛ قال: ابدأ بي أوّلاً من أجل ابن أخي طماس ثم ثَنِّ بمن شئتَ.

أمر الحسن بن مخلد بأمر فأبطأ فيه فقال شعراً:

أخبرني الصُّوليّ قال قال جعفر بن محمود:

رَكِبتُ بين يَدَيْ إبراهيم بن العبّاس. فأمَرَ الحسنَ بن مُخَلَّد[1] بأمرٍ فأستبطأه فيه فنظر إليه فقال:

مُعْجِــبٌ عنــد نفســه ... وهــو لــي غيــر مُعْجِــبِ
إن أقُــلْ لاَ يَقُــلْ نعــم ... عــاتــبٌ غيــرُ مُعْتِــب
مُــولَــعٌ بــالخــلاف لــي ... عــامــداً والتجنُّــب
قلــتُ فيــه بضــدِّ مــا ... قيــل فــي أمّ جُنْــدُب

يريد قولَ امرىء القيس:

* «خليليَّ مُرّا بي على أمِّ جُنْدُبِ» *

أي فأنا لا أريد أن أمرَّ بك.

تنادر بابن الكلبي عند المتوكل لما جاء كتابه:

قال وأخبرني الصُّوليّ قال حدّثنا أحمد بن يزيد المُهَلّبيّ عن أبيه قال:

كان المتوكل قد ولّى ابنَ الكلبيّ البريدَ، وأحلفه بالطّلاق ألاّ يَكتُمَه شيئاً من أمر الناس جميعاً ولا من أمره هو في نفسه. فكتب إليه يوماً أن امرأته / خرجت مع حُبَّتها في نُزْهة، وأن حُبّتها[2] / عَرْبَدتْ عليها فجرحتْها في صُدْغها. فقرأه إبراهيم بن العبّاس على المتوكِّل ثم قال له: يا أمير المؤمنين، قد صَحّف ابنُ الكلبيّ، إنما هو: «جرحتْها في سُرْمها»[3]، فضحك المتوكِّل وقال: صدقتَ. ما أظن القصة إلاّ هكذا. قال: ولم يكن ابن الكلبيّ هذا من العرب، إنما كان أبوه يُلَقَّب «كلب الرَّحْل» فقيل له الكلبيّ.

[١٠/٥٦]
٢٨
٩

استعطافه محمد بن عبدالملك الزيات:

أخبرني عمّي قال حدّثنا ميمون بن هارون قال:

كتب إبراهيم بن العبّاس إلى محمد بن عبدالملك يستعطفه: كتبت إليك وقد بلغت المُدْيةُ المَحَزّ[4]، وعَدَتِ الأيامُ بك عليّ، بعد عَدْوِي بك عليها، وكان أسْوأ ظنّي وأكثر خوفي، أن تسكُنَ في وقت حركَتِها، وتَكُفَّ عند أذاها، فصرتَ عليّ أضرَّ منها، وكفَّ الصديقُ عن نُصْرتي خوفاً منك، وبادر إليَّ العدوُّ تقرُّباً إليك. وكتب تحت ذلك:

أخٌ بينـــي وبيـــن الـــدّهــ ... ـــر صـــاحَـــبَ أيَّنـــا غَلَبـــا

(١) هو الحسن بن مخلد بن الجراح. تولى «ديوان الضياع» للمتوكل بعد موت إبراهيم بن العباس هذا. (انظر الكلام عليه في «تاريخ الطبري»: ق ٣ ص ١٤٣٥ و١٤٤٤ ـ ١٤٤٧ و١٦٤٧ ـ ١٦٤٨).

(٢) الحبة: المحبوبة.

(٣) في الأصول: «صرمها» بالصاد. وهو تحريف.

(٤) كذا في «معجم الأدباء» لياقوت. وفي الأصول: «المحزة».

صديقي ما استقام فإن نبا دهرٌ عليّ نبا
وثبتُ على الزمان به فعاد به وقد وثبا
ولو عاد الزمان لنا لعاد به أخاً حَدِبا

قال وكتب إليه: أمَا والله لو أمِنتُ ودّك لقلت؛ ولكني أخاف منك عَتْبا لا تُنصفني فيه، وأخشى من نفسي لائمةً لا تحتملها لي. وما قد قُدِّر فهو كائن، وعن كل حادثة أُحدوثة. وما استبدلت بحالةٍ كنتُ فيها مغتبطاً حالةً أنا في مكروهها وألَمِها أشدَّ عليّ من أني فزِعت إلى ناصري عند ظلمٍ لَحِقني، فوجدتُ من يظلِمني أخفَّ نيّة في ظُلْمي منه، وأحْمَدُ الله كثيراً. ثم كتب في أسفلها:

[٥٧/١٠] / وكنتَ أخي بإخاء الزمانِ فلما نَبا صرتَ حَرْباً عَوانا
وكنتُ أذمُّ إليك الزمانَ فأصبحتُ فيك أذُمُّ الزمانا
وكنتُ أُعِدُّك للنائبات فأصبحتُ أطلب منك الأمانا

هجا محمد بن عبدالملك وكان قد أغرى به الواثق:

أخبرني الصُّوليّ قال أخبرني الحسين بن فَهْم قال:

كان محمد بن عبد الملك قد أغرَى الواثقَ بإبراهيم بنِ العبّاس، وكان إبراهيم يُعاتبه على ذلك ويُداريه، ثم وقف الواثق على تحامُله عليه فرفَع يدَه عنه وأمر أن يُقبل منه ما رفعه، وردّه إلى الحَضْرة مَصُوناً. فلما أحسَّ إبراهيمُ بذلك بَسط لسانَه في محمد، وحسُن ما بينه وبين[1] ابن أبي دُوَاد. وهجا محمدَ بن عبدالملك هِجاءً كثيراً؛ منه قوله:

قدَرتَ فلم تَضْرُرْ عدوّاً بقدرةٍ وسُمْتَ بها إخوانَك الذُّلَّ والرَّغْما
وكنتَ مليئاً بالتي قد يَعافها من الناس من يأبى الدَّنيئةَ والذَّما

تمادح هو وأبو تمام:

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثنا ابن السَّخِيّ قال حدّثني الحسين بن عبدالله قال:

سمِعتُ إبراهيم بن العبّاس حدّثنا يقول لأبي تَمّام الطائي وقد أنشده شعراً له في المعتصِم: يا أبا تَمّام، أمراءُ الكلام رعيّةٌ لإحسانك. فقال له أبو تَمّام: ذلك لأني أستضيء بك وأرِدُ شريعتَك.

اعتذر له إبراهيم بن المدبر عن أخيه فقال شعراً:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال سمعت إبراهيم بن المُدَبّر يقول:

جرى بين إبراهيم / بنِ العبّاس وبين أخي أحمد بن المدبّر شيء، وكان يَوَدُّني دون أخي؛ فَلَقِيتُه فاعتذرت [٢٩/٩] إليه عنه؛ فقال لي: يا أبا إسحاق:

(١) يعني بهذا أن محمد بن عبدالملك كان يعادي أحمد بن أبي دواد يهجوه. (انظر خبر ذلك مفصلاً في ج ٢٠ ص ٥١ من «الأغاني» طبع بلاق).

[١٠/٥٨] / صوت

خَـلِّ النِّفـاق لأهلـه ... وعليـكَ فـالْتمِسَ الطَّريقـا
واذهـب بنفسـك أن تُـرى ... إلاّ عـدوّاً أو صـديقـا

الغناء لأبي العُبَيْس.

احتال على المتوكل لينجي بعض عماله من العقوبة:

أخبرني الصُّولِيّ قال حدّثني القاسم بن إسماعيل قال:

اِنصرف إبراهيم بن العبّاس يوماً من دار المتوكِّل فقال لنا: أنا والله مسرورٌ بشيء مغمومٌ منه. فقلنا له: وما ذاك أعزّك الله؟ قال: كان أحمد بن المُدَبِّر رفَع إلى أمير المؤمنين أن بعض عُمّالي اقتطع مالاً، وصدَق في الذي قاله، وكنتُ قد رأيت هلال الشهر ونحن مع أمير المؤمنين على وجهه فدعوتُ له، وضحِك إليَّ فقال لي: إن أحمد قد رَفَع على عاملك كذا وكذا فاَصدُقْني عنه؛ فضاقت عليّ الحُجّة، وخِفتُ أن أحقّق قولَه إن اعترفت، ثم لا أرجع منه إلى شيء فيعود عليّ الغُرْم، فعدَلْت عن الحُجَّة إلى الحيلة فقلت: أنا في هذا يا أمير المؤمنين كما قلتُ فيك:

صوت

رَدّ قـولـي وصـدّق الأقـوالا ... وأطـاع الـوُشـاةَ والعُـذّالا
أتُـراه يكـون شهـرَ صـدودٍ ... وعلـى وجهـه رأيـتُ الهـلالا

قال: لا يكون والله ذلك بحياتي يا إبراهيم! رَوِّ هذا الشعرَ بَنَاناً حتى يُغَنِّيني فيه. فقلت: نعم يا سيّدي على ألاّ يُطالَبَ صاحبي بقول أحمد. فقال للوزير: تقبّل قولَ صاحبه في المال. فسُررتُ بالظَّفَر، واغتممتُ لبُطلان هذا المال وذَهابه بمثل هذه الحيلة، ولعله قد جُمع في زمن طويل وتعبٍ شديد.

[١٠/٥٩] / **سرق ابن دريد وابن الرومي شعره:**

أنشدتُ عمّي رحمه الله أبياتاً لابن دُرَيد يمدح رجلاً من أهل البصرة:

يـا مـن يُقَبِّـل كـفَّ كـلّ مَخـرّقٍ ... هـذا ابـنُ يحيـى ليـس بـالمِخْـراقِ
قَبِّـلْ أنـامـلَـه فلـسـن أنـامـلا ... لكنّهـنّ مَفَـاتـحُ الأرزاقِ

فقال: يا بُنَيَّ هذا سرقَه هو وابنُ الرُّوميّ جميعاً من إبراهيم بن العبّاس؛ قال إبراهيم بن العبّاس يمدح الفضلَ بنَ سَهْل:

لفضـلِ بـن سهـلٍ يـدٌ ... تَقَـاصَـر عنهـا الأمـلْ
فبـاطِنُهـا للنّـدَى ... وظـاهـرُهـا للقُبَـلْ
وبَسْطتُهـا للغِنـى ... وسطـوتُهـا لـلأجـلْ

وسرقه ابن الرُّوميّ فقال:

أصبحـتُ بيـن خَصاصـةٍ ومَـذَلّـةٍ ... والحُـرُّ بينهمـا يمـوت هَـزِيـلاَ
فـأمـدُدْ إلـيَّ يـداً تعـوَّد بطنُهـا ... بَـذْلَ النَّـدَى وظهـورُهـا التَّقبيـلا

قال ثعلب إنه كان أشعر المحدثين:

أخبرني الصُّولِيّ قال سمعتُ أحمدَ بن يحيى ثَعْلباً يقول:

كان إبراهيم بن العبّاس أشعرَ / المُحَدثين. قال: وما روى ثعلبٌ شعرَ كاتبٍ قطُّ قال: وكان يَستحسنُ كثيراً ٣٠/٩ قولَه:

لنـا إبـلٌ كُـومٌ[١] يَضِيـق بهـا الفَضـا ... ويَفتـرُّ عنهـا أرضُهـا وسمـاؤُهـا
فمن دونـها أن تُستبـاح دمـاؤُنـا ... ومـن دونـنـا أن تُستبـاح دمـاؤهـا
حِمـى وقِـرًى فـالمـوتُ دون مَـرامِهـا ... وأيسـرُ خطـبٍ يـوم حَـقٍّ فنـاؤُهـا

ثم قال: والله لو كان هذا لبعض الأوائل لاستُجيد له.

[١٠/٦٠]

/ مدح الحسن بن سهل:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال سمعتُ الحسن بن رَجَاء يقول:

كنّا بفَمِ[٢] الصُّلْح أيامَ بَنَى المأمونُ ببُورانَ بنتِ الحسن بن سَهْل؛ فقدِم إبراهيم بن العبّاس علينا ودخل إلى الحسن بن سَهْل فأنشده:

لِيَهنِئْـكَ أصهـارٌ أذَلَّـتْ بعـزِّهـا ... خُـدوداً وجـدَّعـتَ الأنـوفَ الـرَّواغمـا
جمعـتَ بهـا الشمْلَيْـنِ مـن آل هـاشـمٍ ... وحُـزتَ بهـا لـلأكـرمِيـنَ الأكـارمـا
بَنُـوك غَـدَوْا آلَ النبـيّ ووارثـو الـ ... ـخـلافـةِ والحـاوُون كِسْـرَى وهـاشـمـاً

فقال له الحسن: «شِنْشِنَةَ أعرِفها[٣] من أَخْزَم» أي إنّك لم تزل تمدحنا، ثم قال له: أحسَنَ الله عنّا جزاءك يا أبا إسحاق؛ فما الكثير من فِعلنا بك بجزاءٍ لليسير من حقّك.

قال شعراً في قَينة اسمها «سامر» كان يهواها فغضبت عليه:

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبدالله بن أبي سَعْد قال:

أنشدني إبراهيم بن العبّاس لنفسه في قَيْنة أسمها سامِر كان يهواها فغضبتْ عليه:

وعلّمتِنـي كيـف الهـوى وجَهِلتِـه ... وعلّمكـم صبـري علـى ظُلمكـم ظُلْمـي
وأعلـم مـا لـي عنـدكـم فيـردّنـي ... هـوايَ إلـى جهـل فـأقصِـر عـن عِلْمـي

(١) الكوم: الإبل الضخمة العظيمة السنام، الواحد أكوم والأنثى كوماء.
(٢) فم الصلح: نهر كبير فوق واسط عليه عدة قرى وفيه كانت دار الحسن بن سهل. («معجم البلدان» لياقوت).
(٣) هذا مثل، قاله أبو أخزم الطائي وكان له ابن يقال له أخزم؛ قيل: كان عاقاً فمات وترك بنين، فوثبوا يوماً على جدهم فأدموه، فقال:
إن بنـي ضـرّجـونـي بـالـدم ... شنشنـة أعـرفهـا مـن أخـزم
* من يلق آساد الرجال يكلم *

شعره في قصر الليل:

أخبرني الصُّوليّ قال:

سمعتُ عُبَيْدالله بن عبدالله بن طاهر يقول: لا يُعْلَمُ لقديمٍ ولا لمُحْدَثٍ في قِصَر اللَّيل أحسن من قول إبراهيم بن العبّاس:

[١٠/٦١] / وليلةٍ من اللَّيالي الزُّهْرِ ... قابلتُ فيها بدرَها ببدرِ

لم تكُ غيرَ شَفَقٍ وفجرِ[1] ... حتى تولَّتْ وهي بِكْرُ الدَّهرِ

تنكر له ابن الزيات لصلته بابن أبي دواد فاعتذر له بشعر:

أخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عمّار قال: حدّثني أحمد بن بِشْر المَرْثَدِيّ قال: كان إبراهيم بن العبّاس يوماً عند أحمد بن أبي دُوَاد، فلمّا خرج من عنده لَقِيَه محمد بنُ عبدالملك الزيّات وهو خارج من داره؛ فتبيّن إبراهيمُ في وجه محمدِ الغضبَ فلم يخاطبه في العاجل بشيء. فلما انصرف إلى منزله كتب إليه.

دَعْنِي أُواصِلُ مَنْ قطعْـ ... ـتَ يراكَ بي إذ لا يَراكا

إنّي متى أهجُرْ لهجـ ... ـرك لا أضرّ به سواكا

وإذا قطعتُك في أخيـ ... ـك قطعتُ فيك غداً أخاكا

حتى أرى مُتَقَسَّماً ... يومِي لذا وغَدِي لذاكا

مسح المداد بكم ثوبه وشعره في ذلك:

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني أبو العَيْناء قال:

كنت عند إبراهيم بن العبّاس وهو يكتب كتاباً، فنقَّط من القلم نقطةً مُفسِدةً فمَسحها بكمّه؛ فتعجَّبتُ من ذلك؛ فقال: لا تَعْجَبْ، المال / فرع والقلم أصل، ومن هذا السَّواد جاءت هذه الثياب، والأصل أحوج إلى المُراعاة من الفرع. ثم فكّر قليلاً وقال:

[٣١/٩]

إذا ما الفكرُ ولَّد حُسْنَ لفظ ... وأسلَمه الوجودُ إلى العِيانِ

ووشّاه فنَمْنَمَه مُسِدٌّ[2] ... فصيحٌ في المقال بلا لسانِ

ترى حُلَلَ البيانِ مُنَشَّراتٍ ... تجلَّى بينها صُوَرُ المعاني

[١٠/٦٢] **اتهمه المأمون بإفشاء سر مقتل الفضل بن سهل ثم عفا عنه بشفاعة هشام الخطيب:**

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن صالح بن النطّاح قال:

---

(١) في ب وس: «وبدر».

(٢) مسد: مصيب السداد.

لمّا عزَم[1] المأمون على الفتك بالفَضْل بن سَهْل، وندَب له عبدَالعزيز بن عمران الطائيّ، ومُؤْنساً البِصْريّ، وخَلَفاً المِصْريّ، وعليّ بن أبي سَعْد ذا القلمين، وسِراجاً الخادم، نُمِيَ الخبرُ إلى الفضل، فأظهره للمأمون وعاتبه عليه. فلمّا قُتِل الفضلُ وقتَل المأمون قَتَلَتَه، سأل من أين سَقط الخبر إلى الفضل؟ فعُرِّف أنه من جهة إبراهيم بن العبّاس، فطلبه فٱستتر. وكان إبراهيم عرَف هذا الخبرَ من جهة عبدالعزيز بن عِمران، وكان الفضل ٱستكتب إبراهيمَ لعبدالعزيز بن عِمران، فأخبر به الفضلَ. قال: وتحمَّل إبراهيمُ بالناس على المأمون، وجرَّد في أمره هشاماً الخطيبَ المعروف بالعبّاسيّ وكان جريئاً على المأمون لأنه ربّاه، وشخَص إليه إلى خُراسان في فتنة إبراهيم بن المهديّ، فلم يُجِبه المأمون إلى ما سأل. فلقِيَه إبراهيم مستتراً وسأله عمّا عمِل في حاجته. فقال له هشام: قد وعَدني في أمرك بما تُحِبّ. فقال له إبراهيم: أظنّ أن الأمر على غير هذا! قال: وما تظنّ؟ قال: محلُّك عند أمير المؤمنين أجلُّ من أن يَعِدَك شيئاً فترضَى بتأخيره، وهو أكرم من أن يَعِد مثلَك شيئاً فيؤخِّرَه، ولكنك سمعتَ ما لا تحبّ فيَّ فكرِهت أن تغُمَّني به فقلت لي هذا القول، وأحْسَنَ الله على كل الأحوال جزاءك، فمضى هشام إلى المأمون فعرَّفه خبرَ إبراهيم، فعجِب من فِطْنته وعفا عنه. قال: وفي هشام يقول إبراهيم بن العبّاس:

مَـنْ كـانـت الأمـوال ذُخـراً لـه ... فـإنّ ذُخـري أمَلـي فـي هشـام
فتًـى يقِـي الـلاّمـةَ عـن عِـرْضِـه ... وأنهـبَ المـالَ قضـاءَ الـذِّمـام

/ مدح الفضل بن سهل:

[١٠/٦٣]

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو الحسين بن أبي البَغْل قال:

دخل إبراهيم بن العبّاس على الفَضْل بن سَهْل فٱستأذنه في الإنشاد، فقال هاتِ، فأنشده:

يُمضِـي الأمـورَ علـى بـديهتـه ... وتُـريـه فكـرتُـه عـواقبَهـا
فيظَـلُّ يُصـدِرُهـا ويُـورِدُهـا ... فَيعُـمُّ حـاضِـرَهـا وغـائبَهـا
وإذا ألمَّـت صَعْبَـةٌ عظُمـت ... فيهـا الـرزيّـةُ كـان صـاحبَهـا
المستقِـلّ بهـا وقـد رَسَبَـت ... ولـوت علـى الأيـام جـانبَهـا
وعـدَلْتَهـا بـالحـقّ فـٱعتـدلَـت ... ووسِعـت راغبَهـا وراهبَهـا
وإذا الحـروبُ غَلَـت بعثـتَ لهـا ... رأيـاً تَفُـلُّ بـه كتـائبَهـا
رأيـاً إذا نَبَـتِ السيـوفُ مضـى ... عـزمٌ بهـا فشفَـى مَضـاربَهـا
أجْـرى إلـى فئـة بـدولتهـا ... وأقـام فـي أخـرى نَـوادبَهـا
/ وإذا الخطـوبُ تـأثّلـت ورَسَـت ... هـدَّت فـواصلُـه نـوائبَهـا
وإذا جـرت بضميـره يَـدُه ... أبـدت بـه الـدّنيـا مناقبَهـا

٣٢/٩

وأنشدني عمّي لإبراهيم بن العبّاس في الفَضْل بن سهل وفيه غِناء:

(١) راجع الطبري في هذه القصة (ق ٣ ص ١٠٢٥ ـ ١٠٢٨) ففيها اختلاف عما هنا.

صوت

فلـو كـان للشكـر شخـصٌ يَبِيـن ... إذا مـا تـأمَّلـه النَّـاظـرُ
لمثَّلْتُـه لـك حتـى تَـراه ... فتعلـم أنـي أمـرؤ شـاكـرُ

الغناء لأبي العُبَيْس ثقيل أوّل. وفيه لرَذَاذ ثاني ثقيل. حدّثني أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النُّوبَخْتيّ قال حدّثني جماعة من عُمومتي وأهلِنا أن رَذَاذاً صنع في هذين البيتين لحناً أُعجب به الناسُ وآستحسنوه، فلما كثُر ذلك صنع فيه أبو العُبَيْس لحناً آخر، فسقَط لحنُ رذاذ وآختار الناس لحنَ أبي العُبَيْس.

[١٠/٦٤] / مدح المتوكل وولاة العهود فأجازوه:

أخبرني حَنْظلة قال حدّثني ميمون بن هارون قال:

لمّا عَقَد المتوكّلُ لولاة العهود من وَلَده ركِب بسُرَّ مَنْ رأى رَكْبَةً لم يُر أحسنُ منها، وركب ولاةُ العهود بين يديه، والأتراكُ بين أيديهم أولادُهم يمشون بين يدَيِ المتوكّل بمناطق الذهب، في أيديهم الطَّبَرْزِينَاتُ[١] المُحَلاَّة بالذّهب، ثم نزل في الماء فجلس فيه والجيش معه في الجوانحيّات[٢] وسائر السفن، وجاء حتى نزل في القصر الذي يقال له العَرُوس، وأذِن للناس فدخلوا إليه. فلما تكاملوا بين يديه، مَثَل إبراهيم بن العبّاس بين الصفّين، فآستأذن في الإنشاد فأذِن له، فقال:

ولمّـا بـدا جعفـرٌ فـي الخميـ ... ـس بيـن المطـلّ[٣] وبيـن العَـروس
بـدا لابسـاً بهمـا حُلَّـةً ... أُزيلـتْ بهـا طـالعـاتُ النُّحـوس
ولمّـا بـدا بيـن أحبـابـه ... وُلاةِ العهـود وعـزِّ النفـوس
غـدا قمـراً بيـن أقمـاره ... وشمسـاً مُكلَّلـةً بـالشمـوس
لإيقـاد نـارٍ وإطفـائهـا ... ويـومِ أنيـقٍ ويـومٍ عَبـوس

ثم أقبل على ولاة العهود فقال:

أضحـتْ عُـرَى الإسـلام وهـي منـوطـةٌ ... بـالنّصـر والإعـزاز والتـأييـدِ
بخليفـةٍ مـن هـاشـمٍ وثـلاثـةٍ ... كَنَفـوا الخـلافـةَ مـن وُلاة عهـود
قمـرٌ تـوافـتْ حـولَـه أقمـارُه ... فحففْـن مطلـعَ سعـده بسعـود
رفَعتهـمُ الأيـامُ وآرتفعـوا بـه ... فسَعَـوْا بـأكـرمِ أنفُـسٍ وجـدود

قال: فأمَر له المتوكّل بمائة ألف دِرهم، وأمر له وُلاةُ العهود بمثلها.

---

(١) الطبرزين: آلة من السلاح تشبه الطبر (الفأس) أو هو الطبر بعينه. وهذا أصح لأن أصل معناه الطبر المعلق في السرج. فالفرس كان من عادتهم أن يعلقوا الطبر في السروج. (كتاب «الألفاظ الفارسية المعربة»).
(٢) الجوانحيات: نوع من السفن كما هو ظاهر من السياق.
(٣) المطل: اسم مكان أو قصر، كما هو ظاهر من السياق. ولم نقف عليه فيما بين أيدينا من معجمات البلدان.

/ فضل ابن برد الخيار شعره على شعر محمد بن عبدالملك الزيات: [١٠/٦٥]

أخبرني عمّي قال: اجتمعت أنا وهارون بن محمد بن عبدالملك وأبن برد الخيار في مجلس عبيدالله بن سليمان قبل وِزارته، فجعل هارون يُنشد من أشعار أبيه محاسنها، ويفضلها ويقدّمها. فقال له أبن برد الخيار: إن كان لأبيك مثلُ قول إبراهيم بن العبّاس:

أســـدٌ ضـــارٍ إذا هيّجتَـــه ... وأبٌ بَـــرٌّ إذا مـــا قَـــدَرا

/ يعـــرِفُ الأبعـــدَ إن أثْـــرَى ولا ... يعـــرِفُ الأدنـــى إذا أفتقـــرا [٣٣/٩]

أو مثلُ قوله:

تلِــجُ السنــون بيــوتَهــم وتَــرى لهــم ... عــن جــار بيتهــم أزورارَ مَنــاكِــب

وتــراهُــم بسيــوفهــم وشِفــارهــم ... مُتَشــرِفيــن لــراغــبٍ أو راهــب

حــامِيــن أو قــارِيــن حيــث لقِيتَهــم ... نَهْــبَ العُفــاة ونُهْــزَةَ للــرّاغــب

فأذكُره وأفخَرْ به، وإلاّ فأقْلِلْ من الافتخار والتّطاول بما لا طائل فيه؛ فخجِل هارون. وقال عبيدالله بن سليمان: لَعَمْري ما في الكُتّاب أشعر من أبي إسحاق وأبي عليّ، (يعني عمّه الحسن بن وَهْب) ثم أمر بعضَ كُتّابه بكَتْب المقطوعتين اللتين أنشدهما أبن برد الخيار.

هنأ الحسن بن سهل بصهر المأمون:

أنشدني عليّ بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العبّاس يُهنِّىء الحسن بن سهل بصِهْر المأمون:

هَنَتْــكَ أكــرومــةٌ جُلِّلْــتَ نعمتَهــا ... أعلــتْ وليَّــك وأجتثَّــتْ أعــاديكــا

مــا كــان يحيــا[١] بهــا إلا الإمــامُ ومــا ... كــانــت إذا قُــرنــت بــالحــقّ تعــدوكــا

هجا محمد بن عبدالملك الزيات:

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن داود بن الجَرّاح قال حدّثني أبو محمد الحسن بن مَخْلَد قال:

/ أودعَ محمد بن عبدالملك الزيّات مالاً عظيماً وجوهراً نفيساً، وقد رأى تغيُّراً من الواثق فخافه وفرّق ذلك [١٠/٦٦] في ثِقاته من أهل الكَرْخ ومُعامِليه من التّجار. وكان إبراهيم بن العبّاس يُعاديه ويَرْصُد له بالمكاره لإساءته إليه، فقال أبياتاً وأشاعها حتى بلغت الواثقَ يُغريه به:

نصيحــــةٌ شــــأنهــــا وزيــــرُ ... مُستَحْفَــــظٌ ســــارقٌ مُغِيــــرُ

ودائــــعٌ جَمَّــــةٌ عِظَــــام ... قــد أسْبِلَــت دونهــا السُّتــور

تسعــــةُ آلافِ ألــــفِ ألــــفٍ ... خِــلالَهــا جــوهــرٌ خطيــر

بجــانــب الكَــرْخ عنــد قــومٍ ... أنــت بمــا عنــدهــم خبيــر

والمَلِــكُ اليــوم فــي أمــور ... تَحْــدُثُ مــن بعــدهــا أمــور

(١) كذا في جميع الأصول ولعلها «يحيو».

قـــــد شَغَلتـــــــه مُحَقَّـــــــراتٌ وصــــاحـــبُ الكَــــارَةِ[1] الـــوزيـــر

مدح المعتز بشعر:

أنشدني عليّ بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العبّاس يمدح المعتزّ وفيه غناء:

صوت

سَحُـــورُ مَحَـــاجِـــرِ الحَـــدَقـــة مليـــــحُ والـــــذي خَلَقَـــــة
سَـــواءٌ فـــي رِعـــايتـــه مُجَـــانبُـــه ومَـــنْ عَشِقَـــة
لعينـــي فـــي محـــاسنـــه ريـــاضُ محـــاســـنِ أنِقَـــة
فـــأحيـــانـــاً أُنـــزِّههـــا وطـــوراً فـــي دمٍ غَـــرِقـــة

يقول فيها في مدح المعتزّ بالله:

فيـــا قمـــراً أضـــاء لنـــا يُـــلألِـــىء نـــورُه أفُقَـــة
يُشَبِّهُـــه سنـــا المعتـــزِّ ذو مِقَـــةٍ إذا رَمَقَـــة
أميـــرٌ قلَّـــد الـــرحمـــنُ أمـــرَ عبـــاده عُنُقَـــة
/ وفضَّلـــه وطيَّبـــه وطَهـــر فـــي الـــورى خُلُقَـــة

[٦٧/١٠]
٣٤
٩

في الأربعة الأبيات الأوَل رَمَلٌ ذكر الهِشاميّ أنه لابن القَصّار، ووجدتُه في بعض الكتب لَعريب.

هنأه أحمد بن المدبر وكان يحرّض عليه فقال شعراً:

أنشدني الأخفَش لإبراهيم بن العبّاس يقولها لأحمد بن المُدَبّر وقد جاءه بعد خلاصة من النكبة مهنِّئاً، وكان أستعان به في أمر نكبته فقعد عنه، وبلغه أنه كان يحرّض عليه أبن الزيّات:

وكنـــتَ أخـــي بـــالـــدّهـــر حتـــى إذا نَبـــا نَبَـــوْتَ فلمّـــا عـــاد عُـــدْتَ مـــع الـــدّهـــر
فـــلا يـــومَ إقبـــال عَـــدَدْتُـــك طـــائـــلاً ولا يـــومَ إدبـــارٍ عـــددتُـــك فـــي وِتْـــر
ومـــا كنـــتَ إلاّ مثـــلَ أحـــلام نـــائـــم كِـــلاَ حـــالتَيْـــكَ مـــن وفـــاءٍ ومـــن غَـــدْر

عاتبه ابن المدبر فقال شعراً:

وأنشدني الصّوليّ له في أحمد بن المدبر أيضاً وقد عاتبه أحمد بن المدبّر على شيء بلغه فقال:

هَـــبِ الـــزّمـــانَ رمـــانـــي الشـــأنُ فـــي الخُـــلاّن
فيمَـــنْ رمـــانـــيَ لمّـــا رأى الـــزمـــانَ رمـــانـــي
ومَـــنْ ذَخَـــرتُ لنفســـي فصـــار ذُخـــرَ الـــزمـــان
لـــو قيـــل لـــي خُـــذْ أمـــانـــاً مـــن أعظـــم الحَـــدَثـــان

(١) الكارة: ما يجمع ويشد، ويعني بها السرة التي فيها المال.

لَمّـــا أخــــذتُ أمـــانـــاً إلاّ مـــــن الإخـــــوان

ومن أخبار المُعْتَضِد بالله الجاريةِ مَجْرى هذا الكتاب.

المعتضد وغلامه بدر:

حدّثني عمّي عن جَدّي رحمهما الله قال قال لي عُبَيْدالله بن سليمان، وكان يأنَس بي أُنساً شديداً لقديم الصُّحبة وأئتلاف المَنْشأ: دعاني المعتضد يوماً فقال:

/ ألاَ تُعاتب بدراً[1] على ما لا يزال يستعمله من التخرّق في النَّفقات والإثابات والزيادات والصِّلات! [١٠/٦٨] وجعل يؤكِّد القول عليّ في ذلك؛ فلم أخرج عن حضرته حتى دخل إليه بدر فجعل يَستأمره في إطلاقات مُسرِفةٍ ونفقات واسعة وصِلات سنيّة وهو يأذن له في ذلك كلِّه. فلما خرج رأى في وجهي إنكاراً لما فعله بعدما جرى بيني وبينه؛ فقال لي: يا عُبيدالله قد عَرفتُ ما في نفسك، وأنا وإيّاه كما قال الشاعر:

صـوت

فــي وجهــه شــافــعٌ يمحــو إســاءتــه مــن القلــوب مطــاعٌ حيثمــا شَفَعَــا

مُسْتَقبَــلٌ الــذي يَهْــوَى وإن كثُــرت منــه الإســاءةُ مغفــورٌ لمــا صَنَعَــا

وفي هذين البيتين خفيفُ رَمَلٍ.

كان المعتضد يطرب لغناء ابن العلاء في شعر الوليد بن يزيد:

حدّثني محمد بن إبراهيم قُرَيْض قال حدّثني أحمد بن العَلاَء قال:

غنَّيتُ المُعْتَضِدَ:

كـــلُّـــلانـــي تـــوِّجـــانـــي وبـــشـــعـــري غـــنِّـــيـــانـــي[2]

أطـــلِـــقـــانـــي مـــن وَثـــاقـــي وأشـــدُدانـــي بـــعـــنـــانـــي

فأستحسنه جدّاً، ثم قال لي: ويحك يا أحمد! أمَا ترى زَهْوَ المُلك في شعره وقوله:

كـــلِّـــلانـــي تـــوِّجـــانـــي وبـــشـــعـــري غـــنِّـــيـــانـــي

وأستعاده مِراراً، ثم وصَلَني كلَّ مرّة أستعاده بعشرة آلاف دِرهم، وما وصل بها مغنّياً قبلي / ولا بعدي. ٣٥/٩ قال: وأستعاده منّي ستَّ مرّاتٍ ووهب لي ستّينَ ألفاً، وقال النُّوشجانيّ: بل وصَله بعشرة آلاف درهم مرّةً واحدة.

(١) كان بدر هذا غلام المعتضد، ولاه الشرطة يوم ولي الخلافة، ثم ولاه بعد ذلك فارس. (انظر «تاريخ ابن الأثير» ص ٣١٧، ٣٢٨، ٣٣٢، ٣٣٥ جـ ٧). قتله المكتفي سنة ٢٨٩ لأنه أبى أن يبايعه. (انظر سبب مقتله بإسهاب في «تاريخ الطبري» ق ٣ ص ٢٢٠٩ ـ ٢٢١٦).

(٢) هذا من شعر الوليد بن يزيد (انظر ج ٧ ص ٩٣ من هذه الطبعة).

[١٠/٦٩]

/ صنعة أولاد الخلفاء الذُّكور منهم والإناث

فأوّلُهم وأتقنهم صنعةً وأشهرهم ذِكراً في الغِناء إبراهيم بن المهديّ؛ فإنه كان يتحقّق[١] به تحقُّقاً شديداً ويبتذِل نفسَه ولا يستتر منه ولا يُحاشي أحداً. وكان في أوّل أمره لا يفعل ذلك إلّا من وراء سِتر وعلى حال تصوُّنٍ عنه وترَفع، إلا أن يدعوَه إليه الرّشيد في خَلْوة والأمينُ بعدَه. فلمّا أمّنه المأمون تَهتّك بالغِناء وشُرْبِ النّبيذ بحضرته والخروج من عنده ثَمِلاً ومع المغنّين، خوفاً منه وإظهاراً له أنه قد خلع رِبْقَةَ الخلافة من عُنُقه وهتك سِتْرَه فيها حتى صار لا يصلُح لها. وكان من أعلم الناس بالنَّغَم والوَتَر والإيقاعات وأطبعِهم في الغِناء وأحسنِهم صوتاً. وهو من المعدودين في طِيبِ الصّوت خاصّةً؛ فإنّ المعدودين منهم في الدولة العبّاسية: ابن جامع وعمرو بن أبي الكَنّات وإبراهيم ابن المهديّ ومُخارق. وهؤلاء من الطبقة الأولى، وإن كان بعضهم يتقدّم. وكان إبراهيم مع علمه وطبعه مُقَصِّراً عن أداء الغِناء القديم وعن أن ينحوَه في صنعته، فكان يَحذِف نَغَم الأغاني الكثيرةَ العمل حذفاً شديداً ويُخفِّفها على قَدْر ما يَصلُح[٢] له ويَفِي بأدائه. فإذا عِيبَ ذلك عليه قال: أنا مَلِكٌ وابن ملك، أُغنّي كما أشتهي وعلى ما ألتذّ. فهو أوّل من أفسد الغِناء القديمَ، وجعل للناس طريقاً إلى الجَسارة على تغييره. فالناس إلى الآنَ صِنفان: من كان منهم على مذهب إسحاق وأصحابه ممّن كان يُنكر تغييرَ الغِناء القديم ويُعْظِم الإقدام عليه ويَعيب مَنْ فعله، فهو يُغنّي الغِناء القديمَ على جهته أو قريباً منها. ومن أخذ بمذهَب إبراهيم بن المهديّ أو اقتدى به مثل مُخارق وشارِيةَ وريِّق ومن أخذ عن هؤلاء إنما يغنّي الغِناء القديم كما/ يشتهي هؤلاء لا كما غنّاه من يُنْسَب إليه، [١٠/٧٠] ويجد على ذلك مساعدين ممّن يشتهي أن يَقْرُبَ عليه مأخذُ الغِناء ويكره ما ثقَل وثقُلت أدواره، ويستطيل الزمانَ في أخذ الغِناء الجيّد على جهته بِقِصَر معرفته. وهذا إذا اطّرد فإنّما الصنعة لمن غنّى في هذا الوقت لا للمتقدّمين؛ لأنهم إذا غيّروا ما أخذوه كما يرَوْن وقد غيّره مَنْ أخذوه عنه وأخذ ذلك أيضاً عمّن غيّره، حتى يَمضي على هذا خمسُ طبقات أو نحوُها. لم[٣] يتأدّ إلى الناس في عصرنا هذا من جهة الطبقة غِناء قديم على الحقيقة البتّة. وممن أفسد هذا الجنسَ خاصّةً بنو حَمْدون بن إسماعيل فإن أصلهم فيه مُخارق، وما نفع الله أحداً قطّ بما أخذ عنه، وزِريابُ الواثقيّة فإنها كانت بهذه الصورة تُغَيِّر الغِناء كما تريد، وجواري شارية وريِّق. فهذه الطبقة على ما ذكرتُ. ومَنْ عداهم من الدُّورِ بمثل[٤] دُورِ غريب ودُور جواريها والقاسم بن زُرْزُور وولده ودُورِ بَذْل الكبرى ومن أخذ عنها، وجواري البرامكة وآل هاشم وآل يحيى بن مُعاذ ودُورِ آل الرَّبيع ومن جرى مجراهم ممّن[٥] تمسّك بالغِناء القديم وحمله كما سمعه، فعسى أن يكون قد بقي ممّن أخذ بذلك المذهب قليلٌ من كثير، وعلى[٦] أن / الجميع من ٣٦/٩

(١) كذا في الأصول. ولعلها «يتحفى به تحفيا... إلخ».
(٢) في الأصول: «ما أصلح له» وهو تحريف.
(٣) في الأصول: «فلم».
(٤) لعله: «مثل».
(٥) لعله: «فقد».
(٦) لعله: «على».

الصحيح والمُغَيَّر قد أنقضى في عصرنا هذا.

فمن مشهور غِناء إبراهيم بن المهديّ:

صـوت

هـل تَطلِمسـون مـن السمـاء نجـومَها ... بـأكُفُكـم أو تَسْتُـرون هـلالَهـا

أو تـدفعـون مقـالـةً مـن ربِّكـم ... جِبـريـلُ بلَّغهـا النبـيَّ فقـالهـا

طـرقَتْـك زائـرةً فحـيِّ خيـالهـا ... زهـراءُ تخلِـط بـالـدَّلال جمـالهـا

الشعر لمروان بن أبي حَفْصة. والغِناء لإبراهيم بن المهديّ، ثقيلٌ أوّل بالبنصر، وذكر حَبَش أن فيه لآبن جامعٍ لحناً ماخوريّاً.



[١٠/٧١] # / أخبار مروان بن أبي حَفصة ونسبه

نسبه وشيء من أخبار آبائه:

هو مَرْوان بن سليمان بن يحيى بن أبي حَفْصة. ويُكنى أبا السِّمْط. واسم أبي حَفْصة يزيد. وذكر النَّوْفَليّ عن أبيه أنه كان يهوديّاً، فأسلم على يَدَيْ مَرْوانَ بنِ الحَكَم. وأهلُه يُنكرون ذلك ويذكرون أنه من سَبْي إصْطَخْر[١]، وأنّ عثمان اشتراه فوهبه لمروان بن الحكم. وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا محمد بن إدريس بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة بمثل ذلك. قال: وشهد أبو حفصة الدّارَ[٢] مع مولاه مروان بن الحكم، وقاتل قتالاً شديداً وقَتل رجلاً من أَسْلَمَ يقال له بَنَان. وجُرح مروان يومئذٍ، أصابته ضربة قطعتْ عِلْباءه[٣] فسقط، فوثب عليه أبو حفصة واحتمله، فجعل يحمله مرّة على عنقه ومرّة يجرّه، فيتأوّه؛ فيقول له: اُسكت واصْبِر؛ فإنه إن علموا أنك حيٌّ قُتِلتَ. فلم يزل به حتى أدخله دار امرأة من عَنَزة فَدَاواه فيها حتى بَرِىء؛ فأعتقه مروان ونزل له عن أمّ ولدٍ له يقال لها سُكّر كانت له منها بنت يقال لها حَفْصة؛ فحضنَها، فكُنِيَ أبا حَفْصة؛ فحفصةُ بنت مروان. قال: وكان مروان إذا وَلِيَ المدينةَ وجّه أبا حَفْصة إلى اليمامة ـ وكانت مُضَافةً إلى المدينة ـ ليجمع ما فيها من المال ويحمِله إليه. قال: فمرّ أبو حفصة بقرية من قُرَى اليمامة يقال لها العِرْض، فوقف على باب فاستسقى ماء، فخرجت إليه جارية مُعْصِرٌ[٤] فسقَتْه فأعجبته؛ فسأل عنها ليشتريها؛ فقيل له: هي حرّة، وهي مولاةٌ لبني عامر بن حنيفة. فمضى حتى قدِم حَجْراً[٥]، ثم تبِعتْها نفسُه/ فتزوّجها، فلم يخرج [١٠/٧٢] من اليمامة حتى حَمَلتْ بيحيى بن أبي حَفْصة، ثم حملتْ بمحمد ثم بعبدالله ثم بعبدالعزيز. فلما وقَعتْ فتنة ابن الزُّبَيْر خرج أبو حفصة مع مروان إلى الشأم.

قال محمد بن إدريس وحدّثني أبي قال كان مروان بن أبي الجَنُوب يقول: أمّ يحيى بن أبي حفصة لحناء[٦] بنت ميمون من ولد النابغة الجَعْدِيّ، وإنّ الشعر أتى آل أبي حفصة بذلك السبب. قال: وشهِد أبو حَفْصة مع مَرْوان يوم الجَمَل وقاتل قتالاً شديداً. فلما ظفِر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، لجأ مروانُ إلى مالك بن مِسْمَع فدخل دارَه ومعه أبو حَفْصة، فقال لمالك: أغلِقْ بابك. فقال له مالك: إن لم أَمْنَعْكَ والبابُ مفتوحٌ لم أمنعك والبابُ مُغْلَقٌ. فطلب عليّ رضي الله عنه مروانَ منه، فلم يدفعه إليه إلا برَهينة، فدفع مالكٌ الرهينةَ إلى أبي حَفْصة، ومضى مروان إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال لأبي حفصة: إن حدَث حَدَثٌ بصاحبك ٩/٣٧ /

(١) إصطخر: بلدة بفارس، وهي من أعيان حصونها ومدنها.
(٢) يريد دار عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وذلك أنه يوم هاجت الفتنة عليه لزم داره فحصروه فيها حتى قتلوه وسمي ذلك بيوم الدار.
(٣) العلباء: عصبة صفراء في صفحة العنق.
(٤) أعصرت المرأة: بلغت عصر شبابها وأدركت.
(٥) حجر: حاضرة اليمامة.
(٦) في ابن خلكان (جـ ٢ ص ١٣٣): «حيا بنت ميمون».

فعليك بالرَّهينة. فلما أتى مروانُ علياً كساه كُسْوةً، فكساها مروانُ أبا حَفْصة، فغدا فيها أبو حفصة. وبلغ علياً رضي الله عنه ذلك فغضب وقال: كسوته كُسْوةً فكساها عبداً!. وشهِد أبو حفصة مع مروان مَرْجَ[1] راهِط، وكان له بلاء. وكان أبو حفصة شاعراً.

قال أبو أحمد قال لي محمد بن إدريس أخبرني أبي أنّ أبا السِّمْط مروان بن أبي الجَنُوب أنشده لأبي حَفْصة يوم الدّار:

وما قلتُ يومَ الدّار للقوم صالِحُوا | أَجَلْ لا، ولا اخترتُ الحياةَ على القتلِ

ولكنّني قد قلتُ للقوم جالِدوا | بأسيافكم لا يُخْلَصَنَّ إلى الكهلِ

/ قال: وأنشدني لأبي حَفْصة أيضاً: [١٠/٧٣]

لستُ على الزّحام بالأصَرّ[2] | إنّي لَوَرّادٌ حِياضَ الشّرِّ

مُعاوِدٌ للكرِّ بعدَ الكرِّ

قال يحيى وأخبرني محمد بن إدريس قال:

عُكْلٌ تدّعي أنّ أبا حفصة منهم، يقولون: هو من كِنانةَ بن عَوْف بن عبد مَناةَ بن طابِخة بن إلياس بن مُضَر، وقد كانوا استَعْدَوْا عليه مروانَ بن الحَكَم، وقالوا: إنما باعته عمَّتُه لمجاعةٍ؛ فأبى هو أن يُقِرّ لهم بذلك. ثم استعدوْا عليه عبدالمَلك بن مروان أيضاً؛ فأبى إلّا أنه رجل من العجم من سَبْي فارس، نَشأ في عُكْل وهو صغير. قال محمد بن إدريس: ووَلَدُ السَّمَوْءل بن عادِياء يدَّعُونه، والسموءل من غَسّان. قال محمد: وزعم أهل اليمامة وعُكْلٌ وغيرهم أنّ ثلاثةَ نَفرٍ أتَوْا مروانَ بن الحَكَم وهم أبو حفصة ورجل من تميم ورجل من سُلَيم، فباعوا أنفسَهم منه في مجاعة نالتهم؛ فاستعدى أهلُ بيوتاتهم عليهم، فأقرّ أحدُهم وهو السُّلَميّ أنه إنما أتى مروانَ فباعه نفسَه وأنه من العرب؛ فدسَّ إليه مروانُ مَنْ قتله. فلمّا رأى ذلك الآخران ثَبَتا على أنهما مَوْلَيان لمروان. فأخبرني الحَسَن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال: زعم المدائنيّ أنه كان لأبي حفصة ابنٌ يقال له مروان سمّاه مروانُ بن الحَكم باسمه، وليس بالشّاعر، وأنه كان شجاعاً مجرّباً، وأمدّ به عبدُ الملك بن مروان الحجّاجَ وقال له: قد بعثنا إليك مولاي ابنَ أبي حفصة وهو يَعْدِل ألفَ رجل. فشهد معه محاربةَ ابن الأشْعَث، فأبْلَى بلاء حسناً وعُقِرتْ تحتَه عِدّةُ خيول، فاحتَسب بها الحجّاجُ عليه من عطائه. فشكاه إلى عبدالملك وذمَّ الحجّاجَ عنده؛ فعوّضه مكانَ ما أغرمَهَ الحجّاجُ. وكان يحيى جدّ مروان بن سليمان جواداً مُمَدَّحاً.

/ جرير يودع ابنه يحيى بن أبي حفصة: [١٠/٧٤]

أخبرنا محمد العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا أبو سعيد السُّكّريّ عن محمد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيّ قال:

أراد جرير أن يوجِّهَ ابنَه بلالَ بنَ جريرٍ إلى الشام في بعض أمره، فأتى يحيى بنَ أبي حفصة فأودعه إيّاه، ثم بلغ بلالاً أنّ بعض بني أميّة يريد الخروج، فقال لأبيه: لو كَلَّفتَ هذا القرشيَّ أمري! فقال له جرير:

(١) مرج راهط: في غوطة دمشق من ناحية الشرق، وفيه كانت الواقعة بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس داعية ابن الزبير، فقتل مروان فيها الضحاك وخلصت له الخلافة.

(٢) من الصرير يقال: صر الرجل إذا صاح صياحاً شديداً.

أزاداً سوى يحيى تريد وصاحباً ألاَ إنَّ يحيى نعم زادُ المسافرِ
/ وما تأمن الوَجْناءُ[1] وقعةَ سيفه إذا أنْفَضُوا[1] أو قلَّ ما في الغرائر

[٣٨/٩]

يحيى بن أبي حفصة يتزوّج بنت زياد بن هوذة:

أخبرني أبو الحسن الأسَديّ قال حدّثني الحسن بن عُلَيْل العَنزيّ قال:

تزوّج يحيى بن أبي حفصة بنتَ زياد بن هَوْذَةَ بن شَمّاس بن لأي بن أنْف الناقة؛ فأستعدى عليه عمّاها عبدَالملك بن مروان وقالا: أينكِح إبراهيمُ بن عَدِيّ وهو من كنانة منك وإليك بنتَها، ويَنكِح هذا العبدُ هذه!. فقال عبدالملك: بل العبد أبن العبد والله إبراهيمُ بن عديّ ـ وكان مغمور النسب في الإسلام ـ والله لهَذا أشرفُ منه، وإن لأبيه من البلاء في الإسلام ما ليس لأبيها ولا لأبيكما، وما أحِبُّ أنّ لي بيحيى ألفاً منكما. والله لو تزوّج بنتَ قيس بن عاصم ما نزعتُها منه. ومَنْ زوّجه فقد زوج آبني هذا، وأشار إلى آبنه سليمان. فخرجا وتخلّف يحيى بعدهما، فقال: يا أمير المؤمنين، إنهما قد أنْضَيا رِكابَهما وأخلقا ثيابهما والتزما مؤونة في سفرهما، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يعوّضهما عِوَضاً! فقال: أبْعَدَ ما قالا فيك!! قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: بل أعطيك أنت ما سألتَ لهما وتُعطيهما ما شئتَ. فكساه ووصَله وحمله. فخرج يحيى إليهما ففرّق ذلك عليهما، وزوّج آبنَه سليمان بنتَ أحدهما، وولدتْ بنتُ زياد منه أولاداً.

[١٠/٧٥] / **يهنىء الوليد بن عبدالملك ويعزيه:**

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفَش قال حدّثنا الفضل اليزيديّ قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال حدّثني مروان بن أبي حفصَة قال:

دخل يحيى بن أبي حفصة على الوليد بن عبدالملك لمّا بُويع له بالخلافة بعد أبيه، فهنّاه وعزّاه وأنشده:

إنّ المنايا لا تغادر واحداً يمشي ببِزّته ولا ذا جُنّة
لو كان خَلْقٌ للمنايا مُفْلِتاً كان الخليفةُ مُفْلِتاً منهنّهْ
بكتِ المنابرُ يوم مات وإنما بكت المنابرُ فَقْدَ فارِسهِنّهْ
لمّا علاهُنّ الوليدُ خليفةً قلن أبنُه ونظيرُه فسَكَنّهْ
لو غيرُه قَرَع المنابرَ بعدَه لنَكِرْنَه فطَرَحْنَه عنهنّهْ

زوج بنيه من بنات مقاتل المنقري فهجاه القلاح فرد عليه:

أخبرني أبو الحسن الأسَديّ قال حدّثنا العَنزيّ قال:

خطب يحيى بن أبي حفصة إلى مُقاتل بن طُلْبَة بن قَيْس بن عاصم المِنقَريّ ابنتَه وأُخْتَيْه، فأنعَمَ[2] له بذلك. فبعث يحيى إلى بنيه سليمان وعمر وجميل، فأتَوْه بالجَفْر[3] فزوّجهن بَنِيه ثلاثتَهم، ودخلوا بهنَّ ثم حملوهن إلى حَجْر. فقال القُلَاخُ بن حزن المِنقَريّ في ذلك:

(١) الوجناء: الناقة الشديدة. وأنفض القوم: أرملوا، وقيل هلكت أموالهم وفني زادهم.
(٢) أنعم له: أفضل وقال نعم.
(٣) جفر: علم على أسماء مواضع كثيرة. (انظر «معجم البلدان» لياقوت في الكلام عليه).

سلامٌ على أوصال قيس بن عاصم ... وإن كنّ رَمْساً في التراب بَوَالِيَا
أضيَّعتموا خيلاً عِراباً فأصبحت ... كواسدَ لا يَنْكِحن إلاّ المَوَالِيا
فلم أر أبراداً أجَرَّ لخِزْية ... وألأم مكسُوّاً وألأمَ كاسيا
من الخزِّ واللائي بحَجْرٍ عليكم ... نُشِرْنَ فكنّ المُخْزِيات البواقيا

[١٠/٧٦] / فقال يحيى يردّ عليه:

ألا قَبّح الله الفُلاحَ ونِسْوَةً ... على البئر يعطِشْنَ الكلابَ من النَّتْن
نَكَحْنا بناتِ القَرْم قيس بن عاصم ... وعمداً رغِبنا عن بنات بني حَزْن
/ أباً كان خيراً من أبيك أرومةً ... وأوسطَ في سَعْدٍ وأرجحَ في الوَزْن
٣٩/٩
لِبِنْتِ بني حَزْنٍ من الذُّلِّ وَهْنةٌ ... كوهنة بيت العنكبوت التي تَبْني
ولم تَرَ حَزْنِيّاً، ولو ضَمّ أربعاً ... وأبرز[1]، في فرج يَعِفُّ ولا بطن
وضيفُ بني حَزْنٍ يجوع وجارُهم ... إذا أمِن الجيرانُ ناءٍ من الأمن

يذكر خروج ابن المهلب:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال أنشدني محمد بن إدريس ليحيى يذكر خروجَ يزيد بن المُهَلَّب ويتأسّف على الحَجّاج:

لا يُصلِح الناسَ إلاّ السيفُ إذ فُتِنوا ... لَهْفي عليك ولا حَجّاجَ للدين
لو كان حيّاً غداةَ الأزد إذ نكثوا ... لم يُحْصِ قتلاهُمُ حسّابُ ديرين
لم تأته الأزدُ عند الباب تَرْبُصه ... مثلَ الجراد تَنَزَّى في التَّبابين[2]
من كلّ أفحج[3] ذي حَنْفٍ مُخالفةً ... أرفَتْ به السُّفْنُ عِلْجاً غير مَجْنون

قال أبو أحمد: وأنشدني ليحيى في سفيان بن عمرو وإلى اليمامة:

لقد عَصاني ابن عمرو إذ نَصَحت له ... ولو أطِعْتُ[4] لما زلّت به القَدَمُ
لو كنتُ أنفُخ في فحمٍ لقد وقَدت ... ناري ولكن رمادٍ ما له حَمَم

[١٠/٧٧] / بخل مروان بن أبي حفصة ونوادر له في ذلك:

وليحيى أشعارٌ كثيرة؛ وإنما ذكرنا ها هنا منها ما ذكرنا لنعرِف أغراقَ مروان في الشعر. وكان مروان أبخَل الناس على يَساره وكثرة ما أصابه من الخلفاء، لا سيّما من بني العبّاس، فإنه كان رَسْمُهم أن يُعطوه بكل بيت يمدحهم به ألفَ درهم.

---

(١) أبرز: اتخذ الأبريز وهو الذهب الخالص يريد باتخاذ الإبريز كثرة المال.
(٢) تربصه: تنتظره. والتبابين: جمع تبان، وهو سراويل صغير، فارسي معرب.
(٣) الأفحج: ذو الفحج، يقال رجل أفحج وأمرأة فحجاء. والفحج هو تداني صدور القدمين وتباعد العقبين. والحنف: اعوجاج الرجل إلى الداخل. وأرفت السفينة: دنت من الشط. وغير مجنون: غير مغطى، من جنه الشيء إذا ستره يريد علجاً لا شك فيه.
(٤) في الأصول: «اطقت» بالقاف وظاهر أنه مصحف عما أثبتناه.

أخبرنا أحمد بن عمّار وقال حدّثنا عليّ بن محمد النّوْفَليّ قال سمعت أبي يقول:

كان المهديّ يُعطي مروان وسَلْماً الخاسر عطيّة واحدة، وكان سَلْمٌ يأتي بابَ المهديّ على البِرْذَوْن قيمتُه عشرةُ آلاف درهم، والسَّرجِ واللجام المَقْذُوذين[١]؛ ولباسُه الخَزُّ والوَشْي وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان، ورائحةُ المسك والغالية والطِّيب تفوح منه، ويجيء مروان وعليه فَرْوُ كبشٍ، وقميصُ كَرَابيس[٢] وعمامةُ كرابيس، وخُفّاً كَبْلٍ[٣] وكساءٌ غليظٌ مُنْتِنُ الرائحة، وكان لا يأكل اللّحم بخلاً حتى يَقْرَم[٤] إليه، فإذا قَرِم أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله. فقيل له: نَراك لا تأكل إلاّ الرؤوسَ في الصّيف والشتاء، فلم تختار ذلك؟ قال: نعم! الرأس أعرف سعره، ولا يستطيع الغلام أن يغبِنَني فيه، وليس بلحم يطبُخه الغلام فيقدِر أن يأكل منه، إن مسَّ عيناً أو أذُناً أو خَدّاً وقفتُ عليه، فآكل منه ألواناً، آكل عينيه لوناً، وأذُنيه لوناً، وغَلْصَمته[٥] لوناً، وأُكفَى مؤنةَ طَبْخِه، فقد اجتمعتْ لي فيه مرافق.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال أخبرنا أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر عن أبي العَلاَء المِنْقَرِيّ قال حدّثني موسى بن يحيى قال:

أوْصَلْنا إلى مروان بن أبي حفصة في وقت من الأوقات سبعين ألف درهم، وجمع إليها مالاً حتى تمّت مائة وخمسين ألف درهم، وأودَعها يزيد بن مَزْيَد.

[٧٨/١٠] / قال: فبينا نحن عند يحيى بن خالد إذ دخل يزيد بن مَزْيَد، وكانت فيه دُعابة، فقال: يا أبا عليّ أودَعَني مروان خمسين ومائة ألف درهم وهو يشتري الخبز من البقّال. قال فغضِب يحيى ثم قال: عليَّ / بمروان، فأُتِيَ به. فقال له: أخبَرني أبو خالد لما أوْدَعتَه من المال وما تبتاعه من البقّال، والله لَما يُرى من أثر البخل عليك أضرُّ من الفقر لو كان بك.

أخبرنا يحيى قال وحدّثني عمر بن شبّة عن أبي العَلاَء المِنْقَريّ عن موسى بهذا الخبر، إلاّ أنه قال: فقال له يحيى: يا مروان، والله لا بالبُخلُ أسوَأ عليك أثراً من الفقر لو صرتَ إليه، فلا تَبْخَل.

أخبرنا يحيى قال حدّثني عمر بن شبّة قال:

بلغني أن مروان بن أبي حفصة قال ما فَرِحتُ بشيء قطّ فَرَحي بمائة ألف وهبها لي أمير المؤمنين المهديّ، فوزنْتُها فزادتْ درهماً فاشتريتُ به لحماً.

أخبرنا يحيى قال حكى أبو غسّان عن أبي عُبَيْدة عن جَهْم بن خَلَف قال:

أتينا اليمامةَ فنزلنا على مروان بن أبي حفصة، فأطعمنا تمراً، وأرسل غلامَه بفَلْس وسُكُرُّجَة[٦] ليشتري له زيتاً. فلما جاء بالزّيت قال لغلامه: خُنْتَني! قال: من فَلْس كيف أخونك! قال: أخذتَ الفَلْس لنفسك واستوهبت الزيتَ.

(١) المقذوذ: المزين المسوّى.
(٢) الكرابيس: جمع كرباس وهو هنا الثوب الخشن.
(٣) الكبل: الكثير الصوف من الفراء.
(٤) كذا في أ، حـ وقرم إلى اللحم اشتدت شهوته له. وفي «الأصول»: «يقدم» بالدال المهملة وهو تحريف.
(٥) الغلصمة: اللحم بين الرأس والعنق، وقيل رأس الحلقوم بشواربه.
(٦) السكرجة: الصحفة.

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أصحاب التَّوَّزِيّ عنه قال:

مرَّ مروان بن أبي حفصة في بعض سَفَراته وهو يريد مِنًى[١] بأمرأة من العرب فأضافته، فقال: لله عليّ إن وهب لي الأمير مائة ألف أن أهب لك درهماً، فأعطاه ستين ألف درهم، فأعطاها أربعة دَوَانق.

[٧٩/١٠] / أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دِعامة قال:

إشترى مروان لحماً بنصف درهم، فلما وضعه في القِدْر وكاد أن ينضَج، دعاه صديق له، فردَّه على القَصَّاب بنُقصان دانَق. فشكاه القصّابُ وجعل ينادي: هذا لَحْمُ مروان، وظنّ أنه يأنَف لذلك. فبلغ الرشيدَ ذلك فقال: ويلك! ما هذا! قال: أكره الإسراف.

قصة له مع أبي الشمقمق:

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دِعامة قال:

أنشِدتُ لرجل من بني بكر بن وائل في مروان:

وليس لمروانٍ على العِرْسِ غَيْرةٌ ولكنَّ مروانا يَغَار على القِدْرِ

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبو هِفّان قال حدّثني يحيى بن الجَوْن العَبْدي قال:

فرّق المهديُّ على الشعراء جوائزَ، فأعطى مروانَ ثلاثين ألفاً. فجاءه أبو الشَّمَقْمَق فقال له: أجِزْني من الجائزة. فقال له: أنا وأنتَ نأخذ ولا نُعْطِي. قال: فاسمع منّي بيتين. قال: هاتِ. فقال أبو الشَّمَقْمق:

لِحْيةُ مروان تَقِي عَنْبَراً خالَطَ مسكاً خالصاً أذْفَرا[٢]

فما يُقيمان بها ساعةً إلاّ يَعُودان جميعاً خَرَا

فأمر له بدرهمين. وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر جَحْظة عن أبي هِفّان فذكر مثل الخبر الماضي وزاد فيه. فأعطاه عشرة دراهم، فقال له خذ هذه ولا تكن روايةَ الصِّبيان.

مدح الهادي فداعبه في المعجل والمؤجل ووصله:

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثني عمّي مُصْعَب عن جدّي عبدِالله بن مصعب قال.

[٨٠/١٠] / دخل مروان بن أبي حفصة على موسى الهادي، فأنشده قولَه فيه:

تَشَابه يوماً بأسِه ونوالِه فما أحدٌ يدري لأيّهما الفضلُ

فقال له الهادي: أيّما أحبّ إليك: أثلاثون ألفاً مُعَجّلةً أم مائةُ ألف تدوّن في الدّواوين؟ فقال له: يا أمير المؤمنين أنت تُحسن ما هو خير من هذا ولكنَّك نَسِيتَه، أفتأذَن لي / أن أذَكِّرك؟ قال نعم. قال: تُعَجِّل لي الثلاثين ألفاً وتدوِّن المائة الألف[٣] في الدَّواوين. فضحك وقال: بل يعجَّلان جميعاً؛ فحُمِل المالُ إليه أجمع. ٤١/٩

(١) كذا في م. وفي ب، حـ، س: «وهو يريد مغني امرأة». وفي أ: «وهو يريد مغني بامرأة» وكلاهما تحريف.
(٢) الأذفر: الجيد من المسك.
(٣) في الأصول: المائة ألف.

مدح المهدي فلحنه اليزيدي فاعترض على سوء أدبه:

أخبرني أحمد بن عُبَيْدالله بن عمّار قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني سليمان بن جعفر قال حدّثني أحمد بن عبدالأعلى قال:

اجتمع مروان بن أبي حَفْصة وأبو محمد اليَزيديّ عند المهديّ؛ فابتدأ مروان يُنشد:

* طَرَقَتْكَ زائرةٌ فحيِّ خيالَها *

فقال اليزيديّ: لَحن والله وأنا أبو محمد. فقال له مروان: يا ضعيف الرأي أهذا لي يقال! ثم قال:

* بيضاءُ تخلِط بالجمال دلالَها *

فقال له[1] بعض من حضر: يا أمير المؤمنين أيَتكَنَّى في مجلسك! (يعني اليزيديّ) فقال: أعذِروا شيخَنا، فإن له حُرْمة.

سأله الرشيد عن الوليد بن يزيد فأجابه:

أخبرنا أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال أخبرني مروان بن أبي حَفْصة قال قال لي الرشيد: هل دخلتَ على الوليد بن يزيد؟ فقلت: نعم دخلت مع عمومتي إليه. قال: فأخبِرْني عنه. قال: / فذهبتُ أتزَحزح. فقال لي: إنّ أمير المؤمنين لا يكره ما تقول، فقل ما شئت. [٨١/١٠] فقلت: يا أمير المؤمنين، كان من أجمل الناس وأشدّهم وأشعرهم وأجودهم. دخلتُ عليه مع عُمومتي ولي لِمَّةٌ فَيْنانة، فجعل يغمِز القضيبَ فيها ويقول: ولَدَتْك سُكّر؟ - وهي أمُّ وَلَدٍ لمروان بن الحكم فوهبها[2] لجَدّي أبي حفصة فولَدتْ منه - فقلت له: نعم. قال لي الرشيد: فهل تحفظ من شعره شيئاً؟ قلت: نعم، سمعته يُنشد في خلافته وذكر هشاماً وتَحامُلَه عليه وما كان يريد من نَقْض أمره وولايته:

ليت هشاماً عاش حتى يَرَى	مِكْتَلَه[3] الأوفَر قد أُتْرِعا
كِلْنا له الصاعَ التي كالها	وما ظَلَمْناه بها أَصْوُعَا
وما أتَيْنا ذاك عن بِدْعةٍ	أحلّه الفُرْقانُ لي أجمعا

فقال الرشيد: يا غلامُ، الدواةَ والقرطاسَ، فأُتِيَ بهما، فأمر الأبيات فكُتِبت.

فضل خلف الأحمر شعراً له على شعر للأعشى:

أخبرنا أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّه قال حدّثني خَلّادٌ الأَرْقَط قال:

جاءنا مروان بن أبي حفصة إلى حَلْقة يونس، فأخذ بيد خَلَف الأحمر فأقامه، وأخذ خَلَفٌ بيدي فقمنا إلى دار أبي[4] عُمَيْر فجلسنا في الدهليز. فقال مروان لخَلَفٍ: نَشَدْتُك اللهَ يا أبا مُحْرِز إلّا نصحتني في شعري فإن

(١) كذا في الأصول ولعلها من زيادات النساخ.
(٢) كذا بـ: الأصول ولعله «وهبها».
(٣) المكتل: زبيل يعمل من الخوص يحمل فيه التمر وغيره يسع خمسة عشر صاعاً.
(٤) في جـ: «ابني عمير».

الناس يُخْدَعون في أشعارهم، وأنشده قولَه:

طـــرقتْـــك زائـــرةً فحـــيِّ خيـــالَهـــا بيضـــاءُ تخلِـــط بـــالجمـــال دلالَهـــا

فقال له: أنت أشعر من الأعشى في قوله:

* رَحَلتْ سُمَيَّةُ غُدْوةً أجْمالَها *

/ فقال له مروان: أتَبْلُغ بيَ الأعشى هكذا! ولا كُلّ ذا! قال: ويحك! إنّ الأعشى قال في قصيدته هذه: [١٠/٨٢]

* فأصاب حَبَّةَ قلبها وطِحَالها *

والطِّحال ما دخل قطُّ في شيء إلا أفسده، وأنت قصيدتُك سليمة كلّها. فقال له مروان: إني إذا أردتُ أن أقول القصيدة رفعتُها في حول، أقولها في أربعة أشهر، وأنتخلها[1] في أربعة أشهر، وأَعْرِضُها في أربعة أشهر.

عرض شعراً له على يونس فمدحه وفضله على شعر للأعشى:

وأخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سَلاّم قال أبو دُلَف هاشم بن محمد وحدّثني به الرِّياشيّ عن الأصمعي قال:

جاء مروان بن أبي حفصة إلى حَلْقة يونس، / فسلَّم ثم قال لنا: أيُّكم يونس؟ فأَوْمأنا إليه. فقال له: [٤٢/٩] أصلحك الله! إني أرى قوماً يقولون الشعر، لأن يَكْشِف أحدهم سوءته ثم يمشيَ كذلك في الطريق أحسنُ له من أن يُظهر مثلَ ذلك الشعر. وقد قلتُ شعراً أَعْرِضه عليك، فإن كان جيّداً أظهرتُه، وإن كان رديئاً سترتُه. فأنشده قولَه:

* طرقتْـكَ زائرةً فحيِّ خيالَها *

فقال له يونس: يا هذا اذْهبْ فأظهِر هذا الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعشى في قوله:

* رحَلتْ سُمَيَّةُ غُدْوَةً أجْمالَها *

فقال له مروان: سررتني وسُؤْتني. فأمّا الذي سررتني به فأرتضاؤك الشعر. وأمّا الذي ساءني فتقديمُك إيّاي على الأعشى وأنت تعرف محلَّه. فقال: إنما قدّمتُك عليه في تلك القصيدة لا في شعره كلّه لأنه قال فيها:

* فأصاب حبّةَ قلبها وطِحالَها *

والطِّحال لا يدخل في شيء إلاّ أفسده، وقصيدتُك سليمة من هذا وشِبْهه.

/ قال الأصمعي إنه مولد ولا علم له باللغة: [١٠/٨٣]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني العبّاس بن ميمون طائع قال:

سمِعتُ الأصمعيّ ذكَر مروانَ بن أبي حفصة فقال: كان مولَّداً، لم يكن له علم باللغة.

أنشد شعْر جماعة من الشعراء فقال عن كل واحد منهم إنه أشعر الناس:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني أحمد بن عُبَيدالله عن العُتْبيّ قال حدّثني بعض أصحابنا قال:

(١) في الأصول: «أنتحلها» بالحاء المهملة وهو تصحيف.

أنشدَنا مروانُ بن أبي حفصة يوماً شعرَ زهير ثم قال: زُهَيْر والله أشعر الناس، ثم أنشد للأعشى فقال: الأعشى أشعر الناس، ثم أنشد شعراً لامرىء القيس فقال: أمرؤ القيس أشعر الناس، ثم قال: والناسُ والله أشعرُ الناس. أي إن أشعر الناس من أنشدتُ له فوجدته قد أجاد، حتى يُنتقل إلى شعر غيره.

اشترى من أعرابي شعراً مدح به مروان بن محمد فمدح هو به معن بن زائدة فأكرمه:

أخبرني أحمد بن عُبَيْدالله بن عَمّار قال حدّثني عليّ بن محمد النَّوْفَليّ قال حدّثني أبي قال:

إجتاز مروانُ بن أبي حَفْصة برجل من باهِلَة من أهل اليمامة وهو يُنشد قوماً كان جالساً إليهم شعراً مدح به مروانَ بن محمد، وإن قُتِل قبل أن يلقاه ويُنشدَه إيّاه، أوّلُه:

مَـرْوانُ يـابْـنَ محمـدٍ أنـت الـذي زِيـدَتْ بـه شَـرَفـاً بنـو مـروانِ

فأعجبته القصيدة، فأمهل الباهليَّ حتى قام من مجلسه، ثم أتاه في منزله فقال له: إني سمعتُ قصيدتَك وأعجبتني، ومروان قد مضى ومضى أهلُه وفاتكَ ما قد رُمتَه[١] عنده؛ أتبيعني القصيدةَ حتى أنتحلَها، فإنه خير لك من أن تَبقَى عليك وأنت فقير؟ قال نعم. قال: بكم؟ قال: بثلثمائة درهم. قال: قد أبتعتُها؛ فأعطاه الدراهمَ وحلّفه بالطلاق/ ثلاثاً وبالأيمان المُحْرِجة الّا يَنتحلها أبداً ولا ينسُبها إلى نفسه ولا يُنْشدَها، وأنصرف بها إلى منزله، فغيَّر منها أبياتاً وزاد فيها، وجعلها في مَعْن، وقال في ذلك البيتِ: [١٠/٨٤]

مَعْـنُ بـنَ زائـدةَ الـذي زِيـدَتْ بـه شـرفـاً إلـى شـرف بنـو شَيْبـان

ووفَد بها إلى مَعْن بن زائدة فملأ يديه، وأقام عنده مدة حتى أثرى وأتّسعت حالُه. فكان معنٌ أوّلَ من رفَع ذكره ونَوَّه به. قال: وله فيه مدائح بعد ذلك شريفة ومَراثٍ حسنةٌ.

نقل قصة فرار معن أن عبداً أسود طلقه تكرماً بعد ما عرفه:

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلَّبيُّ قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن نُعَيم البَلْخيّ أبو يونس قال حدّثني مروان بن أبي حفصة وكان لي صديقاً قال:

كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلباً شديداً، وجعل فيه مالاً؛ فحدّثني معن بن زائدة باليمن أنه أضطُرّ لشدّة / الطلب إلى أن أقام في الشمس حتى لوَّحتْ وجهَه، وخفَّف عارضيه ولِحْيتَه، ولبِس جُبَّةَ صوف غليظة، وركِب جملاً من الجمال الثَّقَّالة ليمضيَ إلى البادية فيُقيمَ بها، وكان قد أبْلَى في حرب[٢] يزيد بن عمر بن هُبَيْرة بلاء حسناً غاظ المنصور وجدّ في طلبه. قال مَعْنٌ: فلما خرجتُ من باب حَرْب[٣] تَبِعني أسودُ متقلّداً سيفاً، حتى إذا غِبتُ عنِ الحرس قبض علي خِطام جملي فأناخه وقبَض عليّ؛ فقلت له: مالكَ؟ قال: أنت طَلَبةُ أمير المؤمنين. قلت: ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين! قال: مَعْنُ بن زائدة. فقلت: يا هذا أتّقِ الله! وأين أنا من معن! قال: دَعْ هذا عنك فأنا والله أعْرَفُ به منك. فقلت له: فإن كانت القصّة كما تقول/ فهذا جوهرٌ حمَلتُه معي [٤٣/٩] [١٠/٨٥]

(١) في جـ: «ما قدرته».

(٢) هو يزيد بن عمر بن هبيرة. أبو خالد أحد رجالات بني أمية وفرسانهم وولاتهم، أبلى مع مروان بن محمد في الدعوة العباسية، قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٣٢ هـ (انظر الكلام عليه في الطبري ق ٢ ص ١٣٦٣، ١٣٧٢، ١٩١٣ ـ ١٩١٦، ق ٣ ص ٦١ ـ ٧٣).

(٣) موضع ببغداد ينسب إلى حرب بن عبدالله البلخي ويعرف بالراوندي أحد قوّاد أبي جعفر المنصور. (انظر «معجم البلدان» لياقوت في الكلام على الحربية).

يَفِي بأضعاف ما بذله المنصورُ لمَن جاءه بي، فخُذْه ولا تَسفِكْ دمي. قال: هاتِه فأخرجتُه إليه؛ فنظر إليه ساعة وقال: صدَقتَ في قيمته، ولستُ قابِلَهُ حتى أسألك عن شيء، فإن صدَقْتني أطلقتُك. فقلت: قُلْ. قال: إن الناس قد وصفوك بالجود، فأخبِرْني هل وهبتَ قطّ مالَك كلَّه؟ قلت لا. قال: فنصفَه؟ قلت لا. قال: فثُلُثَه؟ قلت لا. حتى بلغ العُشْر فأستحييتُ فقلت: أظنّ أنّي قد فعلتُ هذا. فقال: ما أراك فعلتَه! أنا والله راجل، ورزقي من أبي جعفر عشرون درهماً، وهذا الجوهر قيمتُه آلاف دنانير، وقد وهبتُه لك، ووهبتُك لنفسك ولجودك المأثور عنك بين الناس، ولتعلمَ أن في الدنيا أجود منك، فلا تُعجِبْك نفسُك ولتَحْقِرَ بعد هذا كلَّ شيء تفعله، ولا تتوقّفَ عن مكرمة. ثم رمى بالعقد في حِجْري وخلّى خِطامَ البعير وأنصرف. فقلت: يا هذا قد والله فضحتَني، ولَسَفْكُ دمي أهونُ عليَّ ممّا فعلتَ، فخذ ما دفعتُه إليك فإنّي غنيٌّ عنه. فضَحِك ثم قال: أردتَ أن تكذِّبني في مَقامي هذا، والله لا آخذه ولا آخذ بمعروف ثمناً أبداً، ومضى. فوالله لقد طلبتُه بعد أن أَمِنتُ وبذلتُ لمن جاءني به ما شاء فما عرَفتُ له خبراً، وكأن الأرض أبتلعتْه.

سبب رضا المنصور عن معن بن زائدة:

قال: وكان سبب رضا المنصور عن مَعْن أنه لم يزل مستتراً حتى كان يومُ الهاشميّة[1]، فلما وثَب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه، وثَب مَعْن وهو متلثّم فأنتضى سيفَه وقاتل فأبلى بلاء حسناً، وذبَّ القومَ عنه حتى نجا وهم يُحاربونه بعدُ،/ ثم جاء والمنصورُ راكب على بغلة ولجامُها بيد الرَّبيع؛ فقال له: تَنَحَّ فإنّي أحقُّ [٨٦/١٠] باللِّجام منك في هذا الوقت وأعظمُ فيه غَناء. فقال له المنصور: صدَق فأدفعه إليه؛ فأخذه ولم يزل يقاتل حتى أنكشفت تلك الحالُ. فقال له المنصور: من أنتَ لله أبوك؟ قال: أنا طَلِبتُك يا أمير المؤمنين مَعْنُ بن زائدة. قال: قد أمّنَك الله على نفسك ومالك، ومِثْلك يُصْطَنَع. ثم أخذه معه وخلَع عليه وحَباه وزيّنه. ثم دعا به يوماً وقال له: إنّي قد أمّلتك لأمر، فكيف تكون فيه؟ قال: كما يحبّ أمير المؤمنين ـ قال: قد ولّيتك اليمنَ، فابسُط السيف فيهم حتى يُنْقَض حِلفُ ربيعةَ واليمنَ ـ قال: أبْلُغُ من ذلك ما يحبّ أمير المؤمنين. فولّاه اليمنَ وتوجّه إليها فبسط السيفَ فيهم حتى أسرف.

عاتب المنصور معنا على إكرامه له فأجابه إنما أكرمه لمدحه هو:

قال مروان: وقدِم مَعْن بعَقِب ذلك فدخل على المنصور فقال له بعد كلام طويل: قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك شيءٌ لولا مكانُك عنده ورأيُه فيك لغضِب عليك. قل: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما تعرّضتُ لك منك، قال: إعطاؤك مروان بن أبي حفصة ألفَ دينار لقوله / فيك: ٤٤/٩

مَعْنُ بن زائدةَ الذي زِيدَتْ به	شرفاً إلى شرف بنو شَيْبان
إن عُدَّ أيامُ الفعالِ فإنّما	يوماه يومُ ندًى ويومُ طِعان

فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أعطيتُه ما بلغك لهذا الشعر، وإنما أعطيته لقوله:

ما زلتَ يومَ الهاشميّة مُعْلِماً	بالسيف دون خليفة الرحمن

(١) الهاشمية: مدينة بناها السفاح بالكوفة. وذلك أنه لما ولي الخلافة نزل بقصر ابن هبيرة واستتم بناءه وجعله مدينة وسماها الهاشمية. فلما توفي دفن بها. واستخلف المنصور فنزلها واستتم بناء كان بقي فيها وزاد فيها ما أراد. وكانت فيها وقعة بين أبي جعفر المنصور والراوندية، وهم قوم يقولون بتناسخ الأرواح ويزعمون أن روح آدم حلت في أحد رجالات المنصور، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور وأن الهيثم بن معاوية جبريل. (راجع «معجم البلدان» لياقوت و «تاريخ الطبري» ق ٣ ص ١٢٩، ١٣١).

فمنعـتَ حَـوْزَتَـه وكنـتَ وِقـاءه ... مـن وَقْـع كـلِّ مُهَنَّـدٍ وسِنـان

فأستحيا المنصور وقال: إنما أعطيتَه ما أعطيته لهذا القول؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين! والله لولا مخافة النَّقمة[1] عندك لأمْكَنْتُه من مفاتيح بيوت الأموال وأبحته إيّاها، فقال له المنصور: لله درُّك من أعرابيّ! ما أهْوَنَ عليك ما يَعِزُّ على الرجال وأهل الحزم!

[١٠/٨٧] / **مدح المهدي فرده لمدحه معنا ثم مدحه العام المقبل فأجازه مائة ألف درهم:**

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني عبدالله بن محمد بن موسى قال أخبرني محمد بن موسى بن حمزة قال أخبرني الفضل بن الرَّبيع قال:

رأيت مروانَ بن أبي حفصة وقد دخل على المهديّ بعد وفاة معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سَلْمٌ الخاسر وغيرُه، فأنشده مديحاً فيه، فقال له: ومن أنت؟ قال: شاعرُك يا أمير المؤمنين وعبدُك مروان بن أبي حفصة. فقال له المهديّ: ألست القائل:

أقَمْنـا بـاليمـامـة بعـد مَعْـنٍ ... مُقـامـاً لا نُـريـد بـه زَوالا

وقُلْنـا أيـن نـرحـل بعـد مَعْـنٍ ... وقـد ذهـب النَّـوالُ فـلا نـوالا

قد ذهب النَّوالُ فيما زعمتَ، فلِم جئتَ تطلب نوالَنا؟ لا شيء لك عندنا، جُرُّوا برجله؛ فجَرّوا برجله حتى أُخرِج. قال: فلما كان من العام المقبل تلطَّف حتى دخل مع الشعراء ـ وإنما كانت الشعراءُ تدخل على الخلفاء في كلّ عام مرّة ـ فمَثَل بين يديه وأنشده بعد رابع أو بعد خامس من الشعراء:

طَـرَقَتْـك زائـرةً فحـيِّ خيـالَهـا ... بيضـاءُ تخلِـط بـالجمـال[2] دلالَهـا

قـادت فـؤادَك فـآستقـاد ومثلُهـا ... قـاد القلـوبَ إلـى الصِّبـا فـأمـالهـا

قال: فأنصت الناسُ لها حتى بلغ إلى قوله:

هـل تَطْمِسـون مـن السمـاء نجـومَهـا ... بـأكُفِّكـم أو تَستـرون هـلالَهـا

أو تَجْحَـدون مقـالـةً عـن ربّكـم ... جبـريـلُ بلَّغهـا النَّبـيَّ فقـالهـا

شَهِـدتْ مـن الأنفـال آخـرُ آيـةٍ[3] ... بتُـراثِهـم فـأرَدْتُـم إبْطَـالَهـا

[١٠/٨٨] / قال: فرأيت المهديَّ قد زَحَف من صدر مُصَلّاه حتى صار على البِساط إعجاباً بما سمع، ثم قال: كم هي؟ قال: مائة بيت. فأمر له بمائة ألف درهم. فكانت أوّل مائةِ ألف درهم أُعطيها شاعرٌ في أيام بني العبّاس.

مدح الرشيد فرده لمدحه معنا ثم مدحه بعد أيام فأجازه لكل بيت ألفاً:

قال: ومضت الأيام ووَلِيَ هارون الرشيدُ الخلافةَ، فدخل إليه مروان؛ فرأيته واقفاً مع الشعراء ثم أنشده قصيدة آمتدحه بها. فقال له: من أنت؟ قال: شاعرُك وعبدُك يا أمير المؤمنين مروانُ بن أبي حفصة. قال له:

---

(١) في جـ «الشنعة».

(٢) في جـ في هذا الموضع: «بالحياء».

(٣) يريد قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم﴾.

ألستَ القائل في مَعْن بن زائدة! وأنشده البيتين اللّذَيْن أنشده إيّاهما المهديُّ، ثم قال: خذوا بيده فأخْرِجوه، لا شيء لك عندنا، فأُخرِج. فلما كان بعد ذلك بأيام تلطّف حتى دخل؛ فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها:

٤٥/٩

/ لَعَمْـرُكَ مـا أَنْسَـى غَـداةَ المُحَصَّـبِ ... إشـارةَ سَلْمَـى بـالبنـان المُخَضَّـبِ

وقـد صَـدَرَ الحُجّـاجُ إلاّ أقلَّهـم ... مصـادرَ شتّـى مَـوْكِبـاً بعـد مـوكِـبِ

قال: فأعجبته، فقال: كم قصيدتُك من بيتٍ؟ فقال: ستون أو سبعون. فأمر له بعدد أبياتها ألوفاً. فكان ذلك رَسْمَ مروانَ عندهم حتى مات.

مدح المهدي في الرصافة فأجازه:

أخبرني عمّي قال حدّثني الفضل بن محمد اليَزيديّ عن إسحاق قال:

دخل مروانُ بن أبي حفصة على المهديّ في أوّل سنة قَدِم عليه. قال: فدخلتُ عليه في قصره بالرّصافة فأنشدته قولي فيه:

أَمَـرُّ وأحْلَـى مـا بـلا النـاسُ طعمَـه ... عـذابُ أميـرِ المـؤمنيـن ونـائلُـه

فـإنّ طليـقَ الله مَـنْ أنـت مُطْلِـقٌ ... وإنّ قتيـلَ الله مَـنْ أنـت قـاتلُـه

كـأنّ أميـر المـؤمنيـن محمـداً ... أبـو جعفـر فـي كـلّ أمـر يحـاولـه

قال: فأُعجب بها، وأمر لي بمال عظيم؛ فكانت تلك الصلةُ أوّل صلة سنيّة وصلتْ إليّ في أيام بني هاشم.

[٨٩/١٠]

/ مدح المهدي وذم عنده يعقوب بن داود فأجازه من خالص ماله:

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني محمد بن عبدالله العَبْديّ الراوية قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال حدّثني مروان بن أبي حفصة قال:

دخلتُ على المهديّ في قصر[1] السلام، فلما سلّمتُ عليه، وذلك بعَقِب سخطه على يعقوب[2] بن داود، قلت[3]: يا أمير المؤمنين إنّ يعقوب رجل رافِضيّ وإنه سمعني أقول في الوراثة:

أنّـى يكـون وليـس ذاك بكـائـنٍ ... لبَنِـي البنـات وراثـةُ الأعمـامِ

فذلك الذي حَمله على عداوتي. ثم أنشدته:

كـأنّ أميـر المـؤمنيـن محمـداً ... لـرأفتـه بـالنـاس للنـاس والـدُ

علـى أنـه مـن خـالـفَ الحـقّ منهـمُ ... سَقَتْـه يـدَ المـوت الحُتـوفُ الـرّواصـد

ثم أنشدته:

---

(١) كذا في الأصول. والذي في كتابي ما يعول عليه في «المضاف والمضاف إليه» و«معجم البلدان» لياقوت أن قصر السلام من أبنية الرشيد بن المهدي بالرقة. والذي بناه المهدي هو قصر السلامة وهو القصر الذي بناه بالآجر في عيساباذ الكبرى (انظر «تاريخ الطبري» ق ٣ ص ٥٠٢، ٥١٧).

(٢) هو يعقوب بن داود السلمي، كان وزير للمهدي ثم غضب عليه وسجنه في المطبق وما زال به حتى أيام هارون الرشيد. وقد ذكره أبو الفرج في ترجمة بشار بن برد في «الأغاني» (ج ٣ من هذه الطبعة).

(٣) في الأصول: «فقلت».

أحيا أميرُ المؤمنين محمدٌ سُنَنَ النبيّ حرامَها وحلالَها

قال فقال لي المهديّ: والله ما أعطيك إلا من صُلْب مالي فاعْذِرني، وأمر لي بثلاثين ألف درهم، وكساني جُبَّةً ومُطْرَفاً، وفرَض لي على أهل بيته ومواليه ثلاثين ألفاً أخرى.

مدح معناً فأعطاه عطايا سنية لم يستكثرها عليه ابن الأعرابي:

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا ابن الأعرابيّ أن مروان بن أبي حفصة أخبره أنه وفَد على مَعْن بن زائدة فأنشده قولَه:

[١٠/٩٠] / بنو مطرٍ يومَ اللّقاء كأنّهم أُسودٌ لها في بَطْن خَفّانَ[١] أَشْبُلُ

هُمُ يَمنعون الجارَ حتّى كأنما لجارهمُ بين السّماكين منزل

لَهاميمُ[٢]، في الإسلام سادُوا ولم يكن كأوّلهم في الجاهليّة أوّل

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعُوا أجابوا وإن أعطَوْا أطابوا وأجزلوا

ولا يستطيع الفاعلون فعالَهم وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا

قال: فأمر لي بصلة سنيّة وخَلَع عليَّ وحمَلني وزوّدني. قال ثم قال لنا ابن الأعرابيّ: لو أعطاه كلَّ ما يملك لَمَا وفاه حقَّه. قال: وكان ابن الأعرابيّ يختم به الشعراء، وما دَوّن لأحدٍ بعدَه / شعراً. [٤٦/٩]

سئل عن جرير والفرزدق أيهما أشعر فأجاب بشعر:

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد قال أخبرني أحمد بن موسى بن حمزة قال:

رأيت مروان بن أبي حفصة في أيام محمد بن زُبَيْدة في دار الخلافة وهو شيخ كبير، فسألته عن جرير والفرزدق أيّهما أشعر، فقال لي: قد سُئلتُ عنهما في أيام المهديّ وعن الأخطل قبل ذلك، فقلتُ فيهم قولاً عقدتُه في شعر ليَثْبُتَ. فسألته عنه فأنشدني:

ذهب الفرزدقُ بالهجاء وإنّما حُلْوُ القريض ومُرُّه لجريرِ

ولقد هجا فأمضَّ أخطلُ تَغْلِبٍ وحوى النُّهَى ببيانه المشهور

كلُّ الثلاثة قد أجاد فمدحُه وهجاؤه قد سار كلَّ مَسير

ولقد جَرَيْتُ ففُتُّ غيرَ مُهَلِّلٍ[٣] بجراء لا قَرِفٍ[٤] ولا مبهور

إنّي لآنَفُ أن أحَبِّر مِدْحةً أبداً لغير خليفة ووزير

ما ضرّني حَسَدُ اللئام ولم يَزَلْ ذو الفضل يحسُده ذوو التقصير

قال: فلم يَر أن يقدِّم على نفسه غيرَها. وكتبتُ الأبيات عن فيه.

(١) خفان كحسان: موضع كثير الغياض قرب الكوفة وهو مأسدة.
(٢) اللهاميم: جمع لهميم وهو السابق الجواد.
(٣) هلل الرجل: جبن وفرّ.
(٤) القرف: الشديد الحمرة ولعله يعني به الهجين.

/ مدح معناً فسأله عن أمله فأعطاه إياه واستقله له: [٩١/١٠]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثني أبو حاتم السِّجِستانيّ قال حدّثني العَنْسيّ قال:

لمّا قدِم مَعْن بن زائدة من اليمن، دخل عليه مروان بن أبي حفصة والمجلس غاصٌّ بأهله، فأخذ بِعِضَادَتَي[1] الباب وأنشأ يقول:

وما أَحْجَمَ الأعداءُ عنك بَقِيَّةً[2] عليك ولكن لم يَرَوْا فيك مَطْمَعا

له راحتان الجودُ والحتْفُ فيهما أبى الله إلا أن تَضُرّا وتَنْفَعا

قال فقال له مَعْن: اِحتكم، قال: عشرة آلاف درهم. فقال مَعْن: رِبِحْنا عليك تسعين ألفاً. قال: أقِلْني. قال: لا أقال الله من يُقيلك.

رمى محرز معنا بالظلم فرد عليه بما أخجله:

أخبرني عمّي قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني أبي قال:

لما قَدِم مَعْن بن زائدة من اليمن أستقبله الناس، وتلقّاه مروان بن أبي حفصة، فأنشده قصيدةً يهنّئه فيها بقدومه وبرأي المنصور فيه، وتلقّاه فيمن تلقّاه أبو القاسم[3] مُحْرِز فجعل يقول له: سفَكْتَ الدماء، وظلمتَ الناس، وتعدَّيت طَوْرَك بذلك. فلما أكثر على مَعْن ألتفت إليه ثم قال له: يا مُحْرِز أخبِرْني بأي خُفَّيْك تضرب اليوم: أبا السُّباعِيّ أم بالثُّمانِيّ؟ قال: فانقطع وسكت خَجَلاً.

ودخل مَعْنَ على المنصور، فلما سلَّم عليه وسأله قال له: يا مَعْنُ، أعطيتَ أبن حفصة مائة ألف درهم عن قوله فيك:

مَعْنُ بن زائدةَ الذي زِيدَتْ به شرفاً إلى شرفٍ بنو شَيْبان

فقال له: كلاّ يا أمير المؤمنين بل أعطيتُه لقوله:

ما زلتَ يومَ الهاشميَّة مُعْلِماً بالسيف دون خليفة الرحمن

فأستحيا المنصورُ من تَهجينه إيّاه فتبسَّم وقال: أحسنتَ يا مَعْن في فعلك.

/ ترك يحيى بن منصور الشعر فلما سمع بكرم معن مدحه وقال مروان في ذلك شعراً: [٩٢/١٠]

أخبرني الحَسَن بن عليّ المصريّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني عليّ بن ثَوْر قال حدّثني أبو العبّاس العَدَويّ قال:

لمّا وَلِيَ مَعْن بن زائدة اليمنَ كان يحيى بن منصور الذُّهْليّ قد تنسّك وترك الشعر. فلما بلغته أفعال مَعْن وفَد إليه ومدحه، فقال مروان بن أبي حفصة:

(١) عضادتا الباب. خشبتاه من جانبيه.

(٢) البقية: الإبقاء.

(٣) هو أبو القاسم محرز بن إبراهيم أحد قواد أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية. انظر الكلام عليه في الطبري (ق ٣ ص ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧).

لا تَعْـدَمـوا راحَتَـيْ مَعْـنٍ فـإنَّهمـا ... بـالجـود أفْتَتـا يحيـى بـنَ منصـورِ

٤٧/٩ / لمـا رأى راحتَـيْ مَعْـنٍ تـدفَّقتـا ... بنـائـلٍ مـن عطـاءٍ غيـرِ مَـنْـزُورِ[1]

ألقـى المُسُـوحَ التـي قـد كـان يَلْبَسهـا ... وظَـلَّ للشعـر ذا رَصْـفٍ وتَحْبيـرِ

تزوجت امرأة من أهله في بني مطر فلم يرضهم وقال شعراً:

أخبرني محمد بن مَزْيَد وعيسى بن الحسين قالا حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثني عبدالملك بن عبدالعزيز قال:

ورد على مروان بن أبي حفصة كتاب وهو بالمدينة أن امرأة من أهله تزوّجت في قوم لم يَرْضَ صِهْرَهم يقال لهم بنو مطر؛ فقال في ذلك لأخيها:

لـو كنـتَ أشبهـتَ يحيـى فـي مَنـاكحـه ... لمـا تَنَقَّيْـتَ فحـلاً جَـدُّه مَطَـرُ

لله درّ جيـادٍ كنـتَ سـائسهـا ... ضيَّعتهـا وبهـا التَّحجيـلُ والغُـرَرُ

نُبِّئـتُ خَـوْلَـةَ قـالـت يـوم أنكحَهـا ... قـد طـالَمـا كنـتُ منـك العـارَ أنتظـر

تهكم بالجنى الشاعر فهجاه ولم يعف عنه حتى حقره:

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال حدّثنا الحسن بن عليّ المعروف بحدّان[2] عن محمد بن حفص بن عمرو بن الأيْهَم الحنفيّ قال:

مرَّ مروان بن أبي حفصة برجل من تَيْم اللَّات بن ثَعْلبة يُعْرَف بالجِنّيّ؛ فقال له مروان: زعموا أنك تقول الشعر. فقال له: إن شئتَ عرَّفتُك ذلك. فقال له مروان: ما أنت والشعر، ما أرى ذلك من طريقتك ولا مذهبك ولا تقوله! فقال الجِنّيّ: أجلس وأسمع فجلس؛ فقال الجِنّي يهجوه:

[١٠/٩٣] / ثَـوى اللـؤمُ فـي العَجْـلان يـومـاً وليلـةً ... وفـي دار مـروانٍ ثَـوى آخـرَ الـدَّهـرِ

غـدا اللـؤمُ يَبْغِـي مَطْـرَحـاً لـرِحـالـه ... فنقَّـب فـي بَـرِّ البـلاد وفـي البحـر

فلمّـا أتـى مـروانَ خيَّـم عنـده ... وقـال رَضِينـا بـالمُقـام إلـى الحشـر

وليسـت لمـروانٍ علـى العِـرْس غَيْـرةٌ ... ولكـنَّ مـروانـاً يَغَـار علـى القِـدْر

فقال له مروان: ناشدتُك الله إلاّ كففتَ، فأنت أشعر الناس. فحلَف الجِنيّ بالطلاق ثلاثاً أنه لا يُكفّ حتى يصير إليه بنفرٍ من رؤساء أهل اليمامة ثم يقول بحضرتهم: قاق في أستي بيضة. فجلبَهم إليه مروان وفعل ذلك بحضرتهم، وكان فيهم جدّي يحيى بن الأيهم، فانصرفوا وهم يضحكون من فعله.

عزى الهادي في المهدي ببيتين تناقلهما الناس:

أخبرني أحمد بن عبيدالله بن عَمّار قال حدّثني أبو عبدالله بن سليمان بن زيد الدَّوْسِيّ قال حدّثني الفضل بن العبّاس بن سعيد بن سَلْم بن قُتَيْبة الباهِليّ قال حدّثنا محمد بن حرب بن قَطَن بن قَبِيصة بن مُخارق الهِلاليّ قال:

(١) يقال: أعطاه عطاء غير منزور: إذا لم يلح عليه فيه بل أعطاه عفواً.
(٢) سمي بحدان: وحدان بضم أوله وفتحه.

لمّا مات المهديّ وفدت العرب على موسى يهنّئونه بالخلافة ويعزّونه عن المهديّ؛ فدخل مروانُ بن أبي حفصة فأخذ بعِضَادَتَي الباب ثم قال:

لقد أصبحتْ تختال في كل بلدةٍ ... بقبر أمير المؤمنين المقابرُ

ولو لم تُسَكَّنْ بابنه في مكانه ... لما برحت تَبْكِي عليه المنابر

قال فخرج الناس بالبيتين.

مدح عمرو بن مسعدة في مرضه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني إبراهيم بن المُدَبِّر قال: مَرِض عمرو بن مَسْعَدَة، فدخل عليه مروان بن أبي حفصة وقد أبَلّ من مرضه فأنشأ يقول:

صحَّ الجسمُ يا عمرو ... لك التَّمحيصُ والأَجْرُ

/ ولله علينا الحمـ ... ـدُ والمِنَّةُ والشكر

[١٠/٩٤ ٤٨/٩]

فقد كان شكا شوقاً ... إليك النَّهْيُ والأمر

قال فنحا نحوَه مُسْلِم بن الوليد فقال:

قالوا أبو الفضل محمومٌ فقلت لهم ... نفسي الفِداءُ له من كل محذورِ

يا ليت عِلّتَه بي غير أن له ... أَجْرَ العليل وأنّي غير مأجور

رأي الغول في بعض سفراته ففزع:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثنا أبو حُذَيْفة قال حدّثني رجل من بني سُلَيْم في مسجد الرُّصافة قال أخبرني مروان بن أبي حفصة قال:

وفدتُ في ركب إلى الرشيد فصِرْنا في أرض مُوحشةٍ قَفْرٍ، وجَنَّ علينا الليل فسِرْنا لنقطعها، فلم نشعر إلاّ بأمرأة تسوق بنا إبلَنا وتحدو في آثارنا، فإذا هي الغُول. فلما لاح الفجر عدلتْ عنّا وأخذت عُرْضاً[1] وجعلت تقول:

يا كوكبَ الصّبح إليكَ عنّي ... فلستُ من صبح وليس مِنّي

قال: فما أذكر أني فزِعت من شيء قطُّ فزعي ليلتئذ.

عارضه التغلبي في شعره في وراثة بني العباس:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني عليّ بن الحسن الكُوفيّ قال حدّثني محمد بن يحيى بن أبي مُرَّة التَّغْلَبيّ قال:

مررت بجعفر بن عَفّان الطائيّ يوماً وهو على باب منزله، فسلّمت عليه، فقال لي: مرحباً يا أخا تَغْلِب، اِجلس فجلست. فقال لي: أمَا تَعْجَب من آبن أبي حفصة لعنه الله حيث يقول:

(١) العرض: الناحية.

أنّـى يكـون وليـس ذاك بكـائـنٍ لبنـي البنـات وِراثـةُ الأعمـامِ

فقلت بلى والله إني لأتعجّب منه وأُكثِر اللّعنَ له، فهل قلتَ في ذلك شيئاً؟ فقال: نعم قلت:

[٩٥/١٠] / لِـمَ لا يكـون وإنّ ذاك لكـائـنٌ لِبَنِـي البنـات وِراثـةَ الأعمـام

للبنـت نصـفٌ كـامـلٌ مـن مـالـه والعـمُّ متـروكٌ بغيـر سِهـام

مـا للطَّلِيـق وللتُّـراث وإنّمـا صلّـى الطليـقُ مخـافـةَ الصَّمْصَـام

لازمه صالح بن عطية الأضجم أياماً ثم قتله:

أخبرني أحمد بن عبيدالله بن عَمّار قال حدّثني عليّ بن محمد بن سليمان النَّوْفليّ قال حدّثني صالح بن عطية الأضْجَم قال:

لما قال مروان:

أنـى يكـون وليـس ذاك بكـائـنٍ لِبَنـي البنـات وراثـةُ الأعمـام

لزمتُه وعاهدت الله أن أغتاله فأقتلَه أيَّ وقتٍ أمْكَنَنِي ذلك، وما زلت ألاطفُه وأَبَرُّه وأكتب أشعاره، حتى خُصِصْتُ به، فأَنِس بي جداً، وعرفتْ ذلك بنو حَفْصة جميعاً فأنِسوا بي، ولم أزل أطلب له غِرَّةً حتى مرِض من حمّىً أصابته، فلم أزل أظهِر له الجَزَعَ عليه وألازمه وألاطِفه، حتى خلا لي البيت يوماً فوثَبْتُ عليه فأخذتُ بحَلْقه فما فارقتُه حتى مات، فخرجتُ وتركته، فخرج إليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتاً، وارتفعت الصَّيْحةُ فحضرتُ وتباكيت وأظهرتُ الجزعَ عليه حتى دُفن، وما فطِن بما فعلت أحد ولا اتهمني به.

نشأته ونسب أمه شكلة:

[٤٩/٩] ثم نعود إلى ذكر إبراهيم بن المهديّ وأمّه شِكْلة[١]. ويكنى أبا إسحاق. وشِكْلةُ أمّه مولَّدة، كان / أبوها من أصحاب المَازِيار، يقال له شاه أفْرَند، فقُتِل مع المَازِيار وسُبِيَتْ بنتُه شِكْلة، فحُمِلَتْ إلى المنصور، فوهبها لمُحَيّاةَ أمّ ولده فربَّتْها وبعثتْ بها إلى الطائف فنشأت هناك وتفصَّحتْ؛ فلما كبِرتْ رُدّتْ إليها. فرآها المهديّ [٩٦/١٠] / عندها فأعجبته، فطَلبها من مُحَيّاةَ فأعطته أيّاها، فولَدت منه إبراهيم. وكان رجلاً عاقلاً فَهِماً دَيِّناً[٢] أديباً شاعراً راوِيةً للشعر وأيّامِ العرب خطيباً فصيحاً حسنَ العارضة.

مدحه إسحاق الموصلي:

وكان إسحاق الموصليّ يقول: ما ولد العبّاس بن عبدالمطّلب بعد عبدالله بن العباس: رجلاً أفضل من إبراهيم بن المهديّ. فقيل له: مع ما تبذُّل له من الغِناء؟ فقال: وهل تمَّ فضلُه إلا بذاك!. حدّثني بذلك محمد بن يزيد عن حمّاد عن أبيه.

كان ينسب ما يصنع لشاريه وريق جاريتيه:

وكان أشدّ خلق الله إعظاماً للغِناء، وأحرصَهم عليه، وأشدَّهم منافسةً فيه. وكانت صنعته ليِّنةً، فكان إذا صنَع شيئاً

(١) ضبط في «القاموس» بالقلم بفتح أوّله. وفي الطبري بفتح أوّله وكسره.

(٢) هذه الكلمة ليس في جـ.

نَسَبه إلى شارِيَةَ وريّق، لئلا يقع عليه في طعن أو تقريع، فقلَّتْ صنعتُه في أيدي الناس مع كثرتها لذلك. وكان إذا قيل له فيها شيء قال: إنما أصنع تَطَرُّباً لا تَكَسُّباً، وأُغنّي لنفسي لا للناس فأعمل ما أشتهي.

كان ينازع إسحاق ويجادله وجرت بينهما مناظرات في الغناء:

وكان حُسْنُ صوته يستر عَوار ذلك كلّه. وكان الناس يقولون لم يُرَ في جاهليّة ولا إسلام أخٌ وأختٌ أحسنُ غِناء من إبراهيم بن المهديّ وأخته عُلَيّة. وكان يُماظُّ[1] إسحاقَ ويُجادله، فلا يقوم له ولا يَفِي به، ولا يزال إسحاق يغلبه ويُغِصُّه بريقه ويَغُصُّ منه بما يظهر عليه من السَّقَطات ويبيّنه من خطئه في وقته[2] وعجزه عن معرفة الخطأ الغامض إذا مرّ به؛ وقصوره عن أداء الغناء القديم فيفضحه بذلك. وقد ذكرتُ قطعةً من هذه الأخبار في أخبار إسحاق وأنا أذكر ها هنا منها ما لم أذكر هناك.

وممّا خالف إبراهيمُ بن المهديّ ومَنْ قال بقوله على إسحاق فيه: الثَّقيلان وخفيفُهما؛ فإنّه سمّى الثقيل الأوّل وخفيفَه الثقيلَ الثاني وخفيفَه، وسمّى الثقيلَ الثاني وخفيفَه الثقيلَ الأوّلَ وخفيفَه؛ وجرَتْ بينهما في ذلك مناظراتٌ ومجادلاتٌ ومراسلة ومكاتبة ومشافهة، وحضرهما النّاس، فلم يكن فيهم مَنْ يَفِي بفصل/ ما بينهما [١٠/٩٧] والحكم لأحدِهما على صاحبه. ووضَع لذلك[3] مكاييلَ لتُعْرَف بها أقدارُ الطرائق، وأمْسكَ كلّ واحد منهما إلى آخر أقداره، فلم يصحّ شيء يُعمل عليه، إلاّ أن قول إبراهيم بن المهديّ أضمحلّ وبطَل وتُرِك، وعمِل الناس على مذهب إسحاق؛ لأنّه كان أعلمَ الرجلين وأشهَرهما. وأوضح إسحاق أيضاً لذلك وجوهاً فقال: إنَّ الثقيل الأوّل يَجيء منه قَدْران، الثَّقيلُ الأوّل التامّ، والقَدْرُ الأوسط من الثقيل الأوّل، وجميعاً طريقتُه واحدةٌ لاتّساعه والتمكُّنِ منه، والثقيلُ الثاني لا يَجيء هذا فيه ولا يُقاربه. والثَّقيلُ الأوّل يمكن الإدراج في ضَرْبه لثِقَله، والثَّقيلُ الثاني لا يَنْدرج لنقصه عن ذلك. ولهما في هذا كلام كثير ومخاطبات قد ذكرتُها في أخبارهما، وشَرحتُ العِلَلَ مبسوطةً في كتابٍ ألّفْتُه في النَّغَم شرحاً ليس هذا موضعَه ولا يصلحُ فيه. وأمّا التَّجزئةُ والقسمةُ فإنّهما أفْنَيَا أعمارَهما في تنازعهما فيهما، حتى كان يَمضي لهما الزمانُ الطويلُ لا تنقطع مناظرتهما ومكاتبتهما في قسمةِ وتجزئةِ صوتٍ واحدٍ فيه، وحتى كانا يخرجان إلى كلّ قبيح ، وحتى إنهما ماتا جميعاً وبينهما منازعة في هذا الصوت / وقِسْمَتِه: [٥٠/٩]

حَيِّيَـــــــــا أمَّ يَعْمَــــــــــــــرا قَبْــــلَ شَحْـــــطٍ مِـــــنَ النَّـــــوَى

لم يُفْصَل بينهما فيها إلى أن افترقا. ولو ذهبتُ إلى ذكر ذلك وشَرْحِ سائر أخبار إبراهيم بن المهديّ وقِصَصه لمّا وَلِيَ الخلافةَ وغيرِ ذلك من وصفه بفصاحة اللسان، وحسنِ البيان، وجَوْدةِ الشعر، وروايةِ العلم، والمعرفة بالجَدَل، وجزالةِ الرأي، والتصرُّفِ في الفقه واللّغة، وسائر الآداب الشريفة، والعلوم النفيسة، والأدوات الرفيعة، لأطَلْتُ. وإنّما الغرض في هذا الكتاب الأغاني أو ما جرى مجراها، لا سيما لمن كثُرت الروايات والحكايات عنه؛ فلذلك اقتصرتُ على ما ذكرتُه من أخباره دون ما يستحقّه من التفضيل والتّبجيل والثناء الجميل.

---

(١) يماظ: ينازع.

(٢) في الأصول: «وقت».

(٣) لعله: ووضع كلاهما أو كل منهما أو نحو ذلك.

[١٠/٩٨] **كلمة لإبراهيم بن المهدي عن نفسه في صنعة الغناء:**

أخبرني عمّي رحمه الله قال حدّثني عليّ بن محمد بن بكر عن جدّه حَمْدُون بن إسماعيل قال قال لي إبراهيم بن المهديّ:

لولا أنّي أرْفَع نفسي عن هذه الصناعة لأظهرتُ فيها ما يعلم الناس معه أنهم لم يَرَوْا قبلي مِثْلي.

غنى الرشيد وعنده ابن جامع وإبراهيم الموصلي فأطرباه:

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبدالله بن أبي سَعْد قال حدّثنى أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشميّ قال حدّثني أحمد بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه قال:

دخلتُ يوماً إلى الرشيد وفي رأسي فَضْلةُ خُمَار، وبين يديه ابن جامع وإبراهيم الموصليّ. فقال: بحياتي يا إبراهيم غَنِّني. فأخذتُ العود ولم ألتفت إليهما لما في رأسي من الفَضْلة فَغنَّيْتُ:

أَسْرَى بخالدةَ[١] الخيالُ ولا أرَى ... شيئاً ألذَّ من الخيال الطَّارقِ

فسمعتُ إبراهيمَ يقول لأبن جامع: لو طَلَب هذا بهذا الغناء ما نَطْلُب لَمَا أكلنا خبزاً أبداً. فقال أبن جامع: صدقتَ. فلمّا فَرَغتُ من غنائي وضعتُ العودَ ثم قلت: خُذَا في حقّكما ودَعَا باطلَنا.

نسبة هذا الصوت

صوت

أَسْرَى بخالدةَ[١] الخيالُ ولا أرَى ... شيئاً ألذَّ من الخيال الطارق

إنّ البليّةَ مَنْ تَمَلُّ[٢] حديثَه ... فانْقَعْ فؤادَكَ من حديث الوامق

أهْوَاكِ فوق هوى النفوس ولم يزل ... مُذْ بِنْتِ قلبي كالجَناح الخافق

[١٠/٩٩] / طَرَباً إليكِ ولم تُبالي حاجتي ... ليس المُكاذِب كالخليل الصّادق[٣]

الشعر لجرير. والغناء لابن عائشة رَمَلٌ بالوُسطى عن عمرو.

غنى الرشيد وعنده سليمان بن أبي جعفر وجعفر بن يحيى:

أخبرني جَحْظة قال أخبرني هِبَةُ الله بن إبراهيم المهديّ قال حدّثني أبي، وحدّثني الصوليّ قال حدّثني عَوْن بن محمد قال حدّثني هبة الله ـ ولم يذكر عن أبيه ـ قال:

كان الرشيد يحبّ أن يسمع أبي. وقال جَحْظة عن هبة الله عن إبراهيم قال: كان الرشيد يحب أن يسمعني، فخلا بي مَرّاتٍ إلى أن سَمِعني. ثم حَضَرْتُه مَرّةً وعنده سليمان بن أبي جعفر؛ فقال لي: عَمُّك وسَيِّدُ ولدِ

(١) رواية «الديوان»: «أسرى لخالدة إلخ».
(٢) في «ديوان جرير»: «يمل» بالبناء المجهول.
(٣) في الأصول:
شوقاً إليك ولم تجاز مودتي ... ليس المكذب بالحبيب الصادق
والتصويب عن «الديوان».

المنصور بعد أبيك وقد أحبّ أن يَسْمعك؛ فلم يتركني حتى غنَّيتُ بين يديه:

إذ أنــتِ فينــا لمــن يَنْهــاكِ عــاصيــةٌ　　　وإذ أَجُــرُّ إليكــم ســادراً رَسَنِــي

/ فأمر لي بألف ألف درهم، ثم قال لي ليلةً ولم يَبْقَ في المجلس إلاّ جعفر بن يحيى: أنا أحِبّ أن تشرّفَ ٥١/٩ جعفراً بأن تغنّيه صوتاً. فغنّيتُه لحناً صنعتُه في شعر الدّارميّ:

كــأنَّ صــورتَهــا فــي الــوصــف إذ وُصِفَـتْ　　　دينــارُ عَيْــنٍ مــن المصــريَّــة العُتُــقِ

نسبة هذين الصوتين، منهما[1]

صوت

سَقْيــاً لِــرَبْعِــك مــن رَبْــعٍ بــذي سَلَــمٍ　　　وللــزمــان بــه إذ ذاك مــن زَمَــنِ

إذ أنــتِ فينــا لمــن ينهــاكِ عــاصيــةٌ　　　وإذ أَجُــرُّ إليكــم ســادراً رَسَنِــي

الشعر للأحوص. والغناءُ لابن سُرَيْج ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو.

/ أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن زُهَير عن مُصْعَب قال: أَنْشد مُنْشِدٌ وابنُ أبي عُبَيْدةَ عندنا [١٠/١٠٠ قولَ الأحوص:

إذ أنــتِ فينــا لمــن يَنْهــاكِ عــاصيــةٌ　　　وإذ أَجُــرُّ إليكــم ســادراً رَسَنِــي

فوثَب قائماً وألقى طَرَف ردائه وجعل يخطو إلى طَرَف المجلس ويَجُرُّه. ثم فعل ذلك حتى عاد إلينا. فقلنا له: ما حمَلك على ما صنعت؟ فقال: إنّي سمِعتُ هذا الشعرَ مَرّةً فأطرَبني، فجعلت على نفسي الاّ أسمعه أبداً إلاّ جررتُ رَسَني.

والآخر من الصوتين:

صوت

كــأنَّ صــورتَهــا فــي الــوصــف إذ وُصِفَــتْ　　　دينــارُ عَيْــنٍ مــن المِصْــريَّــةِ العُتُــقِ

أو دُرَّةٌ أعيــت الغَــوّاصَ فــي صَــدَفٍ　　　أو ذَهَــبٌ صــاغــه الصَّــوّاغُ فــي وَرِقِ

الشعرُ للدّارِميّ. والغناءُ لمرزوق الصَّوّاف رَمَلٌ بالبنصر عن ابن المكيّ. وذكر عمرو أن هذا اللّحنَ للدّارِميّ أيضاً. وذكر الهشاميّ أنه لابن سُرَيْج. وفي هذا الخبر أنه لإبراهيم بن المهديّ. وفيه خفيفُ رَمَلٍ يقال إنه لَحْنُ مرزوق الصَّوّاف، ويقال إنه لمتيّمَ ثاني ثقيل عن الهشاميّ وابنِ المعتزّ.

غنى صوتاً على أربع طبقات:

أخبرني يحيى بن المنجّم قال ذكر لي عبيدالله بن عبدالله بن طاهر عن إسحاق بن عمر بن بَزِيع قال: كنتُ أضرب على إبراهيم بن المهديّ صوتاً[2] ذكره فغنّاه على أربع طَبَقات. على الطبقة التي كان العود

(١) لعله: «الأول منهما إلخ».
(٢) كذا في أ، م وفي سائر الأصول: «ضرباً».

عليها، وعلى ضِعْفها، وعلى إسْجاحها، وعلى إسجاح الإسجاح. قال أبو أحمد قال عبيدالله: وهذا شيءٌ ما [١٠/١٠١] حُكِيَ لنا عن أحد غيرِ إبراهيم، / وقد تَعاطاه بعضُ الحُذّاق بهذا الشأن، فوجده صعباً متعذِّراً لا يُبْلَغ إلاّ بالصوت القويّ وأشَدُّ ما في إسْجاح الإسْجاح؛ لأن الضِّعف لا يُبْلَغ إلاّ بصوت قويّ مائل إلى الدقة، ولا يكاد ما اتّسع مَخْرَجُه يبلغُ ذلك. فإذا دَقّ حتى يبلغُ الإضعاف لم يَقْدِر على الإسجاح فضلاً عن إسجاح الإسجاح. فإذا غَلُظَ حتى يتمكّن من هذين لم يقدر على الضِّعْف.

غنى صوتاً لمعبد:

أخبرني عمّي قال حدّثني ابن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشميّ قال حدّثني محمد بن سليمان بن موسى الهادي قال:

[٩/٥٢] دعاني إبراهيم بن المهديّ يوماً فصرت / إليه، وغَنّى صوتاً لمَعْبَد:

أفِـي الحـقّ هـذا أنّنـي بـكِ مُـولَـعُ ... وأنّ فـؤادي نحـوكِ الـدّهْـرَ نـازِعُ

فقال لي: لمن هذا الغِناء؟ فقلت: يا سيّدي يقولون إنه لمعبد، ولا غنّى والله معبد كذا قطّ، ولا سمعتُ أحداً يقول كذا، لا والله ما في الدنيا كذا. قال: فضحِك ثم قال: والله يا بُنَيّ ما قمتُ بنصف ما كان يقوم به معبد.

نسبة هذا الصوت

أمّا اللّحن فمن الثقيل الثاني، وقد ذكر في هذا الخبر أنه لمعبد، وما وجدتُه في شيء من الكتب له. وذكر الهشاميّ أنه لابن المكيّ.

عاب مخارقاً عند المأمون:

أخبرني أحمد بن عُبَيدالله بن محمد بن عَمّار قال حدّثني يعقوب بن نُعَيْم قال حدّثني إسحاق بن محمد قال حدّثني عيسى بن محمد القُحْطُبيّ قال حدّثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال:

لمّا قدِم المأمون من خُراسان لم يظهر لمغنٍّ بالمدينة مدينةِ السلام غيري، فكنتُ أُنادمه سرّاً، ولم يظهر [١٠/١٠٢] للنّدَماء أربعَ سنين، حتى ظفِر بإبراهيم بن المهديّ. / فلمّا ظفِر به وعفا عنه ظهر للندماء ثم جمَعَنا؛ ووجَّه إلى إبراهيم فحضر في ثياب مُبْتَذَلة. لمّا رآه المأمون قال: ألْقَى عمّي رِداء الكِبْر عن مَنْكِبَيْه، ثم أمر له بِخلَع فاخرة وقال: يا فَتْح[١] غَدِّ عمّي؛ فتغدّى إبراهيم بحيث يراه المأمون ثم تحوّل إلينا، وكان مُخارِق حاضراً، فغنّى مخارق:

هـذا ورُبَّ مُسَـوِّفيـن[٢] صَبَحْتُهـم ... مِـن خمـرِ بـابِـلَ لَـذّةً للشّـارب

فقال له إبراهيم: أسأتَ فأعِدْ؛ فأعاده، فقال: قارَبْتَ ولم تُصِبْ. فقال له المأمون: إن كان أساء فأحْسِنْ أنت. فغنّاه إبراهيم ثم قال لمخارق: أَعِدْه فأعاده، فقال: أحسنت. فقال للمأمون: كم بين الأمرين؟ فقال:

(١) هو فتح خادم المأمون. انظر الطبري (ق ٣ ص ١٠٤١).
(٢) المسوفون: الصبر؛ يقال: إن فلاناً لمسوّف (بالبناء للفاعل) إذا كان صبوراً. (راجع «لسان العرب» في مادة سوف).

كثيرٍ. فقال لمخارق: إنما مَثَلُك كَمَثَل الثّوب الفاخر إذا غفَل عنه أهلُه ووقع عليه الغبار فأحال لونَه، فإذا نُفِض عاد إلى جوهره. ثم غنَّى إبراهيمُ:

يـا صـاحِ يـا ذا الضَّـامـرِ العَنْـسِ		والـرَّحْـلِ ذي الأقْتـادِ والحِلْـس[1]

أمّـا النَّهـارُ فمـا تُقَصِّـره		رَتْكـاً[2] يـزيـدك كلّمـا تُمْسـي

ضنّ على مخارق بصوت:

قال: وكانت لي جائزة قد خرجتْ، فقلت: يا أمير المؤمنين، تأمر سيِّدي بإلقاء هذا الصَّوت عليّ مكان جائزتي فهو أحبُّ إليَّ منها. فقال: يا عمّ ألْقِ هذا الصَّوتَ على مُخارق، فألقاه عليّ، حتى إذا كدت أن آخذه قال: أذهبْ فأنت أحذق الناس به. فقلت: إنه لم يصلُح لي بعد. قال: فاْغدُ عليَّ. فغدوت عليه فغنّاه متلوّياً؛ فقلت: أيها الأمير، لك في الخلافة ما ليس لأحد، أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعمُّ الخليفة، / تجود [١٠/١٠٣] بالرَّغائب وتبخل عليّ بصوت! فقال: ما أحمقَك! إن المأمون لم يَسْتَبْقِني محبّةً فيَّ ولا صِلَةً لرَحِمِي ولا رِبَاءً للمعروف عندي، ولكنه سمع من هذا الجِرْم[3] ما لم يَسْمع من غيره. قال: فأعلمتُ المأمونَ مقالتَه؛ فقال: إنّا لا نكدِّر على أبي إسحاق عَفْوَنا عنه، فدَعْه. فلما كانت أيّامُ المعتصم نَشِط للصَّبوح يوماً فقال: أحضِروا عمّي. فجاء في دُرّاعة من غير طَيْلَسان. فأعلمتُ المعتصمَ خبرَ الصَّوت سرّاً. فقال: يا عمّ غنِّني:

* يا صاحِ ياذا الضّامر العَنْسِ *

فغنّاه؛ فقال: ألْقِه على مُخارق. فقال: قد فعلتُ، وقد سبق منِّي / قولٌ ألاّ أُعيده عليه. ثم كان يتجنَّب أن يغنِّيَه حيث أحضُرُه. [٥٣/٩]

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

هـذا ورُبَّ مُسَـوِّفيـن صَبَحْتُهـم		مـن خمـر بـابـلَ لَـذَّةً للشـاربِ

بكَـروا علـيّ بسُحْـرةٍ فصبَحْتُهـم		بـإنـاء ذي كَـرَم كقَعْـبِ الحـالـب

بـزُجـاجـةٍ مِـلءِ اليـديـن كـأنّهـا		قِنـديـلُ فِصْـحٍ[4] فـي كنيسـة راهـب

الشعرُ لعَدِيّ بن زيد. والغِناء لحُنَيْنٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة في مجرى البِنْصر عن إسحاق.

صوت

يـا صاحِ يا ذا الضّـامِـر العَنْـس		والـرَّحْـل ذي الأقْتـاد والحِلْـسِ

(١) يقال جمل ضامر، وناقة ضامر (بغير هاء) وضامرة. والعنس: الناقة الصلبة القوية. والحلس: كل شيء ولي ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج.
(٢) الرتك: سير للإبل سريع.
(٣) الجرم هنا: الحلق أو الصوت.
(٤) الفصح (بالكسر): عيد للنصارى.

أمّــــا النّهــــار فمـــا تُقَصِّــره رَنُكــاً يَــزيــدك كلّمــا تُمْســي

الشعرُ لخالد بن المُهاجِر بن خالد بن الوليد.

[١٠/١٠٤] / **طلبت إليه أخته أسماء سماع غنائه:**

وذكر أحمد بن أبي طاهر عن أثِيرَ مولاةِ منصور بن المهديّ عن ذُؤابة مولاته أيضاً قالت قالت لي أسماء بنت المهديّ:

قلت لأخي إبراهيم: يا أخي أشتهي والله أن أسمع من غنائك شيئاً. فقال: إذاً والله يا أُختي لا تَسْمعين مِثلَه، عليّ وعليّ، وغلَّظ في اليمين، إن لم يكن إبليسُ ظهرَ لي وعلّمني النَّقْرَ والنَّغمَ وصافَحني وقال لي: اذهَبْ فأنت منّي وأنا منك.

غضب عليه الأمين ثم رضي عنه:

أخبرني عمّي قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه قال:

غَضِب عليَّ محمد الأمين في بعض هَناته، فسلَّمني إلى كَوْثَرٍ[١]، فحبسني في سِرْداب وأغلقه عليّ فمكثت فيه ليلتي. فلما أصبحتُ إذا أنا بشيخ قد خرج عليّ من زاوية السِّرداب، ودفع إليّ وسطا[٢] وقال: كُلْ فأكلتُ، ثم أخرج قِنِّينة شراب فقال: أشرَبْ فشربت، ثم قال لي: غَنِّ:

لـــي مُـــدّةٌ لا بُـــدَّ أبلُغهـــا معلـــومـــةٌ فـــإذا أنقضـــتْ مِـــتُّ

لـــو ســـاورتنـــي الأُســـدُ ضـــاريـــةً لغلبْتُهـــا مـــا لـــم يَـــجِ الـــوقـــتُ

فغنّيته. وسمعني كوثر فصار إلى محمد وقال: قد جُنّ عمُّك وهو جالس يغنّي بكيت وكيت. فأمر بإحضاري فأُحضِرتُ وأخبرته بالقصّة، فأمر لي بسبعمائة ألف درهم ورضيَ عنّي.

طارح أخته علية فأطربا المأمون وأحمد بن الرشيد:

أخبرني عمّي قال حدّثني ابن أبي سعد قال سمعت يَنْشُو يحدِّث عن أبي أحمد بن الرشيد قال:

كنتُ يوماً بحضرة المأمون وهو يشرب، فدعا بياسِرٍ وأدخله فسارّه[٣] بشيء ومضى وعاد. فقام المأمونُ [١٠/١٠٥] وقال لي: قم، فدخل دار الحُرَم ودخلتُ معه، فسمعت غناءً / أذهل عقلي ولم أقدِر أن أتقدّم ولا أتأخّر. وفطِنَ المأمون لما بي فضحك ثم قال: هذه عمتك عُلَيّة تُطارح عمّك إبراهيم:

* ما لي أرى الأبصارَ بي جافيَةْ *

نسبة هذا الصوت

مـــا لـــي أرى الأبصـــارَ بـــي جـــافِيَـــةْ لـــم تَلْتَفِـــتْ منّـــي إلـــى نـــاحِيَـــةْ

(١) هو كوثر خادم محمد الأمين. (انظر فقراً عليه في الطبري ق ٣ ص ٨٩٩، ٩٢٨، ٩٣٩، ٩٥٦، ٩٦٥).
(٢) كذا في الأصول وظاهر أنه يريد نوعاً من الطعام.
(٣) في الأصول: «فسره».

/ لا ينظـر النـاسُ إلـى المُبْتلَـى | وإنمـا النـاسُ مـع العـافِيَـة
وقـد جفـانـي ظـالمـاً سيِّـدي | فـأَدْمُعـي مُنْهَلّـةٌ هـامِيَـة[1]
صَحْبِـي سَلُـوا ربَّكُـم العـافِيَـه | فقـد دهتنـي بعـدكُـمْ داهِيَـة

٥٤/٩

الشعر والغناء لعُلَيّة بنت المهديّ خفيفُ رمَلٍ. وأخبرني ذُكاء وجه الرُّزّة أن لعَرِيبَ فيه خفيفَ رمل آخر مَزموراً، وأنّ لحن عُلَيّة مُطْلَق.

كتب إليه إسحاق بجنس صوت فغناه من غير أن يسمعه:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني أبي عن إبراهيم عن عليّ بن هشام أنّ إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهديّ بجنس صوت صنَعه وإصبَعِه ومَجْراه وإجراءِ لحنه؛ فغنّاه إبراهيم من غير أن يسمعه فأدّى ما صنعه. والصوت:

حَيِّيَـا أمَّ يَعْمَـرَا | قبـل شَحْـطِ مـن النَّـوى
قلـتُ لا تُعْجِلـوا الـرَّوا | حَ فقـالـوا ألَا بَلَـى
أجمـع الحـيُّ رِحلـةً | ففـؤادي كـذِي الأسَـى

نسبة هذا الصوت

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سُرَيْج، ولحنُه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل مطلقٌ في مَجْرى الوُسطى. وذكر عمرو بن بانة أنه لمالك. وفيه للهُذَليّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن ابن المكيّ، وزعم الهشاميّ أنه لحن مالك. وفيه/ لَحْنانِ من الثقيل الثاني أحدُهما لإسحاق وهو الذي كتب به إسحاق إلى إبراهيم بن المهدي. [١٠/١٠٦] والآخر زعم الهشامي أنه لإبراهيم، وزعم عبدالله بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام أنّه لابن مُحْرِز.

أخبرني عمّي قال حدّثني الحسين بن يحيى أبو الجُمَان: أنّ إسحاق بن إبراهيم لمّا صنع صوتَه:

* قُلْ لِمَنْ صَدّ عاتِبًا *

اتّصل خبرُه بإبراهيم بن المهديّ فكتب يسأله عنه؛ فكتب إليه بشعره وإيقاعِه وبسيطِه ومجراه وإصبعِه وتجزئتِه وأقسامِه ومخارجِ نَغَمه ومواضعِ مقاطعه ومقادير أدواره وأوزانه، فغنّاه. قال: ثم لَقِيني فغنّانيه، ففضَلني فيه بحسن صوته.

نسبة هذا الصوت

قـل لـمـن صَـدّ عـاتِبَـا | ونَـأى عـنـك جـانِبَـا
قـد بلغـتَ الـذي أرد | تَ وإن كنـتَ لاعبـا

الشعر والغناء في هذا اللحن لإسحاق، ثاني ثقيل بالبنصر في مَجْراها. وفيه لغيره ألحان.

---

(١) في، ب، س، جـ: «واهية».

سمعه أحمد بن أبي داود فذهل عن نفسه ورجع عن إنكاره الغناء:

أخبرني ابن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نُعَيْم قال حدّثني إسحاق بن محمد عن أبيه قال:

سمعت أحمد بن أبي دُواد يقول: كنتُ أَعِيبُ الغِناء وأطعُن على أهله، فخرج المعتصم يوماً إلى الشَّمَّاسيّة في حَرّاقةٍ يشرب، ووجّه في طلبي فصرت إليه؛ فلما قَرُبْتُ منه سمعت غناءً حيّرني وشغلني عن كلّ شيء، فسقط سَوْطي من يدي؛ فالتفتُّ إلى زنقطة غلامي أطلب منه سوطَه، فقال لي: قد والله سقط سوطي. فقلت له: فأيّ شيء كان سبب سقوطه؟ قال: صوت سمعتُه شغَلَني عن كلّ شيء فسقَط سوطي من يدي؛ فإذا قِصّته قِصّتي. قال: وكنت أنكر / أمرَ الطَّرَب على / الغناء وما يستَفِزّ الناسَ منه ويغلِب على عقولهم، وأناظر المعتصم فيه. فلما دخلتُ عليه يومئذٍ أخبرته بالخبر؛ فضحِكَ وقال: هذا عمّي كان يغنّيني: [١٠٧/١٠] [٥٥/٩]

إنّ هــذا الطــويــلَ مــن آل حَفْــصٍ ... نَشَــرَ المجــدَ بعــدمــا كــان مــاتــا

فإن تُبْتَ ممّا كنتَ تناظرنا عليه في ذمّ الغناء سألتُه أن يُعيده. ففعلتُ وفعل، وبلغ بي الطَّربُ أكثرَ ممّا يَبْلُغني عن غيري فأنكره؛ ورجعت عن رأيي منذ ذلك اليوم. وقد أخبرني بهذا الخبر أبو الحسن عليّ بن هارون بن عليّ بن يحيى المنجّم عن أبيه عن عبيدالله بن عبدالله بن طاهر فذكر هذه القصّة أو قريباً منها لزيادة اللّفظ ونُقْصانه، وذكر أنّ الصوت الذي غنّاه إبراهيم:

طــرَقَتْــكَ زائــرةٌ فحــيِّ خيــالَهــا ... بيضــاءُ تَخْلِــطُ بــالحيــاء دلالَهــا

هــل تَطْمِســون مــن السمــاء نجــومَهــا ... بــأكُفّكــم أو تَسْتُــرون هــلالَهــا

اتخذ لنفسه حراقة بحذاء داره:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني الحسن بن عُلَيْل قال:

سمعتُ هِبةَ الله بن إبراهيم بن المهديّ يقول: اتّخذ أبي حَرّاقةً فأمر بشدّها في الجانب الغربيّ بحِذاء داره، فمضيت إليها ليله فكان أبي يُخاطبنا من داره بأمره ونَهْيه، فنسمعه وبيننا عَرْض دِجْلة وما أجهدَ نفسَه.

ثناء ابن أبي ظبية عليه:

أخبرني عمي قال سمعت عبدالله بن مُسْلم بن قُتَيبة يقول حدّثني ابن أبي ظَبْية قال: كنت أسمع إبراهيم بن المهديّ يتنحنح فأطْرَبُ.

غنى وعنده عدّة من المغنين وغنّى بعده مخارق فأعاد هو فأطرب:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني القَطِراني المُغَنّي عن محمد بن جبر عن عبدالله بن العباس الرَّبيعيّ قال:

/ كنّا عند إبراهيم بن المهديّ ذاتَ يوم وقد دعا كلّ مُطْرِبٍ مُحْسِن من المغنّين يومئذٍ وهو جالس يُلاعب أحدَهم بالشِّطْرَنج. فترنّم[١] بصوت فريدة: [١٠٨/١٠]

(١) كذا في جـ. وفي أ: «فترنم بعضهم». وفي سائر الأصول: «فترنم أحدهم» وكلاهما تحريف. وفي «نهاية الأرب» (ج ٤ ص ٢٢٨ طبع دار الكتب المصرية): «فترنم إبراهيم».

قال لي أحمدٌ ولم يَدْرِ ما بي أتُحِبُّ الغداةَ عُتْبةَ حقّا

وهو مُتّكىء. فلما فَرغ منه ترنّم به مُخارق فأحسنَ فيه وأطربنا وزاد على إبراهيم، فأعاده إبراهيم وزاد في صوته فعَفّى على غناء مُخارق. فلما فرَغ ردّه مخارق وغنّى فيه بصوته كلِّه وتحفَّظ فيه، فكِدنا نَطير سروراً. وأستوى إبراهيمُ جالساً وكان متكئاً فغنّاه بصوته كلِّه ووفّاه نَغَمَه وشُذُورَه، ونظرتُ إلى كتفيه تهتزّان وبدنه أجمع يتحرّك حتى فرغ منه، ومُخارِقٌ شاخِصٌ نحوَه يُرْعَد وقد أنْتُقِع لونُه وأصابعُه تختلج؛ فخُيِّل لي والله أنّ الإيوان يسير بنا. فلمّا فرغ منه تقدّم إليه مُخارق فقبّل يده وقال: جعلني الله فِداك أين أنا منك! ثم لم ينتفع مخارق بنفسه بقيّة يومه في غنائه، والله لكأنما كان يتحدث.

نسبة هذا الصوت

قال لي أحمدٌ ولم يَدْرِ ما بي أتُحِبُّ الغداةَ عُتْبةَ حقّا

فتنفّستُ ثم قلتُ نعم حبّـ ـاً جرى في العروق عِرْقاً فعِرْقا

ما لدمعي عَدِمتُه ليس يَرْقا[1] إنما يَنْتَهِلُ غَسْقاً فغَسْقا[2]

طَرَباً نحوَ ظبيةٍ تركتْ قلـ ـبي من الوجد قَرْحةً ما تَفَقّا[3]

/ الشعر لأبي العتاهية. والغناء لفَريدة خفيفُ رمل بالوسطى. وفيه لإبراهيم بن المهديّ خفيفُ رَمَلٍ آخر. [١٠/١٠٩] ٥٦/٩ ولفَريدة أيضاً لحنٌ من الثقيل الثاني في أبيات من هذه القصيدة وهي:

قد لَعَمْري مَلّ الطبيبُ ومَلّ الـ ـأهلُ منّي مما أداوَى وأرْقَى

ليتني مُتّ فأسترحتُ فإنّي أبداً ما حَيِيتُ منها مُلَقّى[4]

غنى الأمين فأطربه:

أخبرني عمّي قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني عمّي منصور بن المهديّ:

أنه كان عند أبي في يوم كانت عليه فيه نَوْبَةٌ لمحمد الأمين، فتشاغَل أبي بالشُّرب في بيته ولم يَمْضِ، وأرسل إليه عِدّةَ رُسُل فتأخّر. قال منصور: فلما كان من غَدٍ قال: ينبغي أن تَعْمَل على الرَّواح إليّ لنمضِي إلى أمير المؤمنين فنترضّاه؛ فما أشُكّ في غضبه عليّ. ففعلتُ وَمَضَيْنا. فسألنا عن خبره فأُعْلِمنا أنه مشرِف على حَيْر[5] الوحش وهو مخمور، وكان من عادته ألّا يشرب إذا لحِقه الخُمار. فدخلنا؛ وكان طريقُنا على حجرة تُصنع فيها الملاهي. فقال لي أخي: أذهب فاختَرْ منها عودا تَرْضاه، وأصْلِحْه غاية الإصلاح حتى لا تحتاج إلى

(١) يرقا: يجف وينقطع، وأصله الهمز.
(٢) الغسق: الانصباب؛ يقال: غسقت العين تغسق (من باب ضرب) غسقا وغسقانا إذا دمعت.
(٣) تفقا: تنفلق وتنشق، وأصله الهمز.
(٤) الملقى: الممتحن الذي لا يزال يلقاه مكروه إثر مكروه.
(٥) الحير: الحظيرة والبستان.

تغييره البَتّةَ عند الضَرب؛ ففعلت وجعلته في كمّي. ودخلنا على الأمين وظهرُه إلينا. فلما بَصُرنا به من بعيد قال: أَخْرِجْ عودك فأخرجتُه، وأندفع يغنّي:

وكــأسٍ شَــرِبــتُ علــى لــذّةٍ ... وأخــرى تــداويــتُ منهــا بهــا

لكــي يعلــمَ النــاسُ أنّــي أمــرؤٌ ... أتيــتُ الفُتــوّةَ مــن بــابهــا

[١١٠/١٠] / وشــاهِــدُنــا الجُــلُّ[١] والياسِمِــ ... ــيــنُ والمُسْمِعــاتُ بقُصّــابهــا

وبَــرْبَطُنــا[٢] دائــمٌ مُعْمَــلٌ ... فــأيُّ الثــلاثــة أزْرَى بهــا

فأستوى الأمين جالساً وطرِب طرباً شديداً وقال: أحسنتَ والله يا عمّ وأحييتَ لي طرباً، ودعا برطل فشربه على الرِّيق وأمتدّ في شربه. قال منصور: وغنّى إبراهيم يومئذٍ على أشدّ طبقة يُتَناهَى إليها في العود، وما سمِعتُ مثل غِنائه يومئذٍ قطّ. ولقد رأيتُ منه شيئاً عجيباً لو حُدِّثت به ما صَدَّقت، كان إذا ابتدأ يغنّي أصغتِ الوحشُ إليه ومدّت أعناقَها، ولم تزل تدنو منّا حتى تكاد أن تضع رؤوسها على الدُّكّان الذي كنّا عليه، فإذا سكتَ نَفَرتْ وبعُدت منّا حتى تنتهي إلى أبعد غاية يمكنها التّباعد فيها عنّا، وجعل الأمين يَعْجَبُ من ذلك، وأنصرفنا من الجوائز بما لم ننصرف بمثله قطُّ.

كتب له إسحاق بصوت صنعه فغناه وأجاده:

أخبرني عمّي والصُّوليّ قالا حدّثنا الحسين بن يحيى الكاتب أبو الجُمّان أنّ إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهديّ بصوت صنعه في شعر له وهو:

قــل لِمَــنْ صــدّ عــاتِبَــا ... ونــأي عنــك جــانِبَــا

قــد بلغــتَ الــذي أرَدْ ... تَ وإن كنــتَ لاعِبــا

وبيّن له شعرَه وإيقاعَه وبساطَه ومَجْراه وإصبعَه وتجزئتَه وقسمتَه ومخارجَ نَغَمه ومواضعَ مقاطعه ومقاديرَ أوزانه، فغنّاه إبراهيم، ثم لقيه بعد ذلك فغنّاه إيّاه فما خَرم منه شَذْرةً ولا نَغْمةً. قال: وفاقني فيه بحسن صوته.

نسبة هذا الصوت

٥٧/٩ / قــل لمــن صــد عــاتبــا ... ونــأى عنــك جــانبــا

قــد بلغــتَ الــذي أردْ ... تَ وإن كنــتَ لاعبــا

[١١١/١٠] / وأعتــرفنــا بمــا أدّعيــ ... ــتَ وإن كنــتَ كــاذبــا

فــأفعَــلِ الآنَ مــا أرد ... تَ فقــد جئــتُ تــائبــا

يقال: إنّ الشعر لإسحاق، ولم أجِدْه في مجموع شعره. ووجدتُ فيه لحناً لحَكَم الواديّ في ديوان أغانيه ولحنه من الماخوريّ، وهو خفيفٌ من خفيف[٣] الثقيل الثاني بالبِنصر. وكذلك ذكرتْ دَنَانيرُ أنّه لحَكَم الواديّ؛

(١) أنظر شرح هذا البيت مفصلاً في «الأغاني» جـ ٦ ص ٢٩٩ من هذه الطبعة.
(٢) البربط: العود، فارسي معرب. وفي أ و م: «وإبريقنا دائماً معمل».
(٣) في أ و م: «وهو خفيف من الثقيل الثاني... إلخ».

ويُشبه أن يكون الشعرُ لغيره. ولحن إسحاق الذي كتب به إلى إبراهيم بن المهديّ ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها. وفيه ثقيلٌ أوّل مطلق في مَجْرى البنصر لم يقع إليّ نسبتُه إلى صانعه، وأظنّه لحن حَكَم.

غنى أبا دلف العجلي وأهداه جارية:

أخبرني عمّي قال حدّثنا أبو عبدالله المَرْزُبان قال حدّثني إبراهيم بن أبي دُلَف العِجْليّ قال:

كنّا مع المعتصم بالقَاطُول[1]، وكان إبراهيم بن المهديّ في حَرّاقته بالجانب الغربيّ وأبي وإسحاقُ الموصليّ في حَرّاقتيهما في الجانب الشرقيّ، فدعاهما يوم جمعة فعبَرا إليه في زلال[2] وأنا معهما وأنا صغير وعليّ أَقْبِيةٌ ومِنْطَقةٌ. فلما دنونا من حَرّاقة إبراهيم نهض ونهضنا ونهضتْ بنهوضه صَبِيّة له يقال لها غَضّةُ، وإذا في يديه كأسان وفي يديها كأس. فلما صَعِدنا إليه اندفع فغنّى:

حيّـــــا كمـــــا الله خليليّـــــا إنْ مَيِّتــــاً كنـــــتُ وإنْ حيَّــــا

إن قلتمــــا خيـــراً فــأهــلٌ لــه أو قلتمــــا غَيّــــاً فــــلاغَيّـــا

ثم ناول كلاّ منهما كأساً وأخذ هو الكأسَ التي كانت في يد الجارية وقال: اشربا على ريقكما، ثم دعا بالطعام فأكلوا وشربوا، ثم أخذوا العيدانَ فغنّاهما ساعةً / وغنّياه؛ وضرب وضربا معه، وغنّت الجارية بعدهم. [١١٢/١٠] فقال لها أبي: أحسنتِ مراراً. فقال له: إن كنت أحسنتْ فخذها إليك، فما أخرجتُها إلاّ إليك.

سمع من مخارق لحناً فأطراه:

أخبرني عمّي قال حدّثنا عليّ بن محمد بن نصر قال حدّثني أبو العُبَيْس بن حمدون قال: لمّا صنع مخارق في شعر العَتّابي.

أَخِضْنـــي المُقَـــامَ الغَمْـــرَ إن كـــان غـــرّنـــي سَنـــا خُلَّـــبٍ أو زَلَّـــتِ القَـــدَمـــان

غنّاه إبراهيمَ بنَ المهديّ؛ فقال له: أحسنت وحياتي ما شئت! فسجد مُخارق سروراً بقول إبراهيم ذلك له.

غنى عمرو بن بانة لحناً وحدّثه حديثه:

أخبرني عمّي قال حدّثني عبدالله بن أبي سعد قال حدّثني القِطرانيّ عن عمرو بن بانة قال: غنّى إبراهيم بن المهديّ يوماً:

أداراً بحُـــزْوَى هِجْـــتِ للعيـــن عَبْـــرة فمـــاءُ الهـــوى يَـــرْفَـــضُّ أو يتـــرَقْـــرَقُ

فاستحسنتُه وسألتُه إعادتَه عليّ حتى آخُذَه عنه ففعل. ثم قال لي: إنّ حديث هذا الصوت أحسن منه. قلت: وما حديثُه أعزّك الله؟ قال: غنّانيه ابنُ جامع والصنعة فيه له، فلما أخذتُه عنه غنّيته إيّاه ليسمعه منّي، فاستحسنه جدّاً وقال: كأنّي والله ما سمعتُه قطُّ إلاّ منك ثم كان صوتُه بعد ذلك على نسبة هذا الصوت.

(١) القاطول: اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة، وهو نهر كان في موضع سامرا قبل أن تعمر، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر وبنى على فوهته قصرا سماه أبا الجند.

(٢) ظاهر أنه نوع من السفن ولم نقف عليه.

قصته مع ابن بسخنر وجاريته شارية ومخارق وعلوية:

[٥٨/٩] / أخبرني عليّ بن إبراهيم الكاتب قال حدّثنا عُبَيدالله بن عبدالله بن خُرْدَاذْبَه قال حدّثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال:

وجّه إليّ إبراهيم بن المهديّ يوماً يدعوني، وذلك في أوّل خلافة المعتصم، فصرتُ إليه وهو جالس وحدَه وشاريةُ جاريتُه خلفَ السِّتارة، فقال: إني قلتُ شعراً وغنّيت فيه وطرحتُه على شارية فأخذته وزعمت أنّها أحذق به منّي، وأنا أقول / إني أحذق به منها، وقد تَرَاضَيْنا بك حَكَماً بيننا لموضعك من هذه الصناعة، فأسمعه منّي [١٠/١١٣] ومنها وأحكم ولا تَعْجَل حتى تَسْمَعَه ثلاثَ مرّات. فقلت نعم. فأندفع يغنّي بهذا الصوت:

أضَــنُّ بلَيْلَــى وهــي غيــرُ سَخِيَّــةٍ وتَبْخَــل ليلــي بــالهــوى وأجــودُ

فأحسن وأجاد. ثم قال لها: تَغَنَّيْ، فغنّته فبرّزتْ فيه حتى كأنه كان معها في أَبِجاد، ونظر إليّ فعرف أنّي قد عرفتُ فضلَها عليه، فقال: على رِسْلِك! وتحدّثنا ساعةً وشَرِبنا. ثم أندفع فغنّاه ثانية فأضْعف في الإحسان، ثم قال لها: تَغَنَّيْ، فغنّت فبرَت وزادت أضعافَ زيادته، وكدْتُ أَشُقّ ثيابي طرباً. فقال لي: تَثَبَّتْ ولا تَعْجَلْ. ثم غنّاه ثالثة فلم يُبْقِ غايةً في الإحكام، ثم أمرها فغنّت، فكأنه إنما كان يلعب. ثم قال لي: قل، فقضيتُ لها؛ فقال: أصبتَ، فكم تُساوي عندك؟ فحمَلَني الحسدُ له عليها والنَّفاسةُ بمثلها أنْ قلتُ: تُساوي مائةَ ألف درهم. فقال: أوَ ما تُساوي على هذا الإحسان وهذا التفضيل إلاّ مائة ألف! قبّح اللهُ رأيَك! والله ما أجد شيئاً أبلغَ في عقوبتك من أن أَصْرِفك، قم فأنصرِفْ إلى منزلك مذموماً. فقلت له: ما لقولك أخْرُجْ من منزلي جواب، وقمت وأنصرفت، وقد أحْفَظني كلامُه وأَرْمَضَني[١]. فلمّا خطوت خُطُواتٍ التفتُّ إليه فقلت له: يا إبراهيم! أتَطْرُدني من منزلك! فوالله ما تُحسن أنت ولا جاريتُك شيئاً. وضرَب الدَّهرُ ضَرَبانَه، ثم دعانا المعتصمُ بعد ذلك وهو بالوزيريّة في قصر التّل[٢]، فدخلتُ أنا ومخارق وعلّويه، وإذا أميرُ المؤمنين مُصْطَبِحٌ وبين يديه ثلاثُ جاماتٍ: جامُ فضّة مملوءةٌ دنانيرَ جُدُداً، وجامُ ذهب مملوءة دراهم جُدُداً، وجامُ قواريرَ مملوءةٌ عنبراً، فظننّا أنها لنا بل لم [١٠/١١٤] نَشُكّ في ذلك، فغنّيناه وأجهدنا / أنفُسَنا، فلم يطرب ولم يتحرّك لشيء من غنائنا. ودخل الحاجبُ فقال: إبراهيم بن المهديّ. فأذِن له فدخل، فغنّاه أصواتاً أحسنَ فيها، ثم غنّاه بصوت من صنعته وهو:

مـا بـالُ شَمْـسِ أبـي الخَطّـاب قـد غَـرَبَـتْ يـا صـاحبـيَّ أظـنّ السـاعـةَ أقتـربـتْ

فأستحسنه المعتصمُ وطرِب له، وقال: أحسنتَ والله! فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين فإن كنتُ أحسنتُ فهَبْ لي إحدى هذه الجامات؛ فقال: خذ أيّتها شئتَ، فأخذ التي فيها الدنانير؛ فنظر بعضُنا إلى بعض. ثم غنّاه إبراهيم بشعر له وهو:

فمــا مُــزّةٌ قهــوةٌ قَــرْقَــفٌ شَمُــولٌ تَــروق بِــرَاوُوقِهــا[٣]

فقال: أحسنتَ والله يا عمّ وسَرَرْتَ. فقال: يا أمير المؤمنين إن كنتُ أحسنتُ فهَب لي جاماً أخرى؛ فقال: خذ أيّتهما شئتَ، فأخذ الجامَ التي فيها الدراهم؛ فعند ذلك أنقطع رجاؤنا منها. وغنّاه بعد ساعة:

(١) في أ، م: «وأمضني».
(٢) في ب، س: «قصر الليل».
(٣) المزة والقهوة والقرقف والشمول: من أسماء الخمر. والراووق: باطية الخمر.

٥٩/٩

/ ألا ليتَ ذات الخال تَلْقَى من الهوى عَشِيرَ[١] الذي ألْقَى فَيَلْتئمَ الحبُّ

فارتجّ بنا المجلسُ الذي كنا فيه، وطرِب المعتصمُ واستخفّه الطربُ فقام على رجليه، ثم جلس فقال: أحسنتَ والله يا عمّ ما شئتَ! قال: فإن كنتُ قد أحسنتُ يا أمير المؤمنين فهَبْ لي الجام الثالثة؛ فقال: خُذْها فأخذها. وقام أمير المؤمنين، ودعا إبراهيمُ بمنديل فثناه طاقتَيْن ووضع الجاماتِ فيه وشدّه، ودعا بطين فختَمه ودفَعه إلى غلامه، ونهضنا إلى الانصراف، وقُدِّمتْ دوابُّنا. فلما ركِب إبراهيم التفتَ إليّ فقال: يا محمد بن الحارث، زعمتَ أنّي لا أُحسن أنا وجاريتي شيئاً، وقد رأيتَ ثمرة الإحسان. فقلتُ في نفسي: قد رأيتُ، فخُذْها لا بارك الله لك فيها! ولم أُجِبْه بشيء.

[١١٥/١٠]

/ نسبة هذه الأصوات

صوت

ما بالُ شمسِ أبي الخطّاب قد غَرَبَتْ يا صاحبيّ أظنّ الساعة اقتربتْ

أم لا فما بالُ ريحٍ كنتُ آمُلُها غدتْ عليّ بِصِرٍّ[٢] بعدما خُبِثَتْ

أشكو إليك أبا الخطّاب جاريةً غريرةً بفؤادي اليوم قد لَعِبَتْ

رأيتُ قَيِّمَها يوماً يحدّثها[٣] يا ليتَها قَرُبَتْ منّي وما بَعُدَتْ

الشّعر والغناء لإبراهيم بن المهديّ رَمَلٌ بالبنصر. وفيه هَزَج بالبنصر، ذكر عمرو بن بانة أنه لإبراهيم الموصليّ، وذكر غيرُه أنه لإبراهيم بن المهديّ.

صوت

ألا ليتَ ذاتَ الخال تَلْقَى من الهوى عَشِيرَ الذي ألْقَى فيلتئمَ الحبُّ

وِصالُكُمُ صَدٌّ وقربُكُمُ قِلًى وعطفكُمُ سُخْطٌ وسِلْمُكُمُ حَرْبُ

الشعر للعبّاس بن الأحنف. والغناء لإبراهيم.

شعره في باقة نرجس غنى به المعتصم:

وقال ابن أبي طاهر حدّثني المؤمّل بن جعفر قال: سمعتُ أبي يقول: كانت في يد المعتصم باقةُ نرجس فقال لإبراهيم بن المهديّ: يا عَمّ قل فيها أبياتاً وغنِّ فيها. فنكَت في الأرض بقضيبٍ في يده هنيهةً ثم قال:

صوت

ثلاثُ عيونٍ من النَّرجِسِ على قائمٍ أخضرٍ أمْلَسِ

يُذَكِّرْنَنِي طِيبَ ريّا الحَبيب فيَمْنَعْنَنِي لَذَّةَ المجلسِ

(١) العشير: جزء من عشرة كالعشر.

(٢) ريح صر: شديدة الصوت والبرد.

(٣) كذا في أ، م وفي جـ: «والنأي عندكم». وفي سائر النسخ: «والشوق يغلبني».

وصنع فيه لحناً وغنّاه به، فأعجبه وأمَر له بجائزة. لحنُ إبراهيم في هذين البيتين خفيفُ رَمَل بالبنصر، ذكر لي ذُكَاءُ وغيرُه ذلك.

[١١٦/١٠] / غضب عليه المأمون وسجنه فاستعطفه حتى عفا عنه:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد النَّحْوي عن الجاحظ، وأخبرني به محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثنا يَمُوتُ بن المُزَرِّع عن الجاحظ قال:

أرسل إليّ ثُمَامة[1] يوم جلس المأمونُ لإبراهيمَ بن المهديّ وأمَر بإحضار الناس على مراتبهم فحضروا فجيء بإبراهيم، وأخبرني عمّي قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل قال حدّثني محمد بن عمرو الأنباريّ من أبناء خُرَاسان قال:

٦٠/٩ لمّا ظفِر المأمون بإبراهيم بن / المهديّ أحبَّ أن يوبِّخه على رؤوس الناس. قال: فجِيءَ بإبراهيم يَحْجُل في قيوده، فوقف على طَرف الإيوان وقال:[2] : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاتُه. فقال له المأمون: لا سلّم الله عليك ولا حَفِظك ولا رعاك ولا كَلأك يا إبراهيم. فقال له إبراهيم: على رِسْلك يا أمير المؤمنين! فلقد أصبحتَ وليَّ ثأري، والقدرةُ تُذْهِبُ الحَفِيظَةَ، ومن مَدَّ له الاغترارُ في الأمل هَجَمتْ به الأناةُ على التَّلَف. وقد أصبح ذنبي فوق كلّ ذنب، كما أنّ عفوك فوق كلّ عفو ـ وقال الحسن بن عُلَيْل في خبره: وقد أصبحت فوق كلّ ذي ذنب، كما أصبح كلُّ ذي عفو دونك ـ فإن تُعَاقِبْ فبحقّك، وإن تَعْفُ فبفضلك. قال: فأطرق مليّاً ثم رفع رأسَه فقال: إنّ هذين أشارا عليّ بقتلك. فالتفتَ فإذا المُعْتَصِم والعبّاس بن المأمون، فقال: يا أمير المؤمنين، أمّا حقيقة الرأي في مُعْظَم تدبير الخلافة والسياسة فقد أشارا عليك به وما غشّاك إذ كان ما كان منّي، ولكنّ الله عوّدك من العفو عادةً جريتَ عليها دافعاً ما تَخافُ بما ترجو، فكفاك الله. فتبسّم المأمون وأقبل [١١٧/١٠] على ثُمامة ثم قال: إنَّ من الكلام ما يفوق الدرّ ويغلِب السِّحْر، وإن كلام عمّي منه، أَطلِقوا عن عمّي / حديدَه ورُدّوه إليّ مُكَرَّماً. فلما رُدَّ إليه قال: يا عَمِّ صِرْ إلى المنادمة وارْجِعْ إلى الأنس، فلن ترى منّي أبداً إلاّ ما تحبّ. فلمّا كان من الغد بعث إليه بدَرْجٍ[3] فيه:

يـا خيـرَ مَـن ذَمَلـتْ يمـانِيَـةٌ بـه … بعـد الـرسـول لآيـسٍ أو طـامِـعِ

وأبـرَّ مَـنْ عبـد الإلٰـهَ علـى الهُـدَى … نفسـاً وأحكَمَـه بحـقٍّ صـادعِ

عَسَـلُ الفـوراع مـا أطِعْـتَ فـإن تُهَـجْ … فـالمـوتُ فـي جُـرَعِ السُّمـام النّـاقـعِ[4]

متيقّظـاً حَـذِراً ومـا يَخْشـى العـدا … نَبْهـانَ مـن وَسَنـات ليـلِ الهـاجِـعِ

والله يعلـم مـا أقـول فـإنهـا … جَهْـدُ الألِيّـة مـن حَنيـفٍ راكـعِ

(١) ثمامة: هو ثمامة بن أشرس أبو معن النميري أحد المعتزلة البصريين، ورد بغداد واتصل بهارون الرشيد وغيره من الخلفاء، وله أخبار ونوادر يحكيها عنه أبو عثمان الجاحظ وغيره. (انظر «تاريخ بغداد» ج ٧ ص ١٤٥).

(٢) انظر في هذا المقام «الطبري» ق ٣ ص ١٠٧٦ طبع أوربا و «تاريخ بغداد» ج ٦ ص ١٤٤ طبع مصر.

(٣) الدرج (بالفتح ويحرّك): ما يكتب فيه.

(٤) رواية الطبري:

فالصاب يمزج بالسمام الناقع

قَسَماً وما أُدْلِي إليكَ بحُجّةٍ ... إلاّ التضرُّعَ من محبٍّ خاشِعِ
ما إن عصيتُك والغُواةُ تَمُدّني ... أسبابُها إلاّ بنيّةِ طائِعِ
حتى إذا عَلِقتْ حبائلُ شِقْوتي ... بَرْدَى على حُفَرِ المهالكِ هائِعِ[1]
لم أدرِ أنّ لمثلِ ذنبي غافراً ... فأقمتُ أرْقُبُ أيَّ حَتْفٍ صارعي
رَدّ الحياةَ إليَّ بعد ذَهابِها ... وَرَعُ الإمامِ القاهرِ المُتواضِعِ
أحياكَ مَنْ ولاّك أطولَ مدّةٍ ... ورَمى عدوّك في الوَتِينِ بقاطِعِ
إنّ الذي قَسَم الفضائلَ[2] حازها ... في صُلْبِ آدمَ للإمامِ السابعِ
كم من يَدٍ لك لا تحدّثني بها ... نفسي إذا آلتْ إليّ مطامعي
أسديتَها عفواً إليّ هنيئةً ... فشكرتُ مُصْطَنَعاً لأكرمِ صانعِ
ورَحِمتَ أطفالاً كأفراخِ القَطا ... وعَوِيلَ عانسةٍ كقوسِ النّازعِ
وعفوتَ عمّن لم يكن عن مثلِه ... عفوٌ ولَمْ يشفَعْ إليكَ بشافعِ
إلاّ العُلُوّ عن العقوبةِ بعدما ... ظَفِرتْ يداك بمستكينٍ خاضعِ

/ قال: فبكى المأمون ثم قال: عليَّ به، فأُتي به فخلَع عليه وحمَله وأمر له بخمسة آلاف دينار، ودعا بالفَرّاش فقال له: إذا رأيتَ عمّي مُقبِلاً فاطرَحْ له تُكَأةً، فكان يُنادمه ولا يُنكر عليه شيئاً. ورُوي بعضُ هذا الخبر عن محمد بن الفضل الهاشميّ فقال فيه: لمّا فَرَغ المأمون من خطابه دفعه إلى ابن أبي خالد[3] الأحْوَل وقال: هو صديقك فخُذْه إليك. فقال: وما تُغْنِي صداقتي عنه وأميرُ المؤمنين ساخطٌ عليه! أمَا إنّي وإن كنتُ له صديقاً لا أمتنع من قول الحقّ فيه. فقال له: قُل فإنك غيرُ متَّهم. قال وهو يُريد التسلُّقَ على العفو عنه[4]: إن قتلتَه فقد قتلتِ الملوكُ قبلَك أقلّ جُرْماً منه، وإن عفوتَ عنه عفوتَ عمّن لم يُعْفَ قبلَك عن مثله. فسكت المأمونُ ساعةً ثم تمثّل:

[١٠/١٨ ٦١/٩]

فلئن عفوتُ لأعْفُوَنْ جَلَلاً ... ولئن سطوتُ لأُوهِنَنْ عَظْمِي[5]
قَوْمِي هُمُ قتلوا أُمَيْمَ أخي ... فإذا رميتُ أصابَني سَهْمي

خُذْه يا أحمد إليك مُكرّما، فانصرفَ به. ثم كتب إلى المأمون قصيدتَه العينيّة. فلمّا قرأها رقّ له وأمر بردّه إلى منزله[6] وردّ ما قُبِض منه من أمواله وأملاكه. وفي خبر عمّي عن الحسن بن عُلَيْل قال: حدّثني محمد بن إسحاق الأشْعَريّ عن أبي داود: أن المأمون تقدّم إلى محمد بن مزداد لمّا أطلقَ إبراهيمَ أن يمنعه دارَيِ الخاصّة

(١) الهائع هنا: المنتشر.
(٢) في الطبري: «الخلافة».
(٣) هو أحمد بن أبي خالد الأحول أحد رجالات المأمون وموضع ثقته. (انظر الطبري ق ٣ ص ١٠٣٨، ١٠٤٢، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٧٥).
(٤) في الأصول: «قال وهو يريد التسلق على العفو عنه فقال... إلخ» وكلمة «فقال» لا موضع لها في الكلام.
(٥) هذا شعر الحارث بن وعلة الذهلي. (انظر «أشعار الحماسة» ص ٩٦ طبع أوربا).
(٦) لعله: «منزلته».

والعامّة، ويُوكِّل به رجلاً من قِبَله يَثِق به ليعرِّفه أخبارَه وما يَتكلَّم به. فكتب إليه الموكَّل به أنّ إبراهيم لمّا بلغه منعُه من داري الخاصّة والعامّة تمثّل:

يـا سَـرْحـةَ المـاء قـد سُـدّت مَـوارِدُهْ ... أمَـا إليـكِ طـريـقٌ غيـرُ مَسْـدُودِ[1]

[١٠/١١٩] / لِحَـائـمٍ حـامَ حتـى لا حِيـامَ لـه ... مُحَـلَّأٍ عـن طـريـق المـاء مَطْـرود

فلما قرأها المأمون بكى وأمر بإحضاره من وقته مكرَّماً وإنزالِه في مرتبته؛ فصار إليه محمد فبشَّره بذلك وأمره بالرّكوب فركِب. فلما دخل على المأمون قبَّل البِساطَ ثم قال:

البِـرُّ بِـي منـك وَطَّـا العُـذْرَ عنـدك لـي ... دون اعتـذاري فلـم تَعْـذِلْ ولـم تَلُـمِ

وقـام علمُـك بـي فـاحتـجّ عنـدك لـي ... مقـامَ شـاهـدِ عَـدْلٍ غيـرِ مُتَّهَـمِ

رددتَ مـالـي ولـم تَمْنُـنْ علـيّ بـه ... وقبـل رَدِّك مـالـي قـد حقَنـتَ دمـي

تعفـو بعَـدْلٍ وتسطـو إن سطـوتَ بـه ... فـلا عَـدِمنـاك مـن عـافٍ ومُنْتَقِـمِ

فبُـؤتُ منـك وقـد كـافـأتهـا بيـدٍ ... هـي الحيـاتـان مـن مـوت ومـن عَـدَمِ

فقال له: اجلس يا عمّ آمِناً مطمئناً، فلن ترى أبداً منّي ما تكره، إلا أن تُحْدِثَ حَدَثاً أو تتغيّر عن طاعة؛ وأرجو ألاّ يكون ذلك منك إن شاء الله.

بذ أحمد بن يوسف الكاتب في حسن المحاضرة:

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني ابن حمدون عن أبيه قال:

كنت أُحِبّ أن أجمع بين إبراهيم بن المهديّ وأحمد بن يوسف الكاتب بما كنت أراه من تقدُّم أحمد وغَلَبَته الناسَ جميعاً بحِفْظه وبلاغته وأدَبِه في كل مَحْضَر ومجلِس. فدخلتُ يوماً على إبراهيم بن المهديّ وعنده أحمد بن يوسف وأبو العالية الخَزَرِيّ، فجعل إبراهيم يحدّثنا فيُضيف شيئاً إلى شيء، مرّةً يُضْحِكنا ومرّةً يَعِظُنا [٩/٦٢]// ومرّةً يُنْشِدنا ومرة يُذَكِّرنا، وأحمد بن يوسف ساكت. فلما طال بنا المجلسُ أردتُ أن أُخاطب أحمد، فسبَقني إليه أبو العالية فقال:

مـالـكَ لا تَنْبَـح يـا كلـب الـدَّوْمْ ... قـد كنـتَ نَبَّـاحـاً فمـالـك اليَـوْمْ

فتبسّم إبراهيم ثم قال: لو رأيتني في يد جعفر بن يحيى لَرَحِمْتَني كما رَحِمتَ أحمدَ منّي.

[١٠/١٢٠] / **أثنى عليه إسحاق:**

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال قال لي إسحاق: ليس فيمن يدَّعي العلمَ بالغناء مثلُ إبراهيم بن المهديّ وأبي دُلَف القاسم بن عيسى العِجْليّ. فقيل له: فأين محمد بن الحسن بن مُصْعَب منهما؟ فقال: لو قيل لك إن محمد بن الحسن يُبصر الغناء لكان ينبغي لك أن تقول: وكيف يُبْصر الغناء من نَشَأ بخُراسان لا يَسمع من الغناء العربيّ إلاّ ما لا يفهمه!.

(١) هذا الشعر لإسحاق الموصلي.

إقرار ابن بانة له ولإسحاق بالعلو في فن الغناء:

أخبرني يحيى قال حدّثني أبو العُبَيْس بن حَمْدون عن عمرو بن بانة قال:

رأيت إسحاق الموصليّ يُناظر إبراهيم بن المهديّ في الغِناء، فتكلّما فيه بما فَهِماه ولم نفهم منه شيئاً. فقلت لهما: لئن كان ما أنتما فيه من الغِناء ما نحن منه في قليل ولا كثير.

فضل المأمون غناءه على غناء إسحاق في شعر للأخطل:

أخبرني عمّي عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حَمْدون: أنّ المأمون قال لإسحاق: غنّني لحنك في شعر الأخطل:

يـا قَـلّ خيـرُ الغَـوانِـي كيـف رُغْـنَ بـه ... فشِــرْبُــهُ وَشَــلٌ منهــنّ تَصْــرِيــدُ[1]

فغنّاه أيّاه فأستحسنه، ثم قال لإبراهيم بن المهديّ: هل صنعتَ في هذا الشعر شيئاً؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فهاته؛ فغنّاه فأستحسنه المأمون وقدّمه على صنعة إسحاق، ولم يدفع إسحاقُ ذلك.

علمه إسحاق لحناً فطرب له الأمين وقصة ذلك:

أخبرني أبو الحسن عليّ بن هارون بن عليّ بن يحيى الموصليّ قال ذكر أبي عن جدّي عن عبدالله بن عيسى الماهانيّ قال:

دخلتُ يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصليّ في حاجة، فرأيتُ عليه مُطْرفَ خَزّ أسود ما رأيت قطُّ أحسن منه؛ فتحدّثنا إلى أن أخذنا في أمر المِطْرف فقال: لقد كانت / لكم أيّامٌ حسنة ودولةٌ عجيبةٌ، فكيف ترى هذا؟ [٢١/١٠] فقلت له: ما رأيتُ مثلَه. فقال: إن قيمته مائة ألف درهم، وله حديث عجيب. فقلت له: ما أُقوِّمه إلّا نحواً من مائة دينار. فقال إسحاق: إسمع حديثَه: شرِبنا يوماً من الأيام، فبتّ وأنا مُثْخَن، فأنتبهت لرسول محمد الأمين، فدخل عليّ فقال لي: يقول لك أمير المؤمنين عجِّلْ إليّ ـ وكان بخيلاً على الطعام فكنتُ آكُل قبل أن أذهب إليه ـ فقمتُ فتسوّكتُ وأصلحتُ أمري، وأعْجَلني الرسول عن الغداء. فدخلت عليه وإبراهيم بن المهديّ جالس عن يمينه وعليه هذا المطرف وجُبّة خزّ دَكْناء. فقال لي محمد: يا إسحاق تَغَدَّيتَ؟ فقلت: نعم يا سيّدي. فقال: إنّك لَنَهِمٌ، أهذا وقت غَدَاء! فقلت: أصبحتُ يا أمير المؤمنين وبي خُمَار، فكان ذلك ممّا حَدَاني[2] على الأكل. فقال لهم: كم شَرِبنا؟ فقالوا: ثلاثة أرطال. فقال: أسقوه مثلَها. فقلت: إن رأيتَ أن تفرّقها عليّ! فقال: تُسْقَى رِطلين ورِطلاً. فدُفع إليّ رِطلان فجعلتُ أشربهما وأنا أتوهّم أنّ نفسي تَسيل معهما، ثم دُفع إليّ رطلٌ آخر فشربتُه فكأنّ شيئاً أنجلى عنّي. فقال غنّني:

كُلَيْــبٌ لَعَمْــرِي كــان أكثــرَ نــاصِــراً ... وأيْسَــرَ جُــرْمــاً منــك ضُــرِّج بــالــدَّمِ

فغنّيتُه؛ فقال: أحسنتَ وطرب، ثم قام فدخل. وكان يفعل ذلك كثيراً، يدخل إلى النساء / ويدَعُنا. [٦٣/٩] فقمتُ في أثر قيامه فدعوتُ غلاماً لي فقلت: أذهب إلى منزلي وجئني

(١) كذا في «ديوان الأخطل» (طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٨٩١ م). وفي الأصول: «الشربة». والشرب (بالكسر) هنا: الحظ من الماء. والوشل هنا: القليل. والتصريد: السقي دون الري. يريد بهذا الشطر أن حظه منهن قليل.

(٢) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «جرأني».

بِزْمَاوَرْدَتَيْن[1] ولُفَّهما في منديل وأذهب رَكْضاً وعجِّل. فمضى الغلامُ فجاءني بهما. فلما وافى البابَ ونزل عن الدَّابة أنقطع البِرْذَوْنُ فنَفَق من شدّة ما رَكَضه، فأدخَل إليّ البِزْمَاوَرْدَتَيْنِ فأكلتُهما ورجَعتْ إليّ نفسي وعُدْتُ الى [١٢٢/١٠] مجلسي. فقال / لي إبراهيم: إن لي إليك حاجة أُحبّ أن تقضيها لي. فقلت: إنما أنا عبدُك وأبن عبدِك، قل ما شئتَ. قال: تَرُدّ عليّ:

* كُلَيْبٌ لَعَمْرِي كان أكثَر ناصِراً *

وهذا المِطْرفُ لك. فقلت: أنا لا آخُذ منك مِطرفاً على هذا، ولكنّي أصير إليك إلى منزلك فأُلقيه على الجواري وأردّه عليك مراراً. فقال: أحِبّ أن تردّه عليّ الساعةَ وأنِ تأخذَ هذا المطرفَ فإنه من لُبْسك ومن حاله كذا وكذا. فرددتُ عليه الصوتَ مراراً حتى أخذه. ثم سمِعنا حركة محمد فقمنا حتى جاء فجلس ثم قعدنا، فشرِب وتحدّثنا. فغنّاه إبراهيم:

* كُلَيْبٌ لَعَمْرِي كان أكثَر ناصِراً *

فكأنّي والله لم أسمعه قبل ذلك حسناً، وطرِب محمد طرباً عجيباً وقال: أحسنتَ والله يا عمّ! أَعْطِ يا غلام عَشْرَ بِدَرٍ لعمّي الساعةَ، فجاءوا بها. فقال: يا أمير المؤمنين إنّ لي فيها شريكاً. قال: ومن هو؟ قال: إسحاق. قال: وكيف؟ قال: إنما أخذتُه الساعةَ منه لمّا قمتَ. فقلت له: ولِم! أضاقت الأموال على أمير المؤمنين حتى يُشرِكك فيما تُعْطَاه! قال: أمّا أنا فأُشْرِكك وأميرُ المؤمنين أعلم. فلما أنصرفنا من المجلس أعطاني ثلاثين ألفاً وأعطاني هذا المطرف. فهذا أُخِذ به مائة ألف درهم وهي قيمتُه.

حج مع الرشيد وقصته مع جارية رآها:

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال لي إبراهيم بن المهديّ: حَجَجْتُ مع الرشيد؛ فلما صرنا بالمدينة خرجتُ أدور في عَرَصاتها، فأنتهيت إلى بئر وقد عَطِشتُ وجاريةٌ تستقي منها، فقلت: يا جارية، أمْتَحِي لي دَلْواً. فقالت: أنا والله عنك في شُغْل بضَرِيبة مَوَاليَّ عليَّ. فنقَرتُ بسوطي على سَرْجي وغنّيتُ:

[١٢٣/١٠] / صــوت

رام قلبــي السُّلُــوَّ عــن أسمــاءِ وتَعَــزّى ومــا بــه مــن عَــزاءِ

سُخْنَــةٌ فــي الشتــاء بــاردةُ الصيـــف سِــراجٌ فــي الليلــة الظلمــاء

كفِّنــانــي إن مُــتُّ فــي دِرْعِ أَرْوَى وأمْتَحــالِــي مــن بئــر عُــرْوَةَ مــائــي

ـ الشِّعر للأحوص. والغناء لمعبد رَمَلٌ مُطْلَق في مَجْرى الوسطى عن إسحاق ـ وتمام هذه الأبيات:

إنّنــي والــذي تَحُــجّ قــريــشٌ بيتَــه ســالكيــن نَقْــبَ كَــدَاءِ[2]

لَمُلِــمٌّ بهــا وإن أُبْــتُ منهــا صــادراً كــالــذي وَرَدْتُ بــداءِ

---

(١) البزماورد: طعام يسمى «لقمة القاضي» و«فخذ الست» و«لقمة الخليفة»، وهو مصنوع من اللحم المقلي بالزبد والبيض. (انظر كتاب «التاج» للجاحظ ص ١٧٣ هامشة ٣).

(٢) كداء بأعلى مكة عند المحصب.

ولهـا مَـرْبَـعٌ بِبُـرقَـة خَـاخٍ[1] ومَصِيـفٌ بـالقصـر قصـرِ قُبَـاءِ
قلبـتْ لـي ظهـرَ المِجَـنّ فـأمسـت قـد أطـاعـت مقـالـةَ الأعـداءِ

ولمعبد أيضاً في البيت الأخير من هذه الأبيات ثم الأوّل والثاني خفيفُ ثقيلٍ عن الهِشاميّ. ولابن سُرَيْج في:

* ولـهـا مَرْبَـعٌ بِبُرْقـة خَـاخٍ *

* و كفّناني إن متّ في درع أَرْوَى *

رَمَلٌ عن الهِشاميّ أيضاً. ولإبراهيم في: «رام قلبي» وما بعده ثاني ثقيلٍ عن حَبَش ـ قال إبراهيم / بن المهدي في ٦٤/٩ الخبر: فرفعتِ الجاريةُ رأسَها إليّ فقالت: أتعرفُ بئر عُرْوَة؟ قلت لا. قالت: هذه والله بئر عُرْوة، ثم سقَتْني حتى رَويتُ، وقالت: إنْ رأيتَ أن تُعيده ففعلتُ، فطربتْ وقالت: والله لأحْمِلنّ قِرْبَةً إلى رَحْلك!. فقلت: أفعلي، ففعلَتْ وجاءت معي تحملها. فلما رأتِ الجيشَ والخدمَ فزعتْ. فقلت / لها: لا بأس عليكِ! وكسوتُها ووهبتُ [١٠/١٢٤] لها دنانيرَ وحبستُها عندي، ثم صِرت إلى الرشيد فحدّثته حديثَها؛ فأمر بأبتياعها وعِتقها؛ فما بَرِحتُ حتى أشتُرِيتْ وأُعتقت، وأخذتُ لها منه صلةً وأفترقنا.

حواره مع المأمون حين استعطفه بكلام سعيد بن العاص لمعاوية:

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قالا حدّثنا محمد بن يزيد النّحويّ قال حدّثنا الفضل بن مروان قال:

لمّا أُدخِل إبراهيم بن المهديّ على المأمون وقد ظَفِر به، كلّمه إبراهيم بكلام كان سعيد بن العاص كلّم به معاوية بن أبي سفيان في سَخْطةٍ سخِطها عليه وأستعطفه به. وكان المأمون يحفظ الكلام، فقال له المأمون: هيهاتَ يا إبراهيم! هذا كلامٌ سَبَقك به فَحْلُ بني العاص بن أُميّة وقارِحُهم سعيد بن العاص وخاطَب به معاوية. فقال له إبراهيم[2]: مَهْ يا أمير المؤمنين؟! وأنت أيضاً إن عفوتَ فقد سبقك فَحْلُ بني حَرْبٍ وقارِحُهم إلى العفو، فلا تكن حالي عندك في ذلك أبعدَ من حال سعيد عند معاوية، فإنّك أشرفُ منه، وأنا أشرف من سعيد، وأنا أقرب إليك من سعيد إلى[3] معاوية، وإن أعظم الهُجْنة أن تسبق أُميّةُ هاشماً إلى مَكْرُمة. فقال: صدقتَ يا عمّ، وقد عفوتُ عنك.

غضِب عليه الأمين فاستعطفه:

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

جرى بين محمد الأمين وبين إبراهيم بن المهديّ كلامٌ على النّبيذ، فوجَد عليه محمد. فلمّا كان بعد أيام بعث إليه إبراهيم بألطاف فلم يقبلها؛ فوجّه إليه وصيفةً مليحة مغنّيةً معها عود معمول من عود هنديّ، وقال هذه الأبيات وغنّى فيها وألقاها عليها حتى أخذت الصنعةَ وأحكمَتْها، ثم وجّه بها إليه. فوقفت الجارية بين يديه

(١) برقة خاخ: قرب المدينة، وكذلك قباء.

(٢) في ب، س: «فقال له إبراهيم فكان مه يا أمير المؤمنين» وكلمة «فكان» لا موقع لها في الكلام.

(٣) كذا في حـ. وفي سائر النسخ: «عند».

وقالت له: عمُّك وعبدُك يا أمير المؤمنين يقول لك ـ وأندفعتْ تغنّي بالشعر وهو ـ:

هَتَكَـتَ الضميـرَ بَـرْدُ اللَّطَـفْ وكشَّفْـتَ هجـرَكَ لـي فـانْكَشَـفْ

[١٠/١٢٥] / وإن كنـتَ تُنكـر شيئـاً جـرى فَهَـبْ للخـلافـة مـا قـد سَلَـفْ

وجُـدْ لـي بصفحـك عـن زَلّتـي فبـالفضـل يـأخـذ أهـلُ الشـرف

قال: فسُرَّ محمدٌ بها، وبعث إلى إبراهيم فأحضره ورضي عنه وأمر له بخمسة آلاف دينار وتمَّم يومَه معه.

صالح جاريته صدوف:

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال أخبرني سعيد بن صالح الأسَديّ قال حدّثني جعفر بن محمد الهاشميّ قال حدّثني بعض خدم إبراهيم بن المهديّ قال:

كانت لإبراهيم بن المهديّ جارية يقال لها صَدُوف، وكان لها من نفسه موضع. فحسدها جواريه على محلّها منه، فلم يَزَلْنَ يُبلغنه عنها ما يكره حتى غضِب عليها وجفاها أياماً؛ ثم شقَّ ذلك عليه وأغتمَّ به، ولم يطِب نفساً بمراجعتها وصُلْحِها. فدخل عليه الأعرابيّ أخو مُعَلَّلة صاحبة الفضل بن الربيع، وكان حسنَ الشِّعْر حُلْوَ اللفظ فصيحاً، وكان إبراهيم يأنَس به، فقال له: مالي أرى الأمير منكسراً منذ أيام؟ فأمسك. فقال: قد ٦٥/٩ عرفتُ حالَ الأمير وقلتُ في / أمره أبياتاً إن أذِن لي أنشدتُه إيّاها. فتبسّم وقال: هاتِ؛ فأنشده:

أعَتَبْـتَ أم عتبـتْ عليـك صَـدُوفُ وعِتـابُ مثلِـك مثلَهـا تشـريـفُ

لا تَقْعُـدنَّ تلـوم نفسَـك دائبـاً فيهـا وأنـتَ بحبّهـا مشغـوف

إن الصَّـريمـة لا يَنُـوء بحَمْلِهـا إلّا القـويّ بهـا وأنـت ضعيـف

فاستحسن إبراهيم الأبيات وأمر له بمائتي دينار، وبعث إلى صَدُوفَ فخرجتْ إليه ورضي عنها، وبعثتْ إليه صَدُوفُ بمائة دينار.

قيل له تب وأحرق دفاتر الغناء فقال ريق تحفظ كل غنائي:

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوْكبيّ قال حدّثني أحمد بن عليّ بن حُمَيْدة قال حدّثتني رَيِّقُ قالت:

[١٠/١٢٦] / مرض إبراهيم بن المهديّ مَرْضَةً أشرفَ منها على الموت، فجعل يتذكّر شغفه بالغِناء وما سلفَ له فيه ويتندَّم عليه. فقال له بعض مَنْ حضر: فتُبْ وأحرِقْ دفاترَ الغِناء. فحرّك رأسه ساعة ثم قال: يا مجانين! فهَبْني أحرقتُ دفاتر الغِناء كلَّها، رَيِّقُ أيْشٍ أعمَل بها؟ أأقتُلها وهي تحفَظ كلَّ شيء في دفاتر الغناء!!

رأى عليا في النوم:

أخبرني جعفر بن قُدامة والحسين بن القاسم الكَوْكَبيّ قال حدّثني المُبَرّد عن أحمد بن الربيع عن إبراهيم بن المهديّ قال:

رأيتُ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم، فقلت له: إن الناس قد أكثروا فيك وفي أبي بكر وعمر، فما عندك في ذلك؟ فقال لي: إخْسَأ! ولم يَزِدْني على ذلك. وأخبرني الكَوْكَبيّ بهذا الخبر عن الفضل بن الرّبيع عن أبيه قال:

كان إبراهيم شديدَ الانحراف عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فحَدَّث المأمونَ يوماً أنه رأى علياً في النوم، فقال له: من أنت؟ فأخبره أنه عليّ بن أبي طالب. قال: فمشَيْنا حتى جئنا قنطرةً فذهب يتقدّمني لعبورها؛ فأمسكتُه وقلت له: إنما أنت رجلٌ تَدّعي هذا الأمر بامرأة ونحن أحقّ به منك! فما رأيتُ له في الجواب بلاغةَ كما يُوصف عنه. فقال: وأيّ شيء قال لك؟ فقال: ما زادني على أن قال سلاماً سلاماً. فقال له المأمون: قد والله أجابك أبلغَ جواب. قال: وكيف؟ قال: عرّفك أنك جاهلٌ لا يُجاوَب مثلُك؛ قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾. فخجِل إبراهيم وقال: ليتني لم أحدّثك بهذا الحديث.

تمنى له الأمين طول العمر:

أخبرني الكَوْكَبيّ قال حدّثني المفضّل بن سَلَمة عن هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه قال:

قلت للأمين يوماً: يا أمير المؤمنين جعلني الله فداءك! فقال: بل جعلني الله فداءك؛ فأعظمتُ ذلك. فقال: يا عمّ لا تُعْظِمْه فإنّ لي عمراً لا يزيد ولا يَنْقُص؛ / فحياتي مع الأحبّة أطيبُ من تجرُّعي فقدَهم، وليس يضرّني عيش من عاش بعدي منهم. [١٠/١٢٧]

غنى للأمين لحناً فطرب وطلب إليه أن يلقنه إحدى جواريه، وقصة ذلك:

حدّثني جَحْظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني أبي قال: كنت يوماً بين يَدي الأمين أغنّيه؛ فغنّيته:



صوت

أَقْــوَتْ منــازلُ بــالهِضــابِ	مــن آل هنــدٍ والــرِّبــابِ
خطّــارة بــزِمــامهــا	وإذا وَنَــتْ ذُلُــل[1] الــرِّكــاب
تَــرْمــي الحصــاء بمَنــاسِــمٍ	صُــمٍّ صَــلادِمَــةٍ صِــلاب

قال: فاستحسن اللَّحنَ وسألني عن صانعه؛ فعرّفته أن ابن جامع حدّثني عن سِيَاط أنه لابن/ عائشة؛ فلم يزل يشرب عليه لا يتجاوزه، ثم انصرفنا ليلتَنا تلك. ووافاني رسوله حين انتبهت من النوم وأنا أستاك، فقال لي: يقول لك: بحياتي يا عمّ لا تَشْتَغِلْ بعد الصلاة بشيء غير الركوب إليّ. فصلّيتُ وتناولتُ طعاماً خفيفاً وأنا ألبسَ ثيابي خوفاً من رجوع رسوله، وركِبتُ إليه. فلما رآني من بعيد صاح بي: يا عمّ بحياتي: [٦٦/٩]

* خطّــارة بزمامهــا *

فلمّا دخلت المجلس ابتدأته وغنّيته؛ فأمر بإحضار صَبِيَّة كان يتحظّاها، فأخرجَتْ إليّ صبيّةٌ كأنها لؤلؤة في يدها العود. فقال: بحياتي يا عمّ ألقِه عليها! فأعدتهُ مراراً وهو يشرب؛ حتى إذا ظننتُ أنها قد أخذته أمرتُها أن تغنّيه فغنّته، فإذا هو قد استوى لها إلاّ في موضع كان فيه وكان صعباً جدّاً فجهَدتُ جَهدي أن يقع لها طلباً لمَسَرّته، وكان حقيقاً منّي بذلك، فلم يقع لها البتّةَ. ورأى جهدي في أمرها وتعذُّرَه عليها، فأقبل عليها / وقد سَكِر ثم قال: نُفِيتُ من الرشيد وكلُّ أَمَةٍ لي حُرّةٌ وعليّ عهدُ الله لئن لم تأخُذِيه في المرّة الثالثة لآمُرنّ بالقائكِ في دِجْلة! [١٠/١٢٨]

(١) ذلل: جمع ذلول وهو السهل المنقاد من الناس والدواب، الذكر والأنثى فيه سواء.

قال: ودِجلةُ تطفَح وبيننا وبينها نحو ذراعين وذلك في الربيع، فتأمّلتُ القصّة، فإذا هو قد سَكِر، وإذا الجارية لا تقوله كما أقوله أبداً. فقلت: هذه والله داهية، ويتنغّص عليه يومُه وأُشرَكُ في دمها، فعدَلْتُ عمّا كنتُ أغنّيه عليه وتركتُ ما كنت أقوله، وغنّيته كما كانتْ هي تقوله، وجعلتُ أُردّده حتى أنقضت ثلاثُ مرّات أعيده فيها على ما كانت هي تقوله، وأريتُه أنّي أجتهد. فلما أنقضت الثلاث المرّات قلت لها: هاتيه الآن، فغنّته على ما كان وقع لها. فقلت: أحسنَتْ يا أمير المؤمنين، وردّدتُه معها ثلاث مرّات، فطابت نفسُه وسكَن، وأمر لي بثلاثين ألف درهم.

حدث لجحظة مع طرخان ما حدث له هو مع الأمين:

قال جَحْظةُ: وقد لَحِقني مثلُ هذا؛ فإنّ طَرْخانَ(١) بن محمد بن إسحاق بن كنداجيق أستحسن صوتاً غنّيته وهو:

أعـيـانِيَ الـشّـادِنُ الـرَّبـيـبُ أكـتُـب أشـكـو فـلا يُجيبُ
مــن أيــن أبــغـي شـفـاءَ دائـي وإنــمــا دائـيَ الـطَّـبـيـب

ـ ولحنُه رَمَلٌ ـ فقال: أحِبّ أن تطرَحه على زُهْرةَ جاريتي، فمكثتُ أتردّد إليها شهراً وأكثر وأُرَدّده عليها وهو يَصِلُني ويخلَع عليّ ويُعطيني كلَّ شيء حسن يكون في مجلسه، فلا تأخذه منّي ولا يقع لها. فلمّا كان بعد شهر قلت له: أيُّها الأمير قد والله استَحْييتُ من كثرة ما تُعطيني بسبب هذا الصوت، وقد أعياني أن تأخذه زُهْرةُ؛ ثم حدّثته حديثَ إبراهيم بن المهديّ وقلت له: لولا أنّي آمَنُكَ عليها لقلتُه أنا كما تقوله هي حتى نتخلّص جميعاً. وليس وحياتِك تأخذه أبداً كما أقوله ولا فيه حيلة. فقال لي: فدَعْهُ إذاً.

[١٠/١٢٩] / **غنّى بحضرة المأمون لحناً وأراد ابن بسخنر أن يأخذه عنه فضلله:**

حدّثني جَحْظةُ قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم قال حدّثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال:

غنّى إبراهيم بن المهديّ يوماً بحضرة المأمون:

صوت

يــا صــاح يــاذا الضّــامــر العَنْسِ والــرَّحْــل ذي الأنْســاع والحِلْــسِ
أمّــا النّهــارُ فــأنــت تقطعُــه رَتْكــاً وتُصبــح مثــلَ مــا تُمســي

٦٧/٩ ـ في هذين البيتين لحن لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ عن يونسَ والهشاميّ. قال: ولمعبد فيه ثقيل أوّل، / وقد نسب قومٌ لحنَ كلِّ واحد منهما إلى الآخر. قال محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر في الخبر: واللحن لمالك بن أبي السَّمْح وهو من قِصاره. هكذا في الخبر ـ قال: فاستحسنه المأمون، وذهبتُ آخذه، ففطِنَ لي إبراهيم فجعل يزيد فيه مرّةً وينقُص منه أخرى بزوائده التي كان يعمَلُها في الغناء، وعلِمتُ ما هو يصنع فتركتُه. فلمّا قام قلت للمأمون: يا سيّدي إن رأيتَ أن تأمر إبراهيم أن يُلْقِي عليّ:

* يا صاح ياذا الضّامِرِ العَنْسِ *

(١) كان من الأمراء. (انظر الكلام عليه في «صلة تاريخ الطبري» ص ٦٣).

قال: أفعَلُ. فلما عاد قال له: يا إبراهيم ألْقِ على محمد:

* يا صاحِ يا ذا الضَّامِرِ العَنْسِ *

فألقاه عليّ كما كان يغنّيه مُغَيَّراً، ثم أنقضى المجلس وسكِر المأمون. فقال لي إبراهيم: قم الآن فأنت أحذقُ الناس به، فخرجتُ وخرج. ثم جئتُه إلى منزله فقلت له: ما في الأرض أعجبُ منك! أنت أبن الخليفة وأخو الخليفة وعمُّ الخليفة تبخل على وليٍّ لك مثلي لا يُفاخرك بالغِناء ولا يكاثرك بصوت!! فقال لي: يا محمد ما في الدنيا أضعف عقلاً منك! والله ما أستبقاني المأمون محبّةً لي ولا صِلَةً لرَحِمي، ولكنه سمع من هذا الجِرْم شيئاً فقَدَه مِنْ سواه فأستبقاني لذلك. فغاظني فعلُه. فلما دخلت / على المأمون حدّثته بما قال لي. فقال المأمون: يا [١٠/١٣٠] محمد هذا أكفر الناس لنعمةٍ! وأطرق مليّاً ثم قال لي: لا نكدّرُ على أبي إسحاق عَفْوَنا عنه ولا نقطع رَحِمَه، فدع هذا الصوتَ الذي ضَنَّ به عليك إلى لعنة الله.

قال بيتا يكيد به لدعبل:

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني محمد بن يزيد قال:

قلت لدِعْبِل: بالله أسألك أنت القائل:

كـذلـك أهـلُ الكهـف فـي الكهـف سبعـةٌ إذا حُسِبـوا يـومـاً وثـامنهُـم كلـبُ

فقال: لا والله! فقلت: مَنْ قاله؟ قال: مَنْ حشا الله قبره ناراً إبراهيمُ بن المهديّ، كافأني بذلك عن هجائي إيّاه ليُشِيط[1] بدمي.

خطأ مخارقاً في لحن غناه للمأمون ثم لقنه إياه على وجهه:

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال حدّثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال:

لمّا رَضِي المأمون عن إبراهيم بن المهديّ ونادمه، دخل عليه متبذِّلاً في ثياب المغنّين وزيِّهم. فلما رآه وضحك وقال: نزع عمّي ثيابَ الكِبْر عن مَنكِبيه. فدخل وجلس، وأمر المأمونُ بأن يُخلَع عليه فأُلْبِس الخِلَعَ. ثم أبتدأ مُخارق فغنّى:

صـوت

خليلـيَّ مـن كَعْـبٍ أَلِمَّـا هُـدِيتُمـا بـزينـبَ لا يَفْقِـدْكُمـا أبـداً كعـبُ

مـن اليـوم زُوارَهـا فـإنّ مَطِيَّنـا غـداةَ غـدٍ عنهـا وعـن أهلهـا نُكْـبُ[2]

فقال له إبراهيم: أسأتَ وأخطأتَ. فقال له المأمون: يا عمّ إن كان أساء وأخطأ فأحْسِنْ أنتَ. فغنّى إبراهيم الصوت. فلمّا فرغ منه قال لمخارق: أَعِدْه الآن، فأعاده فأحْسَنَ. فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين كم بين الصوت الآنَ وبينه في أوّل الأمر؟ / قال: ما أبْعَدَ ما بينهما! فالتفت إلى مخارقٍ ثم قال: إنما مَثَلُك يا مُخارق [١٠/١٣١] مَثَل الثوب الوَشْيِ الفاخر، إذا تغافل عنه أهلُه سقط عليه الغبار فحال لونُه، فإذا نُفِضَ عاد إلى جوهره.

(١) اشاط دمه وبدمه: أذهبه.

(٢) نكب: مائلات، واحدها أنكب ونكباء.

سأله الرشيد عن أحسن الأسماء وأسمجها فأجابه:

أخبرني جعفر بن قُدَامة[١] قال حدّثتني شاريةُ الكبرى مولاة إبراهيم بن المهديّ قالت: سمعت مولاي إبراهيم بن المهديّ يحدّث قال:

٦٨/٩ كنتُ بين يَدَي الرشيد جالساً على طَرَف حَرّاقةٍ من حَرّاقاته وهو يريد المَوْصِلَ / وقد بلغنا إلى السودقانية[٢] ، والمَدَّادون يَمُدُّون السفن، والشُّطْرَنْجُ بيني وبينه، والدَّسْتُ متوجّهٌ له، إذ أطرق هُنَيْهةً ثم قال لي: يابْنَ أُمّ، ما أحسنُ الأسماء عندك؟ قلت: محمدٌ اسم رسول الله ﷺ. قال: ثم أيّ شيء بعده؟ قلت: هارون اسم أمير المؤمنين. قال: فما أسْمَجُ الأسماء؟ قلت: إبراهيم. فزَجَرني ثم قال: ويحك! أتقول هذا!! أليس هو اسم إبراهيم خليل الرحمن! فقلتُ له: بشُؤْم هذا الاسم لَقِيَ من نَمْرُودَ ما لَقِيَ وطُرِح في النار. قال: فإبراهيمُ ابن النبيّ ﷺ؟ قلت: لا جَرَم أنه لم يُعَمَّرْ من أجله. قال: فإبراهيمُ الإمام؟ قلتُ بحرفة[٣] أسمه قتله مروان في حَرّانَ[٤] . وأزيدك يا أمير المؤمنين: إبراهيمُ بن الوليد خُلِع، وإبراهيمُ بن عبدالله بن حسن قُتل، وعمُّه إبراهيم بن [١٠/١٣٢] حسن سقط عليه السجن فمات، وما رأيتُ والله أحداً يُسمَّى / بهذا الاسم إلاّ قُتِل أو نُكِب أو رأيتُه مضروباً أو مقذوفاً أو مظلوماً. ثم ما انقضى الكلام حتى سمعت مَلاّحاً يَصيح بآخر: مُدّ يا إبراهيم يا عاضَّ بَظر أُمّه مُدّ. فقلت له: أبَقِيَ لك شيءٌ بعد هذا! ليس والله في الدنيا أسم أشأم من إبراهيم والسلام. فضحِك والله حتى أشفقتُ عليه.

غنى المأمون لحناً عرض فيه بالحسن بن سهل:

حدّثني جَحْظة قال حدّثني أبو عبدالله الهشاميّ عن أبيه قال:

دخل الحسن بن سَهْل على المأمون وهو يشرَب؛ فقال له: بحياتي وبحقّي عليك يا أبا محمد إلاّ شرِبتَ معي قَدَحاً، وصبَّ له من نبيذه قَدَحاً. فأخذه بيده وقال له: مَنْ تُحِبّ أن يغنّيك؟ فأوْمأ إلى إبراهيم بن المهديّ فقال له المأمون: غنّه يا عمّ، فغنّاه:

* تَسْمَعُ للحَلْيِ وَسْواساً إذا أنصرفتْ *

يعرِّض به لِما كان لَحِقه من السوداء والاختلاط. فغضِب المأمون حتى ظنّ إبراهيم أنّه سيُوقع به، ثم قال له: أبَيْتَ إلاّ كفراً يا أكفرَ خلقِ الله لنِعَمِه! وآلله ما حَقَن دمَك غيرُه! ولقد أردتُ قَتْلَك فقال لي: إن عفوتَ عنه فعلتَ فعلاً لم يَسْبِقك إليه أحد، فعفوتُ وآلله عنك لقوله. أفحقُّه أن تعرِّض به ولا تَدَع كيدَك ولا دَغَلك! أوَ أَنِفتَ من إيمائه إليك بالغِناء!. فوثب إبراهيم قائماً وقال: يا أمير المؤمنين، لم أذْهَبْ حيث ظننتَ، ولستُ بعائد؛ فأعرض عنه.

(١) في ب، س: «جعفر بن محمد بن قدامة». وقد تقدم هذا الاسم في رجال السند غير مرة.
(٢) ظاهر من السياق أنها موضع.
(٣) كذا في الأصول وهو تحريف والمعنى المراد واضح إذ هو يريد بشؤم اسمه أو نحو ذلك.
(٤) في بعض الأصول هكذا: «في جراب النورة» وفي بعضها: «في حراب النورة» وكلاهما تحريف. والمذكور في كتب التاريخ: أن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس القائم بالدعوة العباسية قتله مروان بن محمد وهو في سجنه بحران، وقيل: إنه مات بالطاعون فيه، وقيل: إنه مات مسموماً. وحران مدينة عظيمة وهي قصبة ديار مضر على طريق الموصل والشام والروم. (انظر «تاريخ الطبري» ق ٣ ص ٢٤ ـ ٢٧ «ومعجم البلدان» لياقوت في الكلام على «حران»).

غنى للمعتصم لحناً وسمعه أحمد بن أبي دواد فمال للغناء بعد أن كان يتجنبه:

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوْكَبِيّ قال حدّثني جرير بن أحمد بن أبي دُواد قال حدّثني أخي عن أبي قال:

كنت أتجنّب الغِناء وأطعَن على أهله وأذمّ لَهَجهم به؛ فوجّه المعتصم إليّ عند خروجه من مدينة السلام: الْحَقْ بي؛ فلحِقتُ به بباب الشمّاسيّة ومعي غلامي زنقطة، فوجدته قد ركِب الزورق، وسمعت عنده صوتاً أذهلني حتى سقط سوطي / من يدي ولم أشعر به، ثم أحتجتُ وقد أعْنَق بي بِرْذَوْني أن أكُفَّه بسوطي. فقلت [١٠/١٣٣] لغلامي: هاتِ سوطَك؛ فقال: سقَط والله من يدي لمّا سمِعتُ هذا الغِناء. فغلَبني الضَّحِكُ حتى بان في وجهي. ودخلتُ إلى المعتصم بتلك الحال. فلمّا رآني قال لي: ما يُضحكك يا أبا عبدالله؟ فحدّثته، فقال: أتتوب الآن من الطعن علينا في السماع؟ فقلت له: قَبْلَ ذلك مَنْ كان يُغَنِّيك؟ قال: عمّي إبراهيم، كان يُغَنِّيني:

إنّ هــذا الطــويــلَ مــن آل حَفْــصٍ   أَنْشَــر المجــدَ بعــدمــا كــان مــاتــا

ثم قال: أعِدْه يا عمّ ليسمعه أبو عبدالله فإني أعلم أنه لا يَدَعُ مَذهبَه. فقلت: بلى والله لأدَعَنَّه / في هذا ولا ٦٩/٩ لُمتك عليه. فقال: أمّا إذ[١] كانت توبتُه على يديك يا عمّ فلقد فزتَ بفخرها وعَدَلْتَ برجل ضخم عن رأيه إلى شأننا.



فضله مخارق على نفسه وعلى إبراهيم الموصلي وابن جامع:

حدّثني أحمد بن عُبيدالله بن عَمّار قال حدّثني طَلْحة بن عبدالله الطَّلْحيّ قال حدّثني الحسين بن إبراهيم[٢] قال:

كنت أسأل مُخارقاً: أيُّ النّاس أحسنُ غِناءً؟ فيُجيبني جواباً مجملاً حتى حفَفْتُ[٣] عليه يوماً قال: كان إبراهيم الموصليّ أحسنَ غِناءً من ابن جامع بعَشْر طبقات، وأنا أحسن غناءً من إبراهيم الموصليّ بعشر طبقات، وإبراهيمُ بن المهديّ أحسنُ غناءً منّي بعشر طبقات. قال ثم قال لي: أحسنُ الناس غناءً أحسنهُم صوتاً، وإبراهيم بن المهديّ أحسنُ الجنّ والإنس والوحش والطير صوتاً، وحسبُك هذا.

سمع إسحاق الموصلي صوتاً من لحنه وشعره فطرب له واستعاده عامة يومه وقصة ذلك:

حدّثني عليّ بن هارون المُنَجِّم قال حدّثني محمد بن أحمد بن عليّ بن يحيى قال سمعت جدّي عليّ بن يحيى يقول حدّثني محمد بن الفضل الجَرْجَرَائِي[٤] قال:

/ انتبهتُ يوماً مُغَلِّساً، فدخل إليّ الغلامُ فقال لي: إسحاق الموصليّ بالباب قبل أن أُصلّي الغداةَ. فقلت: [١٠/١٣٤] يدخل، في الدنيا إنسان يستأذن لإسحاق! فدخل فقال: حملني الشوقُ إليك على أن بَكَرتُ هذا البُكور، وقد حملتُ معي نبيذي وعمِلتُ على المُقام عندك. فقلت: مرحباً بك وأهلاً. ودعوت طبّاخي فسألته عمّا في

(١) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «إذا» وهو تحريف.
(٢) في ب، س: «الحسين بن إبراهيم بن رياح» وورد في الأصول المخطوطة كما أثبتناه.
(٣) يقال حفه القوم وبه وحواليه إذا أحدقوا به وأطافوا وعكفوا، فلعله يريد هنا حتى أحدقت به مضيقاً عليه بالجواب.
(٤) كذا في الطبري (ق ٣ ص ١٣٧٩، ١٤٠٧، ١٥١٤) وفي الأصول: «الجرجاني» وهو تحريف.

المطبخ، فذكر أشياء يَسيرةً، منها قطعةُ جَدْيٍ وطَبَاهِجُ[١] ودُرَّاجٌ معلَّق. فقال: ما أُريد غيرَ ذلك، هاتِه الساعةَ. فقلت للطبّاخ: عَجِّلْ بإحضاره، وعمِلتُ على الأكل معه وعلى أن نأخذ في شأننا. فدخل حاجبي فقال: رسول الأمير إسحاق[٢] بن إبراهيم بالباب، وإذا فُرانِقٌ يذكر أنه وجَّه به إلى محمد بن الفضل ليُحضِره. قال فقال لي إسحاق: قم في حفظ الله وأجتهد في أن تتعجَّل. قال: فتقدّمت إلى الخادم بإخراج الجواري إليه ووَضْعِ النَّبيذ بين يديه، ولبِستُ ثيابي وخرجت وركِبت. فلمّا سِرتُ قليلاً قلت في نفسي: أنا أخْسَرُ النّاسِ صفقةً إن تركتُ إسحاقَ بن إبراهيم الموصليّ في منزلي ومضَيْتُ إلى إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبيّ، ولا أدري ما يُريد منّي. فقلت لفُرانِق: هل لك في خير؟ قال: وما هو؟ قلت: تأخذ ثلاثين درهماً وتمضي فتقول: إنك وجدتني شاربَ دواءٍ. قال نعم. فدفعتُ إليه ثلاثين درهماً، وختمتُ له خَتْماً ورجعت. فقال لي إسحاق: أسرعتَ الكَرّةَ، فأخبرته بما صَنعتُ؛ فقال وُفِّقتَ. فجلست وكان يأكل فأكلت معه، فأخذنا في شأننا. وخرج الجواري إليه فغنَّين حتى مرّ صوت إبراهيم بن المهديّ في شعره وهو:

جَـــــدَّدَ الحـــــبُّ بَـــــلاَيَـــــا ... أمـــــرُهـــــا لـيـــــس يسيـــــرا

[١٠/١٣٥] / ـ ولحنُه من الثّقيل الثاني ـ قال: فطرِب إسحاق طرباً ما رأيتُه طَرِب مِثْلَه قطّ، وعجِب من إحسانه في صَنْعته وجودة قسمته، ولم يزل صوتَنا يومَنا أجمع لا نغنّي غيرَه حتى شرِب إسحاق قَطْرَ مِيزَة[٣]، وفيه من المشمّس[٤] الذي كان يشربه ثلاثة عشر رطلاً، وكلّما حضرتْ صلاةٌ قام إسحاق يصلّي بنا، فصلّى بنا العَتَمةَ وقد فنِيَ قَطْرَ مِيزَه فشرِب من نبيذي رِطْلين على الصوت. قال: وكان محمد بن الفضل ينزل بسُوقِ الثلاثاء وإسحاق ينزل على نهر المهديّ. وقد وُزِّرَ محمد بن الفضل للمتوكّل قبل عبيدالله بن يحيى.

٧٠/٩ / نسبة هذا الصوت

جَـــــدَّدَ الحـــــبُّ بـــــلايـــــا ... أمـــــرُهـــــا لـيـــــس يسيـــــرا

كَبِـــــرَ الحـــــبُّ وقـــــدْمـــــاً ... كـــــان إذ حـــــلَّ صغيـــــرا

ذلَّـــــلَ[٥] الحـــــبُّ رِقـــــابـــــاً ... كـــــان أدنـــــاهـــــا عسيـــــرا

لـيـــــس لـــــي مـــــن حـــــبِّ إلْفِـــــي ... غيـــــرُ حـــــرمـــــانـــــي الســـــرورا

الشِّعرُ والغِناءُ لإبراهيم بن المهديّ ثاني ثقيل.

أحب جارية عند بعض أهله وقال فيها شعراً:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى بن حَمّاد قال حدّثني عبدالوهّاب بن محمد بن عيسى قال:

(١) الطباهج: الكباب. (فارسي معرب). والدراج: ضرب من الطير يطلق على الذكر والأنثى.
(٢) هو إسحاق بن إبراهيم المصعبي حاكم بغداد في أيام المأمون والمعتصم والواثق، وهو من أرباب المكانة العالية في الرواية والأدب ونقد الغناء. (انظر الحاشية رقم ١ من كتاب «التاج» للجاحظ ص ٣١).
(٣) القطرميز: قلة كبيرة من الزجاج، فارسي معرب.
(٤) كذا في جـ ولعله يعني به نبيذاً من الأنبذة صنع في الشمس. وفي أ، م: «المشمشي». وفي ب، س: «المشمش».
(٥) في أ، م: «ملك».

إستتر إبراهيم بن المهديّ عند بعض أهله من النّساء، فوكّلتْ بخدمته جاريةً جميلةً وقالت همساً: إن أرادكِ لشيءٍ فطاوِعيه وأعلميه ذلك حتى يتّسعَ له، فكانت تُوفّيه حقّه في الخدمة والإعظام ولا تُعلمه بما قالت لها؛ فجلّ مقدارُها في نفسه إلى أن قبّل يوماً يدَها، فقبّلَتِ الأرضَ بين يديه. فقال:

يـــا غـــزالاً لـــي إليـــه شـــافـــعٌ مـــن مُقلتَيْـــه
/ والـــذي أجللـــتُ خـــدَّ يْـــه فقبَّلـــتُ يَـــدَيْـــه [١٣٦/١٠]
بـــأبـــي وجهُـــك مـــا أكـ ثـــرَ حُسّـــادي عليـــه
أنـــا ضيـــفٌ وجـــزاءُ الضَّـ يـــفِ إحســـانٌ إليـــه

قال: وعمل فيه بعد ذلك لحناً في طريقة الهَزَج.

غنى للمأمون بشعر له وكان يخشى بطشه فرق له وأمنه:

وقال أحمد بن أبي طاهر:

غَنّى إبراهيم بن المهديّ يوماً والمأمون مُصْطَبِحٌ، وقد كان خافه وبلغه عنه تنكُّره:

ذهبـــتُ مـــن الـــدنيـــا وقـــد ذهبـــتْ منّـــي هَـــوَى الـــدهـــرُ بـــي عنهـــا وولّـــى بهـــا عنّـــي

فرَقّ له المأمون لمّا سمعه، وقال له: والله لا تذهب نفسُك يا إبراهيم على يد أمير المؤمنين، فَطِبْ نفساً؛ فإنّ الله قد أمّنك إلّا أن تُحدِث حَدَثاً يشهد عليك فيه عَدْلٌ، وأرجو ألّا يكون منك حَدَثٌ إن شاء الله.

نسبة هذا الصوت

صوت

ذهبـــتُ مـــن الـــدّنيـــا وقـــد ذهبـــتْ منّـــي هـــوى الـــدّهـــرُ بـــي عنهـــا وولّـــى بهـــا عَنّـــي
فـــإن أَبْـــكِ نفســـي أَبْـــكِ نفســـاً نفيســـةً وإن أَحْتَسِبْهـــا أَحْتَسِبْهـــا علـــى ضَـــنّ

الشّعر والغناء لإبراهيم بن المهديّ ثاني ثقيل بالوسطى. وهذا الشعر قاله إبراهيم بـن المهديّ لمّا أخرج الجُنْدُ عيسى[١] بن محمد ابن أخي خالد من الحبس، وله في ذلك خبر طويل، وقد شَرَطْنا ألّا نذكر من أخباره إلا ما كان من جنس الغناء.

وفي هذه القصيدة يقول:

/ وأَفْلَتَنِـــي عيســـى وكـــانـــت خـــديعـــةً حَلَلْـــتَ بهـــا مُلْكِـــي وفُلَّـــتْ بهـــا سِنّـــي [١٣٧/١٠]

قال ابن أبي طاهر وحدّثني أبو بكر بن الخصيب قال حدّثني محمد بن إبراهيم قال:

غنّى إبراهيم بن المهديّ يوماً عند المأمون فأحسن، وبحضرة المأمون كاتبٌ لطاهر يُكْنَى أبا زيد، فطرِب

(١) كان من القوّاد، وقد ناصر إبراهيم بن المهدي في وثوبه على الخلافة، وكان من وجوه شيعته ثم غضب عليه وأمر بضربه وحبسه لخيانة ظهرت منه. (انظر «تاريخ الطبري» ق ٣ ص ١٠٠٢، ١٠٠٤، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠١١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٣٠ ـ ١٠٣٤).

٧١/٩ حتى وثب فأخذ طرَف ثوب إبراهيم فقبّله. فنظر إليه المأمون مُنكِراً لفعله. فقال / ما تنظر! أقَبِّلُه والله ولو قُتِلتُ عليه! فتبسّم المأمون وقال: أبَيْتَ إلاّ ظَرْفاً.

أراد الحسن بن سهل أن يضع منه فعرض هو به:

قال ابن أبي طاهر وحدّثني عليّ بن محمد قال سمعتُ بعض أصحابنا يقول:

اِجتمع إبراهيم بن المهديّ والحسن بن سَهْل عند المأمون؛ فأراد الحسنُ أن يضَعَ[1] من إبراهيم فقال له: يا أبا إسحاق أيّ صوت تغنّيه العرب أحسنُ؟ يريد بذلك أن يُشَهِّر إبراهيمَ بالغناء والعِلم به. فقال إبراهيم: بيت الأعشى:

* تَسْمَع للحَلْي وسْواساً إذا انصرفتْ *

أي إنك مُوَسْوِس، وكان بالحَسَنِ شيءٌ من هذا.

غنت مغنية بحضرته فداعبها:

أخبرني عمّي عن جَدّي عن عليّ بن يحيى المنجِّم قال:

غنّت مُغَنّية وإبراهيم بن المهديّ حاضر:

* مَـــنْ رأى نُـوقاً غـدَتْ سَحَـراً *

فقال إبراهيم: أنا رأيتُ هذا. قيل له: وأين رأيتَه أيها الأمير؟ قال: رأيتُ ولد عليّ بن رَيْطة يَمْضون في السَّحَر إلى الصيد.

سمعته رومية أعجمية فبكت تأثراً من صوته:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدّثني بعضُ الكتّاب عن رَيِّقَ قالت:

[١٠/١٣٨] / خرجتُ يوماً إلى سيّدي (تعني إبراهيم بن المهديّ) وقد صنع لحنه في:

وإذا تُبـــاع كـــريمـــةٌ أو تُشْتَـــرى ... فســـواك بـــائعُهـــا وأنـــت المُشْتَـــرِي
وإذا صنعـــــتَ صنيعـــــةً أتممتَهـــــا ... بيـــديـــن لـيـــس نَـــدَاهمـــا بمُكَـــدَّرِ

وجاريةٌ لنا روميّة أعجميّة لا تُفْصِح في أقصى الدار تكنُس، وهو يطرح الصوت على شارية، والأعجميّة تبكي أحرَّ بكاء سمعتُه قطّ، فجعلتُ أعجَبُ من بكائها وأنظر إليها حتى سكَتَ، فلما سكت قطَعَتِ البكاء، فعلِمتُ أنّ هذا من غَلَبته بحسن صوته لكلّ طبعٍ فصيحٍ وأعْجميّ.

غنى الأمين صوتاً فأجازه:

أخبرني الحسين بن يحيى وابن المكّيّ وابن أبي الأزهر عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

غنّى إبراهيم بن المهديّ ليلةَ محمداً الأمين صوتاً لم أرْضَه في شعر لأبي نُوَاس وهو:

يـــا كثيـــرَ النَّـــوْح فـــي الـــدِّمَـــنِ ... لا عليهـــا بـــل علـــى السَّكَـــنِ
سُنَّـــــةُ العُشّـــــاق واحـــــدةٌ ... فـــإذا أحببـــتَ فـــاستكِـــنِ

(١) في ب، س: «يسمع» وهو تحريف.

ظَنَّ بي مَن قد كَلِفتُ به فهو يجفوني على الظِّنَن
رَشَأٌ لولا مَلاحتُه خَلَتِ الدُّنيا من الفِتَنِ

فأمر له بثلثمائة ألف درهم[١]. قال إسحاق فقال إبراهيم له: يا أمير المؤمنين قد أَجَزْتَني إلى هذه الغاية بعشرين ألف[٢] درهم، فقال: هل هي إلا خراج بعض الكُوَر! هكذا ذكر إسحاق. وقد رَوى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر هذه الحكاية عن إبراهيم فقال: لمّا أردتُ الانصراف قال: أَوْقِروا زورق عمّي دنانيرَ، فانصرفتُ بمال جليل.

كان يحسن الإيقاع على الطبل والناي:

أخبرني أبو الحسن عليّ بن هارون قال ذكر لي أبو عبدالله الهِشاميّ عن أهله قال قال إبراهيم بن المهديّ ـ وقد خرج إلى ذكر الطَّبْل والإيقاع به ـ فقال إبراهيم:

/ هو من الآلات التي لا يَجُوز أن تُبْلَغ نهايتُها. فقيل له: وكيف خُصَّ الطَّبل بذلك؟ فقال: لأن عمل [١٠/١٣٩] اليدين فيه عملٌ واحد، ولا بُدّ من أن يَلْحَقَ اليسارَ فيه نَقْصٌ عن اليمين، ودعا بالطَّبل ليُرِيَنا كيف ذلك فأوْقَع إيقاعاً لم نكن نظنّ أن مثلَه يكون، وهو مع ذلك يرينا موضعَ زيادة اليمين على اليسار. قال وقال له الأمين في بعض خَلَواته: يا عمّ أشتهي أن أراك تَزْمُر. فقال: يا أمير المؤمنين، ما وضعتُ على فمي ناياً قطّ ولا / أَضَعُه، $\frac{٧٢}{٩}$ ولكن يدعو أمير المؤمنين بفلانة ـ من موالي المهديّ ـ حتى تَنفُخ في النّاي وأَمِرّ يدي عليه. فأُحضِرتْ ووضَعَت النّاي على فيها وأمسكه إبراهيم، فكلما مَرّ الهواء أَمَرّ أصابعه، فأجمع سائرُ من حضَر أن لم يَسمع مثلَه قطّ.

حسن ترجيعه في لحن:

وأخبرني أبو الحسن عليّ بن هارون أيضاً قال حدّثني أبي قال حدّثني عبيدالله بن عبدالله وأبو عبدالله الهِشاميّ قالا:

كان إبراهيم بن المهديّ إذا غنّى لحنه:

هل تَطْمِسُون من السماء نُجومَها بأكفّكم أو تَسْتُرون هلالَها

فبلغ إلى قوله:

* جبريلُ بلّغها النبيَّ فقالَها *

هَزّ حَلْقه فيه ورجّعه ترجيعاً تتزلزل منه الأرض.

غنت متيم الهشامية لحناً فاختلس إيقاعه منها:

أخبرني محمد بن إبراهيم قُرَيْض قال حدّثني عبدالله بن المعتزّ قال حدّثني الهِشاميّ قال:

كانت متيّم الهشاميّة ذات يوم جالسة بين يدي المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهديّ حاضرٌ، فتغنّت متيّم في الثقيل الأوّل:

---

(١) في ب، س: «دينار».
(٢) في ب، س: بعشرين ألف ألف درهم هل هي إلخ».

* لزينبَ طيفٌ تَعْتَريني طوارقُهْ *

[١٠/١٤٠] / فأشار إليها إبراهيم أن تُعيده. فقالت متيّم للمعتصم: يا سيّدي إن إبراهيم يَسْتعيدني الصوتَ وأظنّه يريد أن يأخذه. فقال لها: لا تُعيديه. فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضراً بمجلس المعتصم وكانت متيّمُ غائبةً عنه، فأنصرف إبراهيم بالليل إلى منزله ومتيّم في منزلها بالميدان وطريقُه عليها وهي في مَنْظَرةٍ لها مُشْرِفةٍ على الطريق وهي تَطْرَح هذا الصوتَ على بعض جَواري بني هاشم، فتقدّم إلى المَنْظرة على دابّته وتَطاوَل حتى أخذ الصوتَ، ثم ضرب بابَ المنظرة بِمقْرَعته وقال: قد أخذناه بلا حَمْدِك.

نسبة هذا الصوت

لِزينَبَ طيفٌ تَعْتَريني طَوارِقُهْ	هُدُوءاً إذا النَّجْمُ أرْجَحَنَّتْ[١] لَواحِقُهْ
سَيُبْكيك مِرْنانٌ[٢] العَشِيِّ يُجيبُه	لطيفُ بَنانِ الكفّ دُرْمٌ[٣] مَرافِقُه
إذا ما بِساطُ اللّهوِ مُدّ وقُرِّبت	لِلَذّاتِه أنْماطُه ونَمارِقُه[٤]

الشعر للنُّمَيْريّ. والغناء لمعبد، ولحنُه من القَدْر الأوسط من الثّقيل الأول بالبنصر في مَجراها عن إسحاق. وفيه لمالك خفيفُ ثقيل أوّل بالبنصر عن يونس والهِشاميّ.

برهان محمد بن موسى المنجم على أنه أحسن الناس غناء:

أخبرني عليّ بن هارون قال حدّثني عبيدالله بن عبدالله بن طاهر قال:

كان محمد بن موسى المُنَجِّم يقول: حكَمتُ أنّ إبراهيم بن المهديّ أحسنُ الناس كلّهم غناءً ببرهان، وذلك أنّي كنتُ أراه بمجالس الخلفاء مثلِ المأمون والمعتصم يغني المغنون ويغنّي، فإذا أبتدأ الصوت لم يَبْقَ من الغِلمان والمُتَصرّفين في الخِدْمة وأصحابِ الصناعات والمِهَن الصِّغار والكِبار أحدٌ إلّا تَرَك ما في يده وقَرُب من أقرب موضعٍ يمكنه أن يَسْمَعَه، فلا يزال مُصغِياً إليه لاهياً عمّا كان فيه ما دام يُغَنّي، حتى إذا أمسك وتَغَنّى غيرُه [١٠/١٤١] رجَعوا إلى التّشاغُل بما كانوا فيه ولم يلتفتوا إلى ما يسمعون. / ولا برهانَ أقوى من هذا في مثل هذا من شهادة الفِطَن له واتّفاق الطّبائع ـ مع اختلافها وتَشَعُّب طُرُقها ـ على الميل إليه والانقياد له.

كانت له أشياء لم يكن لأحد مثلها:

حدّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني هِبةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ قال:

[٧٣/٩] قلتُ للمعتصم: كانت لأبي أشياء لم يكن لأحدٍ / مثلها. فقال: وما هي؟ قلت: شارية وزامِرتُها مَعْمَعَةُ. فقال: أمّا شارية فعندنا، فما فعلت الزّامرة؟ قلت: ماتت. قال: وماذا؟ قلت: وساقِيَتُه مَكْنونة، ولم يُرَ أحسنُ وجهاً ولا ألْيَنُ ولا أظرفُ منها. قال: فما فَعَلَتْ؟ قلت: ماتت. قال: وماذا؟ قلت: نخلةٌ كانت تحمِل رُطَباً طولُ الرُّطَبةِ

(١) ارجحن النجم: مال نحو المغرب.
(٢) المرنان: الكثير الرنين، ويقال: سحابة مرنان وقوس مرنان، أي كثيرة الرنين. والمراد هنا: آلة الطرب.
(٣) درم: جمع أدرم وهو من لا حجم لعظامه.
(٤) نسب هذا البيت في «الكامل» للمبرد ص ٧٠٨ طبع أوربا لنصيب.

منها شبر. قال: فما فعلت؟ قلت: جَمَّرتُها[١] بعد وفاته. قال: وماذا؟ قلت: قَدَحُه الضَّخْضَاح. قال: وما فعل؟ قلت: الساعةَ واللّه حَجَمني فيه أبو حَرْمَلة فسألته أن يَهَبه لي ففعل، ووجَّهتُ به إلى منزلي فغُسِلَ ونُظِّفَ وأُعيد إلى خِزانتي، فرأيتُ أبي فيما يَرى النائمُ في ليلتي تلك وهو يقول لي:

أيُتْرَعُ ضَحْضَاحي دماً بعدما غَدَتْ ... عليَّ به مكنونةٌ مُتْرَعاً خمرا

فإن كنتَ مني أو تحبّ مَسَرَّتي ... فلا تُغْفِلَنْ قبلَ الصّباح له كَسْرا

فأنتبَهْتُ فَزِعاً وما فَرَق[٢] الصبحُ حتى كسرتُه.

كتب إليه إسحاق الموصلي فأجابه:

فأمّا المُمَاظَّة[٣] التي كانت بينه وبين إسحاق فقد مضى في خبر إسحاق منها طَرَفٌ. ونذكر ها هنا منها ما جرى مجرى محاسنِ إبراهيم والقيامِ بحجّته إن كانت له، وعذره[٤] فيما عيب عليه لأنه بذلك حقيق. فمن ذلك نسختُ من كتابٍ أعطانيه أبو الفضلِ العبّاس بن أحمد بن ثَوَابة رحمه اللّه بخطّ إسحاق في قِرْطاس ـ وأنا أعرف خطَّه ـ وجوابٍ لإبراهيم بن المهديّ في ظهره بخطٍّ ضعيف وأظنُّه خطَّه؛ لأنه لو كان خطّ / كاتبٍ[٥] لكان أجود [١٠/٤٢] من ذلك الخط، وقد ذهب أوّلُ الكتاب فذهب منه أوّلُ الابتداء والجواب، ونسختُ بقيَّتَه؛ فكان ما وجدتُه من أبتداء إسحاق:

وكنتَ ـ جُعِلتُ فِداءك ـ كتبتَ في كتابك إلى محمد بن واضح تذكر أنك مولاي وسيدي[٦]. فمتى دفعتُ ذلك! وهل لي فخرٌ غيره! أو لأحدٍ عليّ وعلى أبي رحمه اللّه من قبلي نعمةٌ سواكم!. وأُحِبُّ[٧] ذلك أن يكون، وأرجو أن أموت قبل أن يَبْتَلِيَني اللّه بذلك إن شاء اللّه. فأمّا ذِكْرُك ـ جُعِلْتُ فِداءك ـ الصناعةَ فقد أجلَّ اللّه قدرَك عن الحاجة إلى دفعها والاعتذار عنها. وأمّا أنا المسكينَ فأنت تعلم أني لم أتَّخذ ما نحن فيه صناعةً قطّ، وأني لم أُرِدْها إلّا لكم شكراً لنعمتكم وحبّاً للقرب منكم وإليكم. فليس ينبغي أن يَعِيبني ذلك عندكم، ولا يجوز لأحدٍ أن يعيبني به إذ كان لكم. وقد علمتُ أنك لم تضعني من عَلّويه ومُخارِق بحيث وضَعْتَني إلّا لغَضَبٍ أحْوَجَك إلى ذلك، وإلاّ فأنت تعلم أنهما لو كانا مملوكَيْن لي لآثرتُ تعجيلَ الرّاحةِ منهما بعتقهما أو تَخْلِيةِ سبيلهما على ثمنٍ أُصيبه ببيعهما أو حَمْدٍ أكتسِبُه بثمنهما، فكيف أظنّ أني عندك مِثْلُهما، أو أنك تَقرِنُني[٨] إليهما وتذكرني معهما!. أوَ تلومني الآن على أن أَخْرَس فلا أنطِق بحرف، وأن أفِرَّ من الغناء فِرارَك من الخطأ فيه، وأمتعضَ منه أمتعاضَك ممن يُخفي عليك شيئاً من علومه!. كيف تَرى ـ جُعِلْتُ فِداءك ـ الآن سِبابي وأنت ترى أنّ أحداً لا

(١) جمر النخلة: قطع جمارها.
(٢) فرق الصبح: تبين واتضح.
(٣) المماظة: المخاصمة والمنازعة.
(٤) في الأصول: «وعذر» من غير هاء الضمير.
(٥) كذا في ب، س. وفي سائر النسخ: «كتابه».
(٦) كذا في أ، م. وفي سائر النسخ: «مولى وسيد».
(٧) كذا في الأصول ولعل صوابه: «ولا أحب ذلك أن يكون إلخ».
(٨) في الأصول: «تقربني» وهو تحريف.

يحسن[١] السَّبَّ غيرُك!. قد أحدثتَ لي ـ جعلتُ فداءك ـ أدباً وزِدْتَني بصيرةً فيما أُحبُّ من تَرْكِه وتَرْكِ الكلام فيه. فإن ظننتَ أنّ هذا فِرارٌ من الحجّة وتَعْريدٌ[٢] عن المناظرة، كما قلتَ، فقد ظفِرت وصرت إلى ما أحببت؛ وإلّا فإنه لا ينبغي للحرّ أن يتلهّى بما لا تقوم لذّتُه بمَعَرَّته،/ ولا لعاقلٍ أن يبذل ما عنده لمن لا يَحْمَده، ولعلّه لا يقلّب العينَ فيه حتى يلحقَه ما يكره منه. وأمّا ما قاله أبي ـ رحمه الله ـ من أنه لم يزل يتمنّى أن يَرى من / سادته مَنْ يعرف قَدْرَه حقَّ معرفته ويبلُغ علمُه بهذه الصناعةِ الغايةَ العظمى حتى رآك، فقد صدَق، ما زال يتمنّى ذلك وما زلتُ أتمنّاه. فهل رأيت ـ جُعِلْتُ فِداءك ـ حظّي[٣] منه إلاّ بأن ساويتَ به[٤] من لم يكن يساوي شِسْعَه، ولعلك لا ترضى في بعض القوم حتى تفضّله عليه، لا تنفعه عندك معرفةٌ به، ولا رعايةٌ لطول الصُّحْبة والخِدْمة، ولا حفظٌ لآثارٍ محمودةٍ باقيةٍ نذكرها ونحتجُّ بها. ثم ها أنا من بعده تَضَعُني بالموضع الذي تضعني به، وتَنْسُبني إلى ما تنسبني إليه؛ لأني توخَّيْتُ الصوابَ واجتهدتُ في البَذْل والمناصحة، لا يدفعك عنّي حِفظٌ لسَلَفٍ، ولا صيانةٌ لخَلَفٍ، ولا استدامةٌ لقديم ما نعلم، ولا مصانعةٌ لما تطلب، ولا ولاء مما أكره أن أقوله[٥]. فما أرى ـ جُعِلْتُ فِداءَك ـ من معرفتك بما في أيدينا إلاّ تجرُّعَ الحَسَرات، وتَطَلُّبَكَ لنا العَثَرات، والله المستعان. كيف أصنع جُعِلْتُ فداءك! إن سكتُّ لم تقبل ذلك مني، وإن صَدَقْتُ كذّبتني، وإن كَذَبْتُ ظفِرتَ بي، وإن مَزَحتُ لأُطربك وأُضحكك وأَقْرُبَ من أُنسك وآخُذَ بنصيبي من كرمك غضِبتَ وسَبَبْتَ، ولو كنتُ قريباً منك لضَرَبْتَ! وليتَك فعلتَ، فكان ذلك أيْسَرَ من غَضَبك. ثم من أعظم المصائب عندي أمرُك إيّايَ أن أسأل محمد بن واضح عن قولٍ قُلْتَه فيَّ عند عمرو بن بَانَة. فوالله ـ جُعِلْتُ فداءك ـ إني لأَبْشَعُ[٦] بذكره فكيف أُحِبُّ أن أذكره وأُذْكَر له!. وإني لأرثي لك من النَّظر إليه، وأَعْجَب من صبرك عليه، مع أني ـ أعوذ بالله من ذلك ـ لو رغبتُ في هذا منه ومن مثله لكفيتُك ونفسي ذلك بأن أكْسُوَه ثوبين، أو أهَبَ له دينارين، أو أقول له أحسنت في صوتين، حتى نبلغ أكثَرَ مما أردت لي أو أريده لنفسي. فالحمدُ لله الذي جعل/ حظّي منك هذا! ومثلَه غيرَ مستَصْغِرٍ لشأنك ولا مستَقِلٍّ لقليل حسن رأيك. واللهَ أسأل أن يطيل بقاءك، ويحسن جزاءك، ويجعَلَني فداءك. قد طال الكتاب، وكثر العِتاب. وجملة ما عندي[٧] من الإعظام والإجلال اللَّذَيْن لا أخاف أن أجعلهما عندك، والمحبة التي لا أمتنع منها ولا أعرف سواها، والسمع والطاعة في تسليم ما تحب تسليمه والإقرار بما أحببتَ أن أُقِرّ به، وسأُشهِد على ذلك محمد بن واضح وأُشْهِد لك به من أحببتَ وأؤدّي الخَراج. ولكن لا بدّ من فائدة وإلاّ انكسر، فهات ـ جُعِلْتُ فداءك ـ وأوفِ واستوفِ فإنك واجدٌ صحةً واستقامةً إن شاء الله. مدّ الله في عمرك، وصبَّرني عليك، وقدّمني قَبْلَك، وجعلني من كل سوء فِداءك.

(١) كذا في الأصول.
(٢) التعريد: الفرار.
(٣) لعله: «حطه».
(٤) كذا في جـ. وفي سائر الأصول «فيه» وهو تحريف.
(٥) كذا في الأصول.
(٦) بشع بالأمر: ضاق به ذرعاً.
(٧) كذا في الأصول ولعلها: «وجملة ما عندي الإعظام والإجلال اللذان إلخ».

نسخة جواب إبراهيم بعدما ذهب منه

. . . وأيَّةُ سلامةٍ أقدِر لك عليها إلاّ أسوقها إليك، أعطاني الله ما أُحِبُّ من ذلك لك. فأمّا أن أتكلّم من ورائك بشيءٍ تستثقله متعمِّداً؛ فما أنا إذاً بحُرٍّ ولا كريم، معاذَ الله من ذلك!. ولئن جمعني وإيّاك وعليَّ بنَ هشام مجلسٌ لأستشهِدَنَّه على أشياء لم أذكرها لك، ولم أكتب بها إليك، إجلالاً لقَدْرِ حالِك عندي من أعتدادٍ بمثل ذلك مني، وأنت عنه غافل، والله به عليم. وأما الرشوة[1] فأرجو أن تجيئك على ما تشتهي آتاك الله ما تحب فيما تحب وتكره وجعلك له شاكراً. وأمّا الفوائدُ التي وعدتَ ورودَها علينا فإنّي لواثقٌ أنك لا تُفيدني شيئاً فأنظر فيه إلاّ وجدتَني فيه فَطِناً أجيد تفتيشه وأعرف كُنْهَه وأُفيدك فيه وفيما أستنبطتَ منه ما لا تجد عند نفسك / أكثر ٧٥/٩ منه، فأما غيرك فألهباءُ المنثور. ويا رأس المُشَنِّعين[2] تقول إني عيَّرتُك بالصِّناعة ثم تحتج بحِذْقك في تحريف الأقوال وأكتساب الحجج، لتُفحِم خَصْمَك، وتُعْلِي حُجَّتك، / فكيف أَعِيبك بحاجتي إليك، وما أنا داخل فيه [٥/١٠ معك! لا! ولكني قلت لك: إني لستُ كفلان وفلان ممن لو كان عنده أمر ينازعك به ثَقُل عليك، إنما أنا رجل من مواليك متوسِّلٌ إليك بما يَسُرُّك، أو كصاحبٍ لك تناظره بما تحب أن تجد من تناظره فيه، فليكن ذلك بالإنصاف وطلبِ الصواب أصبتَه أو أخطأتَه، لا بالحَمِيَّة والأَنَفة والحيلة لتَرُدَّ الحقّ بالباطل. هذا معنى قولي؛ وقد أستشهدتُ عليك فيه أبا جعفر، وجاءني كتابُك وهو عندي يشهد لي. والكتابُ الذي هذا فيه بخطِّي عنده[3] لم يَرُدَّه عليَّ، فتتَبَّعْ ما فيه وخُذْني به. فلَعَمْري لئن كنتُ قرَنْتُك بمن ذكرتَ لأعِيبَك بالتشبيه لك بهم ما عِبْتُ غيرَ رأيي، ولا جهَّلتُ غيرَ نفسي. ولستُ أعتذِر من هذا لأنك تشهد لي بالحقّ فيه، وإنما تريد أن تَخْصِمَني[4] بلا حُجَّة، فيكفيني عِلْمُك بما عندي، وإلاّ فأنت إذاً بي أجهلُ منّي بك. وقلتَ: «تذكرني معهما[5]» فقد ذكَر اللهُ النارَ مع الجنة، وموسى مع فرعون، وإبليسَ مع آدم، فلم يَهُنْ بذلك موسى ولا آدمُ ولا أُكرِم فرعونُ وإبليس، فأعفني من المغالطة لي والتحريف لقولي، وأستمتعْ بي وأمتِعْني بالمصادقة. فإن أنت لم تفعل بقيتَ واحداً مستوحِشاً، ولم تَجِدْ غيري إن علم ما تعلم لم يَنْقُصْكَ، وإن علم أكثرَ منك لم يشِنْك، وإن أفهمتَه كافاك، وإن أستفهمتَه شفاك. لا والله ما أردتُ إلا ما ذكرتُه لك، ولا أحسَبك ظننتَ فيَّ غيرَ ذلك؛ لأنك لا تجهلني فأنا عندك غير جاهل. وواحدة هي لك دوني، ووالله ما كنت أبالي ألاّ أسمع من مُخارق وعَلّويه شيئاً حتى أسمع بنعيهما، ولا أراهما حتى أراهما مَيِّتَيْن، وما في هذا غيرُك والإعظامُ لك والإكرامُ. وذلك أنهما كانا لك غلامين فصيَّرتَهما نِدَّيْن تقول فيهما ويقولان فيك، وإنّما هما صَنِيعتاكَ وخِرِّيجا / تأديبك وإن كانا غيرَ طائل. فلو أعرضتَ [٦/١٠ عن أنتقاصهما ورفعتَ ما رفع الله من قَدْرك عن الإفراط في عيبهما، لكان ذلك أشبهَ بك وأجملَ بمحلِّك وخَطَرِك ومكانِك. وكذلك الذي تَرْثِي له منه وصاحبُه محمد بن الحارث، فوالله ما أُحِبُّ لك في أدبك وفضلِك ودينك ومحلِّك أن تُشَهِّر نفسَك لهما بهذا ومِثْلِه، وأن ينتهيَ إليهما ذلك عنك. أقول يعلم الله في ذلك لا لهما[6]. وإنَّ

(١) لعل إبراهيم يشير بهذا ونحوه إلى أشياء خاصة جرت بينه وبين إسحاق.

(٢) كذا في جـ وفي سائر الأصول: «المفنين».

(٣) في ب، س: «عندك لم تردّه عليّ».

(٤) خصمه يخصِمه (بكسر الصاد في المضارع): غلبه في الخصومة. وكسر عين الفعل في المضارع هنا شاذ في هذا الباب.

(٥) يريد مخارقاً وعلويه، كما سيأتي في السياق.

(٦) كذا في الأصول. ولعل صواب العبارة: «أقول ـ يعلم الله ـ ذلك لك لا لهما».

ذلك، لو صرتَ إليه، لأجملُ بك وأجلُّ لقدرك وإن كنت لتَتَخوَّلُهما به. ولو أردتَ ذلك، وإن زَهِدتَ فيه، لم تَضَعْ نفسَك ومحلَّك مع غِلمانِ أحداثٍ يبسُطون ألسنتَهم فيك بما بسطتَه منهم على نفسك، ولو لم تفعل لكنتَ أعظمَ في عيونهم من بعض مواليهم الذين تولَّوْا مِنَّتَهم. هذا رأيي لك بما هو أكبرُ لأمرك وأشبهُ بمحلِّك. ووالله ما غشَشْتُك ولا أوطأتُك عَشْواءَ، فأختر لنفسك ما رأيتَ. ولا والله لا سَمِعَا بهذا أبداً ولا بما قلتَه فيَّ إلا خَزِيَا حتى يموتا، ولا أردتُ - يشهد الله - بهذا غيرَك. وأمّا مَنْ ذكرتَ أنّي أسوّيه بأبي إسحاق رحمه الله وهو لا يساوي شِسْعَه فإنك عَنَيْتَ أبنَ جامع. وأنت لا تدخل بيني وبين أبي إسحاق رضي الله عنه، ولا أظنك والله أشدَّ حبّاً له مني، ولا كان لك أشدّ حبّاً منه لي، فقد تعلم كيف كان لي، ولكن لا أظلم أبنَ جامع كما تظلمه أنت / يا أظلم البشر. ولئن ضَمِنْتَ أن تُنْصِفَني لأكلمنَّك فيه بما لا تدفعه، ولكنّي لا أكلمك في شيء حتى أَثِقَ بهذه منك، وإلاَّ وَسِعني من السكوت ما وسعك. ومن العَجَب الذي لم أرَ مثله والمكابرةِ التي لا يشبهها شيء أعتداؤك عليَّ في التجزئة حيث[1] تقول:

حَيِّيَا أُمَّ يَعْمَرَا قَبْلَ شَحْطٍ مِنَ النَّوى

/ يا أخي وحبيبَ نفسي فأنظرْ كم في هذا من العيوب!! قولُك: «ييا» ليكون مثل «شَحْطِ» في الوزن، أيكون مثل هذا في الكلام! في الجزء الثاني «حَيّ» حتى يكون مثل «قبل»، هل يكون مثل هذا! أو ليس في «ييا» المشدّدة أربع ياءات، وفي «حي» التي عطفتَ بها ثلاثٌ فتصير سبع ياءات، وإنّما هي ثلاث في الأصل: الياء المشدّدة وياء الإثنين حيث[2] تقول «حييا»!. والناس في هذا بيني وبينك بهائم، فمَنْ أستعدي عليك! ولو أنصفتَ لعلمتَ أنّه لا يمكن في:

* حَيِّيَا أمّ يَعْمَرا *

غيرُ ما جزَّأتُ أنا إلاّ بهذا الغَلَط الذي لا يحول من تحريك ساكنٍ تجعله أوّلَ الكلام فقد زدتَ قبله حرفاً، أو تسكينِ متحرّك فتريد بعده حرفاً؛ كقولك «أم يعمرا قابل شحطن» حيث جعلت قبل الباء ألفاً، وكقولك «أم يعمرن قَبْلَا» فزدتَ الألف لتسكتَ عليها لأن السكوت على متحرّك لا يمكن. فأيَّةُ حُجَّةٍ هذه! أوْ مَنْ يصبر لك على هذا! وإنما أردتُ أنا ما يجوز فجئتني بتجزئةٍ واحدة، لا أريد غيرَ ذلك منك. مالَك يا أخي تَنْفَس عليَّ الصوابَ فيما لا نَقيصةَ عليك فيه ولا عيب، ثم أتخذتَ تَحَمُّدي إليك، بما قلتُ لك أن تسأل محمداً عن[3] قولي فيك بظهر الغيب. ذنباً بطبعك على الظلم والتحريف، حتى كأني أعلمتُك أن أحداً تنقَّصَك فحَمِيتَ لذلك، ولم يكن غيرُ الردّ عليه. والله ما مثلي يَمُنّ بهذا، ولكنّي كنتُ إذا تحدّثتُ مع محمد خالياً كلَّمتُه بمثل ما أكلِّمك به من الردِّ والجَدَل، فلما كان عندنا مَنْ يُحْتَشَم كان كلامي بما يجب[4] أن أتكلّم به من الإكرام والتقديم، فقال لي: أيُّ شيء هذا الذي أرى؟ فقلت له: هذا كلام الحشمة وذلك كلام الأنس. فأردتُ بإعلامك هذا أن تعلم أنّي لا أريد بما أنازعك فيه شيئاً يَزِيغ عما تعرف مني، وأني أذكرُك / بما يُشبهك في موضعه. فلو أتّقيتَ الله وأبقيتَ على الإخاء لَمَا كنتَ تحرّف هذا بشيء، وهو جميل أرضاه من نفسي، فتصيّره قبيحاً تريد أن أعتذر إليك منه.

وأما أداء الخَراج والإشهاد، فهذا شيء لم أطلبه منك، إنما أنت طلبتَه منّي ظالماً لي. وذلك لأني لم أنازعك إلّا منازعةَ مناظرٍ يُحبُّ أن يعرف حسنَ فَحْصه وثاقبَ نظره.

(١) في جـ، ب، س: «حتى».
(٢) في جـ، ب، س: «حتى».
(٣) في الأصول: «من».
(٤) في الأصول: «يحب».

وأمّا الرِّياسةُ فقد جعلها الله لك على أهل هذا العمل، ولا رياسة لي عليهم ولا لك عليّ؛ لأني في العلم مناظر وفي العمل متلذِّذ. فلا تظلمني ولا نفسَك لي.

ومن بعدُ فإني أُحِبُّ أن تخبرني كيف أنت اليوم بعدُ. والله غممتني، لاغمَّك الله ولا غمَّني بك. ولو شئتَ أرسلتَ إلى يحيى بن خالد طبيب أخي عُبيدالله فإنه رفيقٌ مبارَكٌ عَليم، وهو منك قريب في دار الرُّوم، أخذتَ برأيه ومن علاجه. وهَب الله لك العافيةَ ووهَبها لي فيك برحمته.

وإنّما ذكرتُ هذا الابتداءَ وجوابَه على طولهما، وهما قليلٌ من كثير من مكاتباتهما، لتعرف بهما طَرَفاً من مقدارهما في المنازعة والمجادلة، وأن إسحاق كان يريد من إبراهيم التَّواضُعَ له والخُنوعَ برياسته ويتحامل عليه في بعض / الأوقات، وينحو إبراهيم نحوَ ما فعله به؛ لأنّ نفسه تأبى ما يريده إسحاق منه، فيستعمل معه من المباينة مثلَ ما أستعمله، ويكونان في طَرَفَيْن من الظّلم يُبْعِدُ كلَّ واحدٍ منهما عن إنصاف صاحبه. وقد رَوى يوسف بن إبراهيم أخباراً فيما جرى بينهما ـ فوجدتُ كلامَهما مرصوفاً رَصْفَ إبراهيم بن المهديّ ومنظوماً نَظْمَ مَنْطِقِه ـ فيها تحاملٌ على إسحاق شديدٌ، وحكاياتٌ يَنْسُبُ مَنْ نَقَلَها إلى جهلٍ بصناعته كان إسحاق بعيداً من مثله، فعلمتُ أن إبراهيم عمل ذلك وألّفه وأمرَ يوسفَ بنشره في الناس ليدور في أيديهم ذِكرٌ له يفضُل به. وذلك بعيدٌ وقوعُه، ولن تُدْفَع الحقائق بالأكاذيب، ولا يُزِيل/ الخطأ الصوابَ، ولا الخطلُ السدادَ. وكفى مَنْ نضَح عن إسحاق بأن أغاني إبراهيم بـن المهديّ لا يكادُ يعرَف منها صوتٌ ولا يُرْوَى منها إلاّ اليسير، وأنّ كلامَه في تجنيس الطرائق أُطْرِح، وعُمِل على مذهب إسحاق، وأنقضى الصُّنْعُ لإبراهيم بذلك مع أنقضاء مدّته، كما يضمحلُّ الباطلُ مع أهله. فعدَلْتُ عن ذكر تلك الأخبار؛ لا لأنّها لم تَقَعْ إليّ، ولكنّها أخبار يتبين فيها التحامل والحَنَق، وتتضمّن من السبِّ لإسحاق والشتمِ والتجهيلِ ما يعلم أنه لم يكن يقضي على مثله لأحد ولو خاف القتل[1]، فأستبردتُ ذلك وأطَّرَحْتُه، وأعتمدتُ من أخبار إبراهيم على الصحيح، وما جرى مَجْرَى هذا الكتاب من خبرٍ مستحسنٍ وحكايةٍ ظريفةٍ دون ما يجري مَجْرَى التحامل؛ فقد مضى في صدر الكتاب من أخبارهما وإغْصَاصِ إسحاق إيّاه بريقه وتجريعه أَمَرَّ من الصبر ما ينبىء عن بطلان غيره.

[٧٧/٩] [١٠/١٤٩]

ومِمن صنع من أولاد الخلفاء عُلَيَّةُ بنتُ المهديّ، ولا أعلم أحداً منهم بعد إبراهيم أخيها كان يتقدّمها. وكان يقال: ما أجتمع في الجاهلية ولا الإسلام أخٌ وأختٌ أحسنُ غناء من إبراهيم بن المهديّ وعُلَيَّةَ أختِه. وأخبارُها تُذْكر بعد هذا تاليةً لما أذْكُره من غِنائها. فمن صنعتها:

صوت

تضحكُ عمَّا لو سَقَتْ منه شَفَا ... من أقحوانٍ بَلَّهُ قَطْرُ النَّدَى

أغرَّ يجلو عن غِشَا العين العَشَا ... حُلْوٍ بعَيْنَيْ كلِّ كَهْلٍ وفتَى

إنَّ فؤادي لا تسلِّيه الرُّقَى ... لو كان عنها صاحياً لقد صَحَا

الشعرُ لأبي النَّجْم العِجْليّ. والغِناءُ لعُلَيَّةَ بنتِ المهديّ رَمَلٌ بالوُسْطَى.

---

(١) في هذه الجملة غموض. ولعلها تصح على هذا الوجه «... ما يعلم أنه لم يكن يقضي بمثله على أحد ولو خاف القتل» أو نحو ذلك.

[١٠/١٥٠]

/ أخبار أبي النَّجم ونسبُه

أصله ونسبه، وهو في الطبقة الأولى من الرجاز:

قال أبو عمرو الشَّيْبانيّ: اسمه المُفَضَّل، وقال ابن الأعرابيّ: اسمه الفضل بن قُدَامة بن عُبَيدالله بن عبدالله بن الحارث بن عَبدة بن الحارث بن إلياس بـن عَوْف بن رَبيعة بن ربيعة بن مالك بن عِجْلِ بن لُجَيْم بن صَعْب بن عليّ بن بكر بـن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أفْصَى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلةَ بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزار. وهو من رُجّاز الإسلام الفُحُول المقدَّمين وفي الطبقة الأولى منهم.

هو أبلغ في النعت من العجاج:

أخبرنـي أبو خَليفة الفضل بن الحُبَاب الجُمَحِيّ إجازةً عن محمد بن سَلاَّم وذكر ذلك الأصمعيّ أيضاً قالا قال أبو عمرو بـن العَلاَء:

كان أبو النَّجْم أبلغَ في النَّعْت من العَجّاج.

انتصف مع الرجاز من الشعراء:

٧٨٠/٩ / أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثني أبو أيّوب المَدِينيّ قال حدّثني الفَضْل بن العبّاس الهاشميّ عن أبي عُبَيدة قال:

ما زالت الشعراء تَغْلِبُ[1] حتى قال أبو النَّجْم:

* الحمدلله الوَهُـوبِ المُجْـزِلِ *

وقال العَجّاج:

* قـد جبرَ الديـنَ الإلهُ فَجَبَـرْ *

وقال رُؤْبة:

* وقاتِم الأعماق خاوِي المُخْتَرَقْ[2] *

فأنتصفوا منهم.

[١٠/١٥١] / **أعظمه رؤبة وقام له عن مكانه:**

ووجدتُ في أخبار أبي النّجم عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ قال:

---

(١) كذا في جـ. وفي سائر النسخ: «تقصر بالرجاز حتى... إلخ».

(٢) المخترق: الممر.

قال له فتيانٌ من عِجْل: هذا رؤبةُ بالمِرْبَد[١] يجلس فيُسمع شعرَه ويُنْشِد الناسَ ويجتمع إليه فتيان من بني تَميم، فما يمنعك من ذلك؟ قال: أوَ تُحِبُّون هذا؟ قالوا نعم. قال: فأْتوني بعُسٍّ[٢] من نبيذ فأتَوْه به، فشَرِبه ثم نَهَض وقال:

إذا أَصطبحتُ أربعاً عَرفْتَني ثم تجشمتُ الذي جشّمتني

فما رآه رؤبة أعظَمه وقام له عن مكانه وقال: هذا رَجّاز العرب. وسألوه أن يُنْشِدهم فأنشدهم:

* الحمد لله الوَهُوبِ المُجْزِلِ *

وكان إذا أَنْشد أَزْبد ووحَش بثيابه (أي رمى بها). وكان من أحسن الناس إنشاداً. فلما فَرَغ منها قال رؤبة: هذه أمُّ الرَّجَز. ثم قال: يا أبا النَّجْم، قد قرّبت مرعاها إذ جعلتها بين رجل وأبنِه. يُوهِم عليه رؤبة أنه حيث قال:

تبقّلَتْ[٣] من أوّل التّبَقُّلِ بين رِمَاحَيْ مالكٍ ونَهْشَلِ

أنه يريد نَهْشَل بن مالك بن حَنْظَلة بن زيد مَنَاةَ بن تَميم. فقال له أبو النَّجْم: هيهاتَ! الكَمَرُ[٤] تَشابَهُ. أي إني إنما أريد مالك بن ضُبَيْعة بن قَيْس بن ثَعْلَبة بن عُكَابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل. ونهشل قبيلة من رَبيعة وهؤلاء يرعَوْن الصَّمَّانَ[٥] / وعَرْض الدَّهْناء. قال أبو عمرو: وكان سببُ ذِكْرِ هاتين القبيلتين (يعني بني [١٠/٥٢] مالك ونهشل) أنّ دماءً كانت بين بني دَارِم وبني نَهْشَل وحروباً في بلادهم، فَتحامَى جميعُهم الرَّعْيَ فيما بين فَلْج[٦] والصَّمَّان مخافة أن يُعَرُّوا[٧] بشرٍّ حتى عفا[٨] كَلَؤه وطال، فذكر أنّ بني عجل جاءت لِعزِّها إلى ذلك الموضع فرَعَتْه ولم تَخَفْ من هذين الحَيَّيْنِ، ففخرَ به أبو النَّجْم. قال: ويدُلّ على ذلك قول الفرزدق:

أتــرتع بالأحياء سعدُ بن مالكٍ وقـد قَتلوا مَثْنَى بِظِنَّةٍ[٩] واحد

فلم يَبْقَ بين الحيّ سعدِ بن مالكٍ ولا نَهْشَلٍ إلا دماءُ الأساوِد[١٠]

ترتيب الرجاز في رأي بعض الرواة:

وقال الأصمعيّ: قيل لبعض رُواة العرب: مَنْ أَرْجَزُ النّاس؟ قال: بنو عِجْل ثم بنو سعد ثم بنو عجل ثم بنو سعد. (يريد الأغلبَ ثم العجّاج ثم أبا النَّجْم ثم رؤبة).

(١) يعني مربد البصرة وهو من أشهر محالها، وكانت به سوق الإبل قديماً ثم صار محلّة عظيمة سكنها الناس، وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء.

(٢) العس: القدح الكبير.

(٣) تبقلت: خرجت لطلب البقل.

(٤) الكمر: جمع كمرة، وهي رأس الذكر. يريد أن الرجال اختلطت عليك. وقد صار هذا مثلاً، ولفظه «الكمر أشباه الكمر».

(٥) الصمان: أرض فيها غلظ وارتفاع، وفيها قيعان واسعة ورياض معشبة، وإذا أخصبت ربعت العرب جميعاً. وكان الصمان في قديم الدهر لبني حنظلة، والحزن لبني يربوع، والدهناء لجماعتهم، والصمان متاخم للدهناء والعرض: الوادي.

(٦) فلج: علم على عدّة مواضع.

(٧) يعروا: يصابوا. وفي الأصول: «يغروا». بالغين المعجمة وهو تصحيف.

(٨) عفا: كثر.

(٩) الظنة: التهمة.

(١٠) الأساود: شخوص القتلى، وهو جمع الجمع للسواد؛ ومنه قول الأعشى:

تناهيتم عنا وقد كان فيكم أساود صرعى لم يسوّد قتيلها

كان يتسرع إلى رؤبة فيكفه عنه المسمعي:

أخبرني أبو خَليفة عن محمد بن سَلاّم قال قال عامر بن عبدالملك المِسْمَعيّ:

كان رؤبةُ وأبو النَّجم يجتمعان عندي فأطلب لهما النبيذ، فكان أبو النَّجم يتسرّع إلى رؤبة حتى أكفَّه عنه.

ناجز العجاج حتى هرب منه:

ونسختُ من كتاب أبي عمرو الشَّيبانيّ قال حدّثني بعض البَصْريّين منهم أبو بَرْزَة المَرْثَدِي ـ قال وكان عالماً راويةً ـ قال:

خرج العَجّاج متحفِّلاً[1] عليه جُبَّةُ خَزٍّ وعمامةُ خَزٍّ على ناقةٍ له قد أجاد رَحْلَها حتى وقف بالمِربَد والناسُ مجتمعون، فأنشدهم قولَه:

* قد جبرَ الدِّينَ الإلٰهُ فَجَبَرْ *

[١٠/١٥٣] / فذكر فيها رَبيعةَ وهجاهم. فجاء رجل من بكر بن وائل إلى أبي النَّجم وهو في بيته فقال له: أنت جالسٌ وهذا العجّاج يهجونا بالمِربَد قد اجتمع عليه الناس!! قال: صِفْ لي حالَه وزِيَّه الذي هو فيه، فوصَف له. فقال: ابْغِني / جَمَلاً طَحّاناً قد أكْثِر عليه من الهِناء[2]، فجاء بالجمل إليه. فأخذ سراويلَ له فجعل إحدى رجليه فيها واتَّزَرَ بالأخرى وركِب الجمل ودفع خِطَامَه إلى مَنْ يقوده، فانطلق حتى أتى المِربَدَ. فلمّا دنا من العَجّاج قال: اخلَعْ خِطَامَه فخلَعه، وأنشد: ٧٩/٩

* تَذَكَّرَ القلبُ وجَهْلاً مَا ذَكَرْ *

فجعل الجملُ يدنو من الناقة يتشمَّمها ويتباعد عنه العَجّاج لئلا يُفسِد ثيابَه ورَحْلَه بالقَطِران، حتى إذا بلغ إلى قولـه:

* شيطانُه أُنثى وشيطاني ذَكَرْ *

تعلّق الناس هذا البيت وهرب العجاج.

غلب الشعراء عند عبدالملك بن مروان أو سليمان بن عبدالملك وظفر منه بجارية:

ونسختُ من كتاب أبي عمرو قال حدّثني أبو الأزهر آبن بنت أبي النَّجْم عن أبي النجم أنّه كان عند عبدالملك بن مروان ـ ويقال عند سليمان بن عبدالملك ـ يوماً وعنده جماعة من الشعراء، وكان أبو النّجم فيهم والفرزدقُ، وجاريةٌ واقفةٌ على رأس سليمانَ أو عبدِالملك تَذُبّ عنه، فقال: من صبَّحني بقصيدة يفتخر فيها وصدَق في فخره فله هذه الجاريةُ. فقاموا على ذلك ثم قالوا: إن أبا النَّجْم يَغْلِبنا بمقطَّعاته (يعنون بالرَّجَز)، قال: فإني لا أقول إلاّ قصيدةً. فقال من ليلته قصيدتَه التي فخَر فيها وهي:

* عَلِقَ الهوى بحبائل الشَّعْثاء *

[١٠/١٥٤] / ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراءُ فأنشده، حتى إذا بلغ إلى قوله:

(١) متحفلاً: متزيناً.
(٢) الهناء: القطران.

مِنّا الّذي ربَعَ[١] الجيوشَ لظهره عشرون وهو يُعَدّ في الأحياء

فقال له عبدالملك: قِفْ، إن كنتَ صدَقْتَ في هذا البيت فلا نُريد ما وراءه. فقال الفرزدق: وأنا أعرف منه ستة عشر، ومن ولَدَ وَلَدِهِ أربعة كلُّهم قد ربَع. فقال عبد الملك أو سليمان: ومن وَلَد وَلَدِه هم وَلَدُهُ، إدفع إليه الجارية يا غلام. قال: فغلَبهم يومئذٍ.

قال: وبلغني من وجه آخر أنه قال له: فإذا أقررتَ له بستة عشر فقد وهبتُ له أربعة، ودفَع إليه الجارية، فقدِم بها الباديةَ؛ فكان بينه وبين أهله شرٌّ من أجلها.

وصف جارية لخالد بن عبدالله القسري لساعته فوهبها له:

وقال أبو عمرو:

بعث الجُنَيْدُ بن عبدالرحمن المُرّيّ إلى خالد بن عبدالله القَسْريّ بسَبْيٍ من الهند بِيضٍ، فجعل يَهَبُ لأهل البيت كما هو للرّجل من قريش ومن وجوه الناس، حتى بَقِيتْ جاريةٌ منهنّ جميلةٌ كان يَدَّخِرها وعليها ثيابٌ أرْضِها فُوطتان. فقال لأبي النَّجْم: هل عندك فيها شيءٌ حاضر وتأخذها الساعة؟ قال: نعم أصلَحك الله! فقال العُرْيان بن الهَيْثَم النَّخَعِيّ: كذَب والله ما يقدِر على ذلك.

فقال أبو النَّجْم:

عَلِقتُ خَوْداً من بنات الزُّطِّ[٢] ذاتَ جَهازٍ[٣] مُضْغَطٍ مُلَطِّ[٤]

رَابِي المَجَسِّ جَيِّدِ المَحَطِّ كأنّما قُطَّ على مِقَطِّ

إذا بدا منها الذي تُغَطّي كأنّ تحت ثوبها المُنْعَطِّ[٥]

شَطّاً[٦] رميتَ فوقه بشَطِّ لم يَنْزُ في البطن ولم يَنْحَطِّ

فيه شِفاءٌ من أذى التَّمَطِّي كهامةِ الشيخِ اليَمانِي الثَّطِّ[٧]

[١٠/١٥٥]

وأوْمأ بيده إلى هامة العُرْيان بن الهَيْثَم. فضحِك خالد وقال للعُرْيان: كيف ترى! أحْتَاجَ إلى أن يُرَوِّيَ[٨] فيها يا عُرْيان؟! قال: لا والله! ولكنّه ملعون ابن ملعون:

وقال أبو عمرو في هذه الرواية وأخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المُبَرّد قال حدّثني محمد بن المُغيرة[٩] بن محمد عن الزُّبَير بن بكّار عن فُلَيْح بن إسماعيل بن جعفر بن أبي كَثِير قال:

(١) ربع الجيوش: أخذ ربع أموالهم، وكان ذلك حظ الرئيس عند الغلبة، واسم هذا النصيب المرباع.
(٢) الزط: جيل أسود من السند.
(٣) الجهاز هنا: فرج المرأة.
(٤) ملط: مستور، من ألط الشيء إذا ستره.
(٥) انعط الثوب: انشق.
(٦) الشط: جانب السنام.
(٧) الثط: الخفيف اللحية.
(٨) يروي: يتروى ويفكر.
(٩) في أ، م: «المغيرة بن محمد».

غضب عليه هشام ثم سمر معه ليلة فرضي عنه:

٨٠/٩
ورد أبو النَّجم على هشام / بن عبدالملك في الشعراء. فقال لهم هشام: صِفُوا لي إبلاً فقَطِّروها[١] وأَوْرِدوها وأَصْدِروها حتى كأنّي أنظر إليها. فأنشدوه وأنشده أبو النَّجم:

* الحمدُلله الوَهُوبِ المُجْزِلِ *

حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال «وهي على الأُفق كعين...» وأراد أن يقول «الأحولِ» ثم ذكر حَوْلَةَ هشام فلم يُتِمَّ البيتَ وأُرْتِج عليه. فقال هشام: أَجِزِ البيت. فقال «كعين الأحول» وأتمّ القصيدةَ. فأمر هشام فُوجِيء[٢] عُنُقه وأُخرِج من الرُّصَافة، وقال لصاحب شُرْطته: يا رَبِيع إيّاك وأن أرى هذا!، فكلّم وجوهُ الناس صاحب الشُّرطة أن يُقِرَّه ففعل، فكان يُصيب من فُضول أطعمة الناس ويأوِي إلى المساجد. وقال الزُّبير في خبره قال أبو النّجم: ولم يكن أحدٌ بالرُّصافة يُضيف إلّا سُلَيْم بن كَيْسان الكلبيّ وعمرو بن بِسْطام التَّغْلَبِيّ، فكنتُ آتي سُلَيْماً فأتغدّى عنده، وآتي عمراً فأتعشّى عنده، وآتي المسجد فأَبِيتُ فيه. قال: فَاْهتَمّ هشام ليلةً وأمسى لَقِسَ [١٠/١٥٦] النَّفْس/ وأراد محدِّثاً يحدِّثه، فقال لخادمٍ له: اِبْغِنِي مُحَدِّثاً أعرابيّاً أهوجَ شاعراً يَرْوِي الشعر. فخرج الخادم إلى المسجد فإذا هو بأبي النَّجم، فضربه برجله وقال له: قُمْ أَجِبْ أميرَ المؤمنين. قال: إنّي رجل أعرابيّ غريب. قال: إيّاكَ أَبْغِي، فهل تَرْوِي الشعر؟ قال: نعم وأقوله. فأقبل به حتى أدخله القصر وأغلَق البابَ، قال: فأيْقَن بالشرّ ثم مضى به فأدخله على هشام في بيت صغير، بينه وبين نسائه سِتْرٌ رقيقٌ والشَّمْعُ بين يديه تَزْهَر[٣]. فلما دخل قال له هشام: أبو النَّجم؟! قال: نعم يا أمير المؤمنين طَرِيدُك. قال: أجلس. فسأله وقال له: أين كنتَ تأوِي ومن كان يُنْزِلك؟ فأخبره الخبرَ. قال: وكيف أجتمعا لك؟ قال: كنتُ أتغدّى عند هذا وأتعشّى عند هذا. قال: وأين كنتَ تبيت؟ قال: في المسجد حيث وجدني رسولك. قال: ومالَكَ من الولَد والمال؟ قال: أمّا المالُ فلا مالَ لي، وأمّا الوَلَدُ فلِي ثلاثُ بناتٍ وبُنَيٌّ يقال له شَيْبَان. فقال: هل زَوّجتَ[٤] من بناتك أحداً؟ قال: نعم زوّجتُ أثنتين، وبقِيَتْ واحدة تَجْمِز[٥] في أبياتنا كأنّها نعامة. قال: وما وصَّيْتَ به الأولى؟ - وكانت تسمّى «بَرّة» بالراء - فقال:

أَوْصَيْـــتُ مـــن بَـــرّةَ قلبــاً حُـــرّا	بـــالكلـــب خيـــراً والحَمـــاةِ شَـــرّا
لا تَسْـــأَمِـــي ضَـــرْبـــاً لهـــا وجَـــرّا	حتـــى تـــرَى حلـــوَ الحيـــاة مُـــرّا
وإن كسَتْـــــكِ ذهبـــــاً ودُرّا	والحـــيَّ عُمِّيهـــم بشـــرٍّ طُـــرّا

فضحِك هشام وقال: فما قلتَ للأُخرى؟ قال قلت:

سُبِّـــي الحَمـــاةَ وأبْهَتِـــي[٦] عليهـــا	وإن دَنَـــتْ فـــازْدَلِفـــي إليهـــا

(١) قطر الإبل: قرب بعضها من بعض على نسق.
(٢) في ب، س: «بوجء عنقه وإخراجه». يقال وجأه باليد وبالسكين إذا ضربه.
(٣) زهر السراج: تلألأ.
(٤) في حـ، ب، س: «أخرجت».
(٥) جمز: عدا وأسرع.
(٦) بهته: قذفه بالباطل. وهي هنا على تضمين ابهتي معنى افتري عليها فتتعدى بعلى.

وأَوْجعـي بـالفِهْـر[١] ركبتَيْهـا ومِـرْفَقَيْهـا واضْـربـي جَنْبَيْهـا

/ وظـاهِـري النُّـذْرَ لهـا عليهـا لا تُخْبِـري الـدَّهـرَ بـه ابْنتَيْهـا [١٠/١٥٧]

قال: فضَحِك هشام حتى بدَتْ نواجذُه وسقط على قَفاه. فقال: وَيْحَك! ما هذه وصيّة يعقوب ولدَه! فقال: وما أن كيعقوب يا أمير المؤمنين. قال: فما قلتَ للثالثة؟ قال قلت:

أُوصِيـكِ يـا بنتـي فـإنـي ذاهـبُ أُوْصِيـك أن تَحْمَـدكِ القـرائـبُ

والجـارُ والضيـفُ الكـريـمُ السّـاغِـبُ لا يُـرْجَـع المسكيـنُ وهـو خـائـبُ

/ ولا تَنـي أظفـارُك السَّـلاَهِـبُ[٢] منهـنّ فـي وجـه الحَمـاة كـاتـبُ ٨١/٩

* والزوجَ إنّ الزوج بئس الصاحبُ *

قال: فكيف قلتَ لها هذا ولم تَتزوّج؟ وأيّ شيء قلتَ في تأخير تزويجها؟ قال قلت فيها:

كـأنّ ظَـلاّمـةَ أخـتَ شَيْبـانْ يَتيمـةٌ ووالـداهـا حيّـانْ

الـرأسُ قَمْـلٌ كلُّـه وصِئْبـانْ[٣] وليـس فـي السـاقَيْـن إلاّ خَيْطـانْ

* تلك التي يَفْزَع منها الشيطانْ *

قال: فضحِك هشام حتى ضحك النساءُ لضَحِكه، وقال للخَصِيّ: كم بَقِي من نفقتك؟ قال: ثلثمائة دينار. قال: أَعْطِه إيّاها ليجعلها في رِجْل ظَلاّمةَ مكان الخيطين.

كان أسرع الناس بديهة:

وقال الأصمعيّ أخبرني عمّي وأخبرني ببعض هذا الحديث ابنُ بنت أبي النَّجْم أنّ أبا النَّجْم قال:

* الحمد لله الوَهُوبِ المُجْزِل *

في قَدْر ما يَمشي الإنسان من مسجد الأشياخِ إلى حاتم الجزّار. ومقدار ما بينهما غَلْوةٌ[٤] أو نحوُها. قال: وكان أسرعَ الناس بَدِيهةً.

/ سئل الأصمعي أي الرجز أحسن وأجود فقال رجز أبي النجم: [١٠/١٥٨]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا أبو أيوب المَدِينيّ قال حدّثنا أبو الأسود النوجشاني[٥] قال: مَرّ أبي بالأصمعي وأنا عنده فقال له: يا أبا سعيد أيّ الرَّجَز أحسن وأجود؟ قال: رَجَزُ أبي النَّجْم.

سأله هشام بن عبدالملك عن رأيه في النساء فأجابه:

(١) الفهر: الحجر يملأ الكف.
(٢) السلاهب: الطويلة.
(٣) الصئبان: جمع صؤابة وهي بيضة القمل.
(٤) الغلوة: رمية سهم أبعد ما يقدر عليه، ويقال: هي قدر ثلثمائة ذراع إلى أربعمائة.
(٥) كذا في الأصول. ولم نقف على هذه النسبة فيما لدينا من كتب «الأنساب». والظاهر أنها محرفة عن «النوشجاني» نسبة إلى نوشجان بلدة بفارس.

نسختُ من كتاب أحمد بن الحارث الخَرّاز قال حدّثنا المدائنيّ قال:

دخل أبو النَّجم على هشام بن عبدالملك وقد أتت له سبعون سنة. فقال له هشام: ما رأيُك في النساء؟ قال: إنّي لأنظر إليهنّ شَزْراً[1] وينظرن إليّ خَزْراً. فوهب له جارية وقال له: آغدُ عليّ فأعْلِمْني ما كان منك. فلما أصبح غدا عليه. فقال له: ما صنعتَ؟ فقال: ما صنعتُ شيئاً ولا قدَرْتُ عليه، وقد قلتُ في ذلك أبياتاً. ثم أنشده:

نظرتْ فأعجبَها الذي في دِرْعِها ... من حُسْنه ونظرتُ في سِرْبالِيا

فرأتْ لها كَفَلاً يَميل بخَصْرها ... وَعْثاً[2] روادفُه وأَجْثمَ[3] جاثِيا

ورأيتُ مُنْتَشِرَ العِجان[4] مُقَلَّصاً ... رِخْواً مفاصِلُه وجِلْداً باليا

أُدْني له الرَّكَبَ[5] الحَليقَ كأنما ... أُدْني إليه عقارباً وأفاعيا

إنّ النَّدامةَ والسَّدامةَ فاعْلَمَنْ ... لو قد صَبَرْتُك للمَوَاسِي خاليا

ما بالُ رأسِك من ورائيَ طالعاً ... أظننتَ أنّ حِرَ الفتاة ورائيا

فاذهبْ فإنّك مَيِّتٌ لا تُرْتَجَى ... أبدَ الأبيدِ ولو عَمِرتَ لياليا

[١٠/١٥٩] / أنت الغَرُور إذا خُبِرتَ وربما ... كان الغَرورُ لمن رجاه شافيا

لكنّ أَيْرِي لا يُرَجَّى نفعُه ... حتى أعودَ أخاً فَتَاءٍ ناشِياً

فضحك هشام وأمر له بجائزة أخرى.

حدث هشام بن عبدالملك عن نفسه فأضحكه:

قال أبو عمرو الشَّيْبانيّ قال ابن كُنَاسة:

قال هشام بن عبدالملك لأبي النَّجْم: يا أبا النَّجْم حدِّثني. قال: عنّي أو عن غيري؟ قال: لا بل عنك. قال: إنّي لمّا كَبِرتُ عرَض لي البَوْلُ، فوضعتُ عند رجلي شيئاً أبول فيه. فقمتُ من الليل أبول، فخرج منّي صوتٌ فتشدّدت، ثم عُدْتُ فخرج منّي صوتٌ آخر، فأَوَيْتُ إلى فراشي، فقلت: يا أُمّ الخِيار هل / سمِعْتِ شيئاً؟ [٨٢/٩] فقالت: لا والله ولا واحدةً منهما! فضحِك. قال: وأُمّ الخيار التي يَعْني بقوله:

قد أصبحتْ أُمُّ الخِيار تَدّعي ... عليّ ذنباً كلّه لم أصْنَعِ

وهي أُرْجوزة طويلة.

ذكر فتاة في شعره فتزوجت:

وقال أبو عمرو الشَّيْباني:

(١) الشزر: النظر بجانب العين في إعراض. والخزر: هو أن يكون الإنسان كأنه ينظر بمؤخر عينه. وتسكين الزاي في الخزر لغة.
(٢) الوعث: اللين.
(٣) الكناية هنا ظاهرة.
(٤) العجان: القضيب الممدود من الخصية إلى الدبر.
(٥) الركب: الفرج.

أتت مولاة لبني قَيْس بن ثَعْلَبَةَ أبا النّجم فذكرتْ له أنّ بنتاً لها أدركتْ منذ سنتين، وهي من أجمل النساء وأمدِّهنّ قامةً ولم يخطُبها أحدٌ، فلو ذكرتَها في الشعر! فقال: أفعل، فما أسمها؟ قالت: نَفِيسة. فقال:

نَفِيسَ يا قَتَّالةَ الأقوامِ أقصدتِ قلبي منكِ بالسِّهامِ
وما يُصيبُ القلبَ إلّا رَامِ لو يعلمَ العلمَ أبو هشامِ
ساقَ إليها حاصِلَ الشآمِ وجِزْيةَ الأهوازِ كلَّ عامِ
وما سَقَى النّيلُ من الطعامِ إذ ضاقَ منها مَوْضِعُ الإدْغامِ[1]
/ أَجْثَمُ جاثٍ مُسْتَديرٌ حامِ يَعَضُّ في كَيْنٍ[2] لهُ تُؤَامِ [١٠/ ١٦٠]
* عَضَّ النجاريّ[3] على اللُّجامِ *

فقالت: حَسْبُك حَسْبُك! ووفد إلى الشأم، فلما رجع سمع الزَّمْر والجَلَبة، فقال: ما هذا؟ فقالوا: نفيسة تزوّجت.

وصف فهود عبدالملك بن بشر بن مروان:

قال أبو عمرو وذكر عليّ بن المِسْوَر بن عمرو عن الأصمعيّ قال أخبرني بعضُ الرّواة وحدّثني آبن أخت أبي النّجْم:

أنّ عبدالملك بن بِشْر بن مروان قال لأبي النَّجْم: صِفْ لي فُهُودي هذه. فقال:

إنّا نَزَلْنا خيرَ مَنْزِلاتِ بين الحُمَيْراتِ المُبَارَكاتِ
في لَخْمٍ وخَشٍ وحُبَارَيَاتِ[4] وإن أَرَدْنا الصيدَ ذا اللَّذّاتِ
جاء مُطيعاً لمُطاوِعاتِ عُلِّمْنَ أو قد كُنَّ عالِماتِ
فسَكَّنَ الطَّرْفَ بمُطْرِفاتِ تُريكَ آماقاً مخطَّطاتِ

مدح الحجاج برجز وطلب إليه واديا في بلاده:

ونسختُ من كتاب الخرّاز عن المدائنيّ عن عثمان بن حَفْص أنّ أبا النَّجْم مدَح الحَجّاج برَجَزٍ يقول فيه:

ويلُ أمّ دُورِ عِزّةٍ ومَجْدِ دُورِ ثَقِيفٍ بسَواءِ نَجْدِ
* أهلِ الحصونِ والخيولِ الجُرْدِ *

فأعجَب الحجّاجَ رَجَزُه وقال: ما حاجتك؟ قال تُقْطعني ذا الجبنين. فوجَم لها وسكت، ثم دعا كاتبَه فقال: أنظر ذا الجبنين ما هو! فإن ذا الأعرابيّ سألنيه لعلّه نهر من أنهار العراق. فسألوا عنه فقيل: واد في بلاد بني عِجْل أعلاه حَشَفةٌ[5] وأسفلُه سَبَخَةٌ يخاصمه فيه بنو عمٍّ له. فقال: أكتبوا له به. قال: فأهلُه به إلى اليوم.

(١) الكناية في «موضع الإدغام» ظاهرة يفسرها البيت التالي.
(٢) الكين: لحم باطن الفرج.
(٣) لم نعثر على هذه النسبة في مظانها. ولعله يريد به فرساً كريم النجار.
(٤) حباريات: مفردها حباري وهو طائر يضرب به المثل في البلاهة والحمق.
(٥) الحشفة: صخرة رخوة في سهل من الأرض. والسبخة: أرض ذات نز وملح.

٤١٦١/١ / أخطأ في أشياء أخذت عليه:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيّوب المَدِينيّ قال قال الأصمعيّ:

أخطأ أبو النَّجم في أشياء أُخِذَتْ عليه، منها قوله:

وهـــي علـــى عَـــذْبٍ رَوِيّ المَنْهـــلِ دَخْــلِ أبــي المِـرْقَــال خيــرِ الأدْخُــلِ

* من نَحْت عادٍ في الزمان الأوّل *

قال الأصمعي: الدَّحْل لا تُورَده الإبلُ إنما تُورَد الرّكايا[1]. وقد عِيب بهذا وعِيب بقوله في البيت الذي ٨٣/٩ يَلِيه: إنّ هذا الدَّحْلَ من نحت عاد. قال: والدُّحْلان لا تُحْفَر ولا تُنْحَت، إنما هي / خروق وشعاب في الأرض والجبال لا تُصِيبها الشمسُ، فتَبْقَى فيها المياه؛ وهي هُوّة في الأرض يَضِيق فَمُها ثم يتّسع فيدخلها ماء السماء.

قال الأصمعيّ: وقال يصف فرسه وقد أجراه في حَلْبَة:

* تسبَح أُخراهُ ويَطْفُو أوّلُهْ *

قال الأصمعيّ: أخطأ في هذا؛ لأنه إذا سبَح أُخراه كان حِمارُ الكُسَاح أسرعَ منه. قال الأصمعيّ: وحدّثني أبي أنّه رأى فرسه هذا فقوّمَهُ بسبعين درهماً. وإنّما يُوصف الجواد بأنه تَسْبَح أُولاه وتَلْحَق رجلاه. قال: وخير عَدْو الذكور أن تُشْرِف، وخيرُ عَدْو الإناث أن تَنْبَسِط وتَصْغَى[2] كعَدْوِ الذئب.

(١) الركايا: جميع ركية وهي البئر.
(٢) تصغى: تميل.

[١٠/١٦٢]

/ أخبارُ عُلَيّةَ بنتِ المهديّ ونَسَبُها ونُتَفٌ من أحاديثها

أمها مكنونة أم ولد اشتريت للمهدي في حياة أبيه:

عُلَيّة بنت المهديّ أُمّها أُمّ ولد مُغَنِّيَةٌ يقال لها مَكْنونة، كانت من جواري المَرْوانيّة المغنيّة.

نسختُ من كتاب محمد بن هارون بن محمد بن عبدالملك الزيّات أن ٱبن القَدّاح[١] حدّثه قال:

كانت مكنونة جاريةُ المروانيّة ـ وليست من آل مروان بن الحكم، هي زوجة الحسين بن عبدالله بن عُبَيْدالله بن عبّاس ـ مغنّيةً، وكانت أحسنَ جاريةٍ بالمدينة وجهاً، وكانت رَسْحاء[٢]، وكان بعض من يمازحها يعبَث بها فيصيح: طَسْت طَسْت[٣]. وكانت حَسَنة الصدر والبطن، فكانت تُوضِح بهما وتقول: ولكن[٤] هذا!. فٱشْتُرِيَتْ للمهديّ في حياة أبيه بمائة ألف درهم، فغَلَبتْ عليه، حتى كانت الخَيْزُران تقول: ما ملَك ٱمرأةَ أغْلَظَ عليَّ منها. وٱستتر أمرُها عن المنصور حتى مات، فولدتْ له عُلَيّةَ بنتَ المهديّ.

بعض صفاتها:

أخبرني عمّي قال حدّثني عليّ بن محمد النَّوْفَليّ عن عمّه قال:

كانت عُلَيّةُ بنتُ المهديّ من أحسن الناس وأظرفِهم تقول الشِّعرَ الجيّد وتصوغ فيه الألحانَ الحسنةَ، وكان بها عيب، كان في جبينها فَضْلُ سَعَةٍ حتى تسمج[٥]، فٱتّخذت العصائب المكلّلة بالجوهر لتستُر بها جبينَها، فأحدثتْ والله شيئاً ما رأيتُ فيما ٱبْتَدَعَتْه النساء وأحدَثَتْه أحسنَ منه.

[١٠/١٦٣]

/ كانت حسنة الدين ولا تشرب ولا تغني إلا أيام حيضها:

أخبرني الحسين بن يحيى ووَكِيع قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال سمعتُ إبراهيم بن إسماعيل الكاتب يقول:

كانت عُلَيّةُ حَسَنَةَ الدِّين، وكانت لا تغنّي ولا تشرَب النَّبيذ إلاّ إذا كانت معتزلةَ الصلاةِ، فإذا طَهُرَتْ أقبلت على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب، فلا تَلَذُّ بشيءٍ غير قول الشعر في الأحيان، إلاّ أن يدعُوَها الخليفةُ إلى شيء فلا تَقْدِر على خلافه. وكانت تقول: ما حرَّم الله شيئاً إلاّ وقد جعل فيما حَلَّل منه عِوَضاً، فبأيّ شيءٍ يحتجُّ عاصيه والمُنْتَهِكُ لحُرُماته!. وكانت تقول: لا غفَر الله لي فاحشةً ٱرتكبتُها قطّ، ولا أقول في شعري إلا عَبَثاً.

(١) في أ، م: «أبا القداح».

(٢) الرسحاء: القليلة لحم العجز والفخذين.

(٣) لعل المراد تشبيهها في استواء عجزها مع ظهرها وفخذيها باستواء قعر الطست.

(٤) في ب، س: «ويكنّ هذا».

(٥) في أ، م: «تسفح» (بتشديد الفاء). وفي حـ: «تسبح». وعبارة «النجوم الزاهرة» (ج ٢ ص ١٩١ طبع دار الكتب المصرية): «وكان في جبهتها سعة تشين وجهها».

لم يجتمع في الإسلام أخ وأخت أحسن غناء منها ومن أخيها:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني عَوْن بن محمد الكِنْديّ قال سمعت عبدالله بن العبّاس بن الفضل بن الرَّبيع يقول:

ما اجتمع في الإسلام قطّ أخ وأخت أحسن غناءً من إبراهيم بن المهديّ وأختِه عُلَيّة، وكانت تُقَدَّم عليه.

كانت تحب المكاتبة بالشعر وكاتبت طلا فمنعها الرشيد:

أخبرني محمد قال حدّثنا عَوْن بن محمد الكِنْديّ قال حدّثنا سعيد بن إبراهيم قال:

كانت عليّة تحب أن تُراسِل بالأشعار مَنْ تختصّه، فٱختصَّتْ خادماً يقال له «طَلّ» من خَدَمِ الرشيد، فكانت تراسله بالشعر، فلم تره أيّاماً، فمَشَتْ على مِيزَابٍ وحدّثته وقالت في ذلك:

٨٤/٩

/ قد كان ما كُلِّفْتُه زمناً يا طَلُّ من وَجْدٍ بكم يكفي

حتى أتيتك زائراً عَجِلاً أمشي على حَتْفٍ إلى حَتْفِ

فحلَف عليها الرشيد ألاّ تكلِّم طَلاًّ ولا تسمِّيَه بٱسمه، فضمِنَتْ له ذلك. وٱستمع عليها يوماً وهي تَدْرُس[1] آخر سورة البقرة حتى بلغتْ إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا / وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ وأرادتْ أن تقول: «فَطَلٌّ» فقالت: فالذي نهانا عنه أميرُ المؤمنين. فدخل فقبَّل رأسها وقال: قد وهبتُ لكِ طَلاًّ، ولا أمنعكِ بعد هذا من شيء تريدينه. ولها في طَلٍّ هذا عِدَّةُ أشعارٍ فيها لها صنعة. منها:

[١٦٤/١٠]

صوت

يا ربّ إني قد غَرِضْتُ[2] بهجرها فإليك أشكو ذاك يا رَبَّاهْ

مولاةُ سَوْءٍ تستهين بعبدها نِعْمَ الغلامُ وبئستِ المولاهْ

«طَلٌّ» ولكنّي حُرِمْتُ نعيمَه ووصالَه إن لم يُغِثْني الله

يا ربّ إن كانت حياتي هكذا ضرّاً عليّ فما أريد حياه

الشعر والغِناء لها خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى. وقد ذكر ٱبن خُرْدَاذْبَه أن الشعر والغناء لنُبَيْه الكوفيّ، وأنه هوِي جارية تُغَنِّي، فتعلَّم الغِناء من أجلها وقال الشعر، ولم يزل يتوصّل إليها بذلك حتى صار مُقَدَّماً في المغنّين، وأنّ هذا الشعر له فيها والصنعة أيضاً.

حجب عنها طل فقالت فيه شعراً وصحفت اسمه:

أخبرني أحمد بن محمد أبو الحسن الأَسَديّ قال حدّثني محمد بن صالح بن شيخ بن عُمَيْر عن أبيه قال:

حُجِب طَلٌّ عن عُلَيّة فقالت وصحّفتِ ٱسمَه في أوّل بيت:

أيا سَرْوَةَ[3] البستان طال تشوّقي فهل لي إلى ظِلٍّ لديكِ سبيلُ

---

(١) كذا في أكثر النسخ. وفي أ، م: «تريد» وهي محرفة عن «تذبر» بالذال بمعنى تقرأ.

(٢) غرضت بهجرها أي ضجرت. وفي الأصول: «عرضت» بالعين المهملة وهو تصحيف.

(٣) السرو: شجر حسن الهيئة قويم الساق، وقد فسره به صاحب «القاموس» العرعر.

متى يلتقي مَنْ ليس يُقْضَى خروجُه وليس لمن يَهْوَى إليه دخولُ
عسى الله أن نرتاح من كُرْبةٍ لنا فيلْقَى اغتباطاً خُلَّةٌ وخليلُ

/ عروضه من الطويل. الشعر والغناء لعليّة خفيفُ رَمَلٍ. كذا ذكر ميمون بن هارون، وذكر عمرو بن بانة أنه [١٠/١٦٥] لسَلْسل خفيف رملٍ بالوسطى. وأوّل الصوت:

* متى يلتقي مَنْ ليس يُقْضَى خروجُه *

وذكر حَبَشٌ أنه للهُذَليّ خفيفُ رَمَلٍ بالبِنصر.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا أحمد بن محمد بن إسحاق الطّالقانيّ قال حدّثني أبو عبدالله أحمد بن الحسين الهشاميّ قال:

قالت عُلَيّةُ في طَلٍّ وصحّفت اسمَه في هذا الشعر وغَنَّتْ فيه:

صوت

سَلِّمْ على ذاك الغزالِ الأغْيَدِ الحسَنِ الدّلالِ
سَلِّمْ عليه وقُلْ له يا غُلَّ ألبابِ الرجال
خَلَّيْتَ جسمي ضاحياً وسكنْتَ في ظلّ الحِجَال[1]
وبلغتَ منّي غايةً لم أدرِ فيها ما احتيالي

الشعرُ والغِناء لعُلَيّةَ خفيفُ رَمَلٍ. وذُكر غير هذا أن الغِناء لأحمد بن المكيّ في هذه الطريقة.

أنت تقول الشعر في خادمها رشأ وتكنى عنه بزينب:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني ميمون بن هارون عن محمد بن عليّ بن عثمان / الشُّطْرَنجيّ: ٨٥/٩
أن عُلَيّة كانت تقول الشعر في خادم لها يقال له «رشأ» وتَكْنِي عنه. فمن شعرها فيه وكَنَتْ عنه بزينب:

صوت

وجَدَ الفؤادُ بزينبا وَجْداً شديداً مُتْعِبَا
أصبحتُ من كَلَفِي بها أُدْعَى سقيماً[2] مُنْصَبا
/ ولقد كَنَيْتُ عن اسمها عمداً لكي لا تَغْضَبا [١٠/١٦٦]
وجعلتُ زينبَ سُتْرةً وكتمتُ أمراً مُعْجِبا
قالت وقد عَزَّ الوصا لُ ولم أجِدْ لي مَذْهبا
والله لا نلتَ المودّة أو تنالَ الكوكبا

هكذا ذكر ميمون بن هارون، وروايتُه فيه عن المعروف بالشُّطْرَنجيّ ولم يحصّل ما رواه. وهذا الصوت شعرُه لابن

(١) الحجال: جمع حجلة وهي ستر العروس في جوف البيت.
(٢) في أ، م: «شقيا».

رُهَيمة المَدَنيّ. والغِناء ليونس الكاتب، ولحنه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وهو من زَيانِبِ يونس المشهورات وقد ذكرته معها[1]. والصحيح أنّ عُلَيّة غنّت فيه لحناً من الثقيل الأوّل بالوسطى، حكى ذلك ابن المكيّ عن أبيه، وأخبرني به ذُكاء عن القاسم بن زُرْزُور.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني الحسين بن يحيى الكاتب أو الجماز[2] قال حدّثني عُبَيْدالله بن العبّاس الرَّبِيعيّ قال:

لمّا عُلِم من عُلَيّة أنها تَكْني عن رشأ بزينب قالت:

صوت

القلبُ مشتاقٌ إلى زَيْنب — يا رَبِّ ما هذا من العَيْبِ

قد تَيَّمَتْ قلبي فلم أستطع — إلّا البكا يا عالِمَ الغيبِ

خبأتُ في شعريَ اسمَ الذي — أردتُه كالخَبْءِ في الجيبِ

قال: وغنّت فيه لحناً من طريقه خفيفِ الرَّمَلِ الأوّل فصحّفَتِ اسمَها في ريب.

[١٠/١٦٧] / **هجت طغيان حين وشت بها إلى رشأ:**

قال: وكانت لأم جعفر جارية يقال لها طُغْيانُ، فوشَتْ بعُلَيّة إلى رَشأ وحكَتْ عنها ما لم تقل، فقالت عُلَيّةُ:

لطُغْيانَ خُفٌّ مذ ثلاثين حِجَّةً — جديدٌ فلا يَبْلَى ولا يتخرَّقُ

وكيف بِلَى خُفٌّ هو الدَّهرَ كُلَّه — على قدميها في الهواء مُعَلَّقُ

فما خَرَقَتْ خُفّاً ولم تُبْلِ جَوْرَباً — وأمّا سَرَاويلاتها فتُمَزَّقُ

شعرها حين امتنع رشأ عن شرب النبيذ:

قال: وحلَف رَشَأٌ ألّا يشرب النبيذَ سنةً، فقالت:

صوت

قد ثبت[3] الخاتمُ في خِنصري — إذ جاءني منكِ تَجَنِّيكِ

حَرَّمتُ شربَ الراح إذ عِفْتِها — فلستُ في شيءٍ أعاصِيكِ

فلو تَطَوَّعتِ لعوَّضتِني — منه رُضابَ الرِّيق من فيكِ

فيا لها عنديَ من نعمةٍ — لستُ بها ما عشتُ أجْزيكِ

يا زينباً قد أرَّقَتْ مُقْلتي — أمْتعني الله بحبِّيكِ

(١) انظر الجزء الرابع من «الأغاني» من هذه الطبعة ص ٤٠٢ وما بعدها.

(٢) مر هذا الاسم في الجزء الخامس ص ٢٧٣ باسم «الحسين بن يحيى أبي الجمان» وفي الجزء السابع ص ٢٠٨ باسم «الحسين بن يحيى أبي الحمار».

(٣) الكناية هنا غير مفهومة وإن كان المعنى الإجمالي واضحاً.

/ غنّتْ فيه عليّةُ هَزَجاً. ٨٦/٩

غنى عقيد للمعتصم بشعر فسأل عنه فقال محمد بن إسماعيل إنه لها فغضب وأعرض عنه:

أخبرني جَحْظة ومحمد بن يحيى قالا حدّثنا ميمون بن هارون قال حدّثني الحسن[1] بن إبراهيم بن رَبَاح قال: قال لي محمد بن إسماعيل بن موسى الهادي:

كنت عند المعتصم وعنده مُخارِق وعَلّويه ومحمد بن الحارث وعَقِيد، فتغنّى عَقِيد وكنت أضرب عليه:

صوت

نــام عُــذّالـي ولـم أَنَـمِ وأشتفَـى الـواشـون مـن سَقَمـي

وإذا مـا قلـتُ بـي أَلَـمٌ شَـكَّ مَـنْ أهـواه فـي ألَمـي

/ فطرِب المعتصم وقال: لمن هذا الشعر والغناء؟ فأمسكوا. فقلت: لِعُلَيّة، فأعرض عنّي، فعرفت غَلَطي [١٠/١٦٨ وأنّ القوم أمسكوا عمداً، فقُطِع[2] بي. وتبيّن حالي، فقال: لا تَرُعْ يا محمد؛ فإنّ نصيبك فيها مِثْلُ نصيبي. الغِناء لعُلَيّة خفيفُ رَمَلٍ. وقد قال قوم: إنّ هذا اللحن للعبّاس بن أشْرَس الطُّنْبوريّ مولى خُزاعة، وإن الشعر لخالد الكاتب.

غنى بنان للمنتصر بلحن لها في شعر الرشيد:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني أحمد بن يزيد قال حدّثني أبي قال:

كنّا عند المنتصر، فغنّاه بَنَانٌ لحناً من الرمل الثاني وهو خفيف الرمل:

صوت

يـا رَبَّـةَ المنـزلِ بـالبِـرْكِ[3] وربَّـةَ السلطـانِ والمُلْـكِ

تَحَـرّجـي بـالله مـن قتلنـا لسنـا مـن الـدَّيْلَـم والتُّـرك

فضحِكتُ. فقال لي: مِمّ ضحِكتَ؟ قلت: من شَرَف قائلِ هذا الشعر، وشرفِ مَنْ عَمِل اللَّحنَ فيه، وشرفِ مُسْتَمِعِه. قال: وما ذاك؟ قلت: الشعرُ فيه للرشيد، والغِناءُ لعُلَيّة بنتِ المهديّ. وأميرُ المؤمنين مستمعُه. فأعجبه ذلك وما زال يستعيده.

أخذت من إسحاق لحناً وغنته الرشيد ثم غناه هو للمأمون فعنفه:

حدّثني إبراهيم بن محمد بن بركشة قال سمعت شيخاً يحدّث أبي وأنا غلام فحفِظتُ عنه ما حدّثه به ولم أعرِف أسمَه، قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال:

عَمِلتُ في أيام الرَّشيد لحناً وهو:

(١) في ب، س: «الحسين».
(٢) قطع بي: يريد سدّت عليّ مسالك القول.
(٣) البرك: علم على عدّة مواضع.

صوت

سَقْياً لأرضٍ إذا ما نِمْتُ نَبَّهني بعدَ الهدوِّ بها قَرْعُ النواقيس
كأنّ سَوْسَنَها في كلّ شارقةٍ على الميادين أذنابُ الطّواويس

[١٠/١٦٩] / قال: فأعجبني وعَمِلتُ على أن أباكِر به الرّشيدَ. فلقِيَني في طريقي خادمٌ لعُلَيّة بنتِ المهديّ، فقال: مولاتي تأمرك بدخول الدِّهليز لتسمع من بعض جواريها غِناءً أخذتْه عن أبيك وشكّتْ فيه الآن. فدخلتُ معه إلى حجرة قد أفرِدت لي كأنها كانت مُعَدّة فجلستُ، وقُدّم لي طعامٌ وشرابٌ فنِلت حاجتي منهما، ثم خرج إليّ خادم فقال لي: تقول لك مولاتي: أنا أعلم أنك قد غدوتَ إلى أمير المؤمنين بصوت قد أعددتَه له مُحْدَثٍ، فأسمِعنيه ولك جائزةٌ سنيّة تتعجّلها، ثم ما يأمر به لك بين يديك، ولعله لا يأمر لك بشيء أوْ لا يقع الصوت منه بحيث توخَّيْتَ، فيذهب سعيُك باطلاً. فاندفعتُ فغنَّيْتُها إيّاه، ولم تزل تستعيده مراراً، ثم أخرجتْ إليّ عشرين ألف [٨٧/٩] درهم وعشرين ثوباً، وقالت: هذه جائزتك، ولم تزل تستعيده مراراً. ثم / قالت: اِسمعه منّي الآن؛ فغنّته غِناءً ما خرَق سمعي مِثلُه. ثم قالت: كيف تراه؟ قلت: أرى والله ما لم أرَ مِثلَه. قالت: يا فلانة أعيدي له مِثلَ ما أخذ؛ فأحضرتْ لي عشرين ألفاً أخرى وعشرين ثوباً. فقالت: هذا ثَمَنُه، وأنا الآن داخلةٌ إلى أمير المؤمنين، أبداً أتغنّى[١] به، وأخبِرُ أنّه من صنعتي. وأعْطِي الله عهداً لئن نطقتَ أنّ لك فيه صنعةً لأقتلنّك! هذا إن نجوتَ منه إن علم بمَصِيرك إليّ. فخرجتُ من عندها ووالله إنّي لكالموقن[٢] بما أكره من جائزتها أسفاً على الصوت، فما جَسَرْتُ والله بعد ذلك أن أتنغّم به في نفسي فضلاً عن أن أُظهِره حتى ماتت. فدخلتُ على المأمون في أوّل مجلس جلسه للّهْو بعدَها، فبدأتُ به أوّلَ ما غَنّيْتُ. فتغيّر لونُ المأمون وقال: من أين لك ويلك هذا؟! قلت: ولِيَ الأمانُ على الصدق؟ قال: ذلك لك. فحدّثتُه الحديثَ. فقال: يا بغيض! فما كان في هذا من النفاسة حتى شَهَرْتَه وذكرتَ هذا منه مع ما قد أخذتَه من العوَض! وهجّنني فيه هُجْنَةً وَددتُ معها أنّي لم أذكره. فآليتُ ألاّ [١٠/١٧٠] أغنّيه/ بعدها أبداً. الشعرُ في هذا الصوت لإسماعيلَ بن يَسار النَّسائي، وقيل: إنه لإسحاق. ولحنُه من الثقيل الأوّل مُطلَق في مجرى الوسطى. وذكر حبش أنه للهُذَلِيّ، ولم يحصِّل ما قاله.

طارحت أخاها إبراهيم الغناء وسمعها من في مجلس المأمون:

أخبرني عمّي قال حدّثني الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال قال لي يَنْشُو المغنّي حدّثني أبو أحمد بن الرشيد قال:

كنت يوماً عند المأمون وإلى جانبي منصور وإبراهيمُ عَمّاي، فجاء ياسر دخلة فسارّ المأمونَ. فقال المأمون لإبراهيم: إن شئت يا إبراهيم فأنهض، فنهض. فنظرتُ إلى ستر قد رُفع مما يلي دار الحُرَم، فما كان بأسرع من أن سمعت شيئاً أقلقني. فنظر إليّ المأمون وأنا أميل فقال لي: يا أبا أحمد مالك تميل؟ فقلت: إني سمعت شيئاً ما سمعتُ بمثله. فقال: هذه عمّتك عُلَيّة تطارح عَمّك إبراهيم:

* مالي أرى الأبصارَ بي جافيةً *

(١) في ب، س: «ولن أبداً بغناء غيره».
(٢) في أ، م: «ووالله إني لأكاد أموت بما أكره إلخ».

نسبة هذا الصوت:

صوت

ما لي أرى الأبصارَ بي جافية ... لم تلتفت منّي إلى ناحية

لا ينظر الناس إلى المُبْتَلَى ... وإنّما الناس مع العافية

صَحْبي سَلُوا ربَّكم العافيه ... فقد دهتني بعدكم داهية

صارَمَني بعدكُم سيِّدي ... فالعينُ من هِجرانه باكية

الشعر لأبي العتاهية، وذكر ابن المعتز أنّه لعليّة وأنّ اللحن لها خفيف رملٍ. وذُكر أنه لغيرها خفيفُ رمل مطلق، ولحن عُلَيّة مزمومٌ.

[١٠/ ١٧١]

/ أرسلت إلى الرشيد ومنصور شراباً مع خلوب وغنتهما بلحن لها:

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو العبّاس أن بِشراً المَرْثَدِيّ قال قالت لي رَيِّقُ:

كنتُ يوماً بين يدي الرشيد وعنده أخوه منصور وهما يشربان، فدخلتْ إليه خَلُوبُ[1] (جارية لعُلَيّة) ومعها كأسان مملوءتان وتحيّتان، ومع خادم يتبعها عودٌ، فغنّتهما قائمة والكأسان في أيديهما والتحيتان بين أيديهما:

صوت

حيّا كما الله خليليّا ... إن مَيِّتاً كنتُ وإن حيّا

/ إن قلتما خيراً فخيرٌ لكم ... أو قلتما غَيّاً فلاغَيّا

[٨٨/ ٩]

فشربا. ثم دفعتْ إليهما رقعةً فإذا فيها: «صنعتُ يا سيِّديّ أُختُكما هذا اللَّحنَ اليوم، وألقتْه على الجواري، وأصطبحتُ فبعثتُ لكما به، وبعثتُ من شرابي إليكما ومن تحياتي وأَحْذَق جواريّ لتغنّيَكما. هنأكما الله وسرّكما وأطاب عيشكما وعيشي بكما».

دعا إبراهيم بن المهدي إسحاق وأبا دلف وغنتهم جاريته لحناً لها:

أخبرني عمّي قال حدّثني بنحوٍ من هذا أبو عبدالله المَرْزُبان قال حدّثني إبراهيم بن أبي دُلَف العِجْليّ قال:

كنّا مع المعتصم بالقاطول[2] وكان إبراهيم بن المهديّ في حَرّاقته بالجانب الغربيّ، وأبي وإسحاق بن إبراهيم الموصليّ في حَرّاقَتَيْهما بالجانب الشرقيّ. فدعاهما في يوم جمعة، فعبرا إليه من زلال[3] وأنا معهما وأنا صغير، عليّ أقْبِيَةٌ ومِنْطَقَةٌ فلما دنونا من حَرّاقة إبراهيم فرآنا نَهَض ونهضتْ بنهوضه صبيّةٌ له يقال لها «غَضَّةٌ» وإذا

---

(١) في أ، م: «خلوى».

(٢) القاطول: اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة، وهو نهر كان في موضع سامرا قبل أن تعمر، وكان الرّشيد أوّل من حفر هذا النهر وبنى على فوهته قصراً.

(٣) ظاهر من السياق أنه نوع من السفن كالزورق ونحوه. وقد ورد هذا الاسم في كتاب «تزيين الأسواق» لداود الأنطاكي صفحة ٢٥٨ طبع حجر بمصر سنة ١٢٧٩ هجرية في قوله: «فعزمت على واسط لأن لي بها صديقاً من الكتاب فجئت فرأيت زلالاً مهياً فطلبت النزول معهم فقالوا نحملك بدرهمين، ولكن الزلال لهاشمي لا يريد معه غريباً، فتزيّ بزينا كأنك بعض الملاحين...» وكتب مصححه بالهامش: «قوله زلالاً كأنه نوع من السفن كالزورق كما يظهر من بقية الكلام» اهـ وانظر الكلام عليه في «قاموس دوزي».

في يديها كأسان وفي يده كأس. فلما صعِدا إليه أندفع فغنّى:

[١٠/١٧٢] / حيّـــاكمـــا الله خليليَّـــا إن مَيِّـــتــاً كنـــتُ وإن حيّـــا

إن قلتمـــا خيـــراً فـــأهْـــلاً[١] بـــه أو قلتمـــا غَيّـــاً فـــلا غَيّـــا

ثم ناول كلَّ واحدٍ منهما كأساً، وأخذ هو الكأسَ الثالثَ[٢] الذي في يد الجارية وقال: هَلُمَّ نشرب على رِيقنا قَدَحاً. ثم دعا بالطعام فأكلنا، ووُضِع النبيذُ فشربنا، وغنَّياه وغنّاهما وضربا معه وضرب معهما، وغنّت الصبيّةُ، فطرِب أبي وقال لها: أحسنتِ أحسنت!. فقال له إبراهيم: إن كانت أحسنَتْ فخُذْها، فما أخرجتُها إلاّ لك.

شكت إليها أم جعفر انقطاع الرشيد فقالت شعراً وغنت به فرجع إليها:

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم وإسماعيل بن يونس قالا حدّثنا أبو هِفّان قال:

أُهْدِيتْ إلى الرشيد جاريةٌ في غاية الجمال والكمال، فخلا معها يوماً وأخرج كلَّ قينة في داره وأصطبح، فكان جميع من حضره من جواريه المغنّيات والخَدَمة في الشراب زُهاء ألفَيْ جاريةٍ في أحسن زيٍّ من كلّ نوع من أنواع الثياب والجوهر. وأتّصل الخبر بأُمّ جعفر فغلُظ عليها ذلك، فأرسلت إلى عُلَيَّة تشكو إليها. فأرسلت إليها عُلَيَّةُ: لا يَهُولَنَّكِ هذا، فوالله لأردنّه إليكِ، قد عزمتُ أن أصنع شعراً وأصوغ فيه لحناً وأطرحه على جواريّ، فلا تبقى عندك جاريةٌ إلاّ بعثتِ بها إليّ وألْبِسِيهنَّ ألوانَ الثياب ليأخذنَ الصوتَ مع جواريّ، ففعلتْ أُمّ جعفر ما أمرتْها به عُلَيَّة. فلما جاء وقت صلاة العصر لم يَشْعُرِ الرشيد إلا وعُلَيَّة قد خرجتْ عليه من حُجْرتها، وأُم جعفر من حجرتها معها زُهاء ألفي جاريةٍ من جواريها وسائر جواري القصر، عليهنّ غرائب اللباس، وكلهنّ في لحنٍ واحد هَزَجٍ صَنَعَتْه عُلَيَّة:

صــوت

منفصـــلٌ عنّـــي ومـــا قلبـــيَ عنـــه منفصِـــلْ

يـــا قـــاطعـــي اليـــومَ لِمَـــنْ نـــويـــتَ بعـــدي أن تَصِـــلْ

[١٠/١٧٣] / فطرِب الرّشيد وقام على رِجليه حتى أستقبل أمّ جعفر وعُلَيَّة هو على غاية السرور، وقال: لم أر كاليوم قطّ. يا مسرور لا تُبْقِينَّ في بيت المال دِرهماً إلا نثرتَه. فكان مبلغ ما نثره يومئذٍ ستةَ آلاف ألف درهم، وما سُمع بمثل ذلك اليومِ قطّ.

كانت تحب لحن الرمل:

[٨٩/٩] أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال / حدّثني محمد بن يزيد المبرّد قال:

كانت عُلَيَّةُ تقول: من لم يُطْرِبْه الرمل لم يُطربه شيء. وكانت تقول: من أصبح وعنده طَبَاهِجةٌ[٣] باردةٌ ولم يصطبح فعليه لعنةُ الله.

(١) كذا في حـ. وفي أ، م: «فأهلا له». وفي ب س: «فخير لكم».
(٢) كذا في الأصول. ويلاحظ أن الكأس مؤنثه.
(٣) الطباهجة: ضرب من اللحم المقلي.

غنت هي وأخوها إبراهيم وزمر عليهما أخوهما يعقوب:

حدّثني عمّي قال حدّثني هِبةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني يوسف بن إبراهيم قال قالت لي عَرِيبُ: أحسنُ يومٍ رأيتُه وأطيبُه يومٌ أجتمعتُ فيه مع إبراهيم بن المهديّ عند أخته عُلَيّة وعندهم أخوهم يعقوب، وكان أحذقَ الناس بالزَّمْر. فبدأت عُلَيّة فغنّتهم من صنعتها وأخوها يعقوب يزمِرُ عليها:

صوت

تَحَبَّبْ فإن الحبَّ داعيةُ الحبِّ ... وكم من بعيد الدّار مستوجبُ القرب

وغنّى إبراهيم في صنعته وزمَر عليه يعقوب:

صوت

يا واحدَ الحُبِّ مالي منك إذ كَلِفتْ ... نفسي بحبّك إلاّ الهمُّ والحَزَنُ

لم يُنْسِنِيك سرورٌ لا ولا حَزَنٌ ... وكيف لا! كيف يُنْسَى وجهُك الحَسَنُ

ولا خلا منك قلبي لا ولا جَسَدِي ... كُلِّي بكلِّك مشغولٌ ومُرْتَهَنُ

نورٌ تولّد من شمس ومن قمرٍ ... حتى تكامل منه الرُّوح والبَدَنُ

فما سمعتُ مِثْلُ ما سمعتُه منهما قطّ، وأعلم أني لا أسمع مِثْلَه أبداً.

[١٠/ ١٧٤] / **تمارت خشف وعريب في عدد أصواتها بحضرة المتوكل:**

قال ميمون بن هارون قلت لعَرِيبَ:

رأيتُ في النوم كأنّي سألت عُلَيّةَ بنتَ المهديّ عن أغانيها فقالت لي: هي نَيِّفٌ وخمسون صوتاً. فقالت لي عَرِيب: هي كذلك. وقد أخبرني بنحو هذا الخبر عبدالله بن الرَّبيع الرَّبِيعيّ قال حدّثني وسواسة وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثتني خِشْف الواضِحِيّة أنها تمارت هي وعَرِيب في غِناء عُلَيّة بحضرة المتوكّل أو غيره من الخلفاء، فقالت هي: هي ثلاثةٌ وسبعون صوتاً. فقالت عَرِيب: هي أثنان وسبعون صوتاً. فقال المتوكّل: غنّيا غِناءها، فلم تزالا تغنّيان غِناءها حتى مضى أثنان وسبعون صوتاً، ولم تذكر خِشْف الثالثَ والسبعينَ فقُطع بها وأستولت عَرِيب عليها وأنكسرتْ. قالت: فلمّا كان الليل رأيت عُلَيّة فيما يرى النائم فقالت: يا خِشْفُ خالفتْكِ عَرِيبُ في غِنائي! قلت: نعم يا سيّدتي. قالت: الصواب معكِ، أفتدرِين ما الصوتُ الذي أُنْسِيتِه؟ قلت: لا والله! وَلَوددتُ أني فَدَيت ما جرى بكلّ ما أملك. قالت هو:

صوت

بُنِي الحُبُّ على الجَوْرِ فَلَوْ ... أَنْصفَ المعشوقُ فيه لسَمُجْ

ليس يُسْتَحْسَنُ في حكم الهوى ... عاشقٌ يُحسن تأليفَ الحُجَجْ

لا تَعِيبنّ من محبٍّ ذِلَّةً ... ذِلّةُ العاشق مُفتاحُ الفرج

وقليلُ الحبّ صِرْفاً خالصاً ... لك خيرٌ من كثير قد مُزج

وكأنّها قد أندفعت تغنّيني به، فما سمعتُ أحسنَ مما غنّتْه، ولقد زادت لي فيه أشياء في نومي لم أكن أعرفها. فأنتبهتُ وأنا لا أعقِل فرحاً به. فباكرتُ الخليفةَ وذكرتُ له القصّةَ. فقالت عَريب: هذا شيء صنعتِه أنتِ لِمَا جرى بالأمس، وأمّا الصوت فصحيح. فخلفتُ للخليفة بما رضِي / به أنّ القصة كما حَكَيْتُ. فقال: رؤياكِ والله / أعجب، ورحِم الله عُلَيّةَ! فما تركتْ ظَرْفَها حيّةً وميّتةً، وأجازني جائزة سنيّة. ولعُلَيّةَ في هذا الصوت أعني: [١٠/١٧٥]

* بُنِي الحب على الجَوْر فلو *

لحنان: خفيفُ ثقيلٍ وهَزَج. وقيل إن الهَزَج لغيرها.

سمع الرشيد لحنين لها من جاريتها عند إبراهيم الموصلي فرجع إليها وسمعهما منها ومدحهما:

ونسخت من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدّثني أحمد بن محمد الفيرزان[١] قال حدّثني بعضُ خَدَم السلطان عن مسرور الكبير، ونسختُ هذا الخبر بعينه من كتاب محمد بن طاهر يرويه عن أبن الفيرزان[١]، وفيهما خلاف يذكر في موضعه، قال:

اشتاق الرشيد إلى إبراهيم الموصليّ يوماً، فركِب حماراً يقرب من الأرض، ثم أمر بعض خدم الخاصة بالسعي بين يديه، وخرج من داره، فلم يزل حتى دخل على إبراهيم. فلما أحسَّ به أستقبله وقبَّلَ رجليه. وجلس الرشيد فنظر إلى مواضع قد كان فيها قومٌ ثم مَضَوْا، ورأى عيداناً كثيرةً، فقال: يا إبراهيم ما هذا؟ فجعل يدافع. فقال: وَيْلَك! أُصْدُقْني. فقال: نعم يا أمير المؤمنين، جاريتان أطرح عليهما. قال: هاتهما. فأحضر جاريتين ظريفتين، وكانت الجاريتان لعُلَيّةَ بنتِ المهديّ بعثت بهما يطرَح عليهما. فقال الرشيد لإحداهما: غنّي، فغنّتْ ـ وهذا كله من رواية محمد بن طاهر ـ:

بُني الحُبُّ على الجَوْر فلو ... أنصفَ المعشوقُ فيه لسَمُجْ
ليس يُستحسن في حكم الهوى ... عاشقٌ يُحسِن تأليفَ الحُجَجْ
لا تَعِيبنْ من محبٍّ ذِلّةً ... ذِلّةُ العاشقِ مِفتاحُ الفَرَجْ
وقليلُ الحبِّ صِرفاً خالصاً ... لك خيرٌ من كثيرٍ قد مُزِجْ

فأحسنتْ جدّاً. فقال الرشيد: يا إبراهيم لمن الشعر؟ ما أملحه! ولمن اللحن؟ ما أظرفه! فقال: لا عِلم لي. فقال للجارية، فقالت: لستّي. قال: ومَنْ سِتُّكِ؟ قالت: عُلَيّةُ / أختُ أميرِ المؤمنين. قال: الشعرُ واللحن؟! قالت نعم! فأطرق ساعة ثم رفع رأسَه إلى الأخرى فقال: غنّي؛ فغنّتْ: [١٠/١٧٦]

صوت

تَحَبَّبْ فإن الحبَّ داعيةُ الحبِّ ... وكم من بعيد الدار مستوجبُ القربِ
تَبَصَّرْ فإن حُدِّثْتَ أنّ أخا هوى ... نجا سالماً فارجُ النَّجاةَ من الحبِّ
إذا لم يكن في الحبِّ سُخْطٌ ولا رِضاً ... فأين حلاواتُ الرسائلِ والكُتْبِ

ـ الغِناء لعليّة خفيفُ ثقيلٍ. وفي كتاب عَلّويه: الغِناء له ـ فسأل إبراهيمَ عن الغِناء والشعر؛ فقال: لا عِلم

(١) في أ، م: «الفيزران».

لي يا أمير المؤمنين. فقال للجارية: لمن الشعر واللحن؟ فقالت لسِتّي. قال: ومَنْ سِتُّكِ؟ فقالت: عُلَيَّةُ أختُ أمير المؤمنين. فوثب الرشيد وقال: يا إبراهيم إحتفظ بالجاريتين. ومَضَى فركِب حِماره وٱنصرف إلى عُلَيَّة. هذا كله في رواية محمد بن طاهر، ولم يذكره محمد بن الحسن، ولكنه قال في خبره: إن الرشيد زار الموصليّ هذه الزيارة ليلاً، وكان سببها[1] أنه ٱنتبه في نصف الليل فقال: هاتوا حِماري فأُتِي بحمارٍ كان له أسْوَدَ يركبه في القصر قريبٍ من الأرض، فركبه وخرج في دُرَّاعةٍ[2] وشيءٍ متلثّماً بعمامةٍ وشيٍ مُلْتَحِفاً برداءِ وشيٍ، وخرج بين يديه مائة / خادم أبيض سوى الفرّاشين. وكان مسرور الفَرْغاني جريئاً عليه لمكانته عنده، فلما خرج على باب القصر قال: أين يريد أمير المؤمنين في هذه الساعة؟ قال: أردتُ منزِلَ الموصليّ. قال مسرور: فمضى ونحن بين يديه حتى ٱنتهى إلى منزل إبراهيم، فتلقّاه وقبّل حافرَ حِماره وقال: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداءك، أفي مثل هذه الساعة تظهر!! قال: نعم! شوقٌ طرَق بي. ثم نزل فجلس في طَرَف الإيوان وأجلس إبراهيم. فقال له إبراهيم: يا سيّدي / أتنشَط لشيءٍ تأكله؟ قال: نعم، وما هو؟ قال: خامِيزُ[3] ظبيٍ. فأتِي به كأنّما كان مُعَدّاً له فأصاب منه شيئاً يسيراً، ثم دعا بشرابٍ كان حُمِل معه. فقال له إبراهيم الموصليّ: أوَغنّيك يا سيّدي أم يغنّيك إماؤك؟ فقال: بل الجواري. فخرج جواري إبراهيم فأخذْنَ صَدْرَ الإيوان وجانبيه. فقال: أيَضْرِبْنَ كلُّهن أم واحدةٌ واحدةٌ؟ فقال: بل تَضْرِب ٱثنتان ٱثنتان وتغنّي واحدةٌ فواحدةٌ. ففعلن ذلك حتى مَرَّ صدرُ الإيوان وأحدُ جانبيه والرّشيد يسمَع ولا يَنْشَط لشيءٍ من غِنائهنّ، إلى أن غَنَّتْ صبيّةٌ من حاشية الصَّفّ.

٩١/٩ [١٠/١٧٧]

صـوت

يـا مُـوريَ الـزَّنْـدِ قـد أعيـتْ قـوادحُـه ... إقْبِـسْ إذا شئـتَ مـن قلبـي بمِقْبـاسِ

مـا أقبـحَ النـاسَ فـي عينـي وأسمجَهـم ... إذا نظـرتُ فلـم أُبصِـرْك فـي النـاس

فطرِب لغنائها وٱستعاد الصوت مِراراً وشَرب أرطالاً، ثم سأل الجاريةَ عن صانعه فأمسكتْ، فاستدناها فتقاعستْ، فأمر بها فأُقيمتْ إليه، فأخبرتْه بشيءٍ أسرَّتْه إليه. فدعا بحماره فٱنصرف وٱلتفتَ إلى إبراهيم فقال: ما عليكَ ألّا تكون خليفةً! فكادت نفسُه تَخرُج، حتى دعا به بعدُ وأدناه. هذا نظْم رواية محمد بن الحسن في خبره.

وقال محمد بن طاهر في خبره: فقال للموصليّ: ٱحتفظْ بالجاريتين، وركِب من ساعته إلى عُلَيَّة فقال: قد أحببتُ أن أشربَ عندكِ اليومَ. فتقدَّمتْ فيما تُصْلِحُه، وأخذا في شأنهما. فلمّا أن كان في آخر الوقت حمَل عليها بالنبيذ، ثم أخذ العودَ من حِجْر جارية فدفعه إليها، فأكبرتْ ذلك. فقال: وتُرْبةِ المهديّ لَتُغَنِّنَّ!. قالت: وما أُغنّي؟ قال: غنّي:

* بُنِـيَ الحـبّ على الجَـوْر فلو *

/ فعلمتْ أنه قد وقَف على القصة فغنّتْه. فلمّا أتت عليه قال لها غَنّي:

[١٠/١٧٨]

* تَحَبَّبْ فإنّ الحبّ داعيةُ الحب *

فلَجْلَجَتْ ثم غنته. فقام وقبَّل رأسَها وقال: يا سيّدي هذا عندك ولا أعلم! وتمَّمَ يومَه معها.

(١) في الأصول: «سببه».
(٢) الدراعة: ضرب من الثياب، أو هي جبة مشقوقة المقدم.
(٣) الخاميز: مرق السكباج المبرد المصفى من الدهن. أعجمي معرب.

عادها أخوها إبراهيم وكرر السؤال عنها فخجل من جوابها:

حدّثني جَحْظةُ قال حدّثني أبو العُبَيْس بن حَمْدُون قال قال إبراهيم بن المهديّ:

ما خَجِلتُ قَطُّ خَجَلَتي من عُلَيَّةَ أختي. دخلتُ عليها يوماً عائداً فقلت: كيف أنت يا أُختي جُعِلْتُ فِداءك وكيف حالُك وجسمُك؟ فقالت: بخير والحمدلله. ووقعتْ عيني على جارية كانت تَذُبُّ عنها فتشاغلتُ بالنظر إليها فأعجبتْني وطال جلوسي، ثم ٱستحْيَيْتُ من عُلَيَّةَ فأقبلتُ عليها فقلت: وكيف أنتِ يا أُختي جُعِلْتُ فِداءك وكيف حالُك وجسمُك؟ فرفعتْ رأسَها إلى حاضنةٍ لها وقالت: أليس هذا قد مضى مرّة وأجبنا عنه! فخجِلتُ خَجَلاً ما خَجِلتُ مِثلَه قَطُّ، وقمتُ وٱنصرفتُ.

أمرها الرشيد بالغناء فغنته من وراء ستار وكان معه جعفر فعرفه بها:

أخبرني عبدالله بن الرَّبيع الرَّبيعيّ قال حدّثني أحمد بن إسماعيل عن محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد قال:

٩٢/٩ شَهِدتُ أبي جعفراً وأنا صغيرٌ وهو يحدّث يحيى بن خالد جدّي في بعض / ما كان يخبره به من خَلَواته مع الرّشيد، قال: يا أبتِ، أخذ بيدي أمير المؤمنين ثم أقبل على حُجرة يخترقها حتى أنتهى إلى حُجْرة مُغلقة فَفُتِحتْ له، ثم رجَع مَنْ كان معنا من الخَدَم، ثم صرنا إلى حُجْرة مغلقة ففتحها بيده ودخلنا جميعاً وأغلقها من داخلٍ بيده، ثم صرنا إلى رِواقٍ ففتحه وفي صدره مجلس مغلق فقعَد على باب المجلس، فنقَر هارون الباب بيده نَقَراتٍ فسمِعنا حسّاً، ثم أعاد النَّقْرَ فسمِعنا صوتَ عود، ثم أعاد النَّقْر ثالثةً فغنَّتْ جاريةٌ ما ظننت والله أنّ الله خلقَ مِثْلَها في حُسْن الغِناء وجودة الضَّرب. فقال لها أمير المؤمنين بعد أن غنَّتْ أصواتاً: غَنِّي صوتي، فغنَّتْ صوتَه، وهو:

[١٠/١٧٩] / صوت

ومُخَنَّثٍ شَهِدَ الزِّفافَ وقَبْلَه غَنَّى الجواريَ حاسراً ومُنَقَّبا
لَبِسَ الدَّلالَ وقام يَنْقُرُ دُفَّهُ نَقْراً أقرَّ به العيونَ وأطْرَبا
إنّ النساءَ رأينَهُ فعشِقْنَهُ فشكونَ شدّةَ ما بهنَّ فأكذبا

ـ في هذا اللحن خفيفُ رَمَلٍ نسَبه يحيى المكيّ إلى ٱبن سُرَيج ولم يَصِحّ له، وفيه خفيفُ ثقيل في كتاب عُلَيَّة أنه لها، وذكر عبدالله بن محمد بن عبدالملك الزيّات أنه لرَبَقَ. واللّحن مأخوذٌ من:

* إنّ الرجالَ لهم إليكِ وسيلةٌ *

وهو خفيفُ ثقيلٍ للهُذَليّ، ويقال إنه لابن سُرَيج، وهو يأتي في موضع آخر ـ قال: فطرِبتُ والله طرباً هممتُ معه أن أنطح برأسي الحائطَ. ثم قال غَنّي:

* طال تكذيبي وتصديقي *

فغنَّت:

صوت

طال تكذيبي وتصديقي لم أَجِدْ عهداً لمخلوق

إنّ نـــاســـاً فـــي الهـــوى غَـــدَروا أحـــدثـــوا[1] نَقْـــضَ المـــواثيـــق

لا تَـــرانـــي بعـــدَهـــم أبـــداً أشتكـــي عِشقـــاً لمعشـــوق

ـ لحنُ عُلَيَّة في هذا الصوت هَزَجٌ. والشعرُ لأبي جعفر محمد بن حُمَيْد الطُّوسيّ وله فيه لحنٌ خفيفُ ثقيلٍ. ولعَرِيبَ فيه ثقيلٌ أوّل وخفيفُ ثقيلٍ آخر ـ قال: فرقَص الرشيد ورقصتُ معه، ثم قال: امْضِ بنا فإنّي أخاف أن يبدو منّا ما هو أكثر من هذا، فمضَيْنا. فلما صرنا إلى الدِّهليز قال وهو قابض على يدي: أعرفتَ هذه المرأة؟ قال قلت: لا يا أمير المؤمنين. قال: فإني أعلم أنك ستسأل عنها ولا تكتُم ذلك، وأنا أُخبرك / أنها عُلَيَّةُ بنتُ [١٠/١٨٠] المهديّ. ووالله لئن لَفَظْتَ به بين يَدَيْ أحدٍ وبلغني لأقتلنَّك. قال: فسمِعتُ جدّي يقول له: فقد والله لفظتَ به، ووالله ليقتلنَّك! فٱصنعْ ما أنت صانع.

نسبة الصوت الذي أُخذ منه:

* ومُخَنَّثٍ شهِد الزِّفافَ وقَبْلَه *

صوت

إنّ الـــرجـــال لهـــم إليـــكِ وسيلـــةٌ إنْ يـــأخـــذوكِ تَكَحّلِـــي وتَخَضَّبِـــي

وأنـــا ٱمـــرؤٌ إن يـــأخـــذونـــي عَنْـــوَةً أُقْـــرَنْ إلـــى سَيْـــرِ الـــرِّكـــاب وأُجْنَـــبِ

/ ويكـــون مـــركَبُـــكِ القَعـــودَ[2] وحِـــدْجَـــهُ وٱبـــنُ النَّعـــامـــةِ يـــومَ ذلـــك مَـــرْكَبِـــي ٩٣/٩

الناس يَرْوُون هذه الأبيات لعنترة بن شَدّاد العَبْسيّ، وذكر الجاحظ أنها لخُزَزَ[3] بن لَوْذَان، وهو الصحيح. وخُزَزُ شاعرٌ قديم يقال إنه قبل ٱمرىء القيس. وقد ٱختُلِف في معنى قوله «ٱبن النعامة» فقال أبو عُبَيْدة والأصمعيّ: النعامةُ فرسُه وٱبنُها ظِلُّها. يقول: أُقاد في الهاجرة إلى جَنْبها فيكون ظِلّي كالراكب لظِلّها. وقال أبو عمرو الشَّيْبانيّ: ابن النَّعامة مُقَدَّم رِجْله مما يَلي الأصابع. يقول: فلا يكون لي مركبٌ إلّا رِجلي. وقال خالد بن كُلْثوم: ابن النعامة الخشبة التي يُصْلَب عليها. يقول: أُقْتَلُ وأُصْلَبُ فتكون الخشبة مركبي. وٱحتجَّ مَنْ ذكر أنه يَعني ظِلَّ فرسه وأنه يكون كالراكب له بقول الشاعر:

إذ ظَـــلَّ يحسَـــب كـــلَّ شـــيءٍ فـــارســـاً ويَـــرَى نعـــامـــةَ ظِلِّـــه فيَحُـــول

قال: وٱبن النعامة: ظِلُّ كلِّ شيء. وقد مضَى هذا الصوت مفرداً مع خبره في موضع آخر.

/ أمرها الرشيد بالغناء فنظمت فيه شعراً وغنته به فطرب: [١٠/١٨١]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا أحمد بن يزيد المُهَلَّبيّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال:

زار الرَّشيدُ عُلَيَّةَ فقال لها: بالله يا أُختي غَنِّيني. فقالت: وحياتِك لأعملنَّ فيك شعراً ولأعملنَّ فيه لحناً، فقالت من وقتها:

---

(١) في ب، س: «حسنوا».

(٢) القعود: من الإبل ما اتخذه الراعي للركوب وحمل الزاد والمتاع. والحدج: مركب من مراكب النساء نحو الهودج والمحفة.

(٣) كذا في «القاموس» (في مادة «لوذ»). وفي الأصول: «حزن» هو تحريف.

صوت

تَفْـدِيـك أُخْتُـك قـد حَبَـوْتَ بنعمـةٍ لسنـا نَعُـدُّ لهـا الـزمـانَ عـديـلا
إلاَّ الخلـودَ، وذاك قـربُـك سيِّـدي لا زال قـربُـك والبقـاءُ[1] طـويـلا
وحَمِـدتُ ربِّـي فـي إجـابـة دعـوتـي فـرأيـتُ حمـدي عنـد ذاك قليـلا

وعَمِلتْ فيه لحناً من وقتها في طريقة خفيفِ الرَّمَلِ، فأطربَ الرَّشيدَ وشرِب عليه بقيَّةَ يومه.

طلب الرشيد أختها ولم يطلبها فقالت شعرا وبعثت من غناه له فأحضرها:

قال: وقالت للرّشيد أيضاً وقد طلب أختَها ولم يطلبها.

صوت

مـا لـي نُسِيتُ وقـد نُـودِي بـأصحـابـي وكنـتُ والـذِّكْـرُ عنـدي رائـحٌ غـادي
أنـا التـي لا أطيـق الـدَّهْـرَ فُـرْقتكـم فَـرِقٌ لـي يـا أخـي مـن طـول إبعـاد

قال: وغنّتْ فيه لحناً من الثقيل الثاني، وبعثت مَنْ غنّاه للرشيد، فبعث فأحضرها.

حجت وتأخرت فتكدر الرشيد فنظمت شعراً وغنته فرضي عنها:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني عَوْن بن محمد قال حدّثني زُرْزُور الكبير غلام جعفر بن موسى الهادي:

أنّ عُلَيَّةَ حَجَّتْ في أيّام الرّشيد، فلمّا انصرفتْ أقامت بِطِيزَنَاباذَ[2] أيّاماً، فانتهى ذلك إلى الرشيد فغضِب. فقالت عُلَيَّةُ:

[١٠/١٨٢] / صوت

أيُّ ذنـبٍ أذنبتُـه أيّ ذنـبِ أي ذنـبٍ لـولا رجـائـي لـربِّـي
بمُقـامـي بطِيـزَنـابَـاذَ يـومـاً بعـدَه ليلـةٌ علـى غيـر شُـرْبِ
ثـم بـاكـرتُهـا عُقـاراً شَمُـولاً تَفْتِـنُ النّـاسِـكَ الحليـمَ وتُصْبـي
قَـرْقَفـاً قهـوةً تـراهـا جَهُـولاً ذاتَ حِلْـمٍ فَـرَّاجـةً كـلَّ كَـرْبِ

٩٤/٩ قال: وصنعتْ في البيتين الأوّلين لحناً خفيف الثقيل، وفي البيتين الأخيرين لحناً من / الرَّمَل. فلمّا جاءت وسمع الشعر واللحنين رضِي عنها.

اشتاقها الرشيد وهو بالرقة فطلبها فجاءته وقالت شعراً وعملت فيه لحناً:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني عبدالله بن المعتزّ قال حدّثني عبدالله بن إبراهيم بن المهديّ قال:

(١) في أ، م: «في البقاء».
(٢) كذا في «معجم البلدان» لياقوت. وطيزناباذ: موضع بين الكوفة والقادسية، كان من أنزه المواضع محفوفاً بالكروم والشجر والحانات والمعاصر، وكان من المواضع المقصودة للهو والبطالة. وفي الأصول: «طيرناباذ» وهو تحريف.

اشتاق الرّشيد إلى عَمّتي عُلَيّة بالرَّقّة، فكتب إلى خالها يزيدَ بنِ منصور في إخراجها إليه فأخرجها. فقالت في طريقها:

صوت

إشْـرَبْ وغَـنّ علـى صـوت النّـواعِيـرِ ... مـا كنـتُ أعـرِفهـا لـولا ٱبـنُ منصـورِ
لـولا الـرجـاء لمـن أمّلـتُ رُؤيَتَـه ... مـا جُـزْتُ بغـدادَ فـي خـوف وتغـريـر

وعَمِلتْ فيه لحناً في طريقة الثقيل الأوّل.

كانت مع الرشيد في الري فحنت إلى العراق بشعر فردها:

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال: حدثنا الهِشاميّ أبو عبدالله قال: لمّا خرج الرّشيد إلى الرَّيّ أخذ أُختَه عُلَيّةَ معه. فلمّا صار بالمَرْج[1] عمِلتْ شعراً وصاغت فيه لحناً في طريقة الرمل وغنّت به، وهو:

[١٨٣/١٠]

/ صوت

/ ومُغْتَـرِبٍ بـالمَـرْج يَبْكـي لِشَجْـوِهِ ... وقـد غـاب عنـه المُسعِـدون علـى الحـبّ
إذا مـا أتـاه الـرَّكْـب مـن نحـو أرضـه ... تنشَّـق يَستشفِـي بـرائحـة الـرَّكْـبِ

فلمّا سمع الصَّوتَ علِم أنها قد ٱشتاقت إلى العراق وأهلِها به فردّها.

غنت الرشيد في يوم فطر:

ونسختُ من كتاب هارون بن محمد الزَّيّات حدّثني بعضُ موالي أبي عيسى بن الرّشيد عن أبي عيسى: أن عُلَيّة غنّتِ الرّشيدَ في يوم فِطر:

صوت

طـالـتْ علـيّ ليـالـي الصَّـومِ وٱتّصلـتْ ... حتـى لقـد خِلتُهـا زادتْ علـى الأبَـدِ
شـوقـاً إلـى مجلـس يُـزْهَـى بصـاحبـه ... أُعِيـذُه بجـلال الـواحـد الصَّمَـدِ

الغِناء لعُلَيّة ثاني ثقيل لا يُشَكّ فيه، وذكر بعضُ الناس أنه للواثِق، وذكر آخرون أنه لعبدالله بن العبّاس الرَّبيعي. والصحيحُ أنه لعُلَيّة. وفيه لعريب ثقيلٌ أوّل غنّته المُعْتَمِدَ يومَ فِطر فأمر لها بثلاثين ألفِ درهم.

ضربت وكيلها سباعا وحبسته لخيانته فشفع فيه جيرانه فقالت شعراً:

وقال ميمون بن هارون حدّثني أحمد بن يوسف أبو الجَهْم قال:

كان لعُلَيّة وكيل يقال له سِباعٌ، فوقفتْ على خيانته فضربته وحبسته، فٱجتمع جيرانه إليها فعرّفوها جميلَ مذهبه وكثرةَ صِدْقه، وكتبوا بذلك رقعة، فوقّعتْ فيها:

(١) المرج: يريد به مرج القلعة، بينه وبين حلوان منزل إلى جهة همذان. كذا ذكر ياقوت في «معجمه» وذكر البيتين الواردين في هذه القصة.

ألاَ أيُّهَــذَا الــرّاكِــبُ العِيــسَ بَلِّغَــنْ سِباعـاً وقُـلْ إن ضَـمَّ داركـم(١) السَّفْـرُ(٢)

أتَسْلُبُنِــي مــالــي وإن جــاء سـائــلٌ رَفَقْــتَ لــه إن حطَّــه نحــوَكَ الفقــر

كشــافيــهِ المَــرْضَــى بعــائــدة الــزِّنَــا تــؤمِّــل أجــراً حيــث ليــس لهــا أجــر

[١٠/١٨٤] / **تركت الغناء لموت الرشيد فألح عليها الأمين فغنته:**

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني ميمون بن هارون قال حدّثني عَلَمُ السَّمْراءُ جارية عبدالله بن موسى الهادي أنّها شَهِدتْ عُلَيَّةَ غَنَّت الأمينَ في شعر لها، وهو آخر شعر قالته فيه، وطريقته من الثقيل الثاني. وكانت لمّا مات الرّشيد جَزِعتْ جَزَعاً شديداً وتركت النَّبيذَ والغِناء. فلم يزل بها الأمينُ حتى عادت فيهما على كرهٍ. والشعر:

صوت

أطَلْــتِ عــاذِلَتــي لَــوْمِــي وتَفْنِيــدي وأنــتِ جــاهلــةٌ شــوقــي وتَسْهِيــدي

/ لا تَشْــرَبِ الــراح بيــن المُسْمِعــاتِ وزُرْ ظَبْيــاً غَــريــراً نَقِــيَّ الخــدّ والجيــد

قــد رنَّحَتْــه شَمُــولٌ فهــو مُنْجَــدِلٌ يَحْكِــي بــوجنتــه مــاءَ العنــاقيــدِ

قــام الأميــنُ فــأغْنَــى النــاسَ كلَّهــمُ فمــا فقيــرٌ علــى حــال بمــوجــود

٩٥/٩

لحنُ عُلَيَّةَ في هذا الشعر ثاني ثقيل. ولِعَرِيب فيه هَزَجٌ، وقيل إنّ الهَزَجَ لإبراهيم بن المهديّ.

قالت شعراً في لبانة بنت أخيها علي بن المهدي وغنت فيه:

وقال ميمون بن هارون حدّثني محمد بن أبي عَوْن قال حدّثني عَرِيبُ أنّ عُلَيَّةَ قالت في لُبانة بنتِ أخيها عليّ بن المهديّ شعراً وغَنَّتْ فيه من الثَقيل الأول:

صوت

وحــدّثنــي عــن مجلــس كنــتِ زَيْنَــه رســولٌ أميــنٌ والنســـاءُ شُهــودُ

فقلــت لــه كُــرَّ(٣) الحــديــثَ الــذي مَضَــى وذِكْــرَكِ مــن ذاك(٤) الحــديــث أريــد

وقد ذكر الهِشاميّ أنّ هذا اللحنَ لإسحاق غنّاه بالرِّقَّة. وليس ذلك بصحيح.

[١٠/١٨٥] / **سمعها إسماعيل بن الهادي تغني مستترة عند المأمون فأذهله غناؤها:**

أخبرني محمد بن يحيى عن عَوْن بن محمد عن أبي أحمد بن الرّشيد. ونسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسن عن عَوْن بن محمد عن أبي أحمد بن الرّشيد واللفظُ له قال:

دخل يوماً إسماعيل بن الهادي إلى المأمون، فسَمع غِناءً أذهله. فقال له المأمون: مالكَ؟ قال: قد سَمِعتُ

(١) كذا في الأصول. والأظهر أن تكون «ضم ركبكم» أو «حل ـ أو جاز ـ داركم السفر» أو نحو ذلك.

(٢) السفر: القوم المسافرون.

(٣) في حـ: «فقلت لها كرى».

(٤) في ب، س: «من بين الحديث».

ما أذهلني، وكنتُ أُكذّب بأن الأُرْغُن الرُّوميّ يقتُل طرباً، وقد صدّقتُ الآن بذلك. قال: أوَ لا تَدْرِي ما هذا؟ قال: لا والله! قال: هذه عَمّتُك عُلَيّةُ تُلقِي على عَمّك إبراهيمَ صوتاً من غِنائها. إلى ها هنا رواية محمد بن يحيى. وفي رواية محمد بن الحسن قال: هذه عَمّتُك تُلقى على عَمّك إبراهيم صوتاً أستحسنه من غنائها. فأصغيتُ إليه فإذا هي تُلقى عليه:

صـوت

لَيـس خَطْـبُ الهوى بخطبٍ يسيـر ... ليـس يُنْبِيـك عنـه مِثْـلُ خبيـر

ليـس أمـرُ الهـوى يُـدَبَّـر بـالـرأ ... ي ولا بـالقيـاس والتفكيـرِ

اللَّحنُ في هذا لعُلَيّةَ ثقيلٌ أوّل. وفيه لإبراهيم بن المهديّ ثاني ثقيلٍ عن الهِشاميّ.

توفيت ولها خمسون سنة، وسبب وفاتها:

أخبرني جَحْظَةُ قال حدّثني هِبةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه:

أنّ عُلَيّةَ بنتَ المهديّ وُلِدتْ سنة ستين ومائة، وتُوفّيَتْ سنةَ عشر ومائتين[1] ولها خمسون سنة. وكانت عند موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبدالله بن عبّاس. وأخبرني محمد بن يحيى عن عَوْن بن محمد قال حدّثني محمد بن عليّ بن عثمان قال: ماتت عُلَيّةُ سنةَ تسعٍ ومائتين، وصَلّى عليها المأمون. وكان سبب وفاتها أنّ المأمون ضمّها إليه وجعل يقبّل رأسها، وكان وجهها مُغطًّى، فشَرِقت من ذلك وسعَلتْ ثم حُمَّتْ بعَقِب هذا أيّاماً يسيرةً وماتت.

ومِمّن صنع أولادِ الخلفاء أبو عيسى بن الرّشيد [١٨٦/١٠]

فمن صنعته:

صوت

قـام بقلبـي وقَعَـدْ ... ظبـيٌ نَفَـى عنّـي الجَلَـدْ

خلّفنـي مُـدَلَّهـاً ... أهِيـمُ فـي كـلّ بَلَـدْ

أسْهَـرنـي ثـم رَقَـدْ ... ومـا رثـى لِـي مـن كَمَـدْ

ظبـيٌ إذا أزددتُ لـه ... تـذلُّـلاً تـاه وصَـدّ

واعَطَشَـا إلـى فَـمٍ ... يَمُـجُّ خمـراً مـن بَـرَدْ

٩٦/٩

عروضه من مجزوء الرَّجَز. والشعرُ والغِناء لأبي عيسى بن الرّشيد، ولحنُه فيه ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى من روايتي عبدالله بن المعتزّ والهِشاميّ. وذكر الهِشاميّ أنّ له أيضاً فيه لحناً من ثقيل الرَّمَل، وذكر حَبَشٌ أنّ الرَّمَلَ لحسين بن مُحرز. وفيه لأبي العُبَيْس بن حَمْدون خفيفُ ثقيلٍ.

(١) في الأصول: «ست عشرة ومائتين» والتصويب عن «نهاية الأرب» و«النجوم الزاهرة».

[١٠/١٨٧] # / أخبار أبي عيسى بن الرّشيد ونسبه

شيء من أوصافه:

اِسمه أحمد، وقيل بل أسمُه صالح بن الرشيد. وهذا النَّسبُ أشهرُ من أن يُشْرَح. وأُمُّه أمُّ ولدٍ بَرْبَرِيَّة. وكان من أحسن النّاس وجهاً ومُجَالسةً وعِشْرةً، وأمجنهم وأحدّهم نادرةً وأشدّهم عَبَثاً. وكان يقول شعراً ليِّناً طيِّباً من مِثْلِه.

كان جميل الوجه:

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفاف قال حدّثنا عبدُالله بن أبي سعد الورّاق قال حدّثني محمد بن عبدالله بن طاهر أنه سمع أباه يقول: سمعتُ أبي (يعني طاهر بن الحسين) يحدّث أنه سمع الرشيدَ يقول للمأمون: أنت تعلم أنك أحبّ الناس إليّ، ولو أستطيع أن أجعل لك وجه أبي عيسى لفعلت.

كان إذا ركب جلس له الناس لرؤية حسنه:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني مُسَبِّح بن حاتم العُكْليّ قال حدّثنا إبراهيم بن محمد قال: كان يقال: اِنتهى جَمالُ وَلَد الخلافة إلى أولاد الرشيد، ومن أولاد الرشيد إلى أولادِ محمد وأبي عيسى. وكان أبو عيسى إذا عزَم على الركوب جلس الناس له حتى يَرَوْه أكثر مما يجلِسون للخلفاء.

مدحت عريب حسنه وغناءه:

حدّثني محمد قال حدّثني يعقوب بن بَنَان قال حدّثني عليّ بن الحسين الإسكافيّ قال:

كنتُ عند أبي الصَّقْر إسماعيلَ بنِ بُلْبُل وعنده عَرِيبُ، فسمِعتُها تقول: اِنتهى جمالُ الرشيد إلى محمد الأمين وأبي عيسى، ما رأى الناس مِثْلَهما، وكان المعتزّ في طِرازهما. قال: وسمعتُها تقول لأبي العباس بن حمدون: ما غناؤك[١] من غِناء أبي عيسى بن الرّشيد! وما سمِعتُ قَطُّ غِناءً أحسنَ من غِنائه، ولا رأيت وجهاً أحسن من وجهه.

[١٠/١٨٨] ### / عجب الرشيد من جواب له في صباه وقبله:

أخبرني محمد قال حدّثني الغَلاَبِيّ قال حدّثنا يعقوب بن جعفر قال:

قال الرّشيد لأبي عيسى أبنه وهو صبيّ: ليت جمالك لعبدالله (يعني المأمون). فقال له: على أنّ حظَّه منك لي. فعجِب من جوابه على صِباه وضمَّه إليه وقبّله.

سخط من رؤية هلال شهر رمضان:

(١) كذا في أ، م. وفي حـ: «في غنائك من غناء أبي عيسى إلخ». وفي ب، س: «في غنائك مشابهة من غناء أبي عيسى إلخ».

وأخبرني الحسن بن عليّ وأحمد بن عُبَيدالله بن عَمَّار قالا حدّثنا عبدُلله بن أبي سعد عن محمد بن عبدالله بن طاهر عن أبيه قال:

حدّثني مَنْ شَهِد المأمونَ ليلةً وهم يتراءَوْنَ هلالَ شهرِ رمضان وأبو عيسى أخوه معه وهو مُسْتَلْقٍ على قفاه، فرأوْه وجعلو يَدْعُون. فقال أبو عيسى قولاً أُنكِر عليه في ذلك المعنى. كأنه كان متسخِّطاً لورود الشهر، فما صام بعده.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا الحسين بن فَهْم قال: قال أبو عيسى بن الرشيد:

دهـانـيَ شهـرُ الصَّـومِ لا كـان مـن شهـرِ ... ومـا صُمْـتُ شهـراً بعـدَه آخِـرَ الـدّهـرِ

فلـو كـان يُعْـدِينـي الإمـامُ بقُـدرةٍ ... على الشهـر لاستعدَيْتُ جهدي على الشَّهرِ

فناله بعقب قوله هذا الشعر صَرْعٌ، فكان يُصْرَع في اليوم مرّاتٍ إلى أن مات، ولم يبلغ شهراً آخر.

مدح إبراهيم بن المهدي غناءه:

وذكر عليّ بن الهشاميّ عن جدّه أبن حَمْدون قال: قلت لإبراهيم بن المهديّ: / مَنْ أحسن الناس غناء؟ ٩٧/٩ قال: أنا. قلت: ثم مَنْ؟ قال: أبو عيسى بن الرّشيد. قلت: ثم مَنْ؟ قال: مُخارق.

عابث طاهر بن الحسين أمام المأمون فغضب فترضاه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أبن أبي سعد قال حدّثنا محمد بن عبدالله بن طاهر قال حدّثنا محمد بن سعيد أخو غالب الصَّعْديّ[١] قال:

كان أبو عيسى بن الرشيد وطاهر بن الحسين يتغدّيان مع المأمون، فأخذ أبو عيسى هِنْدَباءةً[٢] فغمَسها في الخلّ وضرَب بها عينَ طاهر الصحيحة. فغضِب طاهرٌ / وشَقَّ ذلك عليه وقال: يا أمير المؤمنين إحدى عَيْنَيَّ [١٠/١٨٩] ذاهبةٌ، والأخرى على يَدَيْ عَدْل، يُفْعَل هذا بي بين يَدَيْك!! فقال له المأمون: يا أبا الطَّيِّب إنه والله لَيَعْبَث بي[٣] أكثر من هذا العَبَث.

عرّض بيعقوب بن المهديّ فضحك المأمون ونهاه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أبن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبدالله بـن طاهر قال حدّثني أبو عيسى بن عليّ بن عيسى بن ماهان قال:

بينا المأمون يخطُب يومَ الجمعة على المنبر بالرُّصافة وأخوه أبو عيسى تِلْقاءَ وجهِهِ في المقصورة، إذ أقبل يعقوب بن المهديّ وكان أفْسَى الناس، معروفاً بذلك. فلما أقبل وضع أبو عيسى كمَّه على أنفه، وفَهِم المأمونُ ما أراد فكاد أن يضحَك. فلمّا أنصرف بَعث إلى أبي عيسى فأحضره وقال له: والله لَهَمَمْتُ أن أبطحَك فأضربك مائةَ دِرّة! ويْلَكَ! أردتَ أن تفضَحني بين أيدي الناس يوم جمعة وأنا على المنبر! إيّاك أن تعود لمثل هذه!. قال: وكان

(١) هذه النسبة إلى صعدة، وهي من بلاد اليمن.

(٢) الهندباء: صنفان من النبات: أحدهما قريب الشبه من الخس عريض الورق، والآخر أدق وأرق منه وفي طعمه مرارة. (انظر «مفردات ابن البيطار» طبعة بلاق ج ٢ ص ١١٨).

(٣) في حـ، ب، س: «معي».

يعقوب بن المهديّ لا يقدِر أن يُمسك الفُساء إذا جاءه. فأتخذت له دايةٌ مُثَلَّثَةٌ وطيَّبتْها وتنوّقتْ فيها. فلمّا وضعتْها تحتَه فَسَا، فقال: هذه ليست بطيِّبة. فقالت له الداية: فديتُك! هذه قد كانت طيِّبة وهي مثلثة، فلما ربَّعتها فسدتْ.

قال: وكان يعقوب هذا مُحمَّقاً، كان يخطر بباله الشيءُ فيشتهيه فيُثْبِتُه في إحصاء خزانته. فضَجَّ خازنُه من ذلك، فكان يُثْبِتُ الشيءَ ثم يُثْبِتُ تحتَه أنه ليس عنده، وإنما أثبته ليكون ذكرُه عنده إلى أن يملِكه. فوُجِد في دفتر له[1] فيه ثَبَتُ ثيابٍ: «ثَبَتُ ما في الخزانة من الثِّياب المثقَّلة الإسكندرانيّة والهِشاميّة، لا شيء ـ أستغفر الله ـ بل عندنا منها زرحية[2] كانت للمهدي. الفصوص الياقوت الأحمر التي من حالها كذا وكذا لا شيء ـ أستغفر الله ـ بل عندنا منها [١/١٩٠] دُرَجٌ كان فيه / للمهديّ خاتَمٌ هذه صفتُه». فحُمِل ذلك الدفتر إلى المأمون، فضحِك لمّا قرأه حتى فحَص برجله وقال: ما سمعتُ بمثل هذا قَطّ!.

كان المأمون يحبه ويتمنى أن يلي الأمر بعده:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا سليمان بن داود المهلَّبيّ قال حدّثني الهَيْثَم بن محمد بن عَبَّاد عن أبيه قال:

كان المأمون أشدّ الناس حبّاً لأبي عيسى أخيه، كان يُعِدُّه للأمر بعدَه، وتذاكرنا ذلك كثيراً، وسمعتُه يقول يوماً: إنه لَيَسْهُل عليّ أمرُ الموت وفَقْدُ المُلك، وما يسهل شيء منهما على أحد، وذلك لمحبّتي أن يَلِيَ أبو عيسى الأمرَ من بعدي لشدّة حُبِّي إيّاه.

كان يحب صيد الخنازير فوقع عن دابته، وكان ذلك سبب موته:

أخبرني محمد بن عليّ قال حدّثني عبدالله بن المُعْتَزّ قال:

كان سبب موت أبي عيسى بن الرّشيد أنه كان يحب صَيْدَ الخنازير، فوقع عن دابَّته فلم يَسْلَم دماغُه، فكان يتخبّط في اليوم مَرّاتٍ إلى أن مات.

عزاء محمد بن عباد المأمون فيه:

حدّثني محمد قال حدّثنا أبو العَيْناء قال حدّثنا محمد بن عَبَّاد المهلَّبيّ قال:

لَمّا مات أبو عيسى بن الرّشيد دخلتُ إلى المأمون وعِمامتي عليّ، فخلعتُ عِمامتي ونبذتُها وراءَ ظهري ـ والخلفاءُ لا تُعَزَّى في العمائم ـ ودنوتُ. فقال لي: يا محمد، حال القَدَرُ / دون الوَطَر. فقلت: يا أمير المؤمنين، كلُّ مصيبةٍ أخطأتْك تهون، فجعل الله الحزنَ لك لا عليك. [٩٨/٩]

مات سنة تسع ومائتين:

أخبرنا محمد قال حدّثنا عَوْن بن محمد قال سَمِعت هِبةَ الله بن إبراهيم يقول: مات أبو عيسى بن الرّشيد سنةَ تسعٍ ومائتين، وصلَّى عليه المأمون ونزَل في قبره، وأمتنع من الطعام أياماً حتى خاف أن يَضُرَّ ذلك به.

وجد عليه المأمون وجداً شديداً:

أخبرني أحمد بن عُبَيدالله بن عَمَّار قال حدّثني أبو العَيْناء قال سمعت محمد بن عَبَّاد يقول:

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «.. دفتر عنده له فيه».

(٢) ظاهر من السياق أنها ضرب من الثياب، ولم نعثر عليها فيما عرفنا من مظان.

/ لمّا تُوفِّيَ أبو عيسى بن الرّشيد وجَد المأمونُ عليه وَجْداً شديداً، وكان له مُحِبّاً وإليه مائلاً. فركِب إلى داره [١٠/٩١] حتى حضر أمرَه وصلّى عليه، وحضره الناس، وكنتُ فيمن حضَر، فما رأيتُ مُصَاباً حزيناً قطّ أجمل أمراً في مُصِيبةٍ ولا أَحْرَقَ وجداً منه من رجل صامت تجري دموعُه على خدّيه من غير كلح[١] ولا ٱستِنثَارٍ.

بكاه المأمون وتمثل شعراً وعزاه فيه ابن أبي دواد وعمرو بن مسعده وناحت عليه عريب:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ٱبن أبي سعد الورّاق قال حدّثني محمد بن عبدالله بن طاهر قال حدّثني أبي قال قال أحمد بن أبي دُوَاد:

دخلتُ على المأمون في أوّل صحبتي أيّاه وقد تُوفِّيَ أخوه أبو عيسى وكان له محبًّا وهو يَبكي ويَمْسَحُ عينيه بِمنديل، فقَعَدتُ إلى جنب عمرو بن مَسْعدَةَ وتمثَّلتُ قولَ الشاعر:

نَقَــصَ مِـــن الـــدّنيـــا وأسبـــابِهـــا ... نقــصُ المنــايـــا مِــن بنــي هـــاشــم

ولم يزل على تلك الحال ساعة يبكي، ثم مسح عينيه وتمثّل:

سأبكيك مـا فـاضـتْ دموعـي فـإن تَغِض ... فحسبُـك منّـي مــا تُجِــنُّ الجــوانِــح
كــأنْ لــم يَمُــتْ حَــيٌّ سِــواك ولــم تَنُــحْ ... علــى أحــدٍ إلاّ عليــكَ النــوائــح

ثم التفت إليّ فقال: هِيهِ يا أحمد! فتمثَّلتُ قولَ عَبْدَةَ بن الطَّبيب:

عليــكَ ســلامُ الله قَيْــسُ بــنَ عــاصــمٍ ... ورحمتُـــه مـــا شـــاء أن يتـــرحَّمَـــا
تحيَّـــةَ مَـــنْ أَوْلَيْتَـــه منـــك نعمـــةً ... إذا زار عـــن شَحْـــطٍ بـــلادَك سلَّمـــا
ومـــا كـــان قَيْـــسٌ هُلْكُـــه هُلْــكَ واحــدٍ ... ولكنّـــه بنيـــانُ قـــوم تهـــدَّمـــا

فبكى ساعةً ثم التفتَ إلى عمرو بن مَسْعَدَة فقال: هِيهِ يا عمرو! قال: نعم يا أمير المؤمنين

بَكُّـــوا حُـــذَيْفَـــةَ لـــم تُبَكُّـــوا مثلَـــه ... حتـــى تعـــودَ قبـــائـــلٌ لـــم تُخْلَـــقِ

/ فإذا عَرِيبُ وجَوَارٍ معها يَسْمَعْنَ ما يدور بيننا، فقلن: ٱجعلوا لنا معكم في القول نصيباً. فقال لها [١٠/٩٢] المأمون: قُولِي، فرُبَّ صوابٍ منكِ كثير. فقالت:

كـذا[٢] فَلْيَجِـلَّ الخطـبُ ولْيَفْـدَحِ الأمـرُ ... وليـس لعيـنٍ لـم يَفِـضْ مـاؤُهـا عُـذْرُ
كـــأنَّ بنـــي العبّـــاس يـــومَ وفـــاتـــه ... نجـــومُ سمـــاءٍ خَـــرَّ مـــن بينهـــا البـــدر

فبكى وبكينا. ثم قال لها المأمون: نُوحِي، فناحت وردّ عليها الجواري. فبكى المأمون حتى قلتُ: قد خرجتْ نفسُه، وبكَيْنا معه أحرَّ بكاء، ثم أمسكتْ. فقال لها المأمون: اصْنَعِي فيه لحناً وغَنّي به. فصنعتْ فيه لحناً على مذهب النَّوْح وغنّته إيّاه على العُود. فوالذي لا يُحْلَفُ بأجلّ منه لقد بَكَيْنا عليه غِناءً أكثرَ ممّا بَكَيْنا عليه نَوْحاً.

(١) كذا في الأصول. والذي في «كتب اللغة». كلح وجه الرجل كلوحاً وكلاحاً (كغراب): تكشر في عبوس أو عبّس فأفرط في تعبسه. والاستنثار: إخراج ما في الأنف من أذى.

(٢) يلحظ أن هذا الشعر لأبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي، وقد قتل هذا الأمير في حرب كانت بينه وبين أصحاب بابك الخرمي سنة ٢١٤ هجرية. والمروي هنا أن أبا عيسى بن الرشيد مات سنة ٢٠٩ هجرية، فتأمل هذا، وأصل الشعر «كأن بني نبهان» فغير وجعل «كأن بني العباس».

طلب المأمون من أبي العتاهية أن يسليه عنه:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا الطَّيِّب[1] بن محمد الباهِليّ قال حدّثني موسى بن سعيد عن أخيه عمرو قال:

٩٩/٩ لمّا مات / أبو عيسى بن الرشيد وجَد عليه المأمون وَجْداً شديداً حتى امتنع من النَّوْم ولم يَطْعَم شيئاً. فدخل عليه أبو العَتَاهِيَة، فقال له المأمون: حدِّثني يا أبا إسحاق بحديث بعض الملوك ممن كان في مثل حالنا وفارقها. فقال: يا أمير المؤمنين، لبِس سليمان بن عبدالملك أفخرَ ثيابه ومَسَّ أَطْيَبَ طِيبه وركِب أَفْرَهَ خَيْلِه وتقدّم إلى جميع مَنْ معه أن يركب في مثْلِ زِيِّه وأكمل سلاحه، ونظر في مِرآته فأعجبَته هيئتُه وحسنُه، فقال: أنا الملك الشابّ، ثم قال لجارية له: كيف تَرَيْنَ؟ فقالت:

أنتَ نِعْمَ المتاعُ لو كنتَ تَبْقَى ... غيرَ أنْ لا بقاءَ للإنسانِ

أنت خِلْوٌ من العيوب وممّا ... يكره الناسُ غيرَ أنّك فاني

[١٠/١٩٣] / فأعرض بوجهه، فلم تدُرْ عليه الجمعة إلاّ وهو في قبره. قال: فبكى المأمون والناس، فما رأيت باكياً أكثرَ من ذلك اليوم. قال: وهذان البيتان لموسى شهوات.

بعض أصواته:

ومن غناء أبي عيسى وجَيِّد صنعتِه، والشعرُ له، وطريقتُه من الثقيل الثاني مطلق في مجرى البنصر. وذكر حَبَشٌ أن فيه لحُسَين بن مُحْرِز أيضاً صنعة من خفيف الرَّمَل:

صوت

رَقَدَتْ عنك سَلْوَتي ... والهوى ليس يَرْقُدُ

وأطار السُّهادُ نو ... مي فنومي مُشَرَّدُ

أنت بالحُسْنِ منك يا ... حَسَنَ الوجهِ تَشْهَدُ

وفؤادي بحُسْنِ وجـ ... ـهِك يَشْقَى ويَكْمَدُ

ومن غِنائه أيضاً وهو من صدور صنعته في شعر الأخطل ـ ولحنه من الثقيل الأوّل ـ:

صوت

إذا ما زيادٌ عَلَّنِي ثم عَلَّنِي ... ثلاثَ زُجاجاتٍ لهنَّ هَدِيرُ

خرجتُ أَجُرُّ الذيلَ حتى كأنني ... عليك أميرَ المؤمنين أميرُ

ولإسحاق في هذا الشعر رَمَلٌ بالبِنصر عن عمرو.

(١) في ب، س: «الطيب».

ومِمن عُرِفت له صنعة من أولاد الخلفاء عبدالله بن موسى الهادي

صوته في شعر له:

فمن صنعته:

صوت

تقاضاك دهرُك ما أسْلَفا ... وكدَّر عيشَك بعد الصَّفا
فلا تَجْزَعنّ فإنّ الزمانَ ... رهينٌ بتشتيت ما أَلَّفا
وما زال قلبُك مأوى السرور ... كثيرَ الهوى ناعِماً مُتْرَفا
ألحّ عليك بروعاته ... وأقبل يَرْميك مُسْتهدِفا

الشعر والغناء لعبدالله بن موسى. ولحنه ماخوريّ وهو خفيفُ الثقيل الثاني بالوسطى.

/ اختلف مع ثقيف الخادم في صوت فضرب ثقيف رأسه بالعود فحلم عليه، وكان معربداً: [١٠/١٩٤]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني أبو حَشِيشةَ قال:

كان عبدالله بن موسى الهادي أضْرَبَ الناس بالعود وأحسنَهم غِناءً. وكان له غلام أسود يقال له قَلَمٌ، فعلّمه الصوت وحذّقه. فاشترته منه أمّ جعفر بثلثمائة ألف درهم. قال أبو حَشِيشة فحدّثني / دلشاد غلام عبدالله بن موسى قال: كنت أنا وثَقِيفٌ الخادمُ الأسودُ مولى الفضل بن الربيع نُضَارِب مولاي عبدَالله بنَ موسى وقد أخذ النَّبِيذُ من الجماعة. فضَرب عبدُالله وثَقِيفٌ صوتاً فاختلفا فيه وتشاجرا. فقال عبدالله: كذا أخذتُه من منصور زَلْزَل. وقال ثَقِيفٌ: كذا أخذتُه منه، وطال تشاجُرهما فيه. وكان ثقيف مُعَرْبِداً يَذْهَبُ عقلُه من أدنى شيءٍ يشربه، وكان عبدالله أيضاً معربِداً. فغضِب ثقيف ورفَع العودَ وهو لا يعقِل، فضرَب به رأسَ عبدِالله بن موسى فطوّقه إيّاه. وابتدر خَدَمُ عبدِالله؛ فقال لهم عبدالله بن موسى: لا تَمَسُّوه وأخرِجوا العودَ من عُنُقي فأخرجوه. وكان عبدُالله بن موسى أشدَّ خَلْقِ الله عَرْبَدَةً أيضاً، فرُزِق في ذلك اليوم حِلماً لم يُرَ مِثْلُه، وقال لخدَمه: إن قتلتُه قتلتُ كلباً وتحدّث الناس بذلك، ولكن اخلَعوا عليه وهَبُوا له ولا يدخلْ منزلي أبداً. [١٠٠/٩]

دعا الحفصي فآثر عليه أخاه إسماعيل:

قال جَحْظة قال أبو حَشِيشة أخبرني الحَفْصيّ المِعْزَفيُّ قال:

دعاني عبدالله بن موسى يوماً ودعاني أخوه إسماعيل؛ فآثرت إسماعيل لِما كان في عبدالله من العَرْبدة. فلم نشعُر إلّا بعبدالله قد وافانا وقت العصر على بِرْذَوْنٍ أشهب متقلّداً سيفاً وهو سكران. فلما رأيناه تطايرنا في الحُجَر، فنزَل عن دابّته وجلس. وجثا إسماعيل بين يديه إجلالاً له، وقال له: يا سيّدي قد سَرَرْتَني بتفضُّلك ومَصِيرِك إليّ. قال: دَعْني من هذا، مَنْ عندك؟ قال: فلان وفلان، فعَدّ جماعةَ مَنْ كان عنده. قال له: هاتِهم. فدعا بنا فخرجنا وقد مُتْنا فَزَعاً. فأقبل عليّ من بينهم فقال لي: يا حَفْصِيّ! أبْعَثُ إليك ثلاثةَ أيام تباعاً فتَدَعُني وتجيءُ إلى إسماعيل! وضرَب بيده إلى سيفه، / فقام إسماعيل بيني وبينه وقال: نَعَمْ! يَجيئني ويَدَعُك؛ لأنه لا يَنْصرفُ من عندك إلّا بِشَجّةٍ أو عَرْبَدَةٍ مع حِرمان، ولا ينصرف من عندي إلّا ببِرٍّ مع خِلْعَةٍ ووعدٍ مُحَصَّل، أفتلومُه على ذلك! فكفَّ عبدُالله وكان شديدَ العَرْبَدَة وقام وانصرف. [١٠/١٩٥]

قال شعراً في خادم لصالح بن الرشيد:

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني عَوْن بن محمد الكِنْديّ قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن أبيه سليمان بن داود ـ وكان يكتب لأبي جعفر ـ قال:

كنتُ جالساً مع عبدالله بن موسى الهادي، فمرّ به خادمٌ لصالح بن الرّشيد. فقال له: ما أسمك؟ فقال له: إسمي «لا تَسَلْ». فأعجبه حُسْنُه وحُسْنُ مَنْطِقه فقال لي: قُمْ بنا حتى نُسَرّ اليوم بذكر هذا البدر، فقمت معه. فأنشدني في ذلك اليوم:

وشــــادِنٍ مـــــرَّ بنـــا ... يجــرَح بــاللّحــظ المُقَــل
مظلـــوم خَصْــرٍ ظـــالــم ... منـــه إذا يمشــي الكَفَــل
اعتـــدلــت قــامَتُــه ... واللحــظُ منــه مــا عَــدَل
بـــدرٌ تــراه أبـــداً ... طـــالِــعَ سعــدٍ مـــا أفَــل
ســـألتُـــه عـــن أسمــه ... فقـــال لـــي أسمــي «لا تَسَــل»
وأُطْلِعَـــت فـــي وجنتيـــه وَرْدتـــان مـــن خَجَـــل
فقلـــتُ مـــا أخطـــأ مَـــنْ ... سمّـــاك بـــل قـــال المَثَـــل
لا تســـألـــنْ عـــن شـــادِنٍ ... فـــاق جَمـــالاً وكَمُـــل

/ قال: وقال فيه ـ وقد قيل إنه من هذه الأبيات ـ: ١٠١/٩

عـــزَّ الـــذي نَهـــوَى وذَلْ ... صَـــبُّ الفـــؤادِ مُخْتَبَـــل
لَـــجَّ بـــه الهجـــرُ وذا الـ ... ـهجـــرُ إذا لَـــجَّ قَتَـــل
مـــن شـــادِنٍ مُنْتَطِـــقٍ ... فـــاق جَمـــالاً وكَمُـــل
تنـــاصـــف الحُسْـــنُ بـــه ... فـــلا تَسَـــلْ عـــن «لا تَسَـــل»

١٠/١٩٦ / **كان له ابن جيد الضرب وطلب إلى المكي أن يقومه موهماً أنه مملوك:**

وقال حدّثني محمد بن أحمد المكيّ عن أبيه قال:

دعاني عبدالله بن موسى يوماً فقال لي: أتُقَوِّم غلاماً ضارباً مُغَنّياً قِيمةَ عدلٍ لا حَيْفَ فيه على البائع ولا على المشتري؟ فقلت نعم. فأخرج إليّ أبنه القاسمَ وكنتُ قد عرَفتُه، وهو أحسن من القمر ليلةَ البدر، فأخذ عوداً فضرب، فأكبَبْتُ على يديه أقبّلهما. فقال لي عبدالله: أتُقَبِّلُ يدَ غلامٍ مملوك!! قلت: بأبي وأُمّي هو من مملوك! وقَبّلْتُ رجلَه أيضاً. فقال: أمّا إذ عرفتَه فأُحِبُّ أن تضاربَه، ففعلت. فلمّا رأى الغلامُ زيادتي عليه في الضَّرْب أغتمّ وأقبل على أبيه فقال له كالمعتذر من ذنبه: أنا مُتَلَذِّذٌ وهذا مُتَكَسِّبٌ. فضحِكتُ وقلت: هو ذاك يا سيّدي. وعجِبت من حِدَّة جوابه معتذراً على صِغَر سِنِّه.

كان كريماً ممدحاً:

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني عبدالله بن المعتزّ قال:

كان عبدالله بن موسى جواداً كريماً ممدَّحاً، وفيه يقول الشاعر ـ وفيه لعلويه لحن من خفيف الثّقيل الأول بالبِنْصر ـ:

صوت

أعبــــدَالله أنــــت لنـــا أميـــرُ وأنــت مــن الــزمــان لنــا مُجِيــزُ

حكَيْــتَ أبــاك مــوســى فــي العَطــايَــا إمــامُ النّــاس والملــكُ الكبيــرُ

غنى بشعر لعمر بن أبي ربيعة:

قال محمد بن يحيى والعتّابيّ: ولعبدالله بن موسى غِناءٌ في قول عمر بن أبي ربيعة:

صوت

إنّ أسمـــاء أرسلـــت وأخـــو الشـــوق مُـــرسِـــلُ

أرســلـــت تَسْتَــزِيــرُنــي وتُفَـــدّي وتعـــذُل

ولحنُه فيه رَمَلٌ. قال: وفيه لابن سُرَيْج والغَرِيض ومالكٍ ألحانٌ.

[١٠/١٩٧]

/ عربد على المأمون فحبسه ثم سمه فمات:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفَش في كتاب المُغْتالِين قال حدّثني أبو سعيد السُّكّريّ عن محمد بن حَبِيبَ قال:

كان عبدالله بن موسى الهادي مُعَرْبِداً، وكان قد أحْفَظَ[١] المأمونَ مما يُعَرْبِدُ عليه إذا شرِب معه. فأمر بأن يُحْبَس في منزله فلا يخرجَ منه؛ وأقْعد على بابه حَرَساً. ثم تذمَّم من ذلك فأظهر له الرِّضا وصرَف الحَرَس عن بابه، ثم نادمه فعَرْبَد عليه أيضاً وكلَّمه بكلام أحفظه. وكان عبدالله مُغْرَماً بالصَّيد، فأمر المأمونُ خادماً من خواصّ خدمه يقال له «حسين» فسَمَّه في دُرّاج وهو بمرسى[٢] أباد، فدعا عبدُالله بالعَشاء، فأتاه حسين بذلك الدُّرّاج فأكله. فلما أحَسَّ بالسمّ ركِب في الليل وقال لأصحابه: هو آخر ما تروني. قال: وأكل معه من الدُّرّاج خادمان، فأمّا أحدهما فمات من وقته، وأمّا الآخر فبقي مدّة ثم مات، ومات عبدالله بعد أيام.

---

(١) في جـ: «وكان قد أعضل بالمأمون» أي أعياه أمره وضاقت به الحيل فيه.

(٢) لم نقف على هذا الموضع.

١٠٢/٩

ومن رويت له صنعة من أولاد الخلفاء عبدالله بن محمد الأمين

فمن مشهور صنعته:

ألا يا[1] دير حَنْظَلة المُفدَّى لقد أورثتني سَقَماً وكَدّا

أزُفُّ من العُقار إليك دَنّاً[2] وأجعل تحته الوَرَقَ المُنَدَّى

الشعر والغِناء لعبدالله بن محمد الأمين، أخبرني بذلك محمد بن يحيى الصُّوليّ عن عبدالله بن المعتزّ وله فيه لحنان خفيفُ رَمَلٍ وخفيفُ ثقيل. وفيه لعبدالله بن موسى الهادي رَمَلٌ. وفيه ثاني ثقيل، وذكر حَبَش ـ وهو ممن لا يُحَصَّل قولُه ـ أنه لحُنَين، ولم يَصِح عندنا مَنْ صانِعُه.



(١) سيذكر المؤلف هذا الدير في ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ من هذا الجزء.

(٢) في أ، م، حـ: «زفا» بالفاء وهي مصحفة عن «زقا» بالقاف.

[١٠/١٩٨]

/ أخبار عبدالله بن محمد ونسبه:

نسبه:

عبدُالله بن محمد الأمين بنَ هارون الرَّشيد بن محمد المهديّ بن عبدالله المنصور بن محمد بن عليّ بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب. وأُمُّ عبدِ الله بن محمد أُمُّ وَلَد. وكان ظريفاً غَزِلاً يقول شعراً لَيِّناً ويصنع صنعةً صالحةً. وأُمُّ محمد الأمين زُبَيْدةُ بنتُ جعفر بن المنصور. وزبيدة لَقَبٌ غَلب عليها، واسمُها أَمَةُ العزيز. وكان المنصور يرَقِّصُها وهي صغيرة ـ وكانت سمينةً حسنةَ البدن ـ فيقول لها: يا زُبيدة يا زبيدة، فغلَب عليها ذلك.

كان صديقاً لأبي نهشل فأحب جارية اشتراها أخوه فكتب له شعراً فأخذها له منه:

أخبرني الصوليّ قال حدّثني عَوْن بن محمد الكِنْديّ قال:

كانت بين عبدالله بن محمد الأمين وبين أبي نَهْشَل بن حُمَيْد مودّة. فاعترض عبدُالله جاريةً مغنّيةً لبعض نساء بني هاشم وأَعْطَى بها مالاً عظيماً. فعرَفتْ منه رغبةً فيها فزادت عليه في السَّوْم، فتركها ليكسِرهم. فجاء أخ لأبي نَهْشَلِ بن حُمَيْد فاشتراها وزاد. فتبِعتْها نفسُ عبدِالله، فسأل أبا نَهْشَلٍ أن يسأل أخاه النزول له عنها، فسأله ذلك فوعده ودافعه. فكتب عبدالله إلى أبي نهشل:

يَـابـنَ حُمَيْـدٍ يـا أبـا نهشـلِ ... مِفْتـاحَ بـابِ الحَـدَثِ المُقْفَـلِ
يـا أكـرمَ النـاس وِداداً وأر ... عـاهـم لحـقٍّ ضـائـعٍ مُهْمَـلِ
أحسنـتَ فـي ودّي وأجملـتَ بـل ... جُـزْتَ فِعـالَ المُحْسِـنِ المُجْمِـلِ
بيتُـك فـي ذي يَمَـنٍ شـامـخٌ ... تَقْصُـر عنـه قُنَّتـا يَـذْبُـلِ[1]
خلَفْـتَ فينـا حـاتمـاً ذا النَّـدَى ... وجُـدْتَ جَـوْدَ العـارض المُسْبِـلِ
أيُّ أخٍ أنـتَ لِـذي وَحْـدَةٍ ... تـركتَـه بـالعِـزِّ فـي جَحْفَـلِ
/ نجـومُ حَظِّـي منـك مَسْعـودةٌ ... فيمـا أرَجِّـي لَسْـنَ بـالأُفَّـلِ

[١٠/١٩٩]

فصَـدِّقِ الظـنَّ بمـا قلتُـه ... وسَهِّـلِ الأمـرَ بـه يَسْهُـلِ
لا تَحْـرِمَنِّـي وَلَـدَيْـكَ المُنَـى ... بـالله صَيْـدَ الـرَّشـا الأكحَـلِ
رُمِيـتُ منـه بِسهـام الهـوى ... ومـا دَرَى بـالـرَّمْـيِ[2] فـي مَقْتَلـي
أدنَيْتِنِـي بـالـوعـد فـي صَيْـدِه ... إدنـاءَ عَطْشـانٍ مـن المَنْهَـلِ

(١) يذبل: جبل مشهور الذكر بنجد.
(٢) في حـ: «ما الرمي».

ثـم تنـاسيـت وأسلَمْتَنـي إلـى مِطـالٍ مُـوحِـش المَنـزِلِ
تـركتَنـي فـي لُجَّـةٍ عـائمـاً لا أعـرف المُـدْبِـرَ مـن مُقْبِلِ
[١٠٣/٩] / صَـرِّحْ بـأمـرٍ واضـحٍ بيِّـنٍ لا خيـرَ فـي ذي لَبَـسٍ[١] مُشْكِـلِ

قال: فلم يزل أبو نَهْشَلٍ بأخيه حتى نَزَل له عنها.

خرج إلى ضيعته وتكاتب هو ونديمه أبو نهشل بشعر:

وأخبرني الصُّوليّ أيضاً بغير إسناد، ووجدتُ هذا الخبرَ في كتابٍ لمحمد بن الحَسَن الكاتب يَرْويه عن أبي حَسَّان الفَزَاريّ قال:

كان أبو نَهْشَل بن حُمَيْد صديقاً لعبدالله بن محمد الأمين ونديماً. وكانت لعبدالله ضَيْعة بالسَّوَاد تُعْرَفُ بالعَمْرِيّة، فخرج إليها وأقام بها أياماً. فكتب إليه أبو نهشل:

سقـى اللهُ بـالعَمْـرِيّـة الغيـثَ مَنْـزِلاً حَلَلْـتَ بـه يـا مـؤنسـي وأميـري
فـأنـت الـذي لا يخلُـق الـدهـرَ ذكـرُه وأنـت أخـي حقّـاً وأنـت سـروري

فأجابه عبدالله:

لئـن كنـتُ بـالعَمْـرِيّـة اليـومَ لاهيـاً فـإنّ هـواكـم حيـث كنـتُ ضميـري
فـلا تَحسبنِّـي فـي هـواكـم مُقَصِّـراً وكـن شـافعـي مـن سُخطكـم ومُجيـري

قال محمد بن الحسن في خبره: وصنع عبدالله في هذه الأبيات الأربعة لحناً، وصنع فيها[٢] سُلَيم بن سَلَّام لحناً آخر.

[٢٠٠/١٠] / **نادم الواثق والخلفاء من بعده إلى المعتمد، وشعر له فيه:**

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدّثنا عبدالله بن المعتز قال:

كان عبدالله بن محمد الأمين ينادِم الواثقَ ثم نادمَ بعده سائرَ الخلفاء إلى المعتَمِد.

قال: وأنشدني له في المعتمد:

رأيـتُ الهـلالَ علـى وجهكـا فمـا زِلـتُ أدعـو إلٰهـي لكـا
فـلا زلـتَ تحيـا وأحيـا معـاً وآمنـنـي الله مـن فقْـدِكـا

قال: ومن شعره ـ وله فيه لحنٌ من الرَّمَل الثاني وهو خفيف الرمل ـ:

صـوت

يـا مَـنْ بـه كـلُّ خَـلْـقٍ تـراه صَـبّـاً مُـتَـيَّـم
ومَـنْ تَـجَـالَـلَ تِـيـهـاً فـمـا تـراه يُـكَـلِّـم

(١) حرّك لضرورة الشعر.
(٢) في الأصول: «فيه».

لا شــــيءَ أعــــجــبُ عــنــدي   ممــن يــراك فَــيَــسْــلَــمْ

فأمّا دَيْرُ حَنْظَلَةَ الذي ذكره في شعره وفيه الغناء المذكور من صنعته مُتَقَدِّماً، فإنه دَيْرٌ بالجزيرة. أخبرني بخبره هاشم بن محمد أبو دُلَفَ الخُزاعِيّ قال حدّثنا الرِّياشِيّ قال أنشدني أبو المُحَلّم لحنظلة بن أبي عَفْراء أحد بني حيّة الطائيّين وهم رَهْطُ أبي زُبَيد[1] ورهط إيَاس[2] بن قَبيصةَ:

ومهمـا يكـن رَيْـبُ الـزمـانِ فـإنني   أرى قمـرَ الليـل المُغَـرِّبَ كـالفتـى

يَهُـلُّ صغيـراً ثـم يعظُـم ضَـوْءُه   وصـورتُـه حتـى إذا مـا هـو أستـوى

تقـارب يخبـو ضَـوْءُه وشُعَـاعُـه   ويَمْصَـحُ[3] حتـى يَسْتَسِـرّ فـلا يُـرَى

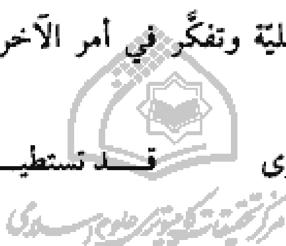
/ كـذلـك زَيْـدُ المـرءِ ثـم أنتقـاصُـه   وتَكْـرارُه فـي دهـره[4] بعـد مـا مضـى [٢٠١/١٠]

تُصَبِّـح أهـلَ الـدّارِ والـدّارُ زِينـةٌ[5]   وتـأتـي الجبـالَ مـن شَمَـاريخهـا العُـلاَ

فـلا ذا غِنًـى[6] يُـرْجِـئْـنَ عـن فضـلِ مـالـه   وإن قـال أخِّـرْنـي وخُـذْ رِشـوةً أبَـى

ولا عـن فقيـرٍ يـأتَخِـرْنَ لفقـره   فتنفعَـه الشكـوى إليهـنّ إن شَكَـا

/ قال: وكان حَنْظَلَةُ هذا قد تعبّد في الجاهليّة وتفكّر في أمر الآخرة وتنصّر وبَنَى دَيْراً بالجزيرة؛ فهو الآن يُعْرَف به يقال له دَيْر حَنْظَلة. وفيه يقول الشاعر: [١٠٤/٩]



يـا دَيْـرَ حَنْظَلـةَ المهيِّـج لِـي الهَـوَى   قـد تستطيـع دواءَ عشـقِ العـاشـقِ

(١) هو حرملة بن المنذر بن معد يكرب الطائي، كان نصرانياً وهو ممن أدرك الجاهلية والإسلام. (انظر ترجمته في «الأغاني» ج ١١ ص ٢٤ طبع بلاق).

(٢) كان والياً لكسرى على الحيرة بعد قتله النعمان بن المنذر. (انظر «تاريخ ابن الأثير» ج ١ ص ٣٥٦ ـ ٣٦٩).

(٣) مصح: ذهب وانقطع.

(٤) في «معجم البلدان»: «في إثره».

(٥) في الأصول: «ربة» والتصويب عن «معجم البلدان».

(٦) يلاحظ أن الضمائر في هذا البيت بعده متباينة، والمراد بها واحد هو الموت، فإذا كان ضمير جمع فالمراد المنايا.

ومن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن المتوكّل

كان عبدُالله بن المتوكّل جمع له صنعةً مقدارُها أكثر من ثلثمائة صوت، منها الجيِّد الصنعة ومنها المتوسط، قد سمِعنا كثيراً منها؛ إلاّ أني أذكر من ذلك ما عرَفتُ شاعرَه وكان له خبرٌ يتّصِل به حَسَبَ ما شَرَطْناه في هذا الكتاب وضَمَّنّاه إيّاه من الأخبار، ثم أذكر أخبارَ أبي عيسى بعد ذلك.

قال ابن المعتز حدّثني التُّمَيْرِيّ قال سمعت أبا عيسى بن المتوكّل يقول: إذا أتممتُ صنعةَ ثلثمائة صوت وستين صوتاً عَدَدَ أيّام السنة تركتُ الصنعة، فلمّا صنعها ترك الصنعةَ. فمنها ـ وهو لَعَمْرِي من جَيّد الغِناء وفاخِر الصنعة، ولو لم يصنع غيرَه لكفاه ـ في شعر أبي العتاهية:

[١٠/٢٠٢] / صـوت

يَضْطَـــرِبُ الخـــوفُ والـــرجـــاءُ إذا حـــرَّك مـــوســـى القضيـــبَ أو فَكَّـــرْ

ولحنُه من الثَّقيل الأوّل. والشعرُ لأبي العتاهية، وقد مَضَتْ أخبارُه؛ وإنما قدّمتُ ذكرَه بجودة صَنْعته وأنه شُبِّه فيه بصنعة الفحول ومُحْكَمِ أغاني الأوائل.

ومنها:

صـوت

هـــي النَّفْـــسُ مـــا حَمَّلتَهـــا تَتَحمَّـــلُ وللـــدَّهـــر أيّـــامٌ تَجـــورُ وتَعْـــدِلُ

وعـــاقِبـــةُ الصَّبـــرِ الجميـــلِ جميلـــةٌ وأفضـــلُ أخـــلاقِ الـــرجـــالِ التَّجَمُّـــلُ

الشعرُ لعليّ بن الجَهْم. والغناء لأبي عيسى بن المتوكِّل، ثاني ثقيلٍ بالوسطى.

/ أخبار عليّ بن الجَهْم ونسبُه

[١٠/٢٠٣]

نسبه ونسب قبيلته بني سامة:

هو عليّ بن الجَهْم بن بَدْر بن الجَهْم بن مسعود بن أسيد بن أُذَيْنة بن كَرّاز بن كعب بن مالك[١] بن عُيَيْنَة[٢] بن جابر بن الحارث[٣] بن عبدالبيت بن الحارث بن سَامَةَ بن لُؤيّ بن غالب. هكذا يدّعون، وقريش تدفعهم عن النَّسَب وتسمِّيهم بني ناجية، يُنْسَبون إلى أمّهم ناجية، وهي أمرأة سامةَ بن لُؤيّ. وكان سامة، فيما يقال، خرج إلى ناحية البَحْرَيْن مغاضباً لأخيه كعب بن لؤيّ في مُمَاظَّة[٤] كانت بينهما، فطأطأتْ ناقته رأسَها إلى الأرض لتأخذ شيئاً من العُشْب، فعلِق بمِشْفَرها أفعى فعطفته على قَتَبها فحكَّتْه به، فدبَّ الأفعى على القَتَب حتى نهش ساقَ سَامَةَ فقتله. فقال أخوه يَرْثيه[٥]:

عيـنُ جُـودي لِسَـامَـةَ بـنِ لُـؤيّ عَلِقـتْ سـاقَ سَـاقـةَ العَـلاّقـةْ[٦]
رُبَّ كـأسٍ هَـرَقْتَهـا أبْـنَ لُـؤيّ حَـذَرَ المـوتِ لـم تكـن مُهْـرَاقـةْ

وقال مَنْ يَدْفع بني سَامَةَ من نَسّابي قريش: وكانت معه أمرأته ناجية. فلمّا مات تزوّجتْ رجلاً من أهل البحرَيْن فولَدَتْ منه الحارثَ، ومات أبوه وهو صغير. فلمّا تَرَعْرَعَ طمِعتْ أمّه في أن تُلْحِقه بقريش، فأخبرته أنه أبن سَامَةَ بن لُؤيّ. فرحل / من البحرين[٧] إلى عمِّه / كَعْب وأخبره أنه أبن أخيه سامةَ. فعرَف كعب أُمَّه وظنّه صادقاً في دعواه. ومكث عنده مدّةً، حتى قدِم مكةَ رَكْبٌ من أهل البَحْرَيْن، فرأَوْا الحارثَ فسلَّموا عليه وحادثوه ساعةً. فسألهم عنه كعب بن لُؤيّ ومن أين يعرفونه، فقالوا له: هذا أبن رجلٍ من أهل بلدنا يقال له فلان، وشرحوا له خبرَه. فنفاه كعبٌ ونَفَى أمَّه، فرجَعا إلى البحرَيْن فكانا هناك، وتزوّج الحارثُ وأَعْقَب هذا العَقِبَ. ورُوِيَ عن النبيّ ﷺ أنه قال: «عَمِّي سَامَةُ لم يُعْقِبْ». وكان بنو ناجِيَةَ أرتدّوا عن الإسلام. ولما وَلِيَ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافةَ دعاهم إلى الإسلام؛ فأسْلَم بعضُهم وأقام الباقون على الرِّدّة فسَبَاهم وأسترقَّهم؛ فأشتراهم مَصْقَلَةُ[٨] بن هُبَيْرة منه وأدّى ثُلُثَ ثَمَنِهم وأشهد بالباقي على نفسه، ثم أعتقهم وهَرَب من تحت ليلِهِ إلى

[١٠/٢٠٤]
١٠٥
٩

(١) في «ابن خلكان»: «ابن كعب بن جابر بن مالك».
(٢) في «ابن خلكان»: «عتبة».
(٣) في «ابن خلكان»: «... ابن الحارث بن قطن بن خديج بن قطن بن أحزم بن ذهل بن عمرو بن مالك بن عبيدة بن الحارث بن سامة... إلخ».
(٤) المماظة: المخاصمة والمنازعة.
(٥) ورد في «لسان العرب» (في مادّة «فوق») أن امرأة رجل من الأزد هي التي قالت هذا الشعر ترثيه وكان سامة نزل على زوجها ضيفاً. فلما أصبح قعد يستن، فنظرت إليه زوجة الأزدي فأعجبها. فلما رمى سواكه أخذتها فمصتها. فنظر إليها زوجها، فحلب ناقة وجعل في حلابها سما وقدّمه إلى سامة، فغمزته المرأة فهراق اللبن وخرج يسير. فبينا كان في موضع يقال له جوف الخميلة نهشه أفعى، كما جاء في الأصل. وانظر بقية هذا الشعر في «لسان العرب».
(٦) العلاقة: في الأصل المنية. ويريد هنا الحية.
(٧) في الأصول: «من أهل البحرين».
(٨) انظر هذه القصة مفصلة في الطبري، ق ١ ص ٣٤٣٩ ـ ٣٤٤٢.

معاوية، فصاروا أحراراً، ولزِمَه الثمنُ، فشَعَّث[1] عليُّ بن أبي طالب شيئاً من داره، وقيل بل هدَمها. فلم يدخل مَصْقَلَةُ الكوفةَ حتى قُتِل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وزعم ابن الكلبيّ: أنّ سَامَةَ بن لؤيّ وَلَدَ غالبَ بن سَامَةَ وأُمُّه ناجيةُ، ثم هلَك سَامةُ فخلَف عليها ابنه الحارث بن سَامَةَ، ثم هلك ابنا سامة ولم يُعْقِبا[2]، وأنّ قوماً من بني ناجيةَ بنت[3] جَرْم بن رَبَّان[4] عِلَاف [٢٠٥/١٠] ادَّعَوْا أنهم بنو سَامَةَ بن لؤيّ، وأنّ أمّهم ناجية / هذه ونَسَبوها هذا النسبَ، وانْتَمَوْا إلى الحارث بن سَامةَ وهم الذين باعهم عليّ بن أبي طالب إلى مَصْقَلَةَ. قال: ودليلُ ذلك وأنّ هؤلاء بنو ناجية بنت جَرْم قولُ علقمةَ الخَصِيّ التَّميميّ أحدِ بني رَبِيعة بن مالك:

زعمتم أنّ ناجِيَ بنتَ جَرْم ... عجوزٌ بعد ما بَلِيَ الثَّمامُ

فإن كانت كذاك فألبِسوها ... فإنّ الخلْقَ للأُنثى تَمامُ

وهذا أيضاً قولُ الهَيْثَم بن عديّ. فأمّا الزُّبير بن بكّار فإنّه أدخلهم في قريش وقال: هم قريشُ العازِبةُ. وإنما سُمُّوا العازِبةَ لأنهم عَزَبوا عن قومهم فنُسِبوا إلى أُمّهم ناجية بنت جَرْم بن رَبَّان وهو عِلاف، وهو أوّل من اتخذ الرِّحالَ العِلافيَّةَ فنُسِبَتْ إليه. واسم ناجية ليلى؛ وإنما سُمِّيَتْ ناجيةَ لأنها سارت في مَفَازةٍ معه فعطِشَتْ فاستسقته ماء، فقال لها: الماءُ بين يديكِ، وهو يريها السَّراب، حتى جاءت الماءَ فشرِبت وسُمِّيَتْ ناجيةَ. وللزُّبَيْر في إدخالهم في قريش مذهبٌ وهو مُخالَفةُ فِعْلِ أميرِ المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه ومَيْلُه إليهم لإجماعهم على بُغْضِه رضي الله عنه، حَسَبَ المشهور المأثور من مذهب الزُّبَيْر في ذلك.

كان شاعراً فصيحاً اختص بالمتوكل وهجاء عليا وشيعته:

وكان عليّ بن الجَهْم شاعراً فصيحاً مطبوعاً؛ وخُصّ بالمتوكّل حتى صار من جُلَسَائه، ثم أبغَضَه لأنه كان كثير السِّعاية إليه بنُدَمائه والذِّكرِ لهم بالقبيح عنده، وإذا خلا به عَرَّفه أنهم يَعِيبونه ويَثْلِبونه ويتنقّصونه، فيكشِف عن ذلك فلا يجد له حقيقة، فنفاه بعد أن حبَسَه مدّة. وأخبارُه تُذْكَر على شرحٍ بعد هذا. وكان ينحو نحوَ مروان بنِ أبي حَفْصةَ في هجاء آل أبي طالب وذمّهم والإغراء بهم وهجاءِ الشِّيعة، وهو القائل:

ورافضةٍ تقول بشِعْبِ رَضْوَى ... إمامٌ، خابَ ذلك من إمامِ

إمامٌ مَنْ له عشرون ألفاً ... من الأتراك مُشْرَعَةُ السِّهام

[٢٠٦/١٠ ١٠٦/٩] / وفيه يقول البُحْتُريّ:

إذا ما حُصِّلَتْ عُلْيا قُرَيْشٍ ... فلا في العِيرِ أنتَ ولا النَّفِيرِ

(١) يريد أنه نقض بعضاً منها.

(٢) في أ، م: «ثم هلك ابن سامة ولم يعقب».

(٣) في الأصول هنا: «ابن جرم».

(٤) ربان علاف: بالراء المهملة المفتوحة والباء الموحدة المشدّدة، وليس في العرب غيره، ومن سواه فبالزاي المعجمة. وقد ورد هذا الاسم في الأصول محرفاً بصور شتى، وفي أكثرها زيادة «ابن» بين ربان وعلاف، وهما لشخص واحد، كما ذكر ذلك المؤلف في الصفحة التالية. (راجع «القاموس» و«شرحه» في مادتي ربن وعلف).

وما رُغَثاؤك[1] الجَهْمُ بنُ بَدْرٍ ... من الأقمار ثَمَّ ولا البدورِ

ولو أعطاك ربُّك ما تَمَنَّى ... لَزاد الخلقَ في عِظَمِ الأيورِ[2]

عَلامَ هَجَوْتَ مجتهداً عليّاً ... بما لَفَّقْتَ من كَذِبٍ وزُورِ

أما لك في أستِكَ الوَجْعاءِ شُغْلٌ ... يَكُفُّك عن أذى أهلِ القبورِ

وسمعه أبو العَيْناء يوماً يطعُن على عليّ بن أبي طالب رضيَ الله عنه، فقال له: أنا أدري لِمَ تطعن على عليّ أميرِ المؤمنين. فقال له: أتعني قصّةَ بَيْعه أهلي من مَصْقَلَةَ بن هُبَيْرة؟ قال: لا! أنت أوضع من ذلك، ولكن لأنه قتلَ الفاعلَ فِعْلَ قوم لوطٍ والمفعولَ به، وأنت أسفَلُهما.

هجا بختيشوع فسبه عند المتوكل فحبسه سنة ثم نفاه وقال في ذلك شعراً:

أخبرني عَمّي قال حدّثني محمد بن سعد الهشاميّ قال:

كان عليّ بن الجهم قد هجا بَخْتِيَشُوع[3]، فسبَّه عند المتوكِّل فحبَسه المتوكِّل. فقال عليّ بن الجَهْم في حَبْسه عِدَّةَ قصائد كتب بها إلى المتوكل فأطلقه بعد سنة، ثم نفاه بعد ذلك إلى خُراسان. فقال أوّلَ ما حُبِس قصيدةً كتب بها إلى أخيه، أوّلها قوله:

تَوكَّلْنا على رَبِّ السماءِ ... وسلَّمْنا لأسباب القضاءِ

ووطَّنّا على غِيَرِ اللّيالي ... نفوساً سامحتْ بعدَ الإباءِ

وأفنِيةُ الملوك محجَّباتٌ ... وبابُ الله مبذولُ الفِناءِ

[٢٠٧/١٠] / هي الأيّامُ تَكْلِمُنا وتأسُو ... وتأتي بالسعادة والشقاءِ

وما يُجْدِي الثَّراءُ على غَنيٍّ ... إذا ما كان محظورَ العَطاءِ

حَلَبْنا الدَّهْرَ أشطُرَهُ ومرّت ... بنا عُقَبٌ[4] الشدائد والرَّخاءِ

وجرَّبْنا وجرَّب أوّلُونا ... فلا شيءٌ أعزّ من الوفاءِ

ولم نَدَعِ الحياءَ لمسِّ ضُرٍّ ... وبعضُ الضرّ يذهب بالحياءِ

ولم نَحْزَنْ على دنيا تولَّتْ ... ولم نُشْبِقْ إلى حُسْنِ العَزاءِ

تَوَقَّ الناسَ يا بنَ أبي وأُمّي ... فهم تَبَعُ المخافةِ والرَّجاءِ

ولا يَغْرُرْكَ من وَغْدٍ إخاءٌ ... لأمرٍ ما غدا حَسَنَ الإخاءِ

ألم تَرَ مُظْهِرِين عليَّ عَيْباً[5] ... وهم بالأمس إخوانُ الصَّفاءِ

---

(١) الرغثاء: أصلها عصب أو عرق في الثدي يدر اللبن. واستعملها البحتري هنا في الأب.

(٢) في «ديوان البحتري» طبع مطبعة الجوائب:

ولو أعطاك ربك ما تمنى ... عليه لزاد في غلظ الأيور

(٣) هو بختيشوع بن جبريل بن بختيشوع الأكبر المتطبب. (انظر الطبري ق ٣ ص ٦٦٧، ١٤٣٧، ١٤٤٧، ١٧٩٠).

(٤) العقب: جمع عقبة وهي النوبة.

(٥) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «عتباً» وهو تصحيف.

فلمّا أن بُلِيتُ غَدَوْا ورَاحُوا ... عليّ أشدَّ أسبابِ البَلاء
أَبَتْ أخطارُهم أن يَنْصُروني ... بمالٍ أو بجاهٍ أو ثَرَاءِ
وخافُوا أن يقالَ لهم خَذَلتم ... صديقاً فادّعَوْا قِدَمَ الجَفَاء
تضافرتِ الرَّوافِضُ والنّصارى ... وأهلُ الاعتزال على هِجائي

ـ يعني بأهل الاعتِزال عليّ بن يحيى المنجّم وقد كان بلغه عنه ذكر له: ـ

وعابوني وما ذنبي إليهم ... سوى عِلمي بأولاد الزُّناء
/ فبَخْتِيشُوعُ يشهَد لابن عمرو ... وعَزُّونٌ لهارون المرائي
وما الجَذْماءُ بنتُ أبي سُمَيْرٍ ... بجذماءِ اللّسان عن الخَنَاءِ
إذا ما عُدَّ مِثلُكُم رجالاً ... فما فضلُ الرجال على النساء
عليكم لعنةُ الله ابتداءً ... وعَوْداً في الصَّباح وفي المَساء
/ إذا سُمِّيتُم للنّاس قالوا ... أُولئِك شَرُّ مَنْ تحت السّماء
أنا المتوكّليّ هوًى ورأياً ... وما بالواثِقيّة من خَفَاء
وما حَبْسُ الخليفةِ لي بعارٍ ... وليس بمُؤيِسي منه التنائي

107/9 — [208/10]

قال أبو الشبل شعره في الحبس كشعر عدي بن زيد:

أخبرني عَمّي قال حدّثنا محمد قال قال لي أبو الشِّبْل البُرْجُمِيّ: ما شِعر عليّ بن الجهم في الحبس بدون شعر عَدِيّ بن زيد[1].

حبسه المتوكل بسعاية جلسائه ونفاه إلى خراسان فعذبه طاهر بن عبدالله فقال شعراً:

أخبرني عَمّي قال حدّثنا محمد قال:

كان سببُ حَبْس المتوكّل عليَّ بنَ الجَهْم أنّ جماعةً من الجُلَساء سَعَوْا به إليه وقالوا له: إنه يُجَمِّشُ[2] الخَدَم ويَغْمِزهم، وإنّه كثيرُ الطعن عليك والعيبِ لك والإزراءِ على أخلاقك؛ ولم يزالوا به يُوغِرون صدرَه عليه حتى حبسه؛ ثم أبلغوه عنه أنه هجاه. فنفاه إلى خُرَاسان وكتب بأن يُصْلَب إذا وَرَدَها يوماً إلى الليل. فلما وصل إلى الشاذِياخ[3] حَبَسه طاهر بن عبدالله بن طاهر بها، ثم أُخرج فصُلِب يوماً إلى الليل مجرّداً ثم أُنزِل. فقال في ذلك:

لم يَنْصِبوا بالشّاذِياخِ عَشِيّةً ... الإثنين مسبوقاً ولا مجهولاً

(١) عدي بن زيد الشاعر حبسه النعمان، وله شعر في حبسه. (انظر ترجمته في الجزء الثاني ص ٩٧ وما بعدها من هذه الطبعة).
(٢) يجمش الخدم: يلاعبهم ويقرّصهم.
(٣) الشاذياخ: من ضواحي نيسابور أم بلاد خراسان، وكانت قديماً بستاناً لعبدالله بن طاهر بن الحسين ملاصقاً مدينة نيسابور، فبنى فيه داراً له، ثم أمر الجند بالبناء حوله فعمرت حتى اتصل بناؤها ببناء نيسابور وصارت من جملة محالها. (عن «معجم البلدان» لياقوت).

نَصَبوا بحمدالله مِلْءَ قلوبهم شَرَفاً ومِلْءَ صدورهم تَبْجيلا
ما أزداد إلا رفعةً بِنُكُولِهِ[1] وأزدادت الأعداءُ عنه نُكُولا
هل كان إلّا الليثَ فارق غِيلَهُ فرأيتَهُ في مَحْمِلٍ محمولا
/ لا يأمَنِ الأعداءُ من شَذَاتهِ شداً يفصِّل هامَهم تفصيلا [١٠/١٠٩]
ما عابه أن بُزَّ عنه لِباسُهُ فالسيفُ أهْوَلُ ما يُرَى مسلولا
إن يُبْتَذَلْ فالبدرُ لا يُزْري به أن كان ليلةَ تِمِّهِ مبذولا
أو يَسْلُبُوه المالَ يُحْزِنْ فقدُه ضيفاً ألمَّ وطارقاً ونَزيلا
أو يَحْبِسوه فليس يُحْبَس سائرٌ من شعره يَدَعُ العزيزَ ذليلا
إنّ المصائب ما تعدّت دِينَهُ نِعَمٌ وإن صَعُبَتْ عليه قليلا
والله ليس بغافلٍ عن أمرهِ وكَفَى بربكَ ناصِراً ووكيلا
ولَتَعْلَمَنَّ[2] إذا القلوبُ تكشَّفَتْ عنها الأكِنَّةُ مَنْ أضَلُّ سبيلا

كتب المتوكل لطاهر بإطلاقه فأطلقه فقال شعراً:

أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد بن سعد قال:

كتب المتوكّل إلى طاهر بن عبدالله بإطلاق عليّ بن الجَهْم. فلمّا أطلقه قال:

أطاهِرُ إنّي عن خُراسانَ راحلُ ومُسْتَخْبَرٌ عنها فما أنا قائِلُ
أأصْدُقُ أم أكْنِي عن الصِّدق[3] إنّما تَخَيَّرتَ أذْنَهُ إليك المحافِلُ
وسارت به الرُّكْبانُ وأصْطَفَقَتْ به أكُفُّ قِيانٍ وأجْتَبَتْه القبائلُ
/ وإنّي بغالي الحمدِ والذَّمِّ عالم بما فيهما نامي الرَّمِيَّةِ[4] ناضلُ [١٠٨/٩]
وحقّاً أقولُ الصِّدقَ إنّي لمائِلٌ إليكَ وإن لم يَحْظَ بالودّ مائلُ
ألا حُرْمَةٌ تُرْعَى ألا عَقْدُ ذمّةٍ لجارٍ ألا فِعْلٌ لقولٍ مُشاكِلُ
ألا مُنْصِفٌ إن لم نجد متفضِّلاً علينا ألا قاضٍ من الناس عادلُ
/ فلا تَقْطَعَنْ غيظاً عليّ أنامِلاً فقبلك ما عُضّت عليّ الأناملُ [١٠/١١٠]

(١) يريد بنكوله الأولى التنكيل به، وبالثانية الفرار عنه والإحجام. ويلاحظ في الأولى أنه يقال: نكل به تنكيلاً ونكل به مخفف والاسم النكال بالفتح.

(٢) في أ، م: «وليعلمن» بالياء المثناة من تحت.

(٣) في أ، م: «عن الحق».

(٤) الرمية النامية: التي أصيبت ثم غابت عن الرامي وماتت؛ يقال أنمى فلان الصيد فنمى؛ قال امرؤ القيس يهجو:

فهو لا تنمي رميته ما له لا عدّ من نفره

يريد علي بن الجهم أنه يصيب مرماه. وناضل: وصف من نضله إذا سبقه أو غلبه في المناضلة وهي المباراة في الرمي.

أطــاهِــرُ إن تُحْسِــنْ فــإنِّــيَ مُحْسِــنٌ إليــك وإن تَبْخَــلْ فــإنِّــيَ بــاخــلُ

فقال له طاهر: لا تقل إلّا خيراً فإني لا أفعل بك إلّا ما تحبّ؛ فوصَله وحمَله وكَسَاه.

جمش جارية فباعدته فقال شعراً فأجابته:

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد قال:

كان عليّ بن الجَهْم في مجلس فيه قَيْنةٌ، فعابَثَها وجَمَّشها، فباعَدَتْه وأعرضتْ عنه، فقال فيها:

خَفِــي[1] اللهَ فِيمــن قــد تَبَلْــت فــؤادَه وغــادَرْتــه نِضْــواً كــأنّ بــه وَقْــرَا

دِعِــي البخــلَ لا أسمــع بــه منــك إنّمــا ســألتُــك أمــراً ليــس يُعْــرِي لكــم ظَهْــرا

فقالت له: صَدَقْتَ يا أبا الحسن، ليس يُعْرِي لنا ظَهْراً، ولكنّه يملأ بطناً!!

كان يتشاءم من الحارثي فرآه فقال شعراً:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنا إبراهيم بن المدبّر قال حدّثنا علي بن الجَهْم قال:

كان الحارثيّ يجيء إلى حُلْوانَ[2] وأنا أتولّاها ـ وكان عليّ بن الجَهْم على مظالِمها ـ فإذا وردَها وقع الإرْجَافُ[3]، فلم يَزَلْ متّصلاً حتى يخرج، فإذا خرج سكن الإرجاف. فأتاني مرّةً وظهر كوكب الذَّنَب في تلك الليلة، فقلت:

لَمّــا بَــدَا أيقنــتُ بــالعَطَــبِ فســألــتُ ربّــي خيــرَ مُنْقَلَــبِ

لــم يَطْلُعــا إلاّ لآبِــدةٍ[4] الحــارثــيُّ وكــوكــبُ الــذَّنَــبِ

[١/٢١١] / قال ابن المدبّر: وكان الحارثيّ أعور مُقَبَّح الوجه، وفيه يقول أبو عليّ البصير:

يــا مَعْشَــرَ البُصَــراءِ لا تَتَطَــرَّفــوا[5] جيشــي ولا تتعــرَّضــوا لنكيــري

رُدُّوا علــيَّ الحــارِثــيَّ فــإنّــه أعْمَــى يُــدَلِّــس نفسَــه فــي العُــور[6]

انتحل شعراً لإبراهيم بن العباس:

أخبرني الحسن قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال أنشدني إبراهيم بن المدبّر لعليّ بن الجَهْم وذكر أن عليّاً أنشده إيّاه لنفسه:

---

(١) كذا في الأصول بإثبات الياء في «خفي» في هذا البيت، وفي «دعي» في البيت بعده. ونحسب أن هذه الياء من زيادات النساخ، وأن الخطاب لمذكر والمراد به أنثى، كما يدل عليه سياق الكلام. وإلا فبعيد أن يقع مثل عليّ بن الجهم في هذا الخطأ اللغوي؛ إذ الأمر من «خاف» للمخاطبة «خافي».

(٢) حلوان: مدينة بالعراق.

(٣) الإرجاف هنا: الزلزلة؛ يقال رجفت الأرض وأرجفت.

(٤) الآبدة: الداهية الخالدة الذكر، والأمر العظيم تنفر منه وتستوحش.

(٥) تطرف الشيء: تحيفه وأخذ من أطرافه.

(٦) كذا في حـ. وفي سائر النسخ: «بالعورة».

أَمِيلُ مع الذِّمامِ على ابنِ أُمِّي ... وآخُذُ للصَّديقِ من الشَّقيقِ

وإن أَلْفَيْتَنِي حُرّاً مُطاعاً ... فإنّك واجِدِي عَبْدَ الصديقِ

أُفرِّقُ بين معروفي ومَنِّي ... وأَجْمَعُ بين مالي والحقوقِ

فقال إبراهيم: كذَب والله عليُّ بن الجَهْم وأَثِم. والله لهَذا الشعرُ أشهرُ[1] بإبراهيم بنِ العبّاس من إبراهيم بالعباس أبيه.

قال المتوكل إنه كذاب وأثبت كذبه بكلامه له:

أخبرني الحَسَن قال حدّثني ابن مَهْرويه قال حدّثنا إبراهيم بن المدبّر قال قال المتوكّل:

عليّ بن الجَهْم أكْذَبُ خَلْقِ الله. حَفِظْتُ عليه أنّه أخبرني أنه أقام بخُراسان ثلاثين سنة، ثم مضت مدّة أخرى وأُنسِيَ ما أخبرني به، فأخبرني أنه أقام بالثغور ثلاثين سنة، ثم مضت مدّة أخرى وأُنسِيَ الحكايتين جميعاً، فأخبرني أنه أقام بالجبل / ثلاثين سنة، ثم مَضَتْ مدّةٌ أخرى فأخبرني أنه أقام بمصر والشأم ثلاثين سنة، فيجب أن يكون عمره على هذا وعلى التقليل مائةً وخمسين سنةً[2]، وإنما يُرَاهِي سنُّه الخمسين سنةً. فليت شعري أيُّ فائدة له في هذا الكذب وما معناه فيه!!

١٠٩/٩

/ عربد عليه بعض ولد علي بن هشام فهجاهم: [١٠/٢]

أخبرني محمد بن إبراهيم قال حدّثنا عبدالله بن المُعْتزّ، وحدّثني عَمّي قال حدّثنا محمد بن سعد قال:

إجتمع عليّ بن الجهم مع قوم من ولد عليّ بن هشام في مجلس، فعَرْبَد عليه بعضهم، فغضِب وخرج من المجلس، واتّصل الشرُّ بينهم حتى تقاطعوا وهجروه وعابوه واغتابوه. فقال يهجوهم:

بَنِي مُتَيَّمَ هل تَدْرُون ما الخبرُ ... وكيف يُنْشَرُ أمرٌ ليس يَنْتَشِرُ

حاجبُكم: مَنْ أبوكم يا بني عُصَبٍ ... شَتَّى ولكنَّما للعاهرِ الحَجَرُ

قد كان شَيْخُكُمُ شيخاً له خَطَرٌ ... لكنّ أُمّكمُ في أمرها نَظَرُ

ولم تكن أُمُّكم ـ والله يكلَؤُها ـ ... محجوبةً دونَها الحُرّاسُ والسُّتُرُ

كانت مغنّيةَ الفِتْيانِ إن شَرِبوا ... وغيرَ ممنوعةٍ منهم إذا سَكِروا

وكان إخوانُه غُرّاً غَطارِفةً ... لا يُمْكِنُ الشيخَ أن يَعْصِي إذا أَمَروا

قومٌ أَعِفّاءُ إلّا في بيوتكمُ ... فإنّ في مِثْلها قد تُخْلَعُ العُذُرُ

فأصبحتْ كمُراحِ[3] الشَّولِ حافلةً ... من كلِّ لاقِحةٍ في بطنها دِرَرُ

(١) في ب، س: «أشبه».

(٢) يلاحظ أن مجموع السنين التي ذكرها لا يبلغ مائة وخمسين.

(٣) في الأصول: «كمريح» والمراح: مأوى الإبل. والشول من النوق: التي خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها أو ثمانية، فلم يبق في ضروعها إلا شول من اللبن أي بقية مقدار ثلث ما كانت تحلب حدثان (بكسر أوّله وسكون ثانيه) نتاجها. واحدتها شائلة، وهو جمع على غير قياس. وأما الناقة الشائل (بغير هاء) فهي اللاقح التي تشول بذنبها للفحل أي ترفعه، فذلك آية لقاحها، وترفع مع ذلك رأسها وتشمخ بأنفها، وهي حينئذٍ شامذ، وجمعها شوّل وشمذ. والمراد من البيت ظاهر.

فجئتُمُ عُصَباً من كلِّ ناحيةٍ ... نوعاً[1] مَخَانيثَ في أعناقها الكَبَرُ[2]
فواحدٌ كِسْرَويٌّ في قَرَاطِقِه[3] ... وآخرُ قُرَشيٌّ حين يُخْتَبَرُ
ما عِلْمُ أُمّكُمُ مَنْ حَلَّ مِئزرَها ... ومَنْ رماها بكم يسأَلُها القَذَرُ
[٢١٣/١] / قومٌ إذا نُسِبوا فالأمُّ واحدةٌ ... والله أعلمُ بالآباء إذ كَثُرُوا
لم تَعْرِفوا الطَّعْنَ إلّا في أسافلكم ... وأنتم في المخازي فِتْيَةٌ صُبُرُ
أَحببتُ إعلامَكم إنّي بأمرِكُمُ ... وأمرِ غيرِكُمُ من أهلكم خَبِرُ
تَفَكَّهون بأعراض الكرام وما ... أنتم وذِكْرُكُمُ الساداتِ يا عُرَرُ[4]
هذا الهجاءُ الذي تَبْقَى مياسِمُه[5] ... على جباهكُمُ ما أَوْرقَ الشَّجَرُ

سعى عند المتوكل بندمائه وبلغه أنه هجاه فحبسه، وأحسن شعره في الحبس:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثني إبراهيم بن المدبّر قال:

كتب صاحب الخبر إلى المتوكّل أن الحسن بن عبدالملك بن صالح أحترق فمات. فقال عليّ بن الجَهْم: قد بلغني أنّ العامل قتَله وصانع صاحبَ الخبر حتى كتب بهذا. وكان يسعى بالجلساء إلى المتوكّل فأبغضَه وأمره بأن يلزم بيته، ثم بلغه أنه هجاه فحبسه. وأحسنُ شعرٍ قاله في الحبس قصيدتُه التي أوّلها:

قالت[6] حُبِسْتَ فقلتُ ليس بضائري ... حَبْسي وأيُّ مُهَنَّدٍ لا يُغْمَدُ
أَوَما رأيتِ اللَّيْثَ يألَفُ غِيلَه ... كِبْراً وأوباشُ السِّباعِ تَرَدَّدُ
والشمسُ لولا أنّها محجوبةٌ ... عن ناظِرَيْك لما أضاء الفَرْقَدُ
والبدرُ يُدْرِكُه السِّرارُ[7] فتنجلي ... أيّامُه وكأنّه مُتَجَدِّدُ
[١١٠/٩] / والغيثُ يَحْصُرُه الغَمامُ فما يُرَى ... إلّا وريِّقُه يَرُوعُ[8] ويَرْعُدُ
والزّاعِبيّةُ[9] لا يُقيمُ كُعوبَها ... إلّا الثِّقافُ[10] وجَذْوَةٌ تَتَوَقَّدُ
والنارُ في أحجارها مخبوءةٌ ... لا تُصْطَلَى إن لم تُثِرْها الأَزْنُدُ

---

(١) كذا في الأصل أي وهما نوعا مخانيث... إلخ، نفسرهما في البيت الثاني، وإن كان مع ذلك يحتمل أنها حرفت عن كلمة على وزن فعل بضم أوله جمعا لأفعل، مثل نوك جمع أنوك أو نحو ذلك.

(٢) الكبر: الطبل. معرب.

(٣) القراطق: جمع قرطق وهو القباء.

(٤) العرر: جمع عرة وهو الرجل يكون شين القوم؛ يقال: فلان عرة أهله.

(٥) المياسم: جمع ميسم (بكسر الميم) وهو هنا أثر الوسم والجمع مواسم على الأصل باعتباره من وسم، ومياسم على اللفظ.

(٦) في ب، س: «قالوا».

(٧) السرار: (بالفتح والكسر) آخر أيام الشهر.

(٨) في الأصول: «يراع».

(٩) الزاعبية: رماح منسوبة إلى رجل من الخزرج يقال له زاعب كان يعمل الأسنة.

(١٠) الثقاف: آلة من خشب تسوّي بها الرماح.

[١٠/٢١٤]

/ والحبس ما لم تغشه لدنية ... شنعاء نِعْمَ المنزلُ المُتَوَرَّدُ(١)
بيتٌ يجدّدُ للكريم كرامةً ... ويُزار فيه ولا يزور ويُحْمَدُ
لو لم يكن في الحبس إلّا أنّه ... لا يستذِلُّك بالحجاب الأَعْبُدُ
كم من عليل قد تخطّاه الرَّدَى ... فنجا ومات طبيبُه والعُوَّدُ
يا أحمدُ بنَ أبي دُوَادٍ إنّما ... تُدْعَى لكلّ عظيمة يا أحمدُ
أبْلِغْ أميرَ المؤمنين فدونَه ... خَوْضُ الرَّدَى ومخاوفٌ لا تَنْفَدُ
أنتم بنو عمّ النبيّ محمدٍ ... أولى بما شَرَعَ النبيُّ محمَّدُ
ما كان من كَرَمٍ فأنتم أهلُه ... كَرُمَتْ مَغَارِسُكم وطاب المَحْتِدُ
أمِنَ السَّوِيَّةِ يابنَ عَمّ محمدٍ ... خَصْمٌ تُقَرِّبُه وآخرُ تُبْعِدُ
إنّ الذين سَعَوْا إليك بباطلٍ ... حُسَّادُ نعمتِك التي لا تُجْحَدُ
شهِدوا وغِبْنا عنهمُ فتحكّموا ... فينا وليس كغائب مَنْ يَشْهَدُ
لو يجمع الخُصَماءَ عندك مجلسٌ ... يوماً لبان لك الطريقُ الأقْصَدُ
فبأيّ جُرْمٍ أصْبَحتْ أعراضُنا ... نَهْباً تَقَسَّمها اللئيمُ الأوْغَدُ

دخل على المتوكل والطبيب يفحص علة وكانت جاريته قبيحة أغضبته فضربها ثم اغتم لذلك فقال هو في ذلك شعراً:

أخبرني جعفر بن قُدَامة قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق قال قال لي أبو الفضل الرَّبَعيّ(٢) قال قال لي عليّ بن الجَهْم:

دخلت على المتوكّل وقد بَلَغني أنّه كلّم قَبيحةَ جاريتَه فأجابته بشيء أغضبه، فرماها بمِخَدَّةٍ فأصابتْ عينَها فأثَّرتْ فيها، فتأوَّهَتْ وبَكَتْ وبكى المعتزّ لبكائها؛ فخرج المتوكّل وقد حُمَّ من الغمّ والغضب. فلما بَصُر بي دعاني وإذا الفتحُ(٣) يُرِي بَخْتِيَشوعَ القارورة ويشاوره فيها. فقال لي: قل يا عليّ في عِلّتي هذه شيئاً وصِفْ أنّ الطبيب ليس يَدْري ما بي؛ فقلت:

[١٠/٢١٥]

/ تنكّر حالَ عِلّتِيَ الطّبيبُ ... وقال أرى بجسمك ما يَرِيبُ
جَسَسْتُ العِرْقَ منك فدَلّ جَسّي ... على ألَمٍ له خَبَرٌ عجيبُ
فما هذا الذي بك هاتِ قُلْ لي ... فكان جوابَه مِنّي النَّحِيبُ
وقلت أيا طبيبُ الهجرُ دائي ... وقلبي يا طبيبُ هو الكئيبُ
فحرّك رأسَه عَجَباً لقولي ... وقال الحبّ ليس له طبيبُ

(١) المتورد: الذي يورد ويزار مثل المورود. وفي ب، س: «المتودد» وهو تحريف.
(٢) في أ، م: «الربيعي».
(٣) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل ونديمه.

فــأعجبنــي الــذي قــد قــال جِــدّاً وقلــت بَلَــى إذا رضِــيَ الحبيــبُ
فقــال هــو الشفــاءُ فــلا تُقَصِّــرْ فقلــت أجَــلْ ولكــن لا يُجيــبُ
ألاَ هــل مُسْعِــدٌ يبكــي لشَجْــوِي فــإنّــي هــائــم فَــرْدٌ غــريــبُ

فقال: أحسنتَ وحَياتي! يا غلام اسقِني قَدَحاً؛ فجاءه بقَدَح فشرِب وسُقِيَتِ الجماعةُ مثلَه. وخرجتْ إليه فَضْلُ الشاعرةُ بأبياتٍ أمرتْها قَبيحةُ أن تقولها عنها. فقرأها فإذا هي:

[١١١/٩] / أكتُمنّ الذي في القلب من حُرَقٍ حتى أموت ولم يَعْلَم به الناسُ
ولا يقال شَكَا مَنْ كان يَعْشَقُه إنّ الشّكاة لمن تَهْوَى هي الياسُ
ولا أبوح بشيءٍ كنتُ أكتُمه عند الجلوس إذا ما دارت الكاسُ

فقال المتوكِّل: أحسنتِ يا فَضْلُ. وأمر لها ولي بعشرين ألف درهم، ودخل إلى قَبيحةَ فترضّاها.

خرج مع جماعة إلى الشام فقطع عليهم الأعراب الطريق ففرّ أصحابه وثبت هو وقال شعراً:

أخبرني عَمّي قال حدّثني محمد بن سعد قال:

خرج عليُّ بن الجهم إلى الشام في قافلة، فخرجتْ عليهم الأعراب في خُسَاف[1] فهَرب من كان في القافلة من المُقاتِلة، وثبت عليّ بن الجَهْم فقاتلهم قتالاً شديداً، وثاب الناسُ إليه فدفعهم ولم يحظَوْا بشيء. فقال في ذلك:

[٢١٦/١٠] / صبرتُ ومثلي صبرُه ليس يُنْكَرُ وليس على تَرْك التَّقَحُّم يُعْذَرُ
غريزةُ حُرٍّ لا اختلاقُ تَكَلُّفٍ إذا خام[2] في يوم الوَغَى المُتَصَبِّرُ
ولمّا رأيتُ الموت تَهْفُو بُنودُه وبانتْ علاماتٌ له ليس تُنْكَرُ
وأقبلتِ الأعرابُ من كلِّ جانبٍ وثار عَجاجٌ أسودُ اللّون أكْدَرُ
بكلِّ مُشِيحٍ[3] مُسْتمِيتٍ مُشَمِّرٍ يَجُول به طِرْفٌ[4] أقَبُّ مُشَمِّرُ
بأرضِ خُسَافٍ حين لم يكُ دافعٌ ولا مانعٌ إلّا الصَّفِيحُ[5] المُذَكَّرُ
فقلَّلَ في عَيْنَيّ عُظْمَ جموعِهم عزيمةُ قلبٍ فيه ما جلّ يَصْغُرُ
بمُعْتَرَكٍ فيه المنايا جواسِرٌ ونارُ الوغى بالمَشْرَفِيَّة تُسْعَرُ
فما صُنْتُ وجهي عن ظُباتِ سُيوفِهم ولا انْحَزْتُ عنهم والقَنا تَتَكَسَّرُ
ولم أكُ في حرّ الكريهة مُحْجِماً إذا لم يكن في الحرب للوِرْدِ مَصْدَرُ

(١) في الأصول: «حساف» بالحاء المهملة وهو تصحيف. وخساف: برية بين بالس وحلب. («معجم البلدان» لياقوت).
(٢) خام: نكص وجبن.
(٣) المشيح: المجد.
(٤) الطرف: الكريم من الخيل. والأقب: الدقيق الخصر الضامر البطن.
(٥) الصفيح هنا: السيف العريض.

إذا ساعَدَ الطَّرْفُ الفتي وجنانُه — وأسْمَرُ خَطِّيٌّ وأبيضُ مِبْتَرُ(١)
فذاك، وإن كان الكريمُ بنفسه، — إذا أصطكَّتِ الأبطالُ في النَّقْعِ عَسْكَرُ
مَنَعْتُهُمُ من أن ينالوا قُلامَةً — وكنتُ شَجاهم والأسنَّةُ تَقْطُرُ
وتلك سجايانا قديماً وحادثٌ — بها عُرِفَ الماضي وعَزَّ المؤخَّرُ
أبَتْ لي قُرُومٌ أنجبتنيَ أن أُرَى — وإنْ جَلَّ خَطْبٌ خاشعاً أتضجَّرُ
أولئك آلُ الله فِهْرُ بنُ مالكٍ — بهم يُجْبَرُ العظمُ الكَسِيرُ ويُكْسَرُ
همُ المَنْكِبُ العالي على كلِّ مَنْكِبٍ — سيوفُهُمُ تُفْنِي وتُغْنِي وتُفْقِرُ

[١٧/١٠] / **قال إن أباه حبسه في الكتاب وهو صبيّ فكتب إلى أمّه شعراً فكذبه إبراهيم بن المدبر:**

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق والحسن بن عليّ قالا جميعاً حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني عيسى بن أبي حَرْب قال حدّثني عليّ بن الجَهْم قال:

حبسني أبي في الكُتّاب، فكتبت إلى أمي:

يا أُمّتا أَفْديكِ من أمّ — أشكو إليكِ فَظاظةَ الجَهْمِ
قد سُرِّحَ الصِّبيانُ كلُّهمُ — وبقيتُ محصوراً بلا جُرْمِ

قال: وهو أوّل شعر قلته وبعثت به إلى أُمّي، فأرسلتْ إلى أبي: والله لئن لم تُطلِقه لأَخرُجنّ حاسرةً حتى أُطلِقَه. قال عيسى فحدّثت بهذا الخبر إبراهيم بن المدبّر فقال: عليُّ بن الجهم / كذّاب، وما يمنعه من أن يكون [١١٢/٩] وَلّدَ هذا الحديثَ وقال هذا الشعر وله ستون سنة، ثم حدّثكم أنه قاله وهو صغير، ليرفع من شأن نفسه!.

مدح أحمد بن أبي دواد وكان منحرفاً عنه ليشفع له في حبسه فقعد عنه فهجاه وشمت به بعد أن نفاه المتوكل:

أخبرني عَمّي قال حدّثنا محمد بن سعد قال:

كان أحمد بن أبي دُوَاد منحرِفاً عن عليّ بن الجَهْم لاعتقاده مذهب الحشويّة(٢). فلما حُبِس عليُّ بن الجَهْم مدح أحمدَ بن أبي دواد عدّة مدائح، وسأله أن يقوم بأمره ويَشْفَع فيه، فلم يفعل وقعد عنه. فمنها قوله:

يا أحمدُ بنَ أبي دُوادٍ إنّما — تُدْعَى لكلِّ عظيمةٍ يا أحمدُ
أَبْلِغْ أميرَ المؤمنين ودونَه — خَوْضُ الرَّدَى ومَخاوِفٌ لا تَنْفَدُ
أنتم بنو عمِّ النبيّ محمدٍ — أوْلَى بما شرَعَ النبيُّ محمّدُ

وهذه الأبيات من قصيدته التي أوّلها:

* قالت حُبِسْتَ فقلتُ ليسَ بضائري *

(١) المعروف في «كتب اللغة» أن يقال سيف باتر وبتار (بتشديد التاء) وبتار (وزان غراب) وبتور. ولكن عليّ بن الجهم استعمل هنا هذه الصيغة، فرجحنا هذا الضبط؛ إذ المستعمل في القطع من هذه المادة إنما هو «بتر» الثلاثي، واسم الآلة منه مبتر.

(٢) الحشوية: طائفة يقولون: حكم الأحاديث كلها واحد، وعندهم أن تارك النفل كتارك الفرض. وهم فرقة من المرجئة. (انظر «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ج ٤ ص ١٦٢ طبع دار الكتب المصرية).

[٢١٨/١٠] / فلمّا نَفَى المتوكِّلُ أحمدَ بن أبي دُواد شَمِتَ به عليّ بن الجَهْم وهجاه فقال:

يـا أحمـدُ بـنَ أبـي دُوادٍ دعـوةً ... بعثـتْ إليـكَ جنـادلاً وحـديـداً
مـا هـذه البِـدَعُ التـي سمّيتَهـا ... بـالجهـلِ منـك العـدل والتـوحيـدا
أفسـدتَ أمـرَ الـدّيـن حيـن وَليتَـه ... ورَمَيْتَـه بـأبـي الـوليـد[١] وليـدا
لا مُحْكَمـاً جـزلاً[٢]، ولا مُسْتَطْـرَفـاً[٣] ... كَهْـلاً، ولا مُسْتَحْـدَثـاً مَحْمـودا[٤]
شَـرِهـاً، إذا ذُكِـر المكـارمُ والعُـلا ... ذَكَـرَ القَـلايـا[٥] مُبْـدِئـاً ومُعِيـدا
ويَـوَدُّ لـو مُسِخَـتْ ربيعـةُ كلُّهـا ... وبنـو إيـادٍ صَحْفَـةً وثَـريـدا
وإذا تـربَّـع فـي المجـالـس خِلْتَـه ... ضَبُعـاً وخِلْـتَ بنـي أبيـه قـرودا
وإذا تَبَسَّـمَ ضـاحكـاً شبَّهْتَـه ... شَـرِقـاً تَعَجَّـلَ شُـرْبَـه مَـزْدودا
لا أصْبَحَـتْ بـالخيـر عيـنٌ أبصـرتْ ... تلـك المَنـاخـرَ والثَّنـايـا السُّـودا

كتب من حبسه شعراً لطاهر بن عبدالله بن طاهر بن الحسين:

أخبرني عَمّي قال حدّثنا محمد قال:

كتب عليّ بن الجَهْم إلى طاهر من الحبس[٦]:

إنْ كـانَ لـي ذنـبٌ فلـي حُـرمـةٌ ... والحـقُّ لا يـدفعـه البـاطـلُ
وحُـرْمَتـي أعظـمُ مـن زَلّتـي ... لـو نـالنـي مـن عَـدْلِكـم نـائـلُ
ولـي حقـوقٌ غيـرُ مجهـولـةٍ ... يعـرِفهـا العـاقـلُ والجـاهـلُ
وكـلُّ إنسـانٍ لـه مـذهـبٌ ... وأهـلُ مـا يفعلـه الفـاعـلُ
وسيـرةُ الأمـلاك منقـولـةٌ ... لا جـائـرٌ يَخْفَـى ولا عـادلُ
وقـد تَعَجَّلْـتَ الـذي خِفتُـه ... منـك ولـم يـأتِ الـذي آمُـلُ

[٢١٩/١٠] / **شعره في مقين كان ينزل عنده في جماعة بالكرخ:**

حدّثني عمّي قال حدّثنا محمد قال:

كان عليّ بن الجَهْم يعاشر جماعةً من فِتيان بغداد لما أُطلِق من حبسه ورُدَّ من النفي، وكانوا يتقاينون[٧] ببغداد، ويلزمون منزل مُقَيِّنٍ بالكَرْخ يقال له المُفَضَّل. فقال فيه عليّ بن الجَهْم:

(١) أبو الوليد هو محمد بن أحمد بن أبي دواد، كان يتولى المظالم بسامرا وعزله المتوكل سنة ٢٣٧ هـ.
(٢) الجزل هنا: الجيد الرأي أصيله.
(٣) لعلها «مستظرفاً» بالظاء المعجمة أي معدوداً ظريفاً.
(٤) لعلها: «محموداً».
(٥) القلايا: المقليات، مفرده قلية.
(٦) بعد هذه الكلمة وقبل الشعر كلمة «صوت» في ح، ب، س: ولم يذكر فيه ألحاناً حتى يكون لهذه الكلمة موقع.
(٧) ظاهر أن معناه: يجالسون القيان، وأن معنى مقين صاحب قيان.

نـزلنـا ببـاب الكَـرْخ أطْيَـبَ مَنْـزِلِ ... علـى مُحْسِنـاتٍ مـن قِيـان المُفَضَّـلِ

/ فـلاّبـنِ سُرَيْـجٍ والغَـرِيـضِ ومَعْبَـدِ ... بـدائـعُ فـي أسمـاعنـا لـم تُبَـدَّلِ

١١٣/٩

أوَانِـسُ مـا للضَّيْـف منهـنّ حِشْمـةٌ ... ولا رَبُّهُـنَّ بـالجليـلِ المُبَجَّـلِ

يُسَـرُّ إذا مـا الضَّيْـفُ قَـلَّ حيـاؤه ... ويَغْفُـلُ عنـه وهـو غيـرُ مُغَفَّـلِ

ويُكْثِـرُ مـن ذمِّ الـوقـار وأهلِـه ... إذا الضَّيـفُ لـم يـأنَسْ ولـم يَتَبَـذَّلِ

ولا يـدفـع الأيـدي المُـرِيبـةَ غَيْـرةً ... إذا نـال حَظّـاً مـن لَبُـوسٍ ومـأكَـلِ

ويُطْـرِق إطْـراقَ الشُّجـاع مَهَـابـةً ... لِيُطْلِـقَ طَـرْفَ النـاظـرِ المتـأمِّـلِ

أشِـرْ بيـدٍ واغْمِـزْ بطَـرْفٍ ولا تَخَـفْ ... رَقِيبـاً إذا مـا كنـتَ غيـرَ مُبَخَّـلِ

وأعْـرِضْ عـن المِصبـاح والْهَـجْ بمثْلِـه ... فـإنْ خَمَـدَ المصبـاحُ فـادْنُ وقَبِّـلِ

وسَـلْ غيـرَ ممنـوعٍ وقُـلْ غيـرَ مُنْكَـتٍ ... ونَـمْ غيـرَ مَـذْعُـورٍ وقُـمْ غيـرَ مُعْجَـلِ

لـك البيـتُ مـا دامـت هَـدَايـاك جَمَّـةً ... وكنـتَ مليّـاً بـالنَّبيـذِ المُعَسَّـلِ

فبَـادِرْ بـأيّـامِ الشَّبـاب فـإنّهـا ... تَقَضَّـى وتَفْنَـى والغَـوايـةُ تَنْجلـي

ودَعْ عنـك قـولَ النـاس أتْلَـفَ مـالَـه ... فـلانٌ فـأضحـى مُـدْبِـراً غيـرَ مُقْبِـلِ

هـلِ الـدهـرُ إلاّ ليلـةٌ طَـرَحَـتْ بنـا ... أواخِـرُهـا فـي يـومِ لَهْـوٍ مُعَجَّـلِ

/ سقـى الله بـابَ الكَـرْخ مـن مُتَنَـزَّهٍ ... إلـى قَصْـرِ[1] وَضّـاحٍ فبِـرْكَـةِ[2] زَلْـزَلِ

[٢٢٠/١٠]

مَسَـاحِـبُ أذيـالِ القِيـان ومَسْـرَحَ الـ ... حِسـان ومَثْـوَى كـلِّ خِـرْقٍ مُعَـذَّلِ[3]

لَـوَ انّ امْـرأ القيـس بـن حُجْـرٍ يَحُلُّهـا ... لأقْصَـرَ عـن ذِكْـر الـدَّخُـول وحَـوْمَـلِ[4]

إذاً لـرأى[5] أن يَمْنَـحَ الـوُدَّ شـادِنـاً ... مقصَّـرَ أذيـالِ القَبَـا غيـرَ مُسْبِـلِ

إذا الليـلُ أدنـى مَضْجَعـي منـه لـم يَقُـلْ[6] ... عَقَـرتَ بَعِيـري يـا امْـرَأ القيـس فـانْـزِلِ

(١) قصر وضاح: قصر بني للمهدي قرب رصافة بغداد، وقد تولى النفقة عليه رجل من أهل الأنبار يقال له وضاح فنسب إليه. وقيل وضاح من موالي المنصور. وقال الخطيب: لما أمر المنصور ببناء الكرخ قلد ذلك رجلاً يقال له الوضاح بن شبا، فبنى القصر الذي يقال له قصر الوضاح. («معجم البلدان» لياقوت).

(٢) بركة زلزل: ببغداد بين الكرخ والصراة (بفتح أوّله) وباب المحول (بتشديد الواو مع فتحها) وسويقة أبي الورد تنسب إلى زلزل الضارب. («معجم البلدان» لياقوت).

(٣) الخرق من الرجال: الكريم الذي يتخرق في كرمه أي يتسع فيه. والمعذل: الذي يكثر الناس عذله ولومه على إسرافه في الكرم.

(٤) رواية «معجم البلدان»:

منـازل لا يستتبـع الغيـث أهلهـا ... ولا أوجـه اللـذات عنهـا بمعـزل

منـازل لـو أن امـرأ القيـس حلهـا ... لأقصـر عـن ذكـر الـدخـول فحـومـل

(٥) في ياقوت:

إذا لـرآنـي أمنـح الـود شـادنـا ... مقلـص ....

(٦) في «الأصول»: «لم أقل». والتصويب من «معجم البلدان» لياقوت عند الكلام على قصر وضاح.

أنشد إبراهيم بن المدبر شعراً لنفسه فكذبه وقال إن الشعر لإبراهيم بن العباس:

حدّثني الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا أبن مَهْرويه قال حدّثني إبراهيم بن المدبّر قال أنشدني عليّ بن الجَهْم لنفسه:

وإذا جَـزَى اللهُ أمـرأً بفِعـالـه ... فجـزى أخـاً لـي مـاجِـداً سَمْحَـا
نـاديتُـه عـن كُـرْبـةٍ فكـأنّمـا ... أطلعـتُ عـن ليـلٍ بـه صُبْحَـا

فقلت له: وَيْلَك! هذا لإبراهيم بن العبّاس يقوله في محمد بن عبدالملك الزيّات! فَجَحَدني وكابر. فدخل يوماً عليّ بن الجَهْم إلى إبراهيم بن العبّاس وأنا عنده. فلمّا رآني قال: اجتمع الإبراهيمان. فتركتُه ساعةً ثم أنشدتُ البيتين، وقلت لإبراهيم بن العباس: إنّ هذا يزعُم أنّ هذين البيتين له. فقال: كَذَب، هذان لي في محمد [١٠/٢٢١] / ابن عبدالملك الزيّات. فقال له عليّ بن الجهم بقِحَةٍ: ألم أنْهَك أن تَنْتَحِل شعري! فغضِب إبراهيم وجعل يقول له بيده: سَوْءةً عليك سَوْءةً لك! ما أوقحك! وهو لا يُنْكِر[١] في ذلك ولا يَخْجَل. ثم التقينا بعد مدّة فقال: أرأيتَ كيف أخزيتُ إبراهيمَ بن العباس!! فجعلت أَعْجَبُ من صَلاَبة وجهه.

شعر له في الفراق:

حدّثني[٢] عَمّي قال أنشدنا محمد بن سَعْد لعليّ بن الجَهْم وفيه غِناء:

اِعْلَمِـي يـا أحـبَّ شـيءٍ إلَيّـا ... أنّ شـوقـي إليـكِ قـاضٍ عليّـا
/ إن قَضَـى اللهُ لـي رجـوعـاً إليكـم ... لا ذكـرتُ الفِـراقَ مـا دمـتُ حيّـا
إنّ حَـرَّ الفِـراقِ أنحَـلَ جسمـي ... وكـوى القلـبَ منـكِ بـالشّـوق كيّـا

١١٤
٩

كان محمد بن عبدالملك الزيات منحرفاً عنه ويسبعه عند الخليفة فهجاه:

حدّثني[٢] عَمّي قال حدّثنا محمد بن سَعْد قال:

كان محمد بن عبدالملك الزيّات مُنْحَرِفاً عن عليّ بن الجَهْم وكان يَسْبَعُه[٣] عند الخليفة ويَعِيبُه ويذكُره بكلّ قبيح. فقال فيه عليّ بن الجَهْم:

لَعَـائِـنُ اللهِ مُتَـابَعـاتِ ... مُصَبَّحـاتٍ ومُهَجَّـراتِ
علـى أبـن عبـدالملـك الـزيّـات ... عَـرَّضَ شَمْـلَ المُلْـك للشَّتـاتِ
وأنْفَـذَ الأحكـامَ جـائـرات ... علـى كتـاب الله ذاريـاتِ[٤]
وعـن عقـول النـاس خـارجـات ... يـرمـي الـدواويـنَ بتـوقيعـاتِ

---

(١) في حـ، ب، س: «لا يفكر».

(٢) في ب، س، حـ: «قال حدّثني إلخ» وكلمة «قال» هنا لا موقع لها.

(٣) سبعه (من باب ضرب ومنع) شتمه ووقع فيه. وهذه الكلمة محرفة في الأصول، ففي ب، س: «يسبه» وفي أ، م: «يشعه» وفي حـ: «يسبحه».

(٤) كذا في الأصول بالذال المعجمة. وذاريات من ذرت الريح التراب تذروه وتذريه: فرقته وأطارته. يريد أنها تعفى كتاب الله. ويحتمل أن يكون زاريات بالزاي أي عائبات.

مُعَقَّدَاتٍ كَرُقَى الحَيَّاتِ سبحانَ مَنْ جَلَّ عن الصِّفَاتِ
بعد ركوب الطُّوف[١] في الفُرَاتِ وبعد بَيْعِ الزَّيْتِ بالحَبَّاتِ
/ صرتَ وزيراً شامخَ الثَّبَاتِ[٢] هارونُ[٣] يا ابنَ سَيِّدِ السَّادَاتِ [١٠/٢٢٢]
أَمَا ترى الأمورَ مُهْمَلاتِ تشكو إليك عَدَمَ الكُفَاةِ
فعاجِلِ العِلْجَ بمُزْهَفَاتِ من بعد أَلْفٍ[٤] صُخُبِ الأصواتِ
بمُثْمِرَاتٍ[٥] غيرِ مُورِقَاتِ تُرَى بمَتْنَيْهِ مُرَصَّفَاتِ
* تَرَصُّفَ الأسنانِ في اللِّثَاتِ *

استرفد عمر بن الفرج فلم يرفده ثم قبض على عمر فشمت به وقال شعراً:

أخبرني عمي قال حدّثني محمد بن سعد قال:

كان عليّ بن الجَهْم سأل عمَر بن الفَرَج الرُّخَّجِيّ[٦] معاونتَه، واسْتَرْفَدَه في نكبته فلم يُعَاوِنه ولم يَرْفِدْه، ثم قُبِض على عمر بن الفرج وأُسْلِم إلى نَجَاح[٧] ليصادره. فقال عليّ بن الجهم له:

أَبْلِغْ نَجَاحاً فتى الفِتْيانِ مأْلُكَةً[٨] تَمْضِي بها الرِّيحُ إصْدَاراً وإيرادا
لن يخرج المالُ عفواً من يَدَيْ عُمَرٍ أو يُغْمَدَ السَّيفُ في فَوْدَيهِ إغمادا
الرُّخَّجِيُّون لا يُوفُون ما وَعَدوا والرُّخَّجِيَّاتُ لا يُخْلِفْنَ ميعادا

قال وقال في عمر بن الفَرَج أيضاً:

جمعتَ أمرين ضاعَ الحزمُ بينهما تِيهَ الملوكِ وأفعالَ المماليكِ
/ أردتَ شكراً بلا بِرٍّ ومَرْزِئةٍ[٩] لقد سلكتَ طريقاً غيرَ مسلوكِ [١٠/٢٢٣]
ظننتَ عِرْضَكَ لا يُرْمَى بقارعةٍ وما أُراكَ على حالٍ بمتروكِ

(١) الطوف: قرب ينفخ فيها ويشد بعضها إلى بعض كهيئة السطح يركب عليها في الماء ويحمل عليها.
(٢) كذا في الأصول والنفس غير مرتاحة لها (؟).
(٣) يريد هارون الواثق الخليفة العباسي.
(٤) يريد ألفاً من السياط.
(٥) مثمرات: لها ثمر. والثمرة من السوط: عقدة في طرفه تشبيهاً بالثمر في الهيئة والتدلي عنه كتدلي الثمر.
(٦) كان هو وأبوه فرج من أعيان الكتاب في أيام المأمون إلى أيام المتوكل. عضب عليه المتوكل؛ لأن الواثق وكله به حين غضب عليه يكتب عنه ويحفظ أخباره. فلما ولي الخلافة نكبه في شهر رمضان سنة ٢٣٣ هـ وأمر بحبسه ومصادرة أمواله. (راجع الطبري ق ٣ ص ١٣٧٠ ص ١٣٧٧).
(٧) هو نجاح بن سلمة أبو الفضل، كان على ديوان التوقيع والتتبع على العمال في عهد المتوكل، ثم نكبه عنده عبيدالله بن يحيى بن خاقان سنة ٢٤٥، وكان متمكناً من المتوكل واليه الوزارة وعامة أعماله. (راجع الطبري ق ٣ ص ١٤٤٠ ـ ١٤٤٧).
(٨) المألكة: الرسالة.
(٩) يقال: رزأه ماله من باب قطع وعلم رزءاً ومرزئة إذا أصاب منه خيراً.

تمثل بشعره نديم لسليمان بن وهب وكان عربد عليه وأغضبه فرضي عنه:

أخبرني عَمّي قال حدّثني الحسن بن الحسن بن رَجاء عن أبيه قال:

كان لسليمان بن[1] وَهْبٍ نديمٌ يأنَسُ به ويألَفه، فعَرْبَد عليه ليلةً من الليالي عَرْبَدَةً قبيحةً، فاطَّرحه وجفاه مدّة. فوقف له على الطريق. فلما مَرَّ به وَثَب إليه[2] فقال له: أيها الوزير، ألاّ تكون في أمري كما قال عليّ بن الجَهْم:

القَــومُ إخــوانُ صِــدْقٍ بينهــم نَسَــب ... مِــن المَــودّة لــم يُعْــدَلْ بهــا نَسَــبُ

تــراضَعُــوا دِرّةَ الصَّهبــاء بينهُــمُ ... فــأوجبــوا لــرضيــع الكــأس مــا يَجِــبُ

/ لا تَحْفَظَــنَّ علــى السَّكــران زَلّتَــه ... ولا تَــرِيبَنْــكَ مــن أخــلاقــه رِيَــبُ

[١١٥/٩]

فقال له سليمان: قد رَضِيتُ عنك رضاً صحيحاً، فَعُدْ إلى ما كنتُ عليه من ملازمتي.

وأوّل هذه الأبيات:

الــوَرْدُ يضحــك والأوتــار تصطخِــبُ ... والنّــاي يَنْــدُبُ أشجــانــاً ويَنْتَحِــبُ

والــرَّاحُ تُعْــرَضُ فــي نَــوْر الــرَّبيــع كمــا ... تُجْلَــى العَــروسُ عليهــا الــدُّرُّ والــذَّهــبُ

واللّهــو يُلْحِــقُ مَغْبــوقــاً بمُصْطَبِــحٍ ... والــدور[3] سِيَّــان محثــوثٌ ومُنْتَخَــبُ

وكلَّمــا انسكبــتْ فــي الكــأس آونــةً ... أقسمــتُ أنّ شُعَــاعَ الشّمــس يَنْسَكِــبُ

[٢٢٤/١٠] / **أنشد عبدالله بن طاهر شعراً وكان مغتماً فسرى عنه:**

أخبرني عَمّي قال حدّثنا محمد بن سَعْد قال حدّثني أَسْلَم مولى عبدالله بن طاهر قال:

دخل عليّ بن الجَهْم يوماً على عبدالله بن طاهر في غُدْوة من غُدُواتِ الرَّبيع وفي السماء غَيْمٌ رقيق والمطرُ يجيء قليلاً ويسكن قليلاً، وقد كان عبدالله عزَم على الصَّبُوح. فغاضبته حَظِيَّةٌ له، فتنغّص عليه عَزْمُه وفتَر. فخُبِّر عليّ بن الجَهْم بالخبر وقيل له: قُلْ في هذا المعنى شيئاً، لعله ينشَط للصَّبوح. فدخل عليه فأنشده:

صوت

أمَــا تَــرَى اليــومَ مــا أحْلَــى شمــائلَــه ... صَحْــوٌ وغَيْــمٌ وإبــراقٌ وإرْعَــادُ

كــأنّــه أنــت يــا مَــنْ لا شبيــهَ لــه ... وَصْــلٌ وهَجْــرٌ وتقــريــبٌ وإبْعَــادُ

فبَــاكِــرِ الــرَّاحَ واشْــرَبْهــا مُعَتَّقَــةً ... لــم يَــدَّخِــرْ مِثْلَهــا كِسْــرَى ولا عــادُ

واشْــرَبْ علــى الــرَّوْض إذ لاحــتْ زَخَــارِفُــه ... زَهْــرٌ ونَــوْرٌ وأوْرَاقٌ وأوْرَادُ

(١) هو أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد. كتب للمأمون وهو ابن أربع عشرة سنة ثم لإيتاخ ثم لأشناس، ثم ولي الوزارة للمهتدي بالله ثم للمعتمد على الله، وقد مدحه خلق كثير من أعيان الشعراء كأبي تمام والبحتري. وتنقل سليمان المذكور في الدواوين الكبار والوزارة. ولم يزل كذلك حتى توفي مقبوضاً عليه في منتصف صفر سنة ٢٧٢. (راجع ابن خلكان).

(٢) في ب، س، حـ: «عليه».

(٣) كذا في الأصول.

كــأنمــا يــومُنــا فِعْــلُ الحبيــب بنــا ... بَــذْلٌ وبُخْــلٌ وإيعــادٌ وميعــادُ

وليــس يــذهــب عنّــي كــلُّ فعلكــمُ ... غَــيٌّ ورُشْــدٌ وإصــلاحٌ وإفســادُ

فاستحسن الأبيات وأمر له بثلثمائة دينار؛ وحمله وخلَع عليه، وأمر بأن يُغَنَّى في الأبيات. الغِناء لبَذْل الطَّاهريّة، خفيفُ رَمَلٍ. وفيه لغيرها هَزَجٌ.

جلس في المقابر بعد خروجه من السجن وقال شعراً:

حدّثني عمّي قال حدّثني محمد بن سَعْد قال حدّثني رجلٌ من أهل خُرَاسان قال:

رأيت عليّ بنَ الجَهْم بعدما أُطلِقَ من حَبْسه جالساً في المقابر؛ فقلت له: ويحك! ما يُجلسك ها هنا؟! فقال:

يشتــاق كــلُّ غــريــب عنــد غُــرْبَتِــه ... ويــذكــر الأهــلَ والجيــرانَ والــوطنــا

وليــس لــي وطــنٌ أمسَيْــتُ أذكــره ... إلّا المقــابــر إذ صــارت لهــم وطنــاً

/ شعر له وفيه غناء: [١٠/٢٢٥]

حدّثني عَمّي قال أنشدنا أحمد بن عُبيد ومحمد بن سعد لعليّ بن الجهم وفيه غناء:

صوت

لــو تنَصَّلْــتَ إلينــا ... لَــوَهَبْنــا لــك ذَنْبَــكْ

بــأبِــي مــا أبغــضَ العيـ ... ـشَ إذا فــارقــتُ قُــرْبَــكْ

ليتنــي أمْلِــك قلبــي ... مِثْــلَ مــا تَمْلِــك قلبَــكْ

أيُّهــا الــواثــق بــالله ... لقــد نــاصحــتَ ربَّــك

مــا رأى النّــاسُ إمــامــاً ... أنْهَــبَ الأمــوالَ نَهْبَــك

أصبحــتْ حُجَّتُــك العُلْـ ... ـيــا وحــزبُ الله حِــزبَــكْ

الغِناءُ لعَرِيبَ رَمَلٌ. وفيه لغيرها هَزَجٌ.

مدح أبا أحمد بن الرشيد فلم يعطه شيئاً فهجاه:

حدّثني عَمّي قال حدّثنا محمد بن سَعْد قال:

كان عليّ بن الجَهْم قد مدح أبا أحمد بن الرّشيد فلم يُعْطِه شيئاً، فقال يهجوه:

/ يــا أبــا أحمــدَ لا يُنْـ ... ـجــي مِــنَ الشُّغْــر الفِــرارُ [١١٦/٩]

لبنــي العبّــاس أحــلا ... مُ عِظــامٌ ووقــارُ

ولهــم فــي الحــرب إقــدا ... مٌ ورأيٌ واصطِبــارُ

ولهــم ألْسِنــةٌ تَبْـ ... ـرِي كمــا تَبْــرِي الشِّفــارُ

وَوجُوهٌ كنجوم اللَّيل تَهْدِي مَن يَحَارُ
ونَسِيمٌ كنسيم الرَّوْضِ جَادتْه القِطَارُ
ولِعطْفَيْك عن المجد شِمَاسٌ وازوِرارُ
إن تكن منهم بلا شكّ فللعُودِ قُتَارُ(١)

[١٠/٢٢٦] / رثى عبدالله بن طاهر بشعر وأنشده ابنه يعزيه:

حدّثني جَحْظة وعَمّي قالا حدّثنا عُبَيْدالله بن عبدالله بن طاهر قال:

دخل إلينا عليّ بن الجَهْم بعقِب موت أبي والمجلسُ حافلٌ بالمعزّين، فمثُل قائماً وأنشدَنا يرثيه:

أيُّ ركنٍ وَهَى من الإسلامِ ... أيُّ يومٍ أخْنَى على الأيّامِ
جَلَّ رُزْءُ الأميرِ عن كلِّ رُزْءٍ ... أدركتْه خواطرُ الأوهامِ
سَلَبَتْنا الأيّامُ ظِلاًّ ظَلِيلاً ... وأباحتْ حِمًى عزيزَ المَرام
يا بَني مُصْعَبٍ حَلَلْتم من النا ... سِ مَحَلَّ الأرواح في الأجسام
فإذا رَابَكم من الدَّهرِ رَيْبٌ ... عَمَّ ما خصَّكم جميعَ الأنام
أُنظروا هل تَرَوْنَ إلّا دموعاً ... شاهداتٍ على قلوبٍ دوامي
مَنْ يُداوي الدُّنيا ومَنْ يكلأُ المُلْ ... كَ لدى فادحِ الخطوبِ العِظام
نحن مُتْنا بموته وأجلُّ الـ ... ـخطبِ موتُ السّاداتِ والأعلام
لم يَمُتْ والأميرُ طاهرُ(٢) حَيٌّ ... دائمُ الإنتقامِ والإنْعَامِ
وهو من بعده نظامُ المعالي ... وقِوامُ الدُّنيا وسيفُ الإمام

قال: فما أذكر أني بكيت أو رأيتُ في دُورِنا باكياً أكثر من يومئذٍ.

غنت عريب المعتز بشعر له فطرب وفرّق مالاً:

حدّثني عمّي قال حدّثنا أبو الدِّهْقانةِ النّديمُ قال:

دخلنا يوماً إلى المعتزّ وهو مُصْطَبِحٌ على صوتٍ اختاره واقترحه على عَرِيبَ، وأظُنُّ الصنعةَ لها، فلم يزل يشرب عليه بقيّةَ يومِه، فلمّا سَكِر أمر لها بثلاثين ألف درهم، وفرّق على الجلساء كلِّهم الجوائزَ والطِّيبَ والخلعَ. والصوتُ:

[١٠/٢٢٧] / العينُ بعدَك لم تنظر إلى حَسَنٍ ... والنَّفسُ بعدَك لم تسكُن إلى سَكَنِ
كأنّ نفسي إذا ما غبتَ غائبةٌ ... حتى إذا عُدْتَ لي عادت إلى بَدَني

والشعرُ لعليّ بن الجَهْم.

(١) القتار: ريح العود المحرق.
(٢) يريد طاهر بن عبدالله بن طاهر بن الحسين.

خرج مع عبدالله بن طاهر للصيد وشربوا فقال شعراً يصف ذلك:

حدّثني جَحْظَةُ ومحمد بن خَلَف وَكِيعٌ وعَمِّي قالوا جميعاً حدّثنا عُبَيْدالله بن عبدالله بن طاهر قال:

لمّا أطْلَق أبي طاهرٌ عليَّ بن الجَهْم من الحبس أقام معه بالشَّاذِياخ[1] مدّةً. فخرجوا يوماً إلى الصَّيْد، واتّفق لهم مَرْجٌ كثيرُ الطير والوحش، وكانت أيامُ الزَّعْفَران، فأصطادوا صَيْداً كثيراً حسناً، وأقاموا يشربون على الزَّعْفَران. فقال علي بن الجَهْم يَصِف ذلك:

وَطِئنا رياضَ الزَّعفران وأمْسَكَتْ ... علينا البزاةُ البِيضُ حُمْرَ الدَّرَارِجِ[2]

ولم تَحْمِها الأدغالُ منّا وإنّما ... أبَحْنا حِمَاها بالكلاب النوابجِ[3]

بمُسْتَرْوِحاتٍ[4] سابحاتٍ بطونُها ... على الأرض أمثالَ السِّهام الزَّوَالجِ[5]

ومُسْتَشْرِفاتٍ بالهَوَادِي[6] كأنها ... وما عَقَفَتْ منها رؤوسُ الصَّوالجِ

/ ومِنْ دالِعاتٍ ألْسُناً فكأنّها ... لِحًى من رجالٍ خاضعين كَوَاسجِ[7]

/ فَلَيْنا بها الغِيطانَ فَلْياً كأنّها ... أنامِلُ إحدى الغانياتِ الحوالجِ[8]

فَقُلْ لبُغاةِ الصَّيْد هل من مُفاخرٍ ... بصَيْدٍ وهل من واصفٍ أو مُخارجِ[9]

قَرَنَّا بُزَاةً بالصُّقورِ وحَوَّمَتْ ... شواهينُنا من بعد صَيْدِ الزَّمامجِ[10]

١١٧ / ٩ ز [٢٢٨/١٠]

كتب من حبسه إلى المتوكل شعراً:

حدّثني عَمِّي قال حدّثنا محمد بن سَعْد قال:

كتب عليّ بن الجَهْم إلى المتوكِّل وهو محبوس:

صـوت

أقِلْني أقالَكَ مَنْ لم يَزَلْ ... يَقِيكَ ويَصْرِفُ عنك الرَّدَى

ويَغْذوك بالنِّعَم السابغاتِ ... ولِيداً وذا مَيْعَةٍ أمْرَدَا

وتَجْري مقاديرُه بالذي ... تُحِبُّ إلى أن بلغتَ المَدَى

(١) راجع الحاشية رقم ٣ صفحة ٢٠٨ من هذا الجزء.
(٢) الدرارج: جمع درّاج وهو طير جميل المنظر ملوّن الريش. وفي الأصول: «التدارج» وهو تحريف.
(٣) نباج الكلب: نباحه. وفي أ، حـ، م: «النوابح» بالحاء المهملة، وهو تصحيف. وفي ب، س «البوارج» وهو تحريف.
(٤) استروح الشيء: تشممه. وسابحات: سريعات.
(٥) الزوالج: هنا بمعنى السريعة. يقال سهم زالج أي يزلج على وجه الأرض ثم يمضي.
(٦) الهوادي هنا: الأعناق. وعقفت: عطفت وعوجت.
(٧) دالعات ألسنا: مخرجات ألسنها من أفواهها. والكوسج: الذي لحيته على ذقنه لا على عارضيه.
(٨) حوالج: جمع حالجة وهي التي تندف القطن حتى يخلص الحب منه.
(٩) خارجه: ناهده. يريد: هل من مناهض يناهضنا في الصيد.
(١٠) كذا في أكثر الأصول. والزمامج: جمع زمج (وزان سكر) وهو نوع من الطير يصاد به دون العقاب، تغلب على لونه الحمرة. وفي ب، س: «الروامج». جمع رامج، وهو ملواح تصاد به الجوارح كالصقور ونحوها. وهذا لا يصلح في هذا المقام.

ويُعْلِيكَ حتى لَوَ اَنّ السماء ... تَنالُ لجاوزتَها مُصْعِدا
فما بين ربّك جلّ اسمُه ... وبينك إلّا نبيّ الهُدَى
فشكراً لأنْعُمِه إنّه ... إذا شُكِرتْ نعمةٌ جَدّدا
وعفوَك عن مُذْنِبٍ خاضعٍ ... قَرَنْتَ المُقِيمَ به المُقْعِدا
إذا أدّرع الليلَ أفضَى به ... إلى الصُّبح من قبلِ أن يَرْقُدا
عفا الله عنك ألا حُرْمةٌ ... تَعُوذ بفضلك أن أُبْعَدا
لئن جَلّ ذنبٌ ولم أعتمد ... لأنت أجلُّ وأعلَى يَدَا
ألم تَرَ عَبْداً عدا طَوْرَه ... ومولًى عفا ورشيداً هدى
[٢٢٩/١٠] / ومُفْسِدَ أمرٍ تلافيتَه ... فعاد فأصلَح ما أفسَدا
فلا عُدْتُ أعصيك فيما أمر ... تَ حتى أزور الثَّرَى مُلْحَدا
وإلّا فخالفتُ ربّ السماء ... وخُنْتُ الصَّديقَ وعِفْتُ النَّدى
وكنتُ كعَزُّونَ أو كابنِ عمرو ... مُبِيحِ العيالِ لمن أوْلَدا
يكثّر في البيت صِبيانَه ... يَغِيظ بهم مَغْشَراً جُسَّدا

شمت بأحمد بن أبي دواد حين فلج وقال شعراً يهجوه:

حدّثني عَمّي قال حدّثنا محمد بن سَعْد قال:

لمّا فُلِجَ ابنُ أبي دُواد شَمِت به عليّ بن الجَهْم وأظهر ذلك له وقال فيه:

لم يَبْقَ منك سوى خيالِك لامعاً ... فوق الفِراش مُمَهَّداً بوِسادِ
فَرِحَتْ بمَصْرَعِك البريّةُ كلُّها ... مَنْ كان منهم مُوقِناً بمَعَادِ
كم مجلسٍ لله قد عطّلتَه ... كي لا يُحَدَّث فيه بالإسناد
ولَكَمْ مصابيحٍ لنا أطفأتَها ... حتى يزول عن الطريق الهادي
ولَكَمْ كريمةِ مَعْشَرٍ أرْمَلْتَها ... ومُحَدِّثٍ أوْثَقْتَ في الأقياد
إنّ الأسارَى في السُّجُون تَفَرَّجوا ... لَمّا أتتك مواكبُ العُوّاد
وغدا لمصرعك الطبيبُ فلم يجد ... شيئاً لدائك حيلةَ المُرْتاد
[١١٨/٩] / فذُقِ الهوانَ مُعَجَّلاً ومؤجَّلاً ... واللهُ رَبُّ العرشِ بالمِرصاد
لا زال فالِجُك الذي بك دائباً ... وفُجِعْتَ قبل الموتِ بالأولاد

شعر له غنت فيه عريب:

أنشدني عَمّي لابن الجَهْم وفيه غِناء لعَرِيب:

نَطَقَ الهوى بجَوًى هو الحقُّ ... وملكتَني فَلْيَهْنِكَ الرِّقُّ
رِفْقاً بقلبي يا معذِّبَه ... رفقاً وليس لظالمٍ رِفقُ
وإذا رأيتُك لا تكلِّمني ... ضاقت عليَّ الأرضُ والأُفقُ

[١٠/٢٣٠] / وأنشدني له وفيه غناء أيضاً، ويقال إنه آخر شعر قاله:

يا رحمةً للغريب بالبلد النـ ... ـنازحِ ماذا بنفسه صَنَعا
فارَقَ أحبابَه فما ٱنتفعُوا ... بالعيش من بعده وما ٱنتفعا

هجا مغنياً بشعر:

وقال لمغنٍّ حضَر معه مَجْلِساً وكان غيرَ طيِّب:

كنتُ في مجلس فقال مُغَنِّي الـ ... ـقوم كم بيننا وبين الشتاء
فذَرَعتُ البِساطَ مِنِّي إليه ... قلتُ هذا المقدارُ قبل الغِناء
فإذا ما عَزَمْتَ أن تَتَغَنَّى ... آذَنَ الحَرُّ كلُّه بٱنقضاء

استشفع بقبيحة إلى المتوكل وهو في حبسه فأرسلت إليه ابنها المعتز:

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طَلْحة قال حدّثني عبدالله بن المُعتزّ قال:

لمّا حبَس أميرُ المؤمنين المتوكِّلُ عليَّ بنَ الجَهْم، وأجمع الجُلَساءُ على عَدَاوته وإبلاغِ الخليفةِ عنه كلَّ مكروه ووَصْفِهم مساويَه، قال هذه القصيدةَ يمدحه ويذكُره حقوقَه عليه، وهي:

عفــا الله عنــك ألاَ حُـرْمـةٌ ... تَعُـوذ بعفـوك أن أُبْعَـدا

ووجَّه بها إلى بَيْدون الخادم، فدخل بها إلى قَبِيحةَ وقال لها: إنّ عليَّ بن الجَهْم قد لاذبكِ وليس له ناصرٌ سواكِ، وقد قصده هؤلاء النُّدَماءُ والكتّاب لأنه رجل من أهل السنّة وهم روافضُ، فقد اجتمعوا على الإغراء بقتله. فدَعَتِ المُعْتزَّ وقالت له: اذهب بهذه الرُّقْعة يا بُنَيّ إلى سيِّدك وأوصِلْها إليه، فجاء بها ووقف بين يَدَيْ أبيه. فقال له: ما معكَ فديتُك؟ فدنا منه وقال: هذه رُقْعة دفعَتْها إليّ أمّي. فقرأها المتوكِّل وضحِك. ثم أقبل عليهم فقال: أصبح أبو عبدالله ـ فديتُه ـ خَصْمَكم. هذه رقعة عليّ بن الجَهْم يستقيل[1]، وأبو عبدالله شفيعُه، وهو ممن لا يُرَدّ، وقرأها عليهم. فلمّا بلغ إلى قوله:

فلا عُـذْتُ أعْصِيـكَ فيمـا أمـرتَ ... إلـى أن أَحُـلَّ الثَّـرى مُلْحَـدَا
[١٠/٢٣١] / وإلاّ فخـالفتُ رَبَّ السمـاء ... وخُنْـتُ الصَّـديـقَ وعِفْـتُ النَّـدى
وكنـتُ كمَـزُّونَ أو كـٱبـنِ عمـرو ... مُبيـحَ العيـالِ لمـن أَوْلَـدا

وَثَب[2] ٱبن حَمْدون وقال للمعتزّ: يا سيّدي فمَنْ دفع هذه الرُّقْعة إلى السيِّدة؟ قال بَيْدون الخادم: أنا.

(١) يستقيل: يطلب الإقالة من ذنبه والعفو عنه.
(٢) في الأصول: «فوثب».

فقالوا له: أحسنتَ، تُعادِينا وتوصل رُقعةَ عدوِّنا في هجائنا!! فانصرف يبدون وقام المُعْتزّ فانصرف. واستلَب ابنُ حَمْدون قولَه:

وكنتُ كَعزُّونَ أو كابن عمرو ... مُبيحِ العيالِ لمن أولَدا

١١٩/٩ / فجعل يُنْشِدهم إيّاه وهم يشتُمون ابنَ حَمْدون ويَضِجُّون والمتوكِّل يضحك ويصفِّق ويَشْرَب حتى سَكِر ونام، وسرَقوا قصيدتَه من بين يَدَي المتوكِّل وانصرفوا، ولم يوقِّع بإطلاقه ونَسِيَه. فقالوا لابن حَمْدون: وَيْلَك! تُعِيد هجاءنا وشَتْمنا!! فقال: يا حَمْقَى والله لو لم أفعل ذلك فيضحكَ ويَشْرَبَ حتى يَسْكَر وينام لوقَّع في إطلاقه ووقَعْنا معه في كلِّ ما نكره.

هنأ المتوكل بفتح أرمينية:

أخبرني عليّ بن الحسين قال حدّثني جعفر بن هارون بن زِياد قال حدّثني أحمد بن حَمْدون قال:

لمّا افتُتِحت أرمِينِيَةُ وقُتِل إسحاق بن إسماعيل[1] دخل عليّ بن الجَهْم فأنشد المتوكِّلَ قصيدتَه التي يُهَنِّيه فيها بالفتح ويمدحه، فقال فيها وأومأ بيده إلى الرسول الوارد بالفتح وبرأس إسحاقَ بن إسماعيل:

أهلاً وسَهْلاً بكَ من رسولِ ... جئتَ بما يَشْفِي من الغَلِيلِ

بجملةٍ تُغْنِي عن التفصيلِ ... برأس إسحاقَ بنِ إسماعيلِ

* قَهْراً بلا خَتْلٍ ولا تطويلِ *

٢٣٢/١] / فاستحسن جميعُ مَنْ حضَر ارتجالَه هذا وابتداءه، وأمر له المتوكِّل بثلاثين ألف درهم، وتمَّم القصيدة. وفيها يقول:

جاوز نَهْرَ الكُرِّ[2] بالخُيولِ ... تَرْدِي بفِتْيانٍ كأُسْدِ الغِيلِ

مُعَوَّداتٍ طلبَ الذُّحُولِ[3] ... خُزْرٍ[4] العيونِ طيبي[5] النُّصولِ

شُعْثٌ على شُعْثٍ من الفحولِ ... جيشٌ يَلُفُّ الحَزْنَ بالسُّهولِ

كأنَّه مُعْتَلِجُ[6] السُّيولِ ... يَسُوسُه كَهْلٌ من الكهولِ

لا يَنْثني للصَّعْبِ والذَّلولِ ... على أغَرَّ واضحِ الحُجُولِ

حتى إذا أصْحَرَ[7] للمخذولِ ... ناجَزَه بصارمٍ صَقِيلِ

ضَرْباً طِلَحْفاً[8] ليس بالقليلِ ... ومَنْجَنِيقٍ[9] مثلِ حَلْقِ الفيلِ

---

(١) هو إسحاق بن إسماعيل مولى بني أمية، ظفر به بغا وأحرق مدينة تفليس سنة ٢٣٨ هـ.

(٢) الكر (بضم أوّله): نهر بين أرمينية وأرّان يشق مدينة تفليس. وتردى الخيل ردياً ورديانا: ترجم الحصا بحوافرها من شدة وطئها.

(٣) في أكثر الأصول: «الدخول» بالدال والخاء وهو تصحيف وفي جـ: «الدحول» بالدال والحاء المهملتين. والذحول: جمع ذحل وهو الثأر.

(٤) خزر: جمع أخزر وخزراء. وخزر العين: ضيقها، وهو كناية عن الغضب.

(٥) في جـ: «طيب» وفي أ، م هكذا: «حيتي». وفي ب، س: «صيتي».

(٦) اعتلجت الأمواج والسيول: التطمت.

(٧) أصحر: برز.

(٨) طلحفا: شديداً.

(٩) المنجنيق: آلة ترمى بها الحجارة. فارسي معرّب.

تَـرْفَـضُّ عـن خُـرْطـومـه الطـويـل صـواعـقٌ مـن حَجَـر السِّجِّيـل[1]
تتـرك كَيْـدَ القـومِ فـي تَضْليـل مـا كـان إلّا مِثْـلُ رَجْـعِ القِيـل
حتـى انْجَلَـتْ عـن حـزبـه المفلـول وعـن نسـاءِ حُسَّـرٍ ذُهُـولِ
صـوارخٍ يَعْثُـرن فـي الـذُّيـول ثَـوَاكـلِ الأولاد والبُعُـول
لا والـذي يُعْـرَف العقـول مـن غيـر تحـديـدٍ ولا تمثيـل
مـا قـام لله وللـرسـول بـالـدِّيـن والـدُّنيـا وبـالتَّنـزيـل

* خليفةٌ كجعفرَ المأمولِ *

[١٠/٣] / مدح المتوكل بقصيدة وأرسلها من حبسه مع علي بن يحيى:

أخبرني علي بن العبّاس قال حدّثني محمد بن عبدالسلام قال:

رأيتُ مع عليّ بن يحيى المنجِّم قصيدةَ عليّ بن الجَهْم يمدح المتوكِّلَ ويصف الهارونيّ[2]، فقلت له: يا أبا الحسن، ما هذه القصيدة معك؟ فضحِك وقال: قصيدةٌ لعليّ بن الجَهْم سألني عَرْضَها على أمير المؤمنين فعرَضتها. فلمّا سمع قولَه:

[١٢٠/٩] / وقُبَّـةِ مُلْـكٍ كـأنّ النُّجـو مَ تُصْغِـي[3] إليهـا بـأسـرارهـا
تَخِـرُّ الـوفـودُ لهـا سُجَّـداً إذا مـا تَجلَّـتْ لأبْصَـارهـا
وفَـوَّارة ثـأرُهـا فـي السمـاء فليسـت تُقَصِّـر عـن ثـارهـا
تَـرُدُّ علـى المُـزْنِ مـا أنـزلَـتْ إلـى الأرض مـن صَـوْب مِـدرارهـا

تهلّل وجهه واستحسنها. فلما انتهيتُ إلى قوله:

تَبَـوَّأْتُ بعـدَك قَعْـرَ السُّجـون وقـد كنـتُ أرْثِـي لـزوّارهـا

غضِب وتربَّد وجهُه وقال: هذا بما كَسبتْ يداه، ولم يَسْمَع تمامَ القصيدة.

شاع مذهبه وشره فسافر لحلب فقتل في الطريق وقال شعراً قبل موته:

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدّثني الحسين بن موسى قال:

لمّا شاع في الناس مذهب عليّ بن الجَهْم وشرُّه وذِكْرُه كلَّ أحدٍ بسوءٍ من صديقه وعدوّه تحاماه الناسُ، فخرج عن بغداد إلى الشأم، فاتّفقنا في قافلةٍ إلى حَلَب. وخرج علينا نَفَرٌ من الأعراب، فتسرَّع إليهم قومٌ من المُقاتِلة، وخرج فيهم فقاتل قتالاً شديداً وهزَم الأعرابَ. فلمّا كان من غدٍ خرج علينا منهم خَلْقٌ كثير، فتسرَّعت إليهم المُقَاتِلَةُ وخرج فيهم فأصابته طَعْنَةٌ قتلته، فجئنا به واحتملناه وهو يَنْزِف دمَه. فلما رآني بكى وجعل يُوصِيني بما يريد. فقلت له: ليس عليك بأس. فلما أمسينا قلِق قلقاً شديداً وأحسَّ بالموت، فجعل يقول:

[١٠/٤] / أَزِيـدَ فـي الليـلِ ليـلُ أم سَـالَ بـالصُّبـح سَيْـلُ

---

(١) السجيل: حجارة كالمدر.
(٢) الهاروني: قصر قرب سامراء ينسب إلى هارون الواثق بالله. وهو على دجلة بينه وبين سامراء ميل.
(٣) يحتمل جداً أن تكون: «تفضي».

ذكـــرتُ أهـــلَ دُجَيْـــلِ[1] وأيـــن مِنّـــي دُجَيْـــلُ

فأبكى كلَّ من كان في القافلة، ومات مع السَّحَر، فدُفِن في ذلك المنزل على مرحلة من حَلَب.

* * *

ومن صنعة أبي عيسى بن المتوكِّل

صـوت

إنِ النـاسُ غَطَّـوْنـي تَغَطَّيْـتُ عنهـمُ وإن بحثـوا عنّـي ففيهـم مَبـاحِـثُ

وإن حفَـروا بئـري حَفَـرتُ بِئـارَهـم فسـوف تَـرَى مـاذا تُثيـر النَّبـائـث[2]

الشعر لأبي دُلامة. والغِناء لأبي عيسى بن المتوكِّل، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ عن المعتزّ.



(١) دجيل: نهر مخرجه من أعلى بغداد بين تكريت وبينها مقابل القادسية دون سامرا.

(٢) النبائث: جمع نبيثة، وهي تراب البئر.

/ أخبار أبي دُلامة ونسبه

[١٠/٢٣٥]

نسبه وهو مولى لبني أسد وكان فاسد الدين متهتكاً:

أبو دُلامة زَنْد بن الجَوْن. وأكثرُ الناس يُصَحِّف اسمَه فيقول «زيد» بالياء، وذلك خطأ، وهو زَنْد بالنون. وهو كوفيٌّ أسودُ، مولًى لبني أَسَد. كان أبوه عبداً لرجل منهم يقال له فضافض فأعتقه. وأدرك آخرَ أيّامِ بني أميّة، ولم يكن له في أيّامهم نباهة، ونبغ في أيام بني العبّاس، وانقطع إلى أبي عبّاس وأبي جعفر المنصور والمهديّ، فكانوا يقدّمونه ويَصِلونه ويستطيبون مجالستَه ونوادرَه. وقد كان انقطع إلى رَوْح بن حاتم المُهَلَّبيِّ أيضاً في بعض أيّامه. ولم يصِل إلى أحدٍ من الشعراء ما وصل إلى أبي دُلَامة من المنصور خاصّةً. وكان فاسدَ الدِّين، رديءَ المذهب، مرتكِباً للمحارم، مُضَيِّعاً للفروض، مجاهراً بذلك، وكان يُعْلَم هذا منه ويُعْرَف به، فيُتَجافَى عنه لِلُطْفِ مَحَلِّه.

أول شعر عرف به:

وكان أوّلُ ما حُفِظ من شعره وأسْنِيَتِ / الجوائزُ له به قصيدةٌ مدح بها أبا جعفر المنصور وذكَر قَتْلَه أبا مسلم. فأخبرني أحمد بن عُبَيْدالله بن عَمّار قال حدّثني محمد بن داود بن الجَرّاح عن محمد بن القاسم عن أحمد بن حَبِيبٍ قال: لمّا قال أبو دُلَامةَ قصيدتَه في قتل أبي مسلم التي يقول فيها: [١٢١/٩]

أبا مُسْلِمٍ خَوَّفْتَني القتلَ فانْتَحَى ... عليك بما خَوَّفْتَني الأسَدُ الوَرْدُ

أبا مسلم ما غَيَّر الله نعمةً ... على عبده حتى يغيِّرَها العبدُ

أنشدها المنصورَ في مَحْفِلٍ من الناس، فقال له: احتكم. قال: عشرة آلاف درهم، فأمَر له بها. فلمّا خلا به قال له: إيهِ!! أمَا والله لو تَعَدَّيْتَها لقتلتُك.

أخبرني أحمد بن عُبَيْدالله بن عَمّار قال حدّثني عليّ بن مُسْلِم عن أبيه: سَمَّى لي أبو دُلَامةَ نفسَه زَنْداً (بالنون) ابنَ الجَوْن. وأسلم مولاه فضافض، وله أيضاً شعر، وكان في الصَّحَابة.

[١٠/٢٣٦]

/ أعفاه المنصور من لبس السواد والقلانس دون الناس:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني جعفر بن الحسين المُهَلَّبيّ قال:

كان أبو جعفر المنصور قد أمر أصحابَه بلُبْس السَّوَاد وقَلانِسَ طِوالٍ تُدْعَم بعِيدانٍ من داخلها، وأن يعلّقوا السُّيوفَ في المناطق، ويكتبوا على ظهورهم: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾. فدخل عليه أبو دُلامة في هذا الزِّيّ. فقال له أبو جعفر: ما حالُك؟ قال: شَرُّ حالٍ، وجْهِي في نِصْفي، وسَيْفي في أستي، وكتابُ الله وراءَ ظهري، وقد صبغت بالسَّواد ثيابي، فضحك منه وأعفاه وحدَه من ذلك، وقال له: إيّاك أن يَسْمَع هذا منك أحد.

ونسختُ من كتابٍ لابن النَّطّاح فذكَر مِثْلَ هذه القصة سواءً وزاد فيها:

وكنّا نرجّي من إمامٍ زيادةً فجاد بطُولٍ زاده في القلانس
تراها على هام الرجال كأنّها دِنانُ يهودٍ جُلّلَتْ بالبرانس

فضحِك منه وأعفاه.

طلب من المنصور أو السفاح، كلب صيد ثم تدرج في الطلب إلى أشياء كثيرة:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد النحويّ قال حدّثني الجاحظ قال:

كان أبو دُلامَةَ بين يَدَيِ المنصور واقفاً - وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيْبة أنه كان واقفاً بين يَدَي السَّفَّاح - فقال له: سَلْني حاجتَك. قال أبو دُلامة: كلبٌ أتصيَّد به. قال: أعطوه إيّاه. قال: ودابّةٌ أتصيّد عليها. قال: أعطُوه. قال: وغلامٌ يَصِيد بالكلب ويقوده. قال: أعطُوه غلاماً. قال: وجاريةٌ تُصْلح لنا الصَّيْدَ وتُطْعِمنا منه. قال: أعطوه جاريةً. قال: هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدُك فلا بُدَّ لهم من دارٍ يسكنونها. قال: أعطوه داراً تجمعهم. قال: فإن لم تكن لهم ضَيْعةٌ فمن أين / يعيشون! قال: قد أعطيتُك مائةَ جَرِيبٍ[1] عامرةً ومائةَ جَرِيب غامرة. قال: وما الغامرة؟ قال: ما لا نباتَ فيه. فقال: قد أقطعتُك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جَرِيب غامرةً من فَيَافِي بني أَسَد. فضحِك وقال: اجعلوها كلَّها عامرةً. قال: فأْذَنْ لي أن أُقَبِّل يدَك. قال: أمّا هذه فدَعْها. قال: والله ما منعتَ عيالي شيئاً أقلّ ضرراً عليهم منها. قال الجاحظ: فانْظُرْ إلى حِذْقه بالمسألة ولُطْفه فيها: إبتدأ بكلب فسهَّل القصّةَ به، وجعل يأتي بما يليه على ترتيبٍ وفُكَاهةٍ، حتى نال ما لو سأله بديهةً لَمَا وصل إليه.

كني باسم جبل بمكة:

أخبرني عليّ بن سليمانَ الأخفش قال حدّثني السُّكَّريّ عن محمد بن حَبيبَ قال: إسم / أبي دُلامة زَنْدٌ بالنون، ومن الناس من يرويه بالياء، وكُنّيَ أبا دُلامة بأسم جبلٍ بمكة يقال له أبو دُلَامة، كانت قريش تَئِدُ فيه البناتِ في الجاهليّة؛ وهو بأعلى مكة.

أنشد المنصور شعراً فأجازه:

وأخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة، وأخبرني عمّي قال حدّثني الكُرَانيّ عن العُمَريّ عن الهَيْثَم قال:

دخل أبو دُلامةَ على المنصور فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها:

إنّ الخَلِيطَ أَجَدَّ البينَ فانْتجعوا[2] وزوّدوكَ خَبالاً بئس ما صنعوا
والله يعلم أنْ كادت لِبَيْنِهِمُ يومَ الفِراق حَصَاةُ القلب تَنْصَدِع
عجِبتُ من صِبْيتي يوماً وأُمِّهمُ أُمِّ الدُّلامةِ لمّا هاجَها الجَزَع
لا باركَ اللهُ فيها من مُنَبِّهةٍ هَبَّتْ تَلُوم عيالي بعد ما هَجعوا

(١) الجريب من الأرض: ثلاثة آلاف وستمائة ذراع، وقيل: عشرة آلاف ذراع.
(٢) كان الأفضل أن يكون «أجدّوا البين فانتجعوا» ليتفق الضميران. على أنه يجوز أن يكون ضمير «الخليط» منفرداً وجمعاً.

ونحـــن مُشْتَبِهـــو الألـــوان أوجهُنـــا سُـــودٌ قِبـاحٌ وفـي أسمـائنـا شَنَـعُ
إذا تَشَكَّـــتْ إلـــيَّ الجـــوعَ قلـــتُ لهـــا مـا هـاج جُـوعَـكِ إلاّ الـرِّيُّ والشِّبَـعُ

/ ـ ويُرْوَى وهو الجيّد: [١٠/٢٣٨]

أذَابَـكِ الجـوعُ مُـذْ صـارت عيـالتُنـا علـى الخليفـة منـه الـرِّيُّ والشِّبَـعُ
لا والـذي يـا أميـر المـؤمنيـن قَضَـى لـكَ الخـلافـةَ فـي أسبـابهـا الـرُّفَـعُ
مـازِلـتُ أخلِصُهـا كَسْبِـي فتـأكلُـه دونـي ودون عيـالـي ثـم تضطجـعُ
شَـوْهـاءُ مَشْنَـأةٌ فـي بطنهـا ثَجَـلٌ وفـي المفـاصـل مـن أوصـالهـا فَـدَعُ[١]
ذكَّـرتُهـا بكتـاب الله حُـرمتَنـا ولـم تكـن بكتـاب الله تَنْتفـعُ
فـاخْـرَنْطَمَـتْ[٢] ثـم قـالـت وهـي مُغضَبَـةٌ أأنـت تتلـو كتـابَ الله يـا لُكَـعُ
أُخـرُجْ لِتَبْـغِ لنـا مـالاً ومَـزْرَعَـةً كمـا لجيـرانـنـا مـالٌ ومُـزْدَرَعُ
وأخْـدَعْ خليفتَنـا عنهـا بمسـألـةٍ إنّ الخليفـة للسُّـؤّال ينخـدعُ

فضحِك أبو جعفر وقال: أرضوها عنّي وأكتبوا له بمائتي جَريب عامرة ومائتي جريب غامرة ـ وقال الهيثم: بستمائة جَريب عامرة وغامرة ـ فقال له: أنا أُقطِعك يا أمير المؤمنين أربعةَ آلاف جَريب غامرة فيما بين الحِيرة والنَّجَف، وإن شئتَ زِدتُك. فضحِك وقال: اجعلوها كلَّها عامرة.

شهد عند ابن أبي ليلى لجارة له وقال شعراً فأمضى ابن أبي ليلى شهادته:

حدّثني محمد بن أحمد بن الطَّلّاس قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنيّ قال:

شهِد أبو دُلَامة بشهادة لجارة له عندَ ابن أبي ليلى[٣] على أتانٍ نازعها فيها رجل. فلمّا فرغ من الشهادة قال: اسْمَعْ ما قلتُ فيك قبل أن آتيَك ثم أقْضِ ما شئتَ. قال: هات؛ فأنشده:

/ إن النـاسُ غَطَّـوْنـي تغطَّيْـتُ عنهـمُ وإن بحثـوا عنّـي ففيهـم مَبـاحِـثُ [١٠/٢٣٩]
وإن حفَـروا بئـري حفـرتُ بئـارَهـم لِيُعْلَـم يـومـاً كيـف تلـك النَّبـائـثُ

ثم أقبل على المرأة فقال: أتَبيعيني الأتانَ؟ قالت نعم. قال: بكم؟ قالت: بمائة درهم. قال: ادفعوها إليها ففعلوا. وأقبل على الرجل فقال: قد وهبتُها لك، وقال لأبي دُلَامة: قد أمْضَيْتُ شهادتَك ولم أبحث عنك، وأبتعتُ ممّن شَهِدتَ له، ووهبتُ مِلكي لمن رأيتُ. أرَضِيتَ؟ قال نعم، وانصرف.

شرب مع السيد الحميري أو أبي عطاء السندي فذم ابنته وأخبر المنصور فأكرمه:

/ أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا أبو بكر أحمد بن أبي خَيْثَمة قال حدّثنا محمد بن سَلَّام عن $\frac{١٢٣}{٩}$ عليّ بن إسماعيل قال:

(١) الثجل: عظم البطن واسترخاؤه. والفدع: الاعوجاج.
(٢) اخرنطمت: رفعت أنفها واستكبرت وغضبت.
(٣) هو محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى قاضي الكوفة. أوّل من استقضاه على الكوفة يوسف بن عمر الثقفي واستقضاه بعد ذلك بنو العباس.

كنتُ أَسْقِي أبا دُلَامة والسيِّد، إذ خرجتْ بنتٌ لأبي دُلَامة، فقال فيها أبو دُلَامة:

فما ولدتك مريمُ أمُّ عيسى ... ولا ربَّاكِ لُقْمانُ الحكيمُ

أجِزْيا أبا هاشم. فقال السيد[1]:

ولكن قد تَضُمُّكِ أُمُّ سَوْءٍ ... إلى لَبَّاتها وأبٌ لئيمُ

فضحِك لذلك. ثم غدا أبو دُلَامة إلى المنصور فألفاه في الرَّحْبَة يُصْلِح فيها شيئاً يريده، فأخبره بقصّة بنته وأنشده البيتين، ثم أندفع فأنشده بعدهما:

لو كان يَقْعُد فوق الشمس من كَرَمٍ ... قومٌ لقيل أقعدوا يا آل عبّاس

ثم أرتقُوا في شُعاع الشمس كلُّكُم ... إلى السماء فأنتم أظهرُ الناس

وقدِّموا القائمَ المنصورَ رأسَكُم ... فالعينُ والأنف والأُذْنان في الرأس

[١٠/٢٤٠] / فأستحسنها، وقال له: بأيّ شيء تحبُّ أن أُعِينَكَ على قُبْحِ أبنتِك هذه؟ فأخرج خَرِيطةً قد كان خاطها من الليل فقال: تملأ لي هذه دراهم، فمُلِئتْ فوَسِعتْ أربعةَ آلاف درهم.

وقد أخبرني بهذا الخبر عمّي قال حدّثنا الكُرَانيّ قال حدّثني العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال:

دخل أبو عَطَاء السِّنْدِيّ يوماً إلى أبي دُلَامة فأحتبسه عنده، ودعا بطعام فأكلا وشبِعا، وخرجتْ إلى أبي دُلَامة صَبِيَّةٌ له فحملها على كتفه، فبالت عليه فنبَذها عن كتفه، ثم قال:

بَلَلْتِ عليَّ ـ لا حُيِّيتِ ـ ثوبي ... فبال عليكِ شيطانٌ رجيمُ

فما ولَدتك مريمُ أُمُّ عيسى ... ولا ربَّاكِ لُقْمانُ الحكيمُ

ثم ألتفت إلى أبي عطاء فقال له: أجِزْ. فقال:

صدقتَ أبا دُلامةَ لم تَلِدْها ... مُطَهَّرةٌ ولا فحلٌ كريمُ

ولكن قد حَوَتْها أُمُّ سَوْءٍ ... إلى لَبَّاتها وأبٌ لئيمُ

فقال له أبو دُلَامة: عليك لعنةُ الله! ما حملكَ على أن بلغتَ بي هذا كلّه! والله لا أنازِعك بيتَ شعرٍ أبداً. فقال أبو عَطَاء: لأن يكونَ الهربُ من جهتك أحبُّ إليّ.

رثى السفاح عند المنصور فغضب وأراد إخراجه إلى الحرب فاسترضاه:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني عبدالله بن المعتزّ قال حدّثني أبو مالك عبدالله بن محمد قال حدّثني أبي قال:

لمّا تُوفّي أبو العبّاس السفّاح دخل أبو دُلَامةَ على المنصور والناس عنده يُعَزُّونه؛ فأنشأ أبو دُلامة يقول:

أمْسَيْتَ بالأنبار يابنَ محمدٍ ... لم تستطع عن عُقْرِها تحويلا

(١) كذا في حـ. وفي سائر النسخ: «السندي». وقد رجحنا رواية حـ لأن أبا هاشم كنية السيد الحميري. وسيأتي في الصفحة التالية هذا الخبر بين أبي دلامة وأبي عطاء السندي. فلعل ذلك هو الذي أوقع النساخ في هذا اللبس.

وَيْلـي عليـك أهلـي كلُّهـم ... ويـلاً وعَـوْلاً فـي الحيـاة طـويـلا

/ فَلْتَبْكِيَـنَّ لـك النسـاءُ بِعَبْـرةٍ ... ولْيَبْكِيَـنَّ لـك الـرِّجـالُ عَـويـلا [٢٤١/١٠]

مـات النَّـدَى إذ مِـتَّ يـا بْـن محمـد ... فجعلتَـه لـك فـي الثَّـراء[1] عـديـلا

إنّـي سـألـتُ النـاسَ بعـدك كلَّهـم ... فـوجـدتُ أسمـحَ مَـنْ سـألـتُ بخيـلا

ألِشِقْـوتـي أُخّـرتُ بعـدك للتـي ... تَـدَعُ العـزيـزَ مـن الـرجـال ذليـلا

/ فَـلأحْلِفَـنَّ بيميـنَ حـقٍّ بَـرّةً ... بـالله مـا أُعطِيـتُ بعـدك سُـولا[2] ١٢٤/٩

قال: فأبكى الناسَ قولُه. فغضِب المنصورُ غضباً شديداً وقال: لئن سمعتُك تُنشِدُ هذه القصيدةَ لأقطعنَّ لسانَك. فقال أبو دُلامة: يا أمير المؤمنين، إنّ أبا العباس أميرَ المؤمنين كان لي مُكْرِماً وهو الذي جاء بي من البَدْو كما جاء الله بإخوة يوسف إليه، فقل كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ﴾. فسُرِّيَ عن المنصور وقال: قد أقلناك يا أبا دُلامة، فسَلْ حاجتَك. فقال: يا أمير المؤمنين، قد كان أبو العبّاس أمَرَ لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً وهو مريض ولم أقبِضْها. فقال المنصور: ومَنْ يعرِف هذا؟ فقال: هؤلاء، وأشار إلى جماعة ممن حضَر. فوثَب سليمانُ بنُ مُجالِد وأبو الجَهْم فقالا: صدَق أبو دلامة، نحن نعلم ذلك. فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مَغيظ: يا سليمانُ أدْفَعْها إليه وسيِّرْه إلى هذا الطاغية (يعني عبدالله بن عليّ[3]، وقد كان خرج بناحية الشام، وأظهر الخلافَ). فوثَب أبو دُلامة فقال: يا أمير المؤمنين، إني أُعيذُك بالله أن أخرج معهم، فوالله إني لمشؤوم. فقال المنصور: امْضِ فإن يُمْني يَغْلِب شُؤمَك فاخْرُجْ.

/ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أُحِبُّ لك أن تجرِّبَ ذلك منّي على مثل هذا العسكر؛ فإني لا أدري أيُّهما يَغْلِب: أيُمْنُك أم شؤمي، إلاّ أني بنفسي أوثَقُ وأعْرَفُ وأطوَلُ تجربةً. قال: دَعْني من هذا فمالَك من الخروج بدّ. فقال: إني أَصْدُقُك الآنَ، شَهِدتُ والله تسعةَ عشرَ عسكراً كلُّها هُزِمتْ؛ وكنتُ سببَها. فإن شئتَ الآن على بَصيرةٍ أن يكون عسكرُك العشرين فافعَلْ. فاستغرب[4] أبو جعفر ضحِكاً، وأمره أن يتخلَّف مع عيسى[5] بن موسى بالكوفة. [٢٤٢/١٠]

أغضب المنصور لكثرة مدحه السفاح:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرَانيّ قال حدّثني العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال:

لمّا مات أبو العبّاس السفّاح ووَلِيَ المنصورُ، دخل عليه أبو دُلامَة، فقال له أبو جعفر: ألستَ القائلَ لأبي العبّاس:

(١) الثراء: لغة في الثري. وسيرد في الصفحة التالية رواية أخرى: «بالتراب».
(٢) السول (يهمز ولا يهمز): ما سألته.
(٣) هو عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس عم الخليفة المنصور، خرج عليه سنة ست وثلاثين ومائة ودعا لنفسه؛ فوجه إليه المنصور أبا مسلم الخراساني ووقعت له معه وقعة هائلة دارت فيها الدائرة أخيراً على عبدالله.
(٤) أي أكثر من الضحك وبالغ فيه.
(٥) هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي الهاشمي العباسي أمير الكوفة. وكان وليّ عهد المنصور بعهد من السفاح ثم قدّم المنصور عليه في ولاية العهد ابنه المهدي، ثم خلعه المهدي من ولاية العهد.

وكنّا بالخليفة قد عَقَدْنا لِـواءَ الأمـر فـانْتَقـض اللـواءُ
فنحن رَعِيَّةٌ هَلَكَت ضَياعاً تَسُوق بنا إلى الفِتَن الرِّعاءُ

قال: ما قلت هذا يا أمير المؤمنين. قال: كذبتَ والله! أفَلَسْتَ القائل:

هلَك النَّدَى إذ بِنتَ يا ابن محمدٍ فجعلتَه لك في التراب عَديلا
ولقد سألتُ الناسَ بعدَك كلَّهم فوجدتُ أكرمَ مَنْ سألتُ بخيلا
ولقد حَلَفْتُ على يمينٍ بَرَّةٍ بالله ما أُعطِيتُ بعدَك سُولا

فقال أبو دُلَامة: إنّ أخاك صلّى الله عليه غلَبني على صبري، وسلَبني عزيمتي، وعَزَّني بإحسانه إليّ وجزعي عليه، فقلت ما لم أتأمّله، وإني أرغب في الثمن فٱستَفْرَهَ السِّلْعةَ حيّاً وميّتاً. فإن أعطَيْتَ ما أعطى، أخذتَ ما أخذ. فأمر به فحُبِس ثلاثاً ثم خَلّى سبيلَه ودعاه إليه فوصلَه، ثم عاد له إلى ما كان عليه.

[٢٤٣/١٠] / **أمره روح بن حاتم بمبارزة خارجي فخدعه:**

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن سعيد الدِّمَشْقِيّ قال حدّثني أبو دُلامة قال:

١٢٥/٩ أُتِيَ بي المنصورُ أو المهديُّ وأنا سكران، فحلَف لَيُخرِجَنّي / في بَعْثِ حربٍ، فأخرجني مع رَوْح بن حاتم[1] المهلَّبيّ لقتال الشُّراةِ[2]. فلما ٱلتقى الجمعان قلت لرَوْح: أمَا والله لو أنّ تحتي فرسَكَ ومعي سلاحَكَ لأثرتُ في عدوّك اليوم أثراً ترتضيه. فضحك وقال: والله العظيم لأدفعَنّ ذلك إليك، ولآخذنّك بالوفاء بشرطك. ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إليّ، ودعا بغيرهما فاستبدل به. فلمّا حصَل ذلك في يدي وزالت عنّي حلاوة الطمع، قلت له: أيها الأمير، هذا مقام العائذ بك، وقد قلت بيتين فأسمعهما. قال: هات، فأنشدتُه:

إنـي أستجـرتُـك أن أُقـدَّم فـي الـوَغـى لِتَطـاعُـنٍ وتَنـازُلٍ وضِـرابِ
فهَـبِ السُّيـوفَ رأيتُهـا مشهـورةً فتـركتُهـا ومَضيـتُ فـي الهُـرَّابِ
مـاذا تقـول لِمـا يجـيء ومـا يُـرى مـن واردات المـوت فـي النُّشّـابِ

فقال: دع عنك هذا وستعلم. وبرَز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة، فقال: اخرج إليه يا أبا دُلامة. فقلت: أَنْشُدكَ اللهَ أيّها الأمير في دمي. قال: والله لَتَخرُجَنّ. فقلت: أيها الأمير فإنه أوّل يوم من الآخرة وآخرُ يوم من الدنيا، وأنا والله جائع ما شَبِعَتْ منّي جارحةٌ من الجوع، فَمُرْ لي بشيءٍ آكله ثم أخرُج. فأمر لي برغيفين ودَجاجة، فأخذتُ ذلك وبرزتُ عن الصفّ. فلما رآني الشاري أقبل نحوي عليه فَرْوٌ وقد أصابه المَطَرُ فٱبتَلّ، [٢٤٤/١٠] وأصابته الشمس فاقْفَعلَّ[3] وعيناه تَقِدان، فأسرع إليّ. / فقلت له: على رِسلِك يا هذا كما أنت، فوقف. فقلت: أتقتل مَنْ لا يقاتلك؟ قال لا. قلت: أتقتل رجلاً على دِينك؟ قال لا. قلت: أفتستحِلُّ ذلك قبل أن تدعو مَنْ تقاتله إلى دينك؟ قال: لا، فاذهب عنّي إلى لعنة الله. قلت: لا أفعل أو تسمَعَ منّي. قال: قل. قلت: هل كانت بيننا قطُّ عداوةٌ أو تِرَةٌ، أو تعرِفُني بحالٍ تُحْفِظك عليّ، أو تعلم بين أهلي وأهلك وِتْراً؟ قال: لا والله.

(١) هو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة، ولي إفريقية والبصرة وغيرهما، وكان جليلاً شجاعاً جواداً.
(٢) الشراة: الخوارج.
(٣) كذا في حـ. واقفعل: تقبض. وفي سائر النسخ: «فاتفعل». هو تحريف.

قلت: ولا أنا والله لك إلا جميل الرأي، وإني لأهواك وأنتحل مذهبكَ وأدِين دينك وأريد السُّوءَ لمن أراده لك. قال: يا هذا جزاك الله خيراً فانصرِفْ. قلت: إنّ معي زاداً أُحِبُّ أن آكُلَه معك، وأُحِبُّ مُوَاكلتَك لتتوكَّدَ المودّةُ بيننا، ويرى أهلُ العسكر هوانَهم علينا. قال: فافعل. فتقدّمتُ إليه حتى اختلفتْ أعناقُ دوابِّنا وجمعْنا أرجلَنا على مَعَارفها والناس قد غُلِبوا ضَحِكاً. فلما استَوْفَيْنا ودّعَني. ثم قلت له: إنّ هذا الجاهلَ إن أقمتَ على طلب المبارزة ندَبني إليك فتُتْعِبُني وتَتْعَبُ. فإن رأيتَ ألاّ تبرُزَ اليوم فافعلْ. قال: قد فعلتُ، ثم انصرف وانصرفتُ. فقلت لرَوْح: أمّا أنا فقد كفَيْتُك قِرْنِي فقل لغيري أن يَكْفِيَكَ قِرْنَه كما كفَيْتُك، فأمسك. وخرج آخر يدعو إلى البِرَازِ، فقال لي: اخرج إليه. فقلت[1]:

إنــي أَعُــوذ بــرَوْحٍ أن يقــدِّمنــي	إلــى البِــراز فتَخْــزَى بــي بنــو أَسَــدِ
إنّ البِــرازَ إلــى الأقــران أعلمُــه	ممــا يفــرِّق بيــن الــروح والجســد
قــد حــالفتْــك المنــايا إذ صَمَــدْتَ[2] لهــا	وأصبحــتْ لجميــع الخلــق بــالــرَّصَــد
/ إنّ المهلَّــبَ حُــبَّ المــوت أورثكــم	ومــا وَرِثــتُ اختيــارَ المــوت عــن أحــد [٢٤٥/١٠]
لــو أنّ لــي مهجــةً أخــرى لجُــدتُ بهــا	لكنّهــا خُلِقَــتْ فَــرداً فلــم أَجُــدِ

فضحِك وأعفاني.

أمره مروان بن محمد بمبارزة خارجي ففر منه:

أخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيْبة قال قال أبو دُلاَمة:

كنتُ / في عَسْكَر مروانَ[3] أيام زحَف إلى سِنَانٍ الخارجيّ. فلمّا التقى الزَّحْفان خرج منهم رجلٌ فنادى: ١٢٦/٩ مَنْ يبارز؟ فلم يخرج إليه أحدٌ إلاّ أعْجله ولم يُنَهْنِهْهُ[4]. فغاظ ذلك مروانَ وجعل ينْدُبُ الناسَ على[5] خَمْسمائة، فقُتِلَ أصحابُ الخمسمائة، فزاد مروانُ وندَبهم على ألفٍ، ولم يزل يَزِيدهم حتى بلغ خمسةَ آلاف درهم. وكان تحتي فرس لا أخاف خَوْنَه؛ فلمّا سمعتُ بالخمسة[6] آلاف ترقّبته[7] واقتحمتُ الصَّفَّ. فلمّا نظرني الخارجيُّ علِم أنّي خرجتُ للطمع؛ فأقبل إليّ مُتَهيّئاً وإذا عليه فَرْوٌ قد أصابه المطر فابتلّ، ثم أصابَته الشمسُ فاقْفَعَلّ، وإذا عيناه تَقِدانِ كأنّهما من غَوْرِهما في وَقْبَيْن[8]. فلمّا دنا منّي أنشأ يقول:

(١) وردت هذه الأبيات في «وفيات الأعيان» لابن خلكان هكذا:

إنــي أعــوذ بــروح أن يقــدمنــي	إلــى القتــال فيخــزى بــي بنــو أســد
إن المهلــب حــب المــوت أورثكــم	ولــم أرث أنــا حــب المــوت مــن أحــد
إن الــدنــو إلــى الأعــداء أعلمــه	ممــا يفــرق بيــن الــروح والجســد

(٢) في الأصول: «إن صدمت» وهو تحريف.

(٣) يعني مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية.

(٤) نهنهه: كفه وزجره. وسياق الكلام يقتضي أن يكون «ولم يمهله».

(٥) في الأصول: «عن».

(٦) هذه لغة ضعيفة وأفصح اللغات: «بخمسة الآلاف».

(٧) ترقبته: رصدته.

(٨) الوقب هنا: نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء.

وخـارجٍ أخـرجـه حُـبُّ الطَّمَـعْ فَـرّ مـن المـوت وفـي المـوت وَقَـعْ

* مَنْ كان يَنْوِي أهلَه فلا رَجَعْ *

فلمّا وقَرتْ في أُذُني انصرفتُ عنه هارباً. وجعل مروانُ يقول: مَنْ هذا الفاضحُ؟ إيتوني به، فدخلتُ في غِمار النّاس فنجَوْتُ.

أعطاه موسى بن داود مالاً ليحج معه فهرب إلى السواد وسكر بالمال:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن سعيد قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا جعفر بن الحُسَين اللَّهَبيّ قال:

[١٠/٢٤٦] / عزم موسى بن داود بن عليّ الهاشميّ[١] على الحج. فقال لأبي دُلامة: احجُجْ معي ولك عشرةُ آلاف درهم. فقال: هاتِها؛ فدُفِعتْ إليه، فأخذها وهرب إلى السَّوَاد، فجعل يُنْفِقها هناك ويَشْرَب بها الخمر. فطلبه موسى فلم يقدِر عليه، وخشِي فَوْتَ الحج فخرج. فلمّا شارف القادسيّةَ إذا هو بأبي دُلَامة خارجاً[٢] من قرية إلى أخرى وهو سكرانُ، فأمر بأخذه وتقْيِيدِه وطَرْحِه في مَحْمِلٍ بين يديه ففُعِل ذلك به. فلمّا سار غيرَ بعيد أقبل على موسى وناداه:

يـأيُّهـا النـاسُ قـولـوا أجمعـون[٣] معـاً صلّـى الإلـه علـى مـوسـى بـن داود

كـأنّ دِيبَـاجتَـيْ خـدّيـه مـن ذهـبٍ إذا بـدا لـك فـي أثـوابـه السُّـود

إنّـي أعـوذ بـداودٍ وأَعْظُمِـه مـن أن أُكلَّـف حَجّـاً يـابـن داود

خُبِّـرتُ أنّ طـريـقَ الحـجّ مَعْطَشَـةٌ مـن الشـراب ومـا شُرْبـي بتَصْـريـدِ[٤]

واللهِ مـا فـيَّ مـن أجـرٍ فتطلبَـه ولا الثنـاءُ علـى دِينـي بمحمـود

فقال موسى: أَلْقُوه لَعَنه اللهُ عن المَحْمِل ودَعُوه ينصرفُ، فأُلْقِيَ وعاد إلى قَصْفه بالسَّوَاد، حتى نَفِدتِ العشرةُ آلافِ[٥] درهم.

أمره المنصور بملازمة الجماعة في مسجد القصر فقال شعراً يستعفيه:

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير عن جعفر بن الحسين اللَّهَبيّ، وأخبرني عمّي عن الكُرَانيّ عن العُمَري عن الهَيْثم بن عَدِيّ قالا[٦]:

قال أبو أيّوب المُورِيانِيّ لأبي جعفر، وكان يَشْنأ أبا دُلَامةَ: إنّ أبا دلامة معتكفٌ على الخمر فما يحضُر

(١) هو ابن عم السفاح، كان أبوه داود أمير مكة والمدينة، واستخلف حين احتضر على عمله ولده موسى. فاستعمل السفاح خاله زياداً على مكة، وموسى بن داود هذا على إمرة المدينة.

(٢) في الأصول: «خارج».

(٣) في الأصول المخطوطة: «أجمعين».

(٤) صرد شربه: قطعه.

(٥) راجع الحاشية رقم ٤ في الصفحة السابقة.

(٦) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «قال» وهو تحريف.

صلاةً ولا مسجداً، وقد أفسد فِتيانَ العسكر. فلو أمرتَه / بالصلاة معك لأُجِرْتَ فيه وفي غيره من فِتيان عسكرك [١٠/٢٤٧] بقَطْعِه عنهم. فلمّا دخل عليه أبو دُلَامَةَ قال له: يابْنَ اللَّخْناء، ما هذا المُجون الذي يبلُغني عنك!. قال أبو دُلَامة: يا أمير المؤمنين ما أنا والمجونَ وقد شارفتُ بابَ قبري!. قال: دَعْني من استكانتك وتَضرُّعِك، وإيّاك أن تفوتَك صلاةُ الظهرِ والعصرِ في مسجدي. فلئن فاتتاكَ لأُحسِنَنَّ أدَبك ولأُطِيلَنَّ حَبْسَك. فوقع في شرٍّ ولَزِم المسجدَ أيّاماً، / ثم كتب قِصَّتَه ودفعها إلى المهديّ فأوصلها إلى أبيه، وكان فيها: [١٢٧/٩]

ألــم تَعْلَمَــا أنّ الخليفــة لَــزَّنــي[1] ... بمسجــده والقصــرِ مــالــي وللقصــر!

أصَلِّــي بــه الأولــى جميعــاً وعصــرَهــا ... فَويلي مـن الأولـى ووَيْلي[2] مـن العصر

أصَلِّيهمــا بــالكُــرْهِ فــي غيــر مسجــدي ... فمــالِيَ فـي الأولـى ولا العصـرِ مـن أجـر

لقـد كـان فـي قـومـي مسـاجـدُ جَمَّـةٌ ... ســواه ولكــن كــان قَــدْراً مــن القَــدْر

يكلِّفنــي مــن بعــد مــا شِبــتُ خُطَّــةً ... يَحُــطُّ بهــا عنّــي الثقيــلَ مــن الــوِزْر

ومــا ضَــرُّه والله يغفــر ذنبَــه ... لَــوَ انّ ذنــوبَ العــالميــن علــى ظَهْــري

قال: فلمّا قرأ المنصور قِصَّتَه ضحِك وأعفاه من الحضور معه، وأحلَفَه أن يصلِّيَ الصلاةَ في مسجد قبيلته.

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد عن الزُّبَيْر عن عمّه، ونسختُ من بعض الكتب عن نصر بن محمد الخَزّاز[3] عن أبيه عن الهَيْثَم بن عَدِيّ ورَوّاتِيه بعضُ من روَى عن الزُّبَيْر.

أنّ أبا جعفر كان يُحِبُّ العَبَثَ بأبي دُلَامة ـ وقال الآخر: إنّ أبا العبّاس السَّفّاح كان يحب ذلك ـ فكان يسأل عنه فيوجَد في بيوت الخَمّارين لا فَضْلَ فيه. فعاتبه / على انقطاعه عنه؛ فقال: إنما أفعل ذلك خوفاً أن تَمَلَّني. [١٠/٢٤٨] فعلم أنه يُحَاجِزُه[4]، فأمر الربيعَ أن يوكِّل به من يَحْضِره الصلواتِ معه في جماعةٍ في الدار. فلمّا طال ذلك عليه قال:

ألــم تَــرَيَــا أنّ الخليفــةَ لَــزَّنــي ... بمسجــده والقصــرِ مــالــي وللقصــر!

فقــد صَــدَّنــي عــن مسجــدٍ أستَلِــذُّه ... أعَلَّــلُ فيــه بــالسَّمــاع وبــالخمــر

وكلَّفنــي الأولــى جميعــاً وعصــرَهــا ... فـويلـي مـن الأولـى وعَـوْلـي مـن العَصْرِ

أصَلِّيهمــا بــالكُــرْهِ فــي غيــر مسجــدي ... فمــالـي مـن الأولـى ولا العصـرِ مـن أجـر

يكلِّفنــي مــن بعــد مــا شِبــتُ تَــوْبَــةً ... يَحُــطُّ بهــا عنــي المثــاقيــل مــن وِزري

لقـد كـان فـي قـومـي مسـاجـدُ جَمَّـةٌ ... ولـم ينشـرح يـومـاً لغِشْيـانهـا صـدري

ووالله مــالــي نِيّــةٌ فــي صــلاتــه ... ولا البِـرُّ والإحسـانُ والخيـر مـن أمـري

ومــا ضَــرُّه والله يغفــر ذنبَــه ... لَــوَ انّ ذنــوبَ العــالميــن علــى ظَهْــري

(١) لزه بكذا: ألزمه إياه.

(٢) في جـ: «وعولي».

(٣) في حـ: «الخرزي». وفي أ، م: «الخرازي».

(٤) يعني: يتخلص منه وينتحل المعاذير الباطلة لانقطاعه عنه.

ألزمه المنصور بالقيام شهر رمضان فكتب إلى ريطة شعراً يستشفع بها للمهدي:

فبلغته الأبيات فقال: صدَق! ما يَضُرُّني ذلك، واللهِ لا يصلُح هذا أبداً، فدَعُوه يعمَل ما يشاء. وقال الهيثم في خبره: فقال له أبو جعفر: قد أعفيْناك من هذه الحال، ولكن على ألّا تَدَعَ القيام معنا في ليالي شهر رمضان فقد أظل[1]. فقال: أفعَلُ. قال: إنك إن تأخّرت لشُرْب الخمر عَلِمتُ ذلك. وواللهِ لئن فعلتَ لأَحُدَّنَّك. فقال أبو دُلامة: البليّةُ في شهر أصلَحُ منها في طول الدهر، سمعاً وطاعةً. فلمّا حضَر شهرُ رمضان لزم المسجدَ. وكان المهديّ يبعث إليه في كل ليلة حَرَسِيّاً يجيء به؛ فشَقَّ ذلك عليه، وفزِع إلى الخَيْزُران وأبي عُبَيْد[2] الله وكلٌّ مَنْ [٢٤٩/١٠] كان يلوذ بالمهديّ ليشفَعوا له في الإعفاء / من القيام، فلم يُجبهم. فقال له أبو عُبَيْدالله: الدّالُّ على الخير ۱۲۸/۹ كفاعله، فكيف شُكْرُك؟ قال: أتمُّ شكر. قال: عليك برَيْطة[3] فإنّه لا يخالفها. قال: صدَقْتَ والله، / ثم رفَع إليها رُقْعةً يقول فيها:

أبْلِغَا رَيْطَةَ أنّي ... كنتُ عبداً لأبيها
فمضى يرحمه اللـ ... ـه وأوصى بي إليها
وأراها نَسِيَتْني ... مِثْلَ نسيانِ أخيها
جاء شهرُ الصَّوْمِ يمشي ... مِشْيَةً ما أشتهيها
قائداً لي ليلةَ القَدْ ... رِ كأنّي أبتغيها
تَنْطَحُ القِبلةَ شهراً ... جَبْهَتي لا تأتليها
ولقد عشتُ زماناً ... في فيافيَّ وجيها
في ليالٍ من شتاءٍ ... كنت شيخاً أصْطَليها
قاعداً أوقدُ ناراً ... لِضِبابٍ أشْتَويها
وصَبوحٍ وغَبوقٍ ... في عِلابٍ[4] أحْتَسيها
ما أبالي ليلةَ القَدْ ... رِ ولا تُسْمِعُنيها[5]
فاطلبي لي فرجاً منـ ... ـها وأجْري لكِ فيها

فلمّا قرأتِ الرُّقْعةَ ضَحِكتْ وأرسلتْ إليه: إصطبرْ حتى تمضيَ ليلةُ القَدْر. فكتب إليها: إني لم أسألكِ أن تكلّميه في إعفائي عاماً قابلاً؛ وإذا مضت ليلة القدر فقد فَنِيَ الشَّهْرُ. وكتب تحتها أبياتاً:

[٢٥٠/١٠] / خافي إلٰهكِ في نفسٍ قد احْتُضِرَتْ ... قامت قيامتُها بين المصلّينا

---

(١) أظل: غشي وأشرف وأقبل.

(٢) هو أبو عبيدالله معاوية بن عبيدالله بن يسار الأشعري الكاتب الوزير. كان من رجالات المنصور ثم المهدي. عزله المهدي عن الوزارة ثم جعله على ديوان الرسائل، ثم عزله عنه سنة ١٦٧ هـ.

(٣) ريطة: هي ابنة الخليفة أبي العباس السفاح وزوجة المهدي.

(٤) العلاب: جمع علبة وهي قدح ضخم من جلود الإبل أو هي قدح من خشب.

(٥) لا هنا نافية، وهو خبر يراد به النهي.

ما ليلةُ القَدْرِ من همّي فأطْلُبَها ... إنّي أخاف المنايا قبل عشرينا
يا ليلةَ القدرِ قد كَسّرتِ أرْجُلَنا ... يا ليلةَ القَدْر حقّاً ما تُمَنّينا!؟
لا بارك الله في خيرٍ أؤمِّلُه ... في ليلةٍ بعدما قمنا ثلاثينا

فلما قرأتِ الأبياتَ ضحِكتْ، ودخلت إلى المهديّ فشفَعتْ له إليه، وأنشدتْه الشعرين، فضَحِك حتى أستلقَى، ودعا به ورَيْطةُ معه في الحَجَلة[1] فدخل؛ فأخرج رأسَه إليه وقال: قد شفَّعْنا رَيْطةَ فيك، وأمَرْنا لك بسبعة آلاف درهم. فقال: أمّا شفاعةُ سيِّدتي فيَّ حتى أعفَيْتَني فأعفاها الله من النار. وأمّا السبعة الآلاف فما أعجبني ما فعلتَه؛ إمّا أن تُتِمَّها بثلاثة آلاف فتصيرَ عشرة، أو تَنْقُصَني منها ألفين فتصير خمسة آلاف، فإنّي لا أُحْسِنُ حسابَ السبعة. فقال: قد جعلتُها خمسة. قال: أعيذك بالله أن تختار أدنى الحالين وأنت أنتَ. فعبِث به المهديُّ ساعةً ثم تكلّمتْ فيه رَيْطةُ فأتمّها له عشرةَ آلافِ درهم.

أنشد المهدي شعره في نخاس فضحك منه:

أخبرني الحسين بن عليّ عن حَمّاد عن أبيه قال:

مَرَّ أبو دُلَامة بنَخّاس يَبيع الرقيقَ، فرأى عنده منهنّ من كل شيء حَسَن، فانصرف مهموماً، فدخل إلى المهدي فأنشده:

إن كنتَ تَبْغِي العيشَ حُلْواً صافياً ... فالشعرَ أَعْزِبْه وكن نَخّاسا
تَنَلِ الطَّرائفَ من ظِراف نُهَّدٍ ... يُحْدِثْنَ كلَّ عَشيّةٍ أَعْراسا
/ والربحُ فيما بين ذلك راهنٌ ... سَمْحاً بيعَك كنتَ أو مَكّاسا[2]
دارتْ على الشعراء حِرْفةُ نَوْبةٍ[3] ... فتجرّعوا من بعد كأسٍ كاسا
/ وتَسَرْبَلوا قُمُصَ الكَسادِ فحاولُوا ... بالنَّحْس كَسْباً يُذْهِب الإفلاسا

فجَعل المهديّ يضحك منه.

١٢٩/٩ [٢٥١/١٠]

لقي رؤيا للمنصور وأخذ منه ثيابا:

نسختُ من كتاب ابن النطّاح قال:

دخل أبو دُلَامةَ على المنصور فأنشده:

رأيتُك في المنام كسوتَ جِلْدي ... ثياباً جَمّةً وقضَيْتَ دَيْني
فكان بَنَفْسَجيُّ الخَزِّ فيها ... وساجٌ[4] ناعمٌ فأتمَّ زَيْني

(١) الحجلة: بيت يزين بالثياب والأسرة والستور.
(٢) مكس في البيع يمكس (من باب ضرب): نقص الثمن. والمراد هنا المشاحة في البيع والشراء.
(٣) لعل صوابها: «نوبة حرفة».
(٤) الساج: الطيلسان الأخضر وقيل الأسود وقيل المقور ينسج كذلك، وفي الأساس: «لبسوا السيجان وهي الطيالسة المدوّرة الواسعة».

فصدَّقْ بافَدَتْك النفسُ[1] رؤيا ... رأتها في المنام كذاك عَيْني

فأمر له بذلك وقال له: لا تَعُدْ أن تتحلَّم[2] عليَّ ثانيةً، فأجعَلَ حُلْمَك أضغاثاً ولا أُحَقِّقَه.

حبسه المنصور لسكره فبعث له من الحبس شعراً فعفا عنه:

ثم خرج من عنده ومضى فشرب في بعض الحانات فسكِر وأنصرف وهو يميل. فلقِيه العَسَسُ فأخذوه، وقيل له: من أنت وما دِينُك؟ فقال:

دِيني على دِينِ بني العَبّاسِ ... ما خُتِمَ الطينُ على القِرْطاسِ

إنّي اصطبحتُ أربعاً بالكاسِ ... فقد أدار شُرْبُها براسي

* فهل بما قلتُ لكم من باس *

فأخذوه ومَضَوْا، وخرّقوا ثيابَه وساجَه وأُتِيَ به أبو جعفر - وكان يؤتَى بكلِّ مَنْ أخذه العَسَسُ - فحَبسه مع الدَّجَاج في بيت. فلمّا أفاق جعل ينادي غلامَه مَرَّةً وجاريتَه أخرى فلا يجيبه أحد، وهو في ذلك يسمَع صوتَ الدَّجاج وزُقَاءَ الدُّيوك. فلمّا أكثر قال له السَّجَّان: ما شأنك؟ قال: وَيْلَك مَنْ أنتَ وأين أنا؟ قال: في الحبس، وأنا فلان السَّجّانُ. قال: ومَنْ حبَسني؟ قال: أميرُ المؤمنين. قال: / ومَنْ خرق طَيْلَساني؟ قال: الحَرَس. فطلب [١٠/٢٥٢] منه أن يأتِيَه بدواةٍ وقِرْطاس ففعل، فكتب إلى أبي جعفر:

أميرَ المؤمنين فَدَتْك نفسي ... عَلامَ حبستَني وخَرَقْتَ ساجي

أمِنْ صَفْراءَ صافيةِ المِزاجِ ... كأنَّ شُعاعَها لَهَبُ السِّراجِ

وقد طُبِخَتْ بنار الله حتّى ... لقد صارت من النُّطَفِ[3] النِّضاجِ

تَهَشُّ لها القلوب وتشتهيها ... إذا برزَتْ[4] تَرَقْرَقُ في الزُّجاجِ

أُقادُ إلى السُّجون بغير جُرْمٍ ... كأنّي بعضُ عُمّالِ الخَراجِ

ولو معهم حُبِسْتُ لكان سهلاً ... ولكنّي حُبِسْتُ مع الدَّجاجِ

وقد كانت تُخَبِّرني ذنوبي ... بأنّي من عِقابك غيرُ ناجِ

على أنّي وإن لاقيتُ شرّاً ... لخيرك بعد ذاك الشَّرِّ راجي

فدَعَا به وقال: أين حُبِسْتَ يا أبا دُلامة؟ قال: مع الدَّجاج. قال: فما كنت تصنع؟ قال: أُقَوْقِي معهنّ حتى أصبحتُ. فضحِك وخَلّى سبيلَه وأمر له بجائزة. فلمّا خرج قال له الرَّبيع: إنه شرِب الخمرَ يا أمير المؤمنين. أمَا سمعتَ قولَه «وقد طبخت بنار الله» (يعني الشمس). فأمر بردِّه ثم قال: يا خبيث شرِبتَ الخمرَ؟ قال لا. قال: أفلم تقل «طُبِخَتْ بنار الله» تعني الشمس. قال: لا والله / ما عَنَيْتُ إلاّ نارَ الله المُوقَدة التي تَطّلعُ على فؤاد [١٣٠/٩] الرَّبيع. فضحِك وقال: خُذْها يا ربيع ولا تعاود التعرُّضَ.

---

(١) في ب، س: «الناس».

(٢) تحلم فلان: قال حلمت بكذا وهو كاذب.

(٣) النطفة: الماء الصافي قل أو كثر.

(٤) في أ، م: «برقت». وترقرق: تلألأ أي تجيء وتذهب.

لفق رؤيا لتمار وأخذ منه تمراً:

قال ابن النطّاح: ومَرَّ أبو دُلامة بتَمّار بالكوفة فقال له:

رأيتُــك أطعمتنـــي فـــي المنـــام ... قَـــوَاصِـــرَ[1] مـــن تَمْـــرِك البـــارحـــة

/ فـــأُمُّ العِيـــال وصِبْيـــانُهـــا ... إلـــى البـــاب أعينهُـــم طـــامحـــة [١٠/٢٥٣]

فأعطاه جُلَّتَيْ[2] تَمْر وقال له: إن رأيتَ هذه الرؤيا ثانيةً لم يَصِحَّ تفسيرُها. فأخذهما وانصرف.

هنأ المهدي بقدومه من الري فملأ حجره دراهم:

وقال ابنُ النطّاح:

لمّا قدِم المهديّ من الرَّيِّ دخل عليه أبو دُلاَمةَ فأنشأ يقول:

إنّـــي نَـــذَرتُ لئـــن رأيتُـــك ســـالمـــاً ... بقُـــرَى العـــراق وأنـــت ذو وَفْـــرِ

لتُصَلِّيَـــنَّ علـــى النبـــيّ محمـــدٍ ... ولتمـــلأنَّ دراهمـــاً حِجْـــري

فقال: ﷺ، وأمّا الدراهم فلا. فقال له: أنت أكرمُ من أن تُفَرِّق بينهما ثم تختارَ أسهلَهما. فأمر بأن يُملأ حِجْرُه دراهم.

ومِثْلُ هذا وإن لم يكن منه ما حدّثني به الحسنُ بن عليّ عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال:

قدِم المُهَلَّبُ من بعض غَزَواته، فلَقِيَتْه عجوزٌ من الأزد فقالت: أيُّها الأمير، أسألك بالله والرَّحِم إلاّ وقفتَ فوقَف، فدَنَتْ وقبّلتْ يدَه وقالت: هذا نَذْرٌ كان عليّ، إنّي نذرتُ عليّ لله أن أُقَبِّل يدَك إن قَدِمتَ سالماً وتهَبَ لي أربعمائة درهم وجارية صُغْدِيَّةً تخدُمني. فضحِك وقال: أمّا نحن فقد وَفَّيْنا بنَذْرِك؛ ادفعوا إليها ذلك، وإيّاكِ يا أمّاه وهذه النُّذورَ؛ فليس كلُّ أحد يَفِي لكِ بها ويَنْشَط لتحليلكِ منها.

ضجر من الصوم والحر فكتب للمهدي شعراً فعجل جائزته:

قال ابن النطّاح:

وصام الناسُ في سنة شديدة الحرّ على عهد المهديّ، وكان أبو دُلامة يتنجَّزُ جائزةً أمَر له المهديّ بها. فكتب إليه أبو دُلاَمة رُقْعَةً يشكو فيها أذى الحَرّ والصوم وهي:

/ أدعـوك بـالـرَّحِـم التـي هـي جَمَّعَتْ ... فـي القُـرْب بيـن قَـريبنـا والأبْعَـدِ [١٠/٢٥٤]

إلاّ سمِعـــتَ وأنـــت أكـــرمُ مَـــنْ مَشَـــى ... مـــن مُنْشِـــدٍ يـــرجـــو جـــزاءَ المُنْشَـــد

جـــاء الصيـــامُ فصُمْتُـــه متعبِّـــداً ... أرجـــو رجـــاءَ الصـــائـــم المتعبِّـــد

ولَقِيـــتُ مـــن أمـــر الصّيـــام وحَـــرِّه ... أمـــريـــن قِيسَـــا بـــالعـــذاب المـؤصَـــد[3]

(١) قواصر: واحدها قوصرة، وهي وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري.
(٢) الجلة (بالضم): قفة كبيرة للتمر.
(٣) المؤصد: المطبق.

وسجدتُ حتى جَبْهتي مشجوجةٌ ... ممّا يُناطحني الحَصا في المسجد

فأمُنُنْ بتسريحي بمَطْلِك بالذي ... أسْلَفْتَنيه من البَلاء المُرْصَد

فلمّا قرأ المهديّ رُقْعَتَه غَضِب وقال: يا عاضّ كذا من أمّه أيّ قَرابةٍ بيني وبينكَ؟! قال: رَحِمُ آدمَ وحَوّاء، أنَسِيتَهما يا أميرَ المؤمنين! فضحك وقال: لا والله ما نسيتُهما؛ وأمَر بتعجيل ما أجازه به وزاد فيه. وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ قال حدّثنا الخُزَاعيّ عن المدائنيّ وزاد فيه قال: وأنشده أيضاً في ذمّ الصَّوْم:

هل في البلاد لرزق الله مُفْتَرِشُ ... أم لا ففي جِلْده من خُشْنةٍ بَرَشُ

- يعني أنّ جِلْدَ الرِّزق خَشِن المَلْمَس[1] فهو يُحْترش[2] كما يُحْترش الضَّبُّ - الشِّعْر:

أضحى الصِّيامُ مُنِيخاً وَسْطَ عَرْصتِنا ... ليت الصيامَ بأرض دونَها حَرَشُ[3]

إن صُمْتُ أوْجَعَني بطني وأقْلَقني ... بين الجوانح مَسُّ الجوع والعَطَشُ

/ وإن خرجتُ بليلٍ نحوَ مسجدهم ... أضرّني بَصَرٌ قد خانه العَمَشُ

١٣١ / ٩

عزي أم سلمة بنت يعقوب في السفاح فأضحكها:

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ عن أحمد بن زُهَير عن الزُّبَيْر عن عمّه، ونسخت من كتاب ابن النطّاح قال اليزيديّ في خبره:

[١/ ٢٥٥] / دخل أبو دُلامة على رَيْطةَ بعد وفاة المهديّ، وقال ابن النطّاح: دخل على أمّ سَلَمةَ[4] بنتِ يعقوب بن سَلَمة بعد وفاة أبي العبّاس، وهو الصحيح، فعزّاها به وبكى وبكَتْ معه، ثم أنشدها:

مَنْ مُجمِلٌ في الصبر عنكَ فلم يكن ... صبري عليكَ غَداةَ بِنْتَ جميلا

يجدون أبْدالاً به وأنا امرؤٌ ... لو مُتُّ وَجْداً ما وجدتُ بديلا

إنّي سألتُ الناس بعدَك كلَّهم ... فوجدتُ أجْوَدَ مَنْ سألتُ بخيلا

فقالت أمُّ سَلَمةَ: لم أرَ أحداً أُصيب به غيري وغيرَك يا أبا دلامة. فقال: ولا سَوَاءَ يرحمُكِ الله، لك منه ولد وما ولدتُ أنا منه. فضحِكت - ولم تكن منذ مات أبو العبّاس ضحِكتْ إلا ذلك الوقتَ - وقالت له: لو حدّثتَ الشيطانَ لأضحكته.

خدع المهدي بموت زوجته وخدعت زوجته الخيزران بموته كذلك فضحكا منهما:

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا الغَلابيّ قال حدّثنا عبدالله بن الضحّاك قال:

دخل أبو دُلامة على المهديّ وهو يبكي. فقال له: مالك؟ قال: ماتت أمّ دُلامة، وأنشده لنفسه فيها:

---

(١) في الأصول: «الملبس» بالباء.

(٢) احترش الضب وحرشه: صاده، وهو أن يحرك يده على حجرة لظنه حية فيخرج ذنبه ليضر بها فيأخذه. ومنه المثل: «أتعلمني بضب أنا حرشته» يخاطب به العالم بالشيء من يريد تعليمه.

(٣) الحرش (بالتحريك) لغة: الخشونة. يتمنى لو كان بينه وبين الصوم من غلظ الأرض وحزونها ما يحول دونه.

(٤) أم سلمة: هي أم سلمة المخزومية امرأة الخليفة أبي العباس السفاح، وتزوجها بعده عبدالله بن عبدالحميد المخزومي. (انظر «الأغاني» ج ٤ ص ٣٣٥ من هذه الطبعة).

وكنّا كـزوجٍ مـن قطـاً مَفَـازةٍ لـدى خَفْـضِ عَيْـشٍ نـاعـمٍ مُـؤنِـقٍ رَغْـدِ
فـأفـردنـي رَيْـبُ الـزّمـانِ بصَـرْفـه ولـم أرَ شيـاً قـطُّ أوْحَـشَ مـن فَـرْدِ

فأمر له بثياب وطيب ودنانير، وخرج. فدخلت أمُّ دُلَامة على الخَيْزُران فأعلمتْها أنّ أبا دُلامة قد مات، فأعطتها مِثْلَ ذلك، وخرجتْ. فلمّا التقى المهديّ والخَيْزُران عَرَفا حيلتَهما فجعلا يضحكان لذلك ويعجبان منه.

/ فرض له المنصور على كل هاشمي عطاء فنقصه العباس بن محمد دينارين فذمه: [١٠/٢٥٦]

أخبرنا أحمد بن عبدالعزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة، ونسختُ أنا من كتاب ابن النطّاح قال:

دخل أبو دُلامةَ على المنصور فأنشده:

أمَـا وربِّ العـاديـاتِ ضَبْحَـا[(١)] حقـاً وربِّ المُـوريـاتِ قَـدْحَـا
إنّ المُغِيـراتِ علـيَّ صُبْحَـا والنـاكثـاتِ[(٢)] مـن فـؤادي قَـرْحـا[(٣)]
عَشْـرُ ليـالٍ بينهـن ضبحـا[(٤)] يَجْلُفْـنَ[(٥)] مـالـي كـلَّ عـامٍ صبحـا

فقال له أبو جعفر: وكم تذبح يا أبا دُلامة؟ قال: أربعاً وعشرين شاة. ففرض له على كل هاشميّ أربعة وعشرين ديناراً، فكان يأخذها منهم. فأتى العباسَ بن محمد في عَشْر الأضْحَى يتنجّزها. فقال: يا أبا دُلامة، أليس قد مات ابنُك؟ قال بلى. قال: أنقُصُوه دينارين. قال: أصلَح الله الأميرَ لا تفعل، فإنه ترك عليّ ولدين. فأبى إلّا أن يَنْقُصَه. فخرج وهو يقول:

أخطـاك مـا كنـتَ تـرجـوه وتـأمُلُـه فـاغسِـلْ يـديـك مـن العبّـاس بـاليـاس
واغسِـلْ يـديـك بـأُشنـانٍ[(٦)] فـأنقِهمـا ممـا تـؤمِّـل مـن معـروف عبّـاس
جـزاك ربُّـك يـا عبّـاسُ عـن فَـرَجٍ جَنّـاتِ عَـدْنٍ وعنّـي جُـرزَتَـيْ[(٧)] آس

/ فبلغ ذلك أبا جعفر فضحك، واغتاظ على العبّاس، وأمره بأن يبعث إليه بأربعة وعشرين ديناراً أخرى. [١٠/٢٥٧]

هذه رواية يزيد.

قيل إن هذه القصة مع علي بن صالح:

وأمّا ابنُ النطّاح فإنه ذكر أن الذي نقصه / الدينارين عليُّ بن صالح وقال له: إنما نَقَصْتُك دينارين لموت ابنك دُلامة. فَحَلف ألّا يأخذ إلّا خمسين ديناراً، ثم قام مُغْضَباً؛ فأتْبعه الرسولَ فأعطاه إيّاها. فقال له: [١٣٢/٩]

(١) الضبح: صوت أنفاس الخيل إذا عدت ليس بصهيل ولا حمحمة.

(٢) نكأ القرح: قشره قبل أن يبرأ فيندي. وقد وردت هذه الكلمة في الأصول محرفة؛ ففي حـ: «الناكثات». وفي أ، م: «الناكنات». وفي ب، س: «الفاتكات».

(٣) في الأصول: «قدحاً» بالدال، وهو تحريف.

(٤) في أ، م: «صبحا» بالصاد المهملة. وهي في كلتا صورتيها غير واضحة.

(٥) يجلفن: يستأصلن. وفي ب، س: «يتلفن». وفي سائر الأصول. «يحلفن» بالحاء المهملة. وهو مصحف عما أثبتناه، كما يحتمل أن يكون مصحفاً عن «يحلقن» بالقاف بمعنى يستأصلن أيضاً.

(٦) الأشنان (بالضم): حمض تغسل به الأيدي.

(٧) الجرزة: الحزمة.

أَوْلَى[١] لَهُ. أمّا ما سبق فلا حيلةَ فيه، والمستأنَفُ فقد أمِنه. وقد كان قال فيه:

لعلـيّ بـنِ صـالـح بـن علـيّ نَسَـبٌ لـو يُعِينـه بسَمَـاحِ
وبنـو مـالـكٍ كثيـرٌ ولكـن مـا لنـا فـي بقـائهـم مـن فَـلاَحِ
غيـرَ فَضْـلٍ فـإنّ للفَضْـلِ فضـلاً مستبينـاً علـى قُـرَيْـشِ البِطَـاحِ

تخاصم إلى عافية القاضي وداعبه:

أخبرني محمد بن أحمد عن محمد بن العبّاس اليَزِيديّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال:

خاصم رجلٌ أبا دُلامةَ في داره، فارتفعا إلى عافيةَ القاضي؛ فأنشأ أبو دُلامة يقول:

لقـد خـاصمتْنـي دُهـاةُ الـرِّجـالِ وخـاصمتُهـا سَنَـةً وافيـة
فمـا أدحـضَ اللهُ لـي حُجَّـةً ولا خيَّـب اللهُ لـي قـافيـة
ومَـنْ خِفْـتُ مـن جَـوْرِه فـي القضاء فلسـتُ أخـافُـك يـا عـافيـة

فقال له عافيةُ: أمَا واللهِ لأشكونّك إلى أمير المؤمنين ولأعْلمنّه أنك هَجَوْتَني. قال: إذاً يَعْزِلَك. قال: ولِمَ؟ قال: لأنّك لا تعرف المديح من الهجاء. فبلغ ذلك المنصورَ فضحِك وأمر لأبي دُلامة بجائزة.

[٢٥٨/١] / **أمره المهدي بهجاء أحد الحضور فهجا نفسه:**

أخبرني محمد بن أحمد عن أحمد بن الحارث عن المَدائنيّ قال:

دخل أبو دُلامة على المهديّ وعنده إسماعيل بن محمد وعيسى بن موسى والعبّاس بن محمد ومحمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بني هاشم. فقال له: أنا أعطي اللهَ عهداً لئن لم تَهْجُ واحداً ممّن في البيت لأقطعنّ لسانك ـ ويقال إنه قال: لأضربنّ عُنُقَك ـ فنظر إليه القوم، فكلّما نظر إلى واحد منهم غمزه بأنّ عليه رِضاه. قال أبو دلامة: فعلمتُ أنّي قد وقعتُ وأنها عَزْمَةٌ من عَزَماته لا بدّ منها، فلم أرَ أحداً أحقّ بالهجاء منّي، ولا أَدْعَى إلى السلامة من هجاء نفسي، فقلت:

ألاَ أبلِـغْ إليـك أبـا دُلاَمَـة فليـس مـن الكـرام ولا كـرامـة
إذا لِبِـس العمـامـةَ كـان قِـرْداً وخِنـزيـراً إذا نـزَعَ العِمـامـة
جمعـتَ دَمَـامـةً وجمعـتَ لـؤمـاً كـذاك اللُّـؤم تتبعـه الـدَّمـامـة
فـإنْ تـك قـد أصبـتَ نعيـمَ دُنْيـا فـلا تَفْـرَحْ فقـد دَنَـتِ القيـامـة

فضحك القوم ولم يبق منهم أحدٌ إلاّ أجازه.

قال شعراً في المهدي وعلي بن سليمان وقد خرجا للصيد فأصاب الأوّل وأخطأ الثاني:

أخبرني الحرميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير عن عمّه قال:

(١) أولى له: معناها: التهدد والتوعد.

خرج المهديّ وعليّ بن سليمان إلى الصَّيْد، فسنَح لهما قَطيعٌ من ظِباء، فأُرْسِلَتِ الكلابُ وأجريتِ الخيلُ، فرمى المهديُّ ظبياً بسهم فصرَعه، ورمى عليُّ بن سليمان فأصاب بعضَ الكلاب فقتله. فقال أبو دُلامة:

قــد رمـى المهـديّ ظبيـاً ... شَــكَّ بـالسهـم فُـؤادَهْ

وعلـيُّ بـن سليمـا ... ن رمـى كلبـاً فصَـادَهْ

فهنيئـاً لهمـا كـلُّ ... آمـرىء يـأكـل زادَهْ

/ فضحك المهديّ حتى كاد أن يسقُط عن سَرْجه، وقال: صدَق والله أبو دُلامة، وأمر له بجائزة / سَنِيّة. [١٠/٢٥٩] [١٣٣/٩]

أخبرني بهذا الخبر عَمّي عن الكُرانيّ عن العُمَريّ عن الهَيْثم بنْ عَدِيّ فذكر مِثْلَ ما ذكره وقال فيه: فلُقِّب عليُّ بن سليمان «صائدَ الكلب» وعَلِقَ به.

أنشد المنصور شعراً فأعطاه داراً وكسوة ثم احتاج إلى الدار وعوّضه بدلها:

قال ابنُ النطّاح: وأنشد أبو دُلامة المنصورَ يوماً:

هـاتيـك والـدتـي عجـوزٌ هِمَّـةٌ[١] ... مثـلُ البَلِيَّـةِ دِرْعُهـا فـي المِشْجَـبِ[٢]

مهـزولـةُ اللَّحْيَيْـن[٣] مَـنْ يَـرَهـا يَقُـلْ ... أبصـرتُ غـولاً أو خيـالَ القُطْـرُبِ[٤]

مـا إن تـركـتُ لهـا ولا لآبـنٍ لهـا ... مـالاً يـؤمِّـل غيـرَ بَكْـرٍ أجْـرَبِ

ودجـائجـاً[٥] خمسـاً يَـرُحْـنَ إليهـمُ ... لَمّـا يَبِضْـنَ وغيـرَ عَيْـرٍ[٦] مُغْـرِبِ

كتبـوا إلـيّ صحيفـةً مطبـوعـةً[٧] ... جعلـوا عليهـا طِينـةً كـالعَقْـرَبِ

فَعلِمـتُ أنّ الشّـرَّ عنـد فِكَـاكِهـا ... ففكَكْتُهـا عـن مِثْـلِ ريـحِ الجَـوْرَبِ

وإذا شبيـهٌ بـالأفـاعـي رُقْشَـتْ ... يُـوعِـدْنَنـي بتلمُّـظٍ وتَثَـؤُّبِ[٨]

يشكـون أنّ الجـوعَ أهلَـك بعضَهـم ... لَـزَبـاً[٩] فهـل لـكَ فـي عيـالٍ لُـزَّبِ

لا يسـألـونـك غيـرَ طَـلِّ سَحـابـةٍ ... تغشـاهُـم مـن سَيْلِـك المُتَحَلِّـبِ

يـا بـاذلَ الخيـراتِ يـاآبـنَ بَـذُولِهـا ... وآبـنَ الكـرام وكـلِّ قَـرْمٍ مُنْجِـبِ

أنتـم بنـو العبّـاس يُعْلَـم أنكـم ... قِـدْمـاً فـوارسُ كـلِّ يـومٍ أشْهَـبِ

(١) الهمة: العجوز الفانية.
(٢) المشجب (ومثله الشجاب): خشبات موثقة منصوبة توضع عليها الثياب وتنشر. يريد أن أمه فنيت حتى أشبهت خشبات المشجب.
(٣) اللحى: عظم الحنك وهو الذي عليه الأسنان.
(٤) القطرب هنا: ذكر الغيلان أو الصغير من الجن.
(٥) يجوز في تابع المستثنى بغير مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى. وقد روعي هنا المعنى.
(٦) العير (بالفتح): الحمار. والمغرب: الذي اشتد بياضه حتى تبيض محاجره وأرفاغه.
(٧) مطبوعة: مختومة.
(٨) في «الأصول «وتثاؤب» ويقال لغة تثاءب وتثأب التضعيف. وقد آثرنا الثانية لأنه على رواية «الأصول تكون في القافية ألف الأساس، وإذا كانت لزمت في القصيدة كلها.
(٩) اللزب (بالتحريك): ضيق العيش.

[١٠/٢٦٠] / أَحْلاَسُ[١] خيلِ الله وهي مُغِيرةٌ يَخْرُجْنَ من خَلَلِ الغُبارِ الأكْهَبِ[٢]

قال: فأمر له بدارٍ يسكنها وكُسوة ودراهمَ. وكانت الدار قريبةٌ من قصره، فأمر بأن تزاد في قصره بعد ذلك لحاجة دعته إليها. فدخل عليه أبو دُلامة فأنشده قولَه:

يـاَبـنَ عَـمِّ النبيِّ دعوة شَيخ قد دنا هَدْمُ داره ودَمَارُهْ
فهو كالماخض التي أعتادها الطَّلْ قُ فقَرَّتْ وما يَقِرُّ قَرارُهْ
إن تَحُزْ عُسْرَهُ بكفَّيْكَ يوماً فبكفَّيْكَ عُسْرُه ويسارُه
أو تَدَعْه فللبَوارِ، وأنَّى ولماذا وأنت حَيٌّ بَوَارُهْ
هل يخاف الهَلاَكَ شاعرُ قومٍ قَدُمتْ في مديحهم أشعارُه
لكُمُ الأرضَ كلُّها فأعيروا شيخَكم ما آحتوى عليه جِدارُه
فكأنْ قد مَضَى وخلَّف فيكم ما أَعَرتُم وأَقْفرتْ منه دارُه

فأستعبَر المنصورُ، وأمر بتعويضه داراً خيراً منها ووصله.

عابه عند المهدي محرز ومقاتل ابنا ذؤال فهجاهما بحضرته:

قال آبن النطّاح:

ودخل أبو دُلامة على المهديّ وعنده مُحْرِز ومُقَاتِل أبنا ذُؤال يعاتبانه على تقريبه أبا دُلامة ويَعِيبانه عنده.

فقال أبو دُلامة:

ألاَ أيُّها المهديُّ هل أنت مُخْبِري وإن أنت لم تفعل فهل أنت سائلي
ألم تَرْحَمِ اللّحْيَيْن من لِحْيَتَيْهما وكلتاهما في طولها غيرُ طائل
وإن أنت لم تفعل فهل أنت مُكْرِمي بحَلْقِهما من مُحْرِزٍ ومُقَاتِل
فإنْ يأذَنِ المهديُّ لي فيهما أقُلْ مقالاً كوقع السيف بين المفاصل

١٣٤ / ٩

/ وإلاّ[٣] تَدَعْني والهمومُ تَنُوبني وقلبي من العِجْلَيْن جَمُّ البلابل

[١٠/٢٦١] / فقال: أو آخُذُ لك منهما عشرةَ آلاف درهم يَفْدِيان بها أعراضَهما منك؟ قال: ذلك إلى أمير المؤمنين. فأخذها له منهما وأمسك عنهما.

مدح سعيد بن دعلج فأجازه:

قال آبن النطّاح:

ودخل أبو دُلامة على سَعيد بن دَعْلَج[٤] مولى بني تَميم فقال:

(١) أحلاس الخيل هنا: الملازمون ظهورها.
(٢) الكهبة: غبرة مشربة سواداً.
(٣) فعل الشرط محذوف أي وإلا تفعل تدعني.
(٤) كان أميراً على شرطة البصرة وأحداثها لأبي جعفر المنصور، ثم ولي البحرين له أيضاً وعزله بعد ذلك. وولي للمهدي طبرستان=

إذا جئـتَ الأميـرَ فقُـلْ سـلامٌ ... عليـك ورحمـةُ الله الـرحيـمِ
وأمّـا بعـد ذاك فلـي غـريـمٌ ... مـن الأعـراب قُبِّـح مـن غـريـمِ
غـريـمٌ لازمٌ بِفنـاء بيتـي ... لـزومَ الكلـب أصحـابَ الـرَّقِيـم[1]
لـه مـائـةٌ علـيّ ونصـفُ أخـرى ... ونِصْـفُ النِّصْـفِ فـي صَـكٍّ قـديـم
دراهـمُ مـا آنتفعـتُ بهـا ولكـن ... وصلـتُ بهـا شيـوخَ بنـي تَميـم
أتَـوْنـي بـالعَشيـرة يسـألـونـي ... ولـم أكُ فـي العَشيـرة بـاللّئيـم

فضحِك وأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهماً وقال: ما أساء من أنصف، وقد كافأتك عن قومك وزِدْتُك مائةً

[١٠/٢٦٢]

/ داعب المنصور في جنازة بنت عمه حتى ضحك:

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير عن جعفر بن الحسين اللِّهبيّ عن عمّه مُصْعب:

أنّ حَمّادةَ بنت عيسى تُوفّيَتْ وحضر المنصورُ جنازتَها. فلمّا وقف على حُفْرتها قال لأبي دُلامة: ما أعددتَ لهٰذه الحفرة؟ قال: بنتَ عمِّك يا أمير المؤمنين حَمّادةَ بنت عيسى يُجاء بها الساعة فتُدْفَنُ فيها. فضحِك المنصور حتى غُلب فستَر وجهه.

سأل الخيزران جارية فوعدته بها وأبطأت فاستنجزها بشعر، وقصة زوجته وابنه مع هذه الجارية:

أخبرني عمّي رحمه الله تعالى قال حدّثنا محمد بن سعد الكُرّانيّ قال قال أبو عمر حَفْص بن عمر العُمَريّ حدّثنا الهَيْثَم قال:

حَجّتِ الخَيْزُرانُ، فلمّا خرجتْ صاح بها أبو دُلَامةَ. قالت: سَلُوه ما أمرُه. قالوا له: ما أمرُك؟ فقال: أدْنُوني من مَحْمِلها. قالتْ: أدنوه، فأُدْنِيَ. فقال: أيّتها السيّدة، إنّي شيخ كبير وأجرُكِ فيّ عظيم. قالت: فَمَهْ. قال: تَهَبِينَ لي جاريةً من جواريكِ تؤنسني وترفُق بي وتُريحني من عجوز عندي، قد أكلتْ رِفْدي، وأطالت كَدِّي، وقد عاف جلدي جلدَها، وتمنّيتُ بُعْدَها، وتشوّقتُ فَقْدَها. فضحكتِ الخَيْزُرانُ وقالت: سوف آمرُ لك بما سألتَ. فلما رجعتْ تلقّاها وذكّرها، وخرج معها إلى بغداد فأقام حتى غَرِضَ[2]. ثم دخل على أمِّ عبيدةَ حاضنةِ موسى وهارون، فدفَع إليها رُقعةً قد كتبها إلى الخَيْزُران فيها:

= وعزله عنها. (انظر ابن الأثير ج ٦ ص ٦ و٧ و٢٦ و٢٧ و٣٩ و٤١).

(١) قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾: «الرقيم اسم كلبهم، قال أمية بن أبي الصلت:

وليـس بهـا إلا الـرقيـم مجـاورا ... وصيـدهـم والقـوم فـي الكهـف همّـد

وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه أسماؤهم جعل على باب الكهف، وقيل إن الناس رقموا حديثهم نقراً في الجبل، وقيل: هو الوادي الذي فيه الكهف، وقيل الجبل، وقيل قريتهم، وقيل مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين». وفي «اللسان» مادة رقم: «قال أبو القاسم الزجاجي في 'الرقيم' خمسة أقوال: أحدها عن ابن عباس أنه لوح كتبت فيه أسماؤهم. الثاني أنه الدواة بلغة الروم عن مجاهد. الثالث القرية عن كعب. الرابع الوادي. الخامس الكتاب عن الضحاك وقتادة، وإلى هذا القول يذهب أهل اللغة».

(٢) غرض: ضجر وملّ.

أَبْلِغــي سيِّــدتــي بـالــلّــــه يـــا أُمَّ عَبيـــدَهْ
أنهـــا أَرْشـــدهـــا الــلّـــهُ وإن كـــانـــت رشيـــدهْ

وَعَــدتْنــي قبـــل أن تخـ ـــرج للحـــجِّ وَليـــدهْ
فتــأنَّيـــتُ وأرسلـ ـــتُ بعشـــريـــن قصيـــده
[١٠/٢٦٣] / كلمّـــا أَخْلَقْـــنَ[1] أَخْلَفْـ ـــتُ لهـــا أخـــرى جـــديـــده
ليـــس فـــي بيتـــي لتمهيـ ـــد فِـــراشـــي مـــن قَعِيـــده
غيـــرُ عَجْفـــاءَ عَجُـــوزٍ ســـاقُهـــا مِثْـــلُ القَـــدِيـــده
وجهُهـــا أقبـــحُ مـــن حُـــو تِ طَـــرِيٍّ فـــي عَصِيـــده
١٣٥/٩ / مـــا حيـــاةٌ مَـــعَ أُنْثَـــى مِثْـــلِ عِـــرْسِـــي بسعيـــده

فلمّا قُرِئتْ عليها الأبياتُ ضحِكتْ واستعادتْها منه لقوله «حُوت طَرِيّ في عصيده» وجعَلتْ تضحك، ودعت بجارية من جواريها فائقةٍ فقالت لها: خُذِي كل ما لَكِ في قصري ففعلتْ، ثم دعت ببعض الخدم وقالت له: سَلِّمْها إلى أبي دُلامةُ. فانطلق الخادمُ بها فلم يصادفه في منزله. فقال لامرأته: إذا رجَع فادفعيها إليه، وقولي له: تقول لك السّيدةُ: أَحسِنْ صُحْبَةَ هذه الجارية فقد آثرتُك بها؛ فقالت له نعم. فلمّا خرج دخل ابنُها دُلامةُ فوجد أُمَّه تبكي. فسألها عن خبرها فأخبرته وقالت: إن أردتَ أن تَبَرَّني يوماً من الدهر فاليوم. فقال: قُولي ما شئتِ فإني أفعله. قالت: تدخل عليها فتُعلِمها أنك مالِكُها وتطَؤُها فتَحْرُم عليه، وإلّا ذهبتْ بعقله وجفاني وجفاك. ففعل ودخل إلى الجارية فوطِئها ووافقها ذلك منه، وخرج. ثم دخل أبو دُلامةَ فقال لامرأته: أين الجارية؟ قالت: في ذلك البيت. فدخل إليها شيخٌ محطّمٌ ذاهبٌ، فمدَّ يدَه إليها وذهب ليقبِّلها. فقالت له: مالَكَ وَيْلَكَ! تَنَحَّ وإلّا لطمتُك لَطْمةً دقّقتُ منها أنفك. فقال لها: أبهذا أوصَتْكِ السيِّدة!. فقالت: إنّها قد بعثتْ بي إلى فتًى من حالِه وهيئته كيت وكيت، وقد كان عندي آنِفاً، ونال منّي حاجته. فعلِم أنه قد دُهِيَ من أُمِّ دُلامَةَ وابنها. [١٠/٢٦٤] فخرج إليه أبو دُلامة فلطَمه ولبّبه[2] وحلف / ألّا يفارقَه إلّا عند المهديّ. فمضَى به مُلَبَّباً حتى وقَف على باب المهديّ. فعُرِّف خبرَه وأنه قد جاء بابنه على تلك الحالة فأمر بإدخاله. فلمّا دخل قال له: مالك وَيْلك؟! قال: عَمِل بي هذا ابنُ الخبيثة ما لم يعمل ولدٌ بأبيه، ولا تُرضِيني إلّا أن تقتله. فقال له: وَيْلَكَ فما فعل؟ فأخبره الخبرَ. فضحِك حتى استلقَى ثم جلس. فقال له أبو دُلامةَ: أعجبك فعلُه فتضحَكَ منه؟ فقال: عليَّ بالسيف والنِّطْع. فقال له دُلامةُ: قد سمعتَ حُجَّتَه يا أمير المؤمنين فاسمع حُجّتي. قال: هاتِ. قال: هذا الشيخُ أصْفَقُ الناس وجهاً، يَنِيك أُمّي منذ أربعين سنة ما غضِبتُ، ونِكتُ جاريتَه مرّة واحدة فغضِب وصنَع بي ما تَرى! فضحِك المهديّ أكثَر من ضحكه الأوّل، ثم قال: دَعْها له يا أبا دُلامة وأنا أُعطيك خيراً منها. قال: على أن تَخْبأها لي بين السماء والأرض، وإلّا ناكها والله كما ناك هذه. فتقدّم إلى دُلامة ألّا يُعاوِد بمثلِ فعله، وحلَف أنه إن عاود قتَله، ووهَب له جاريةً أُخرى كما وعَده.

(١) كذا في أ. وفي سائر الأصول: «أخلفن» بالفاء الموحدة.
(٢) لببه: أخذ بتلبيبه أن جمع ثيابه عند صدره ونحره في الخصومة ثم جرّه.

سأله المهدي عن شاعر فأطراه فأجازه لحسن محضره:

وقال ابن النطّاح:

دخل أبو دُلَامَةَ على المهديّ وعنده شاعرٌ يُنْشِده. فقال له: ما تَرى فيه؟ قال: إنه قد جَهَدَ نفسَه لك فأجْهَدْ نفسَك له. فقال المهديّ: وأبيك إنها لكلِمةٌ عَذْراءُ منك، أحسَبُك تعرفه! قال: لا والله ما عرفتُه ولا قلت أنا إلاّ حَقّاً. فأمر للشاعر بجائزة، ولأبي دُلامة بمثلها لحسن مَحْضَرِه.

خلع عليه العقيلي من ثيابه التي عليه:

قال ابن النطّاح وحدّثني أبو عبدالله العُقَيليّ قال:

رأيتُ على أبي دُلامة فَرْوَةً في الصّيف، فقلتُ له: ألاَ تَمَلُّ هذه الفروةَ! قال: بلى، وربَّ مملولٍ لا يُستطاع فِراقُه. فنزعتُ فاضلَ ثيابي في موضعي ودفعتُها إليه.

فزع من رؤية الفيل وقال فيه شعراً:

قال: وأُهْدِيَ للمهديّ فِيلٌ، فرآه أبو دُلامة فولَّى هارباً وقال:

يـا قـوم إنـي رأيـتُ الفيـلَ بعـدَكُـم ... لا بـارك اللهُ لـي فـي رؤيـة الفيـلِ

أبصـرتُ قصـراً لـه عيـنٌ يقلّبهـا ... فكِـدْتُ أرمـي بسَلْحـي فـي سَـرَاويلـي

[٢٦٥/١٠]

أنشد المهدي شعراً في بغلته واستوهبه أخرى غيرها:

١٣٦ / ٩

قال ابنُ النطّاح:

ودخل أبو دُلامة على المهديّ فأنشده قصيدتَه في بغلته المشهورة:

أتـانـي بَغْلـةٌ[1] يَسْتـام[2] مِنّـي ... عـريـقٌ فـي الخَسـارة والضَّـلال

فقـال تبيعهـا؟ قلـت ارْتَبِطْهـا ... بحكمـك إن بيعـي غيـرُ غـالـي

فـأقبـل ضـاحكـاً نحـوي سـروراً ... وقـال أراك سَمْحـاً ذا جَمـال

هَلُـمَّ إلـيّ يخلـو بـي خِـداعـاً ... ومـا يَـدْري الشّقـيُّ بمـن يُخَـالـي

فقلـتُ بـأربعيـن فقـال أحسِـنْ ... إلـيَّ فـإن مِثْلَـك ذو سِجـال[3]

فـاتـرُك خمسـةً منهـا لعلمـي ... بمـا فيـه يصيـر مـن الخَبـال

فقال المهديّ: لقد أفْلَتَّ من بَلاَءٍ عظيم. قال: والله يا أمير المؤمنين لقد مكثتُ شهراً أتوقَّع صاحبَها أن يَرُدَّها. قال: ثم أنشده:

فـأبْـدِلْنـي بهـا يـا ربَّ طِـرْفـاً[4] ... يكـون جَمـالُ مَرْكَبِـه جَمـالـي

---

(١) في جـ: «أتاني خائب».

(٢) استام: طلب السوم أن تعيين الثمن.

(٣) السجال هنا: المباراة والمساجلة يريد أنه لا يماكس في الثمن.

(٤) الطرف من الخيل: الكريم.

فقال لصاحب دوابّه: خَيِّرْه من الإصْطَبْل مَرْكَبين[١]. قال: يا أمير المؤمنين إن كان الاختيارُ لي وقعتُ في شرٍّ من البغلة، ولكن مُرْهُ أن يختار لي، فقال: آختَرْ له. وأخبرني به عمّي عن الكُرانيّ عن العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ، وخبرُه أتمّ.

احتال على العباس بن محمد بشعر وأخذ منه ألفي درهم وكان راهن المهدي على ذلك فأخذ منه ستة آلاف:

وأخبرني محمد بن خَلَف عن أحمد بن الهَيْثَم عن العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال:

دخل أبو دُلامةَ يوماً على المهديّ، فحادثه ساعةً وهو يضحَك وقال له: هل بقي أحدٌ من أهلي لم يَصِلْك؟ قال: إن أمّنْتني أخبرتُك، وإن أعْفَيْتَني فهو أحبُّ إليّ. قال: بل تُخبرني وأنت آمِنٌ. قال كلُّهم قد وصَلَني إلاّ حاتِمَ بني العَبّاس. قال: / ومن هو؟ قال: عمُّك العبّاس بن محمد. فالتفتَ إلى خادم على رأسه وقال: جَأْ[٢] عُنُقَ العاضِّ بَظْرَ أمِّه. فلمّا دنا منه صاح به أبو دُلامةَ: تنَحَّ يا عبدَ السَّوْء لا تُخْنِث مولاك وتَنْكُث عهدَه وأمانَه. فضحِك المهديّ وأمر الخادمَ فتنحّى عنه، ثم قال لأبي دُلامة: وَيْلَك! والله عمّي أبخلُ الناس. فقال أبو دُلامة: بل هو أسْخَى الناس. فقال له المهديّ: والله لو مُتَّ ما أعطاك شيئاً. قال: فإن أنا أتيتُه فأجازني؟ قال: لك بكل درهمٍ تأخذه منه ثلاثةُ دراهم. فآنصرف أبو دُلامة فحبّر للعبّاس قصيدةً ثم غدا بها عليه وأنشده: [١٠/٢٦٦]

قِـفْ بـالـديـار وأيُّ الـدهـرِ لـم تَقِـفِ ... علـى المنـازل بيـن الظَّهْـرِ[٣] والنَّجَـفِ

ومـا وُقـوفُـك فـي أطـلالِ مَنْـزِلَـةٍ ... لـولا الـذي آستـدرجـتْ مـن قلبِـك الكَلِـف

إن كنـتَ أصبحـتَ مشغـوفـاً بسـاكنهـا ... فـلا وربِّـك لا تَشفِيـك مـن شَغَـفِ

دَعْ ذا وقُـلْ فـي الـذي قـد فـاز مـن مُضَـرٍ ... بـالمَكْـرُمـات وعِـزٍّ[٤] غيـرِ مُقْتَـرَفِ[٥]

هـذي رسـالـةُ شيـخ مـن بَنـي أَسَـدِ ... يُهْـدِي السـلامَ إلـى العبّـاس فـي الصُّحُـفِ

تَخُطُّهـا مـن جَـواري المِصْـرِ كـاتبـةٌ ... قـد طـالمـا ضَـرَبَـتْ فـي الـلام والألِـفِ

وطـالمـا آختلفـت صَيْقـاً[٦] وشـاتِيـةً ... إلـى معلِّمهـا بـاللَّـوْح والكَتِـفِ

حتّـى إذا نَهَـدَ الثَّـديـانِ وآمتـلأ ... منهـا وخِيفَتْ علـى الإسـراف والقَـرَفِ[٧]

صِينـتْ ثـلاثَ سِنِيـنٍ مـا تَـرى أحـداً ... كمـا يصـون تِجـارٌ دُرَّةَ الصَّـدَفِ

/ فبينمـا الشيـخُ يَهْـوِي نحـو مَجْلِسـه ... مبـادراً لصـلاة الصُّبـح بـالسَّـدَفِ[٨]

(١) في ب، س: «بين مركبين».
(٢) جأ: اضرب.
(٣) الظهر: موضع. والنجف (بالتحريك): موضع بظهر الكوفة وهو دومة الجندل بعينها، والقرب منه قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.
(٤) في ب، س: «عزم».
(٥) مقترف: مكتسب.
(٦) في ب، س: «ضيفاً» بالضاد المعجمة وهو تصحيف.
(٧) القرف: التهمة.
(٨) السدف: الظلمة.

حانت له لَمْحَةٌ منها فأبصرها مُطلَّةً بين سَجْفَيْها من الغُرَف

/ فخرَّ واللهِ ما يدري غداتئذٍ أخرَّ مُنكشِفاً أم غير منكشف [٢٦٧/١٠]

وجاءه الناسُ أفواجاً بمائهمُ ليغسِلوا الرجلَ المَغْشِيَّ بالنُّطَفِ[١]

ووَسْوَسوا بقُرانٍ في مسامعه مَخافَةَ[٢] الجنُّ والإنسانُ لم يَخَفِ

شيئاً ولكنَّه من حُبِّ جاريةٍ أمسى وأصبح موقوفاً على التَّلَفِ

قالوا: لك الويلُ ما أبصرتَ؟ قلتُ لهم تطلَّعتْ من أعالي القَصْر ذي الشُّرَف

فقلتُ أيُّكمُ واللهُ يأجُرُه يُعِين قُوَّتَه فيها على ضَعَفِ

فقام شيخٌ بَهِيٌّ من رجالهمُ قد طالما خدَعَ الأقوامَ بالحَلِف

فابْتاعها لي بألفَيْ درهمٍ فأتى بها إليَّ فألقاها على كَتِفي

فبِتُّ ألْثِمُها طَوْراً وألْزَمُها طوراً وأصنع بعضَ الشيء في اللُّحُف

فبين[٣] ذاك كذا إذ جاء صاحبُها يَبْغي الدراهمَ بالميزان ذي الكِفَفِ

وذِكْرُ حقٍّ على زَنْدٍ وصاحِبِه والحقُّ في طَرَفٍ والطِّينُ في طَرَف

وبين ذاك شهودٌ لا يَضُرُّهمُ أكنتُ معترفاً أم غير معترف

فإن يكن منك شيءٌ فهو حقُّهمُ أوْ لا فإنِّيَ مدفوعٌ إلى التَّلَف

قال: فضحِك العبّاس وقال: وَيْحَك أصادقٌ أنت؟ قال: نعم والله. قال: يا غلام اِدفع إليه ألفَيْ درهم ثمنَها. قال: فأخذها ثم دخل على المهديّ فأخبره القِصّةَ وما احتال له به. فأمر له المهديُّ بستة آلاف درهم. وقال له المهديّ: كيف لا يضرّهم ذلك؟ قال: لأنّي مُعْدِم لا شيء عندي. وقال عمّي في خبره: فقال له العبّاس بن محمد شارِكْني في هذه الجارية. قال: أفعلُ ولكن على شريطةٍ. قال: وما هي؟ قال: الشَّرِكةُ لا تكون إلّا مفاوضةً[٤]، فاشْتَرِ معها أخرى، ليبعثَ كلُّ واحدٍ منا إلى صاحبه ما عنده / ويأخذ الأخرى مكانَها ليلةً [٢٦٨/١٠] وليلة. فقال له العباس: قَبَحك الله وقَبَح ما جئتَ به! خذ الدراهمَ لا بارك الله لك فيها وانصرِفْ.

أمره أبو مسلم بمبارزة رجل فقال شعراً أضحكه فأعفاه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني العَبْسِيّ قال:

كان أبو دُلامةَ مع أبي مسلم في بعض حروبه مع بني أميّة. فدعا رجلٌ إلى البِراز؛ فقال له أبو مسلم: أُبْرُزْ إليه. فأنشأ يقول:

ألا لا تَلُمْني إن فَرَرْتُ فإنّني أخاف على فُخّارتي أن تَحَطَّما

(١) النطف: جمع نطفة (بالضم) وهي الماء الصافي قل أو كثر.

(٢) في حـ، ب، س: «فخافه» وهو تحريف.

(٣) المشهور في مثل هذا أن يقال: فبينا ذاك كذا أو «بينما». وقد جاء بها أبو دلامة هنا على الأصل.

(٤) شركة المفاوضة: هي الشركة العامة في كل ما يملكه الشريكان.

فلـو أنّنـي فـي السُّـوق أبتـاع مِثْلَهـا ... وجَـدِّك مـا بـاليـتُ أن أتقـدَّمـا

فضحِك وأعفاه.

وعدته ريطة جارية فاستنجزها بشعر:

ونسخت من كتاب ابن النطّاح:

أنّ رَيْطةَ وعَدتْ أبا دُلامة جاريةً فمطَلته حتى أمتَدَحَها بعِدّة قصائد، كلُّ ذلك لا تَفِي له، ثم خرجتْ إلى مكّة ورجعتْ. وكانت لها جاريةٌ يقال لها أمُّ عَبِيدةَ تخرج وتُكلِّم الرجالَ وتبلِّغ عنها الرسائل. فقال أبو دُلامة لأمّ عَبِيدَةَ حين عِيلَ صبرُه:

أبلغـي سيِّـدتـي إن ... شِئْـتِ يـا أمَّ عَبِيـدهْ

/ أنّهـا أرشَـدهـا اللـ ... ـهُ وإن كـانـت رشيـده [١٣٨/٩]

وعـدتنـي قبـلَ أن تخـ ... ـرج للحـجِّ وَلِيـده

فتنظَّـرتُ وأرسلـ ... ـتُ بعشـريـن قصيـده

كلَّمـا تخلَـق أولـى ... بُـدِّلَـتْ أخـرى جـديـده

إنّنـي شيـخٌ كبيـرٌ ... ليـس فـي بيتـي قَعيـده

غيـرُ مِثْـلِ الغُـول عنـدي ... ذاتِ أوصـالٍ مَـديـده

/ وجهُهـا أسمـجُ مـن خُـو ... تِ طَـرِيٍّ فـي عَصِيـدهْ [٢٦٩/١٠]

ذاتِ رِجْـلٍ ويـدٍ كلـ ... ـتـاهمـا مِثْـلُ القَـديـده

فدخلتْ على رَيْطةَ فأنشدتْها الشعرَ، فأمرتْ له بجارية ومائتي دينار للنفقة عليها.

اشترى لأضيافه نبيذاً من نباذه ولم يعطها الثمن وقال فيها شعراً:

أخبرني الحسين بن يحيى نسختُ من كتاب إسحاق الموصليّ حدّثني أبي عن جدّي[1]:

أنّ أبا دُلامة نَزل بالكوفة، فأتاه أضيافٌ فغدّاهم، ثم بعث إلى سِنْدِيّةٍ نَبّاذة يقال لها دَوْمةُ. فبعثتْ إليهم جَرَّةً من نَبيذ فشربوها، ثم أعاد فبعثتْ إليهم بأخرى، ثم جاءت تتقاضَى الثمنَ. فقال: ليس عندي الثمن، ولكني أمْدَحك بما هو خيرٌ من نَبيذك. فقال:

ألا يـا دَوْمُ دام لـكِ النَّعيـمُ ... وأحْمَـرُ مِـلْءُ[2] كَفِّـكِ مستقيـمُ

(١) يلاحظ أن جدّ إسحاق بن إبراهيم الموصلي فارسي وهو ماهان أو ميمون بن بهمن، وأنه مات وابنه طفل في الثانية أو الثالثة، فلا يعقل أن يكون إبراهيم روى عن أبيه. على أن ماهان لم يعرف أنه من رواة الأدب العربي. فلعل في كلمة «عن جدي» تحريفاً أو هي من زيادات النساخ. (راجع ترجمة إبراهيم الموصلي في الجزء الخامس من هذه الطبعة صّ ١٥٤).

(٢) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «مثل» وهو تحريف. وقد ورد هذا الشعر في الجزء العاشر صفحة ٩٤ من «الأغاني» طبع بلاق في ترجمة الأقيشر، وروايته:

ألا يـا دوم دام لـك النعيـم ... واسمـر مـلء كفـك مستقيـم

شـديـد الأسـر ينبـض حـالبـاه ... يحيـم كـأنـه رجـل سقيـم

=

شـديـدُ الأصـل يَنْبِـذُ[1] حـالِبـاه ... يَئِـنُّ كـأنّـه رجـلٌ سقيـم

وهذا الخبر يُرْوَى عن الأُقَيْشِر أيضاً.

قال شعراً في الجنيد النخاس يذمه ويمدح جارية له:

قال إسحاق وحدّثني أبي:

أنّ أبا دُلامة كان كثير الزيارة للجُنَيْد النخّاس، وكان يتعشّق جاريةً له ويُبْغِضه. فجاءه يوماً فقال: أخرِجْ لي فلانةَ. فقال: إلى متى تخرج إليك ولستَ بمشترٍ!! / قال: فإن لم أكن مشترياً فإني أخٌ يمدَح ويُطرى. قال: ما [١٠/٢٧٠] أنا بمخرجها إليك أو تقولَ فيها شعراً. قال: فآحلِفْ بعِتقها أن ترويَها إيّاه وتأمُرَها بإنشاده مَنْ أتاك يعترِضُها ولا تَحجُبَها. فحلَف لا يحجُبها. فقال أبو دُلامة:

إنّـي لأحسَـبُ أن سَـأُمسِـي مَيِّتـاً ... أو سـوف أُصبِـح ثـم لا أُمسِـي

مـن حـبِّ جـاريـة الجُنَيْـدِ وبُغْضِـه ... وكـلاهمـا قـاضٍ علـى نفسـي

فكـلامُهـا يُشفَـى بـه سَقَمِـي ... فـإذا تكلّـم عـاد لـي نُكْسـي

عاد إسحاق الأزرق وعنده طبيبه فقال شعراً ينصحه فيه بمجانبة الطبيب:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال:

دخل أبو دُلامةَ على إسحاقَ الأزرقِ يَعُوده، وكان إسحاق قد مرِض مرضاً شديداً، ثم تعافَى منه وأفاق، فكان من ذلك ضعيفاً، وعند إسحاق طبيبٌ يَصِفُ له أدويةً تقوّي بدنَه. فقال أبو دُلامة للطبيب: يأبنَ الكافرة! أتَصِفُ هذه الأدوية لرجل أضعفه المرض! ما أردتَ والله إلاّ قَتْلَه. ثم آلتفت إلى إسحاق فقال: إسمَعْ أيها الأمير منّي. قال: هات ما عندك يا أبا دُلامة. فأنشأ يقول:

نَـحِّ عنـك الطبيـبَ وٱسْمَـعْ لنعتـي ... إنّنـي نـاصـحٌ مـن النُّصّـاحِ

ذو تجـاريـبَ قـد تقلّبْـتُ فـي الصحّـة دهـراً وفـي السَّقـام المُتـاح

غـادِ هـذا الكَبـابَ كـلَّ صبـاحٍ ... مـن مُتُـون الفَتِيَّـةِ السُّحّـاح[2]

/ فـإذا مـا عَطِشـتَ فـٱشـرَبْ ثـلاثـاً ... مـن عتيـقٍ فـي الشـمِّ كـالتُّفّـاح

ثـم عنـد المسـاء فـاعكُـفْ علـى ذا ... وعلـى ذا بـأعظـم الأقـداح

فتقـوِّي ذا الضعـفَ منـك وتُلْفَـى ... عـن[3] ليـالٍ أصـحَّ هـذي الصِّحـاح

ذا شفـاءٌ وَدَعْ مقـالـةَ هـذا ... نـاك ذا أمَّـه بـأيْـرِ رَبـاح[4]

١٣٩/٩

* يـرويـه الشـراب فيـزدهيـه ... وينفـخ فيـه شيطـان رجيـم

(١) ينبذ: ينبض.

(٢) السحاح: السمان، واحدها ساح وساحة، بالحاء المشدّدة.

(٣) عن ليال أي بعد ليال.

(٤) رباح: القرد.

[١٠/٢٧١] / فضحِك إسحاق وعُوّادُه، وأمر لأبي دُلامة بخمسمائة درهم. وكان الطبيب نصرانياً فقال: أعوذ بالله من شرّك يا رَكُل (يريد يا رجل). وقال الطبيب: إقْبَلْ منّي أصلحك الله ولا تسألني عن شيء قُدّامَه. فقال أبو دلامة: أمّا وقد أخذتُ أُجْرَةَ صَفْقَتي[١] وقَضَيْتُ الحقَ في نُصْح صديقي، فانْعَتْ له الآن أنت ما أحببتَ.

تنادر بسلمة الوصيف في حضرة المهدي:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني أبو الشِّبْل عاصم بن وهب البُرْجُميّ قال:

دخل أبو دُلامة على المهديّ وبين يديه سَلَمةُ الوصيف واقفاً، فقال: إنّي أهدَيْتُ إليك يا أمير المؤمنين مُهْراً ليس لأحد مثلُه. فإن رأيتَ أن تُشَرِّفَني بقبوله. فأمره بإدخاله إليه. فخرج وأدخل إليه دابّتَه التي كان تحته، فإذا به بِرْذَوْنٌ مُحَطَّمٌ أَعْجَفُ هَرِمٌ. فقال له المهديّ: أيُّ شيءٍ هذا وَيْلَك! ألم تزعم أنه مهرا. فقال له: أوَ ليس هذا سَلَمَةَ الوصيفَ بين يديك قائماً تسمّيه الوصيفَ وله ثمانون سنة، وهو عندك وصيفٌ! فإن كان سَلَمةُ وَصيفاً فهذا مُهْرٌ. فجعل سَلَمةُ يشتُمه والمهديّ يضحك. ثم قال لسَلَمةَ: وَيْلَك، إنّ لهذه منه أخوات، وإن أتى بها في مَحْفِل فَضَحَك. فقال أبو دُلامة: والله لأفضَحنّه يا أمير المؤمنين؛ فليس من مواليك أحدٌ إلاّ وقد وصَلَني غيرُه، فإنّي ما شربت له الماء قطّ. قال: فقد حكمتُ عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم حتى يتخلّص من يدك. قال: قد فعلتُ على أن لا يُعاوِد. فقال له: ما ترى؟ قال: أفعَلُ، فلولا أنّي ما أخذت منه شيئاً قطّ ما فعلتُ معه مثلَ هذه. فمضى سَلَمةُ فحملها إليه.

عبث به ابنه فأراد أن يخصيه فحكم زوجته:

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن سعد الكُرانيّ قال حدّثني الخليل بن أسَد عن عبدالرحمن بن صالح قال:

[١٠/٢٧٢] / جاء ابن أبي دُلامة يوماً إلى أبيه وهو في مَحْفِلٍ من جِيرانه وعَشِيرته جالس، فجلس بين يديه، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم: إن شيخي، كما ترون، قد كَبِرَتْ سِنُّه، ورَقّ جلدُه، ودَقّ عظمُه، وبنا إلى حياته حاجة شديدة، فلا أزال أُشير عليه بالشيء يُمْسِك رَمَقَه ويُبْقي قُوّته، فيخالفني فيه. وأنا أسألكم أن تسألوه قضاءَ حاجة لي أذكرها بحضرتكم، فيها صلاحٌ لجسمه، وبقاءٌ لحياته، فأسعفوني بمسألته. فقالوا: نفعلُ حُبّاً وكَرامةً. ثم أقبلوا على أبي دُلامة بألسنتهم وتناولوه بالعتاب حتى رضِي وهو ساكت، فقال قولوا للخبيث فليَقُلْ ما يُريد، فستعلمون أنّه لم يأتِ إلاّ ببليّة. فقالوا له: قل. فقال: إنّ أبي إنما يقتله كثرةُ الجماع، فتُعاونوني عليه حتى أَخْصِيَه، فلن يقطعَه عن ذلك غيرُ الخِصاء، فيكونَ أصحّ لجسمه وأطولَ لعمره. فعَجِبوا من ذلك وعلموا أنه إنما أراد أن يعبَث بأبيه ويخجِّله حتى يَشِيعَ ذلك عنه فيرتفع له بذلك ذكر، فضحِكوا منه. ثم قالوا لأبي دُلامة: قد سمعتَ فأجِبْ. قال: قد سمعتم أنتم وعرَّفتكم أنه لن يأتيَ بخير. قالوا: فما عندك في هذا؟ قال: قد جعلتُ أمّه حَكَماً بيني وبينه فقوموا بنا إليها. فقاموا بأجمعهم فدخلوا إليها، وقصَّ / أبو دُلامة القصّةَ عليها، وقال لها: قد حكّمتُكِ. فأقبلتْ على الجماعة فقالت: إنّ ابني ـ أصلحه الله ـ قد نصح أباه وبرّه ولم يألُ جُهْداً، وما أنا إلى بقاء

١٤٠/٩

(١) كذا في جميع الأصول. ولعله: «أجرة صفتي إلخ».

أبيه بأحْوَجَ منّي إلى بقائه، وهذا أمرٌ لم تقع به تجربةٌ منّا، ولا جَرَتْ بمثله عادةٌ لنا، وما أشُكُّ في معرفته بذلك. فَلْيبدأ بنفسه فلْيَخْصِها؛ فإذا عُوفِيَ ورأيناه ذلك قد أثّر عليه أثراً محموداً أستعمله أبوه. فنَعَر[1] أبوه وجعل يضحَك به، وخَجِل أبنُه، وأنصرف القوم يضحكون ويعجَبون من خُبْثهم جميعاً وأتّفاقِهم في ذلك المذهب.

/ أمر المهديّ مروانياً بقتل خارجي فنبا السيف في يده فقال هو في ذلك شعراً: [٧٣/١٠]

أخبرني عمّي قال حدّثنا مَيْمون بن هارون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال:

كان عند المهديّ رجل من بني مَرْوان، فدخل إليه وسلَّم عليه. فأتى المهديُّ بعِلْج[2] فأمر المَرْوانيَّ بِضَرْبِ عُنُقِه، فأخذ السيفَ وقام فضربه فنَبَا السيفُ عنه، فرَمَى به المروانيّ وقال: لو كان من سيوفنا ما نَبَا. فسمع المهديّ الكلام فغاظه حتى تغيّر لونُه وبَانَ فيه. فقام يَقْطِينٌ[3] فأخذ السيفَ وحسَر عن ذراعيه ثم ضرب العِلْجَ فرمى برأسه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إنّ هذه سيوف الطاعة لا تعمَل إلّا في أيدي الأولياء ولا تعمل في أيدي أهل المعصية. ثم قام أبو دُلامة فقال: يا أمير المؤمنين، قد حضَرَني بيتان أفأقولهما؟ قال: قل. فأنشده:

أَيُّهــذَا الإِمــامُ سيفُــك مــاضٍ ... وبكــفّ الــولــيّ غيــرُ كَهَــامِ[4]

فــإذا مــا نَبَــا بكــفٍّ عَلِمْنــا ... أنّهــا كــفّ مُبْغِــضٍ لــلإمــامِ

قال: فسُرِّيَ عن المهديّ وقام من مجلسه، وأمر حُجّابه بقتل الرجل المروانيّ فقُتِل.



(١) نعر: صاح وصوّت بخيشومه.
(٢) العلج: الرجل من كفار العجم.
(٣) يقطين: هو يقطين بن موسى البغدادي. (انظر الكلام عليه في الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٥ ج ٦ من كتاب «الأغاني» من هذه الطبعة).
(٤) الكهام من السيوف: الكليل الذي لا يقطع.

[/ أخبار عبدالله بن المعتزّ]

[١٠/٢٧٤]

وممن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد وأحسن وبرَع وتقدّم جميعَ أهلِ عصره فَضْلاً وشرفاً وأدباً وشعراً وظرفاً وتصرّفاً في سائر الآداب أبو العبّاس عبدالله بن المُعتزّ بالله.

أدبه وشعره ودفاع أبي الفرج عن مذهبه في الأدب:

وأمرُه، مع قرب عهده بعصرنا هذا، مشهور في فضائله وآدابه شهرةً تُشْرِكُ في أكثر فضائله الخاصَّ والعامَّ. وشعرُه وإن كان فيه رِقّةُ الملوكيّة وغَزَلُ الظُّرفاء وهَلْهَلةُ المُحدَثين، فإن فيه أشياءَ كثيرةً تجري في أسلوب المُجيدين ولا تقصُر عن مَدَى السابقين، وأشياءَ ظريفةً من أشعار الملوك في جنس ما هم بسبيله، ليس عليه أن يتشبّه فيها بفحول الجاهليّة. فليس يمكن واصفاً لصَبُوح، في مجلس شَكِلٍ ظريف، بين نَدَامَى وقِيان، وعلى ميادين من النَّوْر والبَنَفْسَج والنَّرْجِس ومنضودٍ من أمثال ذلك، إلى غير ما ذكرته من جنس المجالس وفاخر الفُرُش ومختار الآلات، ورِقّة الخَدَم، أن يَعْدِل بذلك عما يُشْبِهُه من الكلام السَّبْط[١] الرقيق الذي يفهمه كُلُّ مَنْ حضَر، إلى جَعْد الكلام ووَحْشِيّه، وإلى وصف البِيد والمَهامِهِ والظَّبْي والظَّليم[٢] والناقة والجمل والديار والقِفار والمنازل الخالية المهجورة؛ ولا إذا عدَل عن ذلك وأحسن قيل له مُسِيء، ولا أن يُغْمَطَ حقَّه كلَّه إذا أحسن الكثيرَ وتوسّط في البعض وقَصَّر في اليسير، ويُنْسَبَ إلى التقصير في الجميع، لنشر المقابح وطَيِّ المحاسن. فلو شاء أن يفعل هذا كلُّ أحدٍ بمن تقدّم لوجد مَسَاغاً. ولو أنّ قائلاً أراد الطعن على صدور الشعراء، لقد رأى أن يطعن على الأعشى ـ / وهو أحدُ مَنْ يقدِّمه الأوائل على سائر الشعراء ـ بقوله: «فأصاب حَبّةَ قلبه وطِحالَها[٣]». [١٠/٢٧٥]

وبقوله:

[١٤١/٩] / ويــأمــر لليَحْمــومِ[٤] كــلَّ عَشِيَّــةٍ ... بقَــتٍّ وتَعْلِيــقٍ فقــد كــاد يَسْنَــقُ

(١) السبط: السهل المرسل. والجعد: المعقد.

(٢) الظليم: ذكر النعام.

(٣) العيب في هذا ورود كلمة الطحال فيه وهي مما يأباها الذوق. وقد ورد كلام فيه في هذا الجزء (ص ٨١ ـ ٨٢) فراجعه.

(٤) كذا في «لسان العرب» وكتاب «نسب الخيل» لابن الكلبي وكتاب «الشعر والشعراء» لابن قتيبة. واليحموم: اسم فرسه. والقت: حب بري. والتعليق: ما تعلفه الدابة من شعير ونحوه. ويسنق: يأكل حتى يصيبه كالبشم. وقد ورد هذا البيت في ب، س هكذا:

وقــد كــان يــأمــر همــر كــل ليلــة ... بقــت وتعليــق فقــد كــاد يسبــق

وفي الأصول المخطوطة:

وقــد كــان يــأمــوم فــي كــل ليلــة ... بقــت وتعليــق فقــد كــاد يسبــق

وهما تحريف وعيب هذا البيت أنه مدح به ملك الحيرة وهو لا يمدح به رجل من خسّاس الجنود؛ لأنه ليس من أحد له فرس إلا وهو يعلفه قتاً ويقضمه شعيراً. وهذا مديح كالهجاء. وقال أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة: «ولست أرى هذا عيباً؛ لأن الملوك تعد فرساً على أقرب الأبواب من مجالسها بسرجه ولجامه خوفاً من عدوّ يفجؤها أو أمر ينزل أو حاجة تعرض لقلب الملك فيريد البدار، فلا يحتاج إلى أن يتلوّم على إسراج فرسه وإلجامه. وإذا كان واقفاً غدى وعشي. فوضع الأعشى هذا المعنى ودل به على ملكه وعلى حزمه». (راجع كتاب «الشعر والشعراء» صفحة ١٤١ ـ ١٤٢ طبع أوربا).

وأشالٍ لهذا كثيرة. وإنما على الإنسان أن يحفَظ من الشيء أحسنَه، ويُلْغِيَ[(١)] ما لم يستحسنه، فليس مأخوذاً به. ولكنّ أقواماً أرادوا أن يرفعوا أنفسَهم الوضيعةَ، ويُشيدوا بذكرهم الخامل، ويُعْلُوا أقدارَهم الساقطةَ بالطعن على أهل الفضل والقَدْح فيهم، فلا يزدادون بذلك إلاّ ضَعَةً، ولا يزداد الآخرُ إلاّ ٱرتفاعاً. ألاَ ترى إلى ٱبن المعتزّ قد قُتِل أسوأ قِتْلة، ودَرَج فلم يَبْق له خَلَفٌ يقرّظه ولا عَقِبٌ يرفع منه، وما يزداد بأدبه وشعره وفضله وحُسْنِ أخباره وتصرُّفِه في كلّ فنٍّ من العلوم إلاّ رِفعةً / وعلُوّاً. ولا نُظر إلى أضداده كلّما ٱزدادوا في طعنه [١٠/٦] وتقريظِ أنفسهم وأسلافهم الذين كانوا مِثْلَهم في ثَلْبه والطعنِ عليه، زادوها سقوطاً وضَعَةً، وكلّما وصفوا أشعارهم وقرّظوا آدابهم، زادوا بها ثِقَلاً ومقتاً. فإذا وقع عليهم المُحَصِّل الموافق، عدَلوا عن ثَلْبه في الآداب، إلى التشنيع عليه بأمر الدين وهجاء آل أبي طالب، وهم أوّل من فعل ذلك وشنّع به على آل أبي طالب عند المُكْتَفِي حتى نهاهم عنه، فعدَلوا عن عَيْب أنفسهم بذلك إلى عيبه، وٱرتكبوا أكثر منه. وأنا أذكر ذلك بعقب أخبار عبدالله، مُصَرِّحاً به على شرحٍ إن شاء الله تعالى.

علمه بصناعة الموسيقى:

وكان عبدالله حسن العلم بصناعة المُوسِيقِي، والكلام على النغم وعِلَلِها. وله في ذلك وفي غيره من الآداب كتبٌ مشهورةٌ، ومراسلاتٌ جَرَتْ بينه وبين عُبَيْدالله بن عبدالله بن طاهر وبين بني حَمْدون، وغيرهم، تدلّ على فضله وغَزارة علمه وأدبه.

كتاب عبيدالله بن عبدالله بن طاهر له وقد بعث إليه برسالة إلى ابن حمدون:

ولقد قرأتُ بخطّ عُبَيْدالله بن عبدالله بن طاهر رُقْعةً إليه بخطه، وقد بعث إليه برسالة إلى ٱبن حَمْدون في أنه يجوّز ولا يُنْكِر أن يغيِّر الإنسانُ بعضَ نَغَم الغِناء القديم، ويعدِلَ بها إلى ما يحسُن في حَلْقه ومذهبه. وهي رسالةٌ طويلةٌ، وشاوره فيها. فكتب إليه عبيدالله: «قرأتُ ـ أيّدك الله ـ الرسالةَ الفاضلةَ البارعةَ الموفَّقة. فأنا والله أقرؤها إلى آخرها، ثم أعود إلى أوّلها مبتهجاً، وأتأمّل وأدعو مبتهلاً، وعينُ الله التي لا تنام عليك وعلى نعمه عندك. فإنها ـ علِم الله ـ النعمةُ المعدومة المِثْل. ولقد تمثّلت وأنا أُكرِّر نظري فيها قول القائل في سيّدنا وٱبن سيّدنا عبدالله بن العبّاس:

كفَـى وشَفَـى مـا فـي النفـوس ولـم يَـدَعْ ... لِـذي إرْبـةٍ فـي القـول جِـدّاً ولا هَـزْلاَ

ولا والله ما رأيتُ جِدّاً في هَزْلٍ، ولا هَزْلاً في جِدٍّ يُشْبِه هذا الكلامَ في بلاغته وفصاحتِه وبيانه وإنارة برهانه وجزالة ألفاظه. ولقد خُيِّل إليّ أنّ لسان جَدِّكَ / العبّاس عليه السلام ينقسم على أجزاء، فلك ـ أعزّك الله ـ [١٠/٧] نصفُها، والنصفُ الآخرُ مقسوم بين أبي جعفر المنصور والمأمون رحمة الله عليهما. ولو أنّ هذه الرسالة جَبَهت الإبراهيمَيْن إبراهيمَ بن المهديّ وإبراهيمَ الموصليّ وٱبنَه إسحاق وهم مجتمعون لبُهِت منهم الناظر، وأُخْرِس الناطق، ولأقرّوا لك بالفضل في السَّبْق، وظهور حُجّةِ الصِّدْق، ثم كان قولُك لهم فَرْقاً بين الحقّ والباطل، والخطأ والصواب. ووالله ما تأخذ في فنٍّ من الفنون، إلاّ بَرَّزْتَ فيه تبريز الجواد الرّائع، المُغَبِّر في وجه كلّ حِصان تابع. عَضَد الله الشرفَ ببقائك، وأحيا الأدبَ / بحياتك، وجَمَّل الدنيا وأهلَها بطول عمرك». ١٤٢/٩

هذا كلام العقلاء وذوي الفضل في مِثْلِه، لا كلام الثقلاء وذوي الجهل. والإطالةُ في هذا المعنى مُسْتَغْنًى عنها.

(١) كذا في الأصول. ويحتمل أن يكون: «يلقي» بالقاف.

والمشهورُ عنه وعن أضداده وما يأتي من أخباره بعد ذلك ففي معنى ما شَرَطتُه من جنس ما هو المَقْصِد في كتابي هذا.

أصوات له في أشعار مختلفة:

فمن صنعة عبدالله بن المعتز في شعره على أنّ أكثرها هذه سبيلُه فيها:

صـوت

هـل تَـرجِعـنَّ ليـالٍ قـد مَضَيْـنَ لنـا والـدارُ جـامعـةٌ أزمـانَ أزمـانَـا[1]

صَنْعَتُه في بيتٍ واحد، ولحنُه ثقيلٌ أوّل.

[٢٧٨/١٠] / ومن صنعته في الثقيل الأوّل أيضاً ـ وفيه لعَلّويه رَمَلٌ قديم، وما لحنُه بدون لحن عَلّويه ـ:

صـوت

سَقَى جانبَ القَصْرَيْن فالدَّيْرَ فالحِمَى إلى الشَّجر المحفوفِ بالطِّين والمَدَرْ[2]

ومن صنعته الظَّريفةِ[3] الشَّكِلَةِ مع جودتها:

صـوت

وابـلائـي مـن مَحْضَـرٍ ومَغِيـبِ وحبيـبٍ منّـي بعيـدٍ قـريـبِ

لـم تَـرِدْ مـاءَ وجهـه العيـنُ إلّا شَـرِقَـتْ قبـل رِيِّهـا بـرقيـب

زارته زرياب في يوم الشعانين وغناها:

خفيفُ ثقيلٍ، ابتداؤه نشيد.

ومن صنعته، وله خبر أخبرني به عليّ بن هارون بن المنجّم عن زِرْيابَ قالت: زرتُ عبدَالله بن المعتزّ في يوم[4] السَّعانين، فسُرَّ بورودي وصنع من وقته لحناً في شعر عبدالله بن العبّاس الرَّبيعيّ الذي له فيه هَزَجٌ وهو:

(١) يقول: هل تعود ليال لنا مضت أزمان أزمان والدار جامعة أسباب سرورنا ولهونا. وأزمان أزمان يراد به أزمان لهونا وأزمان سرورنا أو نحو ذلك مما يضاف إليه أزمان ويناسب المقام. ومثل هذا التركيب مما يجب فيه البناء على فتح الجزأين كالمركب المزجي. وكل ما ركب تركيب المزج من الظروف زمانية كانت أو مكانية يجب بناؤه، مثل قولك فلان يأتينا صباح مساء أي كل صباح ومساء، فحذف العاطف وركب الظرفان قصداً للتخفيف تركيب خمسة عشر. قال الشاعر:

ومـن لا يصـرف الـواشيـن عنـه صبـاح مسـاء يبغـوه خبـالا

وتقول: فلان يأتينا يوم يوم أي يوماً فيوماً؛ قال الشاعر:

آتِ الـرزقَ يـوم يـوم فـأجمـل طلبـاً وابـغ للقيـامـة زادا

ومثال ما ركب من ظروف المكان قولهم: سهلت الهمزة بين بين؛ ومنه قول الشاعر:

نحمـي حقيقتنـا وبعـ ـض القـوم يسقـط بيـن بينـا

والأصل بين هؤلاء وبين هؤلاء. (راجع شرح «شذور الذهب في معرفة كلام العرب» لابن هشام الأنصاري طبع بلاق سنة ١٢٨٢ ص ٣٠، ٣١). وقد ورد هذا البيت في الأصول: «أزمان أزمان» والنون عارية من الشكل، وليس فيها ألف الإطلاق. ورجعنا إلى «ديوانه» المطبوع فلم نجد فيه هذا البيت.

(٢) المدر: التراب المتلبد، أو هو قطع الطين اليابس.

(٣) كذا في حـ. وفي ب، س: «الظريفة الشكل». وفي أ، م: «الطريفة الشكل».

(٤) في «لسان العرب» (في مادة سعن): «قال ابن الأثير: هو عيد لهم معروف قبل عيدهم الكبير بأسبوع، وهو سرياني، معرّب. وقيل: =

صوت

/ أنا في قلبي من الظَّبي كُلُومُ ... فدعِ اللَّوْمَ فإنّ اللَّوْمَ لُومُ[1] [١٠/٢٧٩

حبّذا يومُ السَّعانين وما ... نِلْتُ فيه من سرورٍ لو يَدومُ

الشعر لعبدالله بن العبّاس، ولحنُه فيه هَزَجٌ - قالت: فصنَع عبدُالله بن المعتزّ في البيت الثاني، وبعده بيتٌ أضافه إليه، هَزَجاً وهو:

زارني مولايَ فيه ساعةً ... ليتَه والله ما عِشتُ يُقيمُ

ولحنُ ابن المعتزّ في «حبذا يوم السّعانين» هذا البيتِ خفيفُ رَمَلٍ، وهو من نهايات الأغاني التي صنعها.

ومن صنعته التي تَظَارفَ[2] فيها ومَلُحَ:

زاحَمَ كُمّي كُمَّه فالْتَوَيَا ... وافق قلبي قلبه فاستَوَيَا

وطالما ذاقا الهوى فاكتويا ... يا قُرَّةَ العين ويا هَمِّي ويا

أراد هنا بقوله «ويا» ما يقوله الناس في حكاية الشيء الذي يخاطبون به الإنسان من جميل أو قبيح، فيقولون: قلتُ له يا سيّدي ويا مولاي ويا ويا، وكذلك ضدّه ليُستغنَى بالإشارة بهذا النّداء عن الشرح. ولحنُ ابن المعتزّ في هذا هَزَجٌ.

/ حرجت عليه نشر في صورة جميلة فقال فيها شعراً على البديهة: [١٠/٨٠

حدّثني جعفر بن قُدَامة قال:

كنّا عند ابن المعتزّ يوماً وعنده نَشْرٌ وكان يحبّها ويَهيم بها، فخرجت علينا من صدر البستان / في زمن الربيع، وعليها غِلالةٌ مُعَصْفَرة وفي يديها جنّابي[3] باكورة ١٤٣/٩

= هو جمع واحده سعنون» اهـ. والمشهور فيه «الشعانين» بالشين المعجمة؛ فقد ورد في «صبح الأعشى» (ج ٢ ص ٤١٥) في كلامه على أعياد القبط: «الثاني - الزيتونة، وهو عيد الشعانين، وتفسيره بالعربية التسبيح، يعملونه في سابع أحد من صومهم. وسنتهم فيه أن يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة، وهو يوم ركوب المسيح لليعفور (وهو الحمار) في القدس ودخوله صهيون وهو راكب والناس يسبحون بين يديه، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر» اهـ.

(١) لوم: مخفف لؤم بالهمز.

(٢) في ب، س: «تظافر». وفي سائر الأصول: «تضافر». وظاهر أن كليهما تحريف.

(٣) كتب المرحوم العلامة أحمد تيمور باشا عن هذه الكلمة فيما كتبه عن لعب العرب في العدد الأوّل من المجلة السلفية (السنة الثانية ص ٣٤) شرحاً لهذه اللعبة رأينا أن ننقله كله لما حواه من قيمة علمية كعادة الباشا عليه الرحمة والرضوان فيما يكتبه. قال:

«الجنابي - في «القاموس»: «والجناباء (بفتح أوله وثانيه) وكسماني (بضم أوله وفتح ثانيه) لعبة للصبيان». وفي «اللسان»: «الجناباء والجنابي لعبة للصبيان يتجانب الغلامان فيعتصم كل واحد من الآخر» ونحوه في «المخصص»».

وبعد أن نقل هذه العبارة عن «الأغاني» و«معاهد التنصيص» قال: «قلنا قوله «جنابي» باقلاء يظهر أنه شيء كالسلة ولم نعثر عليه في اللغة، ولعله مولد سمي بذلك لأنه يحمل في الجنب. والمفهوم من القصة أنه بتشديد النون لأن الجارية أرادت بقولها التجنيس باسم اللعبة، وهو وارد بالتشديد في شعر ابن المعتز كما ترى وإليه مال شارح «القاموس». وعبارته: «والجناباء بالمد والجنابي كسماني مخففاً مقصوراً هكذا في النسخ التي رأيناها وفي «لسان العرب» بالضم وتشديد النون. ويدل على ذلك أن المؤلف ضبط سماني بالتشديد في (س م ن) فليكن هذا الأصح، ثم أنه في بعض النسخ بالمد في الثاني وكذا في «لسان العرب» أيضاً، والذي قيده الصاغاني بالضم والتخفيف ككسالى». انتهى وتتبعه مصححه بأنه سهو منه لأن المؤلف إنما ضبط سماني في (س م ن) بوزن حبارى اهـ. ونقول: السهو من الشارح في تعيين المادة وكأنه يريد مادة (ح و ر) لقول المؤلف فيها «وأحمد بن أبي الحواري كسكارى، وكسماني أبو القاسم الحوّاري، الزاهدان معروفان» وقد ناقشه فيها هناك ولا يبعد أن يكون قوله وكسماني حرفه النساخ عن =

باقِلّا[1]. فقالت له: يا سيّدي تلعبُ معي جنّابي؟ فالتفتَ إلينا وقال على بديهته غيرَ متوقِّفٍ ولا مفكّر:

[٢٨١/١٠] / فـديْـتُ مَـنْ مَـرَّ يمشِـي فـي مُعَصْفَـرةٍ عَشِيَّـةً فَسَقَـانـي ثـم حيّـانـي

وقـال تلعَـبُ جنّـابـي فقلـت لـه مَـنْ جاد[2] بالـوصـل لـم يلعـب بِهجـران

وأمر فغُنِّيَ فيه. غَنَّتْ فيما أرى فيه هَزَارُ لحناً، وهو رَمَلٌ مُطْلَق.

جدر خادمه نشوان فجزع عليه ثم عوفي فسرّ وقال شعراً:

حدّثني جعفر قال:

كان لعبدالله بن المعتزّ غلامٌ يحبّه، وكان يغنّي غِناءً صالحاً، يقال له «نَشْوانُ». فجُدِر وجَزِع عبدُالله لذلك جزعاً شديداً، ثم عُوفِيَ ولم يؤثّر الجُدَرِيُّ في وجهه أثراً قبيحاً. فدخلتُ إليه ذاتَ يوم فقال لي: يا أبا القاسم، قد عُوفيَ فلانٌ بعدَك، وخرج أحسنَ مما كان، وقلتُ فيه بيتين وغَنَّتْ زِرْيابُ فيهما رَمَلاً ظريفاً، فاسمعهما إنشاداً إلى أن تسمعهما غِناءً. فقلت: يتفضّل الأميرُ، أيّده الله تعالى، بإنشادي إيّاهما. فأنشدني:

لـي قمـرٌ جُـدِّرَ لمّـا استـوى فـزاده حُسْنـاً فـزادت همـوم

أظنُّـه غَنَّـى لشمـس الضُّحَـى فنقَّطتْـه طَـرَبـاً بـالنجـوم

فقلت: أحسنتَ والله أيّها الأمير. فقال لي: لو سمعتَه من زِرْيابَ كنتَ أشدَّ استحساناً له. وخرجتْ زِرْيابُ فغنّتْه لنا في طريقةِ الرَّمَلِ في أحسن غِناء، فشربنا عليه عامّةَ يومِنا.

غضب عليه غلامه نشوان فقال شعراً يترضاه به:

حدّثني جعفر قال:

غضِب هذا الغلام على عبدالله بن المعتزّ؛ فجهَد في أن يترضّاه، فلم تكن له فيه حيلة. فدخلتُ إليه فأنشدني فيه:

بـأبـي أنـت قـد تمـا ديـتَ فـي الهجـر والغضـبْ

[٢٨٢/١٠] / واصطبـاري علـى صـدو دِكَ يـومـاً مـن العَجَـبْ

ليـس لـي إن فقَـدْتُ وجـ هَـكَ فـي العيـش مـن أرَبْ

رحِـم الله مَـنْ أعـا ن علـى الصلـح واحتَسَـبْ

قال: فمضَيْتُ إلى الغلام؛ ولم أزل أداريه وأرْفُقُ به حتى ترضَّيْتُه وجئتُه به، فمرَّ لنا يومئذٍ أطيبُ يومٍ

= (وكشقاري) كما نبه عليه المصحح على حاشية هذه المادة في نسخة «القاموس» المطبوعة ببلاق سنة ١٣٠٣.
بقي قول شارح «القاموس» إن (الجنابي) وردت بتشديد النون وبالمد أيضاً في «لسان العرب». ولعلها وردت كذلك طة بالقلم في النسخة التي كانت عنده؛ فإن النسخة التي بأيدينا ليس فيها إلا ما ذكرناه.
وبعد، فتشديد هذه اللفظة في البيت إما أن يكون عن لغة فيها محكية اطلع عليها ابن المعتز أو عن خطأ شاع بين المولدين فجرت به ألسنة الشعراء. والله أعلم اهـ».

(١) في «معاهد التنصيص» طبع بلاق سنة ١٢٧٤ ص ١٩٤: «جنابي من باكورة باقلاء».
(٢) في «معاهد التنصيص»: «من جدّ» وهي رواية جيدة.

وأحسنُه، وغَنَّتنا هَزَارُ في هذا الشعر رَمَلاً عجيباً.

زار في حداثته أبا عيسى بن المتوكل وأنشده من شعره في كره البنات فمدحه:

أخبرني الحسين بن القاسم الكاتب قال حدّثني إبراهيم بن خليل الهاشميّ قال:

دخلتُ يوماً إلى أبي عيسى بن المتوكِّل، فوجدتُ عبدَالله بن المعتزّ وقد جاءه مُسَلِّماً، وسِنُّه يومئذٍ دون عشرين سنة، إذ دخل عليٌّ[1] بن محمد بن أبي الشَّوَارِب القاضي، فأكرمه أبو عيسى ونهَض إليه. فلما ٱستقرّ به المجلس قال لأبي عيسى: قد احتجتُ إلى مَعُونتك في أمر دُفِعتُ إليه لم أَستغنِ فيه عن تكليفك المعاونةَ. قال: وما هو؟ قال: زوَّجْتُ بنتاً من بناتنا رجلاً من أهلنا، فخرج عن مذاهبنا، وأساء عِشْرة أهلِه، وجعل منزل عيسى بن هارون أكثَرَ مَظَانِّه وأوطانِه، ويهدِّدنا ويُوعِدنا بشَرِّه، حتى لقد نالنا من عيسى بَسْطٌ ليده ولسانِه فينا بالقبيح والقولِ السيىء، وكثرةُ معاونته له على ما يُزْرِي بدينه ونسبه. وقد توعّدنا بأنه يكشِف وجهه لنا في معاونة صِهْرنا هذا الغاوي علينا. ولولا نسبه الذي فخرُه لنا وعارُه علينا، لانتصفنا منه بالحق دون التعدّي، إلاّ أنّي أستعيذكَ منه. / فقال له أبو عيسى: أنا أُوَجِّه إليه بعد انصرافك، وأُراسله بما أنا المتكفّل بعده بألاّ يعود إلى عِشْرته، / والضامن أن أرُدّ[2] هذا الصِّهْرَ إلى حيث تحبّ ويَقَعُ بموافقتك. فشكره ودعا له وانصرف. فقال أبو عيسى: ألاَ تَرَوْن إلى هذا الرجل النَّبيه الفاضل السَّرِيّ الشريف يُدْفَع إلى مِثْل هذا! طُوبَى لمن لم تكن له بنت. فقال عبدُالله بن المعتزّ: أيّها الأمير إنّ لولدك في هذا المعنى شيئاً قاله وٱستحسنه جماعةٌ ممن يعلم ويقول الشعر. فقال: هاته فِدَاكَ عمُّك. فأنشده لنفسه:

[١٤٤/٩] [١٠/٢٨٣]

وبِكْـرٍ قلـتُ مـوتي قبـل بَعْـلٍ ... وإن أَثْـرَى وعُـدَّ مـن الصَّمِيـمِ

أَأَمْـزُجُ بـاللِّئـامِ دَمِـي ولَحْمِـي ... فمـا عُـذْرِي إلـى النَّسَـبِ الكـريـمِ

فقال له أبو عيسى: أمْتَعَ الله أهلَك ببقائك، وأحسن إليهم في زيادة إحسانه إليك، وجَمَّلَهم بكمال محاسنِك، ولا أرانا شرّاً فيك.

كان يعمر داره ويبيضها وقال شعراً في ذلك:

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدّثني عبدُالله بن موسى الكاتب قال:

دخلت على عبدالله بـن المعتـزّ وفي داره طبقـاتٌ من الصُّنّـاع، وهو يبني دارَه ويُبَيِّضُها. فقلـت: مـا هذه الغرامةُ الحادثة؟ فقال: ذلك السَّيْلُ الذي جاء مُذْ ليالٍ أَحْدَث في داري ما أَحْوَجَ إلى الغرامة والكُلْفَة، وقال:

ألاَ مَـنْ لنفـسٍ وأحـزانِهـا ... ودارٍ تَـدَاعَـى بحِيطـانِهـا

أظَـلُّ نهـاريَ فـي شمسهـا ... شقيّـاً مُعَنّـى ببنيـانِهـا

أُسَـوِّد وجهـي بتبييضهـا ... وأهـدِم كِيسـي بعُمـرانِهـا

(١) هو علي بن محمد بن عبدالملك بن أبي الشوارب الأموي البصري قاضي القضاة أبو الحسن. كان ولي القضاء بسر من رأى، وكان عالماً عفيفاً ثقة. توفي سنة ٢٨٣ هـ (عن «النجوم الزاهرة» ج ٣ ص ٩٧ طبع دار الكتب المصرية).

(٢) في ب، س: «وأنا الضامن إن أراد هذا الصهر إلا حيث» وهو تحريف.

خفف النميري صلاته وأطال السجود بعدها فقال هو شعراً:

حدّثني جعفر بن قُدَامة قال:

كنت عند عبدالله بن المعتزّ ومعنا النُّمَيْرِيّ، وحَضَرَتِ الصلاةُ، فقام النُّمَيْرِيّ فصلّى صلاةً خفيفةً جِدّاً، ثم دعا بعد انقضاء صلاته وسجد سَجْدَةً طويلةً جِدّاً، حتى استثقله جميعُ مَنْ حَضَر بسببها، وعبدُالله ينظُر إليه متعجِّباً ثم قال:

/١٠/٢٨٤

/ صلاتُك بين الوَرَى نَقْرَةٌ ... كما اختلس الجَرْعَةَ الوالغُ

وتسجُد من بعدها سَجْدَةً ... كما خُتِم المِزْوَدُ[1] الفارغُ

انقطعت عنه بنت الكراعة وكان يحبها فقال شعراً:

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدّثني عبيد[2] الله بن موسى الكاتب قال:

كانت بنت الكراعة تألَف عبدَالله بن المعتزّ، وكان يحب غناءها ويستظرفها ويحبُّها ويواصل إحضارها، ثم انقطعت عنه فقال:

ليتَ شِعري بمن تَشَاغلْتِ بَعْدِي ... وهو لا شكّ جاهلٌ مغرورُ

هكذا كنتُ مِثْلَه في سرورٍ ... وغداً في الهموم مِثْلِي يَصيرُ

كان يحب جارية قبيحة الصورة فاعترض عليه النميري فأجابه بشعر:

حدّثني جعفر بن قُدَامة قال:

كنا عند ابن المعتز يوماً ومعنا النُّمَيْرِيّ، وعنده جاريةٌ لبعض بنات المغنِّين تغنّيه، وكانت مُحْسِنة إلاّ أنها كانت في غايةٍ من القُبْح، فجعل عبدُالله يُجَمِّشُها ويتعلّق بها. فلمّا قامت قال له النُّمَيْرِيّ: أيّها الأمير، سألتُك بالله أتتعشّق هذه التي ما رأيتُ قطّ أقبحَ منها؟ فقال عبدُالله هو يضحَك:

قلبِيَ وثّابٌ إلى ذا وذا ... ليس يرى شيئاً فيأباهُ

/ يَهيم بالحُسنِ كما ينبغي ... ويرحَم القُبْحَ فيهواهُ

١٤٥/٩

راسل خزامى فتأخرت عنه فقال شعراً فأجابته:

أخبرنا الحسين بن القاسم قال حدّثني أبو الحسن الأمويّ قال حدّثني عبدُالله بن المعتزّ قال:

كانت خُزَامَى جاريةُ الضبط المغنّي تُنادمني وأنا حَدَثٌ ثم تركتِ النبيذَ. وكانت مُغَنِّيَة مُحْسِنةً شاعرةً ظريفةً. فراسلتُها مراراً فتأخّرت عنّي، فكتبتُ إليها:

رأيتُكِ قد أظهرتِ زُهْداً وتوبةً ... فقد سَمُجَتْ من بعد توبتكِ الخمرُ

فأهدَيْتُ وَرْداً كي يُذكّر عيشةً ... لمن لم يُمَتَّعنا ببهجتها الدهرُ

(١) المزود: وعاء الزاد.

(٢) كذا في جميع الأصول هنا. وتقدم في الصفحة الماضية: «عبدالله بن موسى» وذلك أيضاً باتفاق الأصول.

[١٠/٢٨٥]

/ فأجابت:

أتـانـي قـريـضٌ يـا أميـري مُحَبَّـرٌ ... حَكَـى لِـيَ نظـمَ الـدُّرِّ فُصِّـلَ بـالشَّـذْرِ[1]
أأنكـرتَ يـا بـنَ الأكـرميـن إنـابتـي ... وقـد أفصحـتْ لـي ألْسُـنُ الـدهـرِ بـالـزَّجْـر
وآذَنَـنـي شَـرْخُ الشَّبَـابِ بِبَيْنِـه ... فيـا ليـتَ شعـري بعـد ذَلـك مـا عُـذْري

شعره في موسم الربيع:

حدّثني جعفر بن قُدامة قال:

كنت أسْرَح مع عبدالله بن المعتزّ في يومٍ من أيّام الرَّبيع بالعبّاسيّة[2] والدنيا كالجنّة المُزَخْرَفة. فقال عبدالله:

حَبَّـذا آذارُ شهـراً ... فيـه للنَّـوْرِ أنتشـارُ
ينقُـص الليـلُ إذا جـا ... ء ويمتـدُّ النهـارُ
وعلـى الأرض آخضـرارٌ ... وأصفـرارٌ وأحمـرارُ
فكـأنّ الـرَّوْضَ وَشْـيٌ ... بـالغـتْ فيـه التّجـار
نقشُـه آسٌ ونِسـريـ[3] ... ـنٌ ووَرْدٌ وبهـار[4]

هنأ عبيدالله بن عبدالله بن طاهر بولاية ابنه محمد شرطة بغداد:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال:

كتب عبدُالله بن المعتزّ إلى عُبَيْد الله بن عبدالله بن طاهر وقد آستخلَف مؤنسٌ[5] آبنَه محمد بن عُبَيْد الله على الشُّرْطة ببغداد:

[١٠/٢٨٦]

/ فَـرِحـتُ بمـا أضعـافُـه دون قَـدْرِكـم ... وقلـتُ عسـى قَـد هَـبَّ مـن نـومـه الـدَّهْـرُ
فتَـرجِـعَ فينـا دولـةٌ طـاهـريَّـةٌ ... كمـا بـدأتْ، والأمـرُ مـن بعـده الأمـرُ
عسـى اللهُ، إنّ اللهَ ليـس بغـافـلٍ ... ولا بـدَّ مـن يُسْـرٍ إذا مـا آنتهـى العُسْـرُ

فكتب إليه عُبَيدالله قصيدةً منها:

ونحـن إذا مـا نـالنـا مَـسُّ جَفْـوَةٍ ... فمِنّـا علـى لأوائهـا الصَّبْـرُ والعُـذْرُ
وإن رجعـتْ مـن نعمـة الله دولـةٌ ... إلينـا فمِنّـا عنـدهـا الحمـدُ والشكـرُ

(١) الشذر: خرز تفصل به الجواهر في النظم.
(٢) العباسية: محلة كانت ببغداد منسوبة إلى العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس.
(٣) النسرين: ورد أبيض عطري قويّ الرائحة. فارسي معرب.
(٤) البهار: نبت طيب الريح جعد له فقاحة صفراء ينبت أيام الربيع.
(٥) مؤنس: هو مؤنس الخادم. وكان يلقب بالمظفر لما عظم أمره. وكان شجاعاً مقداماً فاتكاً مهيباً. عاش تسعين سنة منها ستون سنة أميراً. وكان قد أبعده المعتضد إلى مكة. ولما بويع المقتدر بالخلافة أحضره وقرّبه وفوّض إليه الأمور. قتل سنة ٣٢١ هـ (انظر «النجوم الزاهرة» جـ ٣ ص ٢٣٩).

انقطع عنه محمد هذا مدة طويلة فكتب له شعراً يعاتبه:

قال: وجاءه محمد بن عُبَيْدالله بعَقِبِ هذا شاكراً لتهنئته، ثم لم يَعُدْ إليه مدّةً طويلة. فكتب إليه عبدُالله بن المعتزّ:

قـد جئتنـا مـرّةً ولـم تَعُـدِ ... ولـم تَـزُرْ بعـدَهـا ولـم تَعِـدِ
لسـتُ أرى واجـداً بنـا عِـوَضاً ... فـاطْلُـبْ وجَـرِّبْ واسْتَقْـصِ واجْتَهِـدِ
نـاولَنـي حبـلَ وَصْلِـه بيـدٍ ... وهجـرَه جـاذبـاً لـه بيـدِ
فلـم يكـن بيـن ذا وذا أَمَـدٌ ... إلّا كمـا بيـن ليلـةٍ وغَـدِ

أبيات من معلقة زهير وشرحها:

١٤٦/٩

/ **صوت**

أمِـنْ[١] أُمِّ أَوْفَـى دِمْنَـةٌ لـم تَكَلَّـمِ ... بحَـوْمـانـةِ الـدَّرّاجِ فـالمُتَثَلَّـمِ
بهـا العِيـنُ والآرامُ يَمْشِيـنَ خِلْفَـةً ... وأطْـلاؤهـا[٢] يَنْهَضْـنَ مـن كـلِّ مَجْثَـمِ
وقفـتُ بهـا مـن بعـد عشريـن حِجَّـةً ... فـلأْيـاً عَـرَفْـتُ الـدارَ بعـد تـوهـمُّ
/ فلمّـا عرفتُ الدارَ قلـتُ لِـرَبْعِهـا ... ألا عِـم صبـاحـاً أيهـا الـرَّبْـعُ واسْلَـمِ
ومَـنْ يَعْـصِ أطـرافَ الـزِّجـاجِ فـإنّـه ... يُطيـعُ العَـوالـي رُكِّبَـتْ كـلَّ لَهْـذَمِ
ومَـنْ هـابَ أسبـابَ المنيّـةِ يَلْقَهـا ... ولـو رامَ أسبـابَ السمـاءِ بسُلَّـمِ

[١٠/٢٨٧]

عروضُه من الطويل. الحَوْمانةُ، فيما ذكر الأصْمَعيّ، الأرضُ الغليظة، وجمعُها حَوامِينُ. وقال غيرُه: الحَوْمانةُ: ما كان دون الرَّمْلِ. والدَّرّاجُ والمتثَلَّم. موضعان. وروى أبو عمرو عن بعض ولدِ زُهَيْر «الدُّرّاج» مضمومةَ الدال. والعِينُ: البَقَرُ. والآرام[٣] تسكن الجبال. خِلْفَةً: يذهب فَوْجٌ ويجيء فَوْجٌ يخلُفه مكانَه. ويُرْوَى: مَجْثَم ومَجْثِم. فمن قال مَجْثَم قال: جَثَمَ يجثُم جُثُوماً، ومَن قال مَجْثِم قال: جَثَمَ يَجْثِمُ جَثْماً، واللّأْيُ: البطء. الزِّجاجُ: جمعُ زُجٍّ. قال: وأصله أنّ القوم كانوا إذا أرادوا صلحاً قلبوا زِجاج الرماح إلى فوق، فإن أبَوْا إلّا الحربَ قلَبوا الأسِنّة. واللَّهْذَم: السِّنان المحدَّد؛ يقال رمح لَهْذَمٌ وسِنانٌ لَهْذَمٌ: حادّ. وأُمّ أوْفَى: أمرأة كانت لزُهَيْر فطلَّقها. وله في ذلك خبرٌ يُذْكَر بعد هذا.

الشعر لزُهَيْر بن أبي سُلْمَى. والغِناء للغَرِيض، ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر عن إسحاق في الأوّل والثاني من الأبيات. وفيها لبَذْل الكبيرةِ ثقيلٌ أوّل بالبِنصر. ولعَلّويه في الثالث والرابع ثقيل أوّل. ولإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالوسطى في الخامس والسادس. وفيهما ثقيل أوّل يقال إنه ليزيد حَوْراءَ:

(١) أمن أمّ أوفى: يريد أمن منازل أمّ أوفى.

(٢) الأطلاء: جمع طلا وهو ولد البقرة والظبية الصغير. وقوله ينهضن: يعني أنهن ينمن أولادهن إذا أرضعنهن ثم يرعين، فإذا ظنن أولادهن قد أنفدن ما في أجوافهن من اللبن صوتن بأولادهن فينهضن من مجاثمهن للأصوات ليرضعن. (عن شرح «ديوان زهير» للأعلم الشنتمري).

(٣) الآرام من الظباء: البيض الخالصة البياض، كما قال ذلك الأصمعي وأبو زيد. وفي «اللسان» أنها تسكن الرمال.

/ نَسَبُ زُهَيْر وأخبارَه [١٠/٢٨٨]

نسبه:

هو زُهَيْر بن أبي سُلْمَى[١]. وٱسمُ أبي سُلْمَى رَبيعة[٢] بن رِياح بن قُرَّةَ بن الحارثِ بن مازِن بن ثَعْلَبَةَ بن ثَوْر بن هَرْمة بن الأصمّ بن عثمان بن[٣] عمرو بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار. ومُزَيْنةُ أُمّ عمرو بن أُدّ هي بنت كلب بن وبرة.

هو أحد الثلاثة المقدّمين على سائر الشعراء:

وهو أَحَدُ الثلاثة المُقَدَّمين على سائر الشعراء، وإنما ٱختُلِف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه. فأمّا الثلاثة فلا ٱختلافَ فيهم، وهم ٱمرؤ القيس وزُهَيْر والنّابغة الذُّبيانيّ.

قال جرير هو شاعر الجاهلية:

أخبرني أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام عن أبي قَيْس عن عِكْرِمة بن جرير عن أبيه قال: شاعرُ أهلِ الجاهليّةِ زُهَيْر.

قال عمر لابن عباس إنه شاعر الشعراء:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجَوْهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا هارون بن عمر قال حدّثنا أيُّوب بن سُوَيْد قال حدّثنا يحيى بن يزيد عن عمر بن عبدالله اللَّيْثيّ [عن ابن عباس][٤] قال:

قال عمر بن الخطاب ليلة مَسِيره إلى الجابية[٥]: أين ابن عبّاس؟ فأتيته[٦]؛ فشكا تخلُّفَ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. فقلت[٦]: أوَلَم يعتذر إليك؟ قال بَلَى، / قلت: فهو ما اعتذَر به. ثم قال: أوّلُ مَنْ ريَّثكم [١٠/٢٨٩] عن هذا الأمر أبو بكر. إنّ قومكم كرِهوا أن يجمعوا لكم الخلافَة والنبوّةَ ـ ثم ذكر قصّةً طويلةً ليست من هذا الباب

---

(١) سلمى بضم السين. وليس في العرب سلمى بضم السين غيره.

(٢) في «شرح التبريزي على المعلقات»: «... ربيعة بن رياح بن قرة بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن برد بن لاطم (وفي هامش نسخة مخطوطة للزوزني محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٤٧ أدب م «الأطم») بن عثمان بن مزينة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر». وفي «طبقات الشعراء» لابن سلام: «... ربيعة بن رياح بن قرط بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هزمة بن لام بن عثمان بن مزينة».

(٣) في حـ «ابن عثمان وهو عمرو إلخ».

(٤) تكملة في السند يقتضيها سياق الخبر.

(٥) الجابية: «قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الحولان قرب مرج الصفر في شمال حوران. ويقال لها جابية الحولان أيضاً». (عن «معجم البلدان» لياقوت).

(٦) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «فأتاه... فقال...».

فتركتها[1] أنا ـ ثم قال: هل تَرْوِي لشاعر الشعراء؟ قلت: ومَنْ هو؟ قال: الذي يقول:

١٤٧/٩ / ولو أنّ حمداً يُخلِدُ الناسَ أُخلِدوا ولكنّ حَمْدَ النّاس ليس بمُخْلِدِ

قلت: ذاك زُهَيْر. قال: فذاك شاعرُ الشعراء. قلت: وبِمَ كان شاعرَ الشعراء؟ قال: لأنه كان لا يُعاظِل في الكلام وكان يتجنّب وَحْشِيَّ الشعر، ولم يمدح أحداً إلّا بما فيه. قال الأصمعيّ: يعاظِل بين الكلام: يداخِل فيه[2]. ويقال: يتّبع حُوشِيَّ الكلامِ، ووَحْشِيَّ الكلام، والمعنى واحد.

كان قدامة بن موسى يقدّمه على سائر الشعراء:

أخبرنا أبو خَليفة قال قال ابن سَلّام وأخبرني عمر بن موسى الجُمَحِيُّ عن أخيه قُدامةَ بنِ موسى ـ وكان من أهل العلم ـ: أنه كان يقدِّم زُهَيْراً. قلت: فأيّ شيء كان أعجب إليه؟ قال: الذي يقول فيه:

قد جعل المبتغون الخيرَ من هَرِمٍ والسائلون إلى أبوابه طُرُقَا

قال جرير هو أشعر أهل الجاهلية:

قال ابن سلّام وأخبرني أبو قَيْس العَنْبَرِيّ ـ ولم أرَ بدويّاً يَفِي به ـ عن عِكْرِمةَ بن جَرير قال:

قلتُ لأبي: يا أبَتِ مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: أعَن الجاهلية تسألني أم عن الإسلام؟ قلت: ما أردتُ إلّا الإسلام. فإذا ذكرتَ الجاهليةَ فأخبِرْني عن أهلها. قال: زُهَيْرٌ أشعرُ أهلِها. قلت: فالإسلام؟ قال: الفرزدق نَبْعةُ الشعر. / قلت: فالأخطل؟ قال: يُجيد مَدْحَ الملوك ويُصيب وَصْفَ الخمر. قلت فما تركتَ لنفسك؟ قال: نَحَرْتُ الشعر نَحْراً. [٢٩٠/١٠

قال عنه الأحنف بن قيس هو أشعر الشعراء:

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائنيّ عن عيسى بن يزيد قال:

سأل معاويةُ الأحنفَ بن قَيْس عن أشعر الشعراء، فقال: زُهَير. قال: وكيف؟ قال: ألقى عن المادحين فضولَ الكلام. قال: مثل ماذا؟ قال: مثل قوله:

فما يَكُ من خيرٍ أتَوْه فإنّما تَوارَثَهُ آباءُ آبائهم قَبْلُ

مدح عمر بن الخطاب شعره وروى منه:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا عبدُالله بن عمرو القَيْسِيّ قال حدّثنا خارجةُ بن عبدالله بن سليمان عن زيد بن ثابت عن عبدالله بن أبي سُفْيانَ عن أبيه عن ابن عبّاس، قال: وحدّثَنيه غيرُه وهو أتمُّ من حديثه، قال قال ابن عبّاس:

خرجتُ مع عمر في أوّل غَزاةٍ غزاها. فقال لي ذاتَ ليلةٍ: يا بنَ عبّاس أنْشِدْني لشاعر الشعراء. قلتُ: ومَنْ هو يا أمير المؤمنين؟ قال: ابنُ أبي سُلْمَى. قلت: وبِمَ صار كذلك؟ قال: لأنه لا يتّبع حُوشِي الكلام، ولا يعاظِل

(١) ذكرت هذه القصة مفصلة في الطبري ق ١ ص ٢٧٦٨ ـ ٢٧٧١ فراجعه.

(٢) يعاظل الكلام: يحمل بعضه على بعض ويتكلم بالرجيع من القول ويكرر اللفظ والمعنى. أو يعقده ويوالي بعضه على بعض. وكل شيء ركب شيئاً فقد عاظله. («اللسان» في مادة عظل).

من[١] المنطق، ولا يقول إلّا ما يعرف، ولا يمتدح الرجلَ إلّا بما يكون فيه. أليس الذي يقول:

إذا ٱبتدرت[٢] قيسُ بنُ عيلانَ غايةً ... من المجدِ مَنْ يَسْبِقْ إليها يُسَوَّدِ

/ سبقتَ إليها كلَّ طَلْقٍ[٣] مُبَرِّزٍ ... سَبُوقٍ إلى الغاياتِ غيرِ مُزَنَّدِ [١٠/٢٩١]

كفعلِ جوادٍ يَسْبِقُ الخيلَ عَفْوُهُ الـ ... ـسُّراعَ[٤] وإن يَجْهَدْ ويَجْهَدْنَ يَبْعُدِ

ولو كان حَمْدٌ يُخلِدُ الناسَ لم تَمُتْ ... ولكنَّ حَمْدَ النّاسِ ليس بمُخْلِدِ

أنشِدْني له، فأنشدتُه حتى بَرَقَ الفجرُ. فقال: حَسْبُكَ الآنَ، إقرأ القرآن. قلت: وما أقرأ؟ قال: اقرأ الواقعة، فقرأتُها ونَزَلَ فأذَّن وصلّى.

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أبي قال حدّثنا أحمد بن عُبَيد قال أخبرنا أبو عُبَيدة عن عيسى بن يزيدَ بن بكر قال قال ٱبن عبّاس: خرجت مع عمر، ثم ذكر الحديثَ نحوَ هذا.

استعاذ منه النبي ﷺ فما قال شعراً حتى مات:

وجدتُ في بعض الكتب عن عبدالله / بن شَبِيب عن الزُّبَير بن بكّار عن حُمَيد بن محمد بن عبدالعزيز الزُّهْرِيّ عن أخيه إبراهيم بن محمد يرفعه: [١٤٨/٩]

أنّ رسولَ الله ﷺ نظر إلى زُهَير بن أبي سُلْمَى وله مائةُ سنة فقال: «اللهم أعِذْني من شيطانه» فما لاك بيتاً حتى مات.

خرج أبوه أبو سلمى مع خاله وابن خاله لغزو طيء فمنعاه حقه في المغنم، وشعره في ذلك:

قال ٱبن الأعرابيّ وأبو عمرو الشَّيْبانيّ:

كان من حديث زُهَير وأهلِ بيته أنهم كانوا من مُزَينة، وكان بنو عبدالله بن غَطَفانَ جيرانَهم، وقِدْماً ولدتْهم بنو مُرّة. وكان من أمرِ أبي سُلْمَى أنه خرج وخالَه أسْعدَ بنَ الغَدِير بن مُرّة بن عَوْف بن سعد بن ذُبْيان بن بَغِيض وٱبنَه كعبَ / بن أسعد في ناس من بني مُرّة يُغِيرون على طيء، فأصابوا نَعَماً كثيرةً وأموالاً فرجعوا حتى ٱنتهَوْا إلى أرضهم. فقال أبو سُلْمَى لخاله أسعد وٱبنِ خاله كعبٍ: أَفْرِدا لي سَهْمي، فأبَيَا عليه ومنعاه حقَّه، فكفَّ عنهما؛ حتى إذا كان الليلُ أتى أمّه فقال: والذي أحلِف به لَتَقُومِنَّ إلى بَعيرٍ من هذه الإبل فَلَتَقْعُدِنَّ عليه أو لأضربَنَّ بسيفي تحت قُرْطَيْكِ. فقامت أمُّه إلى بعير منها فٱعتنقتْ سَنامه، وساق بها أبو سُلْمَى وهو يرتجز ويقول: [١٠/٢٩٢]

---

(١) الذي تقدّم في الصفحة السابقة: «يعاظل في الكلام». والذي في «اللسان» وشرح «القاموس» في استعمالات هذه المادة أنه يتعدى بنفسه، يقال عاظل الكلام كما يقال عاظل فيه وبينه.

(٢) يقول: إذا تسابقت قيس بن عيلان لإدراك غاية من المجد تسوّد من سبق إليها كنت السابق إليها. وقيس بن عيلان: قبيلة. (راجع الجزء السادس من «الأغاني» حاشية رقم ١ ص ١ من هذه الطبعة).

(٣) يقال: رجل طلق اليدين إذا كان معطاء. وظاهر أنه يريد أن يصف الجواد بأنه ماض يجود بما عنده من العدو. والمبرز: الذي سبق الناس إلى الكرم والخير. والمزند هنا: البخيل أو اللئيم. ويروى: «غير مجلد» أي ينتهي إلى الغايات من غير أن يجلد ويضرب.

(٤) في الأصول: «فيسرع». والتصويب عن «الديوان» بشرح الأعلم، ورواية البيت فيه.

كفضل جواد الخيل يسبق عفوه الـ ... ـسراع وإن يجهدن يجهد ويبعد

وَيْــلٌ لأجمــالِ العجــوزِ منّــي إذا دَنَــوتُ ودنَــونَ منّــي

* كأنّني سَمَعْمَعٌ من جِنّ *

ـ سَمَعْمَعٌ: لطيفُ الجسم قليلُ اللحم ـ وسَاقَ الإبلَ وأُمّه حتى انتهى إلى قومه مُزَيْنَةَ.

فذلك حيث يقول:

ولتَغْــدُوَنْ إبِــلٌ مجنَّبــةٌ مِــن عنــد أَسْعَــدَ وابنِــه كعــب

ـ مُجَنَّبَة: مجنوبة ـ

الآكليْــن صَــريــحَ قــومهمــا أكْـلَ الحُبَـارَى[1] بُـرْعُـمَ الـرُّطْـبِ[2]

البُرْعُم[3]: شجرة ولها نَوْرٌ ـ قال: فلبث فيهم حيناً، ثم أقبل بمُزَيْنة مُغيراً على بني ذُبْيان. حتى إذا مُزَيْنَةُ أسْهَلَتْ وخَلَّفتْ بلادَها ونظروا إلى أرض غَطَفانَ، تطايروا عنه راجعين، وتركوه وحدَه. فذلك حيث يقول:

مَـنْ يشتـري فـرسـاً لخيـرٍ غَـزْوُهـا وأبَـتْ عَشِيـرةُ ربِّهـا أن تُسْهِـلا

[١٠/٢٩٣] / يعني أن تنزِل السَّهْلَ. قال: وأقبل حين رأى ذلك من مُزَيْنة حتى دخل في أخواله بني مُرَّة. فلم يزل هو وولدُه في بني عبدالله بن غَطَفان إلى اليوم.

قال معلقته في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف وقد حملا دية هرم بن ضمضم في مالهما:

* أمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ *

قالها زُهَيْر في قَتْل وَرْد بن حابِس العَبْسِيّ هَرِمَ بن ضَمْضم المُرّيّ الذي يقول فيه عَنْتَرةُ وفي أخيه:

ولقَـد خَشِيـتُ بـأن أمـوت ولـم تَـدُرْ للحـرب دائـرةٌ علـى ابْنَـيْ ضَمْضَـمِ

ويمدح بها هَرِمَ بنَ سِنان والحارثَ بن عَوْف بن سعد بن ذُبْيَان المُرِّيَّيْن لأنهما احتملا دِيتَه في مالهما؛ وذلك قول زُهَيْر:

سَعَـى سـاعيـاً غَيْـظِ بـنِ مُـرَّةَ بعـدمـا[4] تَبَـزَّلَ مـا بيـن العَشِيـرةِ بـالـدَّمِ

يعني بني غَيْظ بن مُرَّة بن عَوْف بن سعد بن ذُبيان.

[١٤٩/٩] قال الأثْرَمُ أبو الحسن حدّثني أبو / عُبَيْدة قال:

كان وَرْدُ بنُ حابس العبسيّ قتل هَرِمَ بنَ ضَمْضَم المُرّيّ، فتشاجر عَبْسٌ وذُبْيان قبل الصلح، وحلف حُصَيْن بن ضَمْضَم ألّا يغسِل رأسَه حتى يقتل وَرْدَ بنَ حابس أو رجلاً من بني عَبْس ثم من بني غالب، ولم يُطْلِع

(١) الحبارى: طائر يضرب به المثل في البلاهة والحمق، وهو طائر صحراوي يبيض في الرمال النائية.

(٢) الرطب: الرعي الأخضر من البقل والشجر، وقيل جماعة العشب الأخضر.

(٣) الذي في «اللسان»: أن البرعم كم ثمر الشجر والنور، وقيل هو زهرة الشجر ونور النبت قبل أن يتفتح. وقد استشهد بهذا البيت.

(٤) ما والفعل بتأويل المصدر. وتبزل: تشقق، وبالدم: يريد بسفك الدم. يقول: سعى هذان السيدان (هرم بن سنان والحارث بن عوف) في إحكام العهد بين عبس وذبيان بعد تشقق الألفة والمودة بين القبيلة بسبب سفك الدماء بين عبس وذبيان. (انظر «شرح ديوان زهير» للأعلم الشنتمري).

على ذلك أحداً، وقد حَمَل الحَمالةَ[١] الحارثُ بن عَوْف بنُ أبي حارثة، وقيل بل أخوه حارثة بن[٢] سِنان. فأقبل[٣] رجلٌ / من بني عَبْس ثم أحدُ بني مخزوم، حتى نزل بحُصَيْن بن ضَمْضَم. فقال له حُصَيْن: مَنْ أنت [١٠/٢٩٤] أيُّها الرجل؟ قال: عَبْسِيٌّ. قال: من أيِّ عَبْس؟ فلم يزل يَنْتَسِب حتى انتسب إلى بني غالب، فقتله حُصَيْن. وبلغ ذلك الحارثَ بنَ عَوْف وهَرِمَ بنَ سِنان فاشتدّ عليهما، وبلغ بني عَبْس فركبوا نحوَ الحارث. فلمّا بلغَه ركوبُهم إليه وما قد اشتدّ عليهم من قَتْلِ صاحبِهم وأنّهم يريدون قَتْلَ الحارث، بعث إليهم بمائة من الإبل معها ابنُه، وقال للرسول: قل لهم: الإبلُ أحبُّ إليكم أم أنفسُكم؟ فأقبل الرسول حتى قال لهم ذلك. فقال لهم الرَّبيع بن زِياد: يا قوم إنّ أخاكم قد أرسل إليكم: «الإبلُ أحبُّ إليكم أم ابني تَقتلونه مكانَ قتيلكم». فقالوا نأخذ الإبل ونصالح قومَنا، ونُتِمُّ الصُّلْحَ. فذلك حين يقول زُهَيْر يمدح الحارثَ وهَرِماً:

* أمِنْ أمّ أوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ *

وهي أوّلُ قصيدة مدَح بها هَرِماً، ثم تابع ذلك بعدُ.

قصة زواج الحارث بن عوف ببهيسة بنت أوس وتحمله الدية في ماله بين عبس وذبيان:

وقد أخبرني الحسن بن عليّ بهذه القصةَ، وروايتُه أتمُّ من هذه، قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال حدّثنا محمد بن إسحاق المُسَيَّبيّ قال حدّثني إبراهيم بن محمد بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالرحمن بن عَوْف عن أبيه قال:

قال الحارثُ بن عوف بن أبي حارثةَ: أتُراني[٤] أخطب إلى أحد فيردّني؟ قال نعم. قال: ومَنْ ذاك؟ قال: أوْسُ بنُ حارثة بن لَأْم الطّائيّ. فقال الحارث لغلامه: ارْحَلْ بنا، ففعل. فركبا حتى أتيا أوْسَ بنَ حارثة في بلاده فوجداه في منزله. فلمّا رأى الحارثَ بنَ عَوْفٍ قال: مرحباً بك يا حارِ. قال: / وبكَ. قال: ما جاء بك يا حارِ؟ [١٠/٢٩٥] قال: جئتُك خاطباً. قال: لستَ هناك. فانصرف ولم يكلّمْه. ودخل أوسٌ على امرأته مُغْضَباً وكانت من عَبْس فقالت: مَنْ رَجُلٌ وقَفَ عليك فلم يُطِلْ ولم تكلِّمْه؟ قال: ذاك سَيِّدُ العرب الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرِّيّ. قالت: فما لَكَ لم[٥] تستنزله؟ قال: إنه استحمَق. قالت: وكيف؟ قال: جاءني خاطباً. قالت: أفتريد أن تزوّج بناتك؟ قال نعم. قالت: فإذا لم تُزَوِّجْ سَيِّدَ العرب فمَنْ؟ قال: قد كان ذلك. قالت: فتدارَكْ ما كان منك. قال بماذا؟ قالت: تَلْحَقُه فتردُّه. قال: وكيف وقد فَرَط منّي ما فَرَط إليه؟ قالت تقول له: إنك لَقِيتَني مُغْضَباً بأمرٍ لم تقدِّم فيه[٦] قولاً، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعتَ، فانصرِفْ ولك عندي كلُّ ما أحببتَ فإنه سيفعل. فرَكِب في أثَرِهما. قال خارجةُ بن سِنان: فوالله إني لأسيرُ إذ حانت منّي ألتفاتةٌ فرأيتُه، فأقبلتُ على الحارث وما يُكَلِّمني غَمّاً فقلت له: هذا أوْسُ بن حارثة في أثَرِنا. قال: وما نصنع به! اِمْضِ!. فلمّا

(١) الحمالة: الدية.

(٢) في «شرح التبريزي» وابن الأنباري على «المعلقات» والأعلم الشنتمري و «شرح ثعلب لديوان زهير»: «وقد حمل الحمالة الحارث بن عوف بن أبي حارثة وهرم بن سنان بن أبي حارثة».

(٣) في الأصول: «فأقبل على رجل إلخ» والتصويب عن المصادر المتقدّمة.

(٤) هكذا في الأصول. ولم يذكر المخاطب الذي كان يحدثه. وباقي القصة يعين أنه خارجة بن سنان.

(٥) في ب، س: «الاستنزله».

(٦) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «لم تقدّم مني فيه قولاً».

رآنا لا نقِف عليه صاح: يا حار اربَعْ عليَّ ساعةً. فوقفنا له فكلّمه بذلك الكلام فرجع مسروراً. فبلغَني أن أوْساً لمّا دخل منزلَه قال لزوجته أُدْعِي لي فلانَة (لأكبر بناته) فأتته، فقال: يا بُنيّة، هذا الحارث بن عَوْف سَيِّدٌ من سادات العرب، قد جاءني طالباً خاطباً، وقد أردتُ أن أُزوِّجَكِ منه فما تقولين؟ قالت: لا تفعل. / قال: ولِمَ؟ قالت: لأني امرأة في وجهي رَدَّة[1]، وفي خُلُقي بعضُ العُهْدة[2]، ولستُ بابنة عمِّه فيرعَى رَحِمي، وليس بجارِك في البلد فيَسْتَحِيَ منك، ولا آمَنُ أن يرى منّي ما يكره فيطلِّقَني فيكونَ عليّ في ذلك ما فيه. قال: قُومي بارك الله عليكِ. أُدْعِي لي فلانةَ (لابنتِهِ الوُسْطَى)؛ فدعتْها، ثم قال لها مِثْلَ قوله لأختها؛ فأجابته بمثل / جوابها وقالت: إني خَرْقاءُ وليست بيدي صِناعة، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلِّقَني فيكونَ عليّ في ذلك ما تَعلم، وليس بابنِ عمّي فيرعَى حقِّي، ولا جارِكَ في بلدك فيَسْتَحْيِيَك. قال: قُومي بارك اللهُ عليكِ. أُدْعِي لي بُهَيْسةَ (يعني الصغرى)، فأُتِيَ بها فقال لها كما قال لهما. فقالت: أنت وذاك. فقال لها: إني قد عرضت ذلك على أُختيكِ فأبَتاه. فقالت ـ ولم يذكر لها مقالتَيْهما ـ لكنّي والله الجميلةُ وجهاً، الصَّنَاعُ يداً، الرفيعةُ خُلُقاً، الحسيبةُ أباً، فإن طلَّقني فلا أَخْلَفَ اللهُ عليه بخير. فقال: بارك الله عليكِ. ثم خرج إلينا فقال: قد زوَّجتُك يا حارثُ بُهَيْسَةَ بنتَ أَوْس. قال: قد قَبِلتُ. فأمر أُمَّها أن تُهَيِّها وتُصلِح من شأنها، ثم أمر ببيت فضُرِب له، وأنزله إيّاه. فلمّا هُيِّئَتْ بعث بها إليه. فلمّا أُدخِلت إليه لبِث هُنَيْهةً ثم خرج إليّ. فقلت: أفَرَغْتَ من شأنك؟ قال: لا والله. قلت: وكيف ذاك؟ قال: لمّا مَدَدْتُ يدي إليها قالت: مَهْ! أعند أبي وإخوتي!! هذا والله ما لا يكون. قال: فأمر بالرِّحلة فارتحلنا ورحلنا بها معنا، فسِرْنا ما شاء الله. ثم قال لي: تقدّمْ فتقدمتُ، وعدَل بها عن الطريق، فما لبِثَ أن لحِق بي. فقلت: أفَرَغْتَ؟ قال لا والله. قلت: ولِمَ؟ قال: قالت لي: أكما يُفعَل بالأمَةِ الجَلِيبةِ أو السَّبِيَّةِ الأخيذة! لا والله حتى تنحرَ الجُزُرَ، وتذبح الغنمَ، وتدعُوَ العربَ، وتعمَلَ ما يعمل لمثلي. قلتُ: والله إني لأرى هِمّةً وعقلاً، وأرجو أن تكون المرأة مُنْجِبةً إن شاء الله. فرحلنا حتى جئنا بلادَنا، فأحْضَرَ الإبلَ والغنمَ، ثم دخل عليها وخرج إليّ. فقلت: أفَرَغْتَ؟ قال لا. قلت: ولِمَ؟ قال: دخلتُ عليها أُريدها، وقلتُ لها قد أحضَرْنا من المال ما قد تَرَيْن، فقالت: والله لقد ذكرتَ لي من الشرف ما لا أراه فيك. قلت: وكيف؟ قالت: أتفرُغ لنكاح النِّساء والعربُ تقتل بعضها! (وذلك في أيام حرب عَبْس وذُبْيان). قلت: فيكون ماذا؟ قالت: اخرُجْ / إلى هؤلاء القوم فأصْلِحْ بينهم، ثم ارجِعْ إلى أهلك فلن يفوتك. فقلت: والله إني لأرى هِمّةً وعقلاً، ولقد قالت قولاً. قال: فأخرُجْ بنا. فخرجنا حتى أتَيْنا القومَ فمشَيْنا فيما بينهم بالصلح، فاصطلحوا على أن يحتَسِبوا القتلى؛ فيؤخذَ الفضل ممن هو عليه، فحملنا عنهم الدِّياتِ، فكانت ثلاثةَ آلاف بعير في ثلاث سنين، فانصرفنا بأجمل الذِّكْر. قال محمد بن عبدالعزيز: فمُدِحوا بذلك، وقال فيه زُهَيْر بن أبي سُلْمَى قصيدتَه:

* أمِنْ أمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ *

فذكرهما فيها فقال:

تـداركتمـا عَبْسـاً وذُبْيـانَ بعـدمـا ... تفـانَـوْا ودَقُّـوا بينهـم عِطْـرَ مَنْشِـمِ[3]

(١) الردة: القبح مع شيء من الجمال.
(٢) العهدة: الضعف.
(٣) منشم زعموا أنها امرأة عطارة من خزاعة، فتحالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا، فضرب زهير بها المثل، أي صار هؤلاء في شدة الأمر بمنزلة أولئك. وقيل: هي امرأة من خزاعة كانت تبيع عطراً فإذا حاربوا اشتروا منها كافوراً لموتاهم فتشاءموا بها، وكانت تسكن مكة. وفيه أقوال أخرى كثيرة راجعها في «لسان العرب» (في مادة نشم) وأمثال الميداني في =

فأصبح يَجْرِي فيهمُ من تِلادكم ... مَغانمُ شَتّى من إفالِ[1] المُزَنَّم
يُنَجِّمُها[2] قومٌ لقومٍ غرامةً ... ولم يُهَرِيقوا بينهم مِلْءَ مِحْجَم

وذكر قيامهم في ذلك فقال:

* «صحا القلبُ عن سَلْمَى وقد كاد[3] لا يسلو» *

[٢٩٨/١٠]
١٥١
٩

/ وهي قصيدة يقول فيها:

تداركتُما الأحلافَ[4] قد ثُلَّ عرشُها ... وذُبيانَ قد زَلَّتْ بأقدامِها النَّعْلُ

وهذه لهم شرفٌ إلى الآن، ورجَع فدخل بها، فولَدَتْ له بنينَ وبنات.

مدح بقصيدته القافية هرماً وأباه وإخوته:

ومما مدح به هَرِماً وأباه وإخوتَه وغُنِّيَ فيه قولُه:

صوت

إنّ الخليطَ[5] أجَدَّ البينَ فانفرقا ... وعُلِّقَ القلبُ من أسماءَ ما عَلِقا
وأخلفتْكَ ابنةُ البَكْرِيِّ ما وعدتْ ... فأصبح الحبلُ منها واهناً[6] خَلَقا
قامت تَبَدَّى بذي ضالٍ لِتَحْزُنَني ... ولا محالةَ أن يشتاقَ مَنْ عشِقا
بجِيدِ مُغْزِلَةٍ أدماءَ خاذِلَةٍ ... من الظباء تُراعي شادناً خَرِقا

انفرق: انفعل، من الفُرْقة. وأجَدَّ وجَدَّ بمعنًى واحد، من الجِدِّ خلاف اللعب. والواهن والواهي واحد. والحبل: السَّبَبُ في المودّة[7]. والضَّال: السِّدْرُ الصِّغار، واحدتُها ضالّة. والجِيد: العُنُق. والمُغْزِلَةُ: الظبية التي لها غزال. والأدماء: البيضاء. والخاذلة: المقيمة على ولَدِها ولا تتبع الظباء. والشَّادِنُ: الذي قد شَدَن أي تحرّك ولم يَقْوَ بعدُ. والخَرِق: الدَّهِشُ.

غَنّى مالك في الأوّل والثاني من الأبيات خفيفَ رمَلٍ بالوُسْطَى، وقيل إنه لابن جامع، وقيل بل لحنُ ابن

= «أشأم من منشم» وفي «شرح الأعلم الشنتري» لديوان زهير.

(١) الإفال: جمع أفيل وهو الصغير من الإبل، والمزنم: اسم فحل معروف. والتلاد: المال القديم الموروث. وإنما خص الإفال لأنهم كانوا يغرمون في الدية صغار الإبل. (عن الأعلم). ويروى هذا البيت في شرح «القاموس» (في مادة «زنم») هكذا:

فأصبح يحدي فيهم من تلادكم ... مغانم شتى من إفال مزنم

(٢) ينجمها قوم: أي تجعل نجوماً أي أقساطاً على غارمها. يريد أن هذين الساعيين حملا دماء من قتل وغرم فيها قوم من رهطهما على أنهم لم يصبوا ملء محجم من دم، أي أعطوا فيها ولم يقتلوا (عن الأعلم).

(٣) في أ، م: «كان».

(٤) الأحلاف: أسد وغطفان وطيء. وثل عرشها: أي أصابها ما كسرها وهدمها. وذبيان: قبيلة الممدوحين وهم من غطفان. وإنما فصلهم منهم لأن حصين بن ضمضم المري جنى عليهم الحرب وهو منهم لأن مرة من ذبيان. ويقال «زلت بأقدامها النعل» إذا وقعت القبيلة في حيرة وضلال. (عن الأعلم).

(٥) الخليط: المخالط، ويقال للجمع أيضاً خليط.

(٦) في أ، م: «واهياً» بالياء المثناة.

(٧) في أ، م: «المحبة».

جامع بالبِنْصر. وفي الثالث والرابع لابن المَكّيّ رَمَلٌ صحيحٌ من روايتَيْ بَذْل والهشاميّ.

[٢٩٩/١٠] / وفي هذه القصيدة يقول يمدح هَرِماً:

قد جعل المبتغون الخيرَ من هَرِمٍ ... والسائلون إلى أبوابه طُرُقَا

من يَلْقَ يوماً على عِلّاته هَرِماً ... يَلْقَ السماحةَ منه والنَّدَى خُلُقا

ليثٌ بعَثَّرَ[١] يصطاد اللُّيوثَ[٢] إذا ... ما اللَّيثُ كذَّب[٣] عن أقرانه صَدَقا

يطعُنُهم ما آرتَمَوْا حتى إذا آطَّعنوا ... ضاربَ حتى إذا ما ضاربوا آعتنقا[٤]

خرف سنان بن أبي حارثة ثم مات فرثاه:

ومن مدائحه[٥] إيّاهم قوله يمدح أبا هَرِمٍ سِنانَ بن أبي حارثةَ. وذكر آبنُ الكَلْبيّ أنه هوِي آمرأةً فآسْتُهِيم بها؛ وتَفاقَم به ذلك حتى فُقِد فلم يُعْرَف له خبر. فتزعُم بنو مُرّة أنّ الجنّ آستطارته فأدخلته بلادَها، وآستعجلتْه لكَرَمه. وذكر أبو عُبَيدة أنّه قد كان هَرِم حتى بلَغ مائةً وخمسين سنة؛ فهام على وجهه خَرَقاً ففُقِد. قال: فزعَم لي شيخٌ من علماء بني مُرّة أنه خرج لحاجته بالليل فأَبْعَد، فلمّا رجع ضَلّ[٦] فهام طولَ ليلته حتى سقط فمات، وتبع قومُه أثرَه فوجدوه ميّتاً فرثاه[٧] زُهَير بقوله:

إنّ الرَّزِيّةَ لا رَزِيّةَ مِثْلُها ... ما تبتغي غَطَفانُ يومَ أَضَلَّتِ[٩][٨]

[٣٠٠/١٠] / إنّ الرِّكابَ[١٠] لتَبْتَغي ذا مِرّةٍ ... بجُنوبِ نَجْدَ[١١] إذا الشهورُ أَحَلَّتِ

يَنْعَيْنَ خيرَ الناس عند شديدةٍ ... عَظُمتْ مصيبتُه هناك وجَلَّتِ

ومُدَفَّعٍ ذاقَ الهَوانَ مُلَعَّنٍ ... راخيتَ عُقْدةَ حَبْلِه[١٢] فآنحلّتِ

ولنِعْمَ حشوُ الدِّرْعِ كان إذا سَطَا[١٣] ... نَهِلَتْ من العَلَقِ[١٤] الرِّماحُ وعَلَّتِ

(١) عثر: (بتشديد الثاء) اسم موضع باليمن، وقيل: هي أرض مأسدة بناحية تبالة.
(٢) في حـ و «الديوان»: «الرجال».
(٣) كذب: أي لم يصدق الحملة. يقال: كذب الرجل عن كذا إذا رجع عنه. يقول: إذا رجع الشجاع عن قرنه ولم يصدق الحملة عليه فهذا الممدوح يصدقها. (عن الأعلم).
(٤) اعتنق: التزم قرنه. يقول: إذا ارتمى الناس في الحرب بالنبل دخل هو تحت الرمي فجعل يطاعنهم، فإذا تطاعنوا ضارب بالسيف، فإذا تضاربوا بالسيوف اعتنق قرنه والتزمه، أي أنه يزيد عليهم في كل حال من أحوال الحرب. (عن الأعلم).
(٥) الأبيات الآتية في الرثاء. والرثاء ضرب من المدح.
(٦) في الأصول: «مثل» وهو تحريف.
(٧) في الأعلم: «وقيل إنما رثى بالأبيات حصن بن حذيفة».
(٨) في أ، م: «بعدها».
(٩) يقال: ضل فلان الطريق وأضل بعيره يقال الأوّل للثابت والثاني لغيره.
(١٠) الركاب: الإبل، والمراد راكبوها. وذا مرة أي ذا عقل ورأي مبرم. وقوله «إذا الشهور أحلت» أي إذا دخلت الشهور التي يحل فيها الغزو.
(١١) في «ديوان زهير بشرح الأعلم» النحوي: «بجنوب نخل».
(١٢) في أ، م: «كبله» والكبل: القيد.
(١٣) في «شرح الأعلم»: «ولنعم حشو الدرع أنت لنا إذا».
(١٤) العلق: الدم.

أشعار له غنّي فيها:

١٥٢ / ٩

/ والذي فيه غِناء من مدائح زُهَير قولُه:

صوت

أمِنْ أمّ سَلْمَى[1] عرَفتَ الطُّلولاَ ... بذي حُرُضٍ ماثلاتٍ مُثُولا

بَلِينَ وتحسَبُ آياتِهن ... على[2] فَرْطِ حَوْلَيْن رَقّاً مُحِيلا[3]

الماثل هاهنا: اللاطِئُ بالأرض، وفي موضع آخر: المُنْتَصِبُ القائم. وذو حُرُضٍ: موضعٌ. والحُرُضُ: الأُشْنان. وآياتُهنّ: علاماتُهنّ. وفَرْطُ حَوْلَيْن: تَقَدُّمُ حولين، والفارِط: المتقدِّم.

غَنَّى في هذين البيتين إسحاق، وله فيهما لحنان: أحدهما ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوَتَر في مَجْرَى البِنْصر، من كتابه. والآخر ما خُورِيٌّ من مجموع غِنائه، وروايته عن الهِشامِيّ. وفيهما للزُّبَير بن دَحْمانَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبِنصر عن عمرو. يقول فيها:

إليك سِنانُ الغَداةَ الرَّحيـ ... ـلُ أَعْصِي النُّهاةَ وأُمْضِي الفُؤولا

جمع فال، أي لاأتطيَّر.

[١٠/١٠١]

/ فلا تأمَنِي[4] غَزوَ أفراسِه ... بَنِي وائلٍ وأحْذَرِيه جَديلاَ

وكيف اتقاءُ أمرىءٍ لا يؤو ... بُ بالقوم في الغَزْوِ حتى يُطِيلا[5]

ومن الغِناء في مدائح هَرِم قولُه:

صوت

قِفْ بالدِّيار التي لم يَعْفُها القِدَمُ ... بَلَى وغيَّرها الأرواحُ والدِّيَمُ

كأنّ عيني وقد سال السَّلِيلُ بهم ... وعَبْرَةٌ[6] ما هُمُ لو أنهم أَمَمُ

غَرْبٌ على بَكْرة أو لؤلؤٌ قَلِقٌ ... في السِّلك خان به رَبّاتِه النُّظُمُ

الدِّيَمُ: جمع دِيمَة وهو المطر الذي يَدُوم يوماً أو يومين مع سكون. سال السَّلِيلُ بهم: أي ساروا فيه سيراً سريعاً. والسَّلِيلُ: وادٍ. وقولُه وعَبْرةٌ ما هُمُ أي هم عَبْرة[7]، وما ها هنا صِلَةٌ. لو أنهم أَمَم أي قَصْدٌ كنتُ أزورهم. والأَمَمُ: بين القريب والبعيد. والقَلِقُ: الذي لم يستقرّ لما أنقطع الخَيْط. والنُّظُمُ: جَمْعٌ واحدها نِظام، شبَّه دموعَه بلؤلؤ أنقطع سِلْكُه، وبماءٍ سال من الغَرْب.

---

(١) في «شرح الأعلم»: «أمن آل ليلى إلخ».

(٢) في «شرح الأعلم»: «عن».

(٣) المحيل: الذي أتى عليه حول. شبه رسوم الدار برق مكتوب قد أتى عليه حول بحيث يتغير ويدرس.

(٤) يريد: يا بني وائل لا تأمني غزو فرسانه، ويا جديلة احذريه. وجديلة أم فهم وعدوان، وكان سنان يجاورهم. (عن الأعلم).

(٥) أي هو مطيل للغزو لأنه يتتبع أقصى أعدائه فلا يؤوب بالقوم من غزوه إلا بعد مدة طويلة. فاتقاء مثل هذا أشد اتقاء. (عن الأعلم).

(٦) روي في «لسان العرب» مادة أمم: «وجيرة» وكذلك روي في مادة سلسل مردفاً بقوله: «ويروى: وعبرة».

(٧) أي هم سبب بكائي وحزني.

الغِناءُ في هذه الأبيات رَمَلٌ لابن المكيّ بالوسطى عن عمرو. وذكر عمرو أن لإسحاق فيها لحناً أيضاً. وذكر يونس أن فيها لحناً لمالك.

صوت

لِمَنِ الدِّيارُ بقُنَّةِ الحَجْرِ[1] … أقْوَيْنَ مُذْحِجَجٍ[2] ومُذْدَهْرِ

[٣٠٢/١٠] / لَعِبَ الرِّياحُ بها وغَيَّرها … بَعْدِي سَوَافِي الرِّيحِ[3] والقَطْرِ

دَعْ ذا وعَدِّ القَولَ في هَرِمٍ … خيرِ الكُهولِ وسَيِّدِ الحَضْرِ

لو كنتَ من شيءٍ سوى بَشَرٍ … كنتَ المُنَوِّرَ ليلةَ البدرِ

القُنَّةُ: الجبل الذي ليس بمنتشر. أقْوَيْنَ: خَلَوْنَ. والسَّوَافِي: ما تَسْفِي الرياحُ[4]. قال: والقَطْرُ مخفوضةٌ ١٥٣/٩ بنَسَقه على الرِّيح[5]، والقَطْرُ لا سَوَافِيَ[6] له. وهذا تفعله العرب في المجاورة، وهو مثل / قولهم: جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ.

غَنَّى في هذه الأبيات سائب خاثر من رواية حَمّاد عن أبيه، ولم يجنّسْه. وفيه ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر نَسَبه عمرو بن بانَةَ إلى مَعْبَد، ونَسَبه غيرُه إلى سائب، وإلى الأوْسِيَّة مما ذكر حَبَشٌ. قال: وهي من قِيان الحجاز القدائم مولاةٌ للأوْس.



ومنها قولُه يمدح سِنَانَ بن أبي حارثةَ:

صوت

صَحَا القلبُ عن سَلْمَى وقد كاد[7] لا يَسْلُو … وأقْفَرَ من سَلْمَى التَّعَانِيقُ فالثَّقْلُ

وقد كنتُ من سَلْمَى سِنينَ ثمانياً … على صِيرِ أمْرٍ ما يَمُرُّ وما يَحْلُو

وكنتُ إذا ما جئتُ يوماً لحاجة … مَضَتْ وأجَمَّتْ حاجةُ الغَدِ ما تَخْلُو

وكلُّ محبٍّ أحدثَ النأيُ عندَه … سُلُوَّ فؤادٍ غيرَ حُبِّكِ ما يَسْلُو

تَأوَّبَني ذِكْرُ الأحِبَّةِ بعدما … هَجَعْتُ ودوني قُلَّةُ الحَزْنِ فالرَّمْلُ

[٣٠٣/١٠] / فأقسمتُ جَهْداً بالمنازل من مِنًى … وما سُحِقَتْ فيه المَقادِيمُ[8] والقَمْلُ

---

(١) الحجر: موضع بعينه وهو حجر اليمامة.

(٢) في جـ و «ديوانه»: «من حجيج ومن شهر».

(٣) في «شرح الأعلم»: «المور» وهو التراب.

(٤) هذا على الرواية التي ذكره المؤلف. وعلى رواية الأعلم يراد بالسوافي الرياح، يعني أن الرياح والأمطار تردّدت على هذه الديار حتى عفت رسومها وغيرت آثارها بما سفت الرياح عليها من التراب ومحت الأمطار من الآثار.

(٥) في الأصول: «على الرياح».

(٦) إذا فسرت السوافي بالرياح فيصح أن يكون القطر مما تسفيه الرياح.

(٧) في أ، م: «كان».

(٨) المقاديم: جمع مقدم الرأس، وأراد بالقمل: الشعر الذي فيه القمل، على تقدير مضاف، أي وشعر القمل. وقد يراد على معناه فإنه تابع ومسحوف مع المقاديم وشعرها.

لأرْتَحِلَنْ بالفجر ثم لأدْأَبَنْ ... إلى الليل إلاّ أن يُعَرِّجَني طِفْلُ

وهل يُنْبِتُ الخَطِّيَّ إلاّ وَشِيجُه ... وتُغْرَسُ إلاّ مَنابتها النَّخْلُ[1]

التَّعَانِيقُ والثَّقْلُ: موضعان. ويُرْوَى: فالنَّخل. وقولُه على صِيرِ أمرٍ: أي على شَرَف أمر. وأَجَمَّتْ: دَنَتْ. وتأوّبني: أتاني ليلاً. والتأويبُ: سَيْرُ يومٍ إلى الليل. سُحِفَتْ: حُلِقَتْ، يقال سَحَف رأسَه وسَبَتَه وجَلَطَهُ: حَلَقَه. وقولُه «يُعَرِّجني طِفْلٌ» قال يقال الطِّفْلُ: الليل، ويقال الطَّفَلُ: مَغِيبُ الشمس، وقال أبو عُبَيْدة: الطفل: الحَزْنُ، وإيقادُه نارٌ[2] التَّحْبير. والخَطِّيُّ: رِماحٌ نَسَبَها إلى الخَطّ وهي من جزيرة بالبحرين تُرْفَأ إليها سُفُنُ الرماح. والوَشِيجُ: القَنَا واحدُها وَشِيجةٌ. والوُشُوجُ: دخولُ الشيء بعضِه في بعض.

غَنَّى إبراهيم المَوْصِليّ في الأوّل والثاني ثقيلاً أوّل بالبِنصر من رواية الهشاميّ وعمرو. وغَنَّى إبراهيم أيضاً في السادس والسابع والثامن خفيفَ ثقيلٍ. وفي الثالث لمَعْبَد خفيفُ ثقيلٍ. ولعَلُّويه في السابع والثامن خفيفُ رَمَلٍ. وذكر حَبَشٌ أن لإبراهيم في الثامن لحناً ماخُورِيّاً.

ومن الغِناء في مدائحه هَرِماً قولُه:

صوت

لِمَنْ طَلَلٌ برامةَ لا يَرِيمُ[3] ... عَفَا وأحالَه عَهْدٌ قديمُ[4]

/ تَطَالَعُني خيالاتٌ لسَلْمَى ... كما يَتَطالَعُ الدَّيْنَ الغَرِيمُ [١٠/٤٠]

غَنَّاه دحْمَانُ ثانيَ ثقيلٍ بالبِنصر عن عمرو. وعَفَا: درس ها هنا، وفي موضع آخر: كثُر، وهو من الأضداد. وخيالاتٌ: جمع خيال.

أنشد عمر رضي الله عنه شعراً له في هرم بن سنان فمدحه:

أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجَوْهريّ وحبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبَّةَ، وقال المُهَلَّبيّ في خبرٍ له عن الأصمعيّ قال:

أُنْشِد عمرُ بن الخطاب قولَ زُهَير في هَرِمِ بن سِنان يمدحه:

دَعْ ذا وعَدِّ القولَ في هَرِمٍ ... خيرِ الكهول وسَيِّدِ الحَضَرِ

لو كنتَ من شيءٍ سوى بَشَرٍ ... كنتَ المنوِّرَ ليلةَ البدرِ

ولأنتَ أوْصَلُ من سَمِعتُ به ... لِشَوابِكِ الأرحام والصِّهْرِ

/ ولَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرعِ أنتَ إذا ... دُعِيَتْ نَزَالِ ولُجَّ[5] في الذُّعْرِ [١٥٤/٩]

---

(١) هذا البيت وارد في «ديوانه» في القصيدة بعد أبيات عدّة لم يذكرها أبو الفرج، وقبله:

فما يك من خير أتوه فإنما ... توارثه إباء آبائهم قبل

(٢) نار التحبير: هي النار التي توقد لهداية الحائر.

(٣) لا يريم: لا يبرح.

(٤) رواية «الديوان»: عفا وخلا له حقب قديم

(٥) في أ، م: «لز» بالزاي.

وأراك تَفْري[1] ما خَلَقْتَ وبعـ ـضُ القومِ يخلُقُ ثم لا يَفْري

أثْنِي عليكَ بما علمتُ وما أسْلفتَ في النَّجَداتِ من ذِكْرِ

والسِّتْرُ دونَ الفاحشاتِ ولا يلقاكَ دونَ الخيرِ من سِتْرِ

فقال عمر: ذلك رسولُ الله ﷺ.

قال عمر لبعض ولد هرم قد خلد ذكره لكم:

قال وقال عمر لبعض ولَدِ هَرِم: أنشِدْني بعضَ مَدْحِ زُهَيْرٍ أباك، فأنشده. فقال عمر: إن كان لَيُحْسِن فيكم القولَ. قال: ونحن والله إن كنّا لَنُحْسِن له العطاءَ. فقال: قد ذهب ما أعطيتموه وبَقِيَ ما أعطاكم.

[١٠/٣٠٥] / **حلف هرم أن يعطيه كلما لقيه:**

قال: وبلغني أنّ هَرِماً كان قد حَلَف ألاّ يمدحه زُهَير إلاّ أعطاه، ولا يسألَه إلاّ أعطاه، ولا يسلِّمَ عليه إلاّ أعطاه: عَبْداً أو وَلِيدة أو فَرَساً. فآستحيا زهيرٌ مما كان يقبَل منه، فكان إذا رآه في ملأ قال: عِمُوا صباحاً غيرَ هَرِمٍ، وخيرَكم آستثنيتُ. وروى المُهَلَّبِيّ: وخيرَكم تركتُ.

سأل عمر ابنه عن الحلل التي كساه إياها هرم فأجابه:

أخبرني الجَوْهريّ والمهلَّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبَّه قال:

قال عمر لابن زُهَير: ما فعلتِ الحُلَلُ التي كساها هَرِمٌ أباك؟ قال: أبلاها الدهر. قال: لكنَّ الحُلَلَ التي كساها أبوك هَرِماً لم يُبْلِها الدهر. وقد ذكر الهَيْثَمُ بنُ عَدِيّ أن عائشةَ خاطبتْ بهذه المقالةِ بعضَ بناتِ زُهَيْر.

شعر له مدح به هرماً ولم يسبقه إليه أحد:

وقال أبو زيد عمر بن شَبَّة: ومما سَبَقَ فيه زُهَير في مَدْحِ هَرِمٍ ولم يَسْبِقْه إليه أحد قولُه:

قد جعلَ المبتغونَ الخيرَ من هَرِمٍ والسائلونَ إلى أبوابِه طُرُقا

مَنْ يَلْقَ يوماً على عِلاّتِه هَرِماً يَلْقَ السَّماحةَ منه والنَّدَى خُلُقا

يطلب شأوَ آمرأين قَدَّما حَسَباً[2] بَذَّا الملوكَ وبَذّا هذه السُّوَقا

هو الجوادُ فإن يَلْحَقْ بشأوهما على تكاليفه فمِثْلُه لَحِقا

أو يسبقاه على ما كان من مَهَلٍ[3] فمِثْلُ ما قَدَّما من صالحٍ سَبَقا

(١) تفري: تقطع. وخلقت أي قدرت الأديم وهيأته للقطع والخرز. والمعنى: أنك إذا تهيأت لأمر مضيت له وأنفذته ولم تعجز عنه، وبعض القوم يقدر الأمر ويتهيأ له ثم لا يقدم عليه ولا يمضيه عجزاً وضعف همة. (عن «شرح الأعلم»).

(٢) رواية هذا البيت في «شرح الأعلم» للديوان.

يطلب شأو امرأين قدّما حسنا نالا الملوك وبذّا هذه السوقا

وأراد بالمرأين: أباه وجده. يقول: تساوى أبواه بالملوك وسبقا أوساط الناس وهو يطلب سبقهما، وذلك شديد لأنهما لا يجاريان في فعل. (عن «شرح الأعلم»).

(٣) المهل: التقدّم. يقال أخذ فلان المهلة والمهل على فلان إذا تقدمه. يقول: إن الممدوح معذور إذا سبقه أبواه وأخذا عليه المهلة في الشرف؛ لأن مثل فعلهما وما قدماه من صالح سعيهما يبق من جاراهما. (عن «شرح الأعلم»).

/ **مدح عبدالملك بن مروان شعره في مدح آل أبي حارثة:** [٣٠٦/١٠]

أخبرني الجوهريّ والمهلَّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال قال المدائنيّ:

قال عبدالملك بن مروان: ما يضرُّ مَنْ مُدِحَ بما مَدَح به زُهَيْرٌ آلَ أبي حارثة من قوله:

علـى مُكْثِـريهـم رِزْقُ مَـنْ يَعْتَـرِيهُـمْ[١]   وعنـد المقلّيـن السّمـاحـةُ والبَـذْلُ

ألاّ يَمْلِك أمورَ الناس (يعني الخلافة). قال ثم قال: ما ترك منهم زُهَيْرٌ غنيّاً ولا فقيراً إلاّ وصفه ومدحه.

مدح عثمان بن عفان شعراً له:

وقال ابن الأعرابيّ قال أبو زِياد الكلابيّ: أنشِد عثمان بن عَفّانَ قولَ زهير:

ومهمـا تكـن عنـد أمـرىءٍ مـن خَلِيقـةٍ   وإن خـالَهـا تخفَـى علـى النّـاس تُعْلَـمِ

فقال: أحسن زُهَيْرٌ وصدَق، لو أنّ رجلاً دخل بيتاً في جوف بيت لتحدّث به الناس. قال وقال النبيّ ﷺ: «لا تَعْمَلْ عَملاً تَكْرَهُ أن يُتَحَدَّثَ عنك به».

تمثل عروة بن الزبير ببيت له وقد استخف به عبدالملك بن مروان:

قال وقال عليّ بن محمد المدائنيّ حدّثني ابن جَعْدويه:

أنّ عُرْوَةَ بن الزُّبَيْر لَحِقَ بعبدالملك بن مروان بعد قَتْلِ أخيه عبدِالله بن الزُّبَيْر. فكان إذا دخل إليه منفرداً أكرمه، وإذا دخل عليه وعنده أهل الشام ٱستخفّ به. فقال له يوماً: يا أمر المؤمنين، بئس المَزورُ أنت؛ تُكرِم ضيفَك في الخَلا، وتُهينه في المَلاَ، وقال[٢]: لله دَرّ زُهَيْر حيث يقول:

/ فقَـرِّي فـي بـلادك إنّ قـومـاً   متـى يَـدَعُـوا بـلادَهُـمُ يَهـونـوا ١٥٥/٩

ثم ٱستأذنه في الرُّجوع إلى المدينة، فَقَضَى حوائجَه وأذِن له. وهذا البيت من قصيدة لزُهَيْر قالها في بني تميم، وقد بلغه أنها حَشَدَتْ لغزو غَطَفان؛ أوّلها:

/ ألا أبلِـغْ لـديـك بَنـي تَمِيـمٍ   وقـد يـأتيـك بـالخبـر الظَّنُـونُ [٣٠٧/١٠]

الظَّنون: الذي لستَ منه على ثقة. والظنين: المُتَّهَم.

شعره في الحارث بن ورقاء وقد أخذ إبله وغلا:

كان الحارث بن ورْقَاء الصَّيْداوي من بني أَسَد أغار على بني عبدالله بن غَطَفان فغَنِم فٱستاق[٣] إبِلَ زُهَيْر وراعيَه يساراً. فقال زُهَيْر:

بـان[٤] الخَلِيـطُ ولـم يَـأْوُوا لمـن تـركـوا   وزوّدوك ٱشتيـاقـاً أيّـةً سَلَكـوا

(١) يعتريهم: يقصدهم ويطلب ما عندهم.
(٢) في أكثر النسخ: «فقال» وفي جـ: «قال».
(٣) كذا في ب، س. وفي سائر النسخ: «فاستخف».
(٤) كذا في «الديوان». وفي الأصول: «إن الخليط». والخليط: الأصحاب المخالطون في الدار. ولم يأووا: أي لم يرحموا ولم يرقوا.

وهي طويلة يقول فيها:

لئن حَلَلْتَ بجَوٍّ[١] في بَني أسَدٍ في دِين[٢] عمرو وحالت بيننا فَدَكُ
لَيأتِيَنَّك منِّي مَنْطِقٌ قَذِعٌ باقٍ كما دَنَّسَ القُبْطِيَّةَ[٣] الوَدَكُ
فاْرْدُدْ يَساراً ولا تَعْنُفْ عليه ولا تَمْعَكْ[٤] بعِرضِكَ إنّ الغادر المَعِكُ
ولا تكونَنْ كأقوامٍ عَلِمْتُهُمُ يَلْوُون ما عندهم حتى إذا نُهِكوا[٥]
طابت نفوسُهمُ عن حقِّ خَصْمِهِمُ مخافةَ الشرِّ وارتدُّوا لما تَرَكوا[٦]

[٣٠٨/١٠] / وفي هذه القصيدة مما يغنّى فيه:

صوت

أهْوَى لها أسْفَعُ الخدّين مُطَّرِقٌ رِيشَ القوادم لم يُنْصَبْ[٧] له شَرَكُ
وقد[٨] أكون أمام الحيّ تحمِلُني جَرْداءُ لا فَحَجٌ فيها ولا صَكَكُ

أهوى لها - يَعني القطاة تقدّم وصفُه إيّاها - صقرٌ. ورواه الأصمعيّ: «هوى لها» وقال: هوى: أنقضّ، وأهوى: أوفى. ومُطَّرِقٌ: ريشُه بعضُه على بعض ليس بمنتشر، وهو أعتقُ له. وقوله لم يُنْصَب له شَرَكٌ: أي لم يُصْطَدْ ولم يُذَلَّل. والقوادِم: العشرُ المتقدّماتُ. والفَحَجُ: تباعُدُ ما بين الفخذين. والصَّكَكُ: أصطكاك العُرْقوبين في الدوابّ، وفي الناس الركبتين. قال: فلمّا أُنشد الحارثُ هذا الشعرَ بعث بالغلام إلى زهير. وقيل: بل أُنشِد قولَ زُهَير:

تَعَلَّمْ أنّ شَرَّ الناس حَيٌّ يُنادَى في شِعارهم يَسَارُ[٩]

---

(١) جو: واد.

(٢) كذا في جـ و «الديوان» وياقوت في كلامه على فدك. والمراد بدين عمرو: طاعته وسلطانه. وعمرو هو عمرو بن هند الملك. وفي سائر النسخ وياقوت في كلامه على دير عمرو: «دير عمرو». وقال: «دير عمرو: جبال في طيء قرب قرية لهم يقال لها جو». ثم ذكر هذا البيت والذي بعده. وفدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة.

(٣) كذا في «الديوان». والقبطية (بضم القاف): ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر منسوبة إلى القبط (بكسر القاف) على غير قياس. وفي الأصول «القطيفة» وهو تحريف. والودك: الدسم. يقول: لئن حللت بحيث لا أدركك ليردن عليك هجوي ولأدنسنّ به عرضك كما يدنس الودك القبطية.

(٤) المعك: المطل وزنا ومعنى. والمعك (بكسر العين): المطول. يقول: لا تمطلني بيسار فمطلك غدر. وكلما مطلتني لحق ذلك بعرضك.

(٥) يلوون ما عندهم أي يمطلون بما عليهم من الدين. ونهكوا: شتموا وبولغ في هجائهم. (عن «شرح الأعلم»).

(٦) أي لما أوذوا بالهجاء دفعوا الحق إلى صاحبه وارتدوا إلى إعطاء ما كانوا تركوه ومنعوه من الحق مخافة من الشر وإبقاء على أعراضهم. (عن «شرح الأعلم»).

(٧) رواية «الديوان بشرح الأعلم»: «لم ينصب له الشبك». ونصب ريش القوادم على التشبيه بالمفعول به، كما تقول: زيدحسن الوجه، بنصب الوجه. (راجع «شرح الأعلم»).

(٨) هكذا غنى في هذا البيت. وأصله كرواية «الديوان»:

وقد أروحُ أمامَ الحيّ مُقْتَنِصاً قُمْراً مَراتِعُها القِيعانُ والنَّبَكُ
وصاحبي وَرْدَةٌ نَهْدٌ مَراكِلُها جَرْداءُ لا فَحَجٌ فيها ولا صَكَكُ

(٩) الشعار: علامة القوم في سفرهم: اسم رجل أو شيء قد عرفوه فيما بينهم إذا دعوا به عرفوه. وإنما أراد أن يسارا صار عيباً عليهم =

ولـــولا عَسْبُـــه[١] لـــرددْتُمـــوه وشَـــرُّ مَنِيحَـــةٍ[٢] أَيْـــرٌ[٣] مُعَـــارُ

إذا جَمَحـــتْ[٤] نِســـاؤكُـــم إليـــه أشَـــظَّ[٥] كـــأنّـــه مَسَـــدٌ مُغَـــارُ

/ يُبَرْبِـرُ[٦] حيـنَ يعـدو[٧] مـن بعيـدٍ إليهـــا وهـــو قَبْقَـــابٌ قُطَـــارُ [١٠/٩

فردّه عليه. فلامه قومه وقالوا له: اقتله ولا تُرسِلْ به إليه، فأبى عليهم. فقال زهير عند ذلك:

أبلـغْ لـديـك بَنـي الصَّيْـداء كُلَّهُـمُ أنّ يَسَـاراً أتـانـا غيـرَ مَغْلُـولِ

ولا مُهـانٍ ولكـن عنـد ذي كَـرمٍ وفـي حِبـالِ وَفِـيِّ العَهْـد[٨] مـأمـولِ

وهي قصيدة. فقال الحارث لقومه: أيُّما أصْلَحُ: ما فعلتُ أو ما أردتُم؟ قالوا: بل ما فعلتَ.

كان يذكر في شعره بنو غطفان وأحوال بني مرة ويمدحهم:

١٥٦/٩ قال ابن / الأعرابيّ وحدّثني أبو زِياد الكِلابيّ:

أنّ زهيراً وأباه وولدَه كانوا في بني عبدالله بنِ غَطَفان، ومنزلُهم اليوم بالحاجِر[٩]، وكانوا فيه في الجاهلية. وكان أبو سلْمَى تزوّج إلى رجل من بَني فِهْر بن مُرّة بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبْيان يقال له الغَدِير[١٠]ـ والغدير هو أبو بَشَامة الشاعر[١١]ـ فولَدت له زُهَيْراً وأَوْساً، ووُلِد لزهير من امرأة من بني سُحَيْم. وكان زُهَيْر يذكر في شعره بَنِي مُرَّة وغَطَفان ويمدحهم. وكان زهير في الجاهلية سيّداً كثيرَ المال حليماً معروفاً بالورع.

[١٠/٠ / **شكا إليه رجل من غطفان بني عليم بن جناب فهجاهم:**

قال وحدّثني حَمّاد الراوية عن سعيد الرواية عن سعيد بن عمرو بن سعيد:

أنه بلغه أنّ زُهَيْراً هجا آل بيتٍ من كلب من بني عُلَيْم بن جَنَاب[١٢]، وكان بلغه عنهم شيءٌ من وَرَاءَ وَرَاءَ، وكان رجل من بني عبدالله بن غَطَفانَ أتى بني عُلَيم[١٣]، وأكرموه لمّا نزل بهم وأحسنوا جِوارَه، وكان رجلاً مُولَعاً

= يعرفون به كما يعرف كل قوم بشعارهم. (عن «شرح الديوان» لثعلب).

(١) العسب: الضراب والنكاح أو هو ماء الفحل.

(٢) المنيحة: العارية.

(٣) في «شرح الأعلم»: «عسب».

(٤) رواية «اللسان» في مادة شظظ: «جنحت».

(٥) كذا في «الديوان». وأشظ: أنعظ واشتد. وفي الأصول: «أشد». والمسد: الحبل. والمغار: الشديد الفتل.

(٦) يبربر: يصوت. والقبقاب: من القبقبة وهي هدير الفحل. والقطار (بضم أوله): وصف من القطر أي يسيل، وقيل عن أبي محمد المتصب الرافع رأسه. (عن «شرح ثعلب»).

(٧) كذا في حـ و «الديوان» بشرح الأعلم. وفي «الديوان» بشرح ثعلب: «يغدو» بالغين المعجمة. وفي سائر الأصول: «يبدو».

(٨) ورد هذا الشطر في «شرح الديوان» للأعلم الشنتمري هكذا: «وفي حبال وفيّ غير مجهول». والحبال: العهود والذمم.

(٩) في الأصول: «بالحاجز» بالزاي وهو تصحيف.

(١٠) كذا في «شرح ثعلب»، وقد صححه المرحوم الأستاذ الشنقيطي كذلك في نسخته، ويرجحه ما سيأتي في ص ٣١٢ من هذه الترجمة. وفي الأصول هنا: «الغابر».

(١١) كذا في «شرح الديوان» لثعلب في الدخول على قصيدته الهمزية. وفي الأصول: «هو أبو يسار هذا» وهو تحريف.

(١٢) كذا في «شرح ثعلب» و «المعارف» لابن قتيبة. وفي الأصول: «حبان» وهو تحريف.

(١٣) في الأصول: «غليب» وهو تحريف.

بالقِمار فنهَوْه عنه، فأبى إلاّ المقامرةَ. قُمِرَ مرةً فردّوا عليه، ثم قُمِرَ أخرى فردّوا عليه، ثم قُمِرَ الثالثةَ فلم يردُّوا عليه، فترحَّل عنهم وشكَا ما صُنع به إلى زُهَيْر، والعربُ حينئذٍ يتَّقُون الشعراءَ اتقاءً شديداً. فقال: ما خرجتُ في ليلة ظَلْماءَ إلاّ خِفْتُ أن يُصيبَني الله بعقوبة لهجائي قوماً ظلمتُهم. قال: والذي هجاهم به قوله:

عَفَـا مـن آلِ فـاطمـةَ الجِـواءُ ... فيُمْـنٌ فـالقَـوَادِمُ فـالحِسَـاءُ[1]

فـذُو هَـاشٍ[2] فَمِيـثُ عُـرَيْتِنَـاتٍ[3] ... عفَتْهـا الـرِّيـحُ بعـدَكَ والسمـاءُ

جَـرَتْ سُنُحـاً فقلـتُ لهـا أَجِيـزِي ... نَـوًى مَشْمُـولـةٌ فمتـى اللِّقـاءُ

كـأنَّ أوابِـدَ الثِّيـرانِ فيهـا ... هجـائـنُ فـي مَغَـابِنِهـا الطِّـلاءُ

لقـد طـالبْتُهـا ولكـلِّ شـيءٍ ... وإن طـالـت لَجـاجتُـه انتهـاءُ

وقـد أَغـدو علـى شَـرْبٍ[4] كـرامٍ ... نَشَـاوَى واجِـدِيـنَ لمـا نشـاءُ

لهـم طـاسٌ[5] ورَاوُوقٌ ومِسْـكٌ ... تُعَـلُّ بـه جلـودُهُـم ومـاءُ

الجِواءُ: أرض. ويُمْنٌ والقوادمُ: في بلاد غَطَفان. والمِيثُ: جمع مَيْثاء. قال أبو عمرو: إذا كان مَسِيلُ الماء مثل نصف الوادي أو ثُلُثَيْه فهي مَيْثاء. والسماء ها هنا: [١٠/٣١١] / المطر. والسّانح: ما أَقْبلَ من شِمالك يريد يمينك. والبارحُ: ضِدُّه. وقال أبو عُبَيْدة: سمعت يونس بن حبيب يسأل رؤبة عن السانح والبارح فقال: السانح: ما ولاّك ميامنه. والبارِح: ما ولاّك مشائمه. وأجيزي: انفُذي. قال الأصمعيّ: يقال أجزتُ الواديَ إذ قطعتَه وخلّفتَه، وجُزْتُه: إذا سرتَ فيه فتجاوزتَه. والأوابِدُ: الوحشية. والهجائن: إبِلٌ بيضٌ. والمغابن: الأرفاغ، واحدها مَغْبِنٌ. ومشمولةٌ: سريعة الانكشاف. أخذه من الريح الشَّمال إذا كانت مع السحاب لم يلبث أن يذهب[6]. وجعل مشمولة ها هنا في النوى لأن نيّتهم كانت سريعة، فأَجْرى ذلك مُجْرَى الذَّمِّ، فهذه السُّنُح.

غنّى في الأوّل والثاني والسابع مَعْبَدٌ ثقيلاً أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر عليّ بن يحيى أنّ للغَرِيض فيها خفيفَ ثقيلٍ. وذكر حَبَشٌ أن فيه للهُذَليّ ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى. وفي الثالث والرابع مع بيت ليس لزهير أُضِيف إلى الشعر وهو:

بنفسـي مَـنْ تـذكُّـره سَقَـامٌ ... أعـالجـه ومَطْلَبُـه عنـاءُ

[١٥٧/٩] في[7] هذه الأبيات الثلاثة خفيفُ ثقيل أوّل بالوُسطى في مَجْراها، ذكر إسحاق أنه للغَرِيض، / وغيرُه ينسُبه إلى ابن سُرَيج وإلى ابن عائشة. وفي الرابع والخامس لعَلّويه رَمَلٌ لا يُشَكّ فيه من غِنائه.

---

(١) الحساء: في بلاد غطفان.

(٢) ذو هاش: موضع في بلاد غطفان.

(٣) عريتنات: اسم واد.

(٤) رواية «الديوان»:

وقد أغدو على ثبة كرام

والثبة: الجماعة من الناس.

(٥) رواية «الديوان»: «لهم راح».

(٦) في الأصول: «لم تلبث أن تذهب». وعبارة «لسان العرب»: «... وقال ابن السكيت: مشمولة سريعة الانكشاف، أخذه من أن الريح الشمال إذا هبت بالسحاب لم يلبث أن يتحسر ويذهب».

(٧) في الأصول: «وفي».

طلب من خاله بشامة وهو يحتضر أن يقسم له من ماله فقال له أورثتك الشعر:

وقال ٱبن الأعرابيّ حدّثني أبو زِياد، وذكر بعضَ هذا الخبر إسحاقُ الموصليّ عن حَمَّاد الرواية وعن ٱبن الكلبيّ عن أبيه قال:

[٢/١٠] / وكان بَشَامةُ بن الغَدير خالَ [زهير بن[١]] أبي سُلْمى، وكان زُهَيْر منقطعاً إليه وكان مُعْجَباً بشعره. وكان بَشَامةُ رجلاً مُقْعَداً ولم يكن له ولد، وكان مُكْثِراً من المال، ومن أجل ذلك نزل إلى هذا البيت في غَطَفان لخُئولتهم. وكان بَشَامةُ أحزمَ الناس رأياً، وكانت غَطَفان إذا أرادوا أن يَغْزُوا أتَوْه فٱستشاروه وصَدَروا عن رأيه، فإذا رجَعُوا قَسَمُوا له مِثْلَ ما يَقْسِمون لأفضلهم، فمن أجل ذلك كثُر مالُه. وكان أسعدَ غَطَفانَ في زمانه. فلما حَضَره الموتُ جعل يَقْسِم مالَه في أهل بيته وبين بني إخوته. فأتاه زُهَيْرٌ فقال: يا خالاَهْ لو قَسَمْتَ لي من مالك!! فقال: والله يا ٱبن أختي لقد قَسَمْتُ لك أفضلَ ذلك وأجْزَلَه. قال: وما هو؟ قال: شعري وَرِثْتَنِيه، وقد كان زُهَيْرٌ قبل ذلك قال الشعرَ، وقد كان أوّلَ ما قال. فقال له زهير: الشعر شيءٌ ما قلتَه فكيف تعتدّ به عليّ؟ فقال له بَشَامةُ: ومن أين جئتَ بهذا الشعر! لعلك ترى أنك جئتَ به من مُزَيْنَةَ، وقد عَلِمت العرب أن حَصَاتَها وعينَ مائها في الشعر لهذا الحيّ من غَطَفان ثم لي منهم، وقد رَوَيْتَه[٢] عنّي. وأحذاه[٣] نصيباً من ماله ومات.

بشامة خاله شاعر مجيد وشيء من شعره:

وبَشَامةُ شاعر مُجيد وهو الذي يقول:



صـوت

ألاَ تَـرَيْـنَ وقـد قطّعتِنـي[٤] قِطَعـاً ... مـاذا مـن الفَـوْتِ بيـن البخـل والجـود

إلاّ يكـن وَرَقٌ يـومـاً أرَاحُ بـه ... للخـابِطيـن فـإنّـي لَيِّـنُ العُـود[٥]

الغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّل بالبنصر، وقيل: إنه لإبراهيم.

[١٣/١٠] / **طلق زوجته أم أوفى ثم ندم فقال شعراً:**

قال ٱبن الأعرابيّ:

أمُّ أَوْفَى التي ذكرها زُهَيْرٌ في شعره كانت ٱمرأتَه، فولَدَتْ منه أولاداً ماتوا، ثم تزوّج بعد ذلك ٱمرأةً أخرى، وهي أمُّ ٱبنَيْه كَعْب وبُجَيْر؛ فغارت من ذلك وآذَتْهُ، فطلّقها ثم نَدِم فقال فيها:

لَعَمْـرُكَ والخطـوبُ مُغَيِّـراتٌ ... وفـي طـول المُعَـاشـرة التَّقـالِـي

لقـد بـالَيْـتُ مَظْعَـنَ أمِّ أَوْفَـى ... ولكـن أمُّ أَوْفَـى مـا تُبـالِـي[٦]

(١) وضعنا هذه التكملة لما تقدّم في ص ٣٠٩.
(٢) يحتمل أن يكون: «وقد ورثته عني».
(٣) أحذاه: أعطاه.
(٤) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «قطعتني» بالنون. ويظهر أن الخطاب لزوجته أو للائمة تلومه في الكرم.
(٥) يقال: راحت الريح الشيء إذا أصابته. ويقال: خبط الشجرة إذا شدها ثم نفض ورقها.
(٦) في أ، م: «لا تبالي».

فأمّا إذ نأيتِ فلا تقولي لذي صِهْرٍ أذِلْتُ ولم تُذالي[1]
أصبتُ بَنِيَّ منكِ ونِلْتِ منّي من اللذّاتِ والحُلَلِ الغَوالي

عانت امرأة ابنه سالماً فمات فرثاه:

وقال ابن الأعرابيّ:

كان لزهير ابنٌ يقال له سالم، جميل الوجه حسن الشّعر. فأهدى رجلٌ إلى زهير بُرْدَيْن[2]، فلَبِسهما الفتى وركِب فرساً له، فمرَّ بامرأةٍ من العرب بماء يقال له النُّتاءة[3]، فقالت: ما رأيتُ كاليوم قطّ رجلاً ولا بُرْدَيْن[2] ولا فرساً. فعثَر به الفرسُ فاندقَّتْ عُنُقُه وعُنُقُ الفرس وانشقّ البردان[2]. فقال زُهَير يَرْثِيه:

رأتْ رجلاً لاقَى من العيش غِبطةً وأخطأه فيها الأمورُ العظائمُ
وشَبَّ له فيها بَنُون وتُوبِعت سلامةُ أعوامٍ له وغنائمُ
[٣١٤/١٠] / فأصبح مَحْبُوراً[4] يُنَظِّر حولَه بغِبْطته[5] لو أنّ ذلك دائمُ
وعندي من الأيّام ما ليس عنده فقلت تَعَلَّمْ أنّما أنت حالمُ[6]
١٥٨/٩ / لعلّكِ يوماً أن تُراعي بفاجعٍ كما راعني يومَ النُّتاءةِ سالمُ

قال ابن الأعرابي:

هو وقومه شعراء:

كان لزُهَيْرٍ في الشعر ما لم يكن لغيره، وكان أبوه شاعراً، وخالُه شاعراً، وأُختُه سَلْمَى شاعرةً، وابناه كعبٌ وبُجَيْر شاعرين، وأخته الخنساء شاعرةً، وهي القائلة تَرْثِيه:

وما يُغْني تَوَقِّي الموتِ[7] شيئاً ولا عَقْدُ التَّميمِ ولا الغَضَارُ

ـ والغضار: كان أحدهم إذا خَشِيَ على نفسه يعلِّق في عُنُقه خَزَفاً أخضر ـ

إذا لاقَى منيَّتَه فأمسَى يُساق به وقد حَقَّ الحِذارُ
ولاقاهُ من الأيّامِ يومٌ كما من قَبْلُ لم يَخْلُدْ قُدَارُ[8]

وابن ابنه المُضَرَّب[9] بن كعب بن زُهَيْر شاعرٌ، وهو القائل:

---

(١) أذال المرأة: هزلها وأهانها. وفي المثل: «أخيل من مذالة» وهي الأمة لأنها تهان وهي تتبختر من حمقها.
(٢) في الأصول: «بردتين... البردتان» قال ابن سيدة: البرد ثوب فيه خطوط وخص بعضهم به الوشي. والبردة: كساء يلتحف به، وقيل غير ذلك. (راجع «اللسان» في مادة برد).
(٣) النتاءة: ماء لبني عميلة أو ماء لغني. وقال الحفصي. النتاءة نخيلات لبني عطارد. ويوم النتاءة من أيام العرب. («معجم البلدان» لياقوت).
(٤) المحبور: المنعم. ومنه قوله تعالى: ﴿في روضة يحبرون﴾ أي ينعمون. وينظر حوله أي ينظر حوله يميناً وشمالاً.
(٥) كذا في «معجم البلدان» في الكلام على النتاءة. وفي «الأصول»: «تغبطه». وفي «الديوان» بشرح ثعلب: «بمغبطة». ولم ترد هذه الأبيات في «شرح الأعلم».
(٦) يخاطب ابنه. يقول: ما أنت فيه من السرور والشباب بمنزلة الحلم.
(٧) في «اللسان» (في مادة غضر): «توقي المرء».
(٨) قدار: هو قدار بن سالف عاقر الناقة.
(٩) في «شرح القاموس» (في مادة ضرب): «وكمحدث (بكسر الدال المشددة) ومعظم (بفتح الظاء المشددة) لقب عقبة بن كعب بن =

إنـي لأخبِسُ نفسي وهي صادية ... عن مُصْعَبٍ ولقد بانت ليَ الطُّرُقُ
/ رُعْوَى[1] عليه كما أرْعَى على هَرِمٍ ... جَدّي زُهَيرٌ وفينا ذلك الخُلُقُ [٣١٥/١٠]
مَدْحُ الملوك وسَعْيٌ في مَسَرَّتِهم ... ثم الغِنَى ويدُ الممدوح تنطلقُ

ما امتاز به شعره وكان سبب تقديمه:

أخبرني أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال:

مَنْ قَدَّم زُهَيْراً أحتجّ بأنه كان أحسنَهم شعراً، وأبعدَهم من سُخْفٍ، وأجمعَهم لكثير من المعاني في قليلٍ من الألفاظ، وأشدَّهم مبالغةً في المدح، وأكثرَهم أمثالاً في شعره.

مرثية ابنه سالم:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الأصمعيّ قال:

كان لزهير ابنٌ يقال له سالم، وكان من أمّ كعب بن زُهَير؛ فمات أو قُتل، فجزع عليه كعب[2] جزعاً شديداً، فلامته امرأته وقالت: كأنه لم يُصَبْ غيرُك من الناس! فقال:

رأتْ رجلاً لاقى من العيش غِبطةً ... وأخطأه فيها الأمورُ العظائمُ
وشَبَّ له فيها بَنُونَ وتُوبعتْ ... سلامةُ أعوامٍ له وغنائمُ
فأصبح محبوراً ينظُر حولَه ... بغبطته لو أنّ ذلك دائمُ
وعندي من الأيام ما ليس عنده ... فقلت له مهلاً فإنك حالمُ
لعلك يوماً أن تُراعِي بفاجعٍ ... كما راعني يومَ النَّتاءة سالمُ

صوت

عَزَفْتَ ولم تَصْرِمْ وأنت صَرومُ ... وكيف تَصابِي مَنْ يقال حليمُ
صَدَدتَ فأطْوَلْتَ الصدودَ ولا أرى ... وِصالاً على طول الصُّدود يدوم

/ عَروضَه من الطويل. عزفت عن الشيء: إذا تركتَه وأبَتْه نفسُك. قال ابن الأعرابيّ: يقول لم تَصْرِم صُرْمَ [٣١٦/١٠] بَتَاتٍ. ولكن صَرَمْتَ صُرْمَ دَلالٍ. وأطْوَلْتَ الصدودَ أي أطلته. وإنما قال هذا ضرورة[3]. الشعر للمَرّار بن سَعيد الفَقْعَسيّ. والغِناء لإسحاق رَمَلٌ.

= زهير. وبالوجهين ضبط في نسخة الصحاح. وفي كتاب «الشعر والشعراء» أنه شبب بامرأة من بني أسد فقال:

ولا عيب فيها غير أنك واجد ... ملاقيها قد ديثت بركوب

فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف فلم يمت وأخذ الدية، فسمي المضرب.

(١) رعوى عليه: أي بقيا عليه؛ يقال: أرعى فلان على فلان إذا أبقى عليه.

(٢) تقدم في ص ٣١٣ أن هذا الشعر قاله زهير في ابنه سالم.

(٣) في «لسان العرب» (في مادة طول): «وأطلت الشيء وأطولت على النقصان والتمام بمعنى المحكم: وأطال الشيء وطوّله وأطوله: جعله طويلاً. وكأن الذين قالوا ذلك إنما أرادوا أن ينبهوا على أصل الباب. قال: فلا يقاس هذا إنما يأتي للتنبيه على الأصل».

[٣١٧/

/ ذكر المرّار وخبره ونسبه

نسبه وكان قصيراً ضئيل الجسم:

هو المَرّارُ بن سَعيد بن حبيب بن خالد بن نَضْلةَ بن الأَشْيَمَ بن جَحْوان[١] بن فَقْعَس بن طَرِيف بن عمرو بن قُعَين[٢] بن الحارث بن ثَعْلَبةَ[٣] بن دُودَان[٤] بن أَسَد بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة بن الياس بن مُضَر بن نِزارٍ. وأمُّ المَرّار بنتُ مَرْوان بن مُنقِذ[٥] الذي أغار على بني عامر بثَهْلان[٦] فقتل منهم / مائةً بحبيب بن مُنْقِذ[٥] عمِّه[٧]، وكانوا قتلوه. ١٥٩/٩

وكان المَرَّار قصيراً مُفْرِطَ القِصَرِ ضئيلَ الجسم. وفي ذلك يقول:

عَدُّونيَ الثعلبَ عند العَدَدِ ... حتى استشاروا بيَ إحدَى الإحَدِ[٨]
لَيْثاً هِزَبْراً ذا سلاحٍ مُعْتَدِي[٩] ... يَرْمِي بطَرْفٍ كالحريق المُوقَدِ

[٣١٨/ **/ كان يهاجي المساور بن هند:**

وكان يُهَاجِي المُسَاوِرَ بن هند بن قيس بن زُهَير بن جَذِيمةَ العَبْسِيّ. وفيه يقول المَرّار:

شَقِيَتْ بنو سَعْدٍ بشِعْرِ مُسَاوِرٍ ... إنّ الشقيَّ بكلّ حبلٍ يُخْنَقُ

والمُسَاوِر القائل فيه:

(١) كذا في جـ وهو الصحيح كما في «شرح القاموس» (في مادة حجو). وفي «سائر الأصول»: «هوازن» وهو تحريف.
(٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «معين» بالميم وهو تحريف.
(٣) في جميع الأصول: «تغلب». والتصويب عن «شرح القاموس» (في مادتي قعن وجحو).
(٤) كذا في أ، م و «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» للقلقشندي وقد أورده في باب الذال المعجمة مع الواو. وفي سائر الأصول: «دودان» بالدال المهملة.
(٥) كذا في حـ. وفي أ، م: «منقد» بالدال المهملة. ويظهر أنه مصحف عن منقذ بالذال المعجمة إذ لم يسم بهذا الاسم. وفي ب، س: «منقر» بالراء المهملة.
(٦) ثهلان: جبل ضخم بالعالية عن أبي عبيدة. وقال نصر: ثهلان جبل لبني نمير بن عامر بن صعصعة بناحية الشريف به ماء ونخيل. (عن «معجم البلدان» لياقوت).
(٧) يلاحظ أنه أخوه لا عمه إلا أن يكون منقذ جدّ مروان وسقط اسم أبيه.
(٨) إحدى الإحد: الأمر المنكر الكبير. قال الشاعر:

* بعكاظ فعلوا إحدى الإحد *

وإحدى الإحد الداهية. يقول: حسبوني من عداد الثعالب عند لقاء الأبطال أروغ عنهم ولا أكافحهم حتى استثاروا مني داهية.
(٩) المعتدي: وصف من العدوان إلا أنه وقف على لغة ربيعة في تسكين المنصوب. وفي الأصول: «معند» بالنون وبدون ياء. ويحتمل أن يكون مصحفاً عن «معتد» وصف من أعتد الشيء إذا هيأه وأعده، وعلى هذا يكون وصفاً للسلاح. ويرمي بطرف كالحريق الموقد: أراد أن عينه في غضبه حمراء كالنار الموقدة الملتهبة. (راجع «لسان العرب» في مادة أحد، «وخزانة الأدب» للبغدادي ج ٣ ص ٢٩٣ و٢٩٤).

ما سرّني أنّ أمّي من بني أسد … وأنّ ربّي ينجيني من النار
أو أنّهم زوّجوني من بناتهم … وأنّ لي كلّ يوم ألف دينار

من مخضرمي الدولتين أغار هو وأخوه بدر على بني عبس ونهبا إبلهم فحبسهما الوالي:

والمَرّارُ من مُخَضْرَمي الدولتين. وقد قيل: إنّه لم يُدْرِك الدولةَ العبّاسيّة.

وقال هذه القصيدة وهو محبوس. ذكر محمد بن حَبيب عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل والكوفيّين:

أنّ المَرّار بن سعيد كان أتى حُصَيْنَ بن بَرّاق من بني عَبْس، فوقف على بيوتهم فجعل يحدّث نساءهم ويُنْشِدهنّ الشعرَ. فنظروا إليه وهم مجتمعون على الماء فظنّوا أنه يَعِظُهُنّ. ثم انصرف من عند النساء حتى وقف على الرجال. فقال له بعضهم: أنت يا مَرّارُ تَقِفُ على أبياتنا وتُنشد النساءَ الشعر! فقال: إنّما كنتُ أسألهن. فجرى بينه وبينهم كلامٌ غليظ، فوثَبوا عليه وضرَبوه وعقَروا بعيره؛ فانصرف من عندهم إلى بني فَقْعَس فأخبرهم الخبرَ، فركبوا معه حتى أتَوْا بَني عَبْس فقاتلوهم فهزموهم، وفقأتْ بنو فَقْعَس من بني عَبْس عيناً وقتلوا رجلاً ثم انصرفوا. فحمل أبو شَدّاد النَّصْريّ لبني عَبْس مـائتي بعيرٍ وغلّظوا عليهم في الدِّية. ثم إنّ بدر بن سعيد أخا المَرّار قال: قد استوفتْ عَبْسٌ حقَّها، فعلامَ أترك ضَرْبَ أخي وعَقْرَ جَمَلِه! فخرج حتى أتى جِمالاً لبني عَبْس في المَرْعَى فرمى بعضَها فعقَرها ثم انصرف. فقال للمَرّار: إنّه والله ما يُقْنِعُ بهذا ولكن اخرُجْ بنا. فخرجا حتى أغارا على إبلِ لبني عَبْس فطرداها وتوجها بها نحوَ تَيْماءَ[1]. فلمّا كانا في بعض الطريق انقطع بِطانُ راحلة بدر / فنَدَر[2] عن رَحْلِه. [١٠/١٦٩] فقال له المَرّار: يا أخي أطِعْني وانصرِفْ ودَعْ هذه الإبلَ في النار، فأبَى عليه. ثم سارا، فلمّا كانا في بعض الطريق عرَض لهما ظبيٌ أعضَبُ[3] أحدِ القرنين. فقال المَرّار لبدر: قد تطيَّرتُ من هذا السفر، ولا والله ما نرجع من هذا السفر أبداً، فأبَى عليه بدرٌ. فتفرّقت عَبْسٌ فِرْقتين في طلب الإبل، فعمَدت فرقةٌ إلى وادي القُرَى[4]، وفرقةٌ إلى تَيْماء؛ فصادفوا الإبل بتَيْماء تُباع، فأخذوا المَرّارَ وبَدْراً فرفعوهما إلى الوالي. وعُرِفتْ سِماتُ عَبْس على الإبل فدُفِعتْ إليهم، ورُفِع المَرّارُ وأخوه إلى المدينة فضُرِبا وحُبِسا، فمات بدرٌ في الحبس. فكلّمتْ عِدّةٌ من قريش زيادَ بن عبدالله النَّصْريّ في المَرّار فخلاّه. وقال في حبسه:

* صَرَمْتَ ولم تَصْرِمْ وأنتَ صَرُومُ *

وهي طويلة.

مات أخوه بدر في الحبس فرثاه:

وقال يَرْثِي أخاه بدراً:

ألاَ يا لَقومي للتَّجَلُّدِ والصبرِ … وللقَدَرِ السّاري إليكَ وما تَدْري
/ وللشيءِ تَنْساه وتَذْكُرُ غيرَه … وللشيءِ لا تَنْساه إلاّ على ذُكْرِ ١٦٠/٩

(١) تيماء: بليد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق.
(٢) ندر عن رحله: سقط.
(٣) الأعضب: المكسور.
(٤) وادي القرى: واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى.

وما لكما بالغيب عِلْمٌ فتُخْبِرَا ... وما لكما في أمر عثمانَ من أمرِ

وهي طويلة، يقول فيها:

ألاّ قاتل اللهُ المقاديرَ والمُنَى ... وطيراً جَرَتْ بين السُّعافات[1] والحِبْرِ[2]

وقاتلَ تكذيبي[3] العِيافةَ بعدما ... زجرتُ فما أغنَى اعتيافي ولا زَجْري

[١/ ٣٢٠] / تَرَوَّحْ فقد طال الثَّواءُ وقُضِّيَتْ ... مَشَارِيطُ كانت نحوَ غايتها تجري

ـ المشاريط: العلامات والأمارات ـ

وما لقُفُولٍ[4] بعد بدرٍ بشاشةٌ ... ولا الحيِّ آتيهم ولا أوبةِ السَّفْرِ

تُذَكِّرُني بدراً زعازعُ حُجْرةٍ[5] ... إذا عَصَفَتْ إحدى عَشِيَّاتها الغُبْرِ

ـ الزعازعُ: الشديدةُ الهُبوب. والحَجْرة[5]: السنة الشديدة ـ

إذا شَوْلُنا[6] لم نُوتَ منها بمِحْلَبٍ ... قَرَى الضَّيفَ منها بالمهنَّد ذي الأَثْرِ

وأضيافُنا إن نبَّهونا ذكرتُه ... فكيف إذاً أنساه غابرةَ الدهرِ

إذا سَلَّم السَّارِي تهلَّلَ وجهُه ... على كل حالٍ من يَسارٍ ومن عُسْرِ

تذكَّرتُ بدراً بعدما قيل عارفٌ[7] ... لما نابَه يا لَهْفَ نفسي على بدر

إذا خطرتْ منه على النفس خَطْرةٌ ... مَرَتْ[8] دمعَ عيني فاستَهلَّ على نَحْرِي

وما كنتُ بَكَّاءً ولكن يَهِيجُ[9] لي ... على ذِكْره طِيبُ الخلائق والخُبْرِ

أعينَيَّ إني شاكر ما فعلتما ... وحُقَّ لما أبْلَيْتُمانيَ بالشكر

سألتُكما أن تُسْعِداني فجُدْتُما ... عَوَانَيْن[10] بالتَّسْجام باقِيَتَيْ[11] قَطْرِ

---

(١) في «معجم البلدان»: «السعافات بضم أوله وبعد الألف فاء وآخره تاء مثناة من فوق موضع في قول المرار». واستشهد بهذا البيت.

(٢) الحبر (بالكسر ثم السكون): اسم واد، كذا ذكره ياقوت في «معجم البلدان» واستشهد بأبيات من هذه القصيدة. وفي الأصول: «الحجر» بالجيم.

(٣) في ياقوت: «وقاتل تتريب العيافة».

(٤) في حـ: «وما لقفولي».

(٥) في الأصول: «حجرة» بتقديم الحاء المهملة على الجيم وهو تصحيف. وفي ياقوت: «الزبة» وسنة لزبة: شديدة.

(٦) الشول: جمع شائلة، وهي من الإبل ما أتى عليها من وضعها أو حملها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وخف لبنها. والمحلب: إناء يحلب فيه. والأثر (بالفتح وبالكسر وبضمتين): فرند السيف ورونقه. ورواية هذا البيت في كتاب «الشعر والشعراء». ص ٤٤١ طبع أوربا: «إذا شولنا لم نسع فيها بمرفد... إلخ».

(٧) عرف للأمر: صبر.

(٨) مرت دمع عيني: أرسلته وأسبلته. واستهل: سال.

(٩) في ب، س: «يهيجني».

(١٠) العوان: النصف في سنها من كل شيء. والحرب العوان: التي قوتل فيها مرة بعد أخرى، كأنهم جعلوا الأولى بكراً. والحرب العوان هي أشد الحروب. فلعله يريد أن عينيه سجمتا الدمع أي أسالتاه مرة بعد أخرى.

(١١) كذا في كتاب «الشعر والشعراء». ووردت هذه الكلمة في الأصول مصحفة، ففي بعضها: «يا قنتي» وفي بعضها الآخر: «يا قبتي».

/ فلمّا شَفَاني اليأسُ عنه بسَلْوةٍ وأَغْذَرتُما لا بل أَجَلَّ من العذر [١٠/٣٢١]

نَهَيْتُكما أن تُسْهِراني[1] فكنتُما صَبُورَيْن بعد اليأس طاوِيَتَيْ غُبْر

يقول: طويتما أغبارَ دمعكما. والأغبار: البقايا كأغبار اللَّبن.

خرج حاجاً وأضافه قرشي بالأبطح:

أخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال حدّثني رجل عن واصِل بن زكريّا بن المَرّار أنّ المَرّار قال:

خرجتُ حاجّاً فأنختُ بناحية الأبْطَح، فجاء قوم فنَحَّوْني عن موضعي وضربوا فيه قُبَّةً لرجل من قُرَيش. فلمّا جاء وجلس أتيتُه فقلتُ:

هذا قَعُودِي بارِكاً بالأَبْطَحِ عليه عِكْمَا[2] أكْمُرٍ[3] لم تُفْتَحِ

فقال: وما قصّتك؟ فأخبرتُه. فقال: والله لا تفتحُ منهما شيئاً حتى تنصرفَ، فأَقِمْ معنا، يدُك مع أيدينا، وقَعُودُك مع أَبَاعِرِنا[4]. فوالله ما فتحتُ العِدْلَيْن حتى انصرفتُ بهما إلى أهلي. فما هجاني أحد قطُّ هِجاءَه.

حبس هو وأخوه بدر، وشعره في الحبس:

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا أبو غَسّان دَمَاذ عن أبي عُبَيْدة قال أخبرني أبو مَوْهَبٍ رُتَيْلٌ الزُّبَيري أحدُ بَنِي زُبَيْر بن عمرو بن قُعَيْن قال:

كان المَرّارُ بن سعيد وأخوه بدرٌ لِصَّيْن، وكان بدرٌ أشهرَ منه بالسرقة وأكثرَ غاراتٍ على الناس. فأغار بدر على ذَوْدٍ[5] لبعض بني غَنْم بن دُودان[6] فطردَها، فأُخِذ / ورُفع إلى عثمانَ بن حَيّانَ / المُرّيّ، وهو يومئذٍ على المدينة فحبسه. وطردَ المَرّارُ طَرِيدةً فأخذ معها وهو يَبيعها بوادي القُرَى أو بِبِرْمةَ[7]، فرُفع إلى عثمانَ بن حَيّان فحبَسه. قال: فاجتمعا ومكثا في السجن مدّةً؛ ثم أفلَتَ المَرّارُ وبقيَ بدرٌ في السجن حتى مات محبوساً مقيَّداً. [١٠/٣٢٢] ١٦١/٩

فقال المَرّار وهو في الحبس:

أنارٌ بَدَتْ من كُوّةِ السِّجنِ ضوءُها[8] عشيّةَ حَلَّ الحَيُّ بالجَرَعِ[9] العُفْرِ

(١) في كتاب «الشعر والشعراء»: «أن تشمتا بي».
(٢) العكم: العدل وهو الغرارة.
(٣) أكمر: جمع كمر (بكسر الكاف وسكون الميم) نحو ذئب وأذؤب. وهذا الجمع سماعي في مثل هذا الوزن. والكمر من البسر: ما لم يرطب على نخلة ولكنه سقط فأرطب على الأرض.
(٤) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول: «أقاعدنا» وهذا الجمع لم يرد في «كتب اللغة» في جمع قعود.
(٥) الذود: ثلاثة أبعرة إلى التسعة، وقيل إلى العشرة، وقيل غير ذلك. ولا يكون إلا من الإناث. وهو واحد وجمع كالفلك.
(٦) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣١٧ وغنم هو أخو ثعلبة المذكور في تلك الصفحة. (راجع كتاب «سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب» للسويدي ص ٥٨ طبع بغداد سنة ١٢٧٠ هجرية).
(٧) برمة (بكسر أوله): عرض من أعراض المدينة بين خيبر ووادي القرى.
(٨) كذا في الأصول. بتأنيث الفعل لإضافة الفاعل إلى ضمير المؤنث.
(٩) كذا في حـ بالراء المهملة. والجرع بالتحريك: جمع جرعة بالتحريك أيضاً وهي هنا الرملة العذاة الطيبة التي لا وعوثة فيها. وفي سائر الأصول: الجزع بالزاي المعجمة وهو تصحيف.

عَشِيَّـةَ حَـلَّ الحـيُّ أرضـاً خَصِيبـةً يَطِيـبُ بهـا مَـسُّ الجنـائـبِ[١] والقَطْـر
فيـا ويلتـا[٢] سجـنِ اليمـامـةِ أطْلِقَـا أسيـرَكمـا يَنْظُـرْ إلـى البـرق مـا يَفْـرِي[٣]
فـإن تفعـلا أَحْمَـدْكُمـا ولقـد أرَى بـأنكمـا لا ينبغـي لكمـا شكـري
ولـو فـارقـتْ رجلـي القيـودُ وجـدتُنـي رفيقـاً بنَـصِّ العِيـسِ[٤] فـي البلـد القَفْـر
جـديـراً إذا أُمسـي بـأرضٍ مَضَلَّـةٍ[٥] بتقـويمهـا حتـى يُـرَى وَضَـحُ الفجـر

خاصم رجلاً من قومه وسابه، وقال في ذلك شعراً:

وقال أبو عمرو الشَّيْبانيّ:

كان بين المَرَّار بن سعيد وبين رجل من قومه لِحَاءٌ، فتقاذفا وتسابّا، ثم صارا إلى الضرب بالعصا؛ فقال في ذلك:

[١٠/٣٢٣]

صـوت

ألـم تَـرْبَـعْ فتُخْبِـرَكَ المَغَـانِـي فكيـف وهُـنَّ مُـذْ حِجَـجٍ ثَمَـانِ
بَـرِئْـتُ مـن المنـازلِ غيـرَ شَـوْقٍ إلـى الـدارِ التـي بِلِـوَى أَبَـانِ[٦]

لإسحاقَ في هذين البيتين هَزَجٌ بالخنصر في مجرى البِنصر من كتاب ابن المَكّيّ.

كان أخوه بدر شاعراً، وشيء من شعره:

وكان بدر بن سعيد[٧] أخو المَرَّارِ شاعراً وهو الذي يقول:

صـوت

يـا حَبَّـذا حيـن تُمْسِـي الـريـحُ بـاردةً وادِي أُشَـيٍّ[٨] وفِتْيـانٌ بـه هُضُـمُ[٩]
مُخَـدَّمُـونَ كِـرامٌ فـي مجـالسِهـم وفـي الـرِّحـال إذا لاقيتَهـم خَـدَمُ

(١) الجنائب: جمع جنوب وهي الريح التي تقابل الشمال. ومنه إذا جاءت الجنوب معها خير وتلقيح.
(٢) هكذا في جميع الأصول: ويا ويلتا بمعنى يا فضيحتا. وقد أشكل علينا مرجع الضمير المثنى في قوله «أطلقا أسيركما». ولهذا يحتمل أن تكون هذه الكلمة محرفة عن مثل قوله «فيا حارسي سجن اليمامة» أو نحو ذلك.
(٣) يفري: يشق؛ والبرق يشق الظلام.
(٤) نص العيس: استحثاثها واستقصاء آخر ما عندها من السير.
(٥) أرض مضلة (بفتح الضاد وتكسر): يضل فيها الطريق.
(٦) أبان: يطلق على موضعين هما أبان الأبيض وأبان الأسود. فالأبيض شرقي الحاجر فيه نخل وماء وهو لبني فزارة وعبس. والأسود: جبل لبني فزارة خاصة، وبينه وبين الأبيض ميلان. (عن «معجم البلدان» لياقوت).
(٧) في «لسان العرب» (في مادة هضم) و «معجم البلدان» في الكلام على أشي وشعوب ونقم أن قائله زياد بن منقذ. وفي «شرح الحماسة» للتبريزي طبع أوربا ص ٦٠٨ أن قائله زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث ويقال زياد بن منقذ. ومثله في «لسان العرب» (في مادة أشي) غير أنه ورد فيه: «زياد بن حمد» بالدال محرفاً.
(٨) أشي: موضع بالوشم. والوشم: واد باليمامة؛ ذكر ذلك ياقوت واستشهد بالأبيات.
(٩) هضم: جمع هضوم. وفتيان هضم: يهضمون المال أي يكسرونه وينفقونه.

ومـا أُصـاحِـبُ مـن قـوم فـأذكُـرُهـم إلاّ يَـزيـدُهُـمُ حُبّـاً إلـيّ هُـمُ[1]

الغِناء لابن مُحْرِزٍ ثاني ثقيل بالخِنصر والبنصر عن ابن المَكّيّ. وفيه لمتيّم خَفِيفُ رَمَلٍ. وذكر حَبَشٌ، أن الثقيل للهُذَلِيّ. وفيه لمحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ثقيلٌ أوّلُ عن الهِشَاميّ.

[١٠/٣٢٤]

/ صـوت

/ صوت ابن صاحب الوضوء في شعر النابغة:

خَطَـاطِيـفُ حُجْـنٌ فـي حِبـالٍ متينـةٍ تمـدُّ بهـا أيـدٍ إليـكَ نَـوازِعُ

فـإن كنـتَ لا ذا الضِّغْـنِ عنّـي مكـذِّبـاً ولا حَلِفِـي عنـد البَـرَاءةِ نـافـعُ

فـإنـك كـالليـل الـذي هـو مُـدْرِكـي وإن خِلـتُ أن المُنْتَـأى عنـك واسـعُ

عَروضُه من الطّويل. يقول: أنا في قبْضتِك متى شئتَ قدَرْت عليّ كأني في خَطَاطِيفَ تَجْذِبُني إليك ولا أَقْدِر على الهَرَب منك. ويُرْوَى «وإن خلتُ أن المُنْتَوَى» أي الموضع الذي أنْتَوِي قصدَه. والمُنْتَأى: المُفْتَعل من النّأي والحُجْن: المُعْوجّةُ. والنّوازِع: الجواذِب. والضِّغْن: الحقد.

الشعر للنابغة الذُّبيانيّ. والغناء لابن صاحبِ الوضوء من رواية إسحاق وعمرو ما خُورِيٌّ بالبِنْصر.

انتهى الجزء العاشر من كتاب الأغاني

ويليه الجزء الحادي عشر

وأوّله أخبار النابغة ونسبه

(١) ارتفع «هم» الأخير بيزيد. وقد وضع الضمير المنفصل موضع المتصل؛ لأنه كان الوجه أن يقول إلا يزيدونهم حباً إليّ؛ ومثله لطرفة:

أصـرمـت حبـل الحـي إذ صـرمـوا يـا صـاح بـل صـرم الـوصـال هـم

(عن «شرح ديوان الحماسة» للتبريزي).


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس موضوعات الجزء العاشر